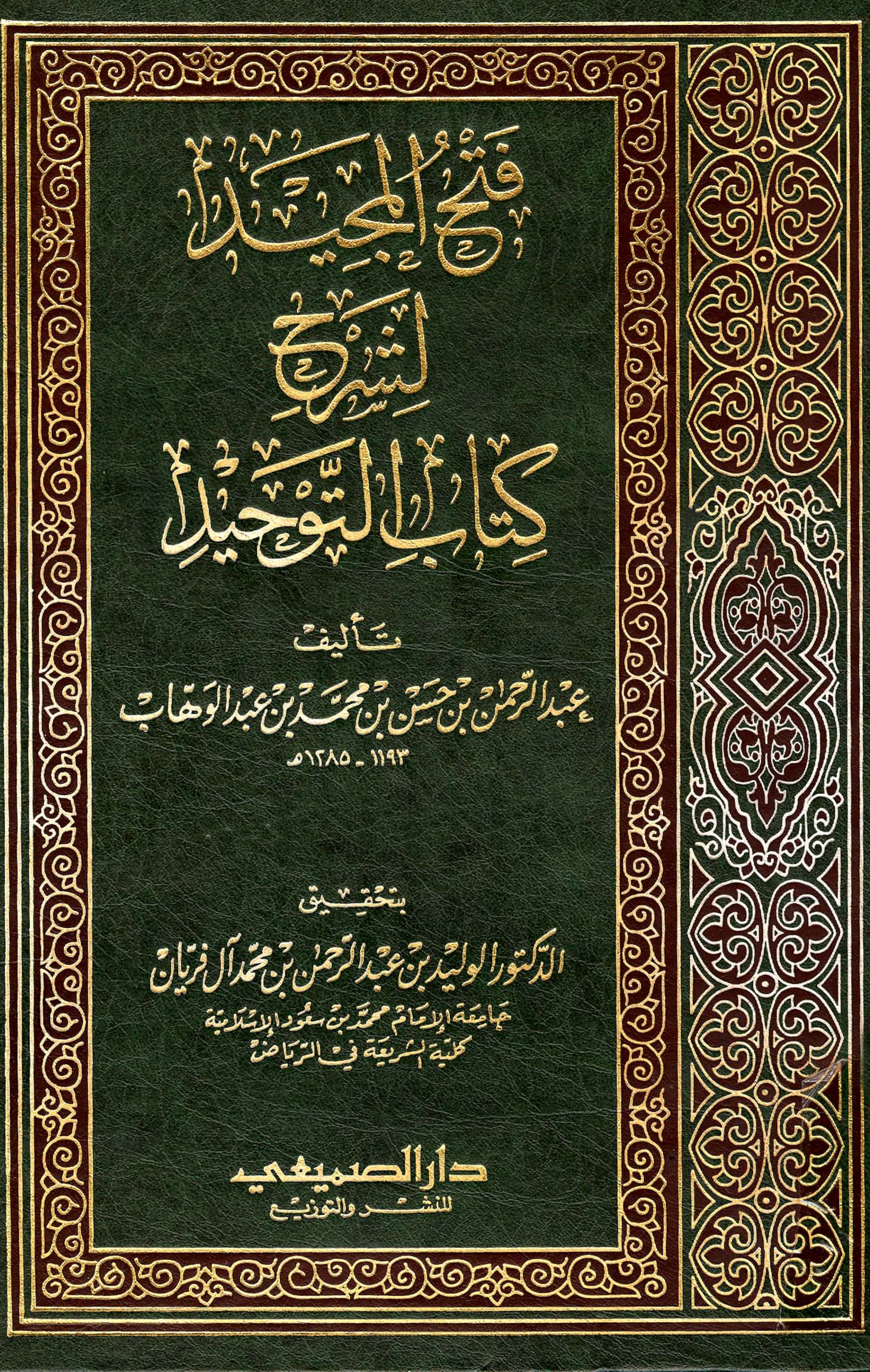

فتح المجيد
لشرح
كتاب التوحيد
تأليف
عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب
١١٩٣ - ١٢٨٥هـ
بتحقيق
الدكتور الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الشريعة في الرياض
دار الصميعي
للنشر والتوزيع



تأليف

عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

١١٩٣ - ١٢٨٥هـ

المجلد الأول

بتحقيق

الدكتور الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الشريعة في الرياض

دار الصميعي

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، المُنفرد بالبقاء والدوام على مر السنين وتعاقب الأعوام، المنزَّه عن الأمثال والأوهام.

والصلاةُ والسَّلام على نبينا محمد، النبي الخاتم المخصوص من الله بالفضل والإنعام، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأوفياء الكُرماء الميامين، ومن اقتفى أثرهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعدُ:

فهذا كتابُ (فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد) تأليف العلاّمة الشيخ، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى: أقدّمه بعد أنْ أمضيتُ في تحقيقه سنين عدداً، فقابلته على أصوله الخطية وعارضته بمصادره الكثيرة وأصلحتُ ماوقع في طبعاته السابقة من تحريف ونقص. حتى خرج في هيئة أحسب أنها أقرب ماتكون إلى صورته الأولى التي تركها المؤلف. وما العنايةُ به ولا الحرص عليه، إلاّ لما لكلمة التوحيد الخالدة من أثر بالغ في حياة الأمة.

فإنَّ قاعدة الإسلام العظمى، وحقيقتَه الكبرى: التي لا يقبل الله غيرَها إلاّ بها، ولا يرضى لعباده سواها، ولا طريق إليه إلاّ عن طريقها. والفاتحة للسعادة وسبيل الهداية، وعنوان الفلاح والعاصمة من الخلاف، والأصل لكل خير ونعمة، وأول ماندب الله الخلقَ إليه، وبشَّر به رُسلُ الله وأنبياؤه: عبادةُ الله، وحده لا شريك له: توحيداً في قصده، وخلقه وأمره وأسمائه وصفاته قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمَّة رسولاً أنْ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾. [النحل: ٣٦].

وقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول الَّا نُوحي إليه أنَّه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾. [الانبياء: ٢٥].

وقال: ﴿وما أمروا إلَّا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يُشركون﴾. [التوبة: ٣١].

وقال: ﴿فاعبد الله مُخلصاً له الدين ألا لله الدينُ الخالص﴾. [الزمر: ٢ ـ ٣].

وقال: ﴿وما أُمروا إلَّا ليعبدوا الله مُخلصين له الدين﴾. [البينة: ٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن تدَّبر أحوال العالم، وجد كل صلاح في الأرض فسببهُ توحيدُ الله وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ. وكل شر في العالم وفتنة وبلاء، وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفةُ الرسول ﷺ والدعوة إلى غير الله. ومن تدبر هذا حق التدبر، وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه، وفي غيره عموماً، وخصوصاً. ولا حول ولا قوة إلا بالله[1].

ولَّما كان هذا من شأنه، وهذه آثاره الحميدة، وخصاله الجليلة. كان الشيطانُ أسرع شيءٍ إلى هدمه وتقويضه.

فلا يفتأ في مضارَّته وتوهينه، ولا يزال يسعى إلى ذلك في غُدوِّه ورواحه، بكل طريق يأمل عائدته ويرجو فائدتَه.

فإنْ أيس من الشرك الأكبر لم ييأس من شرك المقاصد والألفاظ، وإذا لم يُفلح توسَّل إليه بالبدع والخرافات[2]. في استخفاءٍ ماكر خبيث، ووسوسة كذوب، كما تسري النارُ في الهشيم البالي.

---

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٥/٢٥).

(٢) ينظر: ابن تيمية «الاستغاثة» (٢٩٣).

وأنت ترى بعدُ آثاره المروِّعة، التي تمكّنت بها حلقات الشر والتأم بها الفساد، وعادت بفئام من الأمة إلى الجاهلية الأولى!!.

وكلُّ دعوةٍ للإسلام تجدُّ لا تقوم على التوحيد الخالص لله تعالى، ولا تأخذ طريقَها إلى مشرع سلف الأُمة الصالح، فهي تائهةٌ مخذولة مهزومة، وإنْ توهمت غير ذلك. لا تصبر على لقاء ولا تجسر على حق، ولا تحتملُ المواجهة.

وهاهي النماذج الوافرة التي ازدحم بها التاريخ، تنطق بهذا المصير الكاسف، والنهاية البائسة.

دعوات تمادت بها السنون وتوالت عليها الأيام، وقدمت لها الأرواح وبذلت فيها الأموال، ثم انتهت إلى زوال.

وحركات حثيثة غامرة، روت طريقها بالدماء، وتبارت في ضروب التضحية والفداء. فسقطت دون هدفها، ولم تحقق من أمرها شيئاً سوى الاضطهاد والتنكيل.

غير أنَّ المؤمن الـمُستيقن من موعود الله الحق، لا ييأس ولا يلين أبداً، ولا ينكسر أمام العواصف، ولا يقبل أنْ تتوالى عليه التجاربُ دون انتفاع أو أنْ يُلدغ مرتين[1]!

وله في نبيه الكريم أعظم أسوة وأبلغ قدوة، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾. [الأحزاب: ٢١].

وهكذا على منهاج النبوة الأوَّل ـ في الدعوة إلى التوحيد، والبداءة به، وتقديمه على

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦١٣٣)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٩٩٨)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٧٩) من حديث أبي هُريرة.

كل مهم ـ أدلجت دعـوةُ المجدِّد العلاَّمة الإمام، محمد بن عبدالوهاب آل مشرف رحمه الله تعالى، وحثَّت ركابَها. ولم تمض الأيام حتى انبلج صُبح الحق، وأسفر بوجهه. وانجاب عن نجد، ما غمرها من الظلم والجهل والعصبية الحموق.

وعلى أثـرهـا المبـارك: نشأت في تلك البُقعة القاصية وقتئذ، دولةٌ اسلامية خالصـة. طهَّـرت البلاد والعباد من رجس الشرك، وغمامات البغي والفُجور. وأتاحت لأولئك الأبرار تسنم نهضة إسلامية مُتألقة وطموحة.

ومابرح الناس: أنْ أمنوا وسعِدوا، وضرب الإسلام فيها بجرانه. وتدافع الخير إلى كل مكان.

ولا جرم: فإنَّه متى اجتمع الحقُ والصدق، والقيادة المخلصة. فلا أمل لباطل في بقاء، وهو إلى ذهاب واضمحلال؛ قال تعالى: ﴿وقل جاء الحقُّ وزهق الباطل أنَّ الباطل كان زهوقا﴾[1]. [الاسراء: ٨١].

ومهـما أرعـد الأشرارُ وأزبدوا، وإنْ نثروا الكنائن وتصيدوا الاتباع، ونصبوا الحبائل وطيَّروا الشائعات، وروَّجوا الأحقاد والضغائن. فإنَّ أمرهم إلى سفال، وعملَهم في خسار.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فشراذمُ القاصرين والشذاذ عن هذا النور بمعزل، وعن الحق في صُدود، وإلى كل فتنة ينقلبون. وانْ لجُّوا بنصرته، ونعقوا بالدفاع عنه.

---

(١) كان هذا هو أساس نجاح الدعوة والدولة معاً، وسر نشاطها وقوتها واستتباب أمرها فتسلَّط عليها العدو الماكر، وأجلب بالاعوان والأذناب. ولا يزال يهتبل الفرص، ويبادر الغفلات: في وشاية كاذبة، ووسوسة خئون، واستغلال لأهواء النفوس وشهواتها. عسى أنْ تفلح مؤامراته فيما هو بسبيله الكالح، حتى يهدم بعضُها بعضاً. وإلى الله عاقبة الأمور، وهو المستعان.

وسيبقى الخيرُ في ذيوع واتساع، رغم كل جاحد. والله غالبٌ على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وما كتابُ (فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد) الذي نقدم له: إلَّا قبسٌ من شعاع الحركة السلفية في هذه البلاد، وهو بحق من أوفى وأشمل كتب الدعوة، التي أسهمت في بيان منهجها وشرح طريقتها والدفاع عنها. بأسلوب علمي، وطريقة معتدلة. فاستحق أنْ يُهتم له ويحتفى به، وأنْ ينال كل عناية وتقدير.

ورغبةً في خدمة المزيد من تُراث أئمة الدعوة، وإظهار جهودهم الكريمة. قمتُ بتحقيق هذا الكتاب منذ خمس سنوات تقريباً، وبذلت له ما استطعت من جهد ووقت. ورأيت أن أخرجه بعد رجاء أنْ يكتب الله به النفع، كما انتفع الناس من قبل بنُسخه الكثيرة وطبعاته المختلفة، وأن يُستدرك به ماكان من نقص وتحريف، وأن لا أُحرم من دعوة صالحة تسلك صاحبَها في سلك أولئك الأبرار.

والله الـمُوفّق والـمُعين، لكل خير.

وقد جعلتُ عملي على قسمين. الأوَّل: القسمُ الدراسي، وحرصت على اختصاره ماأمكن؛ أملاً أن أفرده ببحث خاص فيما بعد. ويشتمل هذا القسم على فصلين. أحدُهما: في حياة شيخ الإسلام ابن عبدالوهاب وكتابه (التوحيد)، والفصل الثاني: في حياة المؤلِّف، وكتابه (فتح المجيد).

والقسمُ الثاني: نصُّ الكتاب المحقق.

والحمدُ لله ربِّ العالمين على فضله وإحسانه ونعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، كما يُحب ربنا ويرضى.



الفصل الأول

حياة شيخ الاسلام ابن عبدالوهاب، وكتابه التوحيد.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة موجزة، لشيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب.

المبحث الثاني: كتاب التوحيد.



المبحث الأول:

ترجمة موجزة، لشيخ الاسلام ابن عبدالوهاب، وفيه المطالب التالية:

١ ـ نسبه وميلاده.

٢ ـ أسرته ونشأته.

٣ ـ شيوخه.

٤ ـ طلابه ومصنفاته.

٥ ـ وفاته.

٦ ـ عقيدته وثناء العلماء عليه.

٧ ـ دعوته.



المطلب الأول: نسبه وميلاده[١]

هو العلَّامة المجدِّد، الإمام شيخُ الإسلام أبو الحسين، محمَّد بن عبدالوهاب بن سُليمان بن علي بن مُشرَّف آل معضاد الوهيبي، من بني حنظلة بن مالك التميمي[٢]. ولد في العُيينة من بلاد عارض اليمامة، في وسط الجزيرة العربية، سنة ١١١٥هـ.

المطلب الثاني: أسرته ونشأته

نشأ في أحضان أسرة فاضلة، وبين أبوين كريمين. فوالدُه الأدنى: الشيخ عبدالوهاب بن سُليمان (ت ١١٥٣هـ)، من علماء نجد المعروفين، وقُضاة العُيينة. وجدُّه الشيخ، سُليمان بن علي[٣] (ت ١٠٧٩هـ) من المشهورين بالفقه والفتوى. وكذلك عمه، الشيخ إبراهيم.

أمَّا والدتُه: فهي ابنة الشيخ، محمد بن عزَّاز. وخالُه: الشيخ سيف بن محمد بن عزاز. مما هيأ له البيئة الصالحة، ودفعه إلى الاقبال على العلم في وقت مبكر، وشجَّعه على طلبه والانقطاع اليه. مع ما حباه الله تعالى من الذكاء الوافر، والفهم الثاقب والقُدرة على الحفظ، والصبر على القراءة والتحصيل.

المطلب الثالث: شيوخه

حفظ القرآن الكريم دون العاشرة، وأخذ عن كثير من العلماء في بلده، وفي

(١) من مصادر ترجمته: ابن غنام، «روضة الأفكار والأفهام» (١/٣٦)، وابن بشر، «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/١٨١) وعبدالرحمن بن حسن، «الدرر السنية» (٩/٢١٥) وحاجي خليفة «كشف الظنون» (٦/٣٥٠) والزركلي، «الأعلام» (٦/٢٥٧) وكحالة «معجم المؤلفين» (١٠/٢٦٩).

(٢) ذكر ابنُ لعبون في «تاريخه» (٣١) أنّ الوهبة، من بني عدي بن عبد مُناة بن أُدبن طابخة.

(٣) وكان يقطن في روضة سُدير، ينظر: عبدالرحمن بن حسن «الدرر السنية» (٩/٢١٥).

رحلاته المتعددة إلى الحجاز والبصرة والأحساء، ومنهم:

١ - والدُه الشيخ، عبدالوهاب بن سُليمان.

٢ - الشيخ، عبدالله بن إبراهيم بن سَيف.

٣ - الشيخ، محمد حياة السندي (ت ١١٦٥هـ).

٤ - الشيخ، محمد المجموعي، البصري.

٥ - الشيخ المسند، عبدالله بن سالم البصري (ت ١١٣٤هـ).

٦ - الشيخ، عبداللطيف العَفالقي، الاحسائي.

المطلب الرابع: طلابه ومصنفاته

أخذ عنه جموعٌ كثيرة من الطلاب، تولَّوا من بعده مهمة الدعوة ورعاية الدولة، ومنهم:

١ - الإمامُ الـمُجاهد، عبدالعزيز بن محمَّد بن سُعود (ت ١٢١٨هـ).

٢ - الأمير، سعود بن عبدالعزيز بن محمد (ت ١٢٢٩هـ).

٣ - أنجالُه: الشيخ حسين (ت ١٢٢٤هـ)، والشيخ علي (ت ١٢٤٥هـ)، والشيخ عبدالله (ت ١٢٤٣هـ)، والشيخ إبراهيم.

٤ - حفيدُه الشيخ، عبدالرحمن بن حسن، مؤلف فتح المجيد.

٥ - الشيخ، حمد بن ناصر بن مُعمَّر (ت ١٢٢٥هـ).

٦ - الشيخ، عبدالعزيز بن عبدالله الحُصينِّ (ت ١٢٣٧هـ).

٧ - الشيخ، حُسين بن غنَّام (ت ١٢٢٥هـ).

أمـا مؤلفاتـه:

فكان له مشاركةٌ في فُنون كثيرة: في التفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه، والوعظ. مع ما كان فيه من انشغال بأعباء الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، والمشاركة في الجهاد كما هو دأب علماء الدعوة، ومن هذه المؤلفات:

١ ـ كتابُ التوحيد، مطبوع.

٢ ـ أصولُ الإيمان، مطبوع.

٣ ـ مفيدُ المُستفيد في كفر تارك التوحيد، أو شرح حديث عمر بن عبَسة. مطبوع.

٤ ـ كشف الشبهات، مطبوع.

٥ ـ ثلاثة الأصول، مطبوع.

٦ ـ مُختصر السيرة، مطبوع.

٧ ـ مختصر فتح الباري، مخطوط.

٨ ـ مختصر زاد المعاد، مطبوع.

٩ ـ مسائل الجاهلية، مطبوع.

١٠ ـ فضائل الصلاة، مطبوع.

١١ ـ كتاب الاستنباط، مطبوع.

١٢ ـ آدابُ المشي إلى الصلاة، مطبوع.

١٣ ـ مجموعة الحديث، مطبوع[1].

المطلب الخامس: وفاتـــه:

مات رحمه الله تعالى في أواخر سنة ١٢٠٦هـ عن إحدى وتسعين سنة، قضاها في ميدان العلم والجهاد والدعوة، ودُفن بمقبرة الدرعية شمال البلدة القديمة. وقد كُتب في رثائه قصائدُ كثيرة تنضح بالوفاء والحب.

---

(١) طبع أكثرها في «مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب» عام ١٣٩٨ في الرياض، باشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة يزدلف بها أعلى الدرجات، وجمعنا به في مستقر رحمته.

المطلب السادس: عقيدته، وثناء العلماء عليه

ما كانت عقيدتُه، الاَّ عقيدة السلف الصالح من هذه الأمة. الذين تمسَّكوا بالكتاب والسنة، وفهموهما دون عوج ولا انحراف ولا تطرف.

يقولُ رحمه الله: أُشهد الله وممن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أني اعتقد ما اعتقدته الفرقةُ الناجية، أهل السنة والجماعة[١].

ويقول في موضع آخر: أخبرك أني ولله الحمد متبعٌ ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة[٢].

ويقول أيضاً: ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلِّم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم. بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وادعو إلى سنة رسول الله[٣].

وقد أثنى عليه العُلماء ومجَّدوه، وأشادوا بذكره. فمدحه الصنعانيُّ في قصيدة طويلة، مذكورة في أول الكتاب.

وقال عنه الشيخُ الشوكاني، في معرض حديثه عن بعض رسائله: وهي رسائلُ جيدة، مشمولة بأدلة الكتاب والسنة. تدل على أنَّ المجيب من العلماء، المحققين العارفين بالكتاب والسنة[٤].

---

(١) محمد بن عبدالوهاب، «مجموعة المؤلفات» (٨/٥).

(٢) محمد بن عبدالوهاب، «المصدر السابق» (٣٦/٥).

(٣) محمد بن عبدالوهاب، «المصدر السابق» (٢٥٢/٥).

(٤) الشوكاني «البدر الطالع» ترجمة غالب بن مساعد أمير مكة.

وقال العلاَّمة ابن بدران: العالم الأثري، والإمام الكبير، محمد بن عبدالوهاب. رحل لطلب العلم، وأجازه محدِّثوا العصر بكتب الحديث، وغيرها. ولما امتلأ وطابه من الآثار وعلم السنة، وبرع في مذهب أحمد: أخذ ينصر الحق، ويُحارب البدع، ويقاوم ما أدخله الجاهلون في هذا الدين[1].

المطلب السابع: دعوته

لم تكن نجد التي ترعرع الشيخُ في أحضانها، بعيدة عما كان منتشراً في أرجاء العالم الإسلامي، من الجهل والبدع والخرافات. لا سيما وقد انتهت مقاليدُها إلى الدولة العثمانية، التي تحوَّلت إلى راعية لهذه البدع في كل مكان.

ففتح عينيه على الشرك الصريح في أطراف بلده، وعامة بلدان نجد[2]. وفي رحلاته إلى الحجاز والبصرة التقى بمجموعة من العلماء، الذين كانوا يكرهون هذه التصرفات العمياء ولا يجرؤون على إنكارها. كالشيخ محمد حياة السندي، والشيخ عبدالله بن سيف، والشيخ محمد المجموعي وغيرهم.

فبدأ في الإنكار، وأظهر امتعاضه الشديد من هذه الأعمال البدعية والأحوال الشركية الفاسدة، إبَّان وجوده في البصرة. مما تسبب في غضب أهلها ونقمتهم عليه، فغادرها إلى بلده.

وفي حُريملاء بعد انتقال أسرته إليها، أستمر في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة.

---

(١) ابن بدران «المدخل» (٤٤٧).

(٢) يذكر ابن بشر في «عنوان المجد» (١/ ٣٤) أنَّ انتقال البدع والشرك إلى بلاد نجد كان على يد طائفة من الأعراب، كانوا ينزلون حول القرى في فصل الصيف ويتطبّبون لأهلها بالذبح للجن ونحوه. مع غلبة الجهل وفشو العامية، وانصراف الحكام إلى الصراع على السلطة.

لكن الـدعـوة لم تأخـذ طريقهـا، إلاَّ بعد وفاة والده سنة ١١٥٣هـ. فاشتد عودُها، وكثر اتباعها.

ثم اضطُر إلى تركها إلى العينة سنة ١١٥٧هـ، حيث وجد من أميرها عثمان بن معمَّر العون والتأييد. وبعد فترة قصيرة، لم يجد بُدّاً من الانتقال سنة ١١٥٨هـ إلى الدرعية، فقيَّض الله له أميرها الجديد محمد بن سُعود (ت ١١٧٩هـ). ووقف إلى جانبه، وقام معه.

ولم تزل دعوته في انتشار واتساع، حتى عمَّت الجزيرة العربية، وقرَّت عينُه وهو يراهـا في نمـو وازدهـار. بل تجاوز أثرُها حدود الجزيرة إلى كثير من أقطار العالم الإسلامي، ولا زال صداها يتردد في تلك البلدان.

وبالرَّغم من وضوحها ونصاعتها وقوة حجتها وصدقها، لم تسلم من إفك كاذب وعصبية موتور. ولم تُعدم من جاهل جبان ومخاتل خادع، يبغيها الغوائل ويتربص بها الدوائر.

إلاَّ أنَّ هذه المحاولات البائسة تصرَّمت مع أهلها، وبقى الحق كما هو، في تألق وتوهج لا يخبو. وظلت هذه الدعوة تنتشر، ولم تفلح تلك الأراجيف المخذولة.

المبحث الثاني: كتاب التوحيد، وفيه المطالب التالية:

١ ــ تأريخ تأليفه.

٢ ــ موضوعه.

٣ ــ أهمية الكتاب.

٤ ــ منهج المؤلف.

٥ ــ عناية العلماء به.



المطلب الأول: تاريخ تأليفه

لما بدأ رحمه الله في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، رأى حاجةَ الناس إلى جمع كتاب يتضمن أدلة التوحيد ومسائله؛ ليساعدهم على فهمه ومعرفته على وجه الصواب. غير أنَّ ابن غنام وابن بشر، لم يذكرا فيها كتبا من تاريخ الدعوة وقتاً لتأليفه. وإنْ كان في كلام ابن غنام، ما يُشعر أنَّه كتبه في حريملاء، حيث كان يقيم هناك.

إلَّا أنَّ الشيخ عبدالرحمن بن حسن نص على أنَّه ألَّفه في البصرة، واستعان عليه بما وجد في مدارسها من الكُتب.

يقول رحمه الله: فصنَّف في البصرة كتاب التوحيد، الذي شهد له بفضله بتصنيفه القريب والبعيد. أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة، من كُتب الحديث[1].

المطلب الثاني: موضوعه

حرص المؤلف رحمه الله تعالى أنْ يُعطي صورةً واضحة عن جميع أنواع التوحيد، ولا سيما توحيد الألوهية وما يضاده من الشرك الأكبر والأصغر.

وقد استهلَّه بذكر بعض الآيات والأحاديث، الدالة على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة والقصد. ثم ختمه ببيان قدرته تعالى الغالبة، وأشار فيما بين ذلك إلى مايتصل به من توحيد الربوبية، والأسماء والصفات.

يقول الشيخ، عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: وقد ابتدأ الـمُصنف رحمه الله تعالى هذا المصنف العظيم ببيان توحيد الإلهية، ثم ختم كتابه بتوحيد الأسماء

(١) عبدالرحمن بن حسن، «الدرر السنية» (٩/ ٢١٥).

والصفات[١]. ويقول أيضاً: وأمَّا كتابُه المذكور، فموضوعُه في بيان مابعث الله به رسله: من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكرِ ما يُنافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كما لَه الواجب من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك أو يُوصل إليه[٢].

المطلب الثالث: أهمية الكتاب

كان لكتاب التوحيد وقعٌ بعيد في نفوس العلماء الذين عاصروه؛ لما اشتمل عليه من بيان ما بعث الله به رسوله من أنواع التوحيد، بالأدلة من كلام الله وكلام رسوله وكلام سلف الأمة. مع الايجاز والسلامة من التعقيد والتكلف، الذي سيطر على مُعظم كتابات ذلك العصر. إلى جانب ما اصطبغ به من الصدق والاخلاص والجاذبية والتأثير. واستطاع بفضل الله، أنْ يضع يده على كثير مما كان فاشياً في وقته، من الأمراض العقدية الوبيلة.

وقد أعتُبر هذا الكتاب بمثابة الوثيقة أو البيان العام، الذي أعلن فيه مباديء دعوته، ورسم فيه المنهج الذي سار عليه وطبقه.

يقول الشيخ، عبدالرحمن بن حسن: جمع على اختصاره خيراً كثيراً، وضمنه من أدلة التوحيد ما يكفي من وفَّقه الله، وبيَّن فيه الأدلةَ في بيان الشرك الذي لا يغفر الله[٣].

وقال الشيخ سُليمان بن عبدالله: وهو كتابٌ فرد في معناه، لم يسبقه إليه سابق ولا لحقه فيه لا حق[٤].

(١) عبدالرحمن بن حسن، «قرة عيون الموحدين» (٢٦٢).
(٢) عبدالرحمن بن حسن، «فتح المجيد» (٣).
(٣) عبدالرحمن بن حسن، «الدرر السنية» (١٦٩/٣).
(٤) سليمان بن عبدالله، «تيسير العزيز الحميد» (٢٤).

وقال الشيخ، عبداللطيف بن عبدالرحمن: وصنَّف كتابه المشهور في التوحيد، وأعلن بالدعوة الى الله العزيز الحميد. وقرأ عليه هذا الكتاب المفيد، وسمعه كثيرٌ ممن لديه من طالب ومستفيد. وشاعت نسخهُ في البلاد، وطار ذكره في الغور والأنجاد[1].

المطلب الرابع: منهج المؤلف

اجتهد المؤلف في أنْ يستوعب في كتابه أهم مسائل العقيدة التي يحتاج الناس إليها، مع الاستدلال لها من الكتاب والسنة وأقوال السلف باختصار. وعقد لذلك ستة وستين باباً، ترجم بها مانقل من الآيات والأحاديث والآثار. بأسلوب واضح، وعبارة مشرقة. وربما اتخذ بعض النصوص الخالصة، عناوين لأبوابه. ولم يذكر من الأحاديث والآثار، إلَّا ما كان ثابتاً في نفسه أو كان مما ثبت معناه من أدلة كثيرة. مع الإشارة إلى من خرَّجه، وذكر راويه في حُدود مايسمح به المختصر.

ثم يختم كلَّ باب، بجملة من المسائل المستنبطة من هذه الأدلة. التي تؤكد فقه هذا الإمام، وعُمقَ فهمه، وقدرته الفائقة على تلمس مقاصد النصوص.

المطلب الخامس: عناية العلماء به

اهتم العلماءُ بهذا الكتاب، واحتفلوا به في بلاد مختلفة قديماً وحديثاً. فدرَّسوه في حِلَقهم، وكتبوا عليه الشروح والحواشي والايضاحات المفيدة. التي أسهمت في تبيين مقاصده، وحل ألفاظه وبسط معانيه. كما تُرجم إلى لغات متعددة، ومن هذه المؤلفات، مايلي:

١ ـ تيسيرُ العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد

تأليف الشيخ، سُليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ت

---

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمن، «الرسائل والمسائل» (٣/ ٣٨١).

١٢٣٣هـ)، ومات قبل تمامه. والموجودُ منه، ينتهى عند باب ماجاء في المصوِّرين[١]. طُبع سنة ١٣٨٢هـ عن ثلاث نُسخ، كما يقول الناشر. وله نسخٌ خطية أخرى في بعض مكتبات الرياض، منها في مكتبة الرياض السعودية برقم ٣٦٥، ٨٣.

٢ ـ حاشيةُ كتاب التوحيد

للشيخ، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب المتقدِّم، ولم اطلع عليها[٢].

٣ ـ شرحُ كتاب التوحيد

للشيخ، علي بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٣٤هـ)، وهو مفقود منذ زمن طويل، يقول ابنُ بشر: ذَكر لي أنه علّق شرحاً على كتاب التوحيد، تأليف جده محمد بن عبدالوهاب. ولم نر هذا الشرح، وذكر لنا في مكان[٣].

٤ ـ فتحُ الحميد في شرح كتاب التوحيد

لعثمان بن منصور الناصري التميمي (ت ١٢٨٢هـ) في مجلَّدين، وفيه من الدواهي والمنكرات ما لا يُحصيه إلاَّ الله[٤].

(١) لم يبيّض منه، الاَّ إلى باب من هزل بشيء فيه ذكر الله. أمَّا مسوَّدته، فانتهت إلى باب مُنكري القدر. ووجد نقل، عن نسخة له من الأصل فيما بعد ذلك. فيكون قد بقي من الكتاب سبعةُ أبواب فقط ينظر: ابن عتيق «إبطال التنديد» (٥).

(٢) ينظر ابن قاسم «الدرر السنية» (٤٨/١٢) وحدثني شيخنا، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله: انها قُرئت عليه منذ وقت بعيد، في بلد الدلم. والله اعلم.

(٣) ابن بشر، «عنوان المجد» (١٨٨/١).

(٤) كما يقول الشيخ عبداللطيف، ينظر: عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن «اتمام المنة والنعمة». (٤٦) وابن قاسم «الدرر السنية» (٣٣٣/٩) ولدي منه نسخة، تقع في نحو مائتي ورقة من القطع الكبير.

٥ ـ ـ شرحُ كتاب التوحيد

للشيخ، عبدالله بن عبدالرحمن أبا بُطين العائذي (ت ١٢٨٢هـ)، ولم أقف عليه[١].

٦ ـ فتحُ المجيد لشرح كتاب التوحيد

للشيخ، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، وهو هذا الكتاب.

٧ ـ قُرَّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والـمُرسلين.

للشيخ، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب المتقدِّم، مطبوعة سنة ١٣٤٦هـ. ولها نسخٌ جيدة في بعض مكتبات الرياض، منها في مكتبة الرياض السعودية برقم ٣٢٠[٢].

٨ ـ إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد

للشيخ، حمدبن عتيق (ت ١٣٠١هـ)، أخذه من شرح الشيخ سُليمان بن عبدالله، طبع سنة ١٣٨٩هـ.

٩ ـ تحقيقُ التجريد في شرح كتاب التوحيد

تأليف الشيخ، عبدالهادي بن محمد بن عبدالهادي البكري العُجيلي. مختصر، وربما كتبه لصغار الطلاب، ولم يُطبع بعد.

١٠ ـ حاشيةُ كتاب التوحيد

للشيخ، إسحاق بن محمد بن عتيق (ت ١٣٤٣هـ). مختصر، ولا يزال مخطوطاً.

---

(١) ينظر ابن قاسم «حاشية كتاب التوحيد» (٧).

(٢) سيصدر محققاً، في وقت قريب إن شاء الله تعالى.

١١ ـ الدر النضيد شرح كتاب التوحيد
للشيخ، أحمد بن حسن النجدي، مطبوع سنة ١٣١١هـ في دهلي، ولم اطلع عليه[١].

١٢ ـ فتحُ الله الحميد المجيد شرح كتاب التوحيد
للشيخ، حامد بن محمد بن حسن، مطبوع سنة ١٣١٧هـ في امرتسار، ولم اطلع عليه[٢].

١٣ ـ القولُ السديد في مقاصد التوحيد
للشيخ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، مطبوع سنة ١٣٨٢هـ.

١٤ ـ حاشيةُ كتاب التوحيد
للشيخ، عبدالرحمن بن قاسم (ت ١٣٩٢هـ)، مطبوع سنة ١٣٩٦هـ.

١٥ ـ الدر النضيد على أبواب التوحيد
للشيخ، سُليمان بن عبدالرحمن الحمدان (ت ١٣٩٧هـ)، مطبوع سنة ١٣٩٦هـ.

١٦ ـ الدر النضيد على كتاب التوحيد
للشيخ، سعيد الجندول، مطبوع سنة ١٣٩٨هـ.

١٧ ـ إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد
للشيخ، عبدالرحمن الجطيلي (ت ١٤٠٦هـ)، مطبوع سنة ١٤٠٣هـ.

---

(١) بروكلمان في «تاريخ الأدب» (٢/ ٥٣١).
(٢) بروكلمان في «تاريخ الأدب» (٢/ ٥٣١).

١٨ ـ الجديد في شرح كتاب التوحيد

للشيخ، محمد القرعاوي، مطبوع سنة ١٤٠٤هـ.

١٩ ـ التوضيح الـمُفيد لمسائل كتاب التوحيد

للشيخ، عبدالله الدويش (ت ١٤٠٨هـ)، مطبوع سنة ١٤١١هـ[١].

---

(١) أما ما أُلقي منها في حَلَقات المساجد، وسجّلت على الأشرطة. فأكثر من أنْ تُحصى، ومن أشهرها: شرح شيخنا العلاّمة، عبدالله بن محمد بن حُميد (ت ١٤٠٢هـ)، وشرح شيخنا العلاَّمة، عبدالعزيز بن باز، وشرح شيخنا عبدالله بن جبرين، وغيرهم.



الفصل الثاني

في حياة المؤلف، وكتابه فتح المجيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة المؤلف

المبحث الثاني: كتاب فتح المجيد



المبحث الأول: ترجمة المؤلف، وفيه المطالب التالية:

١ ــ نسبه وميلاده.

٢ ــ نشأته.

٣ ــ شيوخه.

٤ ــ أعماله.

٥ ــ مصنفاته.

٦ ــ أبناؤه وطلابه.

٧ ــ أخلاقه وسجاياه.

٨ ــ وفاته.

٩ ــ ثناء العلماء عليه.



المطلب الأول: نسبه وميلاده[1]

هو العلاَّمة الـمُجدِّد الثاني، الشيخ أبو الحسن، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. ولد في الدرعية، الواقعة إلى الشمال من مدينة الرياض سنة ١١٩٣هـ، قبل وفاة جده الإمام محمد بن عبدالوهاب بثلاث عشرة سنة.

المطلب الثاني: نشأته

مات والده وهو صغير، فتولَّى رعايتَه والعناية به جدُّه الإمام محمد بن عبدالوهاب، ثم وجَّهه إلى طلب العلم في وقت مبكر. فحفظ القرآن في التاسعة، وأخذ عنه بعض (كتاب التوحيد) إلى أبواب السحر، وجملة من كتاب (آداب المشي الى الصلاة)، وحضر القراءة عليه في كُتب التفسير والحديث والأحكام. ولم يزل يتقلب في تلك الأفياء الوارفة الظليلة، حتى أدرك علماً غزيراً في مدة قصيرة، لما حباه الله من الذكاء وجودة الفهم، والصبر على المطالعة.

المطلب الثالث: شيوخه

أخذ العلم عن طائفة من عُلماء عصره، في نجد ومصر، ومنهم:

١ ـ جدُّه الإمام، محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٠٦هـ).

٢ ـ العلاَّمة الشيخ، عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٤٣هـ).

٣ ـ الشيخ الجليل، حمد بن ناصر بن معمر (ت ١٢٢٥هـ).

٤ ـ المؤرخ الشيخ، عبدالرحمن بن حسن الجبرتي (ت ١٢٤٠هـ).

---

(١) من مصادر ترجمته: المؤلف، «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢/ ٢٠-٢٤). وابن بشر، «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/ ١٩١، ٢/ ٤١، ٤٦)، وابن عيسى، «عقد الدرر» (٥٤-٦٢) وإسماعيل باشا، «ايضاح المكنون» (٢/ ١٧٢) و «هدية العارفين» (١/ ٥٥٨) وابن قاسم، «الدرر السنية» (٦٠)، والزركلي «الأعلام» (٣/ ٣٠٤) وكحالة، «معجم المؤلفين» (٥/ ١٣٥)، وعبدالرحمن بن عبداللطيف، «مشاهير علماء نجد» (٧٨).

٥ ـ النحوي المؤرخ، حسين بن غنام (ت ١٢٢٥هـ).
٦ ـ الشيخ، إبراهيم الباجوري (شيخ الأزهر) (ت ١٢٧٧هـ).

المطلب الرابع: أعماله

عينه الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد (ت ١٢٢٩هـ) في قضاء الدرعية عاصمة الدولة آنذاك، ثم نقله الأمير عبدالله بن سعود (ت ١٢٣٤هـ) إلى مكة.

ولما اجتاحت جيوش محمد علي (باشا) الدرعية سنة ١٢٣٣هـ انتقل إلى مصر مع أفراد أسرته، واستقروا هناك.

وفي سنة ١٢٤١هـ تمكَّن من العودة إلى نجد، بعد استعادة الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود (ت ١٢٤٩هـ) الحكم[1]. فأعاده إلى القضاء، واتخذ منه مستشاراً فيما يعرض له من الأمور الخاصة والعامة، وساهم معه في إحياء الدعوة وتطهير البلاد مما أصابها من الشرور والفتن، واشترك في مُعظم الغزوات التي خاضها الإمام تُركي تحت راية التوحيد.

وما برح كذلك في ولاية الإمام فيصل (ت ١٢٨٢هـ)، وعهد الأمير عبدالله (ت ١٣٠٦هـ) حتى فارق الدنيا.

المطلب الخامس: مصنفاته

ألَّف رحمه الله مجموعةً من الكتب، التي تشهد بطول باعه في التفسير والحديث والفقه. مع أنه كان مشغولاً بالقضاء، والتدريس والدعوة، وغير ذلك.

وقد ذُكر له مايلي:

١ ـ فتحُ المجيد، وهو كتابنا هذا.
٢ ـ قُرَّة عيون الموحدين.

---

(١) ينظر خبر ذلك، في مقدمة «كتاب الانتصار» لأبي بُطين.

٣ ـ القول الفصل النفيس[١].

٤ ـ المقامات في تاريخ الدعوة[٢].

٥ ـ المحجَّة[٣].

٦ ـ بيانُ كلمة التوحيد[٤].

٧ ـ مُختصر العقل والنقل.

٨ ـ مختصر تفسير سورة الإخلاص[٥].

٩ ـ حجة التحذير في المنع من لبس الحرير[٦].

١٠ ـ تفسير سورة الفاتحة.

١١ ـ الرد والردع[٧].

١٢ ـ المورد العذب الزُّلال[٨].

١٣ ـ مُلخص منهاج السنة[٩].

١٤ ـ إرشاد طالب الهُدى[١٠].

١٥ ـ مجموعة كبيرة من الرسائل والفتاوى.

---

(١) طبع مع «مصباح الظلام»، ثم مُفرداً على نفقة الملك سعود، في أكثر من مئتي صفحة.

(٢) طبع مختصره في «الدرر» وعندي منه نسختان خطيتان.

(٣) طبع في «مجموعة الرسائل والمسائل».

(٤) طبع في «المجموعة السابقة، ولدي منه نسخة خطية.

(٥) ولم اطلع عليهما.

(٦) (نشرت) في العدد الحادي والثلاثين من «مجلة البحوث الإسلامية». الصادرة عن دار الإفتاء في الرياض.

(٧) ذكرهما ابنُ قاسم في «الدرر السنية» (١٢/ ٦٣).

(٨) طبع في «مجموعة الرسائل والمسائل» ولدي منه نسخة جيدة من إملاء المؤلف.

(٩) طبع في آخر «القول الفصل النفيس» ولدي منه نسخة جيدة.

(١٠) طبع مُحققاً، عام ١٤١٠هـ في الرياض.

المطلب السادس: ابناؤه وطلابه

انجب خمسة أولاد: محمد، وإسماعيل، وعبداللطيف، وإسحاق، وعبدالله. ولهؤلاء الثلاثة عقب. وقد أخذوا عنه، وأخذ عنه أعدادٌ كبيرة من الطلاب في الدرعية يوم أنْ كانت عاصمة الدولة، وفي الرياض لما انتقل اليها، وتوافدوا عليه من كل مكان.

يقـول ابنُ بشر: أخـذ عنه العلم خلقٌ كثير، لا يُحصى. فنفع الله الطالب بعلمه، بحيث لا يلبث عنده إلَّا يسيراً حتى يكون فائقاً بفهمه. وضربت إليه آباط الإبل من جميع نواحي نجد والأحساء، وظهرت أثر البركات في تعليمه[1].

فتخرَّج في حَلَقاته الجامعة، الكثيرُ من العُلماء والقُضاة وأهلِ الفضل والسابقة، ومنهم:

١ ـ نجلُه العلَّامة الكبير، عبداللطيف بن عبدالرحمن (ت ١٢٩٣هـ).

٢ ـ القاضي الجليل، حسن بن حُسين بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٤٥هـ).

٣ ـ الشيخ، حمد بن علي بن عتيق (ت ١٣٠١هـ).

٤ ـ الشيخ، عبدالرحمن بن عدوان (ت ١٢٨٥هـ).

٥ ـ الشيخ، سُليمان بن سحمان (ت ١٣٤٩هـ).

٦ ـ الشيخ، محمد بن إبراهيم بن عجلان (ت ١٢٩٣هـ).

٧ ـ الشيخ، محمد بن إبراهيم بن محمود (ت١٣٣٣هـ).

المطلب السابع: أخلاقه وسجاياه

كان رحمه الله معروفاً بصدقه وإخلاصه، وعزيمته التي لا تلين. شهماً كريماً حازماً، حليماً متواضعاً عطوفاً ناصحاً، متعففاً يكتسب من الزراعة. شديد الغيرة على حرمات الله، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، متنبهاً لدسائس أهل البدع. منافحاً

---

(١) ابن بشر، «عنوان المجد في تاريخ نجد» (٢/٤٥).

عن العقيدة، بلسانه وقلمه. شُجاعاً، وقف مع رجال الدرعية وقفات مشهودة، في وجه عدوان إبراهيم (باشا) الغاشم.

يقـول ابنُ عيسى: وكان رحمه الله تعالى ورعاً تقياً صالحاً، ملازماً للتدريس مرغباً للعلم، معيناً عليه، كثيرَ الإحسان للطلبة، لين الجانب كريماً سخياً ساكناً، وقوراً كثير العبادة[١]. ويقول أحدُ تلاميذه، في قصيدة رثائية طويلة:

فلا يبعـدنـك الله من شيخ طاعـةٍ ... بعـيد عن الأدنـاس ناءٍ عن الكـبر
قوي بأمـر الله شهـم مهـذَّب ... أشـد لدى هتـك الحدود من النهر[٢]
ولمـا طغـى عِلجُ العـراق بجـهـله ... وغـرره ما لفَّـقـوه من الهَـذر
رمـاه كما يرمـي الـرجيـمَ بثـاقـب ... فراح ابنُ جرجيس على الذل والصغر
لقـد بان فينـا النقصُ من بعـد موته ... ومـوت أهيل العلم قاصمـةُ الـظهـر

المطلب الثامن: وفاتــه

امتـد به العمر ممتعاً بكامل حواسه، إلى أنْ ادركه الأجلُ عشية يوم السبت حادي عشر ذي القعـدة من عام ١٢٨٥هـ، في مدينـة الـرياض. وصُلي عليه بجامعها الكبير، ودُفن في مقبرة العُود.

فأصيب الناس بفقده، وبكاه العلماء والعامة، وأسفوا عليه. وكُتبت في ر ثائه القصائد. رحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في مستقر رحمته.

المطلب التاسع: ثناء العلماء عليه

نال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في حياته الثناء والتقدير البالغ، من صفوة أهل عصره. فمدحوه، وأشادوا بمواقفه ومواهبه، وأظهروا له التبجيل والاحترام.

يقول ابنُ بشر: الشيخُ العالم النحرير، والبحر الزاخر الغزير. مُفيد الطالبين،

---

(١) ابن عيسى، «عقد الدرر» (٥٨).

(٢) لعل الصواب: النسر.

ومرجع الفقهاء والمتكلمين، المحفوف بعناية رب العالمين. جامعُ العلوم الشرعية، ومحقق العلوم الدينية، والأحاديث النبوية والآثار السلفية. وارث العلم، كابراً عن كابر. الذي قصرت عن استنباطاته العلماء والأكابر، وصارت الأصاغر بافاداته شيوخاً أكابر. ورجع العلم به غضاً، بعد ما كان دابر. ناصر شريعة سيد المرسلين، الموفَّق للصواب في الجواب، الحافظ المُتقن[1].

وقال في موضع آخر: الشيخُ العالم الفاضل، وعين الأماثل. الذي أحيا مدارس العلم بعدما عطلت المحابر، وردَّ عصره في الشباب بعد ما كان دابر. الذي تزيَّنت بدروسه المساجد والمجالس، واحتاج إلى تفريع منطوقه كل مذاكر ومدارس. مجد الفضلاء والمدرسين، من قارنه في أقواله وأفعاله السداد والصواب[2].

وقال الشيخُ عبداللطيف بن عبدالرحمن: نصب نفسه بحمد الله ومننه لحماية هذا الدين، والذب عنه ومراغمة أعدائه. وقام في وجوه أهل البدع.

وقد منَّ عليه بنشر العلم، وانتفع الناس به بعد ماكاد يعدم في البلاد النجدية، بعد المحنة المصرية. فجدَّد الله به آثار سلفه الصالح.

وجمهورُ من له معرفة بالعلم وما جاءت به الرسل، من أهل هذه البلاد النجدية إنَّما تخرج عليه، وسمع منه وتربى بين يديه. وقد عرف العامةُ والخاصة مناصحته لولاة الأمور، وحثهم على تحكيم كتاب الله والجهاد لإعلاء كلمته، ونصحهم عن الأصغاء إلى أهل الريب. وهو قائم على قضاة تلك البلاد، وقد أنطق الله ألسن المسلمين بالثناء والدعاء لهذا الشيخ[3].

---

(١) ابن بشر، «عنوان المجد» (٢/ ٤٢).

(٢) ابن بشر، «المصدر السابق» (١/ ١٩١).

(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، «الرسائل والمسائل» (٣/ ٢٣٤-٢٣٦).

ويقول ابن عيسى: الشيخُ الإمام العالم الفاضل القُدوة. رئيس الموحدين، وقامع الـمُلحدين. كان إماماً بارعاً، محدثاً فقيهاً. له اليد الطُّولى، في جميع العلوم الدينية[1].

كما كان محلَّ حفاوة زُعماء نجد، في وقته. وهو المتصدِّر للدروس، التي كانت تُعقد في مجالس الإمام تركي والإمام فيصل، في الحل والترحال[2].

(١) ابن عيسى، «عقد الدرر» (٥٤).

(٢) ابن بشر، «عنوان المجد في تاريخ نجد» (٢/١١١، ٢٣٥).



المبحث الثاني:

كتاب فتح المجيد، وفيه المطالب التالية:

١ ــ تاريخ التأليف.

٢ ــ موضوعه.

٣ ــ أهميته.

٤ ــ منهجه.

٥ ــ نسخ الكتاب.

٦ ــ العنوان والتوثيق.

٧ ــ منهج التحقيق.



المطلب الأول: تاريخ تأليفه.

نص المؤلِّف في المقدمة، على أنَّه لم يشرع في تأليف هذا الكتاب إلَّا بعد وفاة صاحب (تيسير العزيز الحميد)، غير أننا لا نجد بين أيدينا مايبين تأريخه على وجه الدقة، سوى إشارته العابرة إلى كتابه (الرد على ابن جرجيس) (ت ١٢٩٩هـ) المعروف بـ (القول الفصل النفيس)[١]. وهذا الرجل، لم يكن له نشاطٌ معروف في مناهضة الدعوة إلَّا ماكان بعد عودة الشيخ من مصر، سنة ١٢٤١هـ[٢].

كما أنَّ تلميذ المؤلف، الشيخ، حمد بن عتيق: لم يُشر إلى هذا الكتاب في (إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد) من قريب ولا من بعيد. وكان فرغ منه عام ١٢٥٥هـ.

الأمر الذي يؤكد تأخر كتابته إلى مابعد هذا التاريخ، والله أعلم[٣].

والذي يظهر، أن الشيخ أعاد النظر في تأليفه، وكتبه أكثر من مرة؛ فقد جاء في إحدى نُسخ الكتاب مايدل على أن له نسخةً عتيقة، ونسخة متأخرة استقر عليها الشرح[٤].

المطلب الثاني: موضوعه

لما كان الكتاب في أصله شرحاً لكتاب التوحيد، فقد التزم ببيان ماجاء فيه،

---

(١) عبدالرحمن بن حسن، «فتح المجيد» (   ).

(٢) ذكر الشيخ من الأخبار وما يقع في مساجد مصر من البدع مايدل على خبرته الواسعة بأحوالها، وماكانت تعانيه من الشرور. ينظر: عبدالرحمن بن حسن «القول الفصل النفيس» (١٦٣).

(٣) نقل ابنُ بشر في «تاريخه» (٢/١١١) أنه كان يُقرأ عليه شرح كتاب التوحيد، في مجلس الإمام تركي (ت ١٢٤٩هـ)، فربما كان المقصود كتاب (تيسير العزيز الحميد).

(٤) «فتح المجيد»، نسخة (ض) الورقة (٥٥/أ).

وتوضيح معانيه واستقصاء مسائله، وتفصيل مجمله وكشف مقاصده. وما يتصل به: من تفسير غامض، وترجمة لعلم وتخريج لأثر وجمع للنصوص، وإيراد مايلزم من كلام أهل العلم، في كل مسألة تحتاج إلى ذلك. دون اسهاب، أو تزيّد. وربما ضمَّ إليه أحياناً تحرير مسألة فقهية، أو أُصولية أو لُغوية، أو ذِكرَ قصة معبرة أو موعظة مؤثرة، اقتضتها طبيعةُ البحث أو ساقه إليها الحديث. بحيث أغنى عن غيره، وسدَّ حاجة الـمُشتغلين بهذا العلم.

المطلب الثالث: أهميته

منذ أنْ كتب الشيخ سليمان بن عبدالله شرحَه (تيسير العزيز الحميد)، لم يُدوَّن لكتاب التوحيد شرحٌ كامل مستوفى، يستحق الذكر. مما دفع الشيخ عبدالرحمن أنْ يتصدَّى لهذا العمل الشاق، وأتاح لهذا الكتاب النادر فرصة ثمينة.

فأفاض عليه من علمه وفهمه، وأصالته وخبرته الدعوية الكبيرة، وما يسر الله له من الأخذ المباشر عن مؤلفه، مالم يتهيَّأ لغيره.

يقول رحمه الله: ولما قرأتُ شرحه: رأيته أطنب في مواضع، وفي بعضها تكرارٌ يُستغنى بالبعض منه عن الكل، ولم يكمله. فأخذتُ في تهذيبه، وتقريبه وتكميله. وربما أدخلتُ فيه بعضَ النقول الـمُستحسنة، تتميماً للفائدة.

وقد انتفع الناسُ به في حياته، وانتشرت نسخُه، وقرأه الطلاب على مؤلِّفه سنين طويلة، ونقل عنه كلُّ من جاء بعده.

يقول أحدُ تلاميذه، من قصيدة طويلة:

ففي الفقه والتوحيد بحرٌ غطمطم — وفي بحثه التوحيد نادرة العصر
فيضحي عويص المشكلات موضحاً — بتحقيق أبحاث أرق من الشعر

فسل عنه في التوحيد (تهذيبه) الذي غدا بين تيك الكتب كالكوكب الدري[١]

المطلب الرابع: منهجه:

ذكر المؤلِّفُ في المقدمة، أنه كان يهدف إلى تهذيب وتقريب وتكميل كتاب (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد). وربما أدخل فيه بعض النقول المستحسنة تتميماً للفائدة.

وبيَّن أنه حيث أطلق شيخ الإسلام، فالمراد به أبو العباس ابن تيمية. والحافظ، فالمراد به أحمد بن حجر العسقلاني.

وبدراسة الكتاب، نستطيع أن نُجمل منهجه - إلى جانب ماسبق - في النقاط التالية:

١ - يذكرُ المؤلف النصَّ من كتاب التوحيد، مشيراً إليه بـ: قال المصنف رحمه الله تعالى، ثم يرمز لبداية الشرح بحرف (ش).

٢ - يأخذ كلمات النص واحدة بعد أخرى، ويُفيض في شرحها وبيان معناها تارة، وهو الغالب، وتارة يشرحه شرحاً إجمالياً دون التعرض لألفاظه بالتفصيل. وذلك تبعاً لأهمية النص، أو لأنه قد تعرَّض لمعانيه في مناسبة سابقة.

٣ - يحرص على أنْ يُبيِّن النص بالنص، وإلاَّ فمن كلام الصحابة أو التابعين أو من بعدهم من العلماء. ثم ينقل مايراه مناسباً من أقوال السلف، في براعة وحُسن اختيار. لا سيما عن ابن جرير، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير.

٤ - كثيراً ما ينبه على مناسبة ذكر النص في الباب، أو ما يُعرف بمناسبة النص للترجمة. سواء بالتصريح، أو الإيماء.

---

(١) ابن عيسى، «عقد الدرر» (٦٠).

٥ ـ لا يرى أي غضاضة، في الإشارة إلى ما يعثر عليه من وهم أو سهو. ملتمساً لأهلها العذر، في تواضع ورفق.

٦ ـ ينقل في بعض الأحيان من كلام الحنفية والمالكية والشافعية، ما يشهد للمسألة التي يبحثها؛ حتى لا يظن ظان أنه رأي يختص بمذهب دون مذهب.

٧ ـ يعتمد على المصادر الأصلية والمراجع المعتبرة، مع الاحالة إليها أو إلى أصحابها في دقة وأمانة.

٨ ـ العناية بما يحتاج إليه الناس في جوانب العقيدة، وضرب الأمثلة المختلفة، والبعد عن الغموض أو الخوض في المسائل الكلامية.

٩ ـ المحافظة على نص كتاب التوحيد، والارتباط الوثيق بين المتن والشرح دون تزيد او استطراد.

١٠ ـ يذكر من المسائل، مايرى الحاجة إليه. مكتفياً عن الباقي، بما تضمّنه الشرح من معاني وفوائد، تفي بحاجة القاريء. كما يُترجم للأعلام، ويفسرٍّ الغريب من الألفاظ.

١١ ـ هذا الشرح يقدِّم للمسلم زاداً علمياً موثَّقاً، في مسائل العقيدة الـمُلّحة. إلى جانب الكثير من المعاني التربوية، والتنبيهات النافعة، والفوائد النادرة.

المطلب الخامس: نسخ الكتاب

اجتمعت لدي عند الشروع في التحقيق، خمسُ نسخ:

الأولى: خطية، تقع في ثمان وثمانين ومائة ورقة، ومسطراتها **٢٢ ـ ٢٣** سطراً تقريباً. محفوظة في مكتبة الرياض السعودية برقم ٨٦/٥١١، وكتب في أعلى ورقة العنوان وقفيةٌ للأميرة، سارة بنت الإمام تركي بن عبدالله، على طلبة العلم في الرياض،

بتاريخ ١٢٨٤هـ. وفي مُنتصف الورقة، كُتب مانصه: بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، تأليف الإمام العالم العلامة والحجة القدوة الفهامة، شيخ الإسلام الشيخ، عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب. أجزل الله لهم الأجر والثواب. وهي نسخةٌ كاملة، مصححة ومقابلة على أصل المصنِّف، ومكتوبة في حياته، ومقروءة على العلاَّمة، محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف (ت ١٣٨٩هـ)، وقد جعلتها أصلاً.

الثانية: خطية، تقع في خمس وثمانين ومائة ورقة، ومسطرتها ٢٧ سطراً تقريباً، وعليها تملك لعبدالله بن علي آل حمَّاد.

فُرغ من كتابها في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٠٨هـ بقلم عبدالرحمن بن داود بن سليمان بن تركي آل ضُحيَّان، وأصلُها في إحدى مكتبات الرياض الخاصة، وصلت إليّ عن طريق الشيخ محمد بن إبراهيم المُهنَّا، ورمزت لها بحرف (ض).

الثالثة: مطبوعة في مطبعة الأنصاري في دهلي سنة ١٣١١هـ، طباعة حجرية.

وهي طبعةٌ ناقصة، كثيرة الأخطاء، نادرة الوجود. سقط منها نحو كراس كامل، في أماكن متفرقة[1]. وعنها أُخذت جميع الطبعات اللاحقة[2]، ورمزت لها بحرف (هـ).

الرابعة: مطبوعةٌ في مطابع شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة بالعمارية،

---

(١) ينظر: الباب رقم (٤، ٩، ١٨، ٢٧) وغيره.

(٢) كطبعة الشيخ، محمد حامد فقي عام ١٣٥٧، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٧، وطبعه مؤسسة النور بالرياض عام ١٣٨٦هـ، وطبعه دار البيان عام ١٤٠٢هـ، غيرها، مع تصرفات في بعضها غير محمودة، والله المستعان.

عام ١٤٠٣هـ. على نفقة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الإصدار الخامس. وهي كسابقتها، ماعدا مواضع يسيرة وأخطاء مطبعية محضة أضافها الطابعون إليها.

وقد جاء في آخرها، مانصه: كمل مقابلة وتصحيحاً وقراءة، على يد شيخنا العلَّامة المحقق الفهامة، بقية أهل الاستقامة الشيخ، عبدالله بن الشيخ حسن آل الشيخ متع الله بحياته سنة ١٣٦٢هـ، ورمزت لها بحرف (ط).

الخامسة: خطية، ناقصةٌ من أولها ووسطها وآخرها. وعثرتُ عليها بين أوراق كثيرة، في مكتبة الشيخ المعمَّر، عبدالعزيز بن صالح آل مرشد في الرياض. كُتبت بقلم نسخي جيد، ومسطرتها ٢٣ سطراً، وتتفق مع الأصل في كثير من الأحيان.

وقد قابلتُ منها مع النسخ السابقة نحو تسع وعشرين ورقة، إلى منتصف باب تفسير التوحيد. ثم اكتفيتُ بمعارضتها مع النسخ الأخرى، فيما زاد على المطبوعتين. واستأنستُ بها فيما سوى ذلك، ورمزت لها بحرف (م).

المطلب السادس: العنوان والتوثيق

اتفقت جميعُ النسخ الخطية التي اطلعت عليها، على أنّ اسمه (فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد)، وكذلك نص المؤلفُ في رسالته إلى العُماني[1]. إلَّا أني رأيتُ في إحدى المكتبات الخاصة في الرياض نسخةً واحدة ناقصة، بعنوان (التهذيب والتجريد لشرح كتاب التوحيد). وجاء في ديباجة الأصل كذلك، ثم شطب عليه وصحح.

وأمَّا المطبوعة فكُتب عليها (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)، وعلى هذا نص أصحابُ التراجم.

(١) عبدالرحمن بن حسن، «مجموعة التوحيد» (١/٥٥) وانظر: ابن قاسم «الدرر السنية» (٢/٢٩٠).

والذي أثبتناه منها ما اختاره المؤلِّف، ودوِّن على الأصول الخطية الـمُعتمدة.

أمّا صحةُ نسبة الكتاب إليه، فقد ذكره المؤلف كما سبق، وأجمعت النسخ على ذلك، وكذلك كُتب التراجم. كما أنّه أحال فيه إلى أحد كُتبه المشهورة، وأشار إلى أخذه عن الإمام محمد بن عبدالوهاب. ولا أعرف أن أحداً نسبه إلى غيره، في مابين يدي من المصادر.

المطلب السابع: منهج التحقيق:

اعتمـدتُ نسخة المكتبة السعودية أصلاً، لجودتها وقدِمها. وعارضتُ النسخ الأخريات بها، وأثبت مابينها من فروق. أمَّا نعُوت التكريم ونحوها فاقتصرتُ على ما في الأصل، دون أنْ أُشير إلى الاختلاف لعدم أهميته.

ولم أتصرف في النص إلاّ في حُدود ما تمليه الضرورة، من تعديل أو إضافة، مع الإشارة إلى ذلك في موضعه.

وقمتُ بعزو الآيات الكريمة، وتخريج الأحاديث والآثار، مع نقل كلام أهل العلم في شأن ثبوتها ما استطعت. واجتهدتُ في أنْ أرد النصوص إلى مصادرها، بقدر ما سمح به الوقت ونشطت إليه النفس، والله الـمُستعان.

كما فسَّرتُ ما حسبته غامضاً، وترجمتُ لغير المشاهير، وعلَّقتُ باقتضاب على ما رأيتُ أنَّه يحتاج إلى تعليق.

ووضعتُ لكل باب عنوانًا مرقَّمًا، أخذته من عناوين كتاب التوحيد، لزيادة الايضاح. كما أثبت أرقام الأصل في الهامش، لمن أراد الرجوع إليه.

والتـزمتُ أنْ يبدأ كلامُ صاحب المتن بكلمة: قال المصنف رحمه الله تعالى. ويبدأ كلام الشارح بحرف (ش). ولم أُخلّ به قط، وإنْ كانت النسخُ التي بين يدي لا تلتزم به دائماً.

والتـزمتُ أيضـاً بإيراد الآيات الكريمة كاملة، ما استدعى إليه المقام. وإنْ كانت ترد أحيانـاً، مشـاراً إلى بقيتها بكلمة: الآية. وتركتُ التنبيه عليه في كل موضع، اكتفاءًا بذكره هنا.

كما حرصتُ على سلامة نص (كتاب التوحيد)، فقابلته على نُسختين خطيتين جيدتين، صورتُهما من إحدى المكتبات الخاصة في الرياض.

أسأل الله تعالى أنْ ينفع به الجميع، وأنْ يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأنْ يوفقنـا وكـافة إخوانَنا المسلمين إلى مافيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، وأن يكتب لجميع من أسهم فيه الأجر والمثوبة. إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو للخير أهل. والحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مُباركاً، كما يحب ربنا ويرضاه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبـــه

الوليد بن عبدالرحمن بن محمد بن سعد آل فريَّان
جامعة الإمام محمد بن سُعود الإسلامية
كلية الشريعة في الرياض



نماذج النسخ الخطية

كتاب فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد تأليف الإمام

العالم العلامة والحجة

القدوة الفهامة

شيخ الإسلام

الشيخ

عبد الرحمن ابن حسن ابن الشيخ محمد

ابن عبد الوهاب اجزل الله له الاجر والثواب

١ـ ورقة العنوان من الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه التكلان

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين كالمبتدعة والمشركين واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله الاولين والاخرين وقيوم السموات والارضين واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخيرته من خلقه اجمعين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما اما بعد فان كتاب التوحيد الذي الفه الامام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب اجزل الله له الاجر والثواب وغفر له ولمن اجاب دعوته يوم يقوم الحساب قد جاء بديعا في معناه من بيان التوحيد ببراهينه وجمع جملا من ادلته لتبيينه فصار علما للموحدين وحجة على الملحدين فانتفع به الخلق الكثير والجم الغفير فان هذا الامام رحمه الله في مبتدا نشاته قد شرح الله صدره للحق المبين الذي بعث به المرسلين من اخلاص العبادة بجميع انواعها لله رب العالمين وانكار ما عليه الكثير من شرك المشركين فاعلى الله همته وقوى عزيمته فتصدى لدعوة اهل نجد الى التوحيد الذي هو اساس الاسلام والايمان ونهاهم عن عبادة الاشجار والاحجار والقبور والطواغيت والاوثان وعن الايمان بالسحرة والمنجمين والكهان فابطل الله بدعوته كل بدعة وضلالة تدعو اليها كل شيطان واقام الله به علم الجهاد وادحض به شبه المعارضين من اهل الشرك والعناد ودان بالاسلام اكثر اهل نجد البلاد الحاضرة منهم والباد وانتشرت دعوته ومؤلفاته في الافاق حتى اقر له بالفضل من كان من اهل الشقاق الا من استحوذ عليه الشيطان وكره اليه الايمان فاصر على العناد والطغيان وقد اصبح اكثر جهلة اهل جزيرة العرب بدعوته كما قال قتادة رحمه الله تعالى عن حال اول هذه الامة ان المسلمين لما قالوا لا اله الا الله انكر ذلك المشركون وكبرت عليهم فابى الله الا ان يمضيها ويظهرها وينصرها على من ناواها انها كلمة من خاصم بها فلج [illegible]

٢ـ الورقة الأولى من الأصل ثم نائل

ونفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال ليس كمثله شيء وانتهى من فتح ! باب قوله وعن العباس بن
عبد المطلب ساقه المصنف مختصرا والذي في سنن ابي داود عن العباس بن عبد المطلب
قال كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر
اليها فقال ما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قا
والعنان قال ابو داود لم اتقن العنان جيدا قال هل تدرون كم بعد ما بين السماء والا
قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما اما واحدة او اثنتان او ثلاث وسبعون سنة ثم
السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السابعة بحر اسفله واعلاه مثل ما بين
سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى س
ثم على ظهورهم العرش بين اسفله واعلاه كما بين سماء الى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق
ذلك واخرجه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب وقال الحافظ
الذهبي رواه ابو داود باسناد حسن وروى الترمذي نحوه من حديث ابي هريرة وف
بعد ما بين سماء الى سماء خمسمائة عام ولا منافاة بينهما لان تقدير ذلك بخمسمائة عام
هو على سير القافلة مثلا ونيف وسبعون سنة على سير البريد لانه يصح ان يقال بينا
بين مصر عشرون يوما باعتبار سير العادة وثلاثة ايام باعتبار سير البريد وروى شر
بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه هذا اخر كلامه قلت فيه التصريح بان الله فوق عرشه
كما تقدم في الايات المحكمات والاحاديث الصحيحة وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين
وتابعيهم وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما ولا عبرة بقول من ضعفه
لكثرة شواهده التي يستحيل دفعها وصرفها عن ظواهرها وهذا الحديث دال
على عظمة الله وجلاله وعظيم مخلوقاته وانه المتصف بصفات الكمال التي وصف
نفسه في كتابه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى كمال قدرته وانه هو المعبود
وحده لا شريك له دون كل ما سواه وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيد المرسلين وامام المتقين
نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين تم كتاب فتح المجيد بعون الملك الحميد

٣- الورقة الأخيرة من الأصل

كتاب فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد
لشيخنا العالم العلامة والحبر البحر الفهامة
حفيد المصنف الشيخ عبد الرحمن بن حسن
ابن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب
ابن الشيخ سليمان
ابن علي عافاه الله
بلطفه الخفي
آمين

العلم زين وخير الناس يطلبه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
فعش بعلم ولا تبغي به بدلاً ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

اعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً ... فإنما الربح والخسران في العمل

تخالف الناس فيما قلدوا ووزروا ... وكلهم يدعون الفوز بالظفر
فخذ بقول يكون النص ينصره ... إما عن الله أو عن سيد البشر

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أما بعد فإن العلم بطيّ اللزام بعيد المرام لا يدرك بالسهام ولا يرى في المنام ولا يورث عن الآباء والأعمام إنما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس ولا تغرس إلا بالنفس ولا تسقى إلا بالدرس ولا تحصل إلا بالاستناد إلى الحجر وافتراش المدر وإدمان السهر وقلة النوم وصلة الليل باليوم ولا تحصل إلا لمن أنفق العينين وجثى على الركبتين الظرفي شغل نهاره بالجمع وليله بالجماع أن يخرج من ذلك فقيها كلا والله حتى يعتضد الدفاتر ويستصحب المحابر ويقطع القفار ولا ينفصل في طلب العلم بين الليل والنهار وصلى الله على نبينا محمد

٤ ـ ورقة العنوان من نسخة (ض)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا
على الظالمين كالمبتدعة والمشركين واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له اله الاولين والاخرين وقيوم السموات والارضين واشهد
ان محمدا عبده ورسوله وخيرته من خلقه اجمعين اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما
اما بعد فان كتاب التوحيد الذي الفه الامام شيخ الاسلام
محمد بن عبد الوهاب اعظم الله له الاجر والثواب وغفر له ولمن
اجاب دعوته يوم يقوم الحساب قد جاء بديعا في معناه من بيان
التوحيد براهينه وجمع جملا من ادلته لتبيينه فصار علما للموحدين
وحجة على الملحدين فانتفع به الخلق الكثير والجم الغفير
فان هذا الامام رحمه الله تعالى مبدئ نشأته قد شرح الله صدره
للحق المبين الذي بعث الله به المرسلين من اخلاص العبادة بجميع
انواعها لله رب العالمين وانكار ما كان عليه الكثير من شرك
المشركين فاعلا الله همته وقوى عزيمته فتصدى لدعوة اهل
نجد الى التوحيد الذي هو اساس الاسلام والايمان ونهاهم عن
عبادة الاشجار والاحجار والقبور والطواغيت من الاوثان
وعن الايمان بالسحرة والمنجمين والكهان فابطل الله بدعوته كل
بدعة وضلالة يدعوا اليها كل شيطان واقام الله به علم الجهاد
وادحض به شبه المعارضين من اهل الشرك والعناد و
دان بالاسلام اكثر اهل تلك البلاد الحاضر منهم والباد وانتشرت
دعوته ومؤلفاته في الافاق حتى اقر له بالفضل من كان من اهل
الشقاق الا من استحوذ عليه الشيطان وكره اليه الايمان
فاصر على العناد والطغيان وقد اصبح اكثر اهل جزيرة العرب
بدعوته كما قال قتادة رحمه الله عن حال اول هذه الامة ان
المسلمين لما قالوا لا اله الا الله انكر ذلك المشركون وكبرت
عليهم فابى الله الا ان يمضيها وينصرها ويظهرها على من ناوأها

٥ - الورقة الأولى من نسخة (ض)

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله
ونعم الوكيل وصلى الله على سيد المرسلين
وامام المتقين نبيّنا محمد وعلى اله
وصحبه اجمعين وسلم
تسليما كثيرا الى
يوم الدين
امين

تم الكتاب المسمّى فتح المجيد بعون الملك الحميد بقلم افقر
العباد واحوجهم الى رحمته ربّه المنان عبد الرحمن ابن داود
ابن سليمان ابن تركي الضحيان غفر الله له ولوالديه ولمشايخه
ولاخوانه المسلمين الاحياء منهم والميتين فرغت منه يوم
الاربعاء لثلاثة وعشرين يوم خلت من شهر رجب سنة ١٣٠٨ شهر

٦ـ الورقة الأخيرة من نسخة (ض)

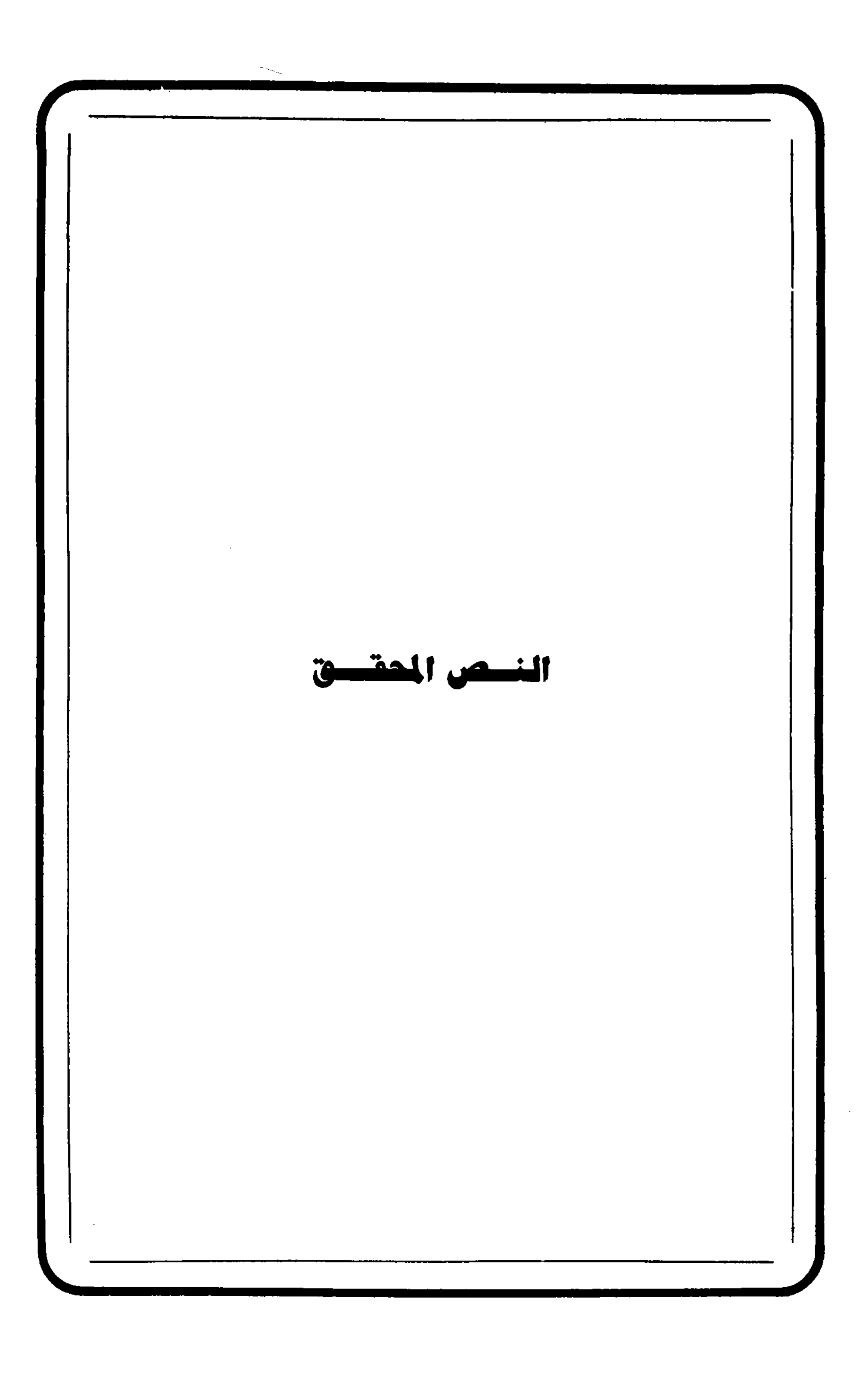
الجنة قال العماد بن كثير صحيح من هذا الوجه وعن ابي بكرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول
الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكيا فجلس فقال
الا وقول الزور الا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا
ليته سكت رواه البخاري ومسلم وعن عبد الله بن عمرو قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الرب في رضى الوالدين وسخطه في
سخط الوالدين رواه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم وعن
ابي اسيد الساعدي قال بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله
عليه وسلم اذ جاء رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من
بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما فقال نعم الصلاة عليهما
والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل
الا بهما واكرام صديقهما رواه ابو داود وابن ماجه والاحاد
يث في هذا المعنى كثيرة جدا قوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
قال العماد بن كثير رحمه الله في هذه الاية يامر تعالى بعبادته
وحده لا شريك له فانه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه
في جميع الحالات فهو المستحق منهم ان يوحدوه ولا يشركوا به شيئا
من مخلوقاته انتهى وهذه الاية هي التي تسمى اية الحقوق العشرة
وفي بعض النسخ المعتمدة من نسخ هذا الكتاب تقديم هذه الا
ية على اية الانعام ولهذا قدمتها لمناسبة كلام ابن مسعود الاتي لا
ية الانعام ليكون ذكرها بعدها انسب قوله تعالى قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الا
يات قال العماد بن كثير يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل

٧ ـ الورقة الأولى من النسخة المساعدة

الدعاء أو أسئلكما يفعله كثير قال شيخ الإسلام لأن ذلك لم ينقل عن
أحد من الصحابة فكان بدعة محضة وفي المبسوط قال مالك لا أرى أن يقف
عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يسلم ويمضي ونص أحمد أنه يستقبل القبلة
ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره وبالجملة قد اتفق الأئمة على أنه إذا
دعا لا يستقبل القبر فهنا نعم هل يستقبله عند السلام عليه أم لا وفي
الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره صلى الله عليه وسلم وإلى قبر غيره من
القبور والمشاهد لأن ذلك من اتخاذها أعيادا بل من أعظم أسباب الإشراك
بأصحابها وهذه هي المسألة التي أفتى بها شيخ الإسلام أعني من سافر
لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين ونقل فيه اختلاف العلماء فمن مبيح لذلك
كالغزالي وأبي محمد المقدسي ومن مانع لذلك كابن بطة وابن عقيل وأبي محمد الجويني
والقاضي عياض وهو قول الجمهور نص عليه مالك ولم يخالفه أحد من الأئمة
وهو الصواب لما في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تشد
الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى فقد
في النهي شد الرحال إلى القبور والمشاهد فإما أن يكون نهيا وإما أن يكون
نفيا وجاء في رواية بصيغة النهي فتعين أن يكون للنهي ولهذا فهم
منه الصحابة المنع كما في الموطأ والسنن عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري
أنه قال لأبي هريرة وقد أقبل من الطور لو أدركتك قبل أن تخرج إليه لما خرجت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد
الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى وروى الإمام أحمد وعمر بن شبة في أخبار
المدينة بإسناد جيد عن قزعة قال أتيت ابن عمر فقلت إني أريد الطور
فقال إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد
الأقصى فدع عنك الطور ولا تأته فابن عمر وبصرة بن أبي بصرة جعلا
الطور مما نهي عنه عن شد الرحال إليه لأن اللفظ الذي ذكراه في النهي عن
شد الرحال عنه الثلاثة مما يقصد به القربة فعلم أن المستثنى منه عام

٨ ـ الورقة الأخيرة من النسخة المساعدة




النـــص المحقـــق



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعينُ وعليه التُّكلان[١].

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين ولا عُدوان إلَّا على الظالمين ـ كالمبتدعة والـمُشركين ـ وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، إلهُ الأوَّلين والآخرين وقَيُّوم السماوات والأَرَضين. وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله وخِيرتُه من خلقه أجمعين.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وأصحابه ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليماً[٢].

أمَّـا بعـدُ:

فإنَّ كتابَ التَّوحيد ـ الذي ألَّفه الإمامُ شيخُ الإسلام، محمَّد بن عبدالوهَّاب، أجزل[٣] الله له الأجر والثواب، وغفر له ومن[٤] أجاب دعوتَه يوم[٥] يقوم الحساب ـ قد جاء بديعاً في معناه: من بيان التوحيد ببراهينه، وجمعِ جُملٍ[٦] من أدلته لإيضاحه[٧] وتبيينه. فصار عَلَماً للموحِّدين، وحُجَّةً على الملحدين. فانتفع به الخلقُ الكثير، والجمُّ الغفير.

---

(١) (وبه نستعين وعليه التكلان). إضافة من الأصل و (م).

(٢) (ط): تسليماً كثيراً.

(٣) (ض): أعظم.

(٤) (ض) (ط): ولمن.

(٥) (ط): إلى يوم.

(٦) (ط): جملاً. تحريف.

(٧) (ض): لايضاحه. ساقطة، وملحقه في هامش الأصل وعليها كلمة صح.

فإنَّ هذا الإمام رحمه الله في[١] مُبتدا نشأته[٢]، قد شرح الله صدرَه للحق المُبين، الذي بَعث[٣] به المرسلين: من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله رب العالمين، وإنكار ما[٤] عليه الكثيرُ من شرك المشركين.

فأعلى الله همَّته، وقوَّى عزيمته، فتصدَّى[٥] لدعوة أهل نجد[٦] إلى التوحيد ـ الذي هو أساسُ الإسلام والإيمان ـ ونهاهم عن عبادة الأشجار والأحجار، والقبور والطواغيت[٧] والأوثان، وعن الإيمان بالسَّحرة والمنجِّمين والكُهَّان.

فأبطل الله بدعوته كلَّ بدعة وضلالة يدعو إليها كلُّ شيطان، وأقام الله به عَلم الجهاد، وأدْحَض به شُبَه المعارضين من أهل الشرك والعناد، ودانَ بالإسلام أكثرُ أهل تلك البلاد، الحاضر منهم والباد، وانتشرت دعوته ومؤلفاتُه في الآفاق، حتى أقرّ له بالفضل من كان من أهل الشقاق. إلَّا من استحوذ عليه الشيطان وكرّه إليه الإيمان، فأصرَّ على العناد والطغيان.

وقد أصبح أكثرُ[٨] أهل جزيرة العرب، بدعوته كما قال قتادةُ[٩] رحمه الله تعالى

---

(١) (ض): في. ساقطة.

(٢) (ط) (هـ): منشئة.

(٣) (ض) (هـ) (ط): بعث الله.

(٤) (ض) (هـ) (ط): ما كان.

(٥) (ط): وتصدى.

(٦) بلادٌ واسعة تقع في قلب الجزيرة العربية، وتمتد من الشمال إلى جبل طيء، ومن الشرق إلى أطراف الأحساء، ومن الجنوب إلى الربع الخالي، ومن الغرب إلى جبل حضن مما يلي جبال السروات. وتشمل أقاليمَ كثيرة، وهي: إقليم العارض (وفيه عاصمتها التاريخية الرياض)، وإقليم سُدير، وإقليم الوشم، وإقليم الفرع، وإقليم الأفلاج، وإقليم الدواسر، وإقليم العِرض، وإقليم القصيم، وإقليم حائل.

(٧) (ض): من.

(٨) (هـ)(ط): اكثر. ساقطة.

(٩) أبو الخطاب بن دِعَامة السَّدوسي، تابعي جليل، ثقة ثبْت توفي بعد المئة. «تقريب التهذيب» (**٤٥٣**).

عن حال أوَّل هذه الأمة: إنَّ المسلمين لمّا قالوا: لا إله إلَّا الله، أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم، وضاق بها إبليسُ وجنوده. فأبى الله إلَّا أنْ يُمْضيها ويظهرها، وينصرها[1] على من ناوأها. إنَّها كلمةٌ من خاصم بها فَلَج / ، ومن قاتل بها نُصر. [١/أ] إنما يعرفها أهلُ هذه الجزيرة[2] التي يقطعها الراكب في ليالٍ قلائل، ويسير الراكبُ[3] في فئام من الناس، لا يعرفونها ولا يُقرُّون بها.

وقد شرح الله[4] صدورَ كثيرٍ من العلماء لدعوته، وسرُّوا واستبشروا بطلعته، وأثنوا عليه نثراً ونظماً.

فمن ذلك، ما قاله عالمُ صنعاء: محمد بن إسماعيل الأمير[5]، في[6] هذا الشيخ رحمه الله تعالى [شعراً][7]،

وقد جاءت الأخبارُ عنه بأنه	يُعيد لنا الشرعَ الشريف بما يُبدي
وينشر جهراً ما طَوى كلُ جاهل	ومُبتدع منه فوافق ما عندي
ويَعمرُ أركان الشريعة هادمًا	مشاهد ضلَّ الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سُواع ومثله	يغوث وَوَدٍّ بئس ذلك من وَدِّ

---

(١) (هـ)(ط): ويُفلِجها وينصرها.

(٢) (ض): الجزيرة من المسلمين.

(٣) (هـ)(ط): ويسير من الدهر.

(٤) (ض): فقد انشرحت.

(٥) الكُحلاني، من ذريّة الحسن بن علي رضي الله عنه، حافظٌ أصولي فقيه، ولد سنة ١٠٩٩هـ، له كتاب: «سُبل السلام»، «وتوضيح الأفكار»، «وإرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد»، توفي سنة ١١٨٢هـ. «البدر الطالع» (١٣٣/٢).

(٦) (ض): عن.

(٧) إضافة من (ض).

وقد[١] هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتفُ المُضطر بالصَّمدِ الفرد
وكم عقروا في سُوحها من عَقيرةٍ أُهلَّت لغير الله جهرًا[٢] على عمد
وكم طائفٍ حول القبورُ مقبِّلٍ ومُستلم[٣] منهنّ باليدي[٤][٥]

وقال شيخُنا[٦] أبوبكر، حُسين بن غَنَّام[٧] رحمه الله تعالى، فيه:

لقد رفعَ المولى به رُتبة الهدى بوقتٍ به يُعلَى الضلالُ ويَرفعُ
سقاه نميرَ الفهم مولاه فارتوى وعام بتيّار المعارف يقطعُ
فأحيا به التوحيدَ بعد اندراسه وأوهى به من مطلع الشرك[٨] مهيع[٩]
سما ذِرْوة المجد التي ما ارتقى لها سواه ولا حاذَى فناها[١٠] سميدع[١١]

---

(١) (ض): وكم.

(٢) في «الديوان»: جهلًا.

(٣) «الديوان»: ويلتمس.

(٤) «الديوان» و (ط): بالأيدي.

(٥) وهي قطعة من قصيدة طويلة، كتبها سنة ١١٦٣هـ ومطلعها:

سلام على نجد ومن حلّ في نجد وإن كان تسليمي على البُعد لا يُجدي
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا رُباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الرِّيح إن سرت ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد

«الديوان» (/١٢٨).

(٦) (ض)(هـ)(ط) شيخنا عالم الأحساء.

(٧) مؤرخ أديب نحوي، استقدمه الإمام محمد بن سعود من الأحساء ليعلم أبناء الدعوة النحو، فقرأ عليه غالب من كان في الدرعية من طلبة العلم توفي سنة ١٢٢٥هـ. «عنوان المجد» (١/ ٣١١).

(٨) «عنوان المجد»: وأقوى به من مظلم الشرك.

(٩) المَهْيَع: الطريق الواسع الواضح. «مُعجم» ابن فارس (٦/ ٢٥).

(١٠) «عنوان المجد»: سواه ولا حاذاه فيها.

(١١) (ط): سَميْذع. وهو باعجام الدال، واهمالها: الكريم الشريف السخي الشجاع «ترتيب القاموس» (٢/ ٦٢٢).

وشـــمَّـــر في منهـــاج سنَّـــة أحمـــد يُشـــيد ويحـيي ما تعـفَّـى ويرفـــع[١]
يُنـــاظـــر بالآيات والـــسُّـــنـــة الـتي أُمـــرنـــا إليهـــا في التنـــازع نرجـــع
فاضحت به السمحاءُ[٢] يبسمُ ثَغرها وأمـــســـى محيَّهـــا يُضيء ويلمـــع
وعـــاد به نهجُ الـــغـــواية طامـــسًـــا وقـد كان مسلوكًـا به الناس تَربع[٣]
وجـــرّت به نجـــدُ ذيول افتخـارهـا وحُـــقَّ لها بالألمـــعِـــيّ[٤] تـــرفَّع/ [١/ب]
فآثـــاره فيهـــا سوامٍ سوافِـــرٌ وأنـــواره فيهـــا تُضيء وتـــلمـــع[٥]

وأمَّـا كتابـهُ المذكور، فموضوعه: في بيان ما بعث الله به رسله: من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكرِ ما يُنافيه من الشرك الأكبر، أو يُنافي كماله الواجبَ من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرُب من ذلك أو يوصل إليه.

وقد تصدَّى لشرحه حفيد المصنِّف، وهو الشيخ سليمان بن عبدالله[٦] رحمه الله تعالى. فوضع عليه شرحاً أجاد فيه وأفاد، وأبرز فيه من البيان مايحب[٧] أنْ يطلب

---

(١) «عنوان المجد»: ويرقع.

(٢) الأصل: السحماء.

(٣) (ط): ترتع. والرَّبْعة: السير الشديد «الاضداد» (/٣٦٦).

(٤) الألمعيُّ: الرجل الذي يظنُّ الظنّ فلا يكادُ يكذب، قال أوس بن حجر: الألمعيُّ الذي يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا. «معجم ابن فارس» (٥/٢١٢).

(٥) مقطع من قصيدة رثائية، فاضت بها قريحةُ أبي بكر رحمه الله بعد وفاة الإمام محمد بن عبدالوهاب، وأولها:
لقد كسفت شمسُ المعارف والهُدى فسالت دماءً في الخدود وأدمع
«عنوان المجد» (١/١٩٣).

(٦) العلاَّمة الحافظ المفسِّر الفقيه الداعية المجاهد، سُليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب، ولد سنة ١٢٠٠، وتوفي في ريعان شبابه سنة ١٢٣٣هـ له ترجمة واسعة في مقدّمة رسالة «الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك» مطبوعة سنة ١٤٠٨ هـ.

(٧) (ض)(هـ)(ط): ما يجب.

منه ويراد، وسمّاه (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد)(١).

وحيث أطلق: شيخ الإسلام، فالمراد به: أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، والحافظ، فالمراد به: أحمد بن حجر العسقلاني.

ولمّا قرأتُ شرحَه: رأيتُه أطنب(٢) في مواضع، وفي بعضها تكرارٌ يُستغنى بالبعض منه عن الكل، ولم يكمله(٣).

فأخذتُ في تهذيبه وتقريبه وتكميله، وربما أدخلت فيه بعضَ النقول المستحسنة تتميمًا للفائدة، وسمَّيتُه: فتح المجيد(٤) لشرح(٥) كتاب التوحيد.

والله أسأل(٦)، أن ينفع به كلَّ طالب للعلم ومُستفيد، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وموصلاً مَنْ سَعى فيه إلى جنات النعيم، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

---

(١) مطبوع متداول.

(٢) (ض): قد أطنب.

(٣) حيث قُتل المؤلف أثناء أحداث الدرعية الدامية سنة ١٢٣٣ هـ ولما يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره، فليس ببعيد أن ما تركه كان مسوَّدة الكتاب، وقد حالت وفاته المبكرة دون إكماله ومراجعته.

(٤) في الأصل: «التهذيب والتجريد» ثم شطب عليه، وعلق في الهامش ما أثبتُّه.

(٥) (هـ)(ط): بشرح.

(٦) (ط): وأسأل الله.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم

ش: ابتدأ كتابَهُ بالبسملة؛ اقتداءً بالكتاب العزيز، وعملاً بحديث «كلُّ أمرٍ ذي بال[١] لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقْطع»[٢].

أخرجه ابنُ حِبَّان من طريقين. قال ابنُ الصلاح: والحديثُ حسن[٣]. ولأبي داود، وابن ماجة «كلُّ أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بالحمد لله أو بالحمد فهو أقطع»[٤] ولأحمد «كلُّ أمرٍ ذي بال لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر أو أقطع»[٥] وللدارقطني، عن أبي هريرة مرفوعًا: «كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع»[٦].

والمصنفُ قد اقتصر في بعض نسخه على البسملة؛ لأنها من أبلغ الثناء والذكر، [٧] وللحديث المتقدِّم.

---

(١) أي: شريفٌ، يُحتفل له ويهتم به. «النهاية» (١/ ١٦٤).

(٢) أخرجه عبدالقادر الرَّهاوي في «الأربعين» كما في «الدرر المنثور» (١/ ٢٦) وعنه السبكي في «الطبقات» (١/ ٦)، والخطيب في «الجامع» (٢/ ٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه ابن عمران ضعَّفه الخطيب البغدادي «التأريخ» (٥/ ٧٧)، وقال ابن حجر، كما في «الفتوحات» (٣/ ٢٩٠): في سنده ضعف، وسقط بعض رواته.

(٣) قال السيوطي: وسندُه حسن. «الدر المنثور» (١/ ٢٦)، وقد وهم من حسنّه بهذا اللفظ، أو عزاه لابن حبان. وانما ذلك في الحديث بعده، كما سيأتي.

(٤) «سنن أبي داود» رقم (٤٨٤٠) و«سنن ابن ماجة» رقم (١٨٩٤)، وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة، في «المصنف» (٩/ ١١٦)، والخليلي في «الارشاد» (٣/ ٩٦٦)، وابن حبان في «صحيحه» (الإحسان) من طريقين رقم (١، ٢)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٤٠٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٩٤)، من حديث أبي هريرة.

(٥) «المسند» (٢/ ٣٥٩) وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٩٧).

(٦) «السنن» (١/ ٨٤) ومدارُ هذه الطرق جميعاً على قُرَّة بن عبدالرحمن المعافري، وقال أبو داود في «السنن»: رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبدالعزيز، عن الزهري، عن النبي مُرسلاً. يشير إلى أنَّ الصحيح فيه مرسل، وجزم به الدارقطني. وأخرج حديث عقيل، عن ابن شهاب النسائيُّ في «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٩٦). وهو حسن بشواهده، كما قال النووي، في «الاذكار» (١٠٣) و «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ١٨٥).

(٧) (ط): و. ساقطة.

وكان النبيُّ ﷺ يقتصر عليها في مُراسلاته؛ كما في كتابه لِهِرَقْلَ عظيم الروم[١].

ووقع لي نسخةٌ بخطه رحمه الله تعالى، بدأ فيها بالبسملة، وثنّى بالحمد والصلاة/ على النبي ﷺ وآله[٢]. [٢/أ]

وعلى هذا: فالابتداءُ بالبسملة حقيقي، وبالحمدلة نسبيٌّ إضافي، أي: بالنسبة إلى مابعد الحمد، يكون مبدوءًا به[٣].

والباء في (بسم الله) متعلقة بمحذوف، اختار[٤] كثيرٌ من المتأخرين: كونه فعلاً خاصًا، [٥]متأخراً.

أما كونه فعلاً، فلأن الأصل في العمل للأفعال.

وأمَّا كونه خاصاً[٥]: فلأن كل مُبتدِئٍ بالبسملة في أمر، يُضْمِرُ ماجَعل البسملة مَبدأً له.

وأمَّا كونه متأخراً: فلدلالته على الاختصاص، وأدخل في التعظيم[٦]، وأوفق[٧] للوجود، ولأنَّ أهمَّ ما يُبدأ به ذِكرُ الله تعالى[٨].

وذكر العلَّامةُ ابن القيم رحمه الله تعالى، لحذف العامل فوائد:

منها: أنَّه موطنٌ لا ينبغي أنْ يتقدَّم فيه غير ذكر الله.

ومنها: أن الفعل إذا حُذف صحَّ الإبتداء بالبسملة، في كل عملٍ وقول

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» الرقم (٦) ومسلم في «الصحيح» الرقم (١٧٧٣) وأحمد في «المسند» (١/٢٦٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) (ط): صلى الله عليه وآله وسلم. وهي النسخةُ التي اعتمد عليها الشارح، كما سيأتي.

(٣) (هـ): به. ساقطة.

(٤) (ط): واختار.

(٥) مابينهما ساقطٌ من (ض).

(٦) وأدخل في التعظيم. معلَّقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٧) الأصل: ووافق.

(٨) يرى الحافظ ابن كثير: أنه سواء قدَّرنا المتعلق بالباء اسما أو فعلاً فكلاهما صحيح، وكلٌّ قد ورد به القرآن «التفسير» (١/٣٨).

وحركة. فكان الحذفُ أعمَّ. انتهى ملخصاً[١].

وبـاءُ بسم الله؛ للمصـاحبة. وقيل: للاستعانة، فيكون التقدير: بسم الله أؤلِّف حالَ[٢] كوني مستعيناً بذكره، متبركاً به.

وأمَّا ظهوره في ﴿إقْرأ باسْم ربِّك﴾ [العلق: ١] وفي ﴿بسم الله مَجْراها﴾ [هود/ ٤١] فلأنَّ المقامَ يقتضي ذلك، كما لا يخفى.

والاسم: مشتقٌ من السُّمُوّ، وهو العلو. وقيل: من الوَسْم، وهو[٣] العلامة؛ لأن كل ما سُمِّي فقد[٤] نُوِّه باسمه ووُسِم.

قوله: (الله). قال الكِسائي والفَرّاء: أصلُه الإله، حذفوا الهمزة وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لاماً واحدةً مشدَّدة مُفخَّمة.

قال ابنُ القيم رحمه الله: الصحيحُ أنَّه مشتق، وأنَّ أصله الإله، كما هو قول سيبـويه وجمهـور أصحـابـه إلاَّ من شذ. وهـو الجـامع لمعاني الأسماء الحُسنى، والصفات العُلى.

والذين قالوا بالاشتقاق، إنما أرادوا أنّه دالٌ على صفة[٥] له تعالى، وهي الإلهية. كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم، والقدير، والسميع والبصير، ونحو ذلك. فإنَّ هذه الأسماء مشتقةٌ من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة. ونحن لا نعني بالاشتقاق إلاَّ أنَّها ملاقيةٌ لمصادرها في اللفـظ والمعنى، لا أنّها متوَلِّدة منه تَولُّدَ الفرْع من أصلـه.

وتسميةُ النحاة للمصدر، والمشتق منه: أصلاً وفرعاً، ليس معناه: أنَّ أحدهما متولِّدٌ من الآخر، وإنما هو باعتبار أنَّ أحدهما يتضمَّن الآخر/ وزيادة[٦]. [٢/ب]

قال أبـوجعفـر بن جرير: الله. أصله الإلـه، أُسقـطت الهمزةُ التي هي فاء

(١) ابن القيم: «بدائع الفوائد» (١/ ٢٥).
(٢) (ض): حالة.
(٣) (ض): وهي.
(٤) (ط): فقد. ساقطة.
(٥) (ض): أنه صفة.
(٦) ابن القيم: «بدائع الفوائد» (١/ ٢٢). بتصرف.

الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم، واللام الزائدة وهي ساكنة. فأُدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاماً واحدة مشددة[١]. انتهى[٢].

[وقـال][٣]: وأمَّـا تأويل الله، فإنَّه على معنى[٤] مارُوي لنا، عن عبدالله بن عباس: هو الذي يَألَهه كلُّ شيء، ويعبده كل خلْقٍ.

ـ وساق بسنده ـ عن الضحاك، عن عبدالله بن عباس، قال: الله ذو الألوهية والعبودية[٥] على خلقه أجمعين[٦].

فإن قال لنا قائل: وما دلَّ على أنَّ الألوهية هي العبادة، وأنَّ الإله هو المعبود، وأنَّ له أصلاً في فَعِل ويَفْعَل؟

[قيل: لا تمانع بين العرب في الحكم][٧] ـ وذكَرَ ـ بيتَ رؤبة بن العجَّاج[٨].

لله دَرُّ الـغـانـيات المُـدَّهِ ... سَبَّـحْـنَ واسْـتَرْجَـعْـنَ مِنَ تَألُّهي[٩]

يعني: من تعبدي، وطلبي الله بعملي[١٠].

ولا شك أنَّ التألُّه التفعُّل، من أَلِه يَألَه[١١]. وقد جاء منه مصدرٌ، يدلُّ على أنَّ

---

(١) ابن جرير: «جامع البيان عن تأويل القرآن» (١/ ١٢٥).

(٢) (ط): انتهى. ساقطة.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

(٤) (هـ): معنى. ساقطة.

(٥) في «تفسير الطبري» و«السيوطي»: المَعْبودية.

(٦) وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (١/ ٢٣) وفيه بشر بن عُمَارة. ضعيف. ينظر «جامع البيان» (١/ ١٢٣).

(٧) ساقط في جميع النسخ، والاستدراك من «الجامع». أي: لا اختلاف بينهم، يدعو بعضُهم إلى دفع مايقوله الآخر. «حاشية».

(٨) (هـ): الحجاج. تحريف.

(٩) رُؤبة: «الديوان» (١/ ١٦٥) والمُدَّهِ: المادحات بمعنى الممدوحات، من باب الفاعل بمعنى المفعول.

(١٠) الأصل (ض) (هـ): تعبد وطلب الله بعمل.

(١١) في (ط) زيادة ما نصه: وأن معنى أله إذا نطق به: عبدَالله.

العرب قد نطقت منه[١] بفَعِل يَفْعَل، بغير زيادة.

وذلك ما حدّثنا به سفيان بن وكيع ـ وساق السند إلى ـ ابن عباس: أنَّه قرأ ﴿ويَذَرَكَ وإلِهَتَكَ﴾ [الاعراف: ١٢٧] قال: عبادتك، ويقول[٢]: إنه كان يُعبَد، ولا يَعبدُ.

وساق بسندٍ[٣] آخرَ ـ عن ابن عباس ﴿ويَذَرَكَ وإلهتك﴾ قال[٢]: إنما كان فرعونُ يُعبد، ولا يَعبُد[٤]. وذكر مثلَه عن مُجاهد.

[ثم قال][٥]: فقد بيَّن قولُ ابن عباس، ومجاهد [هذا][٥]: أنَّ أَلِه عَبَدَ، وأنَّ الإلاهة مصدره. ـ وساق حديثاً ـ عن أبي سعيد مرفوعاً «إنَّ عيسى أسلمته أُمُّه إلى الكتَّاب ليُعَلِّمه. فقال له المعلم: اكتب بسم الله[٦]، فقال عيسى: أتدري ما الله؟ الله إلهُ الآلهة[٧][٨]».

قال العلَّامة ابنُ القيم رحمه الله تعالى: لهذا الاسم الشريف عشرُ خصائص لفظيه ـ ثم[٩] قال ـ: وأمَّا خصائصُه المعنوية، فقد قال أعلم الخلق به[١٠] صلى الله

(١) (ض)(ط): به.
(٢) ما بينهما ساقط من (ض).
(٣) الأصل: بسنده. تحريف.
(٤) الأثران عن ابن عباس، في سندهما: سفيان بن وكيع. ضعيف، ينظر: «جامع البيان» (١/١٢٤).
(٥) ما بينهما ساقط من الأصل و(ض) و (هـ).
(٦) «جامع البيان» و(ض): الله.
(٧) وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» ترجمة رقم ٤٤ مثالاً على أكاذيب إسماعيل بن يحيى التيمي، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/٢٥١) وابن عدي في «الكامل» (١/٢٩٩) وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٢٠٤) وابن مردويه وابن عساكر في «التأريخ» والثعلبي بسند ضعيف جداً، كما قال السيوطي في «الدر المنثور» (١/٢٣).
(٨) ابن جرير، «جامع البيان» (١/١٢٢ ـ ١٢٥).
(٩) (ط): وساقها ثم.
(١٠) (ط)(هـ): به. ساقطة.

عليه وسلم «لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[١] وكيف تُحصى[٢] خصائصُ اسمٍ: لمسمَّاه كلُّ كمال على الإطلاق، وكلُّ مدح وحمدٍ[٣]، وكل ثناءٍ وكل مجد، وكل إجلال[٤] وكل كمال[٥]، وكل عزٍّ وكل جمال. وكلُّ خير وإحسان، وجود وفضل وبرٍّ فله ومنه/. [٣/أ]

فما ذُكر هذا الاسمُ في قليل إلَّا كثَّره، ولا عند خوف إلَّا أزاله، ولا عند كرْبٍ إلَّا كشفه، ولا عند همٍّ وغَمٍّ إلَّا فرَّجه، ولا عند ضيق إلَّا وَسَّعه، ولا تعلق به ضعيفٌ إلّا أفاده القوة، ولا ذليلٌ إلَّا أناله العزّ، ولا فقيرٌ إلا أصاره غنياً، ولا مستوحش إلَّا آنسه، ولا مغلوبٌ إلَّا أيَّده ونصره، ولا مضطر إلَّا كشف ضُرَّه، ولا شريدٌ[٦] إلَّا آواه.

فهو الاسمُ الذي تُكشف به الكربات، وتُستنزل[٧] به البركات، وتُجاب به الدعوات، وتُقال به العثرات، وتُستدْفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات.

وهو الاسم الذي قامت به السموات والأرض[٨]، وبه أُنزلت الكتب، وبه

---

(١) قطعةٌ من حديث، أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٤٨٦) وأبو داود في «السنن» رقم (٨٧٩) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٥٦٢)، وأحمد في «المسند» (٥٨/٦، ٢٠١) وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٨٤١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) (ط): نحصي.

(٣) (ض): وكل حمد.

(٤) (ط): جلال.

(٥) (ض): اكرام.

(٦) الأصل: شريدا. تحريف.

(٧) (ض): وتتنزل.

(٨) (هـ)(ط): الارض والسموات.

أُرسلت الرسلُ، وبه شُرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شُرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقةُ إلى السعداء والأشقياء، وبه حَقَّت[١] الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وُضعت الموازين[٢] القِسْط ونُصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عُبد ربّ العالمين وحُمد، وبحقِّه بُعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور، وبه الخصام وإليه[٣] المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سَعِد من عرفه وقام بحقه، وبه شَقِيَ من جهله وترك حقه. فهو سرُّ الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا.

فالخلقُ به وإليه، ولأجله. فما وجد خلقٌ ولا أمر، ولا ثواب ولا عقاب إلَّا مبتديا[٤] منه منتهياً إليه. وذلك موجبه ومقتضاه ﴿رَبَّنا ما خلقْتَ هذا باطلاً سُبحانك فَقنا عذاب النار﴾. [آل عمران ٩١]. إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

قوله:[٥] (الرحمن الرحيم). قال ابنُ جرير: حدَّثني السَّريُ بن يحيى، حدثنا عثمان بنُ زُفَر[٦]، سمعتُ[٧] العرزمي[٨] يقول: الرحمن[٩] بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين.

---

(١) (هـ): حاقت.

(٢) (ض): موازين.

(٣) (ض): وبه.

(٤) (ض)(ط): مبتدئاً.

(٥) الأصل (ض) (هـ): قوله. ساقطة.

(٦) (ض): زفر. ساقطه.

(٧) (ط): قال سمعت.

(٨) الأصل: الغزرمي. تصحيف (ض) (هـ) (ط): العَزرمي. تصحيف. وهو محمد بن عبيدالله نسبة إلى عرزم. «طبقات بن سعد» (٦/٣٦٨). قال أحمد في «المسند» (١١/١٤٤): لا يساوي حديثه شيئاً.

(٩) (ض): الرحمن الرحيم.

وساق بسنده ـ عن أبي سعيد ـ يعني الخُدري ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ عيسى بن مريم قال: الرحمن. رَحمنُ الآخرة والدنيا، والرحيم: رحيمُ الآخرة»[1][2].

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: واسمُه[3]: الله تعالى. دالٌّ[4] على كونه مألوهاً معبوداً، يألهه الخلائق: محبةً وتعظيماً وخضوعاً، ومفزعاً إليه في الحوائج والنوائب/ . [٣/ب] وذلك مستلزمٌ لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمّنتين[5] لكمال المُلك والحمد. وإلهيتُه وربوبيته ورحمانيته وملكه: مستلزمٌ لجميع صفات كماله؛ إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحيٍ، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا مُتكلم، ولا فعَّالٍ لما يُريد، ولا حكيمٍ في أقواله[6] وأفعاله.

فصفاتُ الجلال والجمال: أخصُّ باسم الله، وصفاتُ الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع، ونفوذِ المشيئة وكمال القوة[7]، وتدبير أمر الخليقة: أخصُ باسم الرب.

وصفاتُ[8] الإحسان، والجود والبر والحنان، والرأفة[9] واللطف: أخصُ باسم الرحمن[10].

(١) طرفٌ من خبر طويل، ضعيف جداً، سبق تخريجه قريباً.
(٢) ابن جرير: «جامع البيان» (١/ ١٢٧).
(٣) (ض) و«المدارج»: واسم. (ط): فاسمه.
(٤) (هـ) (ط): دل.
(٥) (ض)(هـ)(ط): المتضمنين.
(٦) (ض): أقواله. ساقطة.
(٧) (ض): القدرة. تحريف.
(٨) (ض): فصفات.
(٩) (ط): والمنة والرأفة.
(١٠) ابن القيم، «مدارج السالكين» (١/ ٣٢).

[وقال رحمه الله، أيضاً]:[١]

الرحمنُ[٢]: دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم: دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم.

وإذا أردتَ فهم هذا، فتأمّل قوله تعالى: ﴿وكان بالمؤمنينَ رحيما﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿إنَّه بهـم رؤوفٌ رحيـم﴾ [التوبة: ١١٧] ولم يجيء قطُّ رحمنٌ بهم.

وقال: إنَّ أسماء الرب تعالى، هي أسماءٌ ونعوت. فإنَّها دالةٌ على صفات كماله، فلا تَنَافي فيها بين العلميَّة والوصفية. فالرحمنُ: اسمُه تعالى، ووصفه.

فمن حيثُ هو صفـةٌ، جرى تابعاً لاسم الله. ومن حيث هو اسم، ورد في القرآن غير تابع. بل ورُودَ[٣] الاسمِ العَلَمْ، كقوله تعالى: ﴿الرحمنُ على العرش استوى﴾ [طه: ٥] انتهى ملخصاً[٤].

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: الحمدُ لله.

ش: ومعناه[٥]: الثناءُ بالكلام عَلى الجميل[٦]، على وجه التعظيم.

فمورده: اللسان، والقلب. والشكرُ: يكون باللسان، والجَنان، والأركان. فهو أعمُّ من الحمد مُتعلَّقاً، وأخص[٧] سبباً؛ لأنه يكون في مقابلة النعمة.

---

(١) مابينهما ساقطٌ من الأصل و (ض).

(٢) الأصل و (ض): فالرحمن.

(٣) الأصل و (ط): ورد. تحريف.

(٤) ابن القيم: «بدائع الفوائد» (١ / ٢٤).

(٥) (ط): معناه.

(٦) (هـ)(ط): الجميل الاختياري.

(٧) (ط): وأخص منه.

والحمد: أعمُّ سبباً، وأخص مورداً[١]؛ لأنه يكون في مقابلة النعمة وغيرها. فبينهما عمومٌ وخصوص وجهي، يجتمعان في مادة، وينفرد كلُّ واحد عن الآخر في مادة.

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه[٢] وسلَّم[٣].

ش: أصحُّ ما قيل في معنى صلاة الله على عبده: ما ذكره البخاريُّ رحمه الله تعالى، عن أبي العالية، قال: صلاةُ الله[٤]، ثناؤه عليه عندالملائكة[٥].

وقرَّره ابنُ القيم رحمه الله تعالى، ونصره في كتابه[٦] (جلاءُ الأفهام)[٧] و (بدائعُ الفوائد)[٨].

قلتُ: وقد يُراد بها الدعاء؛ كما في (المسند) عن[٩] علي، مرفوعاً «الملائكةُ تصلي على أحدكم مادام في مُصلَّاه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»[١٠]/. [٤/أ]

قولُه: (وعلى آله) أي: أتباعه على دينه. نصَّ عليه الإمامُ أحمد هنا.

---

(١) (هـ) (ط): متعلقاً.

(٢) (ض) (هـ) (ط): وصحبه. ساقطة.

(٣) (ض): وسلّم. ساقطة.

(٤) (هـ)(ط): صلاة الله على عبده.

(٥) «فتح الباري» (٨/٥٣٢).

(٦) (ط): كتابيه.

(٧) ابن القيم: «جلاء الأفهام» (   ).

(٨) ابن القيم: «بدائع الفوائد» (١/٢٦).

(٩) (ض) من حديث.

(١٠) «مسند» أحمد (١/١٤٤)، وأخرجه من حديث أبي هريرة. البخاري في «الصحيح» رقم (٦٥٩) ومسلم في «الصحيح» رقم (٦٤٩).

وعليه أكثر الأصحاب[١]. وعلى هذا: فيشمل[٢] الصحابة، وغيرهم من المؤمنين.

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: كتابُ التوحيد.

ش: كتاب: مصدر: كَتَبَ يكتُب كتاباً، وكتابةً وكتْباً. ومدارُ المادة على الجمع، ومنه: تكتَّب بنو فلان، إذا اجتمعوا. والكتيبة: لجماعة الخيل. والكتابة بالقلم: لاجتماع الكلمات والحروف. وسُمِّي الكتابُ كتاباً: لجمعه ما وُضع له.

والتوحيدُ، نوعان: توحيدٌ في المعرفة والإثبات. وهو توحيد الربوبية، والأسماء والصفات.

وتوحيدٌ في الطلب والقصد. وهو توحيد الإلهية والعبادة.

قال العلَّامةُ ابن القيم رحمه الله تعالى: وأمَّا التوحيد الذي دعت إليه الرسلُ[٣]، ونزلت به الكتب[٤]، فهو نوعان: توحيدٌ في المعرفة والإثبات، وتوحيدٌ في الطلب والقصد.

فالأوَّلُ: هو إثباتُ حقيقة ذاتِ الرب تعالى، وصفاته وأفعاله وأسمائه، وتكلُّمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدرته[٥] وحكمته[٦]. وقد أفصح القرآنُ عن هذا النوع جِدَّ الإفصاح، كما في أوّل سورة[٧] الحديد، وسورة طه، وآخر الحشر، وأوَّلِ تنزيل السجدة، وأوَّل آل عمران، وسورة

(١) أصحاب أحمد. وينظر: ابن قدامة، «المغني» (٢/٢٣٢) وابن عبدالهادي، «الدر النقي» (١/١٦).

(٢) (هـ): فيشتمل.

(٣) (ض): رسل الله.

(٤) (ض): كتبه.

(٥) (ض)(هـ)(ط): وقدره.

(٦) (ض): وحكمته. ساقطة.

(٧) سورة: ليست في (ض) و(هـ).

الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: ما تضمنته سورةُ قُل ياأيها الكافرون، وقوله تعالى: ﴿قُل ياأهل الكتاب تَعَالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم إلَّا نعبد إلَّا الله ولانُشرك به شيئا ولا يتخذ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله فإنْ تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٦٤].

وأوَّلُ سورةِ تنزيل الكتاب[١]، وآخرُها. وأوَّل سورة المؤمن ووسطُها، وآخرها. وأوَّل سورة الأعراف، وآخرها. وجملةُ سورة الأنعام، وغالبُ سور القرآن. بل كلُّ سورة في القرآن، فهي متضمنةٌ لنوعيِّ التوحيد، شاهدةٌ به داعية إليه.

فإنَّ القرآن: إمَّا خبرٌ عن الله تعالى، وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله. فهو التوحيدُ العِلميُّ الخبري.

وإمَّا: دعوةٌ إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلْع ما يُعبد من دونه. فهو التوحيد الإراديُّ الطلبي.

[/ب] وإمَّا: / أمرٌ ونهيٌ، وإلزامٌ بطاعته وأمره ونهيه. فهو حقوق التوحيد ومكمِّلاتُه.

وإمَّا: خبرٌ عن إكرام أهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا، و[ما][٢] يكرمهم به في الآخرة. فهو جزاءُ توحيده.

وإمَّا: خبرٌ عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يَحُلّ بهم في العُقبى من العذاب. فهو جزاءُ من خرج عن حُكم التوحيد.

فالقرآنُ كلّه: في التوحيد وحقوقِه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم. انتهى[٣].

---

(١) سورة غافر.

(٢) إضافة من: (ض) و(ط) و المدارج».

(٣) ابن القيم: «مدارج السالكين» (٣/٤٤٩).

قال شيخُ الإسلام: التوحيدُ الذي جاءت به الرسلُ(١)، إنما يتضمَّن إثباتَ الإلهية لله وحده، بأنْ يشهدَ أنْ لا إله إلّا هو(٢). لا يَعبُدُ إلَّا إياه، ولا يتوكلُ إلَّا عليه، ولا يوالي إلَّا له، ولا يُعادي إلَّا فيه، ولا يعمل إلَّا لأجله.

وذلك يتضمن، إثباتَ ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات؛ قال تعالى: ﴿وإلهكُم إلهٌ واحد لا إله إلَّا هو الرحمن الرحيم﴾. [آل عمران: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿لاتتخذوا إلهين اثنين إنما هو إلهٌ واحد فإياي فارهبون﴾ [النحل: ٥١] وقال تعالى: ﴿ومن يدعُ مع الله إلهاً آخر لا برهانَ له به فإنما حسابهُ عند ربه إنه لا يفلحُ الكافرون﴾ [المؤمنون: ١٧٧] وقال تعالى: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رُسُلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهةً يُعبدون﴾ [الزخرف: ٤٥].

وأخبر عن كل نبيٍ من الأنبياء، أنهم دعوا الناسَ إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقال: ﴿قد كانتْ لكم أسوةٌ حسنة في إبراهيم والذين معه إذْ قالوا لقومهم إنا بُرآءُ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاء أبداً حتى تُؤمنوا بالله وحده﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال عن المشركين ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلَّا الله يسكبرون ● ويقولون أئِنا لتاركوا ألهتنا لِشاعرٍ مجنون﴾ [الصافات ٣٥ - ٣٦]، وهذا في القرآن كثير.

وليس المرادُ بالتوحيد: مجرَّدَ توحيد الربوبية، وهو اعتقادُ أنَّ الله وحده خَلَق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف!. ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل، فقد أثبتوا غاية التوحيد. وأنهم إذا شَهدوا هذا وفَنوا(٣) فيه،

(١) (ض)(هـ): جاء به الرسول ﷺ.

(٢) (هـ)(ط): الله.

(٣) الفَناء: اصطلاحٌ صوفي، له ثلاثة معانٍ، ومقصودهم هنا: الفَناء عن شُهود ما سوى الله، بحيث يغيب العارف عندهم بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، فيفني بمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن =

[٥/أ] فقد فَنوا في غاية التوحيد/ !

فإنَّ الـرجلَ لو أقرَّ بما يستحقه الربُّ تعالى من الصفات، ونزَّهه عن كل ما يتنزه[١] عنه، وأقرَّ بأنه وحده خالقُ كل شيء: لم يكن موحِّداً، حتى يَشهدَ أنْ لا إله إلاَّ الله[٢]. فيقرُّ بأنَّ الله وحدَه هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزمُ بعبادة الله وحده لا شريك له. والإلهُ: هو المألوهُ المعبود، الذي يستحقُّ العبادة[٣]. وليس هو الإله[٤] بمعنى القادر على الخلق[٥]؛ فإذا فَسَّر المُفسِّرُ الإله[٤] بمعنى القادر على الاختـراع، واعتقد أنَّ هذا[٦] هو[٧] أخصُّ وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغايةَ في التوحيد ـ كما يفعل ذلك من يفعله[٨] من متكلِّمة الصفاتية[٩]، وهو الذي

= ذكره، وبمعروفه عن معرفته. والصواب: أنَّ هذا فناءٌ ناقصٌ؛ لأن شهود الحقائق على ما هي عليه ـ وهو شهود الرب مدبراً للعباد آمراً بشرائعه ـ أكمل من شهود وجوده، أو صفة من صفاته، أو اسم من اسمائه، والفناء بذلك عن شُهود ما سوى ذلك. فالعبدُ مع شهوده الربوبيةَ العامة الشاملة للمؤمن والكافر والبر والفاجر، عليه أن يشهد ألوهيته التي اختص بها عباده المؤمنين. وأيضاً فليس هو من لوازم طريق الله؛ ولهذا لم يعرف مثل هذا للنبي ﷺ، ولا السابقين الأولين. فمن جعل هذا نهاية السالكين وغاية التوحيد التي لا غاية وراءها فقد ضل ضلالاً مبيناً، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله. ينظر: ابن تيمية «التدمرية» (١٢٠، ١٣٧) و«الفتاوى» (١٠/٣٣٧) و«الاستقامة» (٢/١٤٢) و«اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٨٤٧).

(١) (ض): تنزه (ط): ينزه.
(٢) (هـ)(ط): الله وحده.
(٣) (ض): و. ساقطة.
(٤) ما بينهما معلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.
(٥) (هـ)(ط): الاختراع.
(٦) (هـ)(ط): هذا المعنى.
(٧) (ص): هو. ساقطة
(٨) (ص): من يفعله. ساقطة.
(٩) المثبتون لبعض الصفات، كالأشاعرة والكُلاَّبية.

يقولونه عن أبي الحسن [١] وأتباعه ـ لم يعرف [٢] حقيقةَ التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ ؛ فإنَّ مشركي العرب كانوا مُقرِّين بأن الله وحده خالقُ كل شيء ، وكانوا مع هذا مشركين ، قال تعالى : ﴿وما يُؤمنُ أكثرُهم بالله إلَّا وهم مشركون﴾ [يوسف : ١٠٦].

قال طائفةٌ من السلف : تسألهم ، من خلق السموات والأرض؟ فيقولون : الله . وهم مع هذا يعبدون غيره [٣] .

قال تعالى : ﴿قُل لمن الأرض ومنْ فيها إنْ كُنتم تعلمون • سيقولون لله قُلْ أفلا تذكَّرون﴾ إلى قوله ﴿فأنَّى تُسحرون﴾ [المؤمنون : ٨٤ ـ ٨٩] فليس كلُّ من أقرَّ بأن الله تعالى ربُّ كلِّ شيء وخالقهُ ، يكون عابداً له دون ماسواه ، داعياً له دون ما سواه ، راجياً له خائفاً منه دون ماسواه ، يُوالي فيه ويعادي فيه ، ويطيع رُسلَه ، ويأمر بما أمر به وينهى عمَّا نهى عنه .

وعامَّةُ المشركين أقرُّوا بأن الله خالقُ كل شيء ، وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به ، وجعلوا له أنداداً ، قال تعالى : ﴿أم اتخذوا من دون الله شُفعاء قُل أوَلو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون • قُل لله الشفاعةُ جميعا﴾ [الزمر : ٤٣ ـ ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرُّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شُفعاؤنا عند الله﴾ إلى قوله ﴿سبُحانه وتعالى عما يُشركون﴾ [يونس : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ولقد جئتمونا فُرادى كما خلقناكم أول مرَّةٍ وتركتم ما خوَّلناكم وراء ظُهوركم وما نرى معكم شُفعاءكم الذين زعَمْتم أنهم فيكم شركاءُ لقد تقطَّع بينكم وضلَّ عنكم ما

(١) علي بن إسماعيل البصري الأشعري . عاش مُترنحاً بين المذاهب الفلسفية هوياً من الدهر، ثم انتقاد للحق ، وألَّف كتابه (الابانة) و(المقالات) ومات سنة ٣٢٤ . الذهبي : «العبر» (٢ / ٢٣) .

(٢) جميع النسخ : يعرفوا . تحريف .

(٣) يُروى عن ابن عباس ، وغيره . ينظر «تفسير الطبري» (١٣ / ٥٠ ، ٥١) .

[٥/ب] كنتم تزعُمون﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقال تعالى/: ﴿ومِن الناسِ مَن يتخذ من دون الله أنداداً يحبُّونهم كحبِّ الله﴾ [البقرة: ١٦٥].

ولهذا كان مِن أتباع هؤلاء، مَن يسجدُ[١] للشمس والقمر والكواكب ويدعوها، ويصوم وينْسك لها. ويتقرب إليها، ثم يقول: إنَّ هذا ليس بشرك[٢]! إنَّما الشركُ إذا اعتقدتُ أنَّها المدبرةُ لي!! فإذا جعلتُها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً!!.

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، أنَّ هذا شركٌ. انتهى كلامهُ رحمه الله تعالى[٣].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى: ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلَّا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦].

ش: بالجر، عطفٌ على التوحيد[٤]. ويجوز الرفع، على الابتداء.

قال شيخُ الإسلام: العبادةُ هي طاعةُ الله، بامتثال ما أمر الله به على ألسِنَة الرسل.

وقال أيضاً: العبادةُ اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[٥].

قال ابنُ القيم: ومـدارها على خمسَ عشرَة قاعدة، من كمَّلها كمَّل مراتب العبودية.

وبيانُ ذلك: أنَّ العبادة منقسمةٌ، على القلب واللسان والجوارح. والأحكامُ

---

(١) (ض): سجد.

(٢) (ض): شرك.

(٣) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٩٧/٣) وانظر طرفاً منه، في «التدمرية» (١١٦/) وما بعدها «واقتضاء الصراط المستقيم» (٨٤٤/٢) «ودرء تعارض العقل والنقل» (٣٧٧/٩).

(٤) في هامش (هـ): أي في قوله: «كتاب التوحيد».

(٥) ابن تيمية: «مجموع الفتاوى» (١٤٩/١٠).

التي للعبودية خمسة: واجبٌ، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح. وهنَّ لكل واحدٍ من القلب، واللسان، والجوارح[١].

وقال القُرطُبيُّ: أصلُ العبادة: التذللُ، والخضوع[٢].

وسُمِّيت وظائفُ الشرع على المكلفين: عبادات؛ لأنهم يلتزمونها ويفعلونها، خاضعين متذللين لله تعالى. ومعنى الآية: أنَّ الله تعالى، أخبر أنَّه ما خلق الجن والإنس إلَّا لعبادته.

فهذا هو الحكمةُ في خلقهم.

قلتُ: وهي، الحكمةُ الشرعية الدينية.

قال العِمادُ بن كثير: وعبادتُه: هي طاعتُه بفعل المأمور، وتركُ المحظور. وذلك هو حقيقة دين الإسلام؛ لأن معنى الإسلام: الاستسلامُ لله تعالى، المتضمِّن غاية الانقياد والذل والخضوع. انتهى.

وقال أيضاً ـ في تفسير هذه الآية ـ ومعنى الآية: أنَّ الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتمَّ الجزاء، ومن عصاه عذَّبه أشد العذاب. وأخبر أنَّه غيرُ محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، وهو خالقهم ورازقهم[٣].

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه ـ في الآية ـ إلَّا لِآمُرهم أنْ يعبدوني/ [٦/أ] وأدعوهم إلى عبادتي[٤]. وقال مجاهد: إلَّا لآمُرَهم وأنهاهم[٥]. اختاره

---

(١) ابن القيم، «مدارج السالكين» (١/١٠٩).

(٢) القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن» (١/٢٢٥، ١٧/٥٦).

(٣) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» (٧/٤٠٢).

(٤) ذكره البغوي، في «معالم التنزيل» (٤/٢٣٥).

(٥) ذكره شيخ الاسلام، في «درء تعارض العقل والنقل» (٨/٤٧٨).

الزجَّاج[(١)][(٢)]، وشيخُ الإسلام[(٣)].

قال: ويدلُّ على هذا، قولُه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإنسانُ أنْ يُترك سُدى﴾ [القيامة: ٣٦] قال الشافعي: لا يُؤمر ولا يُنهى[(٤)].

وقال في القرآن، في غير موضع ﴿اعبدوا ربكم﴾ [البقرة: ٢١] ﴿اتقوا ربكم﴾ فقد أَمرهم بما خُلقوا له، وأرسل الرسلَ بذلك. وهذا المعنى، هو الذي قُصد بالآية قطعاً، وهو الذي يفهمه جماهيرُ المسلمين، ويحتجُّون بالآية عليه.

قال: وهذه الآيةُ، تُشبه قولَه تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلَّا ليُطاعَ بإذن الله﴾ [النساء: ٦٤]. ثم قد يُطاع وقد يُعصى، وكذلك ما خلقهم إلَّا لعبادته[(٥)]، ثم قد يَعبدون وقد لا يَعبدون.

وهو سبحانه، لم يقُل: إنَّه فعلَ الأول: وهو خلْقهم؛ ليَفعلَ بهم كلِّهم الثاني: وهو عبادته. ولكن ذكر الأوّل[(٦)]، ليفعلوا هم الثاني، فيكونوا هم الفاعلين له. فيحصل لهم بفعله سعادتُهم، ويحصل ما يحبُّه ويرضاه منهم[(٧)] ولهم. انتهى[(٨)].

ويشهدُ لهذا المعنى: ما تواترت به الأحاديث.

فمنها: ما أخرجه مسلمٌ في (صحيحه)، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ

---

(١) أبو إسحاق، إبراهيم بن السري. نحوي أديب ت (٣١١ هـ) «اللباب» (٢/ ٦٢).

(٢) نقله عنه ابن الجوزي، في «زاد المسير» (٨/ ٤٢).

(٣) ينظر: ابن تيمية، «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٤٧٨).

(٤) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٣).

(٥) (ض): للعبادة.

(٦) (ط): أنه فعل الأول.

(٧) (ط): منه.

(٨) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٦) وانظر بعض ما تقدم في «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٤٦٨ - ٤٨٠).

قال: «يقولُ الله تعالى لِأهْونِ أهل النار عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها، أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم. فيقول: قد أردتُ منك ماهو أهونُ من هذا، وأنت في صلب آدم: أنْ لا تُشرك بي ـ أحسبه قال: ولا أدخلك النار ـ فأبيت إلَّا الشرك»[١].

فهذ المشركُ، قد خالف ما أراده الله تعالى[٢]: من توحيده، وأنْ[٣] لا يُشرك به شيئاً. فخالف ما أراده الله منه، فأشرك به غيره. وهذه هي الإرادةُ الشرعيةُ الدينية، كما تقدَّم.

فبَيْنَ الإرادة الشرعية الدينية، والإرادة الكونية القدرية عمومٌ وخصوص مُطلق. يجتمعان في حق المُخلص المطيع، وتنفرد الإرادة الكونيةُ القدرية في حق العاصي! فافهم ذلك، تنجُ به[٤] من جهالات أرباب الكلام وتابعيهم.

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: وقوِله: ﴿ولقدْ بعثنا في كل أُمةٍ رسولاً أنْ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾. [النمل: ٣٦]. .

ش: الطاغوت: مشتقٌ من الطغيان، وهو مُجاوزة الحد. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الطاغوت: الشيطان[٥].

وقال جابر رضي الله عنه: الطواغيت، كُهَّانٌ كانت تنزل عليهم الشياطين[٦]/ [٦/ب]

(١) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٨٠٥)، وأخرجه البخاري في الصحيح رقم (٦٥٥٧)، وأحمد في «المسند» (٢١٨/٣).

(٢) (ض): به ربه (ط): الله تعالى منه (هـ): الله تعالى به.

(٣) (ض): أن. ساقطة.

(٤) (ض)(هـ)(ط). به. ساقطة.

(٥) أخرجه الطبري في «التفسير» رقم (٥٨٣٤، ٥٨٣٥) والفريابي، وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (٢٢/٢)، وعلقه البخاري في «الصحيح» (٢٥١/٨) (فتح) قال الحافظ: وإسنادُه قوي.

(٦) أخرجه الطبري في «التفسير» رقم (٥٨٤٥)، وعلَّقه البخاري في «الصحيح» (٢٥١/٨).

رواهما ابنُ أبي حاتم[١] .

وقال مالك : الطاغوت : كلُّ ما عُبد من دون الله[٢] .

[٣]قال العِمادُ بن كثير: الطاغوت : الشيطان ، ومازيَّنه من عبادة غير الله [٣].

قلتُ : وذلـك المذكور، بعضُ أفراده . وقد حدَّه العلَّامةُ ابن القيم رحمه الله تعالى ، حدًّا جامعاً : الطاغوتُ[٤] ، ما تجاوز به العبدُ حدَّه : من معبودٍ ، أو متبوع ، أو مُطاع . فطاغوتُ كل قوم : من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتَّبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يُطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله .

فهذه طواغيتُ العالم . إذا تأملتها وتأمَّلت أحوال الناس معها ، رأيتَ أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطاغوت ، وعن طاعة الله ورسوله[٥] صلى الله عليه وسلم إلى طاعة الطاغوت ومتابعته[٦] .

وأمَّا معنى الآية : فأخبر تعالى ، أنَّه بعث في كلّ طائفة من الناس رسولاً بهذه الكلمة ﴿أنْ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ أي : اعبدوا الله وحده ، واتركوا عبادة ما سواه ؛ كما قال تعالى : ﴿فمَن يكفر بالطاغوت ويُؤمن بالله فقد استمسك بالعُروة الوثقى لا انفصام لها﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وهذا معنى : لا إله إلَّا الله ؛ فإنها هي العروةُ الوُثقى .

---

(١) ابن أبي حاتم : كما في «الدر المنثور» (٢/ ٢٢) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ، كما في «المصدر» السابق .

(٣) ما بينهما ساقط من (هـ) و (ط) ومعلّق في هامش «الأصل» وعليه كلمة صح .

(٤) (هـ)(ط) : فقال الطاغوت كل .

(٥) (ض) : وعن طاعة الله ومتابعة رسوله . (هـ)(ط) : وعن طاعة رسول الله .

(٦) ابن القيم : «اعلام الموقعين» (١/ ٥٣) ، وانظر : «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٣٥٣) .

قال العمادُ بن كثير ـ في هذه الآية ـ: وكلُّهم[١] يدعو إلى عبادة الله، وينهى عن عبادة ماسواه. فلم يزل تعالى يُرسل[٢] الرسلَ[٣] بذلك، منذ حدث الشركُ[٤] في قوم نوحُ الذين أُرسل إليهم.

وكان أوَّلَ رسولٍ بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض، إلى أنْ ختمهم بمحمد ﷺ. الذي طبَّقت دعوتُه الإنس والجن، في المشارق والمغارب. وكلُّهم، كما قال الله تعالى: ﴿وماأرسلنا من قبلك من رسول إلاَّ نُوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أنْ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦].

فكيف يسوغُ لأحدٍ مِن المشركين ـ بعد هذا ـ أنْ يقول: لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء؟!!.

فمشيئةُ الله تعالى[٥] الشرعية عنهم منفية؛ لأنه نهاهم عن ذلك على أَلسُن رُسله. وأمَّا مشيئتُه الكونية ـ وهي تمكينهم من ذلك قَدَراً ـ فلا حُجَّة لهم فيه[٦]؛ لأنه تعالى خلق النار وأهلَها من الشياطين والكفرة، وهو لا يرضى لعباده الكفر. وله في ذلك حجةٌ بالغة، وحكمة قاطعة[٧]؛ ولهذا[٨]/ قال: ﴿فمنهم من هدى الله [٧/أ]

(١) (ط): وكلهم أي الرسل.
(٢) (ض)(هـ)(ط): يرسل إلى الناس.
(٣) (ط): الرسل. ساقطة.
(٤) (ط): الشرك في بني آدم.
(٥) (ض): فمشيئته.
(٦) (ط): فيها.
(٧) (هـ) (ط): الحجة البالغة والحكمة القاطعة.
(٨) (ط): ثم أنه تعالى قد أخبر أنه أنكر عليهم العقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل، فلهذا.

ومنهم من حقَّت عليه الضلالة﴾ [النحل: ٣٦]. انتهى[١].

قلتُ: وهذه الآيةُ تُفسِّر[٢] الآيةَ[٣] قبلها، وذلك قوله تعالى: ﴿فمنهم من هدى الله ومنهم من حقَّت عليه الضلالة﴾، فتدبر!.

ودلَّت هذه الآيةُ على أنَّ الحكمة في إرسال الرسل: دعوتُهم أُممهم[٤] إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ماسواه، وأنَّ هذا هو دينُ الأنبياء والمرسلين، وإنْ اختلفت شريعتهم؛ كما قال تعالى: ﴿لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا﴾ [المائدة: ٤٨] وأنّه لابُدَّ في الإيمان من العمل، مِن القلب[٥] والجوارح.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وقضى ربُّك أنْ لا تعبدوا إلَّا إياه وبالوالدين إحسانا إمَّا يبلُغن عندك الكبرَ أحدُهما أو كلاهما فلا تقُل لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقُل لهما قولاً كريماً. واخفضْ لهما جَناحَ الذُّلِ مِن الرحمة وقُل ربِّ ارحمهما كما ربَّياني صغيراً﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

ش: قال مُجاهد: قضى، يعني: وصَّىٰ[٦]. وكذا[٧] قرأ أُبيُّ بن كعب[٨]، وابن مسعود، [٩] وغيرُهم[١٠].

---

(١) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٨٩).

(٢) (ط): تفسير.

(٣) (هـ)(ط): الآية التي.

(٤) (ض): أممهم. ساقطة.

(٥) (ض): العمل بالقلب. (ط): عمل القلب.

(٦) ذكره ابن كثير في «التفسير» (٥/ ٦١).

(٧) (ض): وكذلك.

(٨) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٥/ ٤٦).

(٩) أخرجه الطبراني، وعبدالرزاق، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٢٥٨).

(١٠) ينظر «المصدر السابق».

ولابن جرير، عن ابن عباس: ﴿وقضى ربك﴾ يعني: أمر[١].

وقوله: ﴿أنْ لا تعبدوا إلَّا إياه﴾ المعنى: أن تعبدوه وحده دون ماسواه، وهذا معنى: لا إله إلَّا الله.

قال العلَّامةُ ابن القيم رحمه الله تعالى: والنفيُ المحض ليس توحيداً، وكذلك الإثبات بدون النفي. فلا يكون التوحيد إلَّا متضمِّناً للنفي والإثبات، وهذا هو حقيقة التوحيد.

قوله: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: وقضى أنْ تُحسنوا بالوالدين إحساناً، كما قضى بعبادته وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى في الآية الأُخرى ﴿أنْ أشكر لي ولوالديكَ إليَّ المصير﴾. [لقمان: ١٤]. وقوله: ﴿إمَّا يبلغنَّ عندك الكبرَ أحدُهما أو كلاهما فلا تقُل لهما أفٍّ ولا تنهرهما﴾ أي: لا تُسمعهما قولاً سيئاً، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء.

﴿ولا تنهرهما﴾ أي: لا يصدر منك[٢] إليهما فعلٌ قبيح، كما قال عطاءُ بن أبي رباح[٣]: لا تنفض يديك على والديك[٤].

ولمَّا نهاه عن الفعل القبيح والقول القبيح، أمره بالفعل الحسن والقول الحسن، فقال: ﴿وقُل لهما قولاً كريما﴾ أي: ليناً طيباً، بأدب وتوقير.

وقوله: ﴿واخفض لهما جَناح الذُّل من الرحمة﴾ أي: تواضع لهما.

﴿وقل ربِّ ارحمهما﴾ أي: في كبرهما، وعند وفاتهما؛ ﴿كما ربَّياني صغيرا﴾[٥]،

---

(١) ابن جرير: «التفسير» (١٥/ ٤٨).

(٢) (ط): عنك.

(٣) أبو محمد، القرشي مولاهم المكي. ثقة فقيهٌ من أفاضل التابعين، لكنه كثير الارسال. «تقريب» (٢/ ٢٢).

(٤) أخرجه الطبري في «التفسير» (١٥/ ٤٨).

(٥) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٦١).

وقد ورد في بِرِّ الوالدين أحاديثُ كثيرة.

منها: الحديثُ المروي من طُرقٍ، عن أنس، وغيره، أنَّ رسول الله ﷺ لَمَّا صعد المنبر، قال: «آمين آمين/ آمين» فقالوا: يارسول الله، على ما أمَّنت. فقال: «أتاني جبريلُ، فقال: يامحمد رَغِم أنفُ امريءٍ ذُكرتَ عنده فلم يُصلِّ عليك. قُل آمين. فقلتُ: آمين. ثم قال: رَغِم أنف امريءٍ دخل عليه شهرُ رمضان، ثم خرج ولم يُغفر له. قُل آمين. فقلتُ: آمين. ثم قال: رغم أنفُ امريء أدرك أبويه أو أحدَهما فلم يُدخلاه الجنة. قل آمين. فقلتُ: آمين»[١]. [٧/ب]

وروى الإمامُ أحمد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «رغم أنفُ، ثم رَغِم أنفُ، ثم رغم أنف رجلٍ أدرك والديه، أو أحدهما[٢]، لم يدخل الجنة»[٣] قال[٤] العمادُ ابن كثير: صحيحٌ من هذا الوجه[٥].

وعن أبي بكرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى

---

(١) أخرجه من حديث أنسٍ الجهضميُ في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» رقم (١٥) والبزار كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦٦) والفريابي وأبوبكر الشافعي كما في «جلاء الأفهام» (/٢٥) وفيه سلمة من وردان، قال ابن القيم: وسلمة هذا لين الحديث، قد تُكلِّم فيه وليس ممن يطرح حديثه، ولا سيما حديثٌ له شواهد، وهو معروفٌ من حديث غيره. وأخرجه «الحاكم في المستدرك» (٤/ ١٥٣) وصححه ووافقه الذهبي، والفسوي في «المعرفة» (١/ ٣١٩) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ١٤٤) من حديث كعب بن عُجرة، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٤٤) من حديث جابر بن عبدالله، وأخرجه الجهضمي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» الأرقام (١٦، ١٧، ١٨) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٤٦) وابن منيع في «مسنده» وابن خزيمة، وأبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٢/ ٣٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) (ض) (هـ) (ط): أحدهما أو كلاهما.

(٣) «المسند» (٢/ ٢٥٤، ٣٤٦)، وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٥٥١).

(٤) من هنا تبدأ نسخة (م).

(٥) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٦٢).

يارسول الله . قال : «الإشراكُ بالله ، وعقوق الوالدين» وكان مُتكئاً فجلس ، فقال : «ألا وقولُ الزور، أَلا وشهادة الزور» فمازال يكررها حتى قلنا : ليتهُ سكت. رواه البخاري ، ومسلم[1] .

وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «رِضَى الربِّ في رضى الوالدين، وسخطُه في سخط الوالدين» رواه الترمذي[2] ، وصححه ابنُ حبان[3] والحاكم[4] .

وعن أبي أُسيد السَّاعدي ، قال: بينا[5] نحن جلوسٌ عند النبي ﷺ ، إذْ جاء[6] رجلٌ من بني سَلِمة، فقال: يارسول الله! هل بقي من برِّ أبَويَّ شيءٌ، أبرُّهما به بعد موتهما؟ فقال: «نعم! الصلاةُ عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذُ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا تُوصل إلَّا بهما، وإكرام صديقهما» رواه أبوداود، وابن ماجه[7] . والأحاديثُ في هذا المعنى كثيرةٌ جداً.

---

(١) البخاري، في «الصحيح» رقم (٢٦٥٤)، مسلم، في «الصحيح» رقم (٨٧)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٣٠٢).

(٢) الترمذي في «الجامع» رقم (١٩٠٠).

(٣) ابن حبان: «موارد الظمآن» رقم (٢٠٢٦).

(٤) الحاكم في «المستدرك» (١٥٢/٤) وصححه ووافقة الذهبي ، وأخرجه بحشل في «تاريخ واسط» (/٥١) والبغوي في «شرح السنة» (١٢/١٣) وذكره الألباني في «صحيحته» رقم (٥١٦) وفي «صحيح الجامع» رقم (٣٥٠٠).

(٥) (هـ)(ط)(م): بينما.

(٦) (هـ)(ط): جاءه.

(٧) أبوداود، في «السنن» رقم (٥١٤٢)، ابن ماجة، في «السنن» رقم (٣٦٦٤)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٣٥)، وابن حبان في «الصحيح» رقم (٢٠٣٠) (موارد)، وأحمد في «المسند» (٤٩٧/٣).

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِه: ﴿واعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئا﴾. [النساء: ٣٦].

ش: قال العِماد بن كثير رحمه الله تعالى: في هذه الآية: يأمرُ تعالى[1] عبادَه بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه الخالقُ الرازق، المُنعم المتفضِّلُ على خلقه في جميع الحالات، وهو المستحق منهم أنْ يوحِّدوه ولا يُشركوا به شيئا من مخلوقاته. انتهى[2].

وهذه الآيةُ، هي التي تُسمَّى: آيةُ الحقوق العشرة. وفي بعض النسخ المُعتمدة من نُسخ هذا الكتاب: تقديمُ هذه ا لآية على آية الأنعام. ولهذا قدَّمتُها؛ لمناسبة كلام ابن/ مسعود الآتي لآية الأنعام[3]، ليكون ذكرُه بعدها أنسب. [٨/أ]

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿قُل تَعَالوا أتلُ ما حرَّم ربُّكم عليكم أنْ لا تُشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادَكم من إملاقٍ نحن نرزقكم وإيَّاهم ولا تقربوا الفواحشَ ما ظهر منها وما بَطن ولا تقتلوا النفسَ التي حرم الله إلَّا بالحق ذلكم وصَّاكم به لعلكم تعقِلُون • ولا تقربوا مالَ اليتيم إلا بالتي هي أحسنُ حتى يبلغ أشُدَّهُ وأوفوا الكيل والميزانَ بالقِسط لا نُكلِّف نفساً إلا وسعَها وإذا قُلتم فاعدلوا ولو كان ذا قُربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكَّرون • وأنَّ هذا صراطي مُستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصَّاكم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣].

---

(١) (ط): يأمر الله تعالى.

(٢) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٢٦٠).

(٣) (ض): لآية الانعام. ساقطة.

ش: قال العِمادُ بن كثير: يقول تعالى لنبيّه ورسوله[1] محمد ﷺ: ﴿قُل﴾ لهؤلاء الـمُشركين الذين عبدوا غيرَ الله، وحرَّموا ما رزقهم الله: ﴿تَعَالوا﴾ أي: هلمُّوا وأقبلوا ﴿أتـلُ ما حرَّم ربكم عليكم﴾ أي[2]: أقصُّ عليكم ﴿مـا حرم ربكم عليكم﴾ حقاً، لا تخرُّصاً ولا ظناً، بل وحياً منه وأمراً[3] من عنده ﴿أنْ لا تُشركوا به شيئاً﴾ وكأنَّ في الكلام محذوفاً، دلَّ عليه السياق. تقديرهُ: وصَّاكم أن لا تشركوا به شيئاً؛ ولهذا قال في آخر الآية ﴿ذلكم وصاكم به﴾ انتهى[4].

قلتُ: فيكون المعنى: حرَّم عليكم ما وصَّاكم بتركه، من الإشراك به.

وفي (المُغني) لابن هشام[5]، في قوله تعالى: ﴿أنْ لا تُشركوا به شيئاً﴾ سبعةُ أقوال. أحسنها: هذا الذي ذكره ابنُ كثير. ويليه: أُبيِّنُ[6] لكم ذلك لئلا تُشركوا[7]. فحُذِفَت الجملةُ من أحدهما ـ وهي (وصَّاكم) ـ وحرفُ الجر وما قبله من الأخرى.

ولهذا إذا سُئلوا عمَّا يقول لهم رسولُ الله ﷺ، قالوا: يقول: «اعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم» كما قال[8] أبوسفيان، لهِرقل[9]!.

وهذا هو الذي فهم[10] أبوسفيان وغيرُه، من قول رسول الله ﷺ لهم: «قولوا:

---

(١) ورسوله. ليست في (م).

(٢) (ط): أي. ساقطة.

(٣) الأصل (ض)(م)(هـ): وحيٌ منه وأمرٌ.

(٤) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٥٤).

(٥) عبدالله بن يوسف الأنصاري الحنبلي، نحوي لغوي (ت ٧٦١) «الدر الكامنة» (٢/٣٠٨).

(٦) في جميع النسخ: بين. والمُثبت من «المغني».

(٧) ابن هشام: «مغني اللبيب عن كُتب الأعاريب» (١/٢٧٧).

(٨) (ض): كما قال ذلك.

(٩) سبق تخريجه.

(١٠) (ض)(م)(هـ)(ط): فهمه.

لا إله إلا الله تُفلحوا»[1].

قولـه: ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ قال القُرطبي: الإحسانُ إلى الوالدين: بِرُّهما وحفظُهما وصيانتُها، وامتثال أمرهما، وإزاله الرِّق عنهما، وتركُ السَّلطنةِ عليهما.

و﴿إحسـانـاً﴾ نُصِب على[2] المصدريَّة، وناصبُة فعلٌ [مضمر][3] من لفظه، تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحساناً.

وقـولـه: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إمـلاق نحن نرزقكم وإياهـم﴾ الإملاقُ: الفقرُ. أي: لا تئِدوا بناتكم[4] خشية العَيلة والفقر؛ فإني رازقُكم وإياهـم[5]. وكان منهم من يفعل ذلك بالإناث[6] والذكور، خشيةَ الفقر. ذكره القرطبي[7].

وفي (الصحيحــين)، عن ابن مسعــود، قلتُ: يارسـول الله! أيُّ الـذنب أعظم؟[8] قال: «أنْ تجعل لله نِدّاً وهو خلقك» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «أنْ تقتل ولدك خشية أنْ يطعم معك» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «أن تُزاني بحليلة[9] جارك» ثم / [٨/ب]

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/٤٩٢، ٤/٣٤١)، والطبراني في «المعجم الكبير» رقم (٤٥٨٢) من حديث ربيعة بن عباد، وأخرجه ابن أبي شيبة كما في «المطالب العالية» (٤/١٩١) والبخاري في «أفعال العباد» (/٥٨) والدارقطني في «السنن» (٣/٤٤) والحاكم في «المستدرك» (٢/٦١١) وصححه ووافقه الذهبي من حديث طارق بن عبدالله المحاربي رضي الله عنه.

(٢) (م): على. ساقطة.

(٣) إضافة من «الجامع» للتوضيح.

(٤) (م): أبناءكم.

(٥) الأصل (هـ)(ط): رازقهم وإياكم.

(٦) (هـ)(ط): بالاناث. ساقطة.

(٧) القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن» (٧/١٣٢).

(٨) (ض)(هـ) (م) (ط): أعظم عند الله.

(٩) (ض)(م): تزاني حليلة. (ط) تزني بحليلة.

تلا رسولُ الله ﷺ ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفسَ التي حرَّم الله إلَّا بالحق﴾ الآية[١] [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

وقوله: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ قال ابنُ عطية: نَهيٌ[٢] عامٌ عن جميع أنواع الفواحش، وهي المعاصي و(ظهر) و(بطن) حالتان تستوفيان أقسام ما جعلتا له[٣] من الأشياء. انتهى[٤].

قوله: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلَّا بالحق﴾ في (الصحيحين) عن ابن مسعود[٥] رضي الله عنه، مرفوعاً: «لا يحلُّ دمُ امريءٍ مسلم يشهد أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ محمداً[٦] رسول الله إلَّا بإحدى ثلاث: الثَّيبُ الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[٧].

قوله: ﴿ذلكم وصَّاكم به لعلكم تعقلون﴾ قال ابنُ عطية: (ذلكم) إشارةٌ إلى هذه المحرمات، والوصية: الأمر المؤكَّد المقرر[٨].

وقوله: ﴿لعلكم تعقلون﴾ (لعل) للتعليل: أي إنَّ الله تعالى وصَّانا[٩] بهذه

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٤٤٧٧، ٦٨٦١)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٨٦)، وأخرجه والترمذي في «الجامع» رقم (٣١٨١)، والنسائي في «المجتبى» (٧/ ٨٩)، وأبو داود في «السنن» رقم (٢٣١٠)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢٨٠).

(٢) (ط): هذا نهي.

(٣) (ط): جلتا. تصحيف.

(٤) ابن عطية: «المحرر الوجيز» (٦/ ١٧٩).

(٥) الأصل و(ض)(م): ابن عباس. تحريف.

(٦) (ض)(م): وأني

(٧) البخاري في «الصحيح» رقم (٦٨٧٨)، ومسلم في «الصحيح» رقم (١٦٧٦)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (١٤٠٢)، والنسائي في «المجتبى» (٨/ ١٣).

(٨) ابن عطية: «المحرر الوجيز» (٦/ ١٨٠).

(٩) (م): أوصانا.

الوصايا؛ لنعقلها عنه ونعمل بها.

وفي (تفسير) الطبري الحنفي[١]: ذكر أوّلاً (لعلكم[٢] تعقلون) ثم (تذكرون) ثم (تتقون)؛ لأنهم إذا عقلوا تذكروا، فإذا تذكَّروا خافوا واتقوا.

قوله: ﴿ولا تقربوا مالَ اليتيم إلَّا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشُدَّه﴾ قال ابن عطية: هذا نهيٌ عام[٣] عن القرب الذي يعمّ وجوه التصرف، وفيه سدُّ الذريعة، ثم استثنى مايحسُنُ: وهو السعي في[٤] نمائه. قال مجاهد: التي هي أحسن: التجارة فيه[٥].

وقوله: ﴿حتى يبلغ أشده﴾ قال مالكُ وغيره: هو الرشد وزوال السفه، مع البلوغ. روي نحو هذا: عن زيد بن أسْلَم[٦]، والشَّعْبي[٧]، وربيعة[٨] وغيرهم[٩].

قوله: ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ قال ابن كثير: يأمر تعالى بإقامة العدل

---

(١) لعلَّه: أبو حامد، أحمد بن الحسين المروزي، المعروف بابن الطبري. (ت ٣٧٧). «الطبقات السنية» (١/ ٣٤١).

(٢) لعلكم: ليست في (ض) (م)(هـ)(ط).

(٣) (ض): عام. ساقطة، ومعلقة بين أسطر الأصل وعليها كلمة صح.

(٤) (م): فيه في.

(٥) ابن عطية: «المحرر الوجيز» (٦/ ١٨٠).

(٦) أبو عبدالله العدوي، مولى عمر، المدني، ثقةٌ عالم، وكان يُرسل (ت ١٣٦) «تقريب» (/٢٢٢).

(٧) أبو عمرو، عامر بن شراحيل. ثقةٌ مشهور فقيه فاضل. قال مكحول: ما رأيت أفقهَ منه، مات بعد المائة. «تقريب» (/٢٨٧).

(٨) أبو عثمان بن فَرّوخ المدني، المعروف بربيعة الرأي، أو ربيعة بن أبي عبدالرحمن. ثقةٌ فقيه مشهور. قال ابن سعد: كانوا يتّقونه لموضع الرأي. (ت ١٣٦). «طبقات بن سعد» (تكملة) (/٣٢٤) «والتقريب» (/٢٠٧).

(٩) ابن عطية: «المحرر الوجيز» (٦/ ١٨١).

في الأخذ والإعطاء[١] ﴿لا نكلف نفساً إلَّا وسعها﴾ أي: من اجتهد بأداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه[٢]، وبذل جهده فلا حرج عليه[٣].

قوله: ﴿وإذا قُلتم فاعدلوا ولو كان ذا قُربى﴾ هذا أمرٌ بالعدل في القول والفعل، على القريب والبعيد.

قال الحنفي: العدلُ في القول في[٤] حق الولي والعدوِّ، ولا[٥] يتغيَّر في الرضى والغضب. بل يكون على الحق وإنْ كان ذا قُربى، فلا يميلُ إلى الحبيب والقريب ﴿ولا يَجرمنَّكم شَنآنُ قومٍ على أنْ لا تعدلوا اعدلوا/ هو أقربُ للتقوى﴾ [المائدة: ٨]. [٩/أ]

قوله: ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ قال ابنُ جرير: وبوصية الله تعالى التي وصَّاكم بها فأوفوا، وانقادوا لذلك[٦]. بأنْ تُطيعوه فيما أمركم به ونهاكم[٧] عنه، وتعملوا[٨] بكتابه وسُنَّة رسوله ﷺ، وذلك هو الوفاءُ بعهد الله[٩]. وكذا قال غيرُه.

قوله: ﴿ذلكم وصَّاكم به لعلكم تذكرون﴾ أي[١٠]: تتعظون، وتنتهون عمَّا كنتم فيه.

قوله: ﴿وأنَّ هذا صراطي مُستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبلَ فتفرَّق بكم عن

---

(١) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٥٩).
(٢) (هـ)(ط): الوسع.
(٣) «المصدر السابق» (٣/ ٣٦٠).
(٤) (م): في. ساقطة.
(٥) (ض)(هـ)(ط): الا.
(٦) (ط): أوفوا. وايفاء ذلك.
(٧) (ط): أمرهم به ونهاهم.
(٨) (ط): وأن يعملوا.
(٩) الطبري: «جامع البيان» (١٢/ ٢٢٦).
(١٠) (هـ)(ط): أي. ساقطة.

سبيله﴾ قال القُرطبي: هذه آيةٌ عظيمة، عطفها على ما تقدم؛ فإنه [لمَّا](١) نهى وأمر، حذَّر عن اتباع غيرِ سبيله، على ما بيَّنته الأحاديثُ الصحيحة، وأقاويلُ السَّلف. وأنَّ: في موضع نصب، أي: وأتلُ أنَّ هذا صراطي. عن الفرَّاء، والكسائي. [قال الفراء](٢): ويجوز أنْ يكون خفضاً: أي وصَّاكم به، وبأنَّ هذا صراطي.

ـ قال ـ والصراط: الطريقُ، الذي هو دين الإسلام. مُسْتقيماً: نُصب على الحال، ومعناه: مستوياً قويماً(٣)، لا اعوجاج فيه.

فأمر باتباع طريقه الذي طَرقه ـ على لسان محمد ﷺ ـ وشرعه، ونهايتُه الجنة. وتشعَّبت منه طرقٌ، فمَن سلك الجادَّة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضتْ به إلى النار؛ قال الله تعالى: ﴿ولا تتبعوا السُّبلَ فتفرَّق بكم عن سبيله﴾ أي: تميل. انتهى(٤).

وروى أحمدُ، والنسائي، والدَّارمي، وابن أبي حاتم، والحاكم ـ وصحَّحه ـ° ورواه محمد بن نصر المروزي في (كتاب الاعتصام) بسند صحيح°، عن ابن مسعود، قال: (خطَّ رسولُ الله ﷺ خطاً بيده. ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما، ثم خطَّ خطوطاً(٦) عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: وهذه السُّبل ليس منها سبيلٌ إلاَّ وعليه شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه

---

(١) ساقط من الأصل و(م) و(هـ) و(ط).
(٢) إضافة من «التفسير».
(٣) (هـ)(ط): قيماً.
(٤) القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن» (١٣٧/٧).
(٥) ما بينهما ساقط من (ض) و(هـ) و(ط) ومعلق في هامش الاصل. وبجواره كلمة صح.
(٦) (م). خطوط. تحريف.

ولاتتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله﴾[١].

وعن مُجاهد: ﴿ولا تتبعوا السبل﴾ قال: البدع، والشبهات[٢][٣].

قال العلَّامة ابنُ القيم رحمه الله تعالى: ولنذكر في الصراط المستقيم قولاً وجيزاً، فإنَّ النـاس قد تنـوَّعت عباراتُهم عنه بحسب صفاته ومتعلَّقاته. وحقيقتهُ شيءٌ واحد، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلاً لهم[٤] إليه، ولا طريق إليه سواه، بل الطرقُ كلُّها مسدودةٌ على/ الخلق إلَّا طريقهَ[٥]، الذي نصبه على ألسُن رسلِـه، [٩/ب] وجعله موصلاً لعباده إليه. وهو إفرادُه بالعبودية[٦]، وإفراد رسوله[٧] بالطاعة، فلا يُشْرِك بـه أحـداً[٨] في عبوديتـه[٩] ولا يُشْرِك برسولـه ﷺ أحـداً في طاعتـه. فيجـرِّدُ التوحيد، ويجرِّدُ متابعة الرسول ﷺ.

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ٤٣٥، ٤٦٥)، «والسنن الكبرى» للنسائي كما في «تحفة الأشراف» (٧/ ٤٩)، و «سنن الـدارمي» (١/ ٦٧)، و«تفسـير ابن ابي حاتم» كما في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٥)، و«المستدرك للحـاكم» (٢/ ٣١٨) وصححـه ووافقه الذهبي، «والسنة» للمروزي (/٥)، وأخرجه الطيالسي في «مسنده» (٢٤٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٧)، وابن جرير في «التفسير» رقم (١٤١٦٨)، وعبد بن حميد، والبزار، وابن المنذر، وأبو الشيخ، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٥)، وله شاهدٌ من حديث جابر، أخرجه ابن ماجة رقم (١١) وابن أبي عاصم رقم (١٦) والمروزي (/٦)، والآجري في «الشريعة» (/١٢).

(٢) (هـ)(ط): الشهوات. تصحيف.

(٣) أخـرجه الطبري في «التفسير» الأرقام (١٤١٦٣ ـ ١٤١٦٥)، وابن أبي شيبة، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٦).

(٤) (ط): لهم. ساقطة.

(٥) (ض): من طريقه.

(٦) (ط): بالعبادة.

(٧) (م)(هـ)(ط) أرسله.

(٨) الأصل و (ض): أحد.

(٩) (ط): عبادته.

وهذا كلُّه مضمون شهادة أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمداً رسول الله. فأي شيءٍ فُسِّر به الصراطُ المستقيم، فهو داخلٌ في هذين الأصلين. ونكتة ذلك: أنْ تُحبَّه بقلبك، وتُرضيه بجهدك كله فلا يكون في قلبك موضعٌ إلَّا معموراً بحبه، ولا يكون لك إرادةٌ إلَّا متعلقةً بمرضاته[١].

فالأوَّلُ: يحصل بتحقيق شهادة أنْ لا إله إلَّا الله.

والثاني: يحصل بتحقيق شهادة أنَّ محمداً رسول الله. وهذا هو الهُدى ودين الحق، وهو معرفةُ الحق والعمل به، وهو معرفةُ ما بعث الله به رسوله[٢] والقيام به. فقل[٣] ما شئتَ من العبارات، التي هذا آخِيَّتُها[٤] وقطبُ رحاها[٥].

ـ قال ـ: وقال سهلُ بن عبدالله[٦]: عليكم بالأثر والسنة، فإني أخافُ أنَّه سيأتي عن قليلٍ زمانٌ، إذا ذَكرَ إنسانٌ النبيَّ ﷺ والإقتداءَ به في جميع أحواله، ذمُّوه ونفَّروا عنه وتبرَّأوا منه، وأذلُّوه وأهانوه[٧].

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: قال ابنُ مسعود: من أراد أنْ ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمهُ، فليقرأ [قوله تعالى][٨] ﴿قل تعالوا أتلُ

---

(١) (هـ): برضاه.

(٢) (هـ): رسله.

(٣) (هـ)(ط). وقل.

(٤) الأخِيَّةُ. بالمدّ والتشديد. واحدة الأوَاخيّ، وهي الوتد الذي تشدُّ إليه الدابة. «الصحاح» (٢٢٦٥/٦).

(٥) ابن القيم: «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٠).

(٦) أبو محمد بن يونس التُّستري من كبار الصوفية. أثنى عليه ابنُ تيمية، وعدَّه من الأئمة في الحق وممن يعتد بأقوالهم؛ لأنها كما يقول: صادرة عن أصل، ومبنية على دليل وثيق. (ت ٢٨٣) ينظر «الاستقامة» (١/ ٤٠٤) «والشذرات» (٢/ ١٨٢).

(٧) (ط): وأهانوه. اهـ.

(٨) إضافة من (ض).

ما حرم ربكم عليكم﴾ إلى قوله: ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾ الآية.

ش: قوله: (ابن مسعود). هو عبدالله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمةٍ وفاءٍ ـ بن حبيب الهُذَلي، أبوعبدالرحمن، صحابيٌّ جليل من السابقين الأولين. من أهل[١] بدر، وأُحد، والخندق[٢]، وبيعة الرِّضوان، ومن كبار علماء الصحابة. أمَّره عُمرُ على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين، رضـي الله عنه[٣].

وهـذا الأثـر، رواه الـترمـذيُّ وحسَّنـه[٤]، وابن المنـذر، وابن أبي حاتم[٥]، والطبراني[٦] بنحوه.

[٧]وسبـبُ هذا القـول ـ والله أعلـم ـ مارواه البخاريُّ في (صحيحه)، عن ابـن عباس رضـي الله عنهما، قال: لما اشتدَّ بالنبي ﷺ وجعه، قال: «أئتوني بكتابٍ أكتُبْ لكم كتاباً لا تختلفوا بعده» قال عمر: إنَّ النبي ﷺ غَلَبَهُ الوجع! وعندنا كتابُ الله حَسْبُنا[٨]. فاختلفوا، وكثُرَ اللَّغط، قال: «قوموا عنِّي ولا ينبغي عندي

---

(١) (ض) (هـ)(ط): وأهل.

(٢) (ض): وأحد والخندق. ساقط.

(٣) ترجمته في «طبقات ابن سعد» (٢/ ٣٤٢).

(٤) الترمذي: في «الجامع» رقم (٣٠٧٢).

(٥) كما في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨١).

(٦) «المعجم الكبير» رقم (١٠٠٦٠)، وأخرجه أيضاً أبو الشيخ، وابن مُردوْيه، والبيهقي في «شعب الإيمان» كما في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨١).

(٧) من هنا ساقطٌ من (ض) و(م) و(هـ) و(ط) ومعلقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٨) إنما كان قصده رضي الله عنه التخفيف عن رسول الله ﷺ؛ لما رأى ما هو فيه من شدة الكرب، وقامت عنده قرينةٌ بأن الذي أراد كتابته ليس مما لا يستغنون عنه. إذ لو كان من هذا القبيل لم يتركه ﷺ، ولا يُعارض ذلك قول ابن عباس؛ لأن عمر كان أفقه منه قطعاً، وهذا من أمارات قوة فقهه ودقيق نظره. ينظر «فتح الباري» (٨/ ١٣٤).

التَّنازع» فخرج ابنُ عباسٍ يقول: إنَّ الرَّزيَّة كلَّ الرزية، ماحال بين رسول الله وبين كتابه»[١][٢]. فقال ابن مسعود: من أراد أنْ ينظر إلى وصية محمدٍ ﷺ التي عليها خاتمه... الحديث[٣].

قال[٤] بعضُهم: معناه: من أراد أنْ ينظر إلى الوصية التي كأنها كُتبت، وختُم عليها فلم تُغَيَّر ولم تُبدَّل، فليقرأ ﴿قل تعالوا﴾ إلى آخر الآيات.

شبهها بالكتاب الذي كُتب، ثم خُتم[٥] فلم يُزد فيه ولم ينقص. فإنَّ النبي ﷺ لم يوص إلَّا بكتاب الله تعالى/. [١/أ]

كما قال - فيما رواه مسلم -: «وإني تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا؛ كتاب الله»[٦].

وقد روى عُبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث؟» ثم تلا قوله: ﴿قل تعالوا أتلُ ما حرم ربكم عليكم﴾ حتى فرغ من ثلاث[٧] الآيات، ثم قال: «من[٨] وفَّى[٩] بهن فأجره على الله، ومن انتقص

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» الأرقام (١١٤، ٣٠٥٣، ٣١٦٨، ٤٤٣١، ٤٤٣٢، ٥٦٦٩، ٧٣٦٦) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٦٣٧)، وأحمد في «المسند» برقم (٢٩٩٢).

(٢) قال ابنُ تيمية: ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة عليّ، فهو ضالٌ باتفاق عامة الناس. ولو كان ما يكتبه في الكتاب مما يجب بيانه وكتابته، لكان النبي ﷺ يبيّنه ويكتبه، ولا يلتفت إلى قول أحدٍ، فإنه أطوع الخلق له. اهـ «منهاج السنة النبوية» (٦/٢٦).

(٣) إلى هنا ينتهي السقط.

(٤) (ض)(ط): وقال.

(٥) (م): ختم عليه.

(٦) مسلم، في «الصحيح» رقم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه في حجة الوداع، وأخرج نحوه، مسلم في «الصحيح» رقم (٢٤٠٨)، وأحمد في «المسند» (٤/٣٦٦)، والترمذي في «الجامع» رقم (٣٧٩٠)، وابن حبان في «الصحيح» رقم (١٢٣)، والدارمي في «السنن» (٢/٤٣١) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٧) (ط): الثلاث.

(٨) (م)(ط): ومن.

(٩) (م): وافي.

منهن شيئاً فأدركه الله [١] في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخَّره إلى الآخرة كان أمره إلى الله. إن شاء آخذه وإن شاء عفا عنه» رواه ابنُ أبي حاتم [٢]، والحاكم وصححه [٣]، ومحمد بن نصر في (الاعتصام) [٤].

قلتُ: ولأنَّ النبي ﷺ لم يوص أُمَّته إلَّا بما وصَّاهم به الله تعالى [٥]، على لسانه وفي [٦] كتابه الذي نزَّله [٧] ﴿تبياناً لكل شيء وهُدى ورحمةً وبُشرى للمسلمين﴾. [النحل: ٨٩] وهذه الآياتُ وصيةُ الله تعالى، ووصيةُ رسوله ﷺ.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن مُعاذ بن جبل، قال: كنتُ رديفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ، فقال لي: «يامعاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد؟ وما حقُّ العباد على الله» قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «حقُّ الله على العباد: أنْ يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله: أنْ لا يُعذِّبَ من لا يشركَ به شيئا» قلتُ: يارسول الله. أفلا أُبشِّر الناسَ؟ قال: «لا تُبشِّرْهم فيتَّكلوا» أخرجاه في (الصحيحين) [٨].

---

(١) (ط): الله به.

(٢) ابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨١).

(٣) الحاكم، في «المستدرك» (٢/ ٣١٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) وأخرجه أيضا عبد بن حُميد، وأبو الشيخ، وابن مُردوْيه كما في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨١).

(٥) (م) الله به تعالى (ط) الله تعالى به (ض) ساقطة.

(٦) (م): و. ساقطة.

(٧) (م)(هـ)(ط): أنزله.

(٨) البخاري في «الصحيح» الأرقام (١٢٨، ١٢٩، ٢٨٥٦، ٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠، ٧٣٧٣)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٣٠)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٦٤٥)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٢٦٠، ٢٦١)، وابن ماجة في «السنن» رقم (٤٢٩٦).

ش: هذا الحديثُ في (الصحيحين) من طُرق، وفي بعض رواياته[١] نحوٌ مما[٢] ذكره المصنف.

ومُعاذ: هو ابن جبل[٣] بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبوعبدالرحمن، صحابيٌّ مشهور من أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها. وكان[٤] إليه المُنتهى، في العلم والأحكام والقرآن، رضي الله عنه.

وقال[٥] النبي ﷺ: «معاذٌ[٦] يُحشر يومَ القيامة أمام العُلماء برَتوة»[٧] أي بخطوة[٨].

قال في (القاموس): والرَّتْوَةُ: الخطوَةُ، وشَرَفٌ من الأرض، وسُوَيعةٌ من الزمان، والدَّعوةُ، والقَطْرة[٩]، ورميةٌ بسَهم، أو نحوُ ميلٍ أو مَدَى البَصَر. والرَّاتي[١٠]: العالمُ الرَّبانيُّ. انتهى[١١].

وقال في (النهاية)/: أنه يتقدَّم العُلما برَتْوة. أي: برَمْية سَهْم. وقيل: بميل. [/ب]

---

(١) (م): بعضها روايات.

(٢) (ض): ما.

(٣) (ط): ومعاذ بن جبل هو

(٤) (م): كان. ساقطة.

(٥) (ض) وعُلِّق في هامش الأصل: واستخلفه النبي ﷺ على أهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم.

(٦) (م): معاذاً.

(٧) أخرجه موصولاً ابنُ سعد في «الطبقات» (٢/٣٤٨، ٣/٥٨٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/٢٢٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخرجه أيضاً بن سعد في «الطبقات» (٢/٣٤٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٢٩) من طريق محمد بن كعب القرظي، وذكره الألباني في «صحيحته» برقم (١٠٩٠).

(٨) (م): الخطوة.

(٩) في جميع النسخ: الفطرة. والتصويب من «القاموس».

(١٠) (ط): والرائي. تحريف.

(١١) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (٤/٣٣٢).

وقيل: مدى[١] البصر[٢]. وهذه الثلاثةُ، أشبهُ بمعنى الحديث.

مات [٣] سنة ثماني عشرة بالشام، في طاعون عَمَواس. [٤] واستخلفه النبيُّ ﷺ على أهل مكة يوم الفتح، يعلمهم دينهم.

قولـه: (كنتُ رديفَ النبي ﷺ). فيه: جوازُ الإردافِ على الـدابة، وفضيلةُ معاذ. قوله: (على حمار). في رواية اسمه: عُفير[٥].

قلت[٦]: أهداه إليه المُقَوقِسُ[٧]، صاحب مصر[٨]. وفيه: تواضُعه ﷺ لركوب الحمار والإرداف عليه[٩]، خلافاً لما عليه أهلُ الكِبر.

قوله: «أتدري ما حقُّ الله على العباد» أخرج السؤالَ بصيغة الاستفهام؛ ليكون أوقعَ في النفس، وأبلغ في فهم المُتعلِّم.

وحقُّ الله على العباد: هو ما يستحِقُّه عليهم.

وحقّ العباد على الله: معناه أنه مُتحقِّقٌ لا محالة؛ لأنه قد وعدهم ذلك جزاءً لهم على توحيده ﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم: ٦].

---

(١) (ض)(ط): مَدّ.

(٢) «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/١٩٥).

(٣) (ط): مات معاذ.

(٤) (هـ) (ط): وقد.

(٥) البخاري في «الصحيح» رقم (٢٨٥٦).

(٦) (ض): قلت. ساقطة.

(٧) جُرَيْجُ بنُ مِيني القِبطي، وقد عُدَّ في الصحابة. ولكن أخرج ابنُ سعد في «الطبقات» (١/١٣٤)، عن عبدالحميد بن جعفر عن أبيه، وابن زَبَالة في «المنتخب من كتاب أزواج النبي» ﷺ (/٦٥) عن عبدالله بن حارثة بن النعمان: أنه أهدى للنبي ﷺ ما أهداه، وأكرم رسوله ولم يُسلم. والمقوقس لقبٌ لكل من حكم مصر في ذلك الزمان. «القاموس» (٢/٢٤٢).

(٨) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٨/٢١٢) عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة.

(٩) «كتاب التوحيد» المسالة الحادية والعشرون.

قال شيخُ الإسلام: كونُ المطيع يستحق الجزاءَ، هو استحقاق إنعامٍ وفضلٍ. ليس هو استحقاق مقابلة، كما يستحق المخلوقُ على المخلوق. فمِن الناس، من يقول: لا معنى للاستحقاق إلَّا أنَّه أخبر بذلك ووعْده صدقٌ. ولكنّ أكثرَ الناس يُثبتون استحقاقاً زائداً على هذا؛ كما دلَّ عليه الكتابُ والسنة؛ قال تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين﴾ [الروم: ٤٧]، لكن أهلُ السنة يقولون: هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب على نفسه الحقَّ، لم يوجبه عليه مخلوق.

والمعتزلةُ يدَّعون أنَّه واجبٌ عليه بالقياس على المخلوق[١]، وأنَّ العبادَ همُ الذين أطاعوه بدون أنْ يجعلَهم مُطيعين له، وأنَّهم يستحقون الجزاء بدون أنْ يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك.

وهذا البابُ غَلِطت فيه الجبريةُ القدرية[٢] أتباع جهم، والقدرية النافية[٣].

قوله: (قلتُ: الله ورسوله أعلم). فيه: حُسن الأدب من المتعلم، وأنَّه ينبغي لمن سُئل عمّا لا يعلم أنْ يقول ذلك، بخلاف أكثر المتكلِّفين[٤].

قولـه: «أنْ يعبدوه ولا يشركوا به شيئا» أي: يوحِّدوه بالعبادة. ولقد أحسن العلاَّمةُ ابن القيم، حيث عرَّف العبادة/ بتعريفٍ جامع، فقال: [١١/أ]

---

(١) (م): الخلق.

(٢) الأصل و (هـ) و (ط): والقدرية.

(٣) هم القدريةُ المعتزلة، والفرقُ بينهما: أنَّ القدرية من المعتزلة، ترى عدم شمول إرادة الله لعمل الإنسان أياً كان نوعه، بينما ترى القدرية الجبرية من الجهمية: تناول إرادة الله لما وجد من عمله دون ما لم يوجد. ويتفقون جميعاً على أنَّ إرادة الله هي محبَّته ورضاه؛ وذلك انطلاقاً من عقيدتهم القائمة على عدم إثبات محبة الله لبعض الأمور المخلوقة دون بعض. وهذا هو أساس إنحرافهم. أما مذهبُ أهل السنة والجماعة فيقوم على التفريق بين المشيئة والمحبة. ينظر «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٣٠٠ ـ ٣٦٠).

(٤) الأولى احالة الأمر إلى علم الله وحده، حيث لم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ، فيما نعلم.

وعبادةُ الرحمن غايةُ حُبِّه مع ذُلِّ عابده هما قُطبانِ
وعليهما فلكُ العبادة دائرٌ مادار حتى قامتِ القطبان
ومدارُهُ بالأمرِ أمرِ رسولِه لا بالهوى والنفسِ والشيطان[١]

قوله: «ولا يُشركوا به شيئا» أي: يوحِّدوه بالعبادة، فلابُدَّ من التجرُّد من الشرك في العبادة. ومَن لم يتجرَّد من الشرك، لم يكن آتياً بعبادة الله وحده[٢]، بل هو مشركٌ، قد جعل لله ندّاً.

وهذا معنى قول المصنف رحمه الله تعالى: وفيه: أنَّ العبادةَ هي التوحيدُ؛ لأنَّ الخصومةَ فيه[٣].

وفي بعض الآثار الإلهية: إني والجنُّ والإنس في نبأٍ عظيم، أخلقُ ويُعبد غيري، وأرزقُ ويُشكر سواي[٤]. خيري إلى العباد[٥] نازل، وشرُّهم إليَّ صاعد، أتحبَّبُ إليهم بالنعم، ويتبغَّضون إليَّ بالمعاصي[٦].

قوله: «وحقُّ العباد على الله أنْ لا يُعذِّب من لا يُشرك به شيئاً». قال الحافظ: اقتصر على نفي الإشراك؛ لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء، ويستدعي إثباتَ الرسالة باللزوم. إذ من كذَّب رسولَ الله ﷺ فقد كذَّب الله، ومن كذّب الله فهو

---

(١) ابن القيم: «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (٣٢).
(٢) (ض)(م): وحده. ساقطة.
(٣) الإمام محمد بن عبدالوهاب، المسألة الثانية.
(٤) (هـ): سوائي.
(٥) (ض): عبادي.
(٦) أخرجه الطبراني في «مُسند الشاميين»، والحاكم في «التأريخ»، والبيهقي في «شعب الايمان»، والديلمي في «مسند الفردوس» كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٥) والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» كما في «الكنز» (١٦/ ٣) مرفوعا عن حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

مشرك. أو[١] هو مثلُ قولِ القائل: من توضأ صحَّت صلاتُه، أي: مع سائر الشروط. انتهى[٢].

قوله: (أفلا أبشِّرُ الناس). فيه: استحبابُ بشارة المُسلِم، بما يَسرُّه[٣]، وفيه: ما كان عليه الصحابةُ من الاستبشار بمثل هذا. قاله المصنِّفُ رحمه الله تعالى.

قوله: «لا تُبشرهم فيتَّكلوا». أي: يعتمدوا على ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال.

وفي رواية: فأخبر بها مُعاذُ عند موته، تأثماً[٤]. أي: تحرُّجاً من الإثم.

قال الوزير، أبوالمظفَّر[٥]: لم يكن يكتمها إلَّا عن جاهلٍ، يحمله جهلُه على سُوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة. فأمَّا الأكياسُ، الذين إذا سمعوا بمثل هذا زادوا في الطاعة[٦]، ورأوا أنَّ زيادة النعم تستدعي زيادةَ الطاعة، فلا وجه لكتمانها عنهم[٧].

وفي الباب من الفوائد، غيرُ ما تقدَّم: الحثُّ على إخلاص العبادة لله تعالى، [١١/ب] وأنها لا تنفع مع الشرك بل لا تُسمَّى عبادة. والتنبيهُ على عَظمة حق الوالدين، وتحريم عقوقهما. والتنبيهُ على عظمة الآيات المحكمات[٨] في سُورة الأنعام[٩].

---

(١) جميع النسخ: و. والمثبت من «الفتح».

(٢) ابن حجر العسقلاني: «فتح الباري» (١/ ٢٢٨).

(٣) الإمام محمد بن عبدالوهاب: «المسألة السابعة عشرة».

(٤) البخاري في «الصحيح» رقم (١٢٨).

(٥) يحيى بن محمد بن هُبيرة، العالم العادل، السلفي الأثري، له كتاب «الافصاح عن معاني الصحاح» وغيره (ت ٥٦٠) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٤٢٦).

(٦) (ض): ازدادوا طاعة.

(٧) عنهم: معلقة في هامش الأصل وبجوارها صح.

(٨) (ض) المحكمات. ساقطة.

(٩) الإمام محمد بن عبدالوهاب: «المسألة التاسعة».

وجوازُ كِتمان العلم للمصلحة[١].

قوله: (أخرجاه). أي: البخاريُّ، ومسلم.

والبخاري: هو الإمام، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بَرِدزْبَه الجُعفي مولاهم، الحافظ الكبير، صاحب (الصحيح) و (التأريخ) و (الأدب المُفرد)[٢]، وغيرِ ذلك من مصنفاته.

روى عن: الإمام أحمد بن حنبل، والحُمَيدي[٣]، وابن المَديني[٤]، وطبقتهم.

وروى عنه: مسلمٌ، والنسائي، والترمذي، والفِرَبري[٥] راوي[٦] (الصحيح).

ولد سنة أربعٍ وتسعين ومائة، ومات سنة ستٍ وخمسين ومائتين[٧].

ومسلم[٨]: هو ابن الحجاج بن مسلم، أبوالحسين، القُشيري النيسابوري، صاحب (الصحيح) و(العلل) و(الوحدان)، وغير ذلك. روى عن: أحمد بن

---

(١) الإمام محمد بن عبدالوهاب: «المسألة السادسة عشرة».

(٢) كلها مطبوعة متداولة، والحمد لله.

(٣) أبوبكر، عبدالله بن الزبير بن عيسى القرشي، ثقة حافظ فقيه. قال الحاكم: كان البخاري إذا وجد الحديث عند الحميدي لا يعدوه إلى غيره. (ت ٢١٩) «تقريب» (/٣٠٣).

(٤) أبـو الحسن، علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح السعدي، مولاهم البصري، ثقة ثبت إمام، قال البخاري: ما استصغرت نفسي ألَّا عند علي بن المديني. (ت ٢٣٤). «تقريب» (١/٤٠٣).

(٥) أبو عبدالله، محمد بن يوسف بن مطر بن صالح، منسوبٌ إلى فَرَبْر. وهي بلدة على طرف جيحون، مما يلي بُخاري (ت ٣٢٠) «اللباب» (٢/٤١٨).

(٦) (ط): روى. تحريف.

(٧) ينظر: الذهبي: «تذكرة الحفاظ» (٢/٥٥٥).

(٨) ينظر: في ترجمته، الذهبي، «تذكرة الحفاظ» (٢/٥٩٠).

حنبل، ويحيى بن مَعين، وأبي خيثمة، وابن أبي شيبة وطبقتهم، وروى عن البخاري[١] (صحيحه)[٢].

وروى عنه: الترمذي[٣]، وإبراهيم بن محمد بن سفيان[٤] راوي (الصحيح)[٥] وغيرهما.

ولد سنة أربعٍ ومائتين، ومات سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور[٦]، رحمهما الله تعالى.

---

(١) (ض): وروى عن البخاري، ساقط.

(٢) (ض)(هـ)(ط): صحيحة. ساقطة.

(٣) روى عنه الترمذي حديثاً واحداً. «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٢/٥٨٨).

(٤) العالم الفقيه. الذهبي، «المصدر السابق».

(٥) في هامش (ض): لعله الصحيحين.

(٦) منطقة واسعة في شرق بلاد فارس، مما يلي بحر قزوين. من أشهر مدنها: بيهق وباخرز وبشت، فتحت في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٣١ هـ. ولم تزل بلاد إسلام حتى استحوذ عليها الرافضة. ينظر البلاذري «فتوح البلدان» (٣٩٥).

(١)
بـــاب
بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ بيان[١] فضلِ التوحيد وما يكفِّر من الذنوب.

ش: (باب): خبرُ مبتدأ محذوف، تقديرُه: هذا.

قلتُ: ويجوز أنْ يكون مبتدأً خبرُه محذوف، تقديره: هذا[٢].

و: (ما). يجوز أنْ تكون موصولة، والعائد محذوفٌ. أي: وبيانُ الذي يكفِّرُهُ من الذنوب. ويجوز أنْ تكون مصدرية، أي: وتكفيره الذنوب، وهذا الثاني أظهر.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا إيمانهم بظلمٍ أُولئك لهم الأمنُ وهم مُهتدون﴾ [الأنعام: ٨٢].

ش: قال ابنُ جرير: حدَّثني المُثَنَّى ـ وساق بسنده ـ عن الربيع بن أنس، قال: الإيمان: الإخلاصُ لله وحده[٣].

وقال ابنُ كثير ـ في الآية ـ: أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادةَ لله وحده، ولم يُشركوا به شيئاً: هم الآمنون يوم القيامة، المُهتدون في الدنيا والآخرة[٤].

---

(١) (ط): بيان. ساقطة.

(٢) (ض): باب هذا.

(٣) ابن جرير «التفسير» (١١/ ٤٩١).

(٤) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٨٨).

وقال ابنُ زيد[١]، وابنُ إسحاق: هذا من الله على فَصل القضاء، بين إبراهيم وقومه[٢].

وعن ابن مسعود: لمَّا نزلت هذه الآيةُ، قالوا: فأيُّنا لم[٣] يظلم نفسه؟.

قال عليه السلام[٤]: ﴿إنّ الشرك لظلمٌ عظيم﴾ [لقمان: ١٣].

[١٢/أ] وساقه البخاريُّ/ بسنده[٥]، فقال[٦]: حدَّثنا عُمرُ بن حفص[٧]، حدثنا أبي، حدثنا الأعمشُ، حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله رضي الله عنه، قال: لمَّا نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يَلْبِسوا إيمانهم بظلم﴾ قلنا: يارسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بشرك[٨]. أوَلم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يابُنيَّ لاتُشرك بالله إنَّ الشرك لظلمٌ عظيم﴾[٩]»[١٠].

[١١]وهذا الحديثُ في (الصحيح) و(الـمُستدرك) وغيرهما[١١].

---

(١) (هـ)(ط): زيد بن أسلم، تحريف.

(٢) «تفسير الطبري» (١١/٤٩٣).

(٣) (م): لا.

(٤) (ط): فقال رسول الله ﷺ ليس بذلكم، ألم تسمعوا إلى قول لقمان.

(٥) (م)(ض): بسنده. ساقطة.

(٦) (ض): وسياق البخاري.

(٧) (ض)(م)(هـ)(ط): حفص بن غياث.

(٨) (م): أي بشرك.

(٩) صحيح البخاري الأرقام (٣٢، ٣٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩، ٤٧٧٦، ٦٩١٨، ٦٩٣٧)، وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (١٢٤) والطبري في «التفسير» الأرقام (١٣٤٧٦ - ١٣٤٧٩) والحاكم في «المستدرك» (٢/٣٠٦).

(١٠) (ض): عظيم وعن عمر رضي الله عنه أنه فسر.

(١١) ما بينهما ساقطٌ من (م) و(هـ) و(ط) ومعلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

ولأحمد بنحوه[١]، عن عبدالله، قال[٢]: لَمَّا نزلت: ﴿الذين آمنوا ولم يَلْبِسوا إيمانهم بظلم﴾ شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: يارسول الله، فأيُّنا لا[٣] يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنون، أَلَم تسمعوا ما قال العبدُ الصالح: ﴿يابُني لاتُشرك بالله إنَّ الشرك لظلمٌ عظيم﴾، إنما هو الشرك»[٤].

وعن عُمر: أنَّه فسَّره بالذنب. فيكون المعنى[٥]: الأمنُ من كلِّ عذاب. وقال الحسن، والكلبي: أولئك لهم الأمنُ في الآخرة، وهم مُهتدون في الدنيا[٦][٧].

قال شيخُ الإسلام: والذين[٨] شَقَّ عليهم، ظنوا[٩] أنَّ الظلم المشروط[١٠] هو ظُلمُ العبدِ نفسه[١١]، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلَّا لمن لم يظلم نفسه. فبيَّن لهم النبيُّ ﷺ ما دلَّهم على[١٢] أنَّ الشرك ظلمٌ في كتاب الله، فلا يحصل الأمنُ والاهتداء إلَّا

---

(١) (ض): وفي لفظ لأحمد.

(٢) (ط): قال. ساقطة.

(٣) (م): لم.

(٤) «المسند» الأرقام (٣٥٨٩، ٤٠٣١، ٤٢٤٠)، والطبري في «التفسير» رقم (١٣٤٨٠)، والترمذي في «الجامع» رقم (٣٠٦٩)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٢/٢١٣)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٣/٢٨٨)، وابن المنذر، والدارقطني في «الأفراد» وأبو الشيخ، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٣/٣٠٨).

(٥) (ض): المعنى. ساقطة.

(٦) يُنظر «تفسير الطبري» (١١/٥٠٤).

(٧) (ض): في الدنيا وهذا الحديث أي المتقدم في «الصحيح والمستدرك» وغيرهما.

(٨) (هـ)(ط): والذي.

(٩) (ط): أنهم ظنوا.

(١٠) (ط): المشروط عدمه.

(١١) (ض): لنفسه.

(١٢) (ض)(م): على. ساقطة.

لمن لم(١) يَلْبِس إيمانه بظلم(٢)، فإنَّ من(٣) لم يلبس إيمانه بهذا الظلم(٤)، كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان من أهل الإصطفاء، في قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتابَ الذين اصْطَفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه﴾ [الآية فاطر: ٣٢].

[و](٥) هذا لا ينفي(٦) أن يؤاخذ أحدُهم بظلمه لنفسه، بذنب إذا لم يتب؛ كما قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يرَه. ومن يعمل مثقالَ ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٦ - ٧].

وقد سأل أبوبكر الصديق رضي الله عنه النبيَّ ﷺ، فقال: يارسول الله، أيُّنا لم يعمل سوءاً؟! فقال: «ياأبابكر ألست تنصَب؟ ألست تحزن، أليس يصيبك الَّلأواء(٧)؟! فذلك ما تُجزون به»(٨).

---

(١) (ض): لا.

(٢) (ض)(م)(هـ)(ط): بهذا الظلم.

(٣) (ض)(م): فمن.

(٤) (ض): به.

(٥) إضافة من (ض) و (ط) و «الكلام على حقيقة الاسلام».

(٦) (ض): ينبغي.

(٧) الشدة وضيق المعيشة. «النهاية» (٤/ ٢٢١).

(٨) أخرجه أحمد في «المسند» الأرقام (٦٨ - ٧١)، والمروزي في «مسند» أبي بكر رقم (١١١)، والطبري في «التفسير» الأرقام (١٠٥٢٣ - ١٠٥٢٨)، وابن حبان رقم (١٧٣٤) (موارد)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٤) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن» (٣/٣٧٣) وأبو يعلى في «المسند» رقم (٩٨-١٠١)، وهنَّاد، وعبد بن حُميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، والبيهقي في «شعب الإيمان» كما في «الدر المنثور» (٢/ ٦٩٦)، والضياء في «المختارة» رقم (٦٩، ٧٠). ويشهد له ما أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٥٧٤)، والترمذي في «السنن» رقم (٣٠٣٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/٢٤٩)، وأحمد في المسند رقم (٧٣٨٠)، والبيهقي في «السنن» (٣/٣٧٣)، والطبري في «التفسير» رقم (١٠٥٢٠)، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردوية كما في «الدر المنثور» (٢/ ٦٩٧) عن أبي هريرة، قال: لما نزلت: ﴿من يعمل سوءاً =

فبيَّن: أنَّ المؤمن الذي إذا مات دخل الجنة، قد يُجزى بسيئاتِهِ في الدنيا بالمصائب.

ـ قال ـ[١]: فمن سَلِم من أجناس الظلم الثلاثة: الشركِ، وظلم العباد، وظلمه لنفسه بما دون الشرك، كان له الأمنُ التام / والاهتداء التام. ومن لم يسْلَم [١٢/ب] من ظلمه لنفسه[٢]، كان له[٣] الأمنُ والاهتداء مطلقاً[٤].

بمعنى: أنَّه لابُدَّ أنْ يدخل الجنة، كما وُعد بذلك في الآية الأخرى. وقد هداه الله إلى الصراط المستقيم، الذي تكون عاقبتُه فيه إلى الجنة. ويحصل له من نقصِ الأمن والاهتداء، بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه.

ليس[٥] مرادُ النبي ﷺ بقوله: «إنما هو الشرك» أنَّ من لم يُشرك الشرك الأكبر، يكونُ له الأمنُ التام والاهتداء التام. فإنَّ أحاديثه الكثيرة، مع نصوص القرآن: تبيِّنُ أنَّ أهل الكبائر مُعرَّضون للخوف، لم يحصل لهم الأمنُ التام والاهتداء التام الذي[٦] يكونون به[٧] مُهتدين إلى الصراط المستقيم، صراطِ الذين أنعم الله عليهم، من غير عذاب يحصل لهم. بل معهم أصلُ الاهتداء إلى هذا الصراط، ومعهم أصل نعمةِ الله تعالى عليهم، ولابُدَّ لهم من دخول الجنة.

= يجز به﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا. ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة. حتى النكبة يُنكبها، أو الشوكة يشاكها».

(١) (ط): قال. ساقطة.

(٢) (ض)(م): ظلم نفسه.

(٣) (م): له من.

(٤) (ط): المطلق.

(٥) (ط): وليس.

(٦) (هـ): الذين.

(٧) (ط): بهما.

وقوله: «إنما هو الشرك» إنْ أراد الأكبر، فمقصودُه: أنَّ من لم يكن من أهله فهو آمنٌ مما وُعِدَ[١] به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة. وإنْ كان مرادُه جنس الشرك[٢]، فيقال[٣]: ظُلْمُ العبد لنفسه[٤]، كبُخله ـ بحُب[٥] المال ـ ببعض[٦] الواجب هو شِركٌ أصغر. وحُبِّه ما يبغضه الله تعالى، حتى يقدِّم هواه على محبة الله شركٌ أصغر، ونحو ذلك. فهذا فاته من الأمن والاهتداء، بحسبه. ولهذا كان السلفُ يُدخلون الذنبَ[٧] في هذا الشرك[٨]، بهذا الاعتبار. انتهى مُلخصاً[٩].

وقال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يَلْبسوا إيمانهم بظلمٍ أولئك لهم الأمن وهم مُهتدون﴾. قال الصحابة: وأيُّنا يارسول الله لم يَلْبِس إيمانه بظلم؟. قال: «ذلك الشرك. ألَمْ تسمعوا قولَ العبد الصَّالح ﴿إنَّ الشركَ لظلمٌ عظيم﴾ فلما[١٠] أشكل عليهم المرادَ بالظلم، فظنُّوا أنَّ ظلمَ النفس داخلٌ فيه، وأنَّ من ظلم نفسه ـ أيَّ ظلمٍ كان ـ لم يكن آمناً ولا مهتدياً. أجابهم صلوات الله وسلامه عليه: بأنَّ الظلم الرَّافع للأمن والهداية على الإطلاق، هو الشرك.

وهذا والله، هو[١١] الجوابُ الذي يشْفي العليلَ ويروي الغليل؛ فإنَّ الظلمَ

---

(١) (ط): أوعد.

(٢) في الأصل: الظلم.

(٣) (ط): يقال.

(٤) (ض)(م)(هـ)(ط): نفسه.

(٥) (ض)(هـ)(ط): لحب.

(٦) الأصل و (م): لبعض.

(٧) (هـ)(ط): الذنوب.

(٨) (ض): الظلم.

(٩) ابن تيمية، «الكلام على حقيقة الإسلام» (١٢٢-١٢٤).

(١٠) (ط): لما.

(١١) (ض): هو. ساقطة.

المطلق التام: هو الشرك، الذي هو/ وضعُ العبادة في غير موضعها. والأمن [١٣/أ] والهُدى المطلق: هو[1] الأمن في الدنيا والآخرة، والهُدى إلى الصراط المستقيم. فالظلمُ المطلق التام، رافعٌ للأمن والهُدى[2] المطلق التام. ولا يمنع ذلك أنْ يكون مطلقُ الظلم مانعاً من مطلق الأمن، ومطلق الهُدى. فتأمَّله. فالمطلقُ للمطلق، والحصَّةُ للحصة. انتهى ملخصاً[3].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عُبادةَ بن الصامت رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من شهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله، وأنَّ عيسى عبدالله ورسوله، وكلِمَتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، والجنَّةَ حقٌّ والنارَ حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» أخرجاه[4].

ش: عُبادة بن الصامت: ابن قيس الأنصاري الخزرجي، أبوالوليد، أحد النقباء، بدريٌّ مشهور. مات بالرَّملة[5] سنة أربعٍ وثلاثين، وله اثنتان وسبعون سنة[6]. وقيل: عاش إلى خلافة مُعاوية.

قوله: «من شهد أنْ لا إله إلَّا الله» أي: من تكلَّم بها عارفاً لمعناها، عاملاً

---

(١) (ط): هما. تحريف.

(٢) (ط): وللاهتداء.

(٣) ابن القيم، «الصواعق المرسلة» (١/٢٢١).

(٤) البخاري في «الصحيح» رقم (٣٤٣٥)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٨)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٦٤٠)، وأحمد في «المسند» (٥/٣١٤).

(٥) عُلِّق في هامش الأصل: موضع بالشام. وكتب عليه حرف (ح) إشارة إلى أنه حاشية. والرَّملةُ مدينة في بلاد فلسطين السليب بالقرب من اللُّد، بين يافا والقُدس.

(٦) (ط): سنة. ساقطة.

بمقتضاها باطناً وظاهراً[١]؛ كما قال تعالى: ﴿فاعلم أنَّه لا إله إلا الله﴾. [محمد: ١٩] وقوله: ﴿إلَّا من شَهد بالحق وهم يعلمون﴾. [الزخرف: ٨٦].

أمَّا النطقُ بها من غير معرفة بمعناها[٢]، ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه، من نفي[٣] الشرك وإخلاص القول والعمل ـ قولِ القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح ـ فغيرُ نافعٍ بالإجماع.

قال[٤] في (المُفهِم على صحيح مسلم)[٥]: بابٌ لا يكفي مجرَّد التلفظ بالشهادتين، بل لابُدَّ من استيقان القلب.

هذه الترجمة تنبيهٌ[٦] على فساد مذهب المُرْجِئة[٧]، القائلين بأنَّ[٨] التلفظ بالشهادتين كافٍ في الايمان.

وأحاديثُ هذا الباب تدلُّ على فساده، بل هو مذهبٌ معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها. ولأنه يلزم منه تسويغُ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح، وهو باطلٌ قطعاً. انتهى.

وفي هذا الحديث مايدل على هذا، وهو[٩] قوله: «من شهد» فإنَّ الشهادة لا

---

(١) (ض)(هـ)(ط): وظاهراً. فلابد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها.

(٢) (ط): لمعناها.

(٣) (ط): من البراءة من.

(٤) (ط): قال القرطبي.

(٥) المفهم في شرح مختصر مسلم، لأبي العباس أحمد بن إبراهيم القُرطبي (ت ٦٥٦). مخطوط، ينظر «الديباج» (١/ ٤١).

(٦) (ض): تنبه.

(٧) (ض)(م)(هـ)(ط): غلاة المرجئة.

(٨) (م)(ض): أن.

(٩) (م): هو. ساقطة.

تصلح [١] إلَّا إذا كانت عن علم ويقين [٢] . / [١٣/ب]

قال النـووي : هذا حديثٌ عظيمٌ جليل المـوقع، وهو أجمعُ ـ أو من أجمع ـ الأحاديثِ المشتملة على العقائد؛ فإنَّه ﷺ جمع فيه مايُخرج من مِلل الكفر، على اختلاف عقائدهم وتباعُدها، فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف على مايُبايَن [٣] [به] [٤] جميعُهم . انتهى [٥].

ومعنى : لا إلـه إلَّا الله . أي [٦] : لا معبودَ حقٌ [٧] إلَّا الله [٨] . وهو في مـواضعَ [٩] مـن القرآن، ويأتيك في قول البَقَاعي [١٠] صريحاً.

قوله : «وحْدَه» تأكيدٌ للإثبات . «شريك له» تأكيدٌ للنفي . قاله الحافظ؛ كما قال تعالى : ﴿وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إله إلَّا هو الرحمنُ الرحيم﴾ . [البقرة: ١٦٣]، وقال : ﴿وماأرسلنا من قبلك من رسولٍ إلَّا نُوحي إليه أنّه لا إله إلَّا أنا فاعبدون﴾ [الانبياء: ٢٥]، وقال : ﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيرُه﴾ . [الأعراف: ٦٥]. فأجابوا [١١] ـ رداً عليه ـ بقولهم : ﴿أجئتنا لنعبُد الله وحدَه ونذرَ ماكان

---

(١) (ض)(م)(هـ)(ط) : تصح .
(٢) (ض)(م)(هـ)(ط) : ويقين وإخلاص . وصدق.
(٣) (هـ) : باين.
(٤) إضافة من (م) و (ض) و«المنهاج».
(٥) النووي، «المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١/ ٢٢٧).
(٦) (ط) : أي . ساقطة.
(٧) (ط) : بحق.
(٨) (ض) : الله وحده.
(٩) (ط) : في غير موضع . (هـ) في موضع
(١٠) أبو الحسن، إبراهيم بن عمر الشافعي . مفسر، مؤرخ. (ت ٨٨٥) «شذرات الذهب» (٧/ ٣٤٠).
(١١) (ط) : فأجابوه.

يعبدُ آباؤُنا﴾. [الأعراف: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿ذلك بأنَّ الله هو الحقُّ وأنَّ مايدعونَ من دُونه هو الباطلُ وأنَّ الله هو العليُّ الكبير﴾ [الحج: ٦٢].

فتضمَّن ذلك: نفيَ الإلهية عمَّا سوى الله، وهي العبادة، وإثباتَها لله وحده لا شريك له.

والقـرآنُ من أوَّلـه إلى آخره، يُبيِّنُ هذا ويقرِّرهُ ويُرشد إليه. فالعبادةُ بجميع أنواعها، إنما تصدر عن تألُّهِ القلب بالحب والخضوع والتذلل، رَغَباً ورَهَباً. وهذا كلُّه[1] لا يستحقه إلَّا الله تعالى، كما تقدم في أدلة هذا الباب وماقبله.

فمن صرف من ذلك شيئاً لغير الله، فقد جعله نِداً لله[2]، فلا ينفعه مع ذلك قولٌ ولا عمل.

ذِكرُ كلام العُلماء في معنى: الإله[3].

قد تقدَّم كلامُ ابن عباس[4].

وقال الوزير، أبو المظفر في (الإفصاح)[5]: قوله: «شهادة أنْ لا إله إلَّا الله» يقتضي أنْ يكونِ الشاهدُ عالماً بأنْ[6] لا إله إلَّا الله؛ كما قال تعالى: ﴿فاعلم أنَّه لا إله إلَّا الله﴾.

- قال -: واسم الله. مرتفعٌ بعد إلَّا؛ من حيثُ أنّه الواجبُ له الإلهية، فلا يستحقها غيرهُ سبحانه.

(١) (ط): كل.

(٢) (هـ)(ط): لله نداً.

(٣) (هـ)(ط): لا إله إلا الله.

(٤) الصفحة ( ).

(٥) كتاب «الافصاح عن معاني الصحاح» طُبع منه جزآن، وبقي أكثره.

(٦) (ط): بأنه.

ـ قال ـ: وجملةُ الفائدة في ذلك[١]: أنْ تعلم أنَّ هذه الكلمة مشتملةٌ على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنَّك لمَّا نفيت الإلهيةَ وأثبت الإيجاب لله تعالى كُنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله.

وقال[٢] في (البدائع) ـ ردًّا لقول من/ قال: إنَّ المُستثنى مُخرجٌ من المنفي ـ [١٤/أ] قال[٣]: بل هو مخرجٌ المنفي[٤] وحُكمِه، فلا يكون داخلاً في المنفي[٥]. إذ لو كان كذلك، لم يدخل الرجلُ في الاسلام بقول[٦]: لا إله الا الله؛ لأنه لم يُثبت الإلهيةَ لله تعالى. وهذه[٧] أعظمُ كلمة تضمَّنت[٨] نفيَ الإلهية عمَّا سِوى الله، وإثباتَها له بوصف الاختصاص. فدلالتُها على إثبات إلهيته[٩]، أعظمُ من دلالة قولنا: الله إلهٌ. ولا يستريب أحدٌ في هذا، البتَّة. انتهى بمعناه[١٠].

[قلتُ: ولا ريب أنَّه لم يدخل في المنفي أصلاً؛ لأنَّ المراد من هذه الكلمة: إفرادُهُ تعالى بالإلهية في قلب الموحِّد وقوله وعمله، كما دلَّت عليه الآيات المُحكمات، كما أخبر عن دعوة رُسله ﴿أنْ اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيرُه﴾ المؤمنون/٣٢ فنفوا الإلهيةَ عمَّا سوى الله تعالى، وأثبتوها لله وحده.

---

(١) (م): ذلك. ساقطة.

(٢) (ط): وقال ابن القيم. وعلق في هامش (ض): يعني ابن القيم.

(٣) (ط): المستثنى منه.

(٤) (ط): قال ابن القيم.

(٥) (ط): المستثنى.

(٦) (م)(ط): بقوله.

(٧) (م): وهذا.

(٨) (ط): تضمنت بالوضع.

(٩) (م): الالهية.

(١٠) ابن القيم، «بدائع الفوائد» (٥٨/٣).

فإنه تعالى هو المتصفُ بتفرُّده بالإلهية، أزلاً وأبداً؛ كما قال تعالى: ﴿ذلك بأنَّ الله هو الحقُّ وأنَّ مايدعون من دونه هو الباطل﴾ [الحج: ٦٢]. وأخبر تعالى عن المُشركين، أنهم قالوا: ﴿أجئتنا لنعبُد الله وحده﴾. [الأعراف: ٧٠].

أرادوا أنْ يُدخلوه في جُملة آلهتهم في العبادة، وأنكروا أنْ تكون العبادةُ له وحده، مع معرفتهم أنَّ: لا إله إلَّا الله. تبطلُ ذلك.

وتسويةُ آلهتهم بالله في العبادة: هو الشرك الأكبرُ، الذي يوجِبُ الخلود في النار. فالموحِّدُ، مخالفٌ للمشرك في قوله وفعله ونيَّته. وهذا ظاهرٌ لاخفاءَ به، بحمد الله][1].

وقال أبو عبدالله، القُرطبي، في تفسير[2] لا إله إلّا هو[3]. أي: لا معبودَ إلَّا هو[4].

وقال الزَّمخشري[5]: الإله. من أسماء الأجناس، كالرجل والفَرس، يقع على كل معبودٍ بحق أو بباطل[6]، ثم غلب على المعبود بحق[7].

قال شيخُ الإسلام: الإله. هو المعبودُ المُطاع؛ فإنَّ[8] الإله هو المألوه، والمألُوه[9]: هو الذي يستحق أنْ يُعبد، وكونُه يستحق أنْ يُعبد[10] هو بما اتصف به

---

(١) ما بينهما ساقطٌ من الأصل و (م) و(هـ) و(ط).

(٢) (م)(هـ): تفسيره.

(٣) (هـ)(ط): الله.

(٤) والصواب أن يُقال: لا معبود بحق إلّا هو.

(٥) أبوالقاسم، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، لغويٌ، مفسر. من كبار المعتزلة (ت ٥٣٨) «اللسان» (٦/٤).

(٦) (هـ)(ط): باطل.

(٧) الزمخشري، «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» (١/٣٦).

(٨) (م): فإنه.

(٩) والمألوه. معلّق في هامش الأصل وبجواره كلمة صح.

(١٠) (ض): أن يعبد. ساقط.

من الصفات التي تستلزم [١] أنْ يكون هو المحبوبُ غايةَ الحب، المخضُوع له غايةَ الخضوع [٢].

[٣] وقال رحمه الله تعالى: فإنَّ الإله هو المحبوبُ المعبود، الذي تألَهُهُ القلوبُ بحبها، وتخضعُ له وتذلُّ له وتخافه وترجوه، وتُنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهمَّاتها، وتتوكلُ عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئنُّ بذكره، وتَسكُن إلى حبه. وليس ذلك إلَّا لله وحده؛ ولهذا كانت: لا إله إلَّا الله. أصدقَ الكلام، وكان أهلُها أهلَ الله وحزبَه، والمنكرون لها أعداءه[٤] وأهلَ غضبه ونقمته. فإذا صحَّت صحَّ بها كلُ مسألةٍ، وحالٍ، وذوق. وإذا لم يُصحِّحها العبدُ فالفسادُ لازمٌ له، في علومه وأعماله[٣][٥].

وقال ابنُ القيم: الإله. هو الذي تألَهُهُ القلوبُ محبةً وإجلالاً، وإنابة وإكراماً، وتعظيماً وذُلّاً، وخضوعاً وخوفاً، ورجاءً وتوكلا[٦].

[٧]وقال ابنُ رجب: الإله. هو الذي يُطاعُ فلا يُعصى، هيبةً له وإجلالاً ومحبةً، وخوفاً ورجاءً وتوكلاً عليه[٧]، وسؤالاً منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك[٨] كلُّه إلَّا لله عز وجل. فمن أشرك مخلوقاً في شيءٍ من هذه الأمور التي هي من خصائص

---

(١) (ض): يستلزم.
(٢) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٠/٢٤٩).
(٣) ما بينهما ساقط من (ض) و (م) ومعلّق في هامش الأصل وبجواره كلمة صح.
(٤) (هـ): أعداؤه. تحريف.
(٥) ابن تيمية «مجموع الفتاوى» (١٣/٢٠٢).
(٦) ينظر ابن القيم، «مدارج السالكين» (١/٣٢).
(٧) ما بينهما معلّق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.
(٨) (ط): هذا.

الإلهية، كان ذلك قدحاً في إخلاصه، في[١]، قول[٢]: لا إله إلَّا الله، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك[٣].

وقال البِقَاعي: لا إله إلَّا الله. أي: [انتفىٰ][٤] انتفاءً عظيماً أنْ يكون معبودٌ بحقٍ غيرَ الملك الأعـظم. فإنَّ هذا العِلْمَ هو أعظمُ الذِّكرى المُنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون عِلْماً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان[٥] والعملِ بما تقتضيه، وإلَّا فهو جهلٌ صِرْف.

وقال الطيبي: الإِله. فِعال بمعنى مفعول، كالكتاب بمعنى[٦] المكتوب، من أَلِه إلهةً. أي: عَبَدَ عبادةً.

قال الشَّارحُ: وهذا كثيرٌ في كلام العلماء، وإجماعٌ منهم[٧] أنَّ الإِلهَ هو المعبود، خلافاً لما يعتقدُه عُبَّادُ القبور وجهلةُ المتكلمين، من أنَّ معناه: هو[٨] الخالق والقادر على الاختراع[٩]، ونحو ذلك. ويظنون أنَّهم إذا قالوها فقد أتوا من التوحيد بالغاية القُصوى، ولو فعلوا مافعلوا[١٠]: من عبادة غير الله كدعوة الأموات، والاستغاثة بهم في الكربات والنذر لهم في المُلِمَّات، إلى غير ذلك من أنواع العبادات.

---

(١) (ض): من.

(٢) (م): قوله.

(٣) ابن رجب، «كلمة الإخلاص» (٢٣).

(٤) ساقط من الأصل و (م) و (هـ) و (ط).

(٥) (م): لاذ ان، تحريف.

(٦) (ض): مفعول كالكتاب بمعنى. ساقط.

(٧) من هنا ساقطٌ من (م) و (هـ) و (ط) ومعلقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٨) (ض): أنه هو.

(٩) (ض): أو.

(١٠) (ض): ما فعلوا. ساقط.

وما شعروا أنَّ مُشركي العرب وغيرِهم يُشاركونهم في الإقرار بهذا المعنى، ويعتقدون أنَّ الله هو الخالقُ القادر على الاختراع، كما قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولُنَّ الله﴾. [الزخرف: ٨٧] وقال: ﴿ولئن سألتهم مَن خلق السموات والأرضَ ليقولُنّ خلقهُن العزيز العليم﴾ [الزخرف: ٩].

فأخبر تعالى عنهم: أنَّهم اتخذوا الأولياء من دونه، وقالوا: ﴿مانعبدهم إلَّا ليُقرِّبونا إلى الله زُلفى﴾ [الزمر: ٤]. فتبًّا لمن كان أبوجهلٍ ورؤوسُ الكفرِ من قريشٍ وغيرهم أعلَمَ منه بمعنى لا إله الا الله!!.

قال تعالى: ﴿إنَّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلَّا الله يستكبرون. ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعرٍ مجنون﴾ [الصافات: ٣٦ ـ ٣٧]. فعرفوا أنَّها تدلُ على ترك عبادةِ معبوداتهم[١].

قلتُ: ودلالتُها على هذا دلالةُ تضمُّن، وأنَّ ذلك يقتضي إخلاصَ العبادة لله وحده. فدلالتُها على نفي الإلهية وعبادتِها، وإفرادِ الله تعالى بالعبادة دلالةُ مُطابقةٍ[٢].

فدلَّت لا إله إلَّا الله[٣]: على نفي العبادة[٤] عن كُلّ ماسوى الله، كائناً من[٥] كان، وإثباتِ الإلهية لله وحده، دون[٦] ماسواه. وهذا هو التوحيدُ الذي دعت إليه الرسلُ/ ودلَّ عليه القرآن من أوَّله إلى آخره؛ كما قال تعالى عن الجن: ﴿قُل أُوحيَ [١٤/

(١) سليمان بن عبدالله، «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» /(٧٦ ـ ٧٧).
(٢) هنا ينتهي السقط.
(٣) (ض): فمدلولها النفي والاثبات.
(٤) (ض)(م)(هـ)(ط): الإلهية.
(٥) (ط). ما.
(٦) (ض)(م)(هـ)(ط): دون كل.

إليَّ أنَّه استمع نفرٌ من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نُشرك بربنا أحدا﴾ [الجن: ١ - ٢].

فلا إله إلاَّ الله: لا تنفع إلاَّ من عرف مدلولَها نفياً وإثباتاً، واعتقد ذلك، وقَبِلَه وعمل به.

وأمَّا من قالها عن[١] غير علمٍ واعتقادٍ وعمل، فقد[٢] تقدَّم كلامُ[٣] العُلماء أنَّ هذا جهلٌ صِرْفٌ. فهو[٤] حجةٌ عليه، بلا ريب.

فقوله في الحديث: «وحدَه لا شريك له». تأكيدٌ، وبيانٌ لمضمون معناها. وقد أوضح الله تعالى ذلك، وبيَّنه في قصَص الأنبياء والمرسلين في كتابه المُبين.

فما أجهلَ عُبَّادَ القُبور بحالهم!!، وما أعظَمَ ماوقعوا فيه[٥]. فإنَّ مُشركي العرب ونحوهم جحدوا لا إله إلاَّ الله، لفظاً ومعنى. وهؤلاء المشركون أقرُّوا بها لفظاً، وجحدوها[٦] معنى.

فتجد أحدَهم يقولُها وهو يألهُ غيرَ الله بأنواع العبادة، كالحُب والتعظيم، والخوف والرجاء، والتوكل والدعاء، وغير ذلك من أنواع العبادة. بل زاد شركُهم على شرك العرب بمراتب؛ فإنَّ أكثرهم[٧] إذا وقع في شدةٍ، أخلصَ الدعاءَ لغير الله تعالى، ويعتقدون أنَّه أسرعُ فرجاً لهم[٨]. بخلاف حال المُشركين الأوَّلين،

---

(١) (هـ)(ط): من.

(٢) (ض): فقد. ساقطة.

(٣) (ض)(م)(هـ)(ط): في كلام.

(٤) (ض)(م)(هـ)(ط): فهي.

(٥) (هـ)(ط): ماوقعوا فيه من الشرك المنافي لكلمة الاخلاص لا إله إلاَّ الله.

(٦) (ض)(م): وجحدوا بها.

(٧) (هـ)(ط): أحدهم.

(٨) (ض)(م)(هـ)(ط): لهم من الله.

فإنهم[1] يُشركون في الرخاء، وأمَّا في الشدائد فإنما يُخلصون لله وحده؛ كما قال تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفُلك دعوا الله مُخلصين له الدين فلمَّا نجَّاهم إلى البر إذا هم يُشركون﴾. [العنكبوت: ٦٥]. الآية[2].

فبهذا تبيَّن[3]: أنَّ مُشركي أهلِ هذه الأزمان، أجهلُ بالله وبتوحيده من مُشركي العرب، ومن قبلهم.

وقوله: «وأنَّ محمدًا عبده ورسوله» أي: وشهد بذلك، وهو معطوفٌ على ماقبله على نِيَّة تكرار العامل.

ومعنى: العبد، هنا: المملوكُ العابد. أي: أنَّه مملوكٌ لله تعالى، والعبوديةُ الخاصة وصْفُه؛ كما قال تعالى: ﴿أليس الله بكافٍ عبده﴾ [الزمر: ٣٦]. فأعلى مراتب العبد، العبوديةُ الخاصة والرسالة.

فالنبيُّ[4]، محمد ﷺ أكملُ الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين[5]. وأمَّا الربوبيةُ والإلهية: فهما حقُّ الله تعالى، لا يُشاركه[6] في شيءٍ منها[7] مَلَكٌ مقرب، ولا نبيٌّ مُرسل.

وقوله: «عبدُه ورسوله» أتى بهاتين الصفتين، وجمعهما دفعاً للإفراط والتفريط/. [١٥/أ]

---

(١) (ط): فانهم كانوا.
(٢) الآية. ليست في (ط).
(٣) (ض)(م)(ط): يتبين.
(٤) (هـ)(ط): فالنبي ﷺ.
(٥) الشريفتين. ليست في (ط).
(٦) (ض)(م)(هـ)(ط): يشركه.
(٧) (ض)(هـ)(ط): منهما.

فإنَّ كثيراً ممَّن يدّعي أنَّه من أُمَّته: أفرط[١] بالغلو قولاً وفعلاً، وفرَّط بترك مُتابعته، واعتمد على الآراء المخالفةِ لما جاء به، وتعسَّف في تأويل أخباره وأحكامه، بصرفها عن مدلولها، والصَّدْف[٢] عن الانقياد لها مع اطِّراحها. فإنَّ شهادة أنَّ محمَّداً عبدُه ورسوله[٣]: تقتضي الإيمانَ به، وتصديقَه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاءَ عمَّا عنه زجر[٤]، وأنْ يُعظَّم أمرهُ ونهيهُ، ولا يُقدَّمَ عليه قولُ أحدٍ كائنًا من كان.

والواقعُ اليومَ وقبلَه[٥] خلاف ذلك! ، فالله المُستعان.

وروى الدّارميُّ في (مُسنده) عن عبدالله بن سلَام رضي الله عنه، أنه كان يقول: إنَّا لنجدُ صفةَ رسول الله ﷺ: إنَّا أرسلناك شاهداً ومُبشِّراً ونذيراً وحِرزا للأُمِّيين. أنت عبدي ورسولي، سمَّيتُه المتوكِّل. ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سخَّاب[٦] بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلَها، ولكن يعفو ويتجاوز. لن[٧] أقبضَه حتى يُقيمَ الملَّة المتعوِّجة، بأن يشهدوا[٨] أن لا إله إلَّا الله، يُفتحَ بها[٩] أعيناً عُميا، وآذاناً صُمَّاً، وقلوباً غُلفاً[١٠].

(١) (م): فرط. تحريف.

(٢) (ط): والصدوف.

(٣) (ض)(م): عبدالله ورسوله (ط) رسول الله.

(٤) (ط): نهى وزجر.

(٥) (هـ)(ط): وقبله ممن ينتسب إلى العلم من القضاة والمفتين.

(٦) (م)(ط): صخاب.

(٧) (م)(ط): ولن.

(٨) (م)(ط): يشهد.

(٩) (م)(هـ)(ط): به.

(١٠) «سنن الدارمي» (١/ ١٤)، وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٧٩)، والآجرى في «الشريعة» (٤٤٩)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٦٠)، ويعقوب بن سفيان في «تأريخه» والطبراني كما في «الفتح» =

قال عطاءُ بن يَسار: وأخبرني أبو واقد الليثي، أنَّه سمع كعبا يقول، مثلَ ماقال ابنُ سلَام[١] [٢].

قوله: «وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه» أي: خلافاً[٣] لما يعتقدُه النصاري، أنَّه الله، أو ابنُ الله، أو[٤] ثالثُ ثلاثة. تعالى الله عمَّا يقولون علوَّاً كبيرا ﴿ما اتخذ الله من ولدٍ وماكان معه من إله﴾. [المؤمنون: ٩١].

فلابُدَّ أنْ يشهد أنَّ عيسى عبدُالله ورسوله. على علمٍ ويقين بأنه مملوكٌ لله، خَلَقه من أُنثى بلا ذكر؛ كما قال تعالى: ﴿إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدمَ خلقه من تُرابٍ ثم قال له كُن فيكون﴾. [آل عمران: ٥٩]. فليس ربَّاً ولا إلهاً، سبحان الله عما يشركون، قال تعالى: ﴿فأشارت إليه قالوا كيف نُكلِّم من كان في المهد صبيًّا. قال إني عبدُ الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا﴾. [مريم: ٢٩ - ٣٠].

وقال: ﴿لن يستنكفَ المسيحُ أنْ يكون عبداً لله ولا الملائكةُ المقرَّبون ومَن يستنكفْ عن عبادته ويستكبر فسيحشُرهم إليه جميعًا﴾. [النساء: ١١٧].

ويشهدُ المؤمنُ أيضاً ببطلان قولِ أعدائه اليهود: أنَّه ولدُ بغيٍّ، لعنهم الله. فلا يصحُّ إسلامُ أحدٍ[٥]، حتى يتبرَّأ[٦] من قول الطائفتين جميعاً[٧] في عيسى عليه

= (٤/٣٤٣)، وأخرجه البخاري في «الصحيح» الرقمان (٢١٢٥، ٤٨٣٨)، وأحمد في «المسند» (٢/١٧٤)، وابن سعد في «الطبقات» (١/٣٦٢) من رواية عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(١) «سنن الدارمي» (١/١٤).

(٢) جميع هذا النص، من قوله: وروى الدارمي إلى هنا. سقط من (م).

(٣) الأصل و (هـ) خلاف.

(٤) (م)(ض): أو أن الله.

(٥) (هـ)(ط): أحد علم ماكانوا يقولونه.

(٦) (ط): يبرأ.

(٧) (م)(ض). جميعاً. ساقطة.

/ب] السلام، ويعتقدَ ماقالَه الله تعالى فيه/ : أنَّه عبدُ الله ورسوله.

قوله: «وكلمتُه» إنما سُمِّي عيسى عليه السلام كلمتُه؛ لوجوده بقوله: كُن. كما قاله السلفُ من المُفسرين[١].

قال الإمـامُ أحمـد في (الرَّد على الجهمية): الكلمةُ[٢] التي ألقاها إلى مريم، [حين][٣] قال له: كُن. فكان عيسى بكن، وليس عيسى هو: كن. ولكن كان بكُن[٤]. فكُن من الله تعـالى قولاً[٥]، وليس: كُن. مخلوقـاً. وكـذَبَ النصارى والجهميةُ على الله في أمر عيسى. انتهى[٦].

وقـولـه: «ألقاها إلى مريم». قال ابنُ كثير: خلَقه[٧] بالكلمة التي أُرسل بها جبرائيلُ عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بأمر ربه عزّ وجل، فكان عيسى بإذن الله عزَّوجل. فهو ناشيءٌ[٨] عن الكلمة ـ التي قال له: كُن، فكان ـ والروح التي أُرسل بها جبرائيل[٩] عليه السلام[١٠]

قوله: «وروحٌ منه» قال أُبيُّ بن[١١] كعب: عيسى روحٌ من الأرواح التي خلقها

---

(١) ينظر «تفسير الطبري» (شاكر) (٦/ ٤١١، ٩/ ٤١٩).

(٢) (ط): بالكلمة.

(٣) إضافة من (ط) و«الرَّد».

(٤) (ط): بكن كان.

(٥) (ط): قول.

(٦) الإمام أحمد، «الرَّدُّ على الجهمية والزَّنادقة فيما شكّوْا فيه من متشابه القرآن وتأوَّلوه على غير تأويله» (اللواء) / (١٢٤).

(٧) (ض): خلقه الله.

(٨) الأصل و (م) و (هـ): ناش.

(٩) (ض)(ط): هو جبريل.

(١٠) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم» (الشعب) (٢/ ٤٣٠).

(١١) الأصل: بن أبي. تحريف.

الله تعالى، واستنطقها بقوله: ﴿ألستُ بربكم قالوا بلى﴾ [الأعراف: ١٧٢] بعثه الله إلى مريمَ، فدخل فيها. رواه عبدُ بن حُميد [١]، وعبدالله بن أحمد في زوائد (المسند) [٢]، وابن جرير [٣]، وابن أبي حاتم [٤]، وغيرُهم [٥].

[٦] قال الحافظ: ووصْفُه بأنَّه منه [٧]، المعنى [٨]: أنَّه كائنٌ منه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وسخَّر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه﴾ [الجاثية: ١٢] فالمعنى: أنَّه كائنٌ منه؛ كما أنّ معنى الآية الأُخرى: أنَّه سخَّر هذه الاشياءَ كائنةً منه. أي: أنَّه مُكوِّنُ ذلك وموجِدُه، بقَدَرِه [٩] وحكمته [٦][١٠].

قال شيخُ الإسلام: المضافُ إلى الله تعالى إذا كان معنىً لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات، وجب أنْ يكون صفةً لله تعالى قائمةً به، وامتنع أنْ تكون إضافتها [١١] إضافةَ مخلوقٍ مربوب.

---

(١) عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٠٠).
(٢) عبدالله بن أحمد، في «المسند» (٥/ ١٣٥) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٥): رواه عبدالله بن أحمد، عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي. وهو مستور، وبقية رجاله رجال الصحيح.
(٣) ابن جرير، «جامع البيان» رقم (١٠٨٥٥).
(٤) عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٠٠).
(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٣) وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن مَنده في «الرد على الجهمية» رقم (٣٣)، وأخرجه أبو الشيخ واللالكائي وابن مردويه والبيهقي في «الأسماء والصفات» وابن عساكر في «تأريخه» كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٠٠).
(٦) ما بينها معلق في هامش الأصل، وبجواره كلمة صح.
(٧) (م): من.
(٨) (هـ)(ط): فالمعنى.
(٩) (ض)(ط): بقدرته.
(١٠) ابن حجر، «فتح الباري» (٦/ ٤٧٥).
(١١) (ط): اضافته.

فإذا[١] كان المضافُ عيناً قائمةً بنفسها: كعيسى، وجبرائيل عليهما السلام، وأرواح بني آدم، امتنع أنْ تكون صفةً لله تعالى؛ [لأن ماقام بنفسه لا يكون صفةً لغيره][٢]. لكنّ الأعيان المضافة[٣] إلى الله على وجهين:

أحدُهما: أنْ تُضاف إليه؛ لكونه خلقَها وأبدعها. فهذا شاملٌ لجميع المخلوقات، كقولهم: سماءُ الله، وأرضُ الله. فجميع المخلوقين عبيدُ الله، وجميع المال مالُ الله.

الوجه الثاني: أنْ يُضاف إليه؛ لما خصَّهُ به من معنىً يُحبُّه ويأمر به ويرضاه، كما خصَّ البيتَ العتيق بعبادةٍ فيه لا تكون في غيره، وكما يُقال عن[٤] مال الفيءِ والخُمُسْ: هو مالُ الله ورسوله.

ومن هذا الوجه: فعبادُ الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره، فهذه إضافةٌ تتضمن أُلوهيَّتَه وشرعه ودينه، وتلك إضافةٌ تتضمن ربوبيَّته وخلْقه. انتهى ملخصاً[٥].

قوله: «والجَنَّةَ حقٌّ والنَّارَ حقٌّ». أي: وشهد أنَّ الجنة التي أخبر بها تعالى في كتابه أنَّه أعدَّها للمُتقين حقٌّ ثابتةٌ[٦] لا شك فيها، وشهد أنَّ النار التي أخبر بها تعالى في كتابه أنَّه أعدَّها/ للكافرين حقٌّ كذلك ثابتةٌ كما قال تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنَّةٍ عرضُها كعرض السماء والأرض أُعدَّت للذين آمنوا بالله ورسُله ذلك فضلُ الله يُؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾. [الحديد: ٢١]، وقال [١٦/أ]

---

(١) (ض)(م)(هـ)(ط): وإذا.
(٢) ما بينهما إضافة من (ض) و(م)و(هـ) و(ط).
(٣) الأصل: لكن المضاف.
(٤) (هـ)(ط): في.
(٥) ابن تيمية، «الفتاوى» (٦/١٤٥، ٩/ ٢٩٠).
(٦) (ض)(م)(هـ)(ط): أي ثابتة.

تعالى: ﴿فاتقوا النارَ التي وقودها الناسُ والحجارة أُعدَّت للكافرين﴾ [البقرة: ٢٤].

وفي الآيتين ونظائرهما: دليلٌ على أنَّ الجنة والنار مخلوقتان الآن، خلافاً للمبتدعة. وفيهما: الإيمانُ بالمعاد.

قوله: «أدخله الله الجنة على ماكان من العمل». هذه الجملةُ جوابُ الشرط، وفي رواية: «أدخله الله الجنة[1] من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»[2].

[3] قال الحافظ: ومعنى[4] قوله «على ماكان من العمل» أي: من صلاحٍ أو فساد، لكنَّ[5] أهلَ التوحيد لا بُدَّ لهم من دخول الجنّة. ويحتملُ أنْ يكون معنى قوله «على ماكان من العمل[6]» أي[7]: يدخل أهلُ[8] الجنة [الجنة][9] على حَسَب [أعمال][10] كلٍّ منهم[11] في الدرجات. انتهى[3][12].

قال القاضي عياض[13]: ماورد في حديث عُبادة يكون خصوصاً[14] لمن قال

(١) (هـ)(ط): الجنة. ساقطة.

(٢) أخرجها البخاري في «الصحيح» رقم (٣٤٣٥).

(٣) ما بينهما ساقط من (م) ومعلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٤) (هـ)(ط): معنى.

(٥) في جميع النسخ: لأن. والمُثبت من «الفتح».

(٦) الأصل و (ض): عمل.

(٧) (ض)(هـ)(ط): أن.

(٨) (ض): أهل. ساقطة.

(٩) إضافة من «الفتح».

(١٠) ساقط من الأصل و (ض).

(١١) الأصل و (ض): منهما.

(١٢) ابن حجر، «فتح الباري» (٦/٤٧٥).

(١٣) أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي. محدث فقيه (ت ٥٤٤). «الديباج المذهب» (٢/٤٦).

(١٤) (ط): مخصوصاً.

ماذكـره النبيُّ [١] ﷺ، وقَـرَن بالشهادتين حقيقةَ الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثـه، فيكون له من الأجر مايرجَحُ على سيئاته، ويوجبُ له المغفرةَ والرحمة، ودخولَ الجنة لأوَّل وهْلة.

[٢] قال العَّلامةُ ابن القيّم رحمه الله تعالى: والمقصود أنَّ كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمنُ عارفاً لمعناها وحقيقته[٣] نفياً وإثباتا، مُتصفاً بموجبها قائماً قلبه ولسانُه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمةُ من[٤] هذا الشاهد. أصلُها ثابتٌ راسخ في قلبه، وفروعُها متصلةٌ في السماء، وهي مخرجةٌ لثمرتها كلَّ وقت[٢]. انتهى[٥].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما، في حديث عِتْبان «فإنَّ الله حرّم على النار من قال: لا إله إلاَّ الله يبتغي بذلك وجهَ الله»[٦].

ش: قوله: (ولهما). أي: للبخاري[٧]، ومسلم في (صحيحيهما) بكماله.[٨].
وهذا طرفٌ من حديث طويل، أخرجه الشيخان.
و: عِتبـان[٩]. بكسر المـهـملة، بعـدهـا مُثنَّـاة فوقية، ثم موحَّـدة: ابنُ

(١) النبي. ليست في (ض) و(م) و(هـ) و(ط).
(٢) ما بينهما ساقطٌ من (هـ) و(ط). وفي (ض) في موضع آخر، ومعلَّقٌ في هامش الأصل وعليه كلمة صح.
(٣) (ض) بمعناها وحقيقتها.
(٤) (ض): في.
(٥) انتهى ليس في الأصل و(م). وانظر ابن القيم، «الفوائد» (٢١٤).
(٦) البخاري في «الصحيح» الأرقام (٤٢٥، ٦٦٧، ٦٨٦، ٦٤٢٣، ٦٩٣٨)، ومسلم في «الصحيح» الرقمان (٣٣، ٦٥٧) في قصة مالك بن الدُّخشُن.
(٧) (ض): البخاري.
(٨) (م): بكماله. ساقطة.
(٩) (ط): عبتان. تحريف.

مالـك بن عمـرو بن العجـلان الأنصـاري، من بني سالم بن عوف، صحـابيٌّ مشهور، مات في خلافة معاوية.

وأخـرجـه[١] البخـاريُّ في (صحيحـه) بسنـده، عن قتـادة، قال: حدثنـا أنس بن مالك، أنَّ النبي ﷺ ـ ومُعاذٌ رديفُه على الرَّحْل ـ قال: «يامُعاذُ!» قال: لبَّيك يارسول الله وسَعْدَيْك، قال: «يامعاذُ!» قال: لبَّيك يارسول الله وسعديك، قال: «يامعاذ» قال: لبيك يارسول الله وسعديك ـ ثلاثاً ـ قال: «مامِن أحدٍ يشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ محمداً رسول الله صِدقاً من قلبه إلَّا حرَّمه الله تعالى على النار» قال: يارسول الله، أفلا أُخبر به[٢] الناسَ فيستبشروا، قال: «إذًا يتَّكلوا» فأخبر بها معاذٌ عند موته تأثُّما[٣].

وساق بسند آخر: حدثنا معتمر، قال: سمعتُ أبي، قال[٤]: سمعتُ أنساً، قال: ذُكر لي أنَّ النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «من لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنة» قال: أفلا أُبشِّرُ الناس؟ قال: «لا إني أخاف/ أن يتكلوا»[٥]. [١٦/ا]

قلتُ: فتبينَّ بهذا السياق معنى شهادةِ أنْ لا إله إلَّا الله، وأنها تتضمن تركَ[٦] الشرك لمن قالها بصدقٍ ويقين وإخلاص.

قال شيخُ الإسـلام، وغـيرُه ـ في هذا الحـديث ونحـوه ـ: إنها[٧] فيمن قالها

---

(١) (م)(هـ)(ط): وأخرج.

(٢) (ض): أبشر.

(٣) «صحيح البخاري» رقم (١٢٨)، وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٣٢) واللفظ للبخاري.

(٤) (ض): سمعت أبي قال. ساقط.

(٥) «صحيح البخاري» رقم (١٢٩).

(٦) الأصل: بترك.

(٧) (هـ). إنه.

(١ ومات عليها؛ كما جاءت مقيدةً بقوله، خالصاً من قلبه غيرَ شاك فيها ١)، بصدق ويقين.

فإنَّ حقيقة التوحيد انجذابُ الروح إلى الله تعالى [جملةً، فمن شهد أنْ لا إله إلا الله خالصاً من(٢) قلبه دخل الجنة؛ لأنَّ الإخلاص هو انجذابُ القلب(٣) إلى الله تعالى] (٤)بأن يتوبَ من الذنوب توبة نصوحاً(٥).

فإذا مات على تلك الحال نال ذلك؛ فإنه قد تواترت الأحاديثُ بأنه يخرجُ من النار من قال: لا إله إلَّا الله، وكان في قلبه من الخير مايزنُ شعيرةً، ومايزنُ خردلةً، ومايزن ذرَّةً.

وتواترت بأنَّ كثيراً ممن يقول: لا إله إلَّا الله، يدخل(٦) ثم يخرج منها.

(٧)وتواترت بأن الله حرَّم على النار أنْ تأكل أثرَ السجود من ابن آدم؛ فهؤلاء كانوا يُصلّون، ويسجدون لله(٨).

وتواترت بأن الله(٩) يُحرِّمُ(١٠) على النار من قال: لا إله إلَّا الله، (١١)وشهد أنْ لا

---

(١) ما بينهما ساقط من (ض).
(٢) (ض): في.
(٣) (ض): الروح.
(٤) ما بينها ساقط من الأصل، ولعله انتقال نظر من الناسخ.
(٥) (م): النصوح. تحريف.
(٦) (ض)(م)(هـ)(ط): يدخل النار.
(٧) (م): ثم.
(٨) (ض): لله بأن كثيراً ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النارثم يخرج منها. لعله سهوٌ من الناسخ.
(٩) (ض)(م)(هـ)(ط). بأنه.
(١٠) (م): حرم.
(١١) (م)(ط): ومن.

إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، لكن جاءت مقيّدةً بالقيود الثِّقال .

وأكثـرُ من يقولها لا يعرف الإخلاص! ، وأكثر من يقولها إنَّما يقولها تقليداً أو عادةً ، ولم يخالط[1] الإيمانُ بشاشةَ قلبه! .

وغالبُ من يُفتنُ عند الموت وفي القبور أمثالُ هؤلاء ؛ كما في الحديث : «سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقُلتُه»[2] وغالبُ أعمال هؤلاء إنَّما هو تقليدٌ واقتداءٌ بأمثالهم ، وهم من أقرب الناس من قوله تعالى : ﴿إنَّا وجدنا آباءنا على أمَّةٍ وإنَّا على آثارهم مُقتدون﴾ . [الزخرف : ٢٣] وحينئذٍ فلا مُنافاة بين الأحاديث .

فإنَّـه إذا قالهـا بإخلاصٍ ويقين تام ، لم يكن في هذه الحال مُصرَّاً على ذنب أصلاً ؛ فإنَّ كمال[3] إخلاصه ويقينه يوجبُ أنْ يكون الله أحبَّ إليه من كل شيء ، فإذن لا يبقى في قلبه إرادةٌ لما حرَّم الله ولا كراهةٌ لما أمر الله .

وهـذا هو الـذي يَحْرم على النـار ، وإنْ كانت له ذنوبٌ قبل ذلك . فإنَّ هذا الإيمان[4] وهذا الإخلاص ، وهذه التوبة[5] وهذه المحبة وهذا اليقين ، لا يتركون[6] له ذنباً إلَّا مُحي عنه كما يمحوا الليلُ النهار .

فإذا قالها على وجه الكمال المانعِ من الشرك الأكبر والأصغر ، فهذا غيرُ مصرٍّ

---

(١) (ط) : تخالط حلاوة .

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/١٣٩) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وصححه المنذري في «الترغيب» (٤/٣٦٥) ، وأخـرجـه ابن ماجـة في «السنن» رقم (٤٢٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٣١٢) وقال : رواه النسائي في «التفسير» وفي «الملائكة» . وله شاهد عند الترمذي في «الجامع» رقم (١٠٧١) .

(٣) (ط) : كان كمال .

(٤) (م) : الايمان وهذه التوبة .

(٥) (م) . وهذه التوبة . ساقط .

(٦) (هـ)(ط) : لا تترك .

على ذنبٍ أصلا، فيُغفر له ويحرم على النار.

[١٧/أ] وإنْ قالها على وجه خلص به[١] / من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأتِ بعدها بما يناقضُ ذلك، فهذه الحسنةُ لا يقاومها شيءٌ من السيئات.

فيرجحُ[٢] بها ميزانُ الحسنات؛ كما في حديث البطاقة[٣]، فيحرم على النار، ولكن تنقص درجتُه في الجنة بقدر ذنوبه.

وهذا بخلاف من رجحت سيئاتُه بحسناته، ومات مُصرًّا على ذلك. فإنَّه يستوجب النار، وإنْ قال: لا إله إلَّا الله، وخلص بها من الشرك الأكبر، لكنَّه لم يمت على ذلك، بل أتى بعد ذلك[٤] بسيئاتٍ رجحت على حسنةِ توحيده. فإنه في حال قولها كان مُخلصاً، لكنه أتى بذنوبٍ أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته، وقويت نارُ الذنوب حتى أحرقت ذلك. بخلاف المُخلص المستيقن؛ فإنَّ حسناته لا تكون إلَّا راجحةً على سيئاته، ولا يكون مُصرّا على سيئات، فإنْ مات على ذلك دخل الجنة.

وإنَّما يُخاف على المخلص أنْ يأتي بسيئةٍ راجحة، فيضعُف إيمانُه فلا يقولها بإخلاص ويقين مانعٍ من جميع السيئات. ويُخشى عليه من الشرك الأكبر والأصغر، فإنْ سَلِم من الأكبر بقي معه[٥] من الأصغر، فيُضيف إلى ذلك سيئاتٍ تنضمُّ إلى هذا الشرك، فيرجح جانبُ السيئات.

---

(١) (م): به. ساقطة.

(٢) (هـ): فيترجح.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/٢١٣)، والترمذي في «الجامع» رقم (٢٦٣٩). وقال حديثٌ حسن. وسيأتي.

(٤) (هـ)(ط): بعدها.

(٥) (هـ): منه. تحريف.

فإنَّ السيئات تُضعف الإيمان واليقين، فيضعف قولُ: لا إله إلَّا الله، فيمتنع الإخلاصُ بالقلب، فيصير المتكلمُ بها كالهاذي أو النائم، أو من يُحسِّن صوته بآيةٍ من القرآن من غير ذوق[١] وحلاوةٍ. فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقُضُ ذلك، بل يقولونها من غير يقينٍ وصدق، ويموتون على ذلك، ولهم سيئاتٌ كثيرة تمنعهم من دخول الجنة.

وإذا[٢] كثُرت الذنوبُ ثقُل على اللسان قولُها، وقسا القلب عن قولها، وكره العملَ الصالح، وثقُل عليه سماعُ القرآن، واستبشر بذكر غيره[٣]، واطمأنَّ إلى الباطل، واستحلى الرَّفث، ومخالطةَ أهل الباطل[٤]، وكره مخالطة أهل الحق. فمثلُ هذا إذا قالها، قال[٥] بلسانه ماليس في قلبه، وبفيه ما لا يصدِّقهُ عملُه.

قال الحسن[٦]: ليس الإيمانُ بالتحلّي ولا بالتمني، ولكن ما وقَر في القلوب وصدَّقته الأعمال. فمن قال خيراً وعمل خيراً قُبل منه، ومن قال خيراً وعمل شراً/ لم يُقبل منه[٧]. [١٧/د]

---

(١) (ض)(م)(هـ)(ط): ذوق طعم.

(٢) (هـ)(ط): فإذا.

(٣) (ط): غير الله.

(٤) (م)(ط): الغفلة.

(٥) (ط): قال. ساقطة.

(٦) البصري.

(٧) أخرجه الخطيب في «اقتضاء العلم العمل» رقم (٥٦)، وأخرج أوَّله ابن بطة الحنبلي في «الابانة الكبرى» رقم (١٠٩٤) والأجريُّ في «الشريعة» (١٣٠) عنه، وأخرجه مفرقاً: ابن المبارك في «الزهد» رقم (٩١، ١٥٦٥). وأخرج الآجري في «الشريعة» (١٢٩) عن الحسن قال: قال قومٌ على عهد رسول الله ﷺ: إنا لنحب ربنا عز وجل، فأنزل الله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ الآية. فجعل اتباع نبيه محمداً ﷺ عَلَماً لحبه وكذب من خالفه.

وقال بكرُ[١] بن عبدالله المُزَنيُّ[٢]: ماسبقهم أبوبكرٍ رضي الله عنه بكثرة صيامٍ ولا صلاة، ولكن بشيءٍ وقَر في قلبه[٣].

فمن قال: لا إله إلاَّ الله، ولم يقُم بموجَبها، بل اكتسب مع ذلك ذنوباً، وكان صادقاً في قولها موقناً بها ـ لكن له ذنوبٌ أضعفت صدقَه ويقينه ـ وانضاف إلى ذلك الشركُ الأصغر العملي[٤]: رجحت[٥] هذه السيئاتُ على هذه الحسنة، ومات مُصرّاً على الذنوب.

بخلاف مَن يقولُها بيقين وصدق؛ فإنَّه: إمَّا أنْ لا[٦] يكون مُصرّاً على سيئةٍ أصلا، أو[٧] يكون توحيدُه ـ المتضمِّن لصدقه ويقينه ـ رجَّح حسناته.

والذين يدخلون النار ممن يقولها: لم[٨] يقولوها بالصدق واليقين التامَّين[٩] المُنافيين للسيئات، أو لرُجحانها، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئاتٍ رجحت على حسناتهم، ثم ضعُف لذلك صدقُهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدقٍ ويقين تام[١٠]؛ لأنَّ الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم. فقولُها

---

(١) الأصل و(م) و(هـ): أبو بكر. تحريف.

(٢) أبو عبدالله، بن عمر والبصريُّ، من أقران الحسن البصري، ثقة ثبت، من العباد (ت ١٠٨) «سير النبلاء» (٤/٥٣٢).

(٣) (ض): صدره.

(٤) (ط): العمل (م) ساقطة.

(٥) في جميع النسخ: فرجحت. والمثبت من «التيسير» (٩٠).

(٦) (هـ): لا. ساقطة.

(٧) في جميع النسخ: و. والمثبت من «التيسير».

(٨) (ض)(م)(هـ)(ط): إما أنهم لم.

(٩) (ض)(م)(هـ)(ط). التام.

(١٠) (ض): تام. ساقطة.

من مثل هؤلاء: لا يقوى على محو السيئات، فترجحُ سيئاتهم[١] على حسناتهم. انتهى مُلخصا[٢].

وقد ذكر هذا كثيرٌ من العُلماء: كابن القيّم، وابن رجب، وغيرهم.

قلتُ: وبما قرَّره شيخُ الاسلام رحمه الله تعالى، تجتمع الأحاديث. قال: وفي الحديث دليلٌ على أنَّه لا يكفي في الإيمان النطقُ من غير اعتقاد، وبالعكس.

وفيه: تحريمُ النار على أهل التوحيد الكامل.

وفيه: أنَّ العمل لا ينفعُ إلَّا إذا كان خالصاً لله[٣] تعالى[٤].

تنبيه: قال القُرطبي في (تذكرته): قولهُ في الحديث: «من إيمان» أي: من أعمال الإيمان[٥] التي هي من أعمال الجوارح، فيكون فيه دلالةٌ على أنَّ الأعمال الصالحة من الإيمان.

والدليلُ على أنَّه أراد بالإيمان[٦] ماقلناه ـ ولم يُرد مجرَّد الإيمان الذي هو التوحيدُ، ونفي الشركاء والإخلاص بقوله[٧]: لا إله إلَّا الله ـ[٨] مافي الحديث نفسه، من قوله:[٩] «أخرجوا». ثم بعد ذلك «يقبضُ سبحانه قبضةً فيُخرج قوماً لم يعملوا خيراً

---

(١) (م): سيئاتهم. ساقطة.

(٢) ينظر: ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٢/٢٥٦، ١٤/٤٢٠).

(٣) (هـ)(ط): لوجه الله.

(٤) (م)(هـ)(ط): تعالى، على ما شرعه على لسان رسوله ﷺ.

(٥) (ض) الايمان على لسان ما شرعه رسول الله ﷺ.

(٦) (ط): الايمان.

(٧) (هـ)(ط): يقول.

(٨) الأصل و(ض) و(م) و(هـ): لما. والمثبت من (ط) و «التذكرة».

(٩) (ط): قول.

قط» يُريد بذلك: إلاَّ[١] التوحيدَ المجرَّد من الأعمال. انتهى ملخصاً من (شرح سنن ابن ماجة)[٢].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه، عن رسول/ الله ﷺ، قال: «قال موسى: ياربِّ علِّمني شيئاً أذكُركَ [١٨/أ] وأدعوك به. قال: قُل ياموسى: لا إله إلاَّ الله. قال: كلُّ عبادك يقولون هذا. قال: ياموسى لو أنَّ السمواتِ السبعَ وعامِرهُنَّ غيري، والأرضينَ السبعَ في كِفةٍ، ولا إله إلاَّ الله في كِفةٍ، مالت بهن لا إله إلاَّ الله» رواه ابنُ حبان، والحاكم وصححه[٣]

ش: أبو سعيد. اسمُه: سعد بن مالك بن سِنان بن عبيد[٤] الانصاريُّ الخزرجي، صحابيٌّ جليل، وأبوه[٥] كذلك. استُصغِر أبو سعيدٍ بأُحد، وشهد[٦] مابعدها. مات بالمدينة سنة ثلاثٍ ـ أو أربع أو خمس ـ وستين. وقيل: سنة أربعٍ وسبعين.

قوله: «أذكرك» أي: أُثني عليك[٧]. «وأدعوك» أي: أسألك به.

---

(١) (ط): إلاَّ. ساقطة.

(٢) القرطبي، «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» (٢٠٤).

(٣) ابن حبان في «الصحيح» رقم (٢٣٢٤) (موارد)، والحاكم في «المستدرك» (١/٥٢٨) ووافقه الذهبي. وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٨٣٤، ١١٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/٣٢٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٢) وأبويعلى كما في «مجمع الزوائد» (١٠/٨٢) وقال: رجاله وثقوا على ضعف فيهم. وفيه درَّاج بن سمعان. وصححه الحافظ بن حجر في «فتح الباري» (١١/٢٠٨).

(٤) (هـ)(ط): عبد. تحريف.

(٥) (ض)(ط): وأبو. تحريف.

(٦) (م): ثم شهد.

(٧) (م)(هـ)(ط): عليك به.

قوله: «قُل ياموسى: لا إله إلّا الله» فيه: أنَّ الذاكر[١] يقولُها كلَّها، ولا يقتصر على لفظ الجلالة، ولا على هو، كما يفعلُه غُلاة جهّالِ المتصوفة؛ فإنَّ ذلك بدعةٌ وضلالة.

قوله: «كلُّ عبادك يقولون هذا»ثبت بخط المُصنف بالجمع، والذي في الأصول «يقول» بالإفراد مراعاةً للفظة كُل.

وهـو[٢] في (المُسنـد) من حديث عبـدالله بن عمرو، بلفظ الجمع؛ كما ذكره المصنِّفُ على معنى كُل. ومعنى[٣]: «كلُّ عبادك يقولون هذا». إنما[٤] أُريد شيئاً تخُصّني به من بين عموم عبادك.

وفي رواية ـ بعد قوله «كلُّ عبادك يقولون هذا» ـ «قل: لا إله إلَّا الله، قال: لا إله إلَّا أنت! ياربِّ: إنما أُريد شيئاً تُخصّني به».

ولمَّا كان بالناس ـ بل بالعالم كلِّه ـ من الضرورة إلى لا إله إلَّا الله مالا نهاية له، كانت من أكثر الأذكار وجوداً، وأيسرها حُصولاً، وأعظمِها معنىً.

والعَوامُّ والجُهَّال يَعدِلون عنها إلى الدعوات المُبتدعة، التي ليست في الكتاب ولا في السنة.

قولـه: «وعامِرَهنَّ غيري». هو بالنصب عطفٌ على السموات. أي: لو أنَّ السموات السبع ومن فيهنَّ من[٥] العُمَّار ـ غير الله تعالى ـ والأرضين السبع ومن فيهن وُضعوا في كفة الميزان، ولا إله إلَّا الله في الكِفَّة الأُخرى، مالت بهنِّ لا إله إلَّا الله.

---

(١) (م)(هـ)(ط): الذاكر بها.
(٢) (ض): هو. ساقطة.
(٣) (م)(هـ)(ط): معنى قوله.
(٤) (ط): أي إنما.
(٥) (هـ): ومن.

وروى الإمامُ أحمد، عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ «أنَّ نوحاً قال لابنه عند/ موته: آمُركَ بلا إله إلاَّ الله؛ فإنَّ السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كِفَّة ولا إله إلاَّ الله في كفة، رَجحتْ بهنَّ لا إله إلاَّ الله، ولو أنَّ السموات السبع والأرضين السبع كُن حَلْقةً مُبهمةً قصمتهن[١] لا إله إلاّ الله»[٢]. [١/ب]

قوله: «في كِفَّة» هو[٣] بكسر الكاف وتشديد الفاء، أي: كِفَّة الميزان.

قوله:

«مالت بهن» أي: رجحت؛ وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشرك، وتوحيد الله: الذي هو أفضل[٤] الأعمال، وأساسُ الملة والدين. فمن قالها بإخلاصٍ ويقين، وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقِها، واستقام على ذلك، فهذه الحسنةُ لا يوازنها شيءٌ؛ كما قال تعالى: ﴿إنَّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾. [الاحقاف: ١٣].

ودلَّ الحديثُ على أنّ: لا إله إلاَّ الله، أفضلُ الذكر؛ كحديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً «خيرُ الدعاءِ دعاءُ يومِ عرفة، وخيرُ ماقلتُ أنا والنبيون من قبلي:

---

(١) (ط): لقصمتهن.

(٢) أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٩، ١٧٠، ٢٢٥)، وأخرجه البخاري في «الآداب» رقم (٥٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٨، ٤٩) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٣)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٢٠) وقال: ورجال أحمد ثقات. وأخرجه البزار في «مسنده» رقم (٣٠٦٩) من حديث ابن عمر. قال الهيثمي (١٠/ ١٨٤): وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح. وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٨٣٢) عن رجل من الأنصار، وأخرجه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٤/ ١٨٣) من حديث جابر.

(٣) (م): هو. ساقطة.

(٤) (ض): من أفضل.

لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» رواه أحمد، والترمذي[١].

وعنه أيضاً، مرفوعاً «يُصاح برجلٍ من أُمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فيُنشر له تسعةٌ وتسعون سجلاً، كلُّ سجل منها[٢] مدَّ[٣] البصر، ثم يُقال[٤]: أتُنكرُ من هذا شيئاً[٥]؟ فيقول: لا يارب. فيُقال[٦]: ألك[٧] عُذرٌ أو حسنة؟ فيهاب الرجلُ، فيقول: لا. فيُقال: بلى إنَّ لك عندنا حسنةً[٨]، وإنه لا ظلم عليك[٩]، فيُخرجُ له بطاقةٌ فيها: أشهد أنْ لا إله إلَّا الله، وأشهد[١٠] أنَّ محمداً عبده ورسوله، فيقول: يارب ماهذه البطاقةُ مع هذه السجلات؟! فيقال: إنّك لا تُظلم، فتُوضع السجلاتُ في كِفَّة والبطاقةُ في كِفة، فطاشت السجلاتُ وثقلت البطاقة».

رواه الترمذيُّ وحسَّنه، والنسائي، وابنُ حبان، والحاكم وقال: صحيحٌ على

(١) الترمذي في «الجامع» رقم (٣٥٧٩) وقال: هذا حديثٌ حسن غريب، ومالك في «الموطأ» (١/ ٢١٤، ٢١٥، ٤٢٢، ٤٢٣)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ١١٧). وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢١٠) بلفظ: (كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ يوم عرفة: لا إله إلا الله). وأخرجه البيهقي في «الشعب» كما في «الكنز» (٥/ ٦٧)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٦٠٠) من حديث أبي هريرة، وذكره الألباني في «صحيحته» رقم (١٥٠٣).

(٢) (ض): منها. ساقطة.

(٣) الأصل و (ض) و (هـ) و (ط): مدى.

(٤) (ض): يقال له.

(٥) (ط) شيئاً أظلمك كتبتي الحافظون.

(٦) (هـ): فيقول.

(٧) (ط): أفلك.

(٨) (م): حسنات.

(٩) (ط): عليك اليوم.

(١٠) (ط): أشهد. ساقطة.

شرط مسلم، وقال الذهبيُّ في (تلخيصه): صحيح[١].

قال ابنُ القيِّم رحمه الله تعالى: فالأعمالُ لا تتفاضلُ بصورها وعددها، وإنَّما تتفاضل بتفاضل مافي القلوب. فتكون صورةُ العملين[٢] واحدةً، وبينهما من/ [١٩/أ] التفاضل كما بين السماء والأرض.

قال: تأمل[٣] حديثَ البطاقة التي توضع في كِفة، ويقابلها تسعةٌ وتسعون سجلاً، كلُّ سجل منها[٤] مدُّ[٥] البصر، فتثقل البطاقةُ وتطيش السجلات، فلا يُعذَّب. ومعلومٌ أنَّ كلَّ موحِّدٍ له هذه البطاقة، وكثيرٌ منهم من[٦] يدخل النار بذنوبه[٧].

قوله: (رواه ابنُ حبان، والحاكم). ابنُ حبان، اسمُه: محمَّد بن حِبَّان ـ بكسر المُهملة وتشديد الموحَّدة ـ ابنُ أحمد بن حبان بن مُعاذ، أبو حاتم التميمي، البُستي الحافظ، صاحبُ التصانيف: كا(لصحيح)، و(التأريخ)، و(الضعفاء)، و(الثقات) وغير ذلك.

قال الحاكمُ: كان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن

---

(١) الترمذي في «الجامع» رقم (٢٦٤١)، وابن حبان في «الصحيح» رقم (٢٥٢٤) (موارد)، والحاكم في «المُستدرك» (١/٥، ٦). وأخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٤٣٠٠)، وأحمد في «المسند» (٢/٢١٣، ٢٢١) وابن مردوية واللالكائي والبيهقي في «البعث» كما في «الدر المنثور» (٣/٧٠) ولم يعزه صاحبُ «تحفة الأشراف» (٦/٣٤٢) إلى النسائي.

(٢) (م)(ض): العمل.

(٣) (هـ)(ط): وتأمل.

(٤) (ض): منها. ساقطة.

(٥) الأصل و(ض) و(هـ) و(ط): مدى.

(٦) (ض)(م)(هـ)(ط): من. ساقطة.

(٧) ابن القيم، «مدارج السالكين» (١/٣٣١).

عُقلاء الرجال. مات سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمائة، بمدينة بُست ـ بالمهملة ـ[1][2].

وأمّا الحاكمُ، فاسمُه: محمد بن عبدالله بن محمد النيسابوري، أبو عبدالله الحافظ، ويُعرف بابن البَيِّع، وُلد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وصنَّف التصانيف: كا(لمستدرك) و(تأريخ نيسابور) وغيرِهما، ومات سنة خمسٍ وأربعمائة[3]

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وللترمذي وحسَّنه، عن أنس: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: ياابن آدم! إنَّك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لَقيتني لا تُشرك بي شيئاً، لأتيتك بقُرابها مغفرة»[4].

ش: ذكر المصنِّفُ رحمه الله تعالى: الجملةَ الأخيرة من الحديث، وقد رواه الترمذيُّ بتمامه، فقال: عن أنس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: ياابن آدم! إنك مادعوتَني ورجوتني غفرتُ لك على ماكان منك ولا أُبالي. ياابن آدم لو بلغت ذُنوبُك عَنَان السماء، ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أُبالي. ياابن آدم إنَّك لو أتيتني. . »الحديث.

---

(١) (ط) بضم الموحدة وسكون المهملة.

(٢) ينظر: السمعاني، «الأنساب» (٢/٢٠٩)، والذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٦/٩٢).

(٣) ينظر: الذهبي، «المصدر السابق» (١٧/١٦٢).

(٤) الترمذي في «الجامع» رقم (٣٥٣٤) وقال: هذا حديثٌ حسن غريب. وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/١٥٤، ١٧٢)، والدارمي في «السنن» رقم (٢٧٩١) من حديث أبي ذر، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/١٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٢٤١) ووافقه الذهبي مختصراً من حديثه، وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٢٣٤٦) و«الصغير» رقم (٨٢٠) من حديث ابن عباس. وأعله الهيثمي في «المجمع» (١٠/٢١٥)، وله شاهدٌ عند مسلم من حديث أبي ذر في «الصحيح» برقم (٢٦٨٧) وسوف يُشير المؤلفُ إليها.

الترمذي: اسمُه: محمد بن عيسى بن سَوْرة ـ بفتح المُهملة ـ ابن موسى بن الضحاك السُّلمي، أبو عيسى، صاحب (الجامع)، وأحد الحفاظ، كان ضرير البصر. روى عن قُتيبةَ، وهنَّادٍ، والبخاري، وخلق. مات سنة/ تسعٍ وسبعين ومائتين[١]. [١٩/ب]

وأنسُ: هو ابن مالك بن النَّضْر[٢] الأنصاري الخزرجي، خادمُ رسول الله ﷺ: خدمه عشرَ سنين، وقال [له][٣] «اللهم أكثر مالَه وولده، وأدخله الجنة»[٤]. مات سنة اثنتين ـ وقيل: ثلاث ـ وتسعين[٥]، وقد جاوز المائة[٦].

وقد[٧] رواه الإمامُ أحمد، من حديث أبي ذرٍّ بمعناه، وهذا لفظُه: «ومن عمل قُراب الأرض خطيئةً، ثم لقيني لا يُشرك بي شيئاً جعلتُ له مثلَها مغفرة».

ورواه مسلم، وأخرجه الطبراني، من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ.

قوله: «لو أتيتني بقُراب الأرض» بضم القاف، وقيل: بكسرها. والضم أشهر، وهو ملؤُها أو ما يُقارب ملأَها.

قوله: «ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئا» شرطٌ ثقيل في الوعد بحصول المغفرة، وهو السلامة من الشرك: كثيره وقليله، صغيره وكبيره. ولا يسلمُ من ذلك إلَّا من سلَّم

---

(١) ينظر: الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٧٠).

(٢) (ض)(ط): النصر. تحريف.

(٣) إضافة من (ط).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٣٧٩، ٦٣٨١)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٤٨٠، ٢٤٨١)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ١٩) دون قوله (وأدخله الجنة)، لكن أخرجه ابن سعد (٧/ ١٩) بزيادة (واغفر ذنبه).

(٥) (هـ): وسبعين. تحريف.

(٦) ينظر: الذهبي، «سير أعلام النبلاء». (٣/ ٣٩٥).

(٧) (ط): والحديث قد.

الله تعالى، وذلك هو القلبُ السليم؛ كما قال تعالى: ﴿يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾[١] [الشعراء: ٨٩].

قال ابنُ رجب: من جاء مع التوحيد بقُراب الأرض خطايا، لقيه الله تعالى بقُرابها مغفرة.

إلى أنْ قال: فإنْ كمُل توحيدُ العبد وإخلاصُه لله تعالى فيه، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه وبلسانه[٢] عند الموت، أوجب ذلك مغفرةَ ماقد سلف من الذنوب كلِّها، ومنعه من دخول النار بالكلية. فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبُه، أخرجت منه كلَّ ماسوى الله تعالى: محبةً وتعظيماً، وإجلالا ومهابة، وخشية وتوكلا. وحينئذٍ تُحرقُ[٣] ذنوبَه وخطاياه كلها، وإنْ كانت مثلَ زبد البحر. انتهى مُلخصاً[٤].

قال العلَّامةُ ابن القيم رحمه الله تعالى ـ في معنى الحديث ـ: ويُعفى لأهل التوحيد المُحض ـ الذي لم يشوبوه[٥] بالشرك ـ ما لا يُعفى لمن ليس كذلك. ولو[٦] لقي الموحِّدُ ـ الذي لم يُشرك بالله شيئا ألبتَّة ـ ربَّه بقُراب الأرض خطايا، أتاه بقُرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص[٧] توحيدُه.

---

(١) ينظر: ابن القيم، «بدائع الفوائد» (٢/١٣٣).

(٢) (ض)(م)(هـ)(ط): ولسانه.

(٣) (ط): تحترق.

(٤) ينظر: ابن رجب، «كلمة الاخلاص» (٢١) وما بعدها.

(٥) (ض)(ط): يُشربوه.

(٦) (ض)(م)(هـ)(ط): فلو.

(٧) (ض): ينقص.

فإنَّ التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك، لا يبقى[١] معه ذنبٌ؛ لأنه يتضمَّنُ من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه[٢]، مايوجبُ غسل الذنوب ولو كانت قرابَ الأرض. فالنجاسةُ عارضة، والدافع لها قوي. انتهى.

وفي هذا الحديث: كثرةُ ثواب التوحيد، وسعةُ كرم الله وجوده ورحمته[٣]، والردُّ على الخوارج: الذين يكفِّرون المسلم بالذنوب، وعلى المُعتزلة القائلين: بالمنزلة بين المنزلتين، وهي الفسوق، ويقولون: ليس بمؤمنٍ ولا كافر، ويُخلَّد في النار.

والصواب: قولُ أهل السنة: أنه لا يُسلب عنه اسمُ الإيمان، ولا يُعطاه على الإطلاق، بل يقال: هو مؤمنٌ عاصٍ، أو مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته. وعلى هذا يدلُّ الكتاب/، والسنة، وإجماعُ سلف الأمة. [٢٠/أ]

وعن عبدالله بن مسعود، قال: لما أُسري برسول الله ﷺ، انتُهي به إلى سِدرةِ المُنتهى، فأُعطي ثلاثاً: أُعطي الصلوات الخمس، وخواتيمَ سورة البقرة، وغُفر لمن لا يُشرك بالله من أُمتَّه شيئا المُقْحِمات[٤]. رواه مسلم[٥].

قال ابنُ كثير - في (تفسيره) -[٦]: وأخرج الإمامُ أحمد، والترمذي، وابن ماجة، والنسائي، عن أنس بن مالك، قال: قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية ﴿هو أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة﴾ [المدثر: ٥٦]، وقال: «قال ربكم: أنا أهلٌ أنْ أُتَّقى فلا يُجعل

---

(١) الأصل: ولا يبقى.

(٢) (ض)(م)(هـ)(ط): ورجائه وحده.

(٣) المسألتان: الأولى والثانية.

(٤) المُقْحِمَات: الذنوب العظام والكبائر، من التقحم: وهو الوقوع في المهالك. «المنهاج» (٣/٣).

(٥) مسلم في «الصحيح» رقم (١٧٣)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٢٧٢)، والنسائي في «المجتبي» (١/٢٢٣)، وأحمد في «المسند» (١/٣٨٧، ٤٢٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٣٧٣).

(٦) ابن كثير، «تفسير القرآن الكريم» (٨/٢٩٩).

معي إلهٌ، فمن اتقى أنْ يَجعل معي إلهاً كان أهلا أن أغفرَ له»[١].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: تأمَّل الخمسَ اللواتي في حديث عُبادة، فإنك إذا جمعتَ بينه وبين حديثَ عِتبان: تبيَّن لك معنى قول لا إله إلَّا الله، وتبيَّن لك خطأ المغرورين.

وفيه: أنَّ الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلّا الله، والتنبيه لرجحانها بجميع المخلُوقات، مع أنَّ كثيراً ممن يقولها يخِفُّ ميزانُه. وفيه: إثباتُ الصفات، خلافاً للمعطلة.

وفيه: أنك إذا عرفت حديثَ أنس، [عرفت أنَّ][٢] قوله في حديث عِتبان «إنَّ الله حرَّم على النـار من قال: لا إله إلَّا الله، يبتغي بذلك وجهَ الله» أنَّه[٣] تركُ الشرك[٤]، ليس قولها باللسان[٥]. انتهى[٦].

---

(١) أحمد في «المسند» (٣/١٤٢، ١٤٣)، والترمذي في «الجامع» رقم (٣٣٢٥) وقال: هذا حديثٌ حسن غريب (عند ابن كثير ٨/٢٩٩: حديث غريب)، وابن ماجة في «السنن» رقم (٤٢٩٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١/١٣٩). وأخرجه الدارمي في «السنن» رقم (٢٧٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٥٠٨) وصححه ووافقه الذهبي، والخطيب في «التاريخ» (٥/٥٢، ٥٣)، وابن أبي حاتم وأبو يعلى والبزار والبغوي، كما في «تفسير ابن كثير» (٨/٢٩٩)، وابن جرير وابن المنذر وابن عدي وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٨/٣٤٠).

(٢) إضافة من كتاب «التوحيد».

(٣) (ط): تبين لك أن.

(٤) (ط): الشر. تحريف.

(٥) المسائل: الخامسة، والسادسة، والثامنة، والتاسعة، والثانية عشرة، والثالثة عشرة.

(٦) (ط): فقط.



(٢)
باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ من حقَّق التوحيدَ دخل الجَنَّةَ بغير حساب.

ش: أي: ولا عذاب. قلتُ: تحقيقـه: تخليصُه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لله حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. [النحل: ١٢٠].

ش: وصفَ إبراهيمَ عليه السلام بهذه الصفات، التي هي(١) الغايةُ في تحقيق التوحيد:

الأُولى: أنَّه كان أُمَّةً، أي: قدوةً، وإماماً مُعلِّماً للخير. وماذاك إلَّا لتكميله مقامَ الصبر واليقين، اللّذين(٢) تُنال بهما الإمامةُ في الدين.

الثانيةُ(٣): قوله: ﴿قانتاً﴾ قال شيخُ الإسلام: القُنوتُ(٤): دوامُ الطاعة، والمُصلي إذا طال(٥) قيامُه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]. انتهى مُلخصاً.

---

(١) (م): هما. تحريف.

(٢) (ض)(م): الذي. تحريف.

(٣) الأصل و (ض) و (م): الثاني.

(٤) (ض): القنوت في اللغة.

(٥) (ض)(م)(هـ)(ط): أطال.

الثالثةُ: أنه كان حنيفاً.

قلتُ: قال العلَّامةُ ابن القيم رحمه الله تعالى: الحنيف[1]: الـمُقبلُ على الله، المعرضُ عن كل ماسواه. انتهى[2].

الرابعة: أنه ما كان من المشركين، أي: لصحة إخلاصه وكمالِ صدقه، وبُعدِه [٢٠/ب] / عن الشرك.

قلتُ: يوضِّح هذا، قولُه تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾أي: على دينه من إخوانه الـمُرسلين[3]، قاله ابنُ جرير رحمه الله تعالى[4].

﴿إذ قَالُوا لِقَوْمِهِم إِنَّا بُرءَاءُ مِنْكُم وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله كَفَرْنَا بِكُمْ وبَدَا بيننا وبينكم العـداوةُ والبغضـاءُ أبـداً حتى تُؤمنـوا بالله وحـده إلا قولَ إبراهيم لأبيه لأستغفرنَّ لك وما أملكُ لك من الله من شيء ربَّنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾. [الممتحنة: ٤].

وذكر تعالى عن خليله عليه السلام، أنَّه قال لأبيه آزر: ﴿وَأَعْتَزِلُكُم وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله وَأَدْعُو رَبِّي﴾ إلى قوله ﴿فَلَمَّا اعتَزَلَهُم وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله وهبنا له إسحاقَ ويعقوب وكلاً جعلنا نبيا﴾. [مريم: ٤٨ ـ ٤٩].

فهذا هو تحقيقُ التوحيد: وهو البراءة من الشرك وأهلِه واعتزالُهم، والكفرُ بهم وعداوتهم وبغضُهم. فالله المُستعان.

---

(١) (م): الحنيف. ساقطة.

(٢) ابن القيم، «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٧٤).

(٣) (ض): المرسلين. ساقطة.

(٤) ابن جرير، «جامع البيان» (٢٨/ ٦٢).

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى ـ في هذه الآية: ﴿إِنَّ إِبْراهِيم كَانَ أُمَّةً﴾ـ: لئلا يستوحشَ سالكُ الطريق من قلَّة السالكين ﴿قَانِتاً لله﴾ لا للمُلوك ولا للتجار المُترفين! ﴿حَنيفاً﴾لا يميلُ[١] يميناً ولا شمالاً، كفعل العُلماء المفتونين!! ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشرِكينَ﴾ خلافاً لمن كثَّر سوادَهم، وزعم[٢] أنّه من المسلمين[٣]. انتهى.

وقد روى ابنُ أبي حاتم، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْراهِيم كَانَ أُمَّةً﴾ على الإسلام. ولم يكن[٤] في زمانه أحدٌ[٥] على الإسلام غيرُه[٦].

قلتُ: ولا مُنافاة بين هذا وبين ماتقدَّم: من أنّه كان إماماً يُقتدى به في الخير[٧].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِم لا يُشرِكُون﴾. [المؤمنون: ٥٩].

ش: وصَفَ المؤمنين السابقين الى الجنة، فأثنى عليهم بالصفات التي أعظمُها: أنهم بربهم لا يُشركون. ولما كان المرءُ قد يَعرض له مايقدحُ في إسلامه: من شركٍ جَلّي أو خفي، نفى ذلك عنهم. وهذا هو تحقيقُ التوحيد، الذي حسُنت به[٨] أعمالُهم، وكمُلت ونفعَتْهم.

---

(١) (ط): يميل. ساقطة.
(٢) (م): ويزعم.
(٣) محمد بن عبدالوهاب، «الاستنباط» (٢٣٧).
(٤) الأصل و (هـ): يك.
(٥) (م): أحد في الخير.
(٦) ابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٥/ ١٧٦).
(٧) (م): في الخير. ساقط.
(٨) (ط): بهم. تحريف.

قلتُ: قوله: حسُنت وكمُلت[١]. هذا باعتبار سلامتِهم من الشرك الأصغر. وأمَّا الشركُ الأكبر، فلا يُقال في تركه ذلك، فتدبر. ولو قال الشارح: صحَّت، لكان أقوم.

قال ابنُ كثير: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِم لَا يُشرِكونَ﴾ أي: لا يعبدون مع الله غيَره. بل يوحِّـدونه، ويعلمون أنه: لا إله إلَّا الله، أحدٌ صَمد. لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأنه لا نظير له[٢].

قال الـمُصنِّفُ رحمـه الله تعالى: عن حُصين بن عبدالرحمن، قال: كنتُ عنـد سَعيـد/ بن جُبيـر، فقـال: أيُّكم رأى الكوكبَ الذي انقـضَّ [٢١/أ] البـارحـة؟ فقلتُ: أنـا!. ثم قلتُ: أمَـا إني لم أكُن في صلاة، ولكني لُدغتُ. قال: فماذا صنعتَ؟ قلتُ: ارتقيتُ. قال فما حملك على ذلك؟! قلتُ: حديثٌ حدَّثنـاه الشَّعبي، قال: وماحدثكم؟ قلتُ: حدَّثنا عن بُريدة بن الـحُصَيْب، أنه قال: «لا رُقْيَةَ إلَّا من عين أو حُمَةٍ» قال: قد أحسن من انتهى إلى ماسمع، ولكن حدَّثنا ابنُ عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «عُرِضَت عليَّ الأُمَمَ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهَطُ، والنبيَّ ومعه الـرجـلُ والـرجلان، والنبي وليس معه أحدٌ. إذ رُفع لي سوادٌ عظيم، فظننت أنهم أُمتي، فقيل لي: هذا موسى وقـومـه. فنـظرتُ فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: هذه أُمَّتُك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنَّةَ بغير حسابٍ ولا عذاب» ثم نَهضَ فدخل منزلَه، فخاض الناسُ في أولئك،

---

(١) هذه الكلمة ليست في المطبوعة من «تيسير العزيز الحميد» (١٠١).

(٢) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم» (٥/٤٧٣).

فقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين صحِبُوا رسول الله ﷺ، وقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين وُلِدوا في الإسلام، فلم يُشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياءَ، فخرج عليهم رسولُ الله ﷺ فأخبروه. فقال: «هم الذين لا يسْتَرقُون ولا يَكْتَوُون ولا يتطيَّرون وعلى ربهم يتوكَّلون». فقام عُكَّاشة بن مِحْصَن. فقال: يارسول الله، أدْعُ الله أنْ يجعلني منهم، قال: «أنت منهم». ثم قام رجلٌ آخر، فقال: ادْعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عُكَّاشة».

ش: هكذا أورده المصنفُ غيرَ مَعزُوّ. وقد رواه البخاريُّ مختصراً[1] ومطولاً. ومسلم، واللفظ له، والترمذي، والنسائي[2].

قوله: (عن حُصين بن عبدالرحمن). هو السُّلمي، أبو الهُذيل الكوفي، ثقةٌ مات سنة ستٍ وثلاثين ومائة، وله ثلاثُ وتسعون سنة[3].

وسعيد بن جُبير: هو الإمامُ الفقيه، من جلَّة[4] أصحاب ابن عباس، روايتُه عن عائشة، وأبي موسى مُرسلة. وهو كوفيٌّ، مولى لبني أَسَد. قُتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين، ولم يُكمل الخمسين[5].

---

(١) (م): أي مختصراً.

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (٥٧٠٥، ٥٧٥٢) مطولاً، ورقم (٣٤١٠، ٦٤٧٢، ٦٥٤١) مختصراً، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٠)، والترمذي في «الجامع» (٢٤٤٨)، والنسائي في «السنن الكبرى كتاب الطب» كما في «تحفة الأشراف» (٤/ ٤١٠). وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢١٧)، والدارمي في «السنن» رقم (٢٨١٠).

(٣) ابن حجر، «تقريب» (١٧٠).

(٤) الأصل و(ض) و(هـ): جملة.

(٥) ابن حجر، «تقريب» (٢٣٤).

قوله: (انقضَّ). هو بالقاف والضَّاد الـمُعجمة، أي: سقط. والبارحةُ، هي: أقربُ ليلةٍ مضت. قال أبو العباس[١] ثعلب[٢]/ يقال قبل الزوال: رأيتُ الليلة، [٢١/ب] وبعد الزوال: رأيتُ البارحة، وكذا قال غيرُه. وهي مُشتقَّةٌ من بَرِح: إذا زال.

قولـه: (أمَـا إني لم أكن في صلاة)، قال في (مُغني اللبيب): أمَا. بالفتح[٣] والتخفيف، على وجهين: أحدُهما: أن تكون حرفَ استفتاح بمنزلة ألاَ، وإذا[٤] وقعت أنّ بعدها كُسرت. الثاني: أنْ تكون بمعنى حقاً، أو أحقاً[٥].

وقال آخرون: هي كلمتان: الهمزةُ للاستفهام[٦]، و ما اسمٌ بمعنى شيء، ذلك[٧] الشيءُ حقٌّ. فالمعنى أحقاً[٨]. وهذا هو[٩] الصواب.

و[موضعُ][١٠] ما: النصب على الظرفية. وهذه[١١] تُفتح أنّ بعدها. انتهى[١٢]. والأنسبُ هنا[١٣] هو الوجه الأوَّل

---

(١) (ض): السعادات. تحريف.

(٢) أحمد بن يحيى الشيباني. إمامُ أهل الكوفة في النحو، (ت ٢٩١ هـ) «وفيات الأعيان» (١/ ١٠٢).

(٣) (م): الفتح. تحريف.

(٤) (هـ)(ط): فاذا.

(٥) في جميع النسخ: أحق، والمثبت من «المغني».

(٦) (ض): للاستفتاح. تحريف.

(٧) (ط): أي أذلك.

(٨) في جميع النسخ: أحق، والمثبت من «المغني».

(٩) (م) (هـ)(ط): هذا وهو.

(١٠) إضافة من «المغني».

(١١) أي: التي بمعنى حقا، أو أحقا.

(١٢) ابن هشام، «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» (١/ ٥٦).

(١٣) (ض): هو. ساقطة.

القائلُ[١] هو حُصين، خاف أنْ يظنَّ الحاضرون: أنَّه رآه وهو يُصلي، فنفى عن نفسه إيهام العبادة. وهذا يدل على فضل السلف، وحرصِهم على الإخلاص، وإبعادهم[٢] عن الرياء والتزيُّنِ بما ليس فيهم[٣].

قوله: (ولكني لُدغت) بضم أوَّله، وكسر ثانيه. قال أهلُ اللغة: يُقال لدغته العقربُ، وذواتُ السموم: إذا أصابته بسُمِّها، وذلك بأنْ تأبره بشوْكتها.

قوله: (قلتُ: ارتقيت). لفظُ مسلم: استرقيتُ. أي: طلبتُ من يرقاني[٤].

قوله: (فما حملك على ذلك؟) فيه طلبُ الحجّةِ على صحة المذهب.

قوله: (حديثٌ حدثناه الشعبيُّ). اسمُه: عامر[٥] بن شَرَاحيل الهمداني. وُلد في خلافة عمر، وهو من ثقات التابعين وفقهائهم، مات سنة ثلاثٍ ومائة.

قوله: (عن بُريدة) بضم أوّله وفتح ثانيه، تصغيرُ بُردة (ابن الحُصَيب) ـ بضم الحاء وفتح الصاد الـمُهملتين ـ ابن الحارث الأسلمي، صحابيٌّ شهير. مات سنة ثلاثٍ وستين. قاله ابنُ سعد[٦].

قوله (لا رُقْية إلاَّ من عينٍ أو حُمَة) وقد رواه أحمدُ، و ابن ماجة، عنه مرفوعاً[٧]. ورواه أحمـدُ، وأبـوداود، والترمذي، عن عِمران بن حُصين، به مرفوعاً.[٨] قال

---

(١) (ط): والقائل.

(٢) (ط): وبعدهم.

(٣) (ض)(هـ): فيه.

(٤) (ط): يرقيني.

(٥) (ض): عامر بن. ساقط.

(٦) ابن سعد، «الطبقات» (٤/٢٤١).

(٧) أحمد في «المسند» (١/٢٧١)، وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٥١٣).

(٨) أحمـد في «المسنـد» (٤/٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٦)، والترمذي في «الجامع» رقم (٢٠٥٧)، وأبو داود في «السنن» رقم (٣٨٨٤).

الهيثميُّ: رجالُ أحمد ثقات.

و (العين): هي إصابةُ العائن غيره بعينه. و (الحُمة) - بضمِّ المهملة وتخفيف الميم - سمُّ العقرب، وشبهها.

قال الخطَّابي: ومعنى الحديث: لا رُقية أشفى وأولى من رُقيةِ العين والحُمة، وقد رَقى النبيُّ ﷺ ورُقي.

[٢٢/أ] قوله: (قد/ أحسن من انتهى إلى ماسمع). أي: مَن[١] أخذ بما بلغه من العلم[٢]، وعمل به فقد أحسن. بخلاف من يعملُ بجهل، أوْلا يعمل بما يعلم؛ فإنَّه مسيءٌ آثم. وفيه: فضيلةُ علم السَّلف، وحُسنُ أدبهم.

قوله: (ولكن حدّثنا ابنُ عباس) هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، ابنُ عم النبي ﷺ، دعا له، فقال: «اللَّهم فقِّههُ في الدين، وعلِّمه التأويل[٣]» فكان كذلك، مات بالطائف سنة ثمانٍ وستين.

قال المُصنِّفُ رحمه الله: وفيه عُمقُ علمِ السلف؛ لقوله: قد أحسن من انتهى الى ماسمع، ولكن كذا وكذا. فعُلِم أنَّ الحديث الأول لا يخالفُ الثاني[٤].

قوله: «عُرضت عليّ الأُمم» وفي الترمذي، والنسائي - من رواية

---

(١) (م): من: ساقطة.

(٢) (ط): من العلم. ساقط.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٦٥)، والطبراني في «الكبير» رقم (١٠٥٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٣٤) وصححه ووافقه الذهبي، قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٧٦): ولأحمد طريقان، رجالُها رجال الصحيح. وهو في الصحيح، غير قوله: «وعلمه التأويل».

(٤) المسألة السابعة عشرة.

عَبْثر بن القاسم[١]، عن حُصين بن عبدالرحمن: ـ أن ذلك كان ليلة الإسراء. قال الحافظ: فإنْ كان ذلك محفوظاً، كان فيه قوَّةٌ لمن[٢] ذهب إلى تعدد الإسراء، وأنه وقع بالمدينة أيضاً[٣].

قلتُ: وفي هذا نظر.

قولـه: «فرأيتُ النبيَّ ومعه الرهط» الذي[٤] في (صحيح مُسلم): «الرُّهيط» بالتصغير لا غير، وهم الجماعةُ دون العشرة، قاله[٥] النووي.

قوله: «والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد» فيه[٦] الردُّ على من احتج بالكثرة.

قوله: «إذ رُفع لي سوادٌ عظيم» المراد [به][٧] هُنا: الشخصُ الذي يُرى من بعيد.

قوله: «فظننتُ أنهم أُمَّتي»؛ لأن الأشخاص التي[٨] تُرى في الأُفق لا يُدرك منها إلَّا الصورة.

وفي (صحيح مسلم) «ولكن انظر إلى الأُفق» ولم يذكره المصنف. فلعلَّه سقط من الأصل الذي نقل الحديث منه. والله أعلم.

---

(١) أبو زبيد، ابن القاسم الزبيدي، ثقة. ت (١٧٩ هـ). «تقريب» (/٢٩٤).

(٢) الأصل و(ض) و(م) و(هـ): إلى من. والمثبت من (ط) و«الفتح».

(٣) ابن حجر، «فتح الباري» (١١/٤٠٧).

(٤) (ض)(هـ)(ط). والذي.

(٥) (ط): قال. تحريف.

(٦) (م): وفيه.

(٧) زيادة من (ض).

(٨) الأصل: الذي.

قوله: «فقيل لي: هذا موسى وقومه» أي: موسى بن عِمران، كليمُ الرحمن. وقومُه: أتباعهُ على دينه من بني إسرائيل.

قولـه: «فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيم. فقيل لي: هذه أُمَّتُك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» أي: لتحقيقهم[1] التوحيد.

وفي رواية ابن فُضيل «ويدخل الجنة من هؤلاء من أُمتك سبعون ألفاً».

وفي حديث أبي هريرة ـ في (الصحيحـين) ـ أنهم[2] «تُضيءُ وجوهُهم إضاءةَ القمر ليلة البدر»[3].

وروى الإمامُ أحمد، والبيهقي ـ في حديث أبي هُريرة ـ «فاستزدتُ ربي فزادني مع كلِّ ألفٍ سبعين ألفاً»[4] قال الحافظُ: / وسندُه جيد[5]. [/ب]

قوله: (ثم نهض). أي: قام.

قوله: (فخاض الناسُ في أولئك) ـ [هذا من العامِّ الذي أُريد به الخصوص ـ أي: جُملةُ الحاضرين][6]. خاض: بالخاء والضاد المُعجمتين.

وفي هذا: إباحةُ المناظرة والمُباحثة في نصوص الشرع، على وجه الاستفادة وبيان الحق.

وفيه: عُمق علم السلف؛ لمعرفتهم أنَّهم لم ينالوا ذلك إلاَّ بعمل.

---

(١) (م): بتحقيقهم.

(٢) الأصل و(ض) و(م) و(هـ): بأنهم.

(٣) البخـاري في «الصحيح» رقم (٥٨١١، ٦٥٤٢)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢١٦)، وأحمـد في «المسند» (٢/ ٤٠٠).

(٤) أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٩)، والبيهقي في «كتاب البعث» رقم (٤١٦).

(٥) ابن حجر، «فتح الباري» (١١/ ٤١٠).

(٦) ما بينهما إضافة من (ض).

وفيه: حرصهُم على الخير. ذكره المصنف[١].

قوله: فقال «هم الذين لا يَسترقون» هكذا ثبت في (الصحيحين)، وهو كذلك في حديث ابن مسعود، في (مُسند أحمد)[٢]. وفي رواية لمسلم[٣] «لا يَرقُون».

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: هذه الزيادةُ وهمٌ من الراوي، لم يَقُل النبيُّ ﷺ «لا يَرقُون»؛ وقد قال النبيُّ ﷺ وقد سُئل عن الرُّقى: «من استطاع منكم[٤] أنْ ينفع أخاه فلينفعه»[٥].

وقال: «لا بأس بالرُّقىٰ مالم تكن شركاً»[٦]

قال: وأيضاً، فقد رقى جبريلُ النبيَّ ﷺ[٧] ورقى النبيُّ ﷺ أصحابه[٨].

قال: والفرقُ بين الراقي والـمُسترقي: أنَّ الـمُسترقي[٩] سائلٌ مستعطٍ ملتفتٌ إلى غير الله بقلبه، والراقي مُحسن!

قال: وإنما الـمُراد: وصفُ السبعين ألفاً بتمام التوكل، فلا يسألون غيرَهم أنْ

---

(١) المسألتان: السابعة، والثامنة. .

(٢) أحمد في «المسند» رقم (٣٨٠٦، ٣٨١٩، ٣٩٨٧).

(٣) (ض): لمسلم. ساقطة.

(٤) (ض): منكم. ساقطة.

(٥) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢١٩٩) من حديث جابر.

(٦) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٠٠)، وأبو داود في «السنن» رقم (٣٨٨٦) من حديث عوف بن مالك.

(٧) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢١٨٦)، والترمذي في «الجامع» رقم (٩٧٢) من حديث أبي سعيد. وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢١٨٥) من حديث عائشة.

(٨) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٧٤٣)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢١٩٤)، وأبو داود في «السنن» رقم (٣٨٩٥) من حديث عائشة.

(٩) الأصل: أن المسترقى. ساقط.

يرقيهم[1] ولا يكويهم[2]. وكذا[3] قال ابنُ القيم[4].

قوله: «ولا يكتوون» أي: لا يسألون غيرَهم أنْ يكويهم، كما لا يسألون غيرهم أنْ يرقيهم[5]؛ استسلاماً للقضاء، وتلذذاً بالبلاء.

قلتُ: والظاهر أنَّ قوله: «لا يكتوون» أعمُّ من أنْ يسألوا ذلك، أو يُفعل بهم ذلك[6] باختيارهم.

أمَّا الكيُّ في نفسه فجائز؛ كما في (الصحيح) ـ عن جابر بن عبدالله ـ أنَّ النبي ﷺ بعث إلى أُبي بن كعب طبيباً، فقطع له عِرقاً، وكواه[7].

وفي (صحيح البخاري) ـ عن أنس ـ أنه كُوي من ذات الجنب، والنبيّ ﷺ حيٌّ[8].

وروى الترمذي، وغيرُه ـ عن أنس ـ أنَّ النبي ﷺ كوى أسعد[9] بن زُرارة، من الشوكة[10] [11].

---

(١) الأصل و(ض) و(م) و(هـ): يرقاهم.

(٢) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١/١٨٢، ٣٢٨). وينظر: «قاعدة التوسل» (٥٤).

(٣) (م): وكذا. ساقط.

(٤) ابن القيم، «مدارج السالكين» (٣/٤٩٥) وربما يقال: إنَّ كلمة (يرقون) هي بضم الياء وفتح القاف، على البناء للمجهول. فلا وهم ولا تناقض، والله أعلم!

(٥) الأصل و(ض) و(م) و(هـ): يرقاهم.

(٦) (ط): يفعلوا ذلك.

(٧) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٠٧)، وأبو داود في «السنن» رقم (٣٨٦٤).

(٨) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٧١٩، ٥٧٢١).

(٩) (م): سعد. تحريف.

(١٠) الشوكة: إحمرار ينتشر على الوجه والجسد. ينظر «النهاية» (٢/ ٥١٠).

(١١) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٠٥١). وقال: هذا حديثٌ حسن غريب، وابن حبان في «الصحيح» رقم (١٤٠٤).

وفي (صحيح البخاري) ـ عن ابن عباس ـ مرفوعاً «الشِّفاءُ في ثلاث: شربةُ عسل، وشرطة محجم، وكيَّةُ نار. وأنا أنهى[1] عن الكي»[2] وفي لفظ «وما أُحب أنْ أكتوي»[3].

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: قد تضمَّنت أحاديثُ الكيِّ أربعةَ أنواع. أحدُها: / فِعْلُه. والثاني: عدمُ محبته، والثالث: الثناءُ على من تركه، والرابع: النهيُ عنه. ولا تعارُضَ بينها بحمد الله. [٢٣/

فإنَّ فعله له[4] يدلُّ على جوازه، وعدمَ محبته[5] لا يدلُّ على المنع منه. وأمَّا الثناءُ على تاركه[6]، فيدلُّ على أنَّ تركه أولى وأفضل، وأمَّا النهيُ[7]، فعلى سبيل الاختيار والكراهة[8].

قوله: «ولا يتطيّرون» أي: لا يتشاءمون بالطيور ونحوها. وسيأتي إنْ شاء الله تعالى بيانُ الطيرة، وما يتعلَّق بها في بابها.

قوله: «وعلى ربهم يتوكلون» ذكر الأصلَ الجامع الذي تفرَّعت عنه هذه الأفعالُ والخصال، وهو التوكلُ على الله، وصِدقُ الالتجاء إليه، والاعتمادُ بالقلب عليه،

---

(١) (هـ)(ط): أنهى أمتي.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٦٨٠، ٥٦٨١).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٦٨٣، ٥٦٩٧، ٥٧٠٢، ٥٧٠٤)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٠٥).

(٤) (ض): له. ساقطة.

(٥) (م)(هـ)(ط): صحبته له.

(٦) (ط): تركه.

(٧) (ط): النهي عنه.

(٨) ابن القيم، «زاد المعاد» (٤/ ٦٦).

الذي هو نهايةُ[1] تحقيق التوحيد، الذي يُثمر[2] كلَّ مقام شريف: من المحبة، والرجاء، والخوف، والرضى به رباً وإلهاً، والرضى بقضائه.

وأعلم أنَّ الحديث لا يدلُّ على أنهم لا يُباشرون الأسباب أصلاً؛ فإنَّ مُباشرة الأسبابِ - في[3] الـجُملة - أمرٌ فطري ضروري، لا انفكاك لأحد عنه. بل نفسُ التوكل: مباشرةٌ لأعظم[4] الأسباب؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾. [الطلاق: ٣] أي: كافيه.

وإنما المرادُ: أنهم يتركون الأمورَ المكرُوهة مع حاجتهم إليها[5]، توكلاً على الله تعالى، كالاكتواء والاسترقاء. فتركُهم له؛ لكونه سبباً مكروهاً، لا سيما والمريضُ يتشبَّث - فيما يظنُّه سبباً لشفائه - بخيط العنكبوت.

وأمَّا مباشرةُ الأسباب، والتداوي[6] - على وجهٍ لا كراهية[7] فيه - فغيرُ قادح في التوكل، فلا يكون تركُه مشروعاً؛ لما في (الصحيحين) - عن أبي هريرة - مرفوعاً «ما أنزل الله من داءٍ إلَّا أنزل له شفاء .[8] عِلمه من علمه، وجهله من جهله» [8] [9].

---

(١) (ض): غاية.

(٢) الأصل: يمثر. تحريف.

(٣) (هـ): مع.

(٤) الأعظم. معلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٥) (ض)(ط): إليهم.

(٦) (م): والكوي.

(٧) (ض)(م)(هـ): كراهة.

(٨) ما بينهما ليس في (م).

(٩) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٦٧٨) دون الجملة الأخيرة، وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٠٤) من حديث جابر. وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٧، ٤١٣، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٥٣)، وابن حبان في «الصحيح» رقم (١٣٩٤) (موارد)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٩٦) من حديث ابن مسعود.

وعن أُسامةَ بنِ شَريك، قال: كنتُ عند النبي ﷺ وجاءت الأعرابُ، فقالوا: يارسول الله، أنتداوى؟ قال: «نعم ـ ياعباد الله ـ تداووا؛ فإنَّ الله عزَّ وجل لم يضع داءً إلَّا وضع له شفاءً. غيرَ داءٍ واحد» قالوا: وماهو؟ قال: «الهرم» رواه أحمد[١].

قال[٢] ابنُ القيم رحمه الله تعالى: وقد تضمَّنت هذه الأحاديثُ إثباتَ الأسباب والمُسبِّبات. وإبطالَ قول من أنكرها، والأمرَ بالتداوي، وأنه لا يُنافي التوكل؛ كما لا يُنافيه/ دفعُ ألم الجوع والعطش، والحرِّ والبرد، بأضدادها. بل لا تتم حقيقةُ [٢٣] التوحيد إلَّا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيةً[٣] لمسبَّباتها قَدَراً وشرعاً، وأنَّ تعطيلها يقدَحُ في نفس التوكل، كما يقدح في[٤] الأمر والحكمة، ويضعفُه من حيث يظنُّ معطِّلُها أنَّ تركها أقوى[٥] في[٦] التوكل.

فإنَّ ترْكها عجزٌ يُنافي التوكل، الذي حقيقتُه اعتمادُ القلب على الله تعالى في حصول ماينفع العبدَ في دينه ودنياه، ودفع ما يضرُّه في دينه ودنياه. ولابُدَّ مع هذا الاعتماد من مُباشرة الأسباب، وإلَّا كان مُعطِّلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبدُ

---

(١) أحمد في «المسند» (٤/٢٧٨)، وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٣٨٥٥)، والترمذي في «الجامع» رقم (٢٠٣٩) وقال: هذا حديث حسنٌ صحيح، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١/٦٢)، وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٤٣٦)، وابن حبان في «الصحيح» رقم (١٣٩٥) «موارد»، والطيالسي في «المسند» رقم (١٧٤٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٩١)، والحميدي في «المسند» رقم (٨٢٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/٣٢٣)، والطبراني في «الكبير» (١/١٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٣٩٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) (ض) (م) (هـ) (ط): وقال.

(٣) (م) و«زاد المعاد»: مقتضيات.

(٤) (ض): في نفس.

(٥) (ض): أقوى. ساقطة.

(٦) الأصل و(ض) و(م): من.

عجزه توكلاً، ولا توكُّلَه عجزاً[١].

وقد اختلف العُلماءُ في التداوي: هل هو مباحٌ، وتركُه أفضل، أو مُستحب أو واجب؟

فالمشهورُ عن أحمد الأوَّل؛ لهذا الحديث وما في معناه. والمشهورُ عند الشافعية[٢] الثاني، حتى ذكر النوويُّ ـ في (شرح مسلم) ـ: أنه مذهبُهم، ومذهب جمهور السلف وعامَّةِ الخلف[٣].

واختاره الوزير، أبو المظفّر. قال: ومذهبُ أبي حنيفة: أنه مؤكد، حتى يُداني به الوجوب[٤]. قال: ومذهبُ مالك: أنه يستوي فعلُه وتركه، فإنه قال: لا بأس بالتداوي، ولا بأس بتركه[٥].

وقال شيخُ الإسلام: ليس بواجبٍ عند جماهير الأئمة، وإنَّما أوجبه طائفةٌ قليلة من أصحاب الشافعي وأحمد[٦].

قوله: (فقام عكَّاشةُ بن مِحْصَن). هو: بضم العين وتشديد الكاف، ومحصن: بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد الـمُهملتين، ابن حُرثان: بضم المهملة وسكون الراء بعدها مُثلّثة. الأسدي، من[٧] بني أسد بن خُزيمة. كان من السابقين إلى الإسلام، ومن أجمل الرجال. هاجر، وشهد بدراً وقاتل فيها،

---

(١) ابن القيم، «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/ ١٤ ـ ١٥).

(٢) (ض): الشافعي.

(٣) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٤/ ١٩١).

(٤) (ط): الواجب.

(٥) ينظر: ابن عبدالبر، «التمهيد» (٢٤/ ٦٥).

(٦) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٢٦٩).

(٧) (ط): هو من.

واستُشهد في قتال الرِّدّة مع خالد[1] بيد طُليحة الأسدي سنة اثنتي عشرة[2]، ثم أسلم طُليحةُ بعد ذلك، وجاهد الفُرس يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص، واستُشهد في وقعة الجسر المشهورة[3].

قوله: (فقال: يارسول الله، ادعُ الله أنْ يجعلني منهم، قال: «أنت منهم» وللبخاري في روايةٍ، فقال: «اللهم/ اجعله منهم» وفيه: طلبُ الدعاء من الفاضل. [٢٤/

[4] قوله: (ثم قام رجلٌ آخر) ذكره مُبهماً، فلا[5] حاجةَ بنا الى البحث عن اسمه [4].

قوله: فقال «سبقك بها عكاشة»[6] قال القُرطبي: لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عُكّاشة، فلذلك لم يُجبه، إذ لو أجابه لجاز أنْ يطلب ذلك كلٌّ من كان حاضراً، فيتسلسل الأمر، فسدَّ الباب بقوله ذلك. انتهى [6].

قال المُصنف رحمه الله تعالى: وفيه: استعمالُ المعاريض، وحسنُ خُلُقِه ﷺ[7].

---

(١) (هـ) (ط): خالد بن الوليد.

(٢) قتله انتقاماً لمقتل أخيه حبال بن خويلد، على ماء بُزاخة ببلاد بني أسد. البلاذري «فتوح البلدان» (١٠٥).

(٣) وكانت سنه ثلاث عشرة للهجرة، وسمى يوم قس الناطف. «فتوح البلدان» (٢٥٢).

(٤) ما بينهما ساقط من (ط).

(٥) (هـ): ولا.

(٦) ما بينهما ساقط من (م) ومعلّق في هامش الأصل، وبجواره كلمة صح.

(٧) المسألتان: الحادية والعشرون، والثانية والعشرون.



(٣)
باب الخوف من الشرك

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ الخوف من الشرك.

وقولِ الله تعالى: ﴿إنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. [النساء: ٤٨ - ١١٦].

ش: قال ابنُ كثير: أخبر تعالى أنَّه: ﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: لا يغفر لعبدٍ لقيه وهو مشرك ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: من الذنوب لمن يشاء[١] من عباده. انتهى[٢].

فتبيَّن بهذه الآية: أنَّ الشرك أعظمُ الذنوب؛ لأن الله تعالى أخبر أنَّه لا يغفره لمن لم يتب منه، وما دونه من الذنوب فهو داخلٌ تحت المشيئة[٣]: إنْ شاء غفره لمن لقيه به[٤]، وإنْ شاء عذَّبه[٥].

وذلك يوجبُ للعبد شدَّة الخوف من الشرك الذي هذا شأنُه عند الله؛ لأنه أقبحُ القبيح، وأظلم الظلم، وتنقّصٌ لربِّ العالمين، وصرفُ خالص حقِّه لغيره. وعدلُ غيره به، كما قال تعالى ﴿ثم الذين كفروا بربِّهم يَعْدِلُونَ﴾. [الأنعام: ١].

ولأنه مناقضٌ للمقصود بالخلق والأمر، منافٍ له من كل وجه، وذلك غايةُ

---

(١) (ض) (م): شاء.

(٢) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٢٨٦).

(٣) (م): مشيئة الله.

(٤) (م): به. ساقطة.

(٥) (ط): عذب به.

الـمُعاندة لربِّ العالمين، والاستكبارِ عن طاعته، والذّل له، والانقيادِ لأوامره، الذي لا صلاح للعالم إلَّا بذلك. فمتى خلا منه خرب، وقامت القيامة، كما قال ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى لا يقال في الأرض الله، الله» رواه مسلم[1].

ولأنَّ الشركَ تشبيهٌ للمخلوق بالخالق ـ تعالى وتقدَّس ـ في خصائص الإلهية: مِن مُلك الضر والنفع، والعطاءِ والمنع، الذي يوجب تعلُّقَ الدعاء، والخوف والرجاء والتوكل، وأنواعِ العبادة كلِّها بالله تعالى وحده. فمن علَّق ذلك بمخلوقٍ فقد شبَّهه بالخالق، وجعلَ من لا يملكُ لنفسه ضرًّا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نُشوراً شبيهاً بمن له الحمدُ كلُّه، وله الخلق كله، وله المُلك كله، وبيده الخيرُ كله، وإليه يرجع الأمرُ كلُّه.

فأزمَّةُ الأمور كلِّها بيده سبحانه، ومرجعُها إليه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. لا مانع / لما أعطى، ولا مُعطي لما منع، الذي إذا فتح للناس رحمةً فلا مُمسك لها، وما يمسكُ فلا مُرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم. فأقبحُ التشبيه: تشبيه العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغني بالذات. [١/ب]

ومن خصائص الإلهية: الكمالُ الـمُطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه. وذلك يوجب أنْ تكون العبادةُ كلُّها له وحده، والتعظيم والإجلال، والخشيةُ والدعاء، والرجاء والإنابة، والتوكلُ والتوبة والاستعانة، وغايةُ الحبِّ مع غايةِ الذل. كلُّ ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرة، أنْ يكون لله

---

(١) مسلم في «الصحيح» رقم (١٤٨)، وأخرجه الترمذي في الجامع رقم (٢٢٠٨)، وأحمد في «المسند» (٣/١٠٧، ٢٠١، ٢٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٤٩٥)، وابن حبان في «الصحيح» (٨/٢٩٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/٢٣)، وعبدالرزاق في «المصنف» (١١/٤٠٢)، وعبد بن حُميد في «المنتخب» رقم (١٢٤٧) من حديث أنس.

وحده، ويمتنع عقلاً وشرعاً وفطرة أنْ يكون لغيره.

فمن فعل شيئاً من ذلك بغيره[١]، فقد شبَّه ذلك الغيرَ بمن لا شبيه له، ولا مِثل[٢] له، ولا نِدَّ له[٣]، وذلك أقبحُ التشبيه وأبطلُه.

فلهذه الأمور وغيرها: أخبر سُبحانه وتعالى أنه لا يغفره، مع أنَّه كتب على نفسه الرحمة. هذا معنى كلامِ ابن القيِّم رحمه الله تعالى[٤].

وفي الآية ردٌّ على الخوارج المكفِّرين بالذنوب، وعلى الـمُعتزلة القائلين بأنَّ أصحاب الكبائر مخلَّدون[٥] في النار، وليسوا عندهم بمؤمنينَ ولا كفار.

ولا يجوز أنْ يُحمل قولُه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُون ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ على التائب؛ فإنَّ التـائب من الشرك مغفورٌ له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾. [الزمر: ٥٣].

فهُنا عمَّ[٦] وأطلق؛ لأن الـمُراد به التائب، وهناك خصَّ وعلّق؛ لأن الـمُراد به من لم يتب. هذا مُلخص قولِ شيخ الإسلام[٧].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال الخليلُ عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾. [ابراهيم: ٣٥].

---

(١) (ض) (ط): لغيره.

(٢) (ط): مثيل.

(٣) (ض): له، ساقطة.

(٤) ينظر: ابن القيم، «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٦٠ وما بعدها).

(٥) (ض) (هـ) (ط): يخلدون.

(٦) (ض) (م) (هـ) (ط): عمم.

(٧) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٧٥).

ش: الصَّنَم: ماكان منحوتاً على صورة. والوَثَـنُ: ماكان منحوتـاً(١) على غير ذلـك. ذكره الطبريُّ، عن مُجاهد(٢).

قلتُ: وقد يُسمّى الصنمُ وثَناً؛ [كما قال الخليلُ عليه السلام: ﴿إنَّما تَعْبُدُونَ مِن دُون الله أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إفْكاً﴾ [العنكبوت: ١٧]](٣) ويُقال: إنَّ الوَثَنَ أعمُّ؛ وهو قويٌّ. فالأصنامُ أوثانٌ، كما أنَّ القبور أوثان.

قوله: ﴿وَاجْنُبني وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ أي: اجعلني وبنيَّ في جانبٍ عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها. وقد استجاب الله تعالى دعاءَه، وجعل بَنيه / [٢٥/أ] أنبياءَ وجنَّبهم عبادة الأصنام.

وقـد بيَّن ما يوجب الخـوفَ من ذلك؛ بقوله: ﴿رَبِّ إنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾. [ابراهيم: ٣٦]، فإنَّه هو الواقعُ في كلِّ زمان؛ فإذا عرف الانسانُ أنَّ كثيراً وقعوا فـي الشركِ الأكبر، وضلُّوا بعبادة الأصنام: أوجب ذلك خوفَه من أنْ يقع فيما وقع فيه الكثير، من الشركِ الذي لا يغفره الله.

قال ابراهيمُ التيميّ(٤): ومَن يأمنُ البلاءَ بعد إبراهيم؟. رواه ابنُ جرير، وابنُ أبي حاتم(٥).

فلا يأمنُ الوقوعَ في الشركِ إلَّا من هو جاهلٌ به، وبما يُخلِّصه منه: من العلم بالله، وبما بعث(٦) به رسولَه، من توحيدِه، والنهي عن الشرك به.

---

(١) (ض) (م) (هـ) (ط): موضوعًا.

(٢) ينظر «تفسير الطبري» (١١/٤٦٩).

(٣) ما بينهما إضافة من (هـ) و (ط).

(٤) أبو أسماء، بن يزيد بن شَريك الكوفي العابد، ثقة إلا أنه يرسل ويدلس (ت ١٩٢ هـ) «تقريب» (٩٥).

(٥) كما في «الدر المنثور» (٥/٤٦).

(٦) (م): بعث الله.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي الحديث «أخوفُ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغر»، فسُئل عنه؟ فقال: «الرياء».

ش: أورد المصنفُ هذا الحـديثَ مختصراً غيرَ معـزوّ. وقد رواه الإمامُ أحمد، والطبراني، والبيهقي.

وهذا لفظُ أحمد: حدَّثنا يُونس، حدَّثنا ليث، عن يزيد ـ يعني[1] ابن الهاد ـ عن عمرو، عن محمود بن لَبيد: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم الشركُ الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: «الرياءُ. يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جزى[2] الناسَ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً»[3]؟

قال الـمُنذري: ومحمودُ بن لَبيد رأى النبيَّ ﷺ، ولم يصح له منه سماعٌ فيما أرى. وذكر ابنُ أبي حاتم: أنَّ البخاريَّ قال: له صحبة، ورجَّحه ابنُ عبد البر والحافظ.

وقد رواه الطبرانيُّ بأسانيد جيّدة عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خَديج[4]. مات محمود سنة ستٍ وتسعين. وقيل: سنة سبع وتسعين. وله تسع وتسعون سنة.

قوله: «إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» هذا من شفقته ﷺ بأمته، ورحمته ورأفته بهم، فلا خير إلَّا دلَّهم عليه وأمرهم به، ولا شرَّ إلَّا بيَّنه لهم وأخبرهم

---

(١) (ض): يعني. ساقطة.

(٢) (هـ) (ط): جازى.

(٣) مسند أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٠٢): ورجاله رجال الصحيح، والطبراني في «الكبير» رقم (٤٣٠١) قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٢٢٢): ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن شبيب بن خالد وهو ثقة، وحسَّن الحافظ إسناده كما في «بلوغ المرام» (٣٠٢).

(٤) المنذري، «الترغيب والترهيب» (١/٦٩).

به ونهاهم عنه؛ كما قال ﷺ - فيما صحَّ عنه -: «مابعث الله من نبي إلَّا كان حقاً عليه أنْ يدل أُمته على خير ما يعلمه لهم» الحديث[1] / . [٢/ب]

فإذا كان الشركُ الأصغر مخوفاً على أصحاب رسول الله ﷺ - مع كمال علمهم وقـوَّةِ إيمانهم - فكيف لا يخافـه - ومـا فوقه - ممن[2] هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب؟! خصوصاً إذا عُرف أنَّ أكثر عُلماء الأمصار اليوم لا يعرفون من التوحيد إلَّا ما أقرَّ به المشركون!. وما عرفوا معنى الإلهية، التي نفتها كلمةُ الإخلاص عن كلِّ ما سوى الله.

وأخرج: أبو يعلى، وابنُ المنذر، عن حُذيفة بن اليمان، عن أبي بكر، عن النبي ﷺ، قال: «الشركُ [فيكم][3] أخفى من دبيب النمل» قال أبوبكر: يارسول الله، وهل الشركُ إلَّا ما عُبد من دون الله، أو ما دُعي مع الله، قال: «ثَكِلتك أُمك! الشركُ فيكم أخفى من دبيب النمـل» الحديث. وفيه: «أنْ تقول: أعطاني الله وفلان، والنِّدُّ: أنْ يقول الإنسان: لو لا فلان قتلني فلان»[4] انتهى. من (الدُّر).

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (١٨٤٤)، والنسائي في «المجتبى» (٧/١٥٣)، وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٩٥٦)، وأحمد في «المسند» (٢/١٦١، ١٩١) من حديث عبدالله بن عمرو.

(٢) (ط): من.

(٣) ساقط من الأصل و(م) و(هـ) و(ط).

(٤) أبو يعلى في «المسند» رقم (٥٨)، وعنه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٨٦). وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٤/٥٤)، وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، كما في «مجمع الزوائد» (١٠/٢٢٤)، ولـه شاهـد من حديث أبي موسى الأشعري، أخرجـه أحمد في «المسند» (٤/٤٠٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/٣٣٧)، والطبراني في «الكبير والأوسط» كما في «المجمع» (١٠/٢٢٣)، وشاهد من حديث معقل بن يسار، عن أبي بكر، أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧١٦)، وأبويعلى في «المسند» رقم (٥٩، ٦٠، ٦١).

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من ماتَ وهو يدعو مِن دون الله نِداً دخل النار» رواه البخاري[1].

ش: قال ابنُ القيم: النِّدُّ: الشَّبيه[2]، يُقال: فلانٌ ندُّ فلان، ونديده، أي: مثله وشبهه[3]. انتهى، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾. [البقرة: ٢٢].

قوله: «من مات وهو يدعو من دون الله[4] نداً» أي: يجعل لله نداً[5] في العبادة، يدعوه ويسأله ويستغيث به، «دخل النار».

[6] قال العلاَّمةُ[7] ابنُ القيِّم رحمه الله تعالى:

والشركُ فاحذره، فشركٌ ظاهر ... ذا القِسم ليس بقابل الغفرانِ
وهو اتخاذ النـدِّ للرحمن أيّاً ... كان، من حجرٍ ومن إنسان
يدعوه، أو يرجوه، ثم يخافه ... ويحبه كمحبة الـدَّيان[6][8]

واعلم، أنَّ اتخاذ النِّدِّ على قسمين:

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٤٩٧، ٦٦٨٣)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/٤٦٢، ٤٦٤). وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٩٢) بغير هذا اللفظ.

(٢) (هـ): الشبه.

(٣) (ط): وشبيهه. ابن القيم، «اغاثة اللهفان» (٢/٣٢٥).

(٤) الأصل و (ض) و (م) و (هـ): يدعو لله.

(٥) (ض): أي يجعل لله نداً. ساقط.

(٦) ما بينهما معلّق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٧) (ض) (هـ): العلاَّمة. ساقطة.

(٨) ابن القيم، «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (١٥٧).

الأوَّل: أنَّه[١] يجعله لله شريكاً في أنواع العبادة أو بعضها[٢]، كما تقدَّم. وهو[٣] شركٌ أكبر.
والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر، كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولو لا الله وأنت. وكيسير الرياء؛ فقد ثبت أنّ النبي ﷺ لما قال له رجل: ماشاء الله وشئت، قال: «أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده» رواه أحمدُ، وابن أبي شيبة، والبخاري في (الأدب المفرد)، والنسائي، وابن ماجة[٤]. وقد تقدَّم حُكمُه في باب فضل التوحيد.

وفيه: بيانُ أنَّ دعــوةَ غير الله فيما لا يقــدرُ عليه إلَّا الله شركٌ جلي، كطلب الشفاعة من الأموات. فإنَّها مُلكٌ لله تعالى، / وبيده ليس[٥] بيد غيره منها شيء، [٢٦/أ] وهو الذي يأذنُ للشفيع أنْ يشفع فيمن لاقى الله بالإخلاص والتوحيد من أهل الكبائر، كما يأتي تقريُره في باب الشفاعة إنْ شاء الله تعالى.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلمٍ، عن جابر: أنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) (م) (هـ) (ط): أن.
(٢) (م): أو بعضها. ساقط.
(٣) (ض): وهي.
(٤) أحمد في «المسند» (١/٢١٤، ٢٨٣، ٣٤٧)، والبخاري في «الأدب» رقم (٧٨٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٨٨)، وابن ماجة في «السنن» رقم (٢١١٧). وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت» رقم (٣٤٥)، والطبراني في «الكبير» رقم (١٣٠٠٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٦٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/٩٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٤/٩٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٤٤) و«السنن الكبرى» (٣/٢١٧)، والخطيب في «التاريخ» (٨/١٠٥) من حديث ابن عباس. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/١٥٠): فيه الأجلح بن عبدالله، مُختلف فيه. ورواه أبوبكر بن أبي شيبة في «مسنده». وذكره الألباني في «صحيحته» رقم (١٣٩).
(٥) (م): لا.

قال: «من لقيَ الله لا يُشركُ به شيئاً دخل الجنة، ومن لَقيهُ يشركُ به شيئاً دخل النار»(١)

ش: جابر: هو ابنُ عبدالله بن عمرو بن حَرام - بمُهملتين - الأنصاري، ثم السَّلَمي - بفتحتين - صحابيٌّ جليل(٢)، ولأبيه مناقبُ مشهور رضي الله عنهما، مات بالمدينة بعد السبعين، وقد كُفَّ بصرُه، وله أربعٌ وتسعون سنة(٣).

قولـه: «مَن لقي الله لا يُشرك به شيئاً» قال القُرطبي: أي: لم(٤) يتخذ معه شريكاً في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة. ومن المعلوم من الشرع، المجمعِ عليه عند أهل السُّنة: أنَّ من مات على ذلك فلا بُدَّ له من دخول الجنة، وإنْ جَرت عليه قبل ذلك أنواعٌ من العذاب والمحنة(٥)، وأنَّ مَن(٦) مات على الشرك لا يدخل الجَّنَةَ، ولا يناله من الله رحمة، ويُخلَّد في النار أبد الآباد، من غير انقطاع عذابٍ، ولا تصرُّم آماد.

وقال النووي: أمَّا دخولُ المشرك النارَ فهو على عُمومه، فيدخلها ويخلَّد فيها، ولا فرق فيه(٧) بين الكتابي - اليهودي والنصراني(٨) - وبين عبدةِ الأوثان وسائر

---

(١) مسلم في «الصحيح» رقم (٩٣)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/٣٢٥، ٣٤٥، ٣٧٤)، وابن خزيمة في كتاب «التوحيد» رقم (٥٦٧، ٥٦٩)، وابن مَندة في كتاب «الإيمان» رقم (٧٤، ٧٥).

(٢) (ط): جليل هو وأبوه.

(٣) (هـ) (ط): سنة. ساقطة.

(٤) (م): لا.

(٥) (ض): والمحن.

(٦) (ض): من. ساقطة.

(٧) (ض) (م): فيه: ساقطة.

(٨) الأصل و (ض): بين اليهودي والكتابي والنصراني.

الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من خالف مِلَّة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حُكم بكفره؛ بجحده [مايكفُر بجحده][١] وغير ذلك.

وأمَّا دخولُ من مات غيرَ مشركٍ الجنَّةَ، فهو مقطوعٌ له به. لكن إنْ لم يكن صاحبَ كبيرةٍ ـ مات[٢] مُصرّاً عليها ـ دخل الجنةَ أوَّلاً، وإنْ كان صاحب كبيرة مات مُصرّاً عليها فهو تحت المشيئة: فإنْ عُفي[٣] عنه دخل الجنة أوَّلاً، وإلاَّ عُذِّب[٤] في النار، ثم أُخرج من النار وأُدخل الجنة[٥].

وقال غيرُه: اقتصر على نفي الشرك؛ لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء، واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم. إذ من كذَّب رُسلَ الله فقد كذَّب الله، ومَن كذَّب الله فهو مشرك. وهو كقولك: من توضأ صحَّت صلاتُه، أي / : مع سائر [٢٦/ب] الشروط. فالمرادُ: من مات حال كونهِ مؤمناً بجميع ما يجب الإيمان به، إجمالاً في الإجمالي[٦]، وتفصيلاً في التفصيلي[٧]. انتهى[٨].

---

(١) إضافة من «المنهاج».
(٢) (ض) (م) (هـ): مات. ساقطة.
(٣) (ط): عفا الله.
(٤) (م): عذاب. تحريف.
(٥) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج» (٢/٩٧).
(٦) (ض): في الاجمال. (م) ساقط.
(٧) (ض) (م): التفصيل.
(٨) سليمان بن عبدالله، «تيسير العزيز الحميد» (١٢٢).

(٤)
باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ الدُّعاء إلى شهادة أنْ لا إله إلَّا الله

ش: لما ذكر الـمُصنف رحمه الله تعالى: التوحيدَ وفضله، وما يُوجب الخوف من ضدِّه.

نبَّه بهذه الترجمة على أنَّه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه، بل يجب عليه أنْ يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة؛ كما هو سبيل الـمُرسلين وأتباعهم، كما قال الحسنُ البصري ـ لَمَّا تلا هذه الآية[1]: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إلى الله وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّني مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. [فصلت: ٣٣] فقال: هذا حبيبُ الله، هذا وليُّ الله، هذا صفوةُ الله، هذا خِيَرَةُ الله، هذا أحبُّ أهل الأرض إلى الله؛ أجاب الله في دعوته، ودعا الناسَ إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من المسلمين. هذا خليفةُ الله[2].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى: ﴿قُلْ: هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. [يوسف: ١٠٨].

---

(١) (م) (هـ) (ط): قوله تعالى.

(٢) أخرجه عبدالرزاق، في «التفسير» (٢/ ١٨٧).

ش: قال أبو جعفر بن جرير: يقول تعالى ذِكْره لنبيه محمد ﷺ ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿هذِه﴾ الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها: من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاصِ العبادة له دون الآلهة[1] والأوثان، والانتهاءِ إلى طاعته وترك معصيته ﴿سبيلي﴾ وطريقتي، ودعوتي ﴿أدعو إلى الله﴾ تعالى وحدَه لا شريك له ﴿على بصيرة﴾ بذلك[2] ويقينِ علمٍ مني به ﴿أنا و﴾ يدعو إليه على بصيرة أيضاً ﴿مَن اتبعني﴾ وصدَّقني، وآمن بي. ﴿وسبحانَ الله﴾ يقول له تعالى ذِكْرُه: وقل تنزيهاً لله تعالى وتعظيماً له: مِن أن يكون له شريكٌ في ملكه أو معبود سواه في سلطانه ﴿وما أنا من المشركين﴾ يقول: وأنا بريءٌ من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم منّي. انتهى[3]

قال[4] في (شرح المَنازل): يريدُ أنْ تصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم، وهي البصيرةُ التي يكون[5] نسبة المعلوم[6] فيها إلى القلب كنسبة المرئي[7] إلى البصر. وهذه هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة / عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء. [٢٧/أ]

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ أي: أنا وأتباعي على بصيرة. وقيل: ﴿ومن اتَّبعني﴾ عطفٌ على المرفوع في ﴿أدعو﴾ أي: أنا[8] أدعو إلى الله على بصيرة، ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله تعالى على بصيرة. وعلى القولين: فالآيةُ تدل على أن[9] أتْباعَه هم أهلُ البصائر الداعين[10] إلى الله

(١) (م): الاهية. تحريف.
(٢) (هـ): من ذلك.
(٣) «تفسير الطبري» (١٦/٢٩١).
(٤) (ض): قال ابن القيم.
(٥) (ط): تكون.
(٦) (ض) (م) (هـ): العلوم.
(٧) (م): المرائي.
(٨) (ض): أنا. ساقطة.
(٩) (م): أن. ساقطة.
(١٠) (ط): الداعون.

تعالى، ومن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة. وإن كان من أتباعه على الانتساب والدَّعوى(١).

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:

منها: التنبيهُ على الإخلاص؛ لأن كثيراً [من الناس](٢) لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.

ومنها: أنَّ البصيرةَ من الفرائض.

ومنها: أنَّ من دلائل حُسن التوحيد: أنَّه تنزيهٌ لله تعالى عن الـمَسبَّة.

ومنها: أنَّ من قُبح الشرك كونه مَسبَّةٌ لله.

ومنها: إبعادُ المسلم عن المشركين لا يصير منهم، ولو لم يُشرك. انتهى(٣).

وقال العلاَّمةُ ابنُ القيِّم رحمه الله تعالى ـ في معنى قوله تعالى: ﴿أُدْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّـكَ بِالحِكْمَةِ وَالْموعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] ـ: ذكر سبحانه مراتبَ الدعوة، وجعلها ثلاثةَ أقسامٍ بحسب حال المدعو:

فإنَّه إمَّا أنْ يكونَ طالباً للحق محباً له، مُؤثراً له على غيره إذا عرفه. فهذا يُدعَى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظةٍ وجدال.

وإمَّا أنْ يكون مُشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتبعه. فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.

وإمَّا أن يكون مُعانداً معارضاً، فهذا يُجادل بالتي هي أحسن. فإنْ رجع، وإلا انتقل معه الى الجلاَد(٤) إنْ أمكن. انتهى(٥).

---

(١) ابن القيم، «مدارج السالكين» (٢/ ٤٨١).

(٢) إضافةٌ من كتاب «التوحيد».

(٣) المسائل: الثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة.

(٤) (ط): الجدال. تحريف.

(٥) ينظر: ابن القيم، «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٩٣).

[١] وقال أيضاً رحمه الله تعالى: والفرقُ بين حُبِّ الإمامة والدعوة إلى الله، وحب الرياسة: هو الفرقُ بين تعظيم أمر الله والنصح له، وتعظيمِ النفس والسعي في حظِّها[٢]

فإنَّ الناصح لله المحب له، يُحبُ أنْ يُطاع ربُّه فلا يُعصى، وأن تكون كلمته هي[٣] العليا، وأن يكون الدينُ كلُّه لله، وأن يكون العباد ممتلثين أوامره مجتنبين نواهيه.

فقد ناصح الله في عبوديته، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله، فهو يحب الإمامة في الدين. بل يسأل ربه[٤] أن يجعله للمتقين إماماً يقتدي به المقتدون[٥]، كما اقتدى[٦] هو بالمتقين.

فاذا أحب هذا العبدُ[٧] الداعي إلى الله أن يكون في أعين الناس جليلاً، وفي قلوبهم مهيباً، وإليهم حبيبا، وأن يكون فيهم مطاعاً، لكي يأتموا به، ويقتفوا أثر الرسول ﷺ على يديه. لم يضره ذلك[٨] بل يُحمد عليه؛ لأنه داعٍ إلى الله، يُحب أنْ يطاع ويعبد ويوحَّد. فهو يُحب ما يكون عوناً على ذلك، موصلاً إليه.

ولهذا ذكر الله سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه، وأثنى عليهم في تنزيله

---

(١) من هنا ساقطٌ من (ط)، ومعلّق من هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٢) الأصل: خفظها. و(م) حفظها. ولعل المُثبت هو الصواب.

(٣) (ض): هي. ساقطة.

(٤) ربه. ليست في (ض).

(٥) (ض): المتقون.

(٦) (م): يقتدي.

(٧) (ض): العبد. ساقطة.

(٨) (م): ذلك ساقطة.

وأحسن جزاءهم يوم لقائه. فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم، ثم قال ﴿والذين يقولون ربَّنا هب لنا من أزواجنا وذُرِّياتنا قرَّةَ أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾. [سورة الفرقان: ٧٤]. فسألوه أنْ يقر أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه، وأن[1] يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته.

فإنَّ الإمام والمؤتم متعاونان على طاعته[2]، وانَّما سألوه ما يعاونون به المتقين على مرضاته وطاعته، وهو دعوتهم إلى الله بالإمامة في الدين، التي أساسها الصبر واليقين، قال[3] تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يُوقنون﴾. [السجدة: ٢٤]. فسؤالهمُ: أنْ يجعلهم أئمة للمتقين.

هو سؤالٌ أنْ يهديهم ويوفقهم ويمنَّ عليهم بالعلوم[4] النافعة، والأعمال [الصالحة][5] ظاهراً وباطناً، التي لا تتم الإمامةُ إلَّا بها.

وتأمَّل كيف نسبهم في هذه الآيات إلى اسم الرحمن جلَّ جلاله، ليعلم خلقُه أنَّ هذا إنما نالوه بفضله ورحمته، ومحض جوده[6] ومنَّته.

وتأمل كيف جعل جزاءهم في هذه الصورة: الغرف وهي المنازل العالية في الجنة.

وهذا[7] لـمَّا كانت الإمامةُ في الدين من الرتب العالية ـ بل من أعلى مراتب يُعطاها العبد في الدنيا ـ كان جزاؤه[8] عليها الغرف العالية في الجنة.

وهذا بخلاف طلب[9] الرياسة، فإنَّ طالبيها[10] يسعون في تحصيلها لينالوا بها

---

(١) (ض): أن. ساقطة.
(٢) (ض): الطاعة.
(٣) (م): كما قال.
(٤) (م): بالقلوب.
(٥) إضافة من (ض).
(٦) (م): وجوده.
(٧) (ض): هذا. ساقطة.
(٨) (م): جزاءه. تحريف.
(٩) (م): طالب.
(٢) (ض): طلابها.

أغراضهم: من العلوِّ في الارض، وتعبد القلوب لهم، وميلها إليهم، ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم، مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم.

فترتب على هذا الطلب من المفاسد مالا يعلمه إلَّا الله: من البغي والحسد، والطغيان والحقد، والظلم، والحمية[1] للنفس دون حق الله، وتعظيم من حقّر الله، واحتقار من أكرمه الله.

ولا تتم الرياسةُ الدنيوية إلَّا بذلك، ولا تُنال إلَّا بأضعافه[2] من المفاسد، والرؤساء في عمى عن هذا.

فإذا كُشف الغطاء تبيَّن لهم فسادَ ماكانوا عليه، ولا سيما إذا حشروا في صِفة[3] الذَّر، يطؤهم أهلُ الموقف بأرجلهم[4]؛ إهانة لهم وتحقيراً وتصغيراً، كما صغَّروا أمر الله، وحقروا عباده. انتهى كلامُه ـ رحمه الله تعالى[5][6].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ لما بعث مُعاذاً إلى اليمن، قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أوَّلَ ما تدعوهم إليه: شهادةُ أنْ لا إله إلَّا الله ـ وفي رواية: إلى أن يوحِّدوا الله ـ فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمسَ صلوات في كل يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوك لذلك.

---

(١) (ض): والعصبية والحمية.

(٢) (ض): الآية وبأضعافه.

(٣) (ض): صور.

(٤) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٤٩٤) وقال: هذا حديث حسن، وأحمد في «المسند» (٢/١٧٩) من حديث عبدالله بن عمرو.

(٥) إلى هنا ينتهي السقط من (ط).

(٦) ابن القيم، «الروح» (٣٧٤).

فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً تُؤخذ من أغنيائهم فَتُرَدُّ على فقرائهم، فإنْ هم أطاعوك لذلك فإيَّاك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب»[1]. أخرجاه.

ش: قال الحافظ: كان بعثُ معاذٍ إلى اليمن سنة عشر، قبل حجِّ النبي ﷺ؛ كما ذكره المصنف ـ يعني البخاري ـ في أواخر المغازي. وقيل: كان ذلك في آخر سنة تسع، عند مُنْصرَفه ﷺ من تبوك. رواه الواقديُّ بإسناده إلى كعب بن مالك. وأخرجه ابن سعد في (الطبقات) عنه.

واتفقوا أنه[2] لم يزل على اليمن، إلى أنْ قدم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. ثم توجَّه إلى الشام، فمات بها[3].

قال شيخُ الإسلام: / ومن فضائل معاذ رضي الله تعالى عنه: أنَّه بعثه ﷺ إلى اليمن مبلِّغاً عنه، ومفقِّهاً ومعلِّماً وحاكماً[4]. [٢٧/]

قوله «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب» قال القُرطبي: يعني به اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب. وإنَّما نبَّه[5] على هذا ليتهيأ لمناظرتهم.

وقال الحافظ: هو كالتوطئة للوصية، ليجمع همَّته عليها.

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (١٤٥٨، ١٤٩٦، ٢٤٤٨، ٤٣٤٧، ٧٣٧١)، ومسلم في «الصحيح» رقم (١٩)، وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (١٥٨٤)، والترمذي في «الجامع» رقم (٦٢٥)، والنسائي في «المجتبى» (٥/٥٥)، وأحمد في «المسند» (١/٢٣٣).

(٢) (هـ) (ط): على أنه.

(٣) ابن حجر، «فتح الباري» (٣/٣٥٨).

(٤) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٠/٦٥٤).

(٥) (ط): نبهه.

قوله: «فليكن أوَّلَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله» شهادة: رُفع على أنه اسم يكن مؤخر. و أوَّل: خبرها مقدَّم، ويجوز العكس.

قوله: «وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله» هذه الرواية ثابتةٌ في كتاب التوحيد من (صحيح البخاري). وأشار المصنف بذكر هذه[1] الرواية: إلى التنبيه على معنى شهادة أنْ لا إله إلا الله، فإنَّ معناها توحيدُ الله تعالى بالعبادة، ونفيُ عبادة ما سواه.

وفي رواية «فليكن أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله» وذلك هو الكفرُ بالطاغوت، والايمان بالله؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرِ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾. [البقرة: ٢٥٦]، والعُروةُ الوثقى: هي لا إله إلاَّ الله.

وفي روايةٍ للبخاري، فقال: «ادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأني رسول الله».

قلتُ: لابُدّ في شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلَها إلاَّ باجتماعها:

أحدُها: العلمُ، المنافي للجهل.

الثاني: اليقينُ، المنافي للشك.

الثالث: القبولُ، المنافي للرد.

الرابع: الانقيادُ، المنافي للترك.

الخامس: الإخلاصُ المنافي للشرك. السادس: الصدقُ، المنافي للكذب.

السابع: المحبةُ، المنافية لعدمها[2].

وفيه دليلٌ على أنّ التوحيد ـ الذي هو إخلاصُ العبادة لله وحده لا شريك له،

---

(١) (م): بذكره.

(٢) (هـ) (ط): لضدها.

وترك عبادة ما سواه ـ هو أوَّلُ واجب؛ ولهذا كان أول ما دعت إليه الرسلُ عليهم السلام ﴿أنِ اعْبُدُوا الله مَالَكُمْ مِن إلهٍ غَيْرُهُ﴾ وقول[١] نوح ﴿أن لا تَعْبُدوا إلَّا الله﴾ وفيه معنى: لا إله إلا الله، مطابقة.

[قال العلَّامة ابنُ القيم رحمه الله تعالى: ولهذا خاطب الرسلُ أممهم، مخاطبةَ من لا شك عنده في الله، وإنَّما دَعوْهم إلى عبادة[٢] الله وحده، لا إلى الاقرار به؛ فقالت لهم ﴿أفي الله شكٌّ فاطر السموات والأرض﴾. [ابراهيم ١٠] فوجودُه سبحانه وربوبيتُه وقدرته، أظهرُ من كل شيء على الاطلاق.

فهو أظهرُ للبصائر[٣] من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ماتعقله[٤] وتقر بوجوده. فما يُنكره إلَّا مكابر بلسانه، وقلبهُ وعقله وفطرته وكلُّها تكذِّبه، قال تعالى: ﴿الله الذي رفع السموات بغير عَمَدٍ ترونها ثم استوى على العرش وسخَّر الشمس والقمر كلٌّ يجري لاجلٍ مسمًّى يدبِّر الأمر يفصِّلُ الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾. [الرعد: ٢] الى آخر الآيات][٥]

قال شيخُ الإسلام[٦]: وقد عُلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، واتفقت عليه الأمةُ: أن أصل الإسلام[٦]، وأوَّلَ ما يؤْمر به الخلق: شهادةُ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله. فبذلك يصير الكافر مسلماً / والعدوّ ولياً، والمباحُ دمه وماله [٢٨/أ] معصومَ الدم والمال. ثم إنْ كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان، وإنْ قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان. قال: وأمَّا إذا لم يتكلَّم بها مع القُدرة فهو كافرٌ باتفاق المسلمين باطناً وظاهراً، عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير العلماء. انتهى.

---

(١) (ض) (ط): وقال.
(٢) (ض): لعبادة.
(٣) (ض): للأبصار. تحريف.
(٤) (ض): تعلقه. تحريف.
(٥) ما بينهما ساقطٌ من الأصل و(ط).
(٦) ما بينهما ساقطٌ من (ض).

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه: أنَّ الإنسان قد يكون عالماً وهو لا يعرف معنى لا إله إلاَّ الله، أو يعرفه ولا يعمل به[١].

قلتُ: فما أكثر هؤلاء، لا كثَّرهم الله تعالى.

قوله: «فإنْ هم أطاعوك لذلك» أي: شهدوا، وانقادوا لذلك[٢] «فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمسَ صلوات» فيه: أنَّ الصلاة أعظمُ واجب بعد الشهادتين. قال النووي ما معناه: أنه يدلُّ على أنَّ المطالبة بالفرائض[٣] في الدنيا لا يكون[٤] إلاَّ بعد الإسلام، ولا يلزم من ذلك أنْ لا يكونوا مُخاطبين بها، ويزاد في عذابهم بسببها في الآخرة. والصحيح: أنَّ الكفار مخاطبون[٥] بفروع الشريعة، المأمور به والمنهي عنه. وهذا قولُ الأكثرين. انتهى.

قولُـه: «فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً تؤخذُ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم» فيه: دليلٌ على أنَّ الزكاة أوجبُ الأركان بعد الصلاة[٦]، وأنها تؤخذ من الأغنياء وتصرف[٧][٨] على الفقراء[٩]. وإنَّما خصَّ النبيُّ ﷺ[٨] الفقراء؛ لأن حقَّهم في الزكاة آكدُ من حق بقية الأصناف الثمانية[١٠].

(١) المسألةُ العاشرة.
(٢) (م): إلى ذلك. قوله.
(٣) (م): في الفرائض.
(٤) (ط): تكون.
(٥) (م): يخاطبون.
(٦) وهو الصواب، ينظر: آل تيمية «المسوَّدة» (٤٦)، والشنقيطي «أضواء البيان» (٧/ ١١٤).
(٧) (هـ) (ط): الصلوات.
(٧) (م): فتصرف.
(٨) ما بينهما معلق في هامش الأصل.
(٩) (م) (هـ) (ط): إلى الفقراء.
(١٠) (م): الأصناف. ساقطة.

وفيه: أنَّ الإمام هو الذي يتولَّى قبض الزكاة وصرفَها: إمَّا بنفسه أو نائبه، فمن امتنع من أدائها أُخذت [١] قهراً منه [٢].

وفي الحديث: دليلٌ على أنه يكفي إخراج الزكاة في صنفٍ واحد، كما هو مذهب الإمام [٣] مالك وأحمد [٤].

وفيه: أنه لا يجوز دفعُها الى غني، ولا إلى [٥] كافرٍ غيرِ المؤلَّف، وأنَّ الزكاة واجبةٌ في مال الصبي والمجنون، كما هو قولُ الجمهور؛ لعموم الحديث [٦].

قلتُ: والفقير إذا أفرد في اللفظ تناول المسكين [٧] وبالعكس، كنظائره. قرره [٨] شيخُ الإسلام [٩].

قوله: «فإيَّاك وكرائمَ أموالهم» بنصب كرائم؛ على التحذير. جمعُ كريمة، قال صاحبُ (المطالع): هي الجامعةُ [١٠] للكمال [١١] الممكن / في حقها: من غزارة لبن، [٢٨/ب] وجمال صورة، وكثرة لحمٍ وصوف. ذكره النووي [١٢].

---

(١) (ض) (م) (هـ) (ط): إليه أخذت.

(٢) (م) (هـ) (ط): منه قهرًا.

(٣) الامام. إضافةٌ من الأصل.

(٤) ينظر: ابن قدامة، «المغني» (١٢٨/٤).

(٥) (م): إلى. ساقطة.

(٦) ينظر: ابن قدامة، «المغني» (٣١٦/٩)، وابن عبدالهادي، «الدر النقي» (٦١٠/٣).

(٧) (هـ): أو.

(٨) (ط): كما قرره.

(٩) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٦٧/٧).

(١٠) (ض) (م) (هـ) و«المنهاج»: جامعة.

(١١) (م) و«المنهاج»: الكمال.

(١٢) النووي: «المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج» (١٩٧/١)، وذكره البعلي (ت ٧٠٩ هـ) في «المُطلع على أبواب المقنع» غير معزو.

قلتُ: وهي خيارُ المال[١]، وأنفسهُ وأكثره ثمناً.

وفيه: أنَّه يحرُم على العامل في الزكاة أخذُ كرائم المال[١]، ويحرم على صاحب المال إخراجُ شرار المال. بل يُخرج الوسط، فإنْ طابت نفسه بالكريمة جاز.

وله: «واتقِ دعوة المظلوم» أي: اجعل بينك وبينها وقاية، بالعدل وترك الظلم. وهذان الأمرانِ يقيان مَن رُزقَهما من جميع الشرور، دُنيا وأُخرى.

وفيه: تنبيهٌ على التحذير من جميع أنواع الظلم.

قوله: «فإنه» أي: الشأن[٢] «ليس بينها وبين الله حجاب» هذه الجملةُ مفسرة لضمير الشأن. أي: فإنَّها[٣] لا تُحجب عن الله تعالى، فيقبلها.

وفي الحديث أيضاً: قبولُ خبر الواحد العدل، ووجوب العمل به، وبعثُ الإمام العُمَّالَ لجباية الزكاة، وأنه يعظ عُمَّاله وولاته، ويأمرُهم[٤] بتقوى الله تعالى، ويعلِّمهُم، وينهاهم عن الظلم، ويعرِّفهُم سوء عاقبته. والتنبيهُ على التعليم بالتدريج. قاله المصنف[٥].

قلتُ: ويبدأ بالأهم فالأهم[٦].

واعلم أنه لم يذكر في الحديث الصومَ والحج، فأشكل ذلك على كثيرٍ من العلماء.

---

(١) ما بينهما معلق في هامش (م) وبجواره كلمة صح.

(٢) (م): أي الشأن. ساقط.

(٣) (م): أنها.

(٤) (ط): ويأمر.

(٥) المسألةُ الحادية عشرة.

(٦) (ط): فالأهم. ساقطة.

قال شيخُ الإسلام: أجاب بعضُ الناس: أنَّ بعض الرواة اختصر الحديث، وليس كذلك؛ فإنَّ هذا طعنٌ في الرواة، لأن ذلك إنما يقعُ في الحديث الواحد، مثل حديث وفد عبد القيس[1]، حيث ذكر بعضُهم الصيام، وبعضهم لم يذكره. فأما الحديثان المنفصلان[2] فليس الأمرُ فيهما كذلك، ولكن عن هذا جوابان:

أحدُهما: أنَّ ذلك بحسب نزول الفرائض، وأوَّلُ ما فرض الله الشهادتين[3] ثم الصلاة. فإنه أمر بالصلاة في أول أوقات الوحي؛ ولهذا لم يذكر وجوبَ الحج كعامة الأحاديث، إنَّما جاء في الأحاديث المتأخرة.

[قلتُ: وهذا من الأحاديث المتأخرة، ولم يُذكر[4] فيها][5].

الجوابُ الثاني: أنه كان يذكرُ في كل مقامٍ ما يُناسبه. فيذكر[6] تارةً الفرائض التي يُقاتل عليها كالصلاة والزكاة، ويذكرُ تارة الصلاة والصيام لمن لم يكن عليه زكاة، ويذكر تارة الصلاة والزكاة والصوم: فإمَّا أنْ يكون قبل فرض الحج، وإمَّا أنْ يكون المخاطبُ بذلك لا حج عليه.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٣، ٨٧، ٥٢٣، ١٣٩٨، ٣٠٩٥، ٣٥١٠، ٤٣٦٨، ٦١٧٦، ٧٢٦٦)، ومسلم في «الصحيح» رقم (١٧)، وأبوداود في «السنن» رقم (٣٦٩٢)، والترمذي في «الجامع» رقم (١٧٤١)، والنسائي في «المجتبى» (٨/ ١٢٠) من حديث ابن عباس.

(٢) (م): المفصلان.

(٣) (ط): الشهادتان. تحريف.

(٤) (م): يذكرها.

(٥) إضافة من (ض) و (م) و«التيسير».

(٦) (ط): فذكر.

[٢٩/أ] وأما الصلاةُ والزكاة فلهما شأنٌ ليس لسائر الفرائض؛ ولهذا ذكر / تعالى في كتابه القتالَ عليهما لأنهما عبادتان ظاهرتان، بخلاف الصوم فإنَّه أمرٌ باطن من جنس الوضوء والاغتسال من الجنابة، ونحو ذلك مما يؤتمنُ عليه العبد. فإنَّ الانسان يمكنه أنْ لا ينوي الصوم وأنْ يأكل سراً، كما يمكنه أنْ يكتم حدثَه وجنابته. وهو ﷺ يذكر[١] في الأعمال الظاهرة التي يُقاتل الناسُ عليها[٢]، ويصيرون مسلمين بفعلها. فلهذا علَّق ذلك بالصلاة والزكاة، دون الصوم. وإنْ كان واجباً كما في آيتي براءة[٣]، [فإنّ براءة][٤] نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس. وكذلك لما بعث معاذاً إلى اليمن لم يذكر في حديثه الصوم؛ لأنه تبعٌ وهو باطن، ولا ذكر الحجَّ لأنَّ وجوبه خاصٌ ليس بعام، ولا يجب في العُمر إلا مرة. انتهى بمعناه[٥].

قوله: (أخرجاه) أي: البخاري ومسلم، وأخرجه أيضاً: أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما، عن سَهْلِ بن سعْد: أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأُعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يُحبُّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه» فباتَ الناسُ يَدوكون ليلتهم: أيُّهم يُعطاها. فلما أصبحوا، غدوا على رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أنْ يعطاها، فقال «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه.

---

(١) (ط): يذاكر.
(٢) (ض): يقاتل عليها. (م): يقاتل عليها الناس.
(٣) الأيتان الخامسة، والحادية عشرة.
(٤) ساقطٌ من جميع النسخ، والإضافة من «التيسير».
(٥) (م): ملخصا. بمعناه.

فأُتي به، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجَع. فأعطاه الراية، فقال: «انفُذ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه؛ فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خيرٌ لك من حُمر النَّعم»[1] يدوكون. أي يخوضون.

ش: قوله: (عن سَهل بن سعد)، أي: ابن مالك بن خالد الأنصاري الخَزْرجي السَّاعدي، أبو العباس[2]، صحابيٌّ شهير، وأبوه صحابي أيضاً. مات سنة ثمانٍ وثمانين، وقد جاوز المائة.

قوله: (قال يوم خيبر) [أي: في غزوة خيبر][3] وفي (الصحيحين)[4] عن سَلَمة بن الأكوع، قال: كان عليٌّ رضي الله عنه قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان أرمدا، فقال: أنا أتخلفُ عن رسول الله ﷺ؟ فخرج عليٌّ رضي الله عنه فلحق بالنبي ﷺ، فلما كان مساءَ الليلة التي فتحها الله عز وجل في صباحها، قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية ـ أو ليأخذن الراية ـ غداً رجلاً[5] يحبه الله ورسوله ـ أو

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٣٧٠١)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٤٠٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/٣٣٣) وفي «فضائل الصحابة» رقم (١٠٣٧)، وسعيد بن منصور في «السنن» رقم (٢٤٧٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/٢٠٥)، وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٤٠٥)، وأحمد في «الفضائل» رقم (١٠٤٤)، والطيالسي في «المسند» رقم (٢٤٤١)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/١١٠)، وابن منده في «كتاب الإيمان» رقم (١٢١)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/٢٠٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) (ط): أبي.

(٣) إضافة من (م).

(٤) (م) في الصحيحين، واللفظ للبخاري.

(٥) (ط): رجل.

قال: يحب الله ورسوله ـ يفتح الله على يديه». فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسولُ الله ﷺ الراية ففتح الله عليه(١).

قولـه: «لأعطينَّ الراية» قال الحافظ: في رواية بُريدة «إني دافعٌ / اللواءَ إلى رجلٍ يحبه الله ورسوله»(٢) وقد صرَّح جماعةٌ من أهل اللغة بترادفهما. [٢٠/ب]

لكن روى أحمد، والترمذيُّ، من حديث ابن عباس: كانت رايةُ رسول الله ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض. ومثله عند الطبراني، عن بُريدة(٣). وعند ابن عَدي، عن أبي هريرة، وزاد: مكتوبٌ فيه: لا إله إلَّا الله محمد رسول الله(٤).

قوله: «يحب الله ورسولَه ويحبه الله ورسولُه» فيه: فضيلةٌ عظيمة لعلي رضي الله تعالى عنه.

قال شيخُ الإسلام: ليس هذا الوصفُ مختصاً بعلي ولا بالأئمة؛ فإنَّ الله ورسوله يحب كلَّ مؤمن تقي يحب الله ورسوله. لكن هذا الحديث من أحسن ما يُحتجُّ به على النواصب، الذين لا يتولَّونه، أو يكفرونه أو يفسقونه، كالخوارج. لكنَّ هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة، الذين يجعلون النصوص الدالة(٥) على فضائل الصحابة كانت(٦) قبل ردَّتهم. فإنّ الخوارج تقول في علي مثلَ ذلك، لكن

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٣٧٠٢)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٤٠٧)، وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٤/ ٢٠٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٣).

(٣) الترمذي في «الجامع» رقم (١٦٨١) وقال: هذا حديث حسن، والطبراني في «الكبير» رقم (١١٦١، ١٢٩٠٩)، وأخرجه ابنُ ماجة في «السنن» رقم (٢٨١٨).

(٤) ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٥٨)، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (٥/ ٣٢١) وقال: فيه حيَّان بن عبيدالله، وبقيةُ رجاله رجال الصحيح.

(٥) (ط): الدالة. ساقطة.

(٦) (ض): كانت. ساقطة.

هذا باطل؛ فإن الله تعالى ورسوله لا يُطلق مثل هذا المدح على من[١] يعلم الله أنه يموت كافراً[٢].

وفيه: إثباتُ صفة المحبَّة لله، خلافاً للجهمية[٣].

قوله: «يفتح الله على يديه» صريحٌ في البشارة بحصول الفتح، فهو عَلَمٌ من أعلام النبوة.

قوله: (فبات الناسُ يدوكون ليلتهم)، بنصب ليلتهم. ويدوكون، قال المصنف: يخوضون. أي: فيمن يدفعها إليه. وفيه: حرصُ الصحابة على الخير واهتمامُهم به، وعلوُّ مراتبهم[٤] في العلم والإيمان.

قوله: (أيهُّم يُعطاها) هو برفع أي، على البناء؛ لإضافتها وحذف صدر صلتها.

قوله: (فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أنْ يُعطاها)

وفي رواية أبي هريرة عند مُسلم، أنَّ عمر قال: ما أحببتُ الإمارة إلَّا يومئذ[٥].

قال شيخُ الإسلام: إنَّ في ذلك شهادةَ النبي ﷺ لعلي بإيمانه باطناً وظاهراً، وإثباتاً لموالاته لله تعالى ورسوله، ووجوبَ موالاة المؤمنين له. وإذا شهد النبيُّ ﷺ لمعين بشهادة، أو دعا له أحبَّ كثيرٌ من الناس أنْ يكون له مثلُ تلك الشهادة، ومثل ذلك الدعاء، وأنْ كان النبي ﷺ / يشهد بذلك لخلقٍ كثير، ويدعو لخلقٍ [٣٠/أ]

---

(١) «الأصل» و (م): ما.

(٢) ابن تيمية، «منهاج السنة النبوية» (٣٦٦/٧).

(٣) (م): للجهمية والأشعرية (ط): للجهمية ومن أخذ عنهم.

(٤) (ض)(م)(هـ)(ط): مرتبتهم.

(٥) أخرجه مسلمٌ في «الصحيح» رقم (٢٤٥٠).

كثير[١]. وهذا[٢] كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس[٣]، وعبدالله بن سلام[٤] - وإنْ كان قد[٥] شهد بالجنة لآخرين - والشهادةِ بمحبة الله ورسوله للذي ضُرب في الخمر[٦] [٧].

قوله: فقال: «أين علي بن ابي طالب؟» فيه سؤالُ الإمام عن رعيَّته؛ وتفقُّد أحوالهم.

قوله: (فقيل: هو يشتكي عينيه). أي: من الرمد، كما في (صحيح مسلم)، عن سعد بن أبي وقاص، فقال: «ادعوا لي علياً» فأُتي به أرمد. الحديث[٨].

وفي[٩] نسخةٍ صحيحة بخط المصنف: فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسل إليه. مبنيٌ للفاعل، وهو[١٠] ضميرٌ مستتر في الفعل راجعٌ إلى النبي ﷺ. ويحتمل أنْ يكون مبنياً لما لم يُسمَّ فاعله. ولمسلم، من طريق إياس بن سلمة[١١]، عن أبيه، قال: فأرسلني إلى علي، فجئتُ به أقوده أرمد.

---

(١) الأصل: ويدعو بذلك الخلق الكثير.

(٢) (ض): وهذا. ساقطة.

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (١١٩)، وأحمد في «المسند» (٣/١٣٧).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٨١٣، ٧٠١٠، ٧٠١٤)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٤٨٤).

(٥) (ط): قد. ساقطة.

(٦) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٧٨٠)، وأبويعلى الموصلي في «المسند» رقم (١٧٦، ١٧٧).

(٧) ابن تيمية، «منهاج السنة» (٧/٣٦٧).

(٨) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٤٠٤)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/١٨٥، ٣٣١).

(٩) (م): الحديث. قوله: فأرسلوا اليه بهمزة قطع. أمرهم بأن يرسلوا إليه فيدعو له. ولمسلم من طريق.. وقول الشارح: أمرهم. إلى آخره. ليس هذا بظاهر. ففي نسخة صحيحة..

(١٠) (ط): أو هو.

(١١) (ط): سلمة بن الأكوع.

قوله: (فبصق). بفتح الصاد، أي: تفل.

قوله: (ودعا له فبرأ) هو بفتح الراء والهمزة، أي: عُوفي في الحال عافية كاملة، كأنْ لم يكن به وجعٌ من رمد، ولا ضعف بصر.

وعند الطبراني، من حديث علي: «فما رمدتُّ ولا صُدِّعت منذ دفع النبيُّ ﷺ إليَّ الراية»[١].

[٢]وفيه دليلٌ على الشهادتين.

قوله: (فأعطاه الراية[٢]). قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه: الايمانُ بالقدر؛ لحصولها لمن لم يَسعَ[٣]، ومنعِها عمَّن سعى[٤].

وفيه: أنَّ فعل الأسباب المباحة أو الواجبة أو المستحبة لا يُنافي التوكل.

قوله: فقال: «انفُذ على رسلك» ـ بضم الفاء ـ أي: امض. ورِسْلك ـ بكسر الراء وسكون السين ـ أي: على رفقك من غير عجلة، وساحتهم: فِناء أرضهم وهو ما حولها.

وفيه: الأدبُ عند القتال، وترك العجلة والطيش، والأصواتِ التي لا حاجة إليها.

وفيه: أمرُ الإمام عمَّالَه بالرفق من غير ضعفٍ ولا انتقاض عزيمة، كما يُشير إليه [قوله: «حتى تنزل بساحتهم»][٥].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٧٨)، والطيالسي في «المسند» رقم (١٨٩)، وأخرجه الطبراني في «الاوسط» بغير هذا اللفظ كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (٩/ ١٢٢) وقال: وإسناده حسن.

(٢) ما بينهما ساقط من (ض).

(٣) (ط): يسمع.

(٤) المسألةُ الثالثة والعشرون.

(٥) ساقطٌ من الأصل و(ض) و(هـ) و(ط).

قوله: «ثم ادعهم إلى الإسلام» أي: الذي هو معنى: شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله. (١ وإن شئت قلت: الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان: من(٢) إخلاص العبادة لله وحده(٣) وإخلاص الطاعة له ولرسوله ﷺ ١).

ومن هنا طابق الحديثُ الترجمة؛ كما قال تعالى لنبيه ورسوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَن لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِن دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا: اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. [آل عمران: ٦٤].

[٣٠/ب] قال / شيخُ الإسلام رحمه الله تعالى: والإسلامُ هو الاستسلام لله، وهو الخضوع(٤) له. والعبودية(٥) له. كذا(٦) قال أهلُ اللغة.

وقال رحمه الله تعالى: ودينُ الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رُسله: هو الاستسلام له وحده ـ فأصله في القلب ـ والخضوعُ له(٧) وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً. ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً، وفي الأصل: هو من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأمَّا الإيمان، فأصله: تصديقُ القلب وإقراره ومعرفته، فهو من باب قول القلب المتضمِّن عمل القلب. انتهى(٨).

فتبيَّن أنَّ أصل الإسلام: هو التوحيد ونفيُ الشرك في العبادة، وهو دعوة جميع المرسلين. وهو الاستسلامُ لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما

---

(١) ما بينهما معلق في هامش الأصل.
(٢) (ض): من أن.
(٣) (م): وحده لا شريك له.
(٤) (م): بالخضوع.
(٥) (م): له. ساقطة.
(٦) (م): هكذا.
(٧) (م): الخضوع لله.
(٨) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٨٦).

أمرهم به[١] على ألسُن رسله؛ كما قال تعالى عن أوَّل[٢] رسولٍ أرسله: ﴿أنِ اعْبُدُوا الله واتَّقُوهُ وَأطِيعُونِ﴾. [نوح: ٣].

وفيه: مشروعيةُ الدعوة قبل القتال، لكن إنْ كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداءً[٣]؛ لأن النبي ﷺ أغار على بني المصطلِق وهم غارُّون، وإنْ كانوا لم تبلغهم الدعوة وجبت دعوتهم.

قوله: «وأخبرهم بما يجبُ عليهم من حق الله تعالى فيه» أي: الإسلام[٤]، إذا أجابوك إليه[٥] فأخبرهم بما يجب[٦] من حقوقه التي لا بُدَّ لهم من فعلها، كالصلوات[٧] والزكاة؛ كما في حديث أبي هريرة «فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا[٨] دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقِّها»، ولما قال عمر لأبي بكر في قتاله مانعي الزكاة: كيف تُقاتل الناس، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «أمرتُ أنْ أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟» قال أبوبكر: فإنَّ الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عَناقاً كانوا يؤدّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها[٩].

---

(١) (م): أمر به.

(٢) (ط): عن نوح أول.

(٣) المسألتان: الخامسة والعشرون، والسادسة والعشرون.

(٤) (ض)(م)(هـ)(ط): في الاسلام.

(٥) (ض): إليه. ساقط.

(٦) (ض). يجب عليهم.

(٧) (م)(هـ)(ط): كالصلاة.

(٨) (م): عصموا.

(٩) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (١٣٩٩، ١٤٥٧، ٦٩٢٤، ٧٢٨٤)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٠)، وأبو داود في «السنن» (١٥٥٦)، والترمذي في «الجامع» رقم (٢٦١٠)، والنسائي في «المجتبى» (١٤/٥)، وأحمد في «المسند» (٢/٤٢٣، ٥٢٨).

وفيه: بعثُ الإمام الدعاةَ إلى الله تعالى، كما كان النبيُّ ﷺ وخلفاؤه الراشدون يفعلون؛ كما في (المسند)، عن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه/ أنه قال في [٣١/أ] خُطبته: ألَا إني والله ما أُرسل عُمَّالي اليكم ليضربوا أبشَاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أُرسلهم إليكم ليعلِّموكم دينكم وسُنَنكم[١].

قوله: «فو الله لأَنْ يهدي الله بك رجلًا واحداً خيرٌ لك من حُمر النَّعم» أنْ: مصدريةٌ واللام قبلها مفتوحة؛ لأنها لامُ القَسَم. وأن، والفعلُ[٢] بعدها[٣] في تأويل مصدر، رُفع على الابتداء. والخبر: خير. وحُمْرـ بضم المهملة وسكون الميم ـ [جمعُ أحمر][٤]، والنَّعم ـ بفتح النون والعين المهملة ـ أي: خيرٌ لك[٥] من الإبل الحمر، وهي أنفسُ أموال العرب.

قال النوويُّ: وتشبيه أُمور الآخرة بأمور الدنيا؛ إنما هو للتقرب إلى الأفهام. وإلَّا فذرَّةٌ من الآخرة خيرٌ من الأرض بأسرها، وأمثالِها معها.

وفيه: فضيلةُ من اهتدى على يديه رجلٌ واحد، وجوازُ الحلفِ على الخبر والفُتيا ولو لم يُستحلف[٦].

---

(١) أحمد في «المسند» (١/ ٤١). وأخرجه ابن الجارود في «المنتقى» رقم (٨٤٤). من حديث أبي فراس النهدي، عن عمر. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢١١): وأبوفراس، لم أر من جرحه ولا من وثَّقه. وبقيةُ رجاله ثقات.

(٢) (ض): الفعل.

(٣) (ض)(م): بعدها. ساقط. ومعلق في هامش الأصل.

(٤) إضافةٌ من (ط).

(٥) (ض): لك. ساقطة.

(٦) المسألتان: التاسعة والعشرون والثلاثون.

(٥)
باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ تفسيرِ التوحيد وشهادةِ أن لا إله إلَّا الله.

ش: [أراد المصنِّفُ رحمه الله تعالى بهذه الترجمة، وما جاء[١] بعدها من الآيات والحديث: أنْ يزيد هذا المقام بياناً وايضاحاً، وإلَّا فقد تقدم في الآيات والأحاديث مايفسِّرُ لا إله إلَّا الله، ومادلَّت عليه من التوحيد ونفي الشرك والتنديد][٢].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى ﴿أُولئك الذين يدعون يبتغـون إلى ربِّهم الوسيلةَ أيُّهم أقربُ ويرجون رحمته ويخافون عذابَه إنَّ عذابَ ربك كان مَحذوراً﴾. [الاسراء: ٥٧].

ش: يتبيَّنُ معنى هذه الآية بذكر ماقبلها، وهي[٣] قوله تعالى ﴿قُل ادعو الذين زَعَمْتم من دونه فلا يملِكون كشفَ الضُّر عَنْكم ولا تحويلا﴾[٤] [الاسراء: ٥٦].

قال ابنُ كثير: يقول تعالى: ﴿قل﴾ [يامحمد للمشركين الذين عبدوا غيرَ الله][٥] ﴿ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ من [الأصنام و][٦] الأنداد، وارغبوا إليهم فإنَّهم

---

(١) (ض): سبق. ولعلها سهو من الناسخ.
(٢) ساقطٌ من الأصل و(م) و(هـ) و(ط). وانظر آخر الباب.
(٣) (ض)(هـ)(ط): وهو.
(٤) الأصل و(ض): ولا تحويلا. الآية.
(٥) ساقطٌ من الأصل و(ض) و(هـ).
(٦) ساقطٌ من الأصل و(هـ).

﴿لا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُم﴾ أي: بالكلية ﴿ولا تحويلا﴾ أي: ولا أنْ يحوِّلوه إلى غيركم.

فإنَّ[١] الذي يقدرُ على ذلك، هو الله وحده لا شَريك له، [الذي له الخلقُ والأمر][٢].

قال العَـوْفي[٣]، عن ابن عباس، في الآية: كان أهلُ الشرك يقولون: نعبدُ الملائكة والمسيح وعُزيراً، وهم الذين يُدعون[٤][٥].

وروى[٦] البخاريُّ - في الآية - عن ابن مسعود، قال: ناسٌ من الجن كانوا يُعبدون فأسلموا. وفي رواية: كان ناسٌ من الإنس يَعبُدون ناساً من الجن، فأسلم الجنُّ وتمسَّك هؤلاء بدينهم[٧].

وقولُ ابن مسعود هذا[٨]، يدلُّ على أنَّ الوسيلة هي الإسلام، وهو كذلك على كلا القولين.

[٣٣/أ] وقال السُّدي، عن أبي صالح / ، عن ابن عباس[٩] في الآية، قال: عيسى وأُمُّهُ وعُزير[١٠].

وقال مغيرة، عن إبراهيم: كان ابنُ عباس، يقول في[٩] هذه الآية

(١) (ط): والمعنى أن.

(٢) إضافة من (ط) «والتفسير».

(٣) أبو الحسن، عطية بن سعد بن جُنَادة الجدلي، صدوق يخطيء كثيراً، وكان شيعياً مدلِّساً (ت ١١١ هـ). «تقريب» (٣٩٣).

(٤) (ط): يدعون. يعني الملائكة والمسيح وعزيراً.

(٥) أخرجه الطبري في «التفسير» (١٥/٧٢).

(٦) (ط): روى.

(٧) البخاري في «الصحيح» رقم (٤٧١٤، ٤٧١٥)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٣٠٣٠).

(٨) (ض): في الآية هنا.

(٩) ما بينهما معلَّقٌ في هامش الأصل وبجواره كلمة صح.

(١٠) (ط): وعزيراً.

هم[١] عيسى وعُزير، والشمس والقمر.

وقال مُجاهد: عيسى وعُزير والملائكة.

قوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ لا تتم العبادةُ إلَّا بالخوف والرجاء[٢].
فكل داعٍ دُعاءَ[٣] عبادةٍ أو استغاثة[٤] لابد له من ذلك: فإمَّا أن يكون خائفاً، وإما أن يكون راجياً، وإما أن يجتمع فيه الوصفان.

قال شيخُ الإسلام رحمه الله تعالى ـ في هذه الآية لـمَّا ذكر أقوال المفسرين ـ: وهذه الأقوالُ كلها حق؛ فإنَّ الآية تعمُّ من كان معبوده عابداً لله، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر. والسلفُ في تفسيرهم: يذكرون جنسَ المراد بالآية على نوع التمثيل، كما يقول التُّرجُمان لمن سأله: ما معنى الخُبز؟ فيريه رغيفاً، فيقول: هذا. فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه، وليس مرادهم بذلك[٥] تخصيص نوع دون نوع، مع شمول الآية.

فالآيةُ خطابٌ لكل من دعا من دون الله مدعواً، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه. فكلُّ من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها، فقد تناولته هذه الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجن. فقد نهى الله تعالى عن دعائهم، وبيَّن أنهم لا يملكون كشف الضرِّ عن الداعين ولا تحويله. لا يرفعونه بالكلية ولا يحوِّلونه من موضع إلى موضع، كتغيير صفته أو قدره، ولهذا قال: ﴿ولا تحويلا﴾ فذكر نكرة تعمُّ أنواعَ التحويل.

---

(١) (ض): هي.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٨٦ ـ ٨٧).

(٣) (ط): دعاء دعاء.

(٤) (ض): استعانة.

(٥) (ض): بذلك. ساقطة.

فكلُّ من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين، أو دعا الملائكة فقد دعا من لا يُغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله. انتهى(١).

(٢وفي هذه الآية ردٌّ على من يدعو صالحاً، ويقول: أنا لا أشرك بالله شيئاً؛ الشركُ عبادة الأصنام٢).

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبيه وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُـدُون • إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فإنَّه سيهدين • وجعلها كلمةً باقيةً في عقبَه لعلَّهم يرجعون﴾. [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨].

ش: قال ابنُ كثير: يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وخليله إمام الحُنفاء، ووالد من بُعث بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها: إنه تبرأ من أبيـه وقـومـه في عبادتهـم الأوثان/ فقال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ • إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف ٢٦ ـ ٢٧] ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨] أَي: (٣) هذه الكلمة ـ وهي عبادةُ الله وحده لا شريك له، وخلعُ ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلَّا الله ـ جعلَها في ذريته يَقتدي به فيها من هداه الله من ذُرية إبراهيم عليه السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها. [٢/ب]

قال عكـرمـة، ومجـاهـدُ والضَّحـاك وقتـادة، والسدي، وغيرُهم، في قوله: ﴿وجعلها كلمةً باقية في عقبه﴾ يعني: لا إله إلَّا الله، لا يزال في ذريته من يقولها(٤).

وروى ابنُ جَرير(٥)، عن قتـادة ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ • إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ قال:

---

(١) ابن تيمية، «قاعدة التوسل» (٧٩، ٢٣١، ٢٦٥).
(٢) ما بينهما ساقطٌ من (ض).
(٣) (ض)(ط): أي أن.
(٤) «تفسير ابن كثير» (٢١٢/٧).
(٥) في الأصل: وروى ابن المنذر وابن جرير.

إنَّهم يقولون[١]: إنَّ[٢] الله ربُّنا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَن خَلَقَهُم لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾. [الزخرف: ٨٧] فلم يبرأ من ربِّه، [و][٣] رواه عبْد بن حُميد.

وروى ابنُ جرير[٤]، وابن المنذر، عن قتادة ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ قال: الإخلاصُ والتوحيد، لا يزال في ذرّيته من يعبد الله ويوحّده.

قلتُ: فتبيَّن أنَّ معنى لا إله إلَّا الله، توحيدُ الله بإخلاص العباد له والبراءةِ من[٥] كل ما سواه.

قال المصنِّفُ: وذكر سبحانه أنَّ هذه البراءة، وهذه الموالاة هي شهادةُ أنْ لا إله إلَّا الله[٦].

[٧] وفي هذا المعنى، يقول العَّلامةُ[٨] ابن القيم رحمه الله تعالى في (الكافية الشافية)[٩]:

وإذا تولَّاه امرؤٌ دون الورى طُرًّا تولَّاه العظيمُ الشأن[٧]

---

(١) (ط): كانوا يقولون.

(٢) (هـ)(ط): أن. ساقطة.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

(٤) «تفسير الطبري» (٢٥ / ٣٩).

(٥) (ض)(هـ): من عبادة.

(٦) المسألةُ الثالثة.

(٧) ما بينهما ساقط من (ض).

(٨) (ض)(هـ)(ط): العلامة الحافظ.

(٩) «الكافيةُ الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (النونية) تقع في أكثر من خمسة آلاف بيت، ورأيتُ لها أربع نسخ خطية مُتناثرة في المكتبات الخاصة في نجد، إحداها مكتوبة في وقت قريب من حياة المؤلف. وقد اهتم بشرحها أئمة الدعوة، فابتدأ العلامة عبداللطيف نجل المؤلف ومات قبل إكماله، وقام العلامة أحمد بن ابراهيم بن عيسى (ت ١٣٢٩ هـ) بوضع شرح سماه «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد» وأتمه في مجلَّدين ضخمين، طُبعا فيما بعد.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أرْبَاباً مِن دُونِ الله والـمَسِيحَ ابنَ مَرْيَم وما أُمروا إلَّا ليَعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلَّا هو سُبحانه عمّا يُشرِكُون﴾ [التوبة: ٣١].

ش: الأحبارُ: هم العُلماء، والرُّهبان: هم العُبَّاد.

وهذه الآيةُ قد فسرَّها رسولُ الله ﷺ لعَدي بن حاتم، وذلك أنه لما جاء مُسْلماً، دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية. قال: فقلتُ: إنَّهم لم يعبدوهم، فقال: «بلى، إنهم حرَّموا عليهم الحلال، وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم» رواه أحمد، والترمذي وحسنه[١]، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني، من طُرق[٢].

قال السُّدي: استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

وهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إلَّا لِيَعْبُدُوا إلَهاً واحِداً لا إلهَ / إلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَما يُشرِكُونَ﴾. [التوبة: ٣١]، فإنَّ الحلال ما أحلَّه الله، والحرام ما حرمه الله، والدينَ ما شرعه الله تعالى. [٣٤/أ]

فظهر بهذا، أنَّ الآية دلَّت: على أنَّ من أطاع غير الله ورسوله، [٣]وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة[٣] في تحليل ما حرم[٤] الله، أو تحريم ما أحله الله،

---

(١) الترمذي في «الجامع» رقم (٣٠٩٤) وفي المطبوعة: هذا حديثٌ غريب، وعند أحمد في «المسند» (٣٧٨/٤) أصلُ القصة.

(٢) كما في «الدر المنثور» (١٧٤/٤)، وأخرجه الطبري في «التفسير» رقم (١٦٦٣٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤١١/١٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١١٦/١٠). وانظر: بقية التخريج في كتاب «الانتصار» لأبي بُطين (٣٤).

(٣) ما بينهما ساقطٌ من (ض).

(٤) (ض): ماحرمه.

وأطاعه[١] في معصية الله، واتبعه[٢] فيما لم يأذن الله[٣]، فقد اتخذه رباً ومعبوداً وجعله لله شريكاً. وذلك يُنافي التوحيد، الذي هو دينُ الله الذي دلَّت عليه كلمةُ الإخلاص لا إله إلَّا الله. فإنَّ الإله هو المعبود، وقد سمَّى الله تعالى طاعتَهم عبادةً لهم، وسمَّاهم أرباباً؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُم أن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ والنَّبيينَ أَرْبَاباً﴾ أي: شركاء لله تعالى، في العبادة ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾. [آل عمران: ٨٠]، فكلُّ[٤] معبودٍ رب، وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله تعالى ورسوله فقد اتخذه المطيع[٥] ربا ومعبوداً؛ [كما قال تعالى في آية الأنعام ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُم إِنَّكُم لَمُشرِكُونَ﴾[٦] [الأنعام: ١٢١] وهذا هو وجه مطابقة الآية للترجمة.

ويُشبه هذه الآية في المعنى، قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ الله﴾ [الشورى: ٢١] والله أعلم.

[٧]قال شيخُ الإسلام، في معنى قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِن دُونِ الله﴾: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارَهم ورُهبانهم أرباباً ـ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحل الله ـ يكونون على وجهين.

أحدُهما: أن يعلموا أنهم بدَّلوا دينَ الله فيتبعونهم[٨] على التبديل[٩]، فيعتقدون تحليل ما حرَّم الله وتحريمَ ما أحل الله، اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا

---

(١) (ض): أو أطاعة.

(٢) (ض): أو اتبعه.

(٣) (ض)(هـ)(ط): به الله.

(٤) (هـ)(ط): وهذا هو الشرك، فكل.

(٥) (ض)(هـ)(ط): المطيع المتبع.

(٦) إضافة من (هـ)(ط).

(٧) من هنا إلى آخر النقل، ساقطٌ من (ض) ومعلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٨) (ض)(ط) فيتبعون.

(٩) (ض)(هـ)(ط): هذا التبديل.

دين الرسل. فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإنْ لم يكونوا يُصلُّون لهم ويسجدون لهم. فكان من اتبع غيرهَ في خلاف الدين ـ مع علمه أنه خلافُ للدين ـ واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله، مشركاً مثل هؤلاء.

الثاني: أنْ يكون اعتقادُهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعلُ المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص. فهؤلاء لهم حُكم أمثالهم من أهل الذنوب؛ كما قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الطاعةُ في المعروف»[1].

ثم ذلك المُحرِّمُ للحلال والمحلل للحرام؛ إنْ كان مجتهداً ـ قصدُه اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر وقد اتقى الله ما استطاع ـ فهذا لا يُؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبُه على اجتهاده الذي أطاع به ربه.

ولكن من علم أنَّ هذا أخطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه، وعدَل عن قول الرسول، فهذا له نصيبٌ من هذا الشرك الذي ذمَّة الله، لا سيما إنْ اتبع في ذلك هواه ونَصره باليد واللسان، مع علمه بأنه[2] مخالفٌ للرسول، فهذا شركٌ يستحق صاحبه العقوبة عليه.

ولهذا اتفق العلماءُ على أنَّه إذا عُرف الحق، لا يجوز[3] تقليد أحدٍ في خلافه، وإنَّما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال.

وأنْ كان عاجزاً عن إظهار الحق الذي يعلمه، فهذا يكون كمن عرف أنَّ دين

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٤٣٤٠، ٧١٤٥، ٧٢٥٧)، ومسلم في «الصحيح» رقم (١٨٤٠)، وأبوداود في «السنن» رقم (٢٦٢٥)، وأحمد في «المسند» (١/ ٨٢، ٩٤، ١٢٤) من حديث علي.

(٢) (ض)(ط): أنه.

(٣) (ض)(هـ)(ط): لا يجوز له.

الإسلام حق وهو بين النصارى، فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق، لا يؤاخذ بما عجز عنه؛ وهؤلاء كالنجاشي وغيره. وقد أنزل الله في هؤلاء الآيات من كتابه، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن أَهْلِ الكِتَابِ لَمَنْ يُؤمِنُ بِالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وقوله ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]، وقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وأمَّا إن كان المتبعُ للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما قدر عليه مثلُه: من الاجتهاد في التقليد، فهذا لا يؤاخذ إنْ أخطأ؛ كما في القِبْلة.

وأمَّا إنْ[1] قلَّد شخصاً دون نظيره بمجرد هواه، ونصرَه بيده ولسانه من غير علم أنَّ معه الحق، فهذا من أهل الجاهلية. وإنْ كان متبوعُه مصيباً لم يكن عمله صالحاً، وإنْ كان متبوعُه مخطئاً كان آثماً؛ كمن قال في (القرآن) برأيه، فإنْ أصاب فقد أخطأ، وإنْ أخطأ[2] فليتبوأ مقعدَه من النار[3].

وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد، ومن جنس عبد[4] الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة. فإنَّ ذلك لما أحبَّ المال ـ منعه عن[5] عبادة الله وطاعته ـ صار[6] عبداً له، وكذلك هؤلاء. فيكون فيه[7] شركٌ أصغر، ولهم من

---

(١) (ض)(هـ)(ط): من.

(٢) أخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٣٦٥٢)، والترمذي في «الجامع» رقم (٢٩٩٣) من حديث جندب.

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٩٥١)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢٣٣، ٢٦٩، ٣٢٣، ٣٢٧) من حديث ابن عباس بلفظ: (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار).

(٤) (ض)(ط): عبدة.

(٥) (ض)(هـ)(ط): من.

(٦) (ض) (ط): وصار.

(٧) (ض)(ط): فيهم.

الوعيد بحسب ذلك. وفي الحديث: «إنّ يسير الرياء شرك»[١] وهذا مبسوطٌ عند النصوص التي فيها إطلاقُ الكفر والشرك على كثير من الذنوب. انتهى[٢].

[٣]قال أبوجعفر بن جرير رحمه الله، في معنى قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً﴾. [فصلت: ٩] أي: وتجعلون لمن خلق ذلك، الأنداد[٤]ـ وهم الأكفاء من الرجال ـ تُطيعونهم في معاصي الله. انتهى[٥].

قلتُ: كما هو الواقع من كثيرٍ من عُبَّاد القبور!.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مِن يَتَّخِذُ مَن دُونِ الله أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ﴾. [البقرة: ١٦٥].

ش:[٦] قال العِمادُ ابن كثير رحمه الله تعالى: يذكر تعالى[٧] حالَ المشركين به في الدنيا ومآلهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا لله أنداداً؛ أي: أمثالاً ونُظراء يعبدونهم معه، ويُحبونه كحبه. [وهو الله][٨] لا إله إلاَّ هو، ولا ضد له ولا ند له، ولا شريك معه.

---

(١) قطعة من حديث أخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٣٩٨٩)، والطبراني في «الصغير» (٢/٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/٤، ٤/٣٢٨) ووافقه الذهبي، وأبو نُعيم في «الحلية»(١/٥). من حديث معاذ.

(٢) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٧/٧٠).

(٣) (ط): وقال.

(٤) (ض)(هـ)(ط): اندادا.

(٥) الطبري، «التفسير» (٢٤/٩٥).

(٦) من هنا ساقطٌ من (ض)، ومعلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٧) (ط): الله.

(٨) إضافة من (هـ) «والتفسير».

وفي (الصحيحين)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قلتُ: يارسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «أنْ تجعل لله نداً وهو خلقك»[1].

وقوله: ﴿وَالذِينَ آمَنُوا أشَدُّ حُباً لله﴾ ولحبهم لله، وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم لا يُشركون به شيئاً. بل يعبدونه وحده، ويتوكَّلون عليه، ويلجأون في جميع أمورهم إليه. ثم توعَّد تعالى المشركين[2] الظالمين لأنفسهم بذلك.

فقال[3] تعالى: ﴿وَلَو يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إذْ يَرَوْنَ العَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعاً﴾ قال بعضُهم: تقديرُ الكلام، لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذٍ أنَّ القوة لله جميعاً، أي: إنَّ الحكم لله[4] وحده لا شريك له؛ فإنَّ جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ﴿وأنَّ الله شَدِيدُ العـذاب﴾. [البقرة: ١٦٥] كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمئِذٍ لا يُعَـذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ●ولاَ يُوثِـقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥-٢٦]، يقـول: لـو علمـوا مايعـاينـون[5] هنـاك، وما يحلُّ بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم، لانتهوا عما هم فيه من الضلال[6]. ثم أخبر عن كُفرهم بأوثانهم[7]، وتبرُّءِ المتبوعين من التابعين، فقال: ﴿إذْ تَبَـرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِين اتَّبَعُوا﴾. [البقرة: ١٦٦]، تبرأت منهم الملائكةُ الذين كانوا يزعمون أنهم كانوا[8] يعبدونهم في الـدنيا[9]، فتقـول الملائكة ﴿تَبَرَّأنَا إلَيْكَ مَا كَانُوا إيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾. [القصص: ٦٣] ويقولون[10] ﴿سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكثَرُهُم بِهِم مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١]، والجن أيضاً يتبرؤون منهم، ويتنصلون من عبادتهم لهم، كما

(١) سبق تخريجه.
(٢) (ط): المشركين به.
(٣) (ط): قال.
(٤) (هـ)(ط): له.
(٥) (هـ). يعاينونه.
(٦) (هـ): الضلالة.
(٧) (هـ)(ط): بأعوانهم.
(٨) (هـ)(ط): كانوا. ساقطة.
(٩) (ط): الدار الدنيا.
(١٠) (ط): ويقول.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ • وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾. [الاحقاف: ٥ - ٦] انتهى كلامه[١].

وروى[٢] ابن جرير، عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ مباهاة ومضاهاة للحق[٣] بالأنداد ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من الكفار لأوثانهم[٤].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: ومن الأمور المبيِّنة لتفسير التوحيد وشهادة أنْ لا إله إلَّا الله: آيةُ البقرة في الكفار الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾. [البقرة: ١٦٧]، ذكر أنَّهم يُحبُّون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً، فلم يُدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحبَّ الندَّ أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلَّا الند وحده؟. انتهى[٥].

ففي الآية: بيانُ أنَّ من أشرك مع الله في[٦] المحبة فقد جعله شريكاً لله في العبادة، واتخذه نداً[٧] من دون الله. وأنَّ ذلك هو الشركُ الذي لا يغفره الله، كما قال تعالى في أولئك: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[٨] وقوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ المرادُ بالظلم هنا: الشركُ؛ كقوله/ [٣٠/ب]: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾. [الأنعام: ٨٢] كما تقدم[٨].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٥٢).

(٢) (ط): روى.

(٣) (ط): للحق سبحانه.

(٤) إلى هنا ساقطٌ من (ض). ومعلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٥) المسألةُ الرابعة.

(٦) (ض)(هـ)(ط): غيره في.

(٧) (ض): نداً. ساقطة.

(٨) مابينهما ساقط من (ض).

فمن أحب الله وحده، وأحب فيه وله فهو مخلص. ومن أحبه وأحب معه غيره، فهو مشرك؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُم وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ • الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرض فِرَاشاً والسَّمَاءَ بناءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُم فَلاَ تَجْعَلُوا لله أَنْدَاداً وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾. [البقرة: ٢١ - ٢٢].

(١)قال شيخُ الإسلام مامعناه: فمن رغب إلى غير الله في قضاء حاجة أو تفريج كربة، لزم أنْ يكون محباً له، ومحبَّتهُ هي الأصل في ذلك. انتهى(١).

فكلمةُ الإخلاص: لا إله إلَّا الله تنفي كلَّ شرك في أي نوع كان من أنواع العبادة، وتُثبت العبادة بجميع أفرادها لله تعالى. وقد تقدَّم بيانُ أنَّ الإله: هو المألوه، الذي تألهه القلوب بالمحبة أو غيرها(٢) من أنواع العبادة. فلا إله إلا الله: نفت ذلك كلَّه عن غير الله، وأثبتته لله وحده، فهذا هو الذي دلت(٣) عليه كلمةُ الإخلاص مطابقة. فلا بد من معرفة معناها واعتقادِه، وقبوله، والعمل به باطناً وظاهراً، والله أعلم.

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: فتوحيدُ المحبوب: أنْ لا يتعدَّد محبوبه، (٤ أي: مع الله تعالى بعبادته له٤). وتوحيد الحب: أنْ لا يبقى في قلبه بقيةُ حب، حتى يبذلها له. فهذا الحب ـ وإن سُمِّي عشقاً ـ فهو غايةُ صلاح العبد، ونعيمه وقرة عينه. وليس لقلبه صلاحٌ ولا نعيم، إلَّا بأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه من كل ما(٥)

---

(١) ما بينهما معلق هامش الأصل، وبجواره كلمة صح.

(٢) (ض)(هـ)(ط): وغيرها.

(٣) (هـ)(ط): مادلت.

(٤) ما بينهما ساقط من (ض).

(٥) (ض): مما.

سواهما، وأن يكون[١] محبته لغير الله تابعة لمحبة الله تعالى، فلا يُحب إلَّا الله؛ كما[٢] في الحديث الصحيح «ثلاث من كن فيه» الحديث[٣].

ومحبةُ رسول الله ﷺ[٤] هي من محبته[٥]، ومحبة المرء إنْ كانت لله فهي من محبته، وإن كانت لغير الله فهي مُنقصةٌ لمحبة الله، مضعفة لها.

ويُصدِّقُ هذه المحبة: بأنْ تكون كراهيته[٦] لأبغض الأشياء إلى محبوبه ـ وهو الكفر ـ بمنزلة كراهته[٧] لإلقائه في النار أو أشد. ولا ريب أنَّ هذا من أعظم المحبة؛ فإنَّ الإنسان لا يقدم على محبة نفسه[٨] شيئاً، فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه ـ بحيث لو خيرِّ بين الكفر وإلقائه[٩] في النار لاختار أنْ يُلقى في النار ولا يكفر ـ كان أحبَّ إليه من نفسه.

وهذه المحبة هي فوقَ مايجده العشاق المحبون[١٠] من محبة محبوبيهم، بل لا نظير لهذه المحبة، كمن[١١] لا مثل لمن تعلَّقت به، وهي محبةٌ تقتضي تقديمَ المحبوب فيها

---

(١) (هـ)(ط): تكون.

(٢) (ط): ولا يحب الا لله كما.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٤٣). والترمذي في «الجامع» رقم (٢٩٢٦)، والنسائي في «المجتبى» (٨/ ٩٦)، وابن ماجة في «السنن» رقم (٤٠٣٣)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٠٣، ١٧٢، ١٧٤، ٢٠٧، ٢٣٠) من حديث أنس.

(٤) (ض): رسوله.

(٥) (ط): محبة الله.

(٦) (ض): كراهته.

(٧) (ط): كراهيته.

(٨) (ض)(هـ)(ط): نفسه وحياته.

(٩) (ض)(ط): وبين القائه.

(١٠) (ض): وسائر المحبين.

(١١) (ض)(هـ)(ط): كما. تحريف.

على النفس/ والمال والولد. وتقتضي كمالَ الذُّل والخضوع، والتعظيم والإجلال، [٣٥/أ] والطاعة والانقياد ظاهراً وباطناً. وهذا لا نظير له في محبة مخلوق[١]، ولو كان المخلوق مَن كان.

ولهذا من شرَّك[٢] بين الله تعالى وبين غيره في المحبة[٣] الخاصة، كان مُشركاً شركاً لا يغفره الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ﴾ والصحيح: أنَّ معنى الآية: أنَّ الذين آمنوا أشدُّ حباً لله من أهل الأنداد لأندادهم؛ كما تقدم أنَّ محبة المؤمنين لربهم لا يُماثلها محبة المخلوق[٤] أصلاً، كما لا يُماثل محبوبهم غيره. وكلُّ أذى في محبة غيره فهو نعيمٌ في محبته، وكلُّ مكروهٍ في محبة غيره فهو قرة عين في محبته. ومَن ضَرب بمحبته[٥] الأمثال التي في محبة المخلوق للمخلوق ـ كالوصل، والهجر والتجني بلا سبب من المُحب، وأمثالِ ذلك مما يتعالى الله عنه علواً كبيراً ـ فهو مخطيءٌ أقبح الخطأ وأفحشه، وهو حقيقٌ بالابعاد والمقت. انتهى[٦].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي الصحيح، عن النبي ﷺ، أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبدُ من دون الله، حَرُم ماله ودمُه، وحسابه على الله عز وجل»[٧].

---

(١) (هـ)(ط): المخلوق.
(٢) (هـ)(ط): أشرك.
(٣) (ض)(ط): هذه المحبة.
(٤) (ض)(ط)(هـ): مخلوق.
(٥) (ض): في محبته (ط): لمحبته.
(٦) ينظر: ابن القيم، «مدارج السالكين» (٣/ ٢٠).
(٧) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٣).

ش: قوله: (وفي الصحيح). أي: (صحيح مسلم)، عن أبي مالك الأشجَعي، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فذكره.

وأبو مالك، اسمُه: سعْد بن طارق، كوفيٌّ ثقة، مات في حُدود الأربعين ومائة.

وأبوه طارق بن أشْيَم - بالمعجمة والـمُثنَّاة التحتية، وزن أحمر - ابن مسعود الأشجعي، صحابيٌّ له أحاديث. قال مسلم: لم يرو عنه غير ابنه.

وفي (مسند الإمام أحمد)، عن أبي مالك، قال: وسمعته يقول للقوم «من وحَّد الله وكفر بما يُعبد من دون الله، حَرُم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل».

رواه أحمد، من طريق يزيد بن هارون، قال: أنبأنا أبو مالك الأشجعي، عن أبيه.

ورواه الإمام أحمد، عن عبدالله بن إدريس، قال: سمعتُ أبا مالك قال: قلتُ لأبي... الحديث[1]. وروايةُ الحديث بهذا اللَّفظ: يُفسِّر[2] لَّا إله إلَّا الله.

[٣٠/ب] قوله: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله». / اعلم أنَّ النبيَّ ﷺ علَّق عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين:

الأول: قولُ لا إله إلا الله. عن علمٍ[3] ويقين، كما[4] هو مُقيّد[5] في قولها في[6] غير ما حديث، كما تقدم.

والثاني: الكفر بما يُعبد من دون الله، فلم يكتف باللَّفظ المجرد عن المعنى، بل لابد من قولها والعمل بها.

(١) أحمد في «المسند» (٣/٤٧٢، ٦/٣٩٤) وليس في أحد الطريقين عبدالله بن إدريس.

(٢) (ط): تفسر.

(٣) (ض): يعلم.

(٤) (هـ): كما. ساقطة.

(٥) (ط): قيد.

(٦) (ض)(ط): في. ساقطة.

قلتُ: وفيه معنى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ باللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا﴾. [البقرة: ٢٥٦].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وهذا من أعظم ما يُبيِّنُ معنى: لا إله إلَّا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفةَ معناها مع لفظها[١]، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلَّا الله وحده لا شريك له. بل لا يحرُم مالهُ ودمه حتى يُضيف إلى ذلك الكفرَ بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف[٢] لم يحرم ماله ودمه. فيا لها من مسألةٍ ما أجلَّها، ويا له من بيان ما أوضحه وحجةٍ ما أقطعها للمنازع. انتهى[٣].

قلتُ: وهذا هو الشرط الـمُصحِّحُ لقول[٤]: لا إله إلَّا الله. فلا يصح قولُها بدون هذه الخمس ـ التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى ـ أصلاً[٥]؛ قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾. [الأنفال: ٣٩]، وقال: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتموهُم وَخُذُوهُم وَاحْصُرُوهُم واقعدوا لهم كلَّ مَرصَد فَإنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم﴾. [التوبة: ٥].

أمر[٦] بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك، ويخلصوا أعمالَهم لله تعالى، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. فإن أبوا عن ذلك أو بعضه قوتلوا إجماعاً.

[٧]وذكر[٨] ابن كثير رحمه الله تعالى، في تفسير قوله تعالى ﴿قد أفلَح من تَزكَّى﴾

---

(١) (ض) التلفظ بها.

(٢) في جميع النسخ: تردد. والمثبت من المسألة.

(٣) المسألة الأخيرة في الباب.

(٤) (ط): لقوله.

(٥) (ض): بدونه أصلاً.

(٦) (ط): وأمر.

(٧) من هنا ساقطٌ من (هـ)و (ط) ومعلَّق في هامش الأصل وعليه كلمة صح. (٨) (ض): قال.

فقال: قال الحافظ أبوبكر البزار: حدثنا عباد بن أحمد، ـ وساق بسنده ـ عن جابر بن عبدالله، عن النبي ﷺ، ﴿قد أفْلَح من تَزكَّى﴾. قال: «من شهد أنْ لا إله إلَّا الله، وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله» الحديث[١][٢].

وفي (صحيح مسلم)، عن أبي هريرة مرفوعاً «أُمرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يشهدوا أنْ لا إله إلَّا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئتُ به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالَهم إلَّا بحقها وحسابهم على الله تعالى»[٣].

وفي (الصحيحين)، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمرتُ أنْ أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابُهم على الله»[٤].

[٣٦/أ] وهذان الحديثان تفسيرُ الآيتين: آية/ الأنفال، وآية براءة. وقد أجمع العلماءُ على أنَّ من قال: لا إله إلا الله. ولم يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتى يعمل بما دلَّت عليه من النفي والإثبات.

قال أبو سُليمان الخطَّابي رحمه الله تعالى ـ في قوله: ﴿أُمرتُ أنْ أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله﴾[٥] ـ: معلومٌ أن المراد بهذا: أهلُ عبادة الأوثان، دون أهل

---

(١) إلى هنا ساقط من (هـ) و (ط) ومعلَّق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/٤٠٣)، والحديث: أخرجه البزَّار في «المسند» رقم (٢٢٨٤) (كشف).

(٣) مسلم في «الصحيح» رقم (٢١)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٣٤٥، ٤٢٣).

(٤) البخاري في «الصحيح» رقم (٢٥)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/١٩، ٣٥، ٤٨).

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (١٣٩٩، ١٤٥٧، ٦٩٢٤، ٨٢٨٤)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢١)، وأبوداود في «السنن» رقم (١٥٥٦، ٢٦٤٠)، والترمذي في «الجامع» رقم (٢٦١٠) من حديث أبي هريرة.

الكتاب؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله. ثم يُقاتَلون، ولا يُرفع عنهم السيف[١].

وقال القاضي عياض: اختصاصُ عصمة المال والنفس بمَن قال: لا إله إلا الله. تعبيرٌ عن الإجابة إلى الإيمان، وأنَّ المراد بذلك: مشركو العرب، وأهل الأوثان. فأما غيرُهم ممن يقرُّ بالتوحيد، فلا يُكتفى في عصمته بقول لا إله إلَّا الله، إذا[٢] يقولها في كفره[٣]. انتهى ملخصاً.

وقال النووي: لابُدَّ مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به الرسول ﷺ؛ كما جاء في الرواية «ويؤمنوا بي وبما جئتُ به»[٤].

وقال شيخُ الإسلام ـ لما سُئل عن قتال التتار، فقال ـ: كلُّ طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة ـ من هؤلاء القوم أو غيرهم ـ فإنه يجب قتالُهم حتى يلتزموا شرائعه، وإنْ كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض[٥] شرائعه؛ كما قاتل أبوبكر والصحابةُ رضي الله عنهم مانعي الزكاة. وعلى هذا اتفق الفقهاءُ بعدهم.

قال: فأيما طائفة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء، أو الأموال، أو الخمر[٦] أو الميسر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين ومحرَّماته[٧] التي لا عُذر لأحد في جُحودها أو تركها، التي يكفر الواحد بجحودها،

(١) الخطابي، «معالم السنن» (٢/ ١١).
(٢) (ض)(هـ)(ط): إذ.
(٣) ينظر: القاضي عياض، «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٥٣٨ ـ ٥٤٢).
(٤) النووي، «المنهاج شرح مسلم بن الحجاج» (١/ ٢١٢).
(٥) (ض): ببعض.
(٦) (ط): الخمور.
(٧) (ض): أو محرماته.

فإنَّ الطائفة الممتنعة تُقاتل عليها وإنْ كانت مقرَّةً بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء.

قال: وهؤلاء عند المحققين ليسوا بُغاةً[1]، بل هم خارجون عن الإسلام. انتهى[2].

[٣٠/ب] قوله: «وحسابه على الله» أي: الله تبارك وتعالى هو الذي يتولَّى حسابه[3] / فإنْ كان صادقاً جازاه بجنات النعيم، وإنْ كان منافقاً عذَّبه العذاب الأليم. وأمَّا[4] في الدنيا فالحكمُ على الظاهر، فمن أتى بالتوحيد ولم يأت بما يُنافيه ظاهراً، والتزم شرائع الإسلام، وجب الكفُّ عنه.

قلتُ: وأفاد الحديث أنّ الإنسان قد يقول: لا إله إلاَّ الله، ولا يكفر بما يُعبد من دون الله، ولم[5] يأت بما يعصمُ دَمه ومالـه؛ كما دلَّ على ذلك الآياتُ المحكمات[6] والأحاديث.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وشرحُ هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

ش: قلتُ: وذلك أنَّ ما بعدها من الأبواب: فيه مايبيِّن التوحيد، ويوضح معنى لا إله إلا الله. وفيه أيضاً: بيانُ[7] أشياء كثيرة من الشرك الأصغر والأكبر، وما

---

(١) (ض)(هـ)(ط): بمنزلة البغاة.

(٢) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٢٨/٥٠٢).

(٣) (ط): حساب الذي يشهد بلسانه بهذه الشهادة.

(٤) (ض): فأما.

(٥) (ض)(هـ)(ط): فلم.

(٦) (ض): المحكمات. ساقطة.

(٧) (ض): بيان. ساقطة.

يوصِّل إلى ذلك من الغلو والبدع، مما تركُه[١] من مضمون[٢]: لا إله إلا الله.

فمن عرف ذلك وتحقَّقه: تبين له معنى لا إله إلَّا الله، وما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك، وبضدها تتبين الأشياء. فبمعرفة الأصغر[٣] من الشرك يُعرف ما هو أعظم منه من الشرك الأكبر[٤] المنافي للتوحيد، وأما الأصغر[٥] فإنما ينافي[٦] كماله، فمن اجتنبه فهو الموحد حقاً.

وبمعرفة وسائل الشرك ـ والنهي عنها لتُجتنب ـ تُعرف الغايات التي نُهي عن الوسائل لأجلها، فإن اجتناب ذلك كله يسلتزم التوحيد والإخلاص، بل يقتضيه.

وفيها[٧] أيضاً من أدلة التوحيد: إثباتُ الصفات، وتنزيه الرب تعالى عما لا يليق بجلاله. وكل ما يعرِّفُ بالله من صفات كماله وأدلة ربوبيته يدلُّ على أنه هو المعبود وحده، وأن العبادة لا تصلح إلا له، وهذا هو التوحيد، ومعنى شهادة أن لا إله إلَّا الله[٨].

---

(١) (ض): وانتفاؤه وتركه (هـ): فانتفاؤه مما تركه.
(٢) (ض): مدلول.
(٣) (ض): نوع الأصغر.
(٤) (ط): الأكبر. ساقطة.
(٥) (ض): الشرك الأصغر.
(٦) (هـ): فإنه ينافي.
(٧) (ط): وفيه.
(٨) اتفقت جميعُ النسخ التي بين يدي على اعادة شرح آيات هذا الباب، نقلاً عن نسخة قديمة للشرح كما أشار إليه أحدُ النسَّاخ، فرأيتُ أن انقله إلى هذا الموضع، واجعله في الهامش؛ مراعاة لترتيب الكتاب ومحافظة على ماقصدوه من بيان سعة علم المصنف وحسن تقريره وتنويعه للعبارات. إلى آخر ماقيل.
وقد اعتمدتُ نسخة الأصل، دون ذكر للفروق أو تخريج للآثار للاختصار. =

....

قال المصنِّفُ رحمه الله: بابُ تفسير التوحيد. وشهادة أنْ لا إله إلا الله.

ش: قلتُ: هذا من عطف الدَّال على المدلول.

فإن قيل: قد تقدَّم في أول الكتاب من الآيات ما يُبيِّن معنى لا إله إلا الله، وما تضمنته من التوحيد كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وسابقها ولاحقها، وكذلك ما ذكره في الأبواب بعدها. فما فائدة هذه الترجمة؟

قيل: هذه الآيات المذكورات في هذا الباب، فيها مزيدُ بيان بخصوصها لمعنى كلمة الإخلاص وما دلَّت عليه: من توحيد العبادة. وفيها: الحجة على من تعلَّق على الأنبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم؛ لأن ذلك هو سببُ نزول بعض هذه الآيات، كالآية الأولى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ﴾ [الإسراء: ٥٦] أكثر المفسِّرين على أنَّها نزلت فيمن يعبد المسيح وأُمَّه، وعزير والملائكة، وقد نهى الله تعالى عن ذلك أشد النهي؛ كما في هذه الآية من التهديد والوعيد على ذلك.

وهذا يدلُّ على أنَّ دعوتهم من دون الله شركٌ بالله، ينافي التوحيد، وينافي شهادة أن لا إله إلا الله.

ومضمون هذه الكلمة: نفي الشرك في العبادة والبراءة من عبادة كلِّ ما عُبد من دون الله. فإنَّ التوحيد أنْ لا يُدعى إلا الله وحده. وكلمةُ الإخلاص نفت هذا الشرك، لأن دعوة غير الله تعالى تألُّهٌ وعبادة له. والدعاءُ مخ العبادة [٣١/ب].

وفي هذه الآية: أنَّ المدعو لا يملك لداعيه كشف ضر ولا تحويله من مكان إلى مكان، ولا من صفة إلى صفة، ولو كان المدعو نبياً أو ملَكاً. وهذا يقرر بطلان دعوة كلِّ مدعو من دون الله كائناً من كان؛ لأن دعوته تخونُ داعيه أحوج ما كان إليها، لأنه أشرك مع الله من لا ينفعه ولا يضره. وهذه الآية تقرر التوحيد، ومعنى: لا إله إلا الله.

قال المصنف: وقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧].

ش: يُبيِّنُ أنَّ هذا سبيلُ الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين.

قال قتادة: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يُرضيه.

وقرأ ابنُ زيد: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُون يَبْتَغُونَ الَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبَ﴾ قال العماد ابن كثير: وهذا لا خلاف بين المفسرين فيه: وذكره عن عدة من أئمة التفسير.

قال العلاَّمةُ ابن القيم رحمه الله تعالى: في هذه الآية ذكر المقامات الثلاث: الحب، وهو ابتغاء القرب إليه والتوسل إليه بالأعمال الصالحة، والرجاء والخوف. وهذا هو التوحيد، وهو حقيقة دين الإسلام كما في (المسند)» عن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، أنه قال: والله يا رسول الله ما أتيتك إلا بعد ما

حلفتُ عدد أصابعي هذه: أن لا آتيك. فبالذي بعثك بالحق، ما بعثك به؟ قال: «الإسلام» قال: وما الإسلام؟ قال: «أنْ تُسلم قلبك، وأن تُوجِّه وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلوات المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة». [أحمد في «المسند» (٥/٣)، وأخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٤٠٣، ٤٠٤)، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٨/٤٣٣) والحاكم في «المستدرك» (١/٢١)].

وأخرج محمد بن نصر المروزي، من حديث خالد بن معدان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ للإسلام صُوىً ومناراً كمنار الطريق. من ذلك: أنْ تعبد الله ولا تُشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٤٠٥) وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/٢١٧) والحاكم في «المستدرك» (١/٢١)] وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إلى الله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى وَإلَى الله عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال المصنِّفُ رحمه الله: وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُون • إِلاَّ الَّذِي فَطَرنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِين • وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لعلهم يرجعون﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨].

ش: أي: لا إله إلاَّ الله.

فتـدبـر كيف عبَّر الخليلُ عليه السلام [٣٢/أ] عن هذه الكلمة العظيمة بمعناها الذي دلَّت عليه، ووُضِعت له: من البراءة من كلِّ ما يُعبد من دون الله الموجودة في الخارج: كالكواكب والهياكل والأصنام، التي صورها قوم نوح على صور الصالحين: ود وسُوَاع ويغوث ويعوق ونسر، وغيرها من الأوثان والأنداد التي كانت يعبدها المشركون بأعيانها. ولم يستثن من جمع المعبودات إلا الذي فطره، وهو الله وحده لا شريك له. فهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص مطابقة، كما قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] فكلُّ عبادة يقصد بها غير الله: من دعاء وغيره، فهي باطلة. وهو الشرك الذي لا يغفره الله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُم أَيْنَ مَا كُنْتُم تُشرِكُونَ • مِن دُونِ الله قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِن قَبْلُ شيْئَاً كَذَلِكَ يُضِلُّ الله الكَافِرِينَ﴾ [غافر: ٧٣ ـ ٧٤].

قال المصنف: وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِن دُونِ الله وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١].

ش: وفي الحديث الصحيح، أنَّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي، فقال: يا رسول الله، لسنا نعبدهم. قال: «أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟» قال: بلى. فقال النبي ﷺ: «فتلك عبادتُهم».

....

ـــــــــــــــــــــــ

فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله، وبها اتخذوهم أرباباً، كما هو الواقع في هذه الأمة، وهذا من الشرك الأكبر الـمُنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله.

فتبينَّ بهذه الآية: أن كلمة الإخلاص نفت هذا كلَّه، لمنافاته لمدلول هذه الكلمة. فأثبتوا ما نفته من الشرك، وتركوا ما أثبتته من التوحيد.

قال المصنف: وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مِن يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ الله﴾ [البقرة: ١٦٥].

ش: فكلُّ من اتخذ نداً لله يدعوه من دون الله، ويرغب إليه ويرجوه لما يُؤمله منه من قضاء حاجاته وتفريج كُرباته ـ كحال عُبّاد القبور والطواغيت والأصنام ـ فلابد أنْ يعظموهم ويحبوهم لذلك؛ فإنهم أحبوهم مع الله. وإن كانوا يحبون الله تعالى ويقولون: لا إله إلا الله، ويصلّون ويصومون، فقد أشركوا بالله في المحبة بمحبة غيره وعبادة غيره. فاتخاذهم الأنداد يحبونهم [٣٢/ب] كحب الله يبطل كلَّ قول يقولونه، وكل عمل يعملون؛ لأن المشرك لا يُقبل له عمل، ولا يصح منه. وهؤلاء وإنْ قالوا: لا إله إلا الله، فقد تركوا كل قيد قيِّدت به هذه الكلمة: من العلم بمدلولها، لأن المشرك جاهلٌ بمعناها، ومن جهله بمعناهـا جَعـل لله شريكـاً في المحبة وغيرها، وهذا هو الجهل المنافي للعلم بما دلَّت عليه من الإخلاص. ولم يكن صادقاً في قولها، لأنه لم ينف ما نفته من الشرك ولم يُثبت ما أثبتته من الإخلاص، وتَركَ اليقين أيضاً؛ لأنه لو عرف بمعناها، وما دلت عليه لأنكره أو شكَّ فيه. ولم يقبله وهو الحق، ولم يكفر بما يُعبد من دون الله؛ كما في الحديث. بل آمن بما يُعبد من دون الله؛ باتخاذه الند ومحبته له وعبادته من دون الله، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله﴾؛ لأنهم أخلصوا له الحب، فلم يحبوا إلا هو، ويحبون من أحب ويخلصون أعمالهم جميعها لله، ويكفرون بما عُبد من دونه.

فبهذا يتبينَّ لمن وفَّقه الله تعالى لمعرفة الحق وقبوله: دلالة هذه الآيات العظيمة على معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى التوحيد الذي هو معناها الذي دعت إليه جميع المرسلين، فتدبَّر!

(٦)
بـــاب
من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما؛ لرفع البلاء أو دفعه

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ من الشرك: لبسُ الحلقة والخيط ونحوهما؛ لرفع البلاء أو دفعه.

ش: رفْعه: إزالتُه بعد نزوله، ودفعُه: منعُه قبل نزوله.

قال الـمُصنِّفُ رحمـه الله تعـالى: وقولُ الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادني بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزُّمر: ٣٨].

ش: قال ابنُ كثير: أي: لا تستطيعُ شيئاً من الأمر. ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللهُ﴾ أي: الله كافي من توكَّل عليه ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ كما قال هودٌ عليه السلام، حين قال له[1] قومـه: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ/ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ • مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونَ • إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2] [هود: ٥٤ ـ ٥٦]. [٣٧]

---

(١) (ض)(هـ)(ط): له. ساقطة.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٩١).

قال مُقاتل - في معنى الآية -: فسألهم النبيُّ ﷺ فسكتوا. أي: لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها.

وإنَّما كانوا يدْعونها: على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله، لا أنهم[1] يكشفون الضُّرَّ ويجيبون دعاء المضطر. فهم يعلمون أنَّ ذلك لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُون • ثُمَّ إذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُم إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُم بِرَبِّهِمْ يُشركُونَ﴾[2] [النحل: ٥٣ - ٥٤].

قلتُ: فهذه الآيةُ وأمثالُها: تبطل تعلُّقَ[3] القلبِ بغير الله، في جلب نفعٍ أو دفع ضر، وأنَّ ذلك شركٌ بالله.

وفي الآية: بيانُ أنَّ الله تعالى وَسمَ أهلَ الشرك بدعوة غير الله[4]، والرغبة إليه من دون الله. والتوحيدُ ضدُّ ذلك، وهو: أنْ لا يدعو إلَّا الله، ولا يرغب إلَّا إليه، ولا يتوكل إلَّا عليه. وكذا[5] جميعُ أنواع العبادة لايصلُح منها شيءٌ لغير الله؛ كما دلَّ على ذلك الكتابُ والسنة، وإجماعُ سلف الأمة وأئمتها، كما تقدَّم.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن عمران بن حُصَين رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حَلْقة من صُفْر، فقال: «ماهذه؟» قال: من الواهِنة. فقال: «انزَعها؛ فإنَّها لا تَزيدُك إلَّا وهَناً؛ فإنك لو مِتَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً» رواه أحمدُ، بسندٍ لا بأس به.

---

(١) (ض): لأنهم (هـ)(ط): على أنهم.

(٢) سليمان بن عبدالله، «تيسير العزيز الحميد» (١٥٣).

(٣) الأصل: علق.

(٤) (ض): غيره.

(٥) (ض): وهكذا.

ش: قال الإمامُ أحمد: حدَّثنا خلفُ بن الوليد، حدَّثنا المباركُ، عن الحسن، قال: أخبرني عمران بن حُصين: أنَّ النبي ﷺ أبصر على عَضُد رجلٍ حلْقة ـ قال: أراه[1] من صُفْر ـ فقال: «ويحك، ما هذه؟» قال: من الواهنة. قال: «أمَا إنها لا تزيدك إلَّا وهناً. انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً» ورواه ابنُ حبَّان في (صحيحه)، فقال: «فإنَّك إنْ مت وُكلت إليها»، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. وأقرَّه الذهبي[2].

وقال الحاكم: أكثرُ مشايخنا على أنَّ الحسن سمع من عمران. وقوله في الإسناد: أخبرني عمران. يدلُّ على ذلك.

قوله: (عن عِمران بن حُصين). أي: ابن عُبيد بن خَلَف الخُزاعي، أبونُجَيْد ـ بنونٍ/ وجيم. مصغَّر ـ صحابيٌّ، ابنُ صحابي. أسلم عام خيبر. ومات سنة اثنتين وخمسين، بالبصرة. [٣٧/ب]

قوله: (رأى رجلًا). في رواية الحاكم: دخلتُ على رسول الله ﷺ، وفي عضُدي حلْقة صُفر، فقال: «ماهذه؟» الحديث.

فالـمُبهم[3] في رواية أحمد، هو عِمران، راوي الحديث.

قوله: «ما هذه؟» يُحتمل أنَّ الاستفهام للاستفصال عن سبب لُبسها، ويحتمل أنْ يكون للإنكار، وهو أظهر.

قوله: من (الواهنة). قال أبوالسَّعادات: الواهِنةُ: عِرقٌ يأخُذ في المنكِب، وفي

---

(١) (ض)(ط). أراها.

(٢) أحمد في «المسند» (٤/ ٤٤٥) وابن حبان في «الصحيح» (٧/ ٦٢٨) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٦)، وأخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٣٥٣١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٥١) وأبو يعلى في «المسند» كما في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٤٠) وقال البُوصِيري: إسناده حسن.

(٣) (ط): فالمهم. تحريف.

اليد كلِّها، فيرُقى منها. وقيل: هو مرضٌ يأخذ في العضُد، وهي[١] تأخذ الرجالَ دون النساء؛ وإنَّما[٢] نُهي عنها: لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمُه من الألم، وفيه: اعتبارُ المقاصد[٣][٤].

قوله: «انزعها؛ فإنَّها لا تزيدُك إلَّا وهَناً» النزع: هو الجذبُ بقوة. أخبر أنَّها لا تنفعه، بل تضره، وتزيده ضعفاً. وكذلك كلُّ أمرٍ نُهي عنه: فإنه لا ينفع غالباً، وإنْ نفع بعضه فضَرُّه[٥] أكبرُ من نفعه.

قوله: «فإنَّك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً»؛ لأنه شرك. والفلاح: هو الفوزُ والظفر والسعادة.

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: فيه شاهدٌ لكلام الصحابة: أنَّ الشرك الأصغر أكبرُ من[٦] الكبائر، وأنه لم يُعذر بالجهالة. وفيه: الإنكارُ بالتغليظ على من فعل مثل ذلك[٧].

قوله: (رواه أحمدُ بسندٍ لا بأس به). هو الإمام أحمد بن محمد بن حَنْبل بن هلال بن أسد[٨] بن إدريس بن عبدالله بن حَيَّان[٩] بن عبدالله بن أنس بن

---

(١) (هـ): وقيل.
(٢) (ط): وانما. ساقطة.
(٣) (ط): للقاصد. تحريف.
(٤) ابن الاثير، «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٣٤).
(٥) (ض): فضرره.
(٦) (ط): من. ساقطة.
(٧) المسائل: الثانية والثالثة والخامسة.
(٨) من هنا ساقطٌ من (ض).
(٩) في جميع النسخ: حسان. تصحيف، والتصويب من «طبقات الحنابلة» (١/ ٤).

عوف بن قاسط(١) بن مازن بن شيبان بن ذُهَلْ بن ثعلبة بن عُكَابَة بن صَعْب بن علي بن بكْـر بن وائـل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان. الإمام العالم، أبوعبدالله، الذُّهلي(٢)، ثم(٣) الشيباني المَرْوِزي، ثم البغدادي.

(٤إمامُ أهل عصره، وأعلمُهم بالفقه والحديث، وأشدُّهم ورعاً ومتابعة للسنة، وهو الذي يقول فيه بعضُ أهل السُّنة: عن الدنيا ما كان أصبرَه، وبالماضين ما كان أشبهه، أتته الدنيا فأباها، والشُّبَهُ فنفاها٤). (٥خُرِجَ(٦) به من مرو وهو حَمل، فوُلد ببغداد سنة أربعٍ وستين ومائة، في شهر ربيع الأول.

وطلب أحمدُ العلم سنة وفاة مالك، وهي سنة تسعٍ وسبعين، فسمع من هُشيم، وجرير بن عبدالحميد، وسفيان بن عُيينة، ومُعتمر بن سليمان، ويحيى بن سعيد القطان، ومحمَّد بن إدريس٥) الشافعي(٧)، [ويزيد بن هارون](٨) وعبدالرزاق(٩)، وعبدالرحمن بن مهدي(١٠)/، وخلائق(١١) (٥بمكة، والبصرة، والكوفة، وبغداد، واليمن، وغيرها من البلاد٥). [٣٨/أ]

---

(١) في جميع النسخ: قاسم. تصحيف.

(٢) (ط): الباهلي. تصحيف.

(٣) إلى هنا ساقطٌ من (ض).

(٤) مابينهما معلّق في هامش الأصل، وبجواره كلمة صح.

(٥) مابينهما ساقطٌ من (ض).

(٦) (ط): فخرج.

(٧) (ض): روى عن الشافعي.

(٨) اضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

(٩) (ض): وعبدالرزاق. ساقط.

(١٠) (ض): ابن مهدي ويحي القطان وابن عيينة وعبدالرزاق.

(١١) (ض)(ط): وخلق لا يحصون.

روى عنه ابناه: صالح، وعبدالله[١]، والبخاري، ومسلم، وأبوداود، (٢وإبراهيم الحربي، وأبوزرعة الرازي، وأبوزرعة الدِّمَشقي، وعبدالله بن أبي الدنيا٢)، وأبوبكر الأثرم[٣]، وعُثمان(٢ بن سعيد الدارمي، وأبوالقاسم البغوي، وهو آخر من حدَّث عنه، وخلائق[٤]. وروى عنه من شيوخه: عبدُالرحمن بن مهدي، والأسودُ بن عامر، ومن أقرانه: عليُّ بن المديني، ويحي بن معين.

قال البخاري: مرض أحمد لليلتين خلتا من ربيع الأوَّل، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت منه. وقال حنبل٢): مات يوم(٢ الجمعة في ربيع الأول٢) سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله سبعٌ وسبعون سنة. (٢ وقال ابنه عبدُالله، والفضل بن زياد: مات في ثاني عشر ربيع الآخر رحمه الله تعالى٢).

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وله عن عُقْبَةَ بن عامر، مرفوعاً: «من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ الله له، ومنَ تعلَّق وَدْعةً فلا ودَع الله له» وفي رواية: «مَن تعلَّق تميمةً فقد أشرك».

ش: الحديثُ الأوَّل: رواه الإمامُ أحمد، كما قال المصنف، ورواه[٥] أبويعلى، والحاكم، وقال: صحيحُ الإسناد، وأقرَّه الذهبي[٦].

---

(١) (ض) وروى ابناه عبدالله وصالح.
(٢) مابينهما ساقطٌ من (ض).
(٣) (ض): الاثرم والمروزي وخلق لا يحصون.
(٤) (هـ)(ط): وخلائق. ساقط.
(٥) (ض)(هـ)(ط): ورواه أيضاً.
(٦) أحمد في «المسند» (٤/١٥٤) وأبويعلى في «المسند» رقم (١٧٥٩) والحاكم في «المستدرك» (٤/٤١٧)، وأخرجه الدولابي في «الكنى» (٢/١١٥) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/٣٢٥) وابن حبان في «الصحيح» (٧/٦٢٩) والبيهقي في «السنن» (٩/٣٥٠)، وجوَّد المنذري إسناده كما في «الترغيب» =

قوله: (وفي رواية). أي[١]: من حديث آخر، رواه أحمد، فقال: حدَّثنا عبدُالصَّمد بن عبدالوارث، حدَّثنا عبدالعزيز بن مسلم، حدَّثنا يزيد بن أبي منصور، عن دُخين الحَجْري، عن عُقبة بن عامر الجهني، أنَّ رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعةً وأمسك عن واحد، فقالوا: يارسول الله، بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ فقال: «إنَّ عليه تميمة»، فأدخل يده فقطعها. فبايعه، وقال: «من تعلَّق[٢] تميمة فقد أشرك» ورواه الحاكم بنحوه[٣]، ورواته ثقات.

قوله: (عن عُقبة بن عامر). صحابيٌّ مشهور، فقيهٌ فاضل. ولِيَ إمرة[٤] مصر لمعاوية ثلاث سنين، ومات قريباً من الستين.

قوله: «من تعلَّق تميمة» أي: علَّقها[٥] متعلِّقاً بها قلبُه، في طلب[٦] خير أو دفع شر.

قال الـمُنذري: خرزةٌ كانوا يُعلِّقونها، يرون أنَّها تدفع[٧] عنهم الآفات. وهذا جهلٌ/ وضلالة؛ إذ لا مانع، ولا دافع غير[٨] الله تعالى[٩]. [٣٨/ب]

= (٣٠٦/٤) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٣/٥): رجاله ثقات، وقال ابن حجر في «تعجيل المنفعة» (/١١٤): رجاله موثقون.

(١) الأصل: أي. ساقطة.

(٢) (ض): علق.

(٣) أحمد في «المسند» (١٥٦/٤) والحاكم في «المستدرك» (٤١٧/٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٣/٥): رواة أحمد ثقات.

(٤) (ض)(ط): إمارة.

(٥) (ض): تعلقها.

(٦) (ض): جلب.

(٧) (ط): لتدفع.

(٨) (ض): إلاّ.

(٩) «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣٠٧/٤).

وقال أبو السعادات: التمائمُ: جمعُ تميمة، وهي خَرَزاتٌ كانت العربُ تعلِّقها على أولادهم؛ يتَّقون بها العين في زعمهم، فأبطله[١] الإسلام[٢].

قوله: «فلا أتمَّ الله له» دعاءٌ عليه.

قوله: «ومن تعلَّق وَدْعَة» بفتح الواو وسكون المهملة. قال في (مُسند الفردوس): الودْع[٣]: شيءٌ يخرج من البحر شبه[٤] الصَّدف، يتَّقون به العين.

قوله: «فلا ودَع الله له» بتخفيف الدال. أي: لا جعله في دعَةٍ وسكون. قال أبو السعادات: وهذا دعاءٌ عليه.

قوله: وفي رواية: «من تعلَّق تميمة فقد أشرك» قال أبو السعادات: إنَّما جعلها شركاً؛ لأنهم أرادوا دفعَ المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعهُ.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولابن أبي حاتم، عن حُذيفة: أنه رأى رجلاً في يده خَيطٌ من الحُمّى، فقطعه وتلا قوله: ﴿وما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بالله إلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾. [يوسف: ١٠٦].

ش: قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا محمَّد بن الحُسين بن إبراهيم بن إشكاب، حدَّثنا يونس بن محمد، حدثنا حمَّاد بن سلمة، عن عاصم الأحول، عن عُروة[٥]، قال: دخل حُذيفةُ على مريض، فرأى في عضُده سيراً، فقطعه أو انتزعه، ثم قال:

---

(١) (هـ)(ط): فأبطلها.

(٢) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث» (١/١٩٧).

(٣) (هـ)(ط): الودع. ساقطة، وعلق في هامش الأصل ودعه. وبجواره كلمة صح.

(٤) (ط): يشبه.

(٥) الأصل و (ض) و (هـ): عزرة. تصحيف.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم باللهِ إلَّا وَهُمْ مُشرِكُونَ﴾[١].

وابن أبي حاتم: هو الإمامُ أبومحمد، عبدالرحمن بن أبي حاتم، محمّد[٢] بن إدريس الرازي، التميمي، الحنظلي، الحافظ، صاحبُ (الجرح والتعديل)، (والتفسير)، وغيرهما. مات سنة سبعٍ وعشرين وثلاثمائة.

وحُذيفة: هو ابن اليمان. واسم اليمان: حُسيل ـ بمهملتين مصغَّراً ـ ويقال: حِسْل ـ بكسر ثم سكون ـ العبسي ـ بالموحَّدة ـ حليف الأنصار، صحابيٌّ جليل من السابقين، ويقال له: صاحبُ السرِّ، وأبوه أيضاً صحابي. مات حُذيفة في أوّل خلافة عليّ، سنة ستٍ وثلاثين.

قوله: (رأى رجلاً في يده خيط من الحمَّى). أي: عن الحُمَّى. وكان الجهال يعلِّقون التمائم والخيوط ونحوهما[٣]، لدفع الحمَّى.

وروى وكيع، عن حُذيفة: أنه دخل على مريضٍ يعوده، فلمس عضُده، فإذا فيه خيط، فقال: ماهذا؟ قال: شيء/ رُقي لي فيه، فقطعه، وقال: لو متَّ وهو عليك ما صلَّيتُ عليك. [٣٩/]

وفيه: إنكارُ مثل هذا، وإنْ كان يعتقد أنه سبب: فالأسباب لا يجوز منها إلَّا ما أباحه الله تعالى ورسوله، مع عدم الاعتماد عليها. وأمَّا التمائم والخيوط والحروز والطلاسم ونحو ذلك، مما يعلِّقه[٤] الجهال: فهو شركٌ، يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل، وإن لم يأذن فيه صاحبه.

---

(١) ذكره ابن كثير في «التفسير» (٤/٣٤٢).

(٢) (ض): بن محمد. تحريف.

(٣) (ض)(هـ)(ط). ونحوها.

(٤) (ط): تعلقه.

قوله: وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾. استدلَّ حذيفة رضي الله عنه بالآية: أنَّ[1] هذا شرك.

ففيه: صحةُ الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزله الله في الشرك الأكبر؛ لشمول الآية[2]، ودخوله في مسمَّى الشرك. وتقدَّم معنى هذه الآية عن ابن عباس، وغيره[3]، والله أعلم.

وفي هذه الآثار عن الصحابة: ما يبيِّنُ كمالَ علمهم بالتوحيد وما ينافيه، أو ينافي كماله.

---

(١) (ض): لأن (هـ): بأن (ط): على أن.

(٢) (ض)(ط): الآية له.

(٣) (ض)(هـ)(ط): وغيره في كلام شيخ الإسلام وغيره.

(٧)
باب ما جاء في الرقى والتمائم

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في الرُّقى والتمائم.

ش: أي: من النهي، وما ورد عن السَّلف في ذلك.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح، عن أبي بشير الأنصاري: أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً: أنْ لا يَبقينَّ في رقبة بعيرٍ قلادةٌ من وتَر ـ أو قلادةٌ ـ إلا قُطعت.

ش: هذا الحديث في (الصحيحين)[1].

قولـه: (عن أبي بشير). بفتح أوله وكسر الـمُعجمة، قيل: اسمُه قيس بن عُبيد، قاله ابن سعد. وقال ابن عبدالبر: لا يوقف له على اسمٍ صحيح، وهو صحابيٌّ، شهد الخندق، ومات بعد الستين. ويقال: إنه جاوز المائة.

قوله: (في بعض أسفاره). قال الحافظ: لم أقف على تعيينه[2].

قوله: (فأرسل رسولاً)، هو زيدُ بن حارثة، روى ذلك الحارثُ بن أبي أُسامة في (مسنده). قاله الحافظ[2].

قوله: (أن لا يبقينَّ) بالمثناة التحتيَّة والقاف المفتوحتين، (وقلادة). مرفوعٌ على

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٣٠٠٥) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢١١٥)، وأخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٢٥٥٢) والنسائي في «السنن الكبرى كتاب السير» كما في «تحفة الاشراف» (١٢٩/٩)، وأحمد في المسند (٢١٦/٥) ومالك في الموطأ كتاب «الجامع» رقم (٨٩).

(٢) ابن حجر، «فتح الباري» (١٤١/٦).

أنَّـه فاعـل. (والـوتـر)، بفتحتين: واحدُ أوتار القوس. وكان أهلُ الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره، وقلَّدوا به الدواب؛ اعتقاداً منهم أنه يدفع عن الدَّابة العين.

قولـه: (أو قلادة، إلاَّ قطعت). معناه: أنَّ الراوي شكَّ، هل قال شيخُه: قلادة من وتر، أو قال: قلادة/. وأطلق ولم يُقيِّد[١]؟. [٣/ب]

ويؤيدُ الأول: ما روي عن مالك، أنه سُئل عن القلادة؟ فقال: ما سمعتُ بكراهتها إلاَّ في الوتر. ولأبي داود: ولا قلادة. بغير شك[٢].

قال البغويُّ في (شرح السُّنة): تأوَّل مالكُ أمرَه عليه السلام بقطع القلائد، على أنَّه من أجل العين. وذلك أنهم كانوا يشدُّون تلك الأوتار والتمائم والقلائد، ويُعلِّقون عليها العُوذ؛ يظنون أنها تعصمهم من الآفات. فنهاهم النبيُّ ﷺ عنها، وأعلمهم أنها لا تردُّ من أمر الله شيئاً[٣].

قال أبوعُبيد: كانوا يقلِّدون الإبل الأوتار، لئلا تصيبها العين. فأمرهم النبيُّ ﷺ بإزالتها؛ إعلاماً لهم بأنَّ الأوتار لا تردُّ شيئاً[٤]. وكذا قال ابنُ الجوزي وغيره[٥].

قال الحافظ: ويؤيِّدُه: حديثُ عُقبة بن عامر، رفعه «من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ الله له» رواه أبوداود[٦]. وهي ما عُلِّق من القلائد خشيةَ العين، ونحو ذلك. انتهى[٧].

---

(١) (هـ): ولا قيد (ط): ولم يقيده.
(٢) ينظر: ابن حجر «فتح الباري» (٦/ ١٤١).
(٣) البغوي، «شرح السنة» (١١/ ٢٧).
(٤) أبو عبيدة، «غريب الحديث» (٢/ ٢).
(٥) ابن الجوزي، «غريب الحديث» (٢/ ٤٥٢).
(٦) مضى تخريجه، في الباب قبله.
(٧) ابن حجر، «فتح الباري» (٦/ ١٤٢).

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرُّقى والتمائمَ والتِّولَة شرك». رواه أحمد، وأبوداود.

ش: وفيه قصة، ولفظُ أبي داود: عن زينب، امرأة عبدالله بن مسعود: إن عبدالله رأى في عُنقي خيطاً، فقال: ماهذا؟ قلتُ: خيطٌ رُقي لي فيه، قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبدالله لأغنياء عن الشرك، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرُّقى والتمائم والتِّولة شرك» فقلت: لقد كانت عيني تقذف، وكنتُ أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقى سكنت. فقال عبدالله: إنما ذلِك عمل الشيطان، كان ينخسُها بيده، فإذا رقى كفَّ عنها. إنما كان يكفيكِ، أنْ تقولي كما كان رسولُ الله ﷺ يقول: «أذهِب الباس، ربّ الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلَّا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سُقماً» ورواه ابنُ ماجة، وابن حبَّان، والحاكم، وقال: صحيح، وأقرَّه الذهبي[1].

قولـه: «إنَّ الـرقى» قال الـمُصنِّف: (هي التي تُسمَّى العزائم، وخصَّ منه الدليلُ ماخلا من الشرك. فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ / ، من العين والحُمَة)[2]. [٤٠/أ]

يُشير إلى أنَّ الرقى الموصوفةَ بكونها شركاً، هي التي يُستعان فيها بغير الله. وأمَّا إذا لم يُذكر فيها إلَّا أسماء الله وصفاته وآياته، والمأثور عن النبي ﷺ، فهذا حسن: جائزٌ، أو مُستحب.

---

(١) أحمد في «المسند» (١/ ٣٨١) وأبوداود في «السنن» رقم (٣٨٨٣) وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٥٧٦) وابن حبان في «الصحيح» (٧/ ٦٣٠) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٧، ٤١٨)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٠٥٠٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٥٠).

(٢) المصنف، «كتاب التوحيد» من هذا الباب.

قوله: فقد رخَّص فيه رسولُ الله ﷺ من العين والحُمَة. كما تقدَّم[١]، في باب من حقَّق التوحيد[٢].

وكذا[٣] رخَّص في الرقى من غيرها[٤]؛ كما في (صحيح مسلم)، عن عوف بن مالك: كُنَّا نَرقي في الجاهلية، فقلنا: يارسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»[٥] وفي الباب أحاديثُ كثيرة.

قال الخطَّابي: وكان عليه السلام، قد رقَى ورُقي، وأمر بها وأجازها. فإذا كانت بالقرآن وبأسماء[٦] الله تعالى فهي مباحةٌ أو مأمور بها.

وإنما جاءت الكراهةُ والمنع، فيما كان منها بغير لسان العرب[٧]؛ فإنَّه ربما كان كفراً أو قولاً يدخلُه الشرك[٨][٩].

قلتُ: من[١٠] ذلك: ماكان على مذهب[١١] الجاهلية التي يتعاطونها، وأنها تدفع عنهم الآفات، ويعتقدون أنَّ ذلك من قِبل الجن ومعونتهم. وبنحو هذا ذكر الخطَّابي[١٢].

---

(١) (ض)(هـ)(ط): تقدم ذلك.

(٢) الباب الثاني.

(٣) (ض): وكذلك.

(٤) (ض)(هـ): غيرهما.

(٥) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٠٠)، وأخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٣٨٨٦).

(٦) (ض): أو بأسماء.

(٧) (ض): العرب. ساقطة.

(٨) (ض)(هـ)(ط): شرك.

(٩) الخطابي، «معالم السنن» (٤/٢٢٦).

(١٠) (ض): ومن.

(١١) (ض)(هـ)(ط): مذاهب.

(١٢) (ض): وبنحو هذا ذكر الخطابي. ساقط.

وقال شيخُ الإسلام: كلُّ اسم مجهول فليس لأحدٍ أنْ يرقي به، فضلاً أنْ[١] يدعو به ولو عُرف معناه؛ لأنه يُكره الدعاء بغير العربية. وإنما يُرخَّص لمن[٢] لا يُحسن العربية، فأمَّا جعلُ الألفاظ العجمية[٣] شعاراً، فليس من دين الإسلام[٤].

وقال السيوطي: وأجمع[٥] العلماءُ على جواز الرقى، عند اجتماع ثلاثة[٦] شروط: أنْ يكون[٧] بكلام الله أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي وبما[٨] يُعرف معناه. وأنْ يعتقد أنَّ الرقية لا تؤثرُ بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

قوله: «والتمائم» قال المصنف: (شيءٌ يُعلَّق على الأولاد، عن[٩] العين)[١٠].
وقال الخلخالي:[١١] التمائم، جمعُ تميمة، وهي ما يُعلَّق بأعناق الصبيان من خرزاتٍ وعظام؛ لدفع العين. وهذا منهيٌّ عنه؛ لأنه لا دافع إلَّا الله، ولا يُطلب دفعُ المؤذيات إلَّا بالله وبأسمائه[١٢] وصفاته.

---

(١) (هـ)(ط): عن أن.
(٢) (ط): من.
(٣) (ض)(هـ)(ط): الأعجمية.
(٤) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» وينظر: ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١/٣٦٢).
(٥) (ض)(هـ)(ط): قد أجمع.
(٦) (ط): ثلاث.
(٧) (ط): تكون.
(٨) (هـ)(ط): وما.
(٩) (ط): من.
(١٠) المصنف، «كتاب التوحيد» من هذا الباب.
(١١) شمس الدين، محمد بن مظفر الخطيبي، أديب محدث. له كتاب «المفاتيح شرح مصابيح السنة» (ت ٧٤٥هـ). «الدرر الكامنة» (٤/٢٦٠).
(١٢) (ض): وأسمائه.

[٤٠/ب] قال المُصنِّفُ: (لكن إذا كان/ المعلَّق من القرآن، فرخَّص فيه بعضُ السلف. وبعضُهم لم يرخِّص فيه، ويجعلُه من المنهي عنه. منهم ابن مسعود)[١].

اعلم أنَّ العلماء ـ من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ـ اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن، وأسماء الله وصفاته.

فقالت طائفة: يجوز ذلك، وهو قولُ عبدالله[٢] بن عمرو بن العاص، وهو ظاهر ما روي عن عائشة. [وبه][٣] قال أبوجعفر الباقر، وأحمدُ في رواية. وحملوا الحديثَ على التمائم، التي فيها شرك.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك، وبه قال ابنُ مسعود، وابنُ عباس. وهو ظاهر قول حُذيفة، وعقبة بن عامر، وابن عُكَيم. وبه قال جماعةٌ من التابعين، ومنهم[٤] أصحابُ ابن مسعود، وأحمدُ في روايةٍ اختارها كثيرٌ من أصحابه. وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه.

قلتُ: وهذا[٥] هو الصحيح، لوجوهٍ ثلاثة تظهرُ للمتأمِّل:

الأوَّل: عمومُ النهي، ولا مُخصِّص للعموم. الثاني: سدُّ الذريعة؛ فإنه يُفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا عُلِّق فلابُد أنْ يمتهنه المعلِّق، بحمله معه في [حال][٦] قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك.

---

(١) المصنف، «كتاب التوحيد» من هذا الباب.

(٢) (ط): عبدالملك. تحريف.

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) (ض)(هـ)(ط): منهم.

(٥) (ط): هذا.

(٦) إضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

وتأمل هذه الأحاديث، وما كان عليه السلفُ رضي الله تعالى عنهم: يتبيّنُ لك بذلك[١] غربة الإسلام.

خصوصاً إنْ عرفت عظيم ما وقع فيه الكثيرُ بعد القرون المفضَّلة: من تعظيم القبور، واتخاذ المساجد عليها، والإقبال إليها بالقلب والوجه، وصرفِ جُلِّ الدعوات والرغبات والرهبات وأنواع العبادات ـ التي هي حقُّ الله تعالى ـ [إليها][٢] من دونه؛ كما قال تعالى: ﴿ولَاتَدْعُ مِن دُونِ الله مَالا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإن فعلْتَ فَإنَّك إذاً مِن الظَالِمين ● وَإن يمْسَسْكَ الله بضرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلَّا هُو وإن يُرِدْكَ بَخَيرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِه يُصِيبُ به مَنْ يَشَاءُ مِن عِبادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦ ـ ١٠٧] ونظائرُها في القرآن، أكثر من أن تُحصر[٣].

قوله: «والتِّولة شركٌ» قال المُصنِّفُ: (هو[٤] شيءٌ يصنعونه، يزعمون أنه يُحبِّبُ المرأةَ/ إلى زوجها والرجلَ إلى امرأته)[٥]. [٤١/أ]

وبهذا فسَّره[٦] ابنُ مسعود، راوي الحديث؛ كما في (صحيح ابن حبان)، والحاكم، قالوا: ياأبا عبدالرحمن، هذه الرقى والتمائم، قد عرفناها. فما التولة؟ قال: شيءٌ يصنعه النساء، يتحببن إلى أزواجهن[٧].

قال الحافظ: التِّولة ـ بكسر المُثنَّاة وفتح الواو واللام مخفَّفاً ـ: شيءٌ كانت المرأةُ تجلب به محبَّةَ زوجها، وهو ضربٌ من السحر، والله أعلم.

---

(١) (ض): بذلك: ساقطة.

(٢) إضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

(٣) الأصل و (هـ): كثيرة من أن يحصر.

(٤) (ط): هي.

(٥) المصنف، «كتاب التوحيد» من هذا الباب.

(٦) (ط): فسرها.

(٧) ابن حبان في «الصحيح» (٦٣٠/٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٨/١).

وكان من الشرك؛ لما يُراد به من دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عبدالله بن عُكَيم، مرفوعاً «من تعلَّق شيئاً وُكِل إليه» رواه أحمد، والترمذي.

ش: ورواه أبوداود، والحاكم[١]. وعبدالله بن عُكيم: هو بضمِّ المهملة مُصغَّراً. ويكنَّى أبامعبد، الجُهني الكوفي. قال البخاري: أدرك زمنَ النبيِّ ﷺ، ولا يُعرف له سماعٌ صحيح.

وكذا قال أبوحاتم. قال الخطيب: سكن الكوفةَ، وقدِم المدائن في حياة حُذيفة، وكان ثقة. وذكر ابنُ سعد، عن غيره: أنه مات في ولاية الحجَّاج[٢].

قوله: «من تعلَّق شيئاً وكل إليه»[٣ التعلُّق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما[٣]. أي[٤]: وكَلَه الله، إلى ذلك الشيء الذي تعلَّقه.

فمن تعلَّق بالله وأنزل حوائجَه به، والتجأ إليه وفوَّض أمره[٥] إليه: كفاه، وقرَّب إليه كلَّ بعيد ويسَّر له كل عسير. ومن تعلَّق بغيره، أو سكن إلى رأيه وعقله ودوائه وتمائمه ونحو ذلك: وكَلَه الله إلى ذلك، وخذله. وهذا معروفٌ بالنصوص والتجارب؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ على الله فهو حسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

---

(١) أحمد في «المسند» (٤/٣١٠، ٣١١)، والترمذي في «الجامع» رقم (٢٠٧٣) والحاكم في «المستدرك» (٤/٢١٦)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/١٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/٣٥١) ولم أجده عند أبي داود في «السنن» المطبوعة من رواية اللؤلؤي.

(٢) ابن سعد، «الطبقات الكبرى» (٦/١١٥).

(٣) مابينهما معلَّق في هامش الأصل، وبجواره كلمة صح.

(٤) (ض): قوله وكل إليه. (هـ)(ط): وكل إليه.

(٥) (ض): أمره كله.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا هشام بن القاسم، حدَّثنا أبوسعيد المؤدِّب، حدثنا من سمع عطاء الخراساني، قال: لقيتُ وهبَ بن منبِّه وهو يطوف بالبيت، فقلت: حدثني حديثاً أحفظهُ عنك في مقامي هذا، وأوجز. قال: نعم، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود: ياداود، أمَا وعزتي وعظمتي، لا يعتصمُ بي عبدٌ من عبادي[1] دون خلقي ـ أعرف ذلك من نيته ـ فتكيده السمواتُ السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن: إلاَّ جعلتُ له من بينهن مخرجاً. أمَا وعزَّتي وعظمتي، لا يعتصم عبدٌ من عبادي[1] بمخلوقٍ/ دوني، أعرفُ ذلك من نيته: إلاَّ قطعتُ أسباب [٤١/ب] السماء من يده، وأسختُ الأرض من تحت قدميه، ثم لا أُبالي بأيّ أوديتها[2] هلك[3].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وروى الإمامُ أحمد، عن رُويفع، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يارُويفع، لعلَّ الحياة ستطولُ بك، فأخبرِ الناس: أنَّ من عقد لحيته، أو تقلَّد وتَراً أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظم، فإنَّ محمَّداً بريءٌ منه».

ش: الحديثُ: رواه الإمامُ أحمد، عن يحيى بن إسحاق، والحسن بن موسى الأشيب، كلاهما عن ابن لَهيعة. وفيه قصةٌ اختصرها المصنف.

وهذا لفظ الحسن: حدَّثنا ابنُ لهيعة، حدثنا عياش بن عباس، عن شُيَيْم بن

---

(١) (ض): عبيدي.

(٢) (ض): واد.

(٣) لم أقف عليه في كتاب «الزهد» المطبوع ولا في «المسند»، وأخرجه من غير هذا الطريق أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٦)، وأخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» رقم (٤٩٦) وتمام في «الفوائد» والحكيم الترمذي كما في «الدر المنثور» (٢/ ٥٩) وابن عساكر في «التاريخ» كما في «الكنز» (٣/ ١٠٣) من حديث كعب بن مالك مرفوعاً. قال البرهان فُوري: وفيه يوسف بن السَّفْر، متروك.

بيتان، قال: حدَّثنا رُويفع بن ثابت، قال: كان أحدنا في زمن رسول الله ﷺ يأخذ جمل أخيه، على أنْ يعطيه النصفَ مما يغنم وله النصف، حتى إنَّ أحدنا ليَصير[١] له النصلُ والريش، وللآخر القدح. ثم قال لي رسول الله ﷺ. الحديث.

ثم رواه أحمد، عن يحيى بن غيلان، حدثني المُفضَل، حدثنا عيَّاش بن عباس: أن شُييم بن بيتان أخبره، أنه سمع شيبان القِتْباني. «[٢]الحديث. ا بن لهيعة، فيه مقـال. وفي الإسناد الثاني: شيبان القتباني[٢]»، قيل فيه: مجهول. وبقيَّةُ رجالهما ثقات[٣].

قوله: «لعلَّ الحياة ستطول بك» فيه عَلمٌ من أعلام النبوة، فإنَّ رُويفعاً طالت حياتُه إلى سنة ستٍ وخمسين. فمات ببُرقة من أعمال مصر أميراً عليها، وهو من الأنصار، وقيل: مات سنة ثلاثٍ وخمسين[٤].

قولـه: «فـأخـبِر النـاس» دليلٌ على وجوب إخبار الناس، وليس هذا مُختصاً برُويفع. بل كلُّ من كان عنده علمٌ ليس عند غيره مما يحتاج إليه الناس، وجب إعـلامهم به. فإنْ اشـترك هو وغيره في علم ذلك، فالتبليغُ فرض كفاية. قاله أبوزُرْعة[٥] في (شرح سُنن أبي داود).

---

(١) في «المسند»: ليطير.

(٢) مابينهما معلّق في هامش الأصل، وبجواره كلمة صح.

(٣) أحمد في «المسند» (١٠٨/٤، ١٠٩)، وأخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٣٦) والطبراني في «الكبير» رقم (٤٤٩١)، وأخرجه من طريق آخر: النسائي في «المجتبى» (١٣٥/٨) والبيهقي في «السنن» (١١٠/١).

(٤) الأصل و (ض) و (هـ): قوله لعل الحياة. بعد قوله: فأخبر الناس. ولعل المثبت هو الصواب.

(٥) أبوزرعة ولي الدين، أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن، الكردي الشافعي، المعروف بابن العراقي، ابن صاحب «الألفية». فقيه محدث، له كتاب «التحرير» و «الدليل القويم » و «شرح سنن أبي داود» كتب منه سبع مجلدات إلى اثناء سجود السهو واطال فيه. ولد سنة (٧٦٢) ومات سنة (٨٢٦) السخاوي، «الضوء اللامع» (٣٣٦/١) وحاجي خليفه «كشف الظنون» (١٠٩٥/٢).

قوله: «أنّ من عقد لحيته» بكسر اللام لا غير، والجمع لُحِى، بالكسر والضم. قاله الجوهري.

قال الخطَّابي: أمَّا نهيهُ عن عقد اللحية، فيفسَّرُ على وجهين:

أحـدُهما: ماكانوا يفعلونه في الحرب، كانوا يعقدون لحاهم؛ وذلك من زيٍّ بعض الأعاجم، يفتلونها ويعقدونها. قال أبوالسعادات: تكبراً وعُجباً.

ثانيهما: أنَّ معناه معالجة الشعر ليتعقَّد/ ويتجعَّد، وذلك من فعل أهل التأنيث[1]. [٤٢/أ]

قال أبوزُرْعة بن العراقي: والأولى، حملُه على عقد اللحية في الصلاة، كما دلّت عليه روايةُ محمَّد بن الربيع. وفيه «أنَّ من عقد لحيته في الصلاة».

[2][قلت]: وهذه الرواية، لا تدل على تخصيصه في الصلاة، بل تدلّ على أنَّ فعله في الصلاة أشد من فعله خارجها[2].

قوله: «أو تقلَّد وتراً» أي: جعله قلادة في عُنقه، أو عُنق دابته. وفي رواية محمد بن الربيع «أو تقلّد وتراً ـ يريد: تميمة».

فإذا كان هذا فيمن تقلَّد وتـراً، فكيف بمن تعلَّق بالأموات، وسألهم قضاءَ الحاجات وتفريج الكربات[2]. وما يترتب على ذلك من العبادة، التي لا يستحقها إلَّا رب الأرض والسموات[2]، الذي جاء النهيُ عنه وتغليظه في الآيات المحكمات؟

قوله: «أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإنَّ محمداً بريء منه» قال النووي: أي: بريءٌ من فعله[3]. وهذا خلاف الظاهر، والنووي كثيراً ما يتأول الأحاديث

---

(١) الخطابي، «معالم السنن» (١/ ٢٧).

(٢) مابينها ساقطٌ من (هـ) و(ط)، ومعلّقٌ في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٣) ينظر: القاسم بن سلام، «كتاب الايمان» (٨٩).

بصرفها عن ظاهرها، فيغفر الله تعالى له. بل هو بريءٌ من الفاعل، وفعله.

وفي (صحيح مسلم)، عن ابن مسعود رضي الله عنه، مرفوعاً «لا تستنجوا بالروث، ولا العظام؛ فإنَّه زادُ إخوانكم من الجن»[١]. وعليه لا يجزيءُ الاستنجاء بهما، كما هو ظاهرُ مذهب أحمد[٢]؛ لما روى ابنُ خزيمة، والدارقطني، عن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ: نهى أنْ يُستنجى بعظمٍ أو روثٍ، وقال: «إنهما لا يطهران»[٣].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن سعيد بن جُبير، قال: مَن قطع تميمةً من إنسان، كان كعِدل رقبة[٤]. رواه وكيع.

ش: هذا عند أهل العلم، له حكمُ الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يُقال بالرأي. ويكون هذا مرسلاً؛ لأن سعيداً تابعي. وفيه: فضلُ قطع التمائم لأنها شرك.

ووكيع: هو ابنُ الجرَّاح بن وكيع الكوفي، ثقةٌ إمام، صاحبُ تصانيف، منها (الجامع) وغيرُه. روى عنه الإمامُ أحمد، وطبقتُه. مات سنة سبع وتسعين ومائة[٥].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وله عن إبراهيم، قال: كانوا يكرهون التمائم كلَّها، من القرآن وغير القرآن[٦].

---

(١) مسلم في «الصحيح» رقم (٤٥٠)، وأخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٣٩) والترمذي في «الجامع» رقم (١٨) والنسائي في «المجتبى» (١/ ٣٧) وأحمد في «المسند» (١/ ٤٣٦، ٤٥٧).

(٢) ينظر: ابن قدامة، «المغني» (١/ ٢١٥).

(٣) ابن خزيمة في «الصحيح» رقم (٨٢) والدارقطني في «السنن» (١/ ٥٦) وقال: إسنادٌ صحيح. واللفظ له، وأخرجه ابن عَدي في «الكامل» (٧/ ٢٥٠٤).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (٣٥٢٤).

(٥) ينظر: الذهبي، «سير النبلاء» (٩/ ١٤٠).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (٣٥١٨).

ش: إبراهيم، هو الإمام إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي، يكنَّى أباعمران، ثقةٌ من كبار الفقهاء. قال المِزِّي: دخل على عائشة، ولم يثبت له سماعٌ منها. مات سنة ستٍ وتسعين، وله خمسون سنة أو نحوها(١).

قوله: (كانوا يكرهون التمائم). إلى آخره، مرادُه بذلك: أصحاب عبدالله بن مسعود، / كعلقمة، والأسود، وأبي وائل، والحارث بن سُويد، وعَبيدة السلماني، ومسروق، والربيع بن خُثيم، وسُويد بن غُفُلة، وغيرهم. وهم من سادات التابعين. وهذه الصيغةُ: يستعملها إبراهيمُ في حكاية أقوالهم، كما بيَّن ذلك الحفَّاظ، كالعراقي وغيره. [٤٢/ب]

(١) المِزِّي، «تهذيب الكمال» (٢/٢٣٥) وينظر: ابن حجر «تقريب التهذيب» (٩٥).



(٨)
بـــاب
من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ من تبرَّك بشجرةٍ[١] أو حجر ونحوهما.

ش: كبُقعةٍ أو قبر، ونحو ذلك، أي: فهو مُشرك.

قال الـمُصنِّفُ رحمـه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿أفَرَأَيْتُم اللاَّتَ والعُـزَّى • ومَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى • ألكم الذكَرُ وله الأُنثى • تلك إذاً قسمةٌ ضِيزى • إنْ هي إلَّا أسـماءٌ سميتُموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سُلطان إنْ يتبعون إلَّا الظنَّ وماتهوى الأنفسُ ولقد جاءهم من ربهم الهُدى﴾ [النجم: ١٩ - ٢٣].

ش: وكانت اللاَّتُ، لثقيف. والعُزَّى، لقريش وبني كِنانة. ومناة لبني هلال. وقال ابنُ هشام: كانت لهُذيل وخُزاعة.

فأمّا (اللاَّتُ) فقرأ الجمهورُ: بتخفيف التاء. وقرأ ابنُ عباس، وابن الزبير، ومُجاهد، وحُميد، وأبوصالح، ورُوَيْس[٢]، ويعقوب[٣]: بتشديد التاء.

---

(١) (هـ)(ط): بشجر.

(٢) (هـ): وورش. تحريف. وهو أبو عبدالله، محمد بن المتوكل بن عبدالرحمن اللؤلؤي، البصري، توفي سنة ٢٣٨هـ الذهبي، «التذكرة» (٤٧٣).

(٣) (ض)(هـ)(ط): عن يعقوب. وهو ابن اسحاق بن زيد الحضرمي البغوي، مقريء نحوي، ولد سنة ١١٧هـ ومات سنة ٢٠٥هـ. الزبيدي «الطبقات» (٥١).

فعلى الأولى[١]: قال الأعمش: سمَّوا اللات، من الإلـه. والعُزَّى، من العزيز. قال ابنُ جرير: وكانوا قد شقُّوا[٢] اسمَها من اسم الله تعالى، فقالوا: اللاَّت، مؤنثة منه. تعالى الله عمَّا يقولون[٣]، علواً كبيراً. قال: وكذا العُزَّى، من العزيز[٤].

وقال ابنُ كثير: اللاَّت، كانت صخرةً بيضاء منقوشة، عليها بيتٌ بالطائف، له أستار وسَدَنة. وحوله فِناءٌ معظَّمٌ عند أهل الطائف ـ وهم ثقيف ومن تبعها[٥] ـ يفتخرون به على من عداهم من أحياء العرب، بعد قريش[٦]. قال ابنُ هشام: فبعث رسولُ الله ﷺ المغيرةَ بن شُعبة، فهدمها وحرَّقها بالنار[٧].

وعلى الثانية: قال ابنُ عباس: كان رجلاً يلُتُّ السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره. ذكره البخاريُّ[٨].

قال ابنُ عباس: كان يبيع السويقَ والسَّمن عند صخرةٍ، ويسلوه عليها. فلمَّا مات ذلك الرجل، عبدت ثقيفُ تلك الصخرة إعظاماً لصاحب السويق. وعن مُجاهد نحوه، وقال: فلما مات عبدوه. رواه سعيدُ بن منصور[٩].

---

(١) الأصل: الأول.

(٢) (ض)(هـ)(ط): اشتقوا.

(٣) (ض)(هـ)(ط): عن قولهم.

(٤) «تفسير الطبري» (٢٧/ ٣٤ـ٣٥).

(٥) (ض): تابعها.

(٦) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٣٠).

(٧) «السيرة» لابن هشام (٤/ ١٣٨).

(٨) البخاري في «الصحيح» (٨/ ٦١١) دون الجملة الأخيرة، وأخرجه الطبري في «التفسير» (٢٧/ ٣٥) وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٢).

(٩) سعيد بن منصور في «السنن»، والفاكهي كما في «الدر» (٧/ ٦٥٢).

وكذا، روى ابنُ أبي حاتم، عن ابن عباس: أنهم عبدوه[١]. وبنحو هذا، قال جماعة من أهل العلم.

قلتُ: لا منافاة بين القولين؛ فإنَّهم عبدوا الصخرةَ والقبر، تألُّهاً[٢] وتعظيماً.

ولمثل هذا بُنيت المشاهدُ والقباب/ [على القبور][٣]، واتخذت أوثاناً. وفيه: بيانُ أنَّ أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين، والأصنام والأوثان[٤]. [٤٣/أ]

وأمَّا العُزَّى. فقال ابنُ جرير: كانت شجرةً عليها بناءٌ وأستار، بنخلة ـ بين مكة والطائف ـ كانت قريشُ يعظمونها؛ كما قال أبوسفيان، يوم أُحد: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم، فقال رسولُ الله ﷺ: قولوا: «الله مولانا ولا مولى لكم»[٥].

وروى النسائي، وابنُ مردويه، عن أبي الطفيل، قال: لما فتح رسولُ الله ﷺ مكـة، بعث خالـدَ بن الوليد إلى نخلة ـ وكانت بها العُزَّى، وكانت على ثلاث سَمُرات ـ فقطع السَّمُرات، وهدم البيت الذي كان عليها. ثم أتى النبي ﷺ، فأخبره. فقال: «ارجع، فإنك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد، فلما أبصرته السدنةُ أمعنوا في الجبل، وهم يقولون: ياعُزَّى ياعُزَّى. فأتاها خالدُ، فإذا امرأةٌ عُريانة، ناشرةٌ شعرها تحفن التراب على رأسها! فعمَّمهَا بالسيف، فقتلها. ثم رجع إلى

---

(١) أبن أبي حاتم في «التفسير»، وابن مردويه كما في «الدر» (٧/٦٥٣).

(٢) (هـ)(ط): تأليهاً.

(٣) إضافةٌ من (ض) و (هـ) و (ط).

(٤) (ض)(هـ)(ط): والاوثان. ساقطة.

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٠٣٩، ٣٩٨٦، ٤٠٤٣، ٤٠٦٧، ٤٥٦١) وأحمد في «المسند» (٤/٢٩٣) من حديث البراء، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/٤٦٣) من حديث ابن مسعود.

رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «تلك العزى»[(١)] [٢] قال أبوصالح: كانوا يُعلِّقون عليها السُّيور، والعُهن. رواه عبد بن حُميد، وابن جرير[٢] [(٣)].

قلتُ: وكلُّ هذا، وما هو أعظمُ منه يقعُ في هذه الأزمنة عند ضرائح الأموات، وفي المشاهد.

وأمَّا مَناة. فكانت بالمشلَّل عند قُديد، بين مكة والمدينة. وكانت خُزاعةُ والأوس والخزرج يعظمونها، ويُهلُّون منها للحج. وأصلُ اشتقاقها، من اسم الله المنَّان. وقيل لكثرة ما يُمنى ـ أي يُراق ـ عندها من الدماء، للتبرُّك بها.

قال البخاريُّ رحمه الله تعالى ـ في حديث عُروة، عن عائشة رضي الله عنها ـ: إنَّها صنمٌ بين مكة والمدينة[(٤)].

قال ابنُ هشام: فبعث رسولُ الله ﷺ عليًّا، فهدمها عام الفتح [٢] وقال العمادُ بن كثير: فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في غزوة بني المصطلق، فكسرها[٢] [(٥)].

فمعنى الآية، كما قال القرطبي: أنَّ فيها حذفاً[(٦)]، تقديره: أفرأيتم هذه

---

(١) النسائي في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٤/٢٣٥) وابن مردويه في «التفسير» كما في «الدر» (٧/٦٥٢)، وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» رقم (٤٦٣) وأبو يعلى في «المسند» رقم (٩٠٢) والبيهقي في «الدلائل» (٥/٧٧) والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٦/١٧٦) وقال: وفي إسناده يحيى بن المنذر، وهو ضعيف. وذكره ابنُ سعد في «الطبقات» (٢/١٤٥).

(٢) مابينهما ساقطٌ من (هـ) و (ط)، ومعلَّقٌ في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٣) الطبري في «التفسير» (٢٧/٣٧) وعبد بن حُميد، كما في «الدر» (٧/٦٥٣).

(٤) البخاري في «الصحيح» (٨/٦١٣).

(٥) ينظر ابن كثير، «التفسير» (٧/٤٣٢) «والبداية» (٢/١٩٢، ٤/٣٧٥).

(٦) (ض): وفي الآية حذف.

الآلهة: أنفعتْ أو ضرَّت، حتى تكون شركاء لله تعالى؟

وقوله: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ﴾ قال ابنُ كثير: أتجعلون له ولداً، وتجعلون ولده أنثى وتختارون لكم الذكور؟[١].

قوله: ﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ أي: جورٌ، وباطلة. فكيف تُقاسمون ربَّكم هذه القسمة، التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهاً/ . فتنزِّهون أنفسكم عن الإناث، وتجعلونهن لله تعالى[٢]. [٤٣/ب]

وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُم وآبَاؤُكُم﴾ أي: من تلقاء أنفسكم ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ أي: من حجة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وما تهوى الأنفس﴾ أي: ليس لهم مستندٌ إلَّا حسن ظنهم بآبائهم، الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم[٣]. [٤]وإلَّا حظ أنفسهم، في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين[٤].

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِن رَبِّهِم الهُدَىٰ﴾. قال ابنُ كثير: ولقد أرسل الله تعالى إليهم الرسل بالحق المنير، والحجة القاطعة. ومع هذا، ما اتبعوا ما جاؤوهم[٥] به ولا انقادوا له[٦][٧].

---

(١) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم» (٧/٤٣٣).

(٢) (ض): تعالى الله.

(٣) (ط): قبلهم وما تهوى الأنفس.

(٤) مابينهما ساقطٌ من (هـ)، ومعلَّق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٥) (ط): به. ساقطة.

(٦) (ط): له. انتهى.

(٧) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم» (٧/٤٣٣).

ومطابقةُ الآيات(١) للترجمة: من جهة أنَّ عُبَّاد الأوثان(٢)، إنها كانوا يعتقدون حصـول البركة منها: بتعظيمها، ودعائها، والاستعانة بها، [والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها](٣) ويؤمِّلونه ببركتها وشفاعتها، وغير ذلك.

فالتبركُ(٤) بقبور الصالحين ـ كاللَّات ـ وبالأشجار والأحجار ـ كالعُزَّى، ومَناة ـ من فِعل جملة أولئك(٥) المشركين مع تلك الأوثان. فمن فعل مثل ذلك، أو اعتقد(٦) في قبرٍ أو حجر أو شجر، فقد ضاهى عُبَّاد هذه الأوثان فيما يفعلونه(٧) معها من هذا الشرك. على أنَّ الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم، أعظم مما وقع من أولئك. فالله الـمُستعان.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، ونحن حُدَثاءُ عهدٍ بكفر. وللمشركين سِدْرةٌ يَعكفُون عندها، ويَنوطون بها أسلحتَهم، يقال لها: ذاتُ أنواط. فمررنا بسدرةٍ، فقلنا: يارسول الله، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السُّنن. قُلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلهاً كَمَا لَهُم آلهةٌ قَالَ: إنَّكُم قَوْمٌ

---

(١) الأصل و (هـ): الآية.

(٢) (ض)(هـ)(ط): هذه الأوثان.

(٣) مابينهما ساقطٌ من الأصل.

(٤) (ض): من التبرك.

(٥) (ض): فهذا جملة من فعل أولئك. (هـ): من جملة فعل أولئك (ط): من ضمن فعل أولئك.

(٦) (ض)(هـ)(ط): واعتقد.

(٧) (ض)(هـ)(ط): كانوا يفعلونه.

تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] «لتركبُنَّ سُنن من كان قبلكم» رواه الترمذي وصححه(١).

ش: أبوواقد: اسمُه الحارثُ بن عوف. وفي الباب: عن أبي سعيد، وأبي هريرة. قاله الترمذي.

وقد رواه أحمدُ، وأبويعلى، وابنُ أبي شيبة، والنسائي، وابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، بنحوه(٢).

قوله: (عن أبي واقد). تقدم اسمُه(٣)، في قول الترمذي. وهو صحابيٌّ مشهور، مات سنة ثمانٍ وستين، وله خمسٌ وثمانون سنة.

قوله: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين). وفي حديث عمرو بن عوف ـ وهو عند ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني ـ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح، ونحن ألفٌ ونيِّفٌ. حتى إذا كنا بين حُنين والطائف ـ الحديث.

قوله: (ونحن حُدَثاءُ عهد بكفر). / أي: قريبٌ عهدُنا بالكفر، ففيه: دليلٌ [٤٤/] على أنَّ غيرهم ممن تقدم إسلامُه من الصحابة لا يجهل هذا، وأنَّ المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبُه، لا يأمن أنْ يكون في قلبه بقيةٌ من تلك العادة. ذكره المصنف(٤).

---

(١) الترمذي في «الجامع» رقم (٢١٨١) وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح.

(٢) أحمد في «المسند» (٥/٢١٨) وأبويعلى في «المسند» رقم (١٤٤١) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/١٠١) والنسائي في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الاشراف» (١١/١١٢) وابن جرير الطبري في «التفسير» (٩/٣١) وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر» (٣/٥٣٣) والطبراني في «الكبير» رقم (٣٢٩٠، ٣٢٩٤). وانظر بقية التخريج في كتاب «الانتصار» (٣٥).

(٣) (ض)(هـ)(ط): قد تقدم ذكرُ اسمه.

(٤) المسألة: الثانية عشرة، والثانية والعشرون.

قوله: (وللمشركين سدرةٌ يعكفون عندها). العكوف: هو الإقامةُ على الشيء في المكان، ومنه قولُ الخليل عليه السلام: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] وكان عكوفُ المشركين عند تلك السدرة، تَبرُّكاً بها وتعظيماً لها. وفي حديث عمرو: كان يُناط بها السلاح؛ فسُمّيت ذاتُ أنواط. وكانت تُعبد من دون الله.

قوله: (وينوطون بها أسلحتَهم). أي: يعلِّقونها عليها؛ للبركة.

قلت: ففي هذا، بيانُ أنَّ عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك. وبهذه الأمور الثلاثة، عُبدت الأشجار ونحوها.

قوله: (فقلنا: يارسول الله، اجعل لنا ذاتَ أنواط). قال أبوالسعادات: سألوه أنْ يجعل لهم، مثلَها، فنهاهم عن ذلك. وأنواط: جمع نَوْط، وهو مصدرٌ سُمِّي به المَنُوط[١]. ظنوا أنَّ هذا محبوبٌ[٢] عند الله، وقصدوا التقرب به. وإلَّا فهم أجلُّ قدراً، من أنْ يقصدوا مخالفة النبي ﷺ.

قوله: (فقال رسولُ الله ﷺ: «الله أكبر») وفي رواية: «سبحان الله!». والمراد: تعظيم الله تعالى، وتنزيهه عن هذا الشرك بأي نوعٍ كان، مما لا يجوز أن يُطلب ويُقصد[٣] به غير الله[٤].

وكان النبي ﷺ يستعملُ التكبير والتسبيح، في حال التعجُّب؛ تعظيماً لله وتنزيهاً له. إذا سمع من أحدٍ ما لا يليق بالله، مما فيه هَضْمٌ للربوبية والإلهية[٥].

---

(١) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث» (٥/١٣٨).
(٢) (ض)(هـ)(ط): أمر محبوب.
(٣) (ض)(هـ)(ط): أو يقصد.
(٤) (ض): إلا الله.
(٥) (ط): أو الإلهية.

قوله: «إنها السُّنَن» بضم السين، أي: الطرق.

قوله: «قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾» شبَّه مقالتَهم هذه، بمقالة[1] بني إسرائيل؛ بجامع أنَّ كلاً طَلب أنْ يُجعل له ما يألهه ويعبُده من دون الله. وإن اختلف اللفظان، فالمعنى واحد. فتغيير الإسم، لا يُغير الحقيقة.

ففيه: الخوفُ من الشرك. وأنَّ الإنسان قد يستحسن شيئاً يظنه[2] يقربه إلى الله / ، وهو أبعدُ ما يبعده من رحمته، ويقربه من سخطه. [٤٤/]

ولا يعرف هذا على الحقيقة، إلَّا من عرف ما وقع في هذه الأزمان، من كثيرٍ من العلماء والعُبَّاد مع أرباب القبور. من الغلوِّ فيها، وصرف جل العبادة لها. ويحسبون أنهم على شيء، وهو الذنبُ الذي لا يغفره الله.

قال الحافظُ أبو محمد، عبدالرحمن بن إسماعيل الشافعي، المعروف بأبي شامة[3] ـ في (كتاب البدع والحوادث) ـ: ومن هذا القسم، أيضاً: ما قد عَمَّ الابتلاءُ به، من تزيين الشيطان للعامة: تخليقُ الحيطان والعُمد، وسرْجُ[4] مواضع مخصوصة، في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شُهر بالصلاح والولاية. فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائضَ[5] الله تعالى وسننه. ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يَعظُمَ وقعُ تلك الأماكن

(١) (ض)(هـ)(ط): بقول.

(٢) (ط): يظن أنه.

(٣) (ض)(هـ)(ط): بابن أبي شامة. تحريف، وهو من كبار العلماء والدعاة، الحفاظ (ت ٦٦٥هـ). «الشذرات» (٣١٨/٥).

(٤) (ط): واسراج.

(٥) (هـ)(ط): لفرائض.

في قلوبهم. فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من عيون وشجرَ وحائط وحجر.

وفي مدينة دِمَشق من ذلك مواضعُ متعددةٌ، كعوينة الحُمَّى خارج باب تُوما، والعمود المخلَّق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق[١]. سَهَّل الله قطعها، واجتثاثَها من أصلها. فما أشبهها بذات أنواط، الواردة في الحديث. انتهى[٢].

وذكر ابنُ القيم رحمه الله تعالى: نحو ما ذكره أبوشامة، ثم قال: فما أسرعَ أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت. ويقولون: إنَّ هذا الحجر وهذه الشجرة، وهذه العين تقبل النذر. أي: تقبل العبادةَ من دون الله؛ فإنَّ النذر عبادةٌ وقربة، يتقرب بها الناذرُ إلى المنذور له[٣]. وسيأتي ما يتعلَّق بهذا الباب، عند قوله: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد»[٤].

وفي الجملة[٥] من الفوائد: أنَّ ما يفعلهُ من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار، من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها، هو الشرك. ولا يغتر/ [٤٤/أ] بالعوام والطغام، ولا يستبعد كون الشرك بالله يقع في هذه الأمة.

فإذا كان بعضُ الصحابة ظنوا ذلك حَسناً، وطلبوه من النبي ﷺ حتى بيَّن لهم أنَّ ذلك كقول بني إسرائيل ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلهاً﴾ [الأعراف: ١٣٨] فكيف لا يخفى على من هو دونهم في العلم والفضل بأضعافٍ مضاعفة، مع غلبة الجهل وبُعد العهد

(١) ينظر: ابن بدران، «منادمة الأطلال» (٤٠).
(٢) أبو شامة، «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (٢٣).
(٣) ابن القيم، «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/ ٢٣٠).
(٤) الباب رقم (٢٠).
(٥) (ض)(هـ)(ط): هذه الجملة.

بآثار النبوة؟! . بل خفي عليهم عظائمُ الشرك في الإلهية والربوبية، فأكثروا فعله واتخذوه قُربة .

ومنها[١]: أنَّ الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل النبيُّ ﷺ طلبهم كطلب بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سمَّوها ذاتَ أنواط .

فالمشركُ[٢] وإنْ سمَّى شركَه ما سماه ـ [٣]كمن يُسمي دعاء الأموات، والذبح لهم والنذر[٤] ونحو ذلك تعظيماً ومحبة ـ فإنَّ ذلك هو الشرك، وإنْ سمَّاه ماسماه[٣]. وقس على ذلك[٥] .

قوله: «لتركبُن سُنن من كان قبلكم» بضمِّ الموحَّدة وضم السين، أي: طرقهم ومناهجهم. وقد يجوز فتحُ السين على الإفراد، أي: طريقهم. وهذا خبرٌ صحيح، والواقع من كثيرٍ من هذه الأمة يَشهدُ له .

وفيه: عَلَمٌ من أعلام النبوة؛ من حيثُ إنه وقع كما أخبر[٦] ﷺ .

وفي الحديث: النهيُ عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه، إلَّا ما دلَّ الدليلُ على أنه من شريعة محمد ﷺ[٧] .

قال المُصنِّفُ: وفيه: التنبيهُ على مسائل القبر، أمَّا: مَن رَبُّك؟ فواضح، وأمَّا: من نبيك؟ فمن إخباره بأنباء الغيب. وأمَّا: ما دينُك؟ فمن قولهم ﴿اجعل لنا إلهاً﴾ إلى آخره .

---

(١) (ض)(هـ)(ط): وفيها .

(٢) (هـ)(ط): فالمشرك مشرك .

(٣) مابينهما معلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح .

(٤) (ط): والذبح والنذر لهم .

(٥) المسألة: الخامسة، والثامنة .

(٦) (ط): أخبر به .

(٧) المسألة: الخامسة عشرة، والثامنة عشرة .

وفيه: أنَّ الشرك لابُدَّ أنْ يقع في هذه الأمة، خلافاً لمن ادعى خلاف ذلك، وفيه: الغضبُ عند التعليم، وأنَّ ماذم الله به اليهود والنصارى فإنه لنا[1] لنحذره. قاله المصنف.

وأمَّا ما ادعاه بعضُ المتأخرين: من أنه يجوز التبركُ بآثار الصالحين، فممنوعٌ من وجوه:

منها: أنَّ السابقين الأولين من الصحابة ومَن بعدهم، لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي ﷺ. لا في حياته، ولا بعد موته. ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

[٤/ب] وأفضلُ الصحابة/ أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي ـ وقد شهد لهم النبيُّ ﷺ فيمن شهد له بالجنة ـ وما فعله أحدٌ من الصحابة والتابعين مع أحدٍ من هؤلاء السادة، ولا فعله التابعون مع ساداتهم في العلم والدين، وهم الأسوة.

فلا يجوز أنْ يُقاس على رسول الله ﷺ أحدٌ من الأمة، وللنبي ﷺ في حال الحياة[2] خصائصُ كثيرة لا يصلح أنْ يُشاركه فيها غيره.

ومنها: أنَّ في المنع عن ذلك سدَّاً لذريعة الشرك، كما لا يخفى[3].

---

(١) المسائل: السادسة عشرة، والسابعة عشرة، والتاسعة عشرة، والعشرون.

(٢) (ض): في حال الحياة. ساقط، ومعلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٣) ينظر: الشاطبي، «الاعتصام» (١/ ٤٨٢) وابن رجب، «الحكم الجديرة» (٥٥).

(٩)
باب ماجاء في الذبح لغير الله

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في الذَّبح لغير الله

ش: أي: من الوعيد، وأنه شرك[١]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى: ﴿ قُل إنَّ صَلاَتي وَنُسُكِي وَمحيَاي وَممَاتي لله رَبِّ العَالَمينَ • لا شريك له وبذلك أُمرتُ وأنا أوَّلُ المسلمين ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

ش: قال ابن كثير: يأمرُه تعالى، أن يُخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه[٢]: بأنه[٣] أخلص لله صلاته وذبيحتَه؛ لأن المشركين يعبدون الأصنام، ويذبحـون لها. فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى.

قال مُجاهد: النسك: الذبح، في الحج والعُمرة[٤]

وقال الثوري، عن السُّدي، عن سعيد بن جُبير: ﴿وَنُسُكِي﴾: ذبحي. وكذا قال الضحاك[٥][٦]

---

(١) (ض)(هـ)(ط): شرك بالله.

(٢) في جميع النسخ: له. والمثبت من «التفسير».

(٣) الأصل و(ض): أي أنه (هـ) أي أن.

(٤) أخرجه الطبري في «التفسير» (١٢/٢٨٤).

(٥) أخرجه الطبري. «المصدر السابق».

(٦) «تفسير ابن كثير» (٣/٣٧٧).

وقال غيرهُ: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: وما آتيه في حياتي، ومتُّ[١] عليه من الإيمان والعمل الصالح ﴿ لله رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ خالصاً لوجهه ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ ﴾ الإخلاص ﴿ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ ﴾ أي: من هذه الأمة؛ لأن إسلام كل نبي متقدمٌ اسلام[٢] أمته. قال قتادة: «وأنا أول المسلمين» أي: من هذه الأمة[٢][٣].

قال ابنُ كثير: وهو كما قال، فإنَّ جميع الأنبياء قبله، كانت دعوتُهم إلى الإسلام. وهو عبادة الله وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرسَلنَا من قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّه لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وذكر آيات في هذا المعنى[٤].

ووجه مُطابقة الآية للترجمة: أنَّ الله تعالى تعبَّد عباده، بأن يتقربوا إليه بالنّسك. كما تعبَّدهم بالصلاة، وغيرها من أنواع العبادة[٥]. فإنَّ الله تعالى أمرهم أن يُخلصوا جميع أنواع العبادة له / ، دون كلِّ ما سواه. فإذا تقرَّب[٦] إلى غير الله بالذبح، أو غيره من أنواع العبادة فقد جعل[٧] لله شريكاً في عبادته. [٤/أ]

وهو ظاهرٌ في قوله: ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ نفى أنْ يكون لله تعالى شريك في هذه العبادات، وهو بحمد الله واضح.

---

(١) (ض): وأموت. (هـ)(ط): وما أموت.
(٢) مابينهما ساقطٌ من (هـ) و (ط)، ومعلَّقٌ في هامش (الأصل) وعليه كلمة صح.
(٣) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢/٢٨٥).
(٤) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٧٧).
(٥) (ض) (ط): العبادات.
(٦) (ط): تقربوا.
(٧) (ط): جعلوا.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

ش: قال شيخُ الإسلام رحمه الله تعالى: أمرَه الله أنْ يجمع بين هاتين العبادتين، وهما الصلاة والنسك. الدالتان على القُرب والتواضع، والافتقار وحُسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عِدَته.

عكسَ حال أهل الكِبر والنُّفرة، وأهل الغِنى عن الله ـ الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم، والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر ـ ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ ـ الآية.

والنُّسك: الذبيحة لله تعالى، ابتغاء وجهه. فإنهما أجلُّ ما يُتقرب به إلى الله تعالى، فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك سببٌ للقيام بشكر ما أعطاه الله تعالى من الكوثر.

وأجلُّ العبادات البدنية: الصلاة، وأجلُّ العبادات المالية: النحر. وما يجتمع للعبد في الصلاة، لا يجتمع له في غيرها؛ كما عرفه أربابُ القلوب الحية. وما يجتمع له في النحر ـ إذا قارنه الإيمان والإخلاص ـ من قوة اليقين وحُسن الظن: أمرٌ عجيب، وكان[1] ﷺ، كثيرَ الصلاة، كثير النحر. انتهى[2].

قلتُ: وقد تضمَّنت الصلاةُ من أنواع العبادة[3] كثيراً، فمن ذلك: الدعاءُ والتكبير، والتسبيح والقراءة، والتسميع والثناء، والقيام والركوع، والسجودُ والاعتدال، وإقامة الوجه لله تعالى، والإقبالُ عليه بالقلب، وغيرُ ذلك مما هو مشروع في الصلاة. وكل هذه الأمور من أنواع العبادة[3]، التي لا يجوز أنْ يُصرف

---

(١) (ط): وكان النبي.

(٢) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٦/٥٣١).

(٣) (ط): العبادات.

منها شيءٌ لغير الله. وكذلك النسك، يتضمن أموراً من العبادة، كما تقدم في كلام شيخ الإسلام.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن علي بن أبي طالب، قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعنَ الله مَن ذبح لغير الله، لعن الله مَن لعنَ والديه، لعن الله من آوى مُحْدِثاً، لعن الله من غيَّر مَنار الأرض» رواه مسلم

[٤٠/ب] ش: رواه مُسلم من طُرق / ، وفيه قصة[1].

ورواه الإمام أحمد كذلك، عن أبي الطفيل، قال: قُلنا لعلي: أخبرنا بشيءٍ أسرَّه إليك رسولُ الله ﷺ، فقال: ما أسرَّ إلي شيئاً كتمه الناس، ولكن سمعتُه يقول: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غيَّر تُخوم الأرض. يعني: المنار»[2]

وعليٌّ بن أبي طالب: هو الإمام، أمير المؤمنين، أبو الحسن الهاشمي، ابنُ عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمةُ الزهراء.

وكان من أسبق السابقين الأوَّلين، ومن أهل بدر وبَيعة الرضوان، وأحد العشرة المشهـود لهم بالجنة، ورابع الخُلفاء الراشدين، ومناقبهُ مشهورة رضي الله تعالى عنه. قتله ابنُ مُلْجم الخارجي، في رمضان سنة أربعين.

---

(١) مسلم في «الصحيح» رقم (١٩٧٨)، وأخرجه النسائي في «المجتبى» (٢٣٢/٧) وأبويعلى في «المسند» رقم (٦٠٢).

(٢) أحمد في «المسند» (١/ ١٠٨، ١١٨، ١٥٢)، وأخرجه عبدالله بن أحمد في «كتاب السنة» رقم (١٢٥٣ - ١٢٥٦) وابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (٢٠٥٩) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٩٩) وهو احدى روايات مسلم في «الصحيح».

قولـه: «لعن الله» اللعنـة[١]: البُعـد عن مظان الـرحمة، ومواطنها[٢]. قيل: واللعـين[٣] والملعـون: من حقّت عليه اللعنـة، أو دُعي عليه بها. قال أبـو السعادات: أصل اللعن: الطرد والإبعاد [من الله، ومن الخلق: السب والدعاء][٤][٥].

قال شيخُ الإسلام: ما معناه: إنَّ الله تعالى يلعن من استحق اللعنة بالقول؛ كما يصلي سبحانه على من استحق الصلاة من عباده، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُم وَمَلائكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلـى النُّورِ وكَانَ بالـمُؤمنينَ رَحيماً • تحِيَّتُهُم يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ ﴾ [الأحزاب: ٤٣ - ٤٤] وقال ﴿ إنَّ الله لَعَنَ الكَافِرينَ وَأعَدَّ لَهُم سَعِـيراً ﴾ [الاحزاب: ٦٤] وقـال[٦]: ﴿ ملعـونيـنَ أينمـا ثُقفـوا أُخـذوا وقتِّلوا تقتـيلا ﴾ [الأحزاب: ٦١].

والقرآن كلامه تعالى، أوحاه إلى جبرائيل عليه السلام وبلَّغه رسولَه محمداً ﷺ، وجبرائيل سمعه منه، كما سيأتي في الصلاة إنْ شاء الله تعالى.

[فالصلاةُ ثناءُ الله تعالى][٤]، كما تقدَّم[٧]. فالله تعالى هو المصلِّي وهو الـمُثيب، كما دل على ذلك الكتابُ والسنة، وعليه سلف الأمة. قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: لم يزل الله متكلماً إذا شاء.

---

(١) (هـ)(ط): اللعن.

(٢) (ط): وموطنها.

(٣) الأصل: اللعين.

(٤) ساقطٌ من الأصل.

(٥) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث» (٤/٢٥٥).

(٦) الأصل: إلى قوله. تحريف.

(٧) الأصل: كما تقدم، ومن الخلق السب والدعاء.

قوله: «من ذبح لغير الله» قال شيخُ الإسلام رحمه الله تعالى ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] ـ: ظاهرُه: أنه ما ذُبح لغير الله، (١)مثلُ أن يُقال: هذا ذبيحةٌ لكذا.

وإذا كان هذا هو المقصود(١)، فسواء لفظ به أو لم يلفظ. وتحريمُ هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: باسم المسيح /(١ ونحوه؛ كما أنّ ما ذبحناه [٤٧/أ] متقرِّبين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: بسم الله. فإذا حرُم ما قيل فيه باسم المسيح(١) أو الزُّهرة، فَلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزُّهرة أو قصد به ذلك، أولى؛ فإن العبادة لغير الله(١أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله.

وعلى هذا: فلو ذَبح لغير الله(١) متقرباً إليه لَحرُم(٢)، وإن قال فيه: باسم الله. كما قد يفعله طائفةٌ من منافقي هذه الأمة، الذين قد(٣) يتقرَّبون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك.

وإنْ كان هؤلاء مرتدين، لا تُباح ذبيحتهم بحال. لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، الأول: أنه مما أُهلَّ به لغير الله. والثاني: أنها ذبيحة مُرتد.

(٤)قلتُ: هذا لا اختلاف [فيه](٥)، بين العلماء. وأمَّا إذا ذُبح للحم وذُكر على الذبيحة اسمُ المسيح أو الزهرة ونحو ذلك، فهذا الذي فيه خلافُ العلماء. وكلامُ شيخ الإسلام هذا: يدلُّ على أنَّه يقول بتحريمه، ووافقه على ذلك بعضُ العلماء.

---

(١) مابينهما معلَّق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٢) (هـ)(ط): يحرم. تحريف.

(٣) (هـ)(ط): قد. ساقطه.

(٤) من هنا ساقطٌ من (ض) و (هـ) و (ط) ومثبت في (م) ومعلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٥) ساقط من الأصل.

وذكر القرطبيُّ في تفسير قوله تعالى ﴿ولا تأكلوا مما لم يُذكر اسم الله عليه﴾. [الانعام: ١٢١]: ثم استثنى قوله: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ [المائدة: ٥]. يعني: ذبيحة اليهودي والنصراني، وإن كان النصراني يقول عند الذبح بسم المسيح. واليهودي يقول: بسم عُزير. وذكر قول عطاء: كُل من ذبيحة النصراني وإنْ قال: بسم المسيح؛ لأن الله تعالى قد أباح ذبائحهم، وقد علم ما يقولون. وذكر مثله عن القاسم بن مُخَيْمَرَة[١]، وهو قول الزهري، وربيعة، والشعبي، ومكحول. وروي عن عُبادة بن الصَّامت، وأبي الدرداء من الصحابة. انتهى مُلخصاً[٢].

ثم قال[٣] ومن هذا الباب: ما يفعلُه الجاهلون بمكة، من الذبح للجن[٤]. ولهذا رُوي عن النبي ﷺ: أنه نهى عن ذبائح الجن[٥]. انتهى.[٦].

قال الزمخشري: كانوا إذا اشتروا داراً أو بنوها أو استخرجوا عيناً، ذبحوا ذبيحة خوفاً أنْ تُصيبهم الجن، فأضيفت إليهم الذبائح لذلك.

وذكر إبراهيم المروزي[٧]: أنَّ ما ذُبح عند استقبال السُّلطان تقرباً إليه، أفتى أهلُ بُخارى بتحريمه؛ لأنه مما أُهلَّ لغير الله[٨].

---

(١) أبو عُروة، الهمداني الكوفي، ثقة فاضل ت (١٠٠هـ) «تقريب التهذيب» (٤٥٢).

(٢) «تفسير القرطبي» (٦/٧٦).

(٣) إلى هنا ساقط من (ض) و (هـ) و (ط).

(٤) عادةٌ جاهلية وثنية، انقرضت الآن بحمد الله.

(٥) أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات الكبرى» (٢/٣٠٢) من حديث أبي هريرة، وقال: فيه عبدالله بن أذينة. وذكره الذهبي في «الميزان» (٢/٣٩١) معزواً إلى ابن حبان، وأخرجه البيهقي في «السنن» (٩/٣١٤) مرسلاً.

(٦) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٥٦٣).

(٧) أبو إسحاق، إبراهيم بن عبدالله بن أحمد الخلال. صدوق ت (٢٤١هـ). «تقريب» (٩٠).

(٨) ذكره النووي في «المنهاج» (١٣/١٤١).

قوله: «لعن الله من لعن والديه» يعني أباه وأُمَّه، وإن عَلَيا. وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شَتْم الرجلِ والديه»، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجلُ والديه؟ قال: «نعم، يَسبُّ أبا الرجل فيسب أباه، ويَسبُّ أمَّه فيسب أمَّه»[١].

قوله: «لعن الله من آوى مُحْدثاً». هو بفتح[٢] الهمزة، ممدودة: أي ضمَّه إليه، وحماه أنْ يُؤخذ منه الحق الذي وجب عليه.

[٣]قال[٣] أبو السعادات: أويتُ إلى المنزل، وأويت غيري، وآويته. وأنكر بعضهم المقصور المتعدي[٤]. وقال الأزهري: هي لغةٌ صحيحة[٤].

وأما مُحْدِثاً[٣]: فقال أبو السعادات: يُروى بكسر الدال وفتحها، على الفاعل والمفعول. فمعنى الكسر: من نَصَر جانياً وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يُقتصَّ منه. والفتح[٥]: هو الأمر الـمُبتدَع نفسُه، ويكون معنى الإيواء فيه: الرضى به والصبر عليه. فإنه إذا رضي بالبدعة، وأقرَّ فاعلها ولم يُنكر عليه فقد آواه[٦]

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: هذه الكبيرة، تختلف مراتبُها باختلاف مراتب الحَدَث بنفسه[٧]. فكُلَّما كان الحدثُ في نفسه أكبر، كانت الكبيرة أعظم / . [٤١/ب]

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٩٧٣)، ومسلم في الصحيح رقم (٩٠) وأحمد في «المسند» (٢/١٦٤) من حديث ابن عمرو.
(٢) (هـ)(ط): أي منعه من أن يؤخذ منه الحق الذي وجب عليه. وأوى بفتح.
(٣) مابينهما معلّق في هامش الاصل، وعليه كلمة صح.
(٤) مابينهما ساقط من (ض) و (هـ) و (ط).
(٥) (هـ)(ط): وبالفتح.
(٦) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث» (١/٨٢، ٣٥١).
(٧) (هـ)(ط)(ط): في نفسه.

قوله: «لعن الله من غيَّر منار الأرض» بفتح الميم: علاماتُ حدودها. قال[1] في (النهاية)[2]: أي: معالمها وحدودها، واحدُها تَخْم. قيل: أراد حدود الحرم خاصة، وقيل: هو عامٌ في جميع الأرض، وأراد: المعالم[3] التي يُهتدى بها في الطريق. وقيل: هو أن يَدخل الرجلُ في مُلك غيره، فيقتطعه ظُلماً. قال: وروي[4]: تَخوم. بفتح التاء، على الإفراد. وجمعه تُخُم، بضم التاء والخاء. انتهى[5].

وتغييرُها: أنْ يُقدِّمها، أو يؤخرها. فيكون هذا من ظُلم الأرض، الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «من ظلم شِبراً من الأرض طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين»[6] ففيه: جوازُ لعن أهل الظلم، من غير تعيين.

وأمَّا لعنُ الفاسق المعيَّن: ففيه قولان، أحدُهما: أنه جائز. اختاره ابنُ الجوزي، وغيره. والثاني: لا يجوز، اختاره أبوبكر عبدُالعزيز[7]، وشيخ الإسلام.

[8]وقال النوويُّ رحمه الله تعالى: [9]واتفق العلماءُ على تحريم اللعن؛ فإنَّه في

---

(١) (ط): قال أبوالسعادات.

(٢) (ط): في «النهاية» في مادة تخم: ملعون من غير تخوم الأرض.

(٣) الأصل و (ض) و (هـ): بالمعالم. والمثبت من «النهاية».

(٤) (ط): ويروى.

(٥) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث» (١/١٨٣).

(٦) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٢٤٥٣، ٣١٩٥)، ومسلم في «الصحيح» رقم (١٦١٢)، وأحمد في «المسند» (٦/٦٤، ٧٩، ٢٥٢، ٢٥٩) من حديث عائشة.

(٧) عبدالعزيز بن جعفر بن أحمد، المعروف بغلام الخلال، فقيه محدث (ت ٣٦٣هـ). «طبقات الحنابلة» (٢/١١٩).

(٨) من هنا ساقطٌ من (هـ) و (ط)، ومثبت في (ض) و (م) ومعلَّق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٩) (ض): و. ساقطة.

اللغة: الابعادُ، والطرْد. وفي الشرع: الابعادُ من رحمة الله.

فلا يجوز أنْ يُبعد من رحمة الله، من لا[١] يُعرف حاله وخاتمة أمره معرفةً قطعية. فلهذا[٢] قالوا: لا يجوز لعن أحدٍ بعينه، مُسلماً كان أو كافراً أو دابة. إلَّا من علمنا بنصٍّ شرعي أنه مات على الكفر، أو يموت عليه كأبي جهل وإبليس.

وأمَّا اللعنُ بالوصف، فليس بحرام. كلعن: الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، وآكلِ الربا وموكله، والمصوِّرين، والظالمين، والفاسقين، والكافرين، ولعنِ من غيَّر منار الأرض، ومن تولّى غير مواليه، ومن انتسب إلى غير أبيه، ومن أحدَث في الإسلام حَدَثاً أو آوى محدثاً. وغير ذلك، مما جاءت النصوص الشرعية باطلاقه على الأوصاف لا على الاعيان، والله أعلم[٣][٤].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن طارق بن شهاب: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنةَ رجلٌ في ذُباب، ودخل النارَ رجلٌ في ذُباب»، قالوا: وكيف ذلك يارسول الله؟ قال: «مرَّ رجلان على قوم لهم صنمٌ لا يجاوزُه أحدٌ حتى يُقرِّب له شيئاً. قالوا لأحدهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيءٌ أُقرِّب، قالوا له: قرِّب ولو ذباباً، فقرَّب ذُباباً، فخلّوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنتُ لأُقرِّب لأحدٍ شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه، فدخل الجنة» رواه أحمد[٥].

---

(١) (ض): لا. ساقطة.

(٢) (م): ولهذا.

(٣) النووي «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٢/٦٧).

(٤) إلى هنا ساقط من (هـ) و (ط).

(٥) أحمد في «كتاب الزهد» (/٢٢)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/٢٠٣) كلاهما موقوفاً على سلمان الفارسي.

ش: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبومعاوية، حدَّثنا الأعمش، عن سُليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب يرفعه، قال: «دخل الجنة رجلٌ في ذباب» الحديث[١].

وطارق بنُ شهاب: هو البَجَلي الأحْمسي، أبوعبدالله. رأى النبيَّ ﷺ وهو رجل. قال البغوي: ونزل الكوفة. وقال أبوداود: رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً. قال الحافظ: إذا ثبت أنه رأى[٢] النبي ﷺ فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه، فروايتُه عنه مُرسل صحابي، وهو مقبولٌ على الراجح.

وكانت وفاتُه ـ على ما جزم به ابنُ حبان ـ سنة ثلاث وثمانين[٣].

قوله: « دخل الجنة رجلٌ في ذباب» أي: من أجله [لأن في تأتي للتعليل][٤].

قوله: (قالوا: وكيف ذلك يارسول الله؟) كأنهم تقالّوا ذلك، وتعجّبوا منه. فبيَّن لهم النبيُّ ﷺ: ما صَيَّر لهم[٥] هذا الأمر الحقير عندهم/ عظيماً، يستحق هذا عليه الجنة، ويستوجب الآخر عليه النار. [٤٨/أ]

قوله: فقال: «مرَّ رجلان على قومٍ لهم صنم» الصنم: ما كان منحوتاً على صورة[٦].

قولـه: «لا يُجاوزه» أي: لا يمرُّ بـه ولا يتعداه أحدٌ، حتى يقرِّب له[٧] شيئـاً وإن قلّ.

---

(١) ابن القيم، «الجواب الكافي» (٣٦)، وقال الحافظ، سُليمان بن عبدالله في «تيسير العزيز الحميد» (١٩٤) ذكره المصنف معزوّاً لأحمد، وأظنه تبع ابن القيم في عزوه لأحمد. وقد طالعتُ «المسند» فما رأيته فيه!.

(٢) (ض)(هـ)(ط): لقي.

(٣) ابن حجر، «الاصابة» (٢/ ٢٢٠).

(٤) إضافة من (ض).

(٥) (ض)(هـ)(ط): لهم. ساقطة.

(٦) (هـ)(ط): على صورة، ويطلق عليه الوثن، كما مر.

(٧) (هـ)(ط): إليه.

قوله: «قالوا له: قرِّب ولو ذباباً، فقرَّب ذُباباً فخلّوا سبيله، فدخل النار» وفي هذا: بيانُ عظمة الشرك، ولو في شيءٍ قليل، وأنه يوجب النار؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وفي هذا[١] الحديث: الحذرُ[٢] من الوقوع في الشرك، وأنَّ الإنسان قد يقع فيه وهو لا يدري أنه من الشرك الذي يوجبُ النار.

وفيه: أنه دخل النار بسببٍ لم يقصده ابتداءً، وإنما فعله تخلُّصاً من شر أهل الصنم.

وفيه: أنَّ ذلك الرجل كان مسلماً قبل ذلك، وإلَّا فلو لم يكن مُسلماً لم يقل: دخل النار في ذُباب.

وفيه: أنَّ عمل القلب هو المقصودُ الأعظم، حتى عند عبَدَة الأوثان. ذكره المصنفُ بمعناه[٣].

قولـه: «وقالوا للآخر: قرِّب. قال: ما كنتُ لأقرِّب لأحدٍ شيئاً دون الله عز وجل» ففيه: بيانُ فضيلة التوحيد والإخلاص، [٤]والصلابة في الدين.

وفيه: معنى قوله في الحديث: «وأنْ يكره أنْ يعود في الكفر بعد إذْ أنقذه الله منه، كما يكره أنْ يُقذف في النار»[٤][٥].

---

(١) (ض)(هـ): هذا. ساقطة.

(٢) (هـ)(ط): التحذير.

(٣) المسائل: التاسعة، والحادية عشرة، والثالثة عشرة.

(٤) مابينهما ساقطٌ من (هـ) و (ط) ومعلّق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٥) قطعةٌ من حديث: أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١) ومسلم في «الصحيح» رقم (٤٣) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٩٢٦) والنسائي في «المجتبى» (٩٦/٨) وابن ماجة في «السنن» رقم (٤٠٣٣) وأحمد في «المسند» (١٠٣/٣، ١٧٢، ١٧٤، ٢٠٧، ٢٣٠) من حديث أنس.

قال الـمُصنِّف: وفيه: معرفةُ قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر على القتل ولم يوافقهم[١]، مع كونهم لم يطلبوا منه إلَّا العمل الظاهر[٢].

---

(١) (هـ)(ط): يوافقهم على طلبتهم.

(٢) المسألة العاشرة.

(١٠)
بـــاب
لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ لا يُذبح لله بمكانٍ يُذبح فيه لغير الله.

ش: لا: نافية، وَيحتمل أنها للنهي، وهو أظهر.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولُ الله تعالى: ﴿لا تَقُمْ فيه أبَداً، لَمْسْجدٌ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِن أوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّرُوا والله يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

ش: قال الـمُفسِّرون: إنَّ الله تعـالى نهى رسولَه ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار، والأمةُ تبعٌ له في ذلك.

ثم إنه تعالى حَثَّه على الصلاة في مسجد قُباء، الذي أُسِّس من أوَّل يوم بُني على التقـوى، وهي طاعـةُ الله ورسـولـه ﷺ، وجمعاً لكلمة المؤمنين، ومعقلاً ومنزلاً للإسـلام وأهله؛ ولهـذا جاء في الحديث الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «صلاةٌ في مسجد قُباء كعمرة»[١]. وفي الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ/ كان يزور [٤٨/ب]

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٢٤) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجة في «السنن» رقم (١٤١١) وابن أبي شيبـة في «المصنف» (٢/ ٣٧٣) والحـاكم في «المستدرك» (١/ ٤٨٧) والبيهقي في «السنن» (٥/ ٢٤٨) وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٤٥) من حديث أُسيد الانصاري. وله شاهدٌ من حديث سهـل بن حنيف: أخـرجـه النسـائي في «المجتبى» (٢/ ٣٧)، وابن ماجة في «السنن» رقم (١٤١٢) وأحمـد في «المسند» (٣/ ٤٨٧) والطبراني في «الكبير» رقم (٥٥٥٨، ٥٥٦٢)، وشاهدٌ من =

قُباء راكباً وماشياً(١).

وقد صرَّح أنَّ المسجد المذكور في الآية هو مسجدُ قُباء جماعةٌ من السلف، منهم: ابنُ عباس. وعُروة، وعطية، والشَّعبي، والحسن وغيرهم.

قلتُ: ويؤيدُه، قولـه(٢) ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ الآية. وقيل: هو مسجدُ رسول الله ﷺ؛ لحديث أبي سعيد، قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أُسِّس على التقوى من أوَّل يوم، فقال رجل: هو مسجد قُباء، وقال الآخر(٣): هو مسجدُ رسول الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «هو مسجدي هذا» رواه مسلم(٤). وهو قولُ عمر، وابنه، وزيد بن ثابت، وغيرهم.

وقال ابنُ كثير: وهذا صحيح، ولا منافاة بين الآية والحديث؛ لأنه إذا كان مسجدُ قباء قد أُسِّس على التقوى من أوَّل يوم، فمسجدُ رسول الله ﷺ بطريق الأولى(٥). وهذا بخلاف مسجد الضّرار الذي أُسس على معصية الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

= حديث ابن عمر: أخرجه ابن حبان في «الصحيح» رقم (١٠٣٨) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/٣٧٣) وقال المنذري في «الترغيب» (٢/٢١٧): حديث صحيح.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (١١٩١، ١١٩٣، ١١٩٤، ٧٣٢٦)، ومسلم في «الصحيح» رقم (١٣٩٩) وأحمد في «المسند» (٢/٥، ٣٠) من حديث ابن عمر.

(٢) (ط): قوله في الآية.

(٣) (ض)(ط): آخر.

(٤) مسلم في «الصحيح» رقم (١٣٩٨)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٠٩٨) والنسائي في «المجتبى» (٢/٣٦) وأحمد في «المسند» (٣/٨) واللفظ له.

(٥) «تفسير ابن كثير» (٤/١٥٢).

فلهذه الأمور، نهى الله نبيَّه ﷺ عن القيام فيه للصلاة. وكان الذين بنوه جاؤوا إلى النبي ﷺ قبل خروجه إلى غزوة تبوك، فسألوه أنْ يُصلي فيه، وأنهم إنما بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية(١). فقال: «إنَّا على سفَر، ولكن إذا رجعنا إنْ شاء الله» فلمَّا قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة، ولم يبق بينه وبينها إلَّا يومٌ أو بعضه نزل الوحيُ بخبر المسجد، فبعث إليه، فهدمه قبل قدومه إلى المدينة(٢).

ووجهُ مناسبة الآية للترجمة: أنَّ المواضع المعدَّة للذبح لغير الله يجب اجتنابُ الذبح فيها لله؛ كما أنَّ هذا المسجد لمَّا أُعد للمعصية(٣) صار محلَّ غضبٍ لأجل ذلك، فلا تجوز الصلاةُ فيه لله. وهذا قياسٌ صحيح، ويؤيده حديث ثابت بن/ [٤٩/أ] الضحاك الآتي.

قولـه: ﴿فِيهِ رِجَـالٌ يُحِبُّـونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ روى الإمام أحمد، وابنُ خزيمة، وغيرُهما، عن عُويم بن ساعدة الأنصاري: أنَّ النبي ﷺ أتاهم في مسجد قُباء، فقـال: «إنَّ الله قد أحسن عليكم الثنـاء بالطهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟» فقالوا: يارسول(٤) الله ما نعلم شيئاً، إلَّا أنه كان لنا جيرانٌ من اليهود، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا(٥). وفي

---

(١) (ط): الثانية. تحريف.

(٢) أخرجه ابنُ اسحاق في «المغازي» كما في «الدلائل» للبيهقي (٥/٢٥٩) وابن مردوية كما في «الدر» (٣/٢٧٦)، وأخرج طرفاً منه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/٥٤٩).

(٣) (هـ)(ط): لمعصية الله.

(٤) (ض)(هـ)(ط). والله يارسول.

(٥) أحمد في «المسند» (٣/٤٢٢) واللفظ له، وابن خزيمة في «الصحيح» رقم (٨٣)، وأخرجه ابن جرير في «التفسير» (١١/٢٣) والطبراني في «الكبير» (١٧/١٤٠) «والصغير» رقم (٨٢٨) والحاكم في «المستدرك» (١/١٥٥) ووافقه الذهبي، قال في «مجمع الزوائد» (١/٢١٢): وفيه شرحبيل بن سعد.

رواية عن جابر، وأنس، «هو ذاك فعليكموه» رواه ابنُ ماجه، وابن أبي حاتم، والدارقطني، والحاكم[١].

قوله: ﴿والله يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ﴾ قال أبوالعالية: إنَّ الطهور بالماء لحسن، ولكنَّهم المتطهرون من الذنوب. وفيه: إثباتُ[٢] صفةِ المحبة، خلافاً للأشاعرة ونحوهم.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن ثابتِ بن الضَّحاك، قال: نذر رجلٌ أنْ ينحر إبلاً ببُوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «هل كان فيها وَثَنٌ من أوثـان الجـاهلية يُعبد؟» قالوا: لا. قال: «فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟» قالوا: لا. فقال رسولُ الله ﷺ: «أوْفِ بنذرِك، فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابنُ آدم». رواه أبوداود[٣]، وإسنادُه على شرطهما.

---

(١) ابن ماجة في «السنن» رقم (٣٥٥) وابن أبي حاتم في «التفسير» كما في «الدر» (٢٧٨/٣) والدارقطني في «السنن» (٦٢/١) والحاكم في «المستدرك» (٣٣٤/٢)، وأخرجه ابن الجارود في «المنتقى» (٤٠) والبيهقي في «السنن» (١٠٥/١) وابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر كما في «الدر» (٢٧٨/٣)، وأخرجه من حديث أبي هريرة: أبوداود في «السنن» رقم (٤٤) والترمذي في «الجامع» رقم (٣١٠٠) وقال: حديثٌ غريب، وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٥٧)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٦/٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥٣/١) وابن جرير في «التفسير» (٢٢/١١) من حديث ابن سلام.

(٢) (ض): اثبات. ساقطة.

(٣) أبوداود في «السنن» رقم (٣٣١٣)، قال شيخ الإسلام في «الاقتضاء» (٤٣٦/١) إسنادُه على شرط الصحيحين. وأخرجه البيهقي في «السنن» (٨٣/١٠) والطبراني في «الكبير» رقم (١٣٤١)، قال ابن حجر في «التلخيص» (١٨٠/٤): حديث صحيح. وأخرجه من حديث كردم بن سفيان الثقفي بمعناه: أبوداود في «السنن» رقم (٣٣١٤، ٣٣١٥) وابن ماجة في «السنن» رقم (٢١٣١) وأحمد في «المسند» (٤١٩/٣، ٣٦٦/٦) وابن سعد في «الطبقات» (٣٠٤/٨) والطبراني في «الكبير» (١٨٩/١٩).

ش: قولـه: (عن ثابت بن الضحـاك). أي: ابن خليفة الأشهَلي، صحابيٌّ مشهور. روى عنه أبوقِلابة وغيره، مات سنة أربعٍ وستين.

قوله: (ببوانة). بضم الباء، وقيل: بفتحها. قال البغوي: موضعٌ في أسفل مكة، دون يَلَمْلَم. قال أبوالسعادات: هضبةٌ من وراء يَنبُع.

قوله: «هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟» فيه: المنعُ من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن، ولو بعد زواله. قاله المصنف رحمه الله[١].

قوله: «فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟» قال شيخُ الإسلام: العيد: اسمٌ لما يعـود ـ من الاجتـماع العـامِّ ـ على وجهٍ مُعتاد، عائدٌ: إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، والشهر ونحو ذلك.

والمـراد به هُنا: الاجتماع المعتاد، من اجتماع أهل[٢] الجاهلية. فالعيدُ يجمع أموراً منها: يومٌ عائد، كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها: اجتماعٌ فيه، ومنها: أعمالٌ تتبع ذلك، من العبادات والعادات. وقد يختصُّ العيد بمكان بعينه/ [٤٩/]، وقد يكون مطلقاً. وكلٌّ من هذه الأمور قد يُسمَّى عيداً. فالزمان، كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة: «إنَّ هذا يومٌ جعله الله للمسلمين عيداً»[٣]. والاجتماعُ والأعمال، كقول

---

(١) المسألة السادسة.

(٢) (ض): أهل. ساقطة.

(٣) أخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (١٠٩٨)، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/٣٦٧): فيه صالح بن أبي الأخضر، ليِّنة الجمهور، وباقي رجال الاسناد ثقات. والطبراني في «الصغير» رقم (٧٦٢) وبحشـل في «تاريخ واسط» (٢٥٦) من حديث ابن عباس، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٣٠٣، ٥٣٢) والبيهقي في «السنن» (٣/٢٤٣) من حديث أبي هريرة، وأخرجه عن عبيد بن السَّبّاق مرسلاً مالـك في المـوطـأ «كتـاب الصلاة» باب الوضوء رقم (١٠٥) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/٩٦) والمروزي في «كتاب الجمعة» رقم (٣٢) والبيهقي في «السنن» (٣/٢٤٣).

ابن عباس: شهدتُ العيد مع رسول الله ﷺ[١].

والمكـان، كقوله ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً»[٢] وقد يكون لفظُ العيد اسماً لمجموع اليوم والعمل فيه، وهو الغالب؛ كقول النبي ﷺ: «دعهما ياأبابكر؛ فإنَّ لكل قوم عيداً»[٣]. انتهى[٤].

قال الـمُصنِّفُ: وفيه: استفصالُ المفتي، والمنعُ من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية، ولو بعد زواله[٥].

قلتُ: وفيه سدُّ الذريعة، وتركُ مشابهة المشركين، والمنعُ مما هو وسيلة[٦] إلى ذلك.

قولـه: «أوف بنـذرك» هذا يدلُّ على أنَّ الذبح لله في المكان الذي يَذبح فيه المشركـون لغيره، أو في[٧] محل أعيادهم، معصية؛ لأن قوله: «فأوف بنذرك»[٨] تعقيبٌ للوصف بالحكم بالفاء، وذلك يدل على أنَّ الوصف سببُ الحكم، فيكون

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٩٧٧، ٥٤٩٩)، وأبو داود في «السنن» رقم (١١٤٦)، والنسائي في «المجتبى» (٣/١٩٢) وأحمد في «المسند» (١/٢٤٢).

(٢) أخرجه أبويعلى في «المسند» رقم (٤٦٩) من حديث علي، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٣): وفيه جعفر بن إبراهيم الجعفري، وبقية رجاله ثقات. وسيأتي بقية تخريجه.

(٣) أخـرجه البخـاري في «الصحيح» رقم (٩٥٢، ٩٨٧، ٣٥٢٩، ٣٩٣١) ومسلم في «الصحيح» رقم (٨٩٢) والنسائي في «المجتبى» (٣/١٩٦) وابن ماجة في «السنن» رقم (١٨٩٨) وأحمد في «المسند» (٦/٣٣، ٩٩، ١٣٤، ١٨٦) وأبو يعلى في «المسند» رقم (٥٠) وعبدالرزاق في «المصنف» (١١/٤) والبيهقي في «السنن» (١/٢٢٤) من حديث عائشة.

(٤) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٤٤١).

(٥) المسألتان: الرابعة، والسابعة.

(٦) (ض): من الوسيلة.

(٧) (هـ)(ط): لغير الله، أي في. تحريف.

(٨) من حديث كردم الثقفي.

سببُ الأمر بالوفاء خلوَّه عن هذين الوصفين.

فلما قالـوا: لا. قال: «فـأوف بنـذرك» وهـذا يقتضي أنَّ كون البقعـة مكاناً لعيدهم، أو بها وثنٌ من أوثانهم: مانعٌ من الذبح بها، ولو نذره. قاله شيخُ الإسلام[١].

قوله: «فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله» دليلٌ على أنَّ هذا نذرُ معصيةٍ، لو قد وجد في المكان بعضُ الموانع. وما كان من نذر المعصية فلا يجوز الوفاء به، بإجماع العلماء.

واختلفوا: هل تجب فيه كفارةُ يمين؟ على قولين، هما[٢] روايتان عن أحمد.

أحدُهما: تجبُ، وهو المذهب. وروي عن ابن مسعود، وابن عباس. وبه قال أبوحنيفة، وأصحابهُ؛ لحديث عائشة مرفوعاً: «لا نذر في معصية، وكفارته كفارةُ يمين» رواه أحمد، وأهل السنن[٣]. واحتج به أحمدُ، وإسحاق[٤].

الثـاني: لا كفـارة عليه. روي ذلـك عن مسروق، والشعبي، والشافعي؛

---

(١) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٤٤١).

(٢) (ط): هما. ساقطة.

(٣) أحمد في «المسند» (٦/ ٢٤٧)، وأبوداود في «السنن» رقم (٣٢٩٠، ٣٢٩١)، والترمذي في «الجامع» رقم (١٥٢٤) وقـال: هذا حديث لا يصـح؛ لأن الـزهري لم يسمع هذا الحديث من ابي سلمة، ورقم (١٥٢٥) وقـال: هذا حديثٌ غريب وهـو أصـح. والنسـائي في «المجتبى» (٧/ ٢٦) وابن ماجة في «السنن» رقم (٢١٢٥)، وأخرجه الطحاوي في كتاب «مشكل الآثار» (٣/ ٤٢) والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٦٩) والطيالسي في «المسند» رقم (١٤٨٤)، وله شاهدٌ من حديث ابن عباس: أخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٣٣٢٢) والدارقطني في «السنن» (٤/ ١٥٨) قال ابن حجر في «التلخيص» (٤/ ١٨٦): حديث حسن. وشاهدٌ من حديث عمران بن حصين: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٤٤٣).

(٤) «الجامع» للترمذي (٥/ ٢٤٣).

[٥٠/أ] لحديث الباب، ولم يذكر/ فيه كفارة. وجوابُه: أنه ذكر الكفارةَ في الحديث المتقدم، والمطلقُ يُحمل على المقيَّد.

قوله: «ولا فيما لا يملك ابن آدم» قال في (شرح المصابيح): يعني إذا أضاف النذرَ إلى معينٍ لا يملكه، بأنْ قال: إنْ شفى الله مريضي، فلله عليَّ أنْ أُعتق عبدَ فلانٍ، ونحو ذلك. فأمَّا إذا التزم في الذِّمة شيئاً، بأن قال: إنْ شفى الله[١] مريضي فلله عليَّ أنْ أُعتق رقبة، وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها، فإذا شفى الله[٢] مريضَه ثبت ذلك في ذمته.

قوله: (رواه أبوداود، وإسنادُه على شرطهما) ـ أي: البخاري ومسلم.

وأبـوداود: اسمُه سُليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد الأزدي السجستاني، صاحبُ الإمام أحمد، ومصنف (السنن)[٣] و(المراسيل)[٤] وغيرهما، ثقةٌ إمام حافظ، من كبار العلماء، مات سنة خمسٍ وسبعين ومائتين.

---

(١) (ط): شُفي.
(٢) (ض)(هـ)(ط): شُفي.
(٣) مطبوع، برواية اللؤلؤي.
(٤) مطبوع محقق، برواية اللؤلؤي أيضاً.

(١١)
بـــاب
من الشرك النذر لغير الله

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ: من الشركِ النذرُ لغيرِ الله.

ش: أي: لكونه عبادةٌ يجب الوفاء به إذا نذره لله، فيكون النذر لغير الله شركاً في العبادة.

قال الـمُصنِّفُ رحمـه الله تعـالى: وقـولُ الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كان شرُّهُ مستطيراً﴾ [الإنسان: ٧].

ش: فالآية دلَّت على وجوب الوفاء بالنذر، ومدح من فعل ذلك طاعةً لله، ووفاءً بما تقرب به إليه.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَمَاأَنْفَقْتُم مِن نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِن نَذْرٍ فَإِنَّ الله يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

ش: قال ابنُ كثـير: يخبر تعـالى بأنـه[١] عالمٌ بجميع ما يعمله العاملون [من الخيرات][٢]، من النفقات والمنذورات، وتضمَّن ذلك مجازاتُه على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه[٣].

إذا علمت ذلك: فهذه النذورُ الواقعة من عُبَّاد القبور، تقرُّباً بها إليهم، ليقضوا

---

(١) (هـ)(ط): أنه.

(٢) اضافة من (ط) و«التفسير».

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/٥٧٢).

لهم حوائجهم أو ليشفعوا لهم، هذا[١] شركٌ في العبادة بلا ريب؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لله مِمَّا ذَرَأَ من الحَرْثِ والأنعام نَصيباً فَقَالوا هذا لله بِزَعْمِهِم وَهَذَا لِشُرَكائِنَا فما كَانَ لِشُرَكَائهم فَلَا يَصِلُ إلى الله وَمَا كَانَ لله فَهُوَ يَصِل إلى شُرَكائِهِم سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

قال شيخُ الإسلام: وأمَّا ما نُذر لغير الله، كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبـور ونحو ذلك، فهو بمنزلة أنْ يحلف بغير الله من المخلوقات/ . والحالفُ [٥٠/ب] بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفَّارة، وكذلك الناذر للمخلوقات، فإنَّ كلاهما شرك، ليس[٢] له حُرمة. بل عليه أنْ يستغفر الله من هذا، ويقول ما قال النبي ﷺ: «من حلف باللات والعُزَّى، فليقل: لا إله إلا الله»[٣].

وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دُهْناً لِتُنَوَّر به ـ ويقول: إنها[٤] تقبل النذر كما يقوله بعضُ الضالين ـ: وهذا النذر معصيةٌ باتفاق المسلمين، لا يجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالاً للسَّدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البُقعة، فإنَّ فيهم شبهاً من السدنة التي كانت عند اللات والعزى ومناة. يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدُّون عن سبيل الله.

والمجاورون هناك فيهم شبهٌ من الذين قال فيهم الخليلُ عليه السلام: ﴿ما

---

(١) (ط): كل ذلك.

(٢) (ض)(هـ)(ط): والشرك ليس.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٦٥٠)، ومسلم في «الصحيح» رقم (١٦٤٧)، وأبو داود في «السنن» رقم (٣٢٤٧)، والترمذي في «الجامع» رقم (١٥٤٥)، والنسائي في «المجتبى» (٧/٧)، وابن ماجة في «السنن» رقم (٢٠٩٦)، وأحمد في «المسند» (٢/٣٠٩).

(٤) (ط): إنما. تحريف.

هذه التماثيلُ التي أنتم لها عاكفون؟﴾ [الأنبياء: ٥٢]، والذين اجتاز بهم موسى وقومه؛ قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبني إسرائيل البَحْرَ فأتَوْا علىٰ قوم ٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أصنام ٍ لَهُم﴾. [الأعراف: ١٣٨].

فالنذرُ لأولئك السدنةِ والمجاورين في هذه البقاع نذرُ معصية. وفيه شبهٌ من النذر لسدنة الصُّلبان والمجاورين عندها، أو لسدنة الأبداد[١]التي[٢] في الهند والمجاورين عندها.

وقال الأذرُعي[٣] في (شرح المنهاج): وأمَّا النذرُ للمشاهد التي على قبر وليّ أو شيخ، أو على اسم من حَلّها من الأولياء، أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين: فإنْ قصد الناذر بذلك ـ وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة ـ تعظيمَ البقعة والمشهد، أو الزاوية، أو تعظيمَ من دُفن بها، أو نُسبت إليه، أو بنيت على اسمه، فهذا النذر باطلٌ غيرُ منعقد. فإنَّ معتقدهم أنَّ لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون أنها مما يُدفع به[٤] البلاء ويُستجلب به[٤] النعماء، ويُستشفى بالنذر لها من الأدواء. حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار؛ لَمَّا قيل[٥]: إنه استند إليها عبدٌ صالح، وينذرون لبعض القبور: السُرُجَ والشموع، والزيت/. [٥١/أ]

ويقولون: القبرُ الفلاني، أو المكان الفلاني يقبلُ النذر، يعنون بذلك: أنه

---

(١) الأبداد: جمع بُد، وهو الصنم.

(٢) (ط): التي. ساقطة.

(٣) في جميع «النسخ»: الرافعي. تحريف والمثبت من «التيسير» (٢٠٥) وهو أبو العباس، أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبدالوهاب، فقيهٌ شافعي (ت ٧٨٣هـ). «الدرر الكامنة» (١/١٢٥).

(٤) (هـ)(ط): بها.

(٥) (هـ)(ط): قيل لهم.

يحصل [به][(١)] الغرض المأمول: من شفاء مريض، أو قدوم غائب وسلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة. فهذا النذر على هذا الوجه باطلٌ لا شك فيه، بل نذرُ الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطلٌ مطلقاً.

ومن ذلك: نذرُ الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء. فإنَّ الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على القبر تبرُّكاً[(٢)] وتعظيماً، ظاناً أنَّ ذلك قربة. فهذا مما لا ريب في بُطلانه، والإيقادُ المذكور محرَّم، سواء انتفع به هناك منتفعٌ أم لا.

وقال الشيخ قاسمُ الحنفي في (شرح دُرر البحار)[(٣)]: النذرُ الذي ينذره أكثرُ العوام على ما هو مشاهدٌ: كأن يكون لإنسان[(٤)] غائبٌ أو مريض، أو له حاجة، فيأتي إلى [قبر][(٥)] بعض الصُّلحاء ويجعل على رأسه سُترة، ويقول: يا سيدي فلان!، إنْ ردَّ الله غائبي، أو عُوفي مريضي، أو قضيت حاجتي، فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع والزيت كذا.

فهذا النذرُ باطلٌ بالاجماع؛ لوجوه:

منها: أنه نذرٌ لمخلوق، والنذرُ للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق.

---

(١) إضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

(٢) (هـ)(ط): بذلك الايقاد على القبر الا تبركاً.

(٣) القاسم بن قطلوبغا بن عبدالله المصري، فقيه حنفي ت (٨٧٩)، له «شرح درر البحار» ليوسف القونوي (ت ٧٨٨) في الفروع. «هدية العارفين» (١/ ٨٣٠).

(٤) (هـ)(ط): للانسان.

(٥) اضافة من «الانتصار لحزب الله» (٧٥).

ومنها: أنَّ المنذور له ميتٌ، والميت لا يملك.

ومنها: أنه ظن أنَّ الميت يتصرفُ في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفر.

إلى أنْ قال: إذا علمت هذا، فما يُؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها ويُنقل إلى ضرائح الأولياء، تقرّباً إليهم: (١) فحرامٌ بإجماع المسلمين.

نقله عنه ابنُ نُجيم(٢) في (البحر الرائق)(٣). ونقلة المُرشديُّ في (تذكرته)، وغيرُهما عنه، وزاد: وقد ابتلي الناس بهذا، لا سيَّما في مولد البدوي(٤).

وقال الشيخ صُنع الله الحلبي الحنفي(٥) ـ في الرَّد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء ـ: فهذا الذبح والنذر إنْ كان على اسم فلانٍ، فهو لغير الله، فيكون باطلاً؛ وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي / وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ● لا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] والنذرُ لغير الله إشراكٌ مع الله، كالذبح لغيره.(٦).   [٥١']

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي الصحيح، عن عائشة: أنَّ رسول

---

(١) (هـ)(ط): إليها.

(٢) زين الدين بن ابراهيم بن محمد، فقيهُ حنفي (ت ٩٧٠هـ) «شذرات الذهب» (٨/٣٥٨).

(٣) ابن نُجيم، «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» (٢/٣٢٠ ـ ٣٢١).

(٤) أبو العباس، أحمد بن علي البري البدوي، ولد عام ٥٩٦ وهلك، سنة ٦٧٥، من مجاذيب الصوفية، لا علم ولا دين، له قبر في طندتا (طنطا) يطاف به ويذبح له ويقيم فيه المولد كل عام، نعوذ بالله من الخذلان.

ينظر «شذرات الذهب» (٥/٣٤٥).

(٥) ابن صنع الله المكي، الواعظ بها (ت ١١٢٠هـ) «هدية العارفين» (١/٤٢٨) «وإيضاح المكنون» (٢/٣٥).

(٦) «سيفُ الله على من كذب على أولياء الله» للشيخ صنع الله الحلبي، ورقة (١١).

الله ﷺ قال: «مَن نذر أنْ يُطيع الله فلْيُطعه، ومن نذر أنْ يَعصي الله فلا يعصه»[(١)].

ش: قوله: في (الصحيح). أي: (صحيحُ البخاري).

قوله: (عن عائشة): هي أم المؤمنين، زوجُ النبي ﷺ، وابنة الصديق رضي الله عنهما. تزوَّجها النبي ﷺ وهي ابنةُ سبع سنين، [(٢)]ودخل بها وهي ابنةُ تسع[(٢)]. وهي أفقهُ النساء مطلقاً، و أفضل[(٣)] أزواج النبي ﷺ إلّا خديجة، ففيها خلاف. ماتت سنة سبعٍ وخمسين، على الصحيح.

قوله: «من نذر أنْ يطيع الله فليطعه» أي: فليفعل ما نذره من طاعة الله، وقد أجمع العلماءُ على أنَّ من نذر طاعةً بشرط[(٤)] يرجوه، كإنْ شفى الله مريضي فعلي أنْ أتصدَّق بكذا، ونحو ذلك وجب عليه، إنْ حصل على ما علَّق نذرُه على حصوله[(٥)].

وحُكي عن أبي حنيفة: أنَّه لا يلزمه[(٦)] الوفاء إلَّا بما جنسُه واجبٌ بأصل الشرع، كالصوم. وأمَّا ما ليس كذلك، كالاعتكاف فلا يوجب[(٧)] عليه الوفاء به.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٦٩٦، ٦٧٠٠)، وأبوداود في «السنن» رقم (٣٢٨٩)، والترمذي في «الجامع» رقم (١٥٢٦)، والنسائي في «المجتبى» (١٧/٧)، وابن ماجة في «السنن» رقم (٢١٢٦)، وأحمد في «المسند» (٣٦/٦).

(٢) مابينهما معلَّق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٣) (هـ)(ط): وهي أفضل.

(٤) (هـ)(ط). لشرط.

(٥) الأصل و (ض) و (هـ) بزيادة وهو قول جمهور العلماء.

(٦) (ض)(هـ)(ط): يلزم.

(٧) (ض)(هـ)(ط): يجب.

قوله: «ومن نذر أنْ يعصي الله فلا يعصه» زاد الطحاوي «وليكفِّر عن يمينه»[١] وقد أجمع العلماء: أنه[٢] لا يجوز الوفاء بنذر المعصية.

قال الحافظ: اتفقوا على تحريم النذر في المعصية، وتنازعوا: هل ينعقدُ موجباً للكفارة، أم لا؟[٣]، وتقدم.

وقد يُستدل بالحديث على صحة النذر في المباح، كما هو مذهب أحمد وغيره، يؤيده: ما رواه أبو داود ـ عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ـ وأحمد، والترمذي، عن بُريدة: أنَّ امرأة قالت: يا رسول الله، إني نذرتُ أنْ أضرب على رأسك بالدُّف، فقال: «أوفي بنذركِ».[٤]

وأمَّا نذرُ اللِّجاج والغضب: فهو يمينٌ عند أحمد، فيخيَّرُ بين فعله وكفارة يمين؛ لحديث عمران بن حُصين مرفوعاً: «لا نذر في غضب، وكفارته كفارة يمين». رواه سعيد [بن منصور][٥]، وأحمد، والنسائي[٦]. فإن نذر مكروهاً كالطلاق/ استحب أنْ يِكفِّر، ولا يفعله. [٥٢/]

---

(١) الطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/٤٣).

(٢) (ض)(هـ)(ط): على أنه.

(٣) ابن حجر، «فتح الباري» (١١/٥٨٧).

(٤) أبوداود في «السنن» رقم (٣٣١٢) وأحمد في «المسند» (٥/٣٥٣، ٣٥٦) «والفضائل» رقم (٤٨٠) والترمذي في «الجامع (٣٦٩١) وقال: حديث حسن صحيح غريب. وأخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٦/٢٨٤) والبيهقي في «السنن» (١٠/٧٦)، وانظر: ابن رجب، «نزهة الأسماع» (٢٧).

(٥) اضافة من (هـ) و (ط).

(٦) أحمد في «المسند» (٤/٤٣٣، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٣)، والنسائي في «المجتبى» (٧/٢٨، ٢٩) وأخرجه الطيالسي في «المسند» رقم (٨٣٩) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/٤٢) والحاكم في «المستدرك» (٤/٣٠٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٧/٩٧) والبيهقي في «السنن» (١٠/٧٠).



(١٢)
بـــاب
من الشرك الاستعاذة بغير الله

قال المُـصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ من الشركِ الاستعاذة بغير الله.

ش: الاستعاذة: الالتجاءُ والاعتصام؛ ولهذا يُسمَّى المستعاذُ به: مَعاذاً وملجأ. فالعائذُ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يُهلكه، إلى ربه ومالكه، واعتصم به واستجار، والتجأ إليه. وهذا تمثيل، وإلَّا فما يقومُ بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والاطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل [له][1]، أمرٌ لا تحيط به العبارة. قاله ابنُ القيم رحمه الله[2].

وقال ابنُ كثير: الاستعاذة: هي الالتجاء إلى الله، والالتصاقُ بجنابه من شرِّ كلِّ ذي شر. والعياذُ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير. انتهى.[3]

قلتُ: وهي من العبادات التي أمر الله تعالى عباده بها، كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشيطانِ نزغٌ فاستعذ بالله إنَّهُ هو السميعُ العليمُ﴾ [فصلت: ٣٦] وأمثالُ ذلك في القرآن كثير، كقوله: ﴿قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ ﴿قُل أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [4] فما كان عبادة لله فصرْفُه لغير الله شرك[4][5].

---

(١) إضافةٌ من (هـ) و (ط).

(٢) ابن القيم، «بدائع الفوائد» (٢ / ٢٠٠).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١ / ٣٣).

(٤) مابينهما ساقطٌ من (ض) ومعلَّق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٥) (هـ)(ط): شرك في العبادة.

فمن صرف شيئاً من هذه العبادات لغير الله فقد جعله لله شريكاً في عبادته، ونازع الرب في إلهيته؛ كما أنَّ من صلَّى لله وصلى لغيره يكون عابداً لغير الله، ولا فرق، كما سيأتي تقريره قريباً إن شاء الله.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولُ الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُم رَهَقاً﴾. [الجن: ٦].

ش: (١ قال ابنُ كثير: [أي][٢]: كنا نرى أنَّ لنا فضلاً على الإنس، لأنهم كانوا يعوذون بنا. أي: [إذا][٢] نزلوا وادياً أو مكاناً مُوحشاً[٣][٤] ـ كما كانت عادةُ العرب في جاهليتها ـ [يعوذون][٢] بعظيم[٥] ذلك المكان من الجان أنْ يصيبهم شيءٌ بسوء ١)[٦].

(٧ وذلك أنَّ الرجل من العرب كان إذا أمسى بوادٍ قفر، وخاف على نفسه، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من[٨] سُفهاء قومه. يريدُ كبير الجن٧)!!.

قال مجاهد: كانوا إذا هبطوا وادياً يقولون: نعوذ بعظيم هذا الوادي. ﴿فزادوهم رهقاً﴾. قال: زادوا الكفار طغياناً. رواه عبدُ بن حميد، وابنُ المنذر[٩][١٠].

---

(١) مابينهما ساقطٌ من (ض) ومعلق في هامش الأصل. وعليه كلمة صح.
(٢) إضافةٌ من (هـ) و (ط) و«التفسير».
(٣) الأصل و (ط): متوحشاً.
(٤) (ط): متوحشاً. من البراري وغيرها.
(٥) الأصل: في عظيم.
(٦) (ط): بشيء يسوؤهم. كما كان أحدُهم يدخل بلاد أعدائه، في جوار رجل كبير وذمامة وخفارته.
(٧) مابينهما في (هـ) و (ط) بعد قوله: لما رأت الجن.
(٨) (م): من شر.
(٩) هذا الاثر ساقطٌ من (هـ) و (ط).
(١٠) عبد بن حميد، وابن المنذر في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٦/٢٧٢).

وقال ابنُ كثير: لما رأت الجنُ أنَّ الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، زادوهم رهقاً. أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً؛ حتى يبقوا أشد منهم مخافة، وأكثر تعوذاً بهم.[1] [2]كما قال السُّدي:[3] كان الرجلُ يخرج بأهله، فيأتي الأرض فينزلها، فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن، أن أُضرَّ فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي. قال: / [٥٢/ب] فإذا عاذ بهم من دون الله، رهَقَتهم الجنُّ الأذى عند ذلك.

وذكر عن ابن أبي حاتم ـ بسندٍ إلى عكرمة ـ نحو ذلك[2]. انتهى[4].

وقد أجمع العلماءُ: على أنَّه لا يجوز الاستعاذة بغير الله.

وقال مُلَّا علي قاري الحنفي:[5] لا تجوز الاستعاذةُ بالجن، فقد ذمَّ الله الكافرين على ذلك ـ وذكر الآية ـ وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ استَكْثَرْتُم مِنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُم خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَآءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾. [الأنعام: ١٢٨].

فاستمتاعُ الإنسي بالجني: في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيءٍ من المغيَّبات. واستمتاع الجنيُّ بالإنسي: تعظيمُه إياه، واستعاذته به وخضوعه له. انتهى ملخصاً.

---

(١) (هـ)(ط): تعوذاً بهم. إلى أن قال: قال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم: رهقاً. أي خوفا. قال العوفي عن ابن عباس: فزادهم رهقاً. أي اثما، وكذا قال قتادة اهـ.

(٢) مابينها. ساقطٌ من (هـ) و (ط).

(٣) الأصل و (ض) و (م): قتادة والمثبت من «التفسير».

(٤) «تفسير ابن كثير» (٨/٢٢٦).

(٥) أبو الحسن، علي بن سُلطان محمد القاري الهروي، فقيهُ حنفي (ت ١٠١٤هـ) «البدر الطالع» (١/٤٤٥).

قال المصنف: وفيه: أنَّ كون الشيء يحصل به منفعةٌ دنيوية، لا يدلُّ على أنه ليس من الشرك[١].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن خولةَ بنت حكيم، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن نزل منزلاً، فقال: أعوذُ بكلمات الله التامَّات من شرِّ ما خلق: لم يضرُّه شيءٌ حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم[٢].

ش: هي خولةُ بنتُ حكيم بن أمية السُّلمية، يقال لها: أم شَريك، ويقال: إنها هي الواهبة[٣]، وكانت قبلُ تحتَ عثمان بن مَظْعون.

قال ابنُ عبدالبر: وكانت صالحةً فاضلة.

قوله: «أعوذُ بكلمات الله التامات» شرع الله لأهل الإسلام أنْ يستعيذوا به، بدلاً عما[٤] يفعلُه أهلُ الجاهلية من الاستعاذة بالجن. فشرع الله للمسلمين أن يتعوَّذوا[٥] بأسمائه وصفاته.

قال القُرطبي: قيل: معناه: الكاملات التي لا يلحقها نقصٌ ولا عيب، كما يلحق كلام البشر. وقيل: معناه: الشافيةُ الكافية. وقيل: الكلمات هنا هي القرآن، فإنَّ الله أخبر عنه بأنه ﴿هُدى وَشِفَاءٌ﴾. [فصلت: ٤٤]، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى.

---

(١) المسألة الخامسة.

(٢) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٧٠٨)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٤٣٣)، وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٥٤٧)، وأحمد في «المسند» (٦/٣٧٧، ٤٠٩).

(٣) (ط): الواهية. تحريف.

(٤) (ض): عما كان. (ط): مما.

(٥) (ض)(هـ) و(ط): يستعيذوا.

ولمَّا كان ذلك استعاذةٌ بصفات الله تعالى، كان من باب المندوب إليه المرغَّب فيه. وعلى هذا، فحقُّ المستعيذ بالله تعالى وبأسمائه وصفاته: أنْ يَصدق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويُحضر ذلك في قلبه. فمتى فعل ذلك، / [٥٣/أ] وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه.

قال شيخُ الإسلام: وقد نصَّ الأئمةُ ـ كأحمد وغيره ـ على أنَّه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق. وهذا مما استدلُّوا به على أنَّ كلامَ الله غيرُ مخلوق، قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، ولهذا نهى العلماءُ عن التعازيم و[١] التعاويذ التي لا يُعرف معناها، خشية أنْ يكون فيها شرك[٢].

وقال ابنُ القيم: ومن ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذ به، وتقرَّب إليه بما يُحب فقد عبده، وإنْ لم يسمِّ ذلك عبادة ويسميه استخداماً. وصَدَقَ، هو استخدامٌ من الشيطان له، فيصيرُ من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان. لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة؛ فإنَّ الشيطان لا يخضعُ له، ولا يعبده كما يفعل هو به[٣].

قوله: «من شر ما خلق» قال ابنُ القيم: أي: من كلِّ شرٍ، في أيِّ مخلوق قام به الشر: من حيوان أو غيره، إنسياً كان أو جنياً، أو هامَّة أو دابة، أو ريحاً، أو صاعقة. أي نوعٍ[٤] كان من أنواع البلاء، في الدنيا والآخرة[٥].

---

(١) (ط): التعازيم و. ساقط.

(٢) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١/٣٣٦).

(٣) ابن القيم، «بدائع الفوائد» (٢/٢٣٥).

(٤) (ض): نوع. ساقطة.

(٥) ابن القيم، «بدائع الفوائد» (٢/٢١٥).

وما: ها هنا موصولة، ليس إلاّ[1]. وليس المرادُ بها العمومَ الاطلاقي، بل المراد التقييد[2] الوصفي، والمعنى: من شر [كلِّ مخلوقٍ فيه شر، لا من شر كل ما خلقه الله، فإنَّ الجنة والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر][3] والشرُّ يقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يُفضي إليه.

قوله: «لم يضرُّه شيءٌ حتى يرحل من منزله ذلك» قال القرطبي: هذا خبرٌ صحيح وقول صادق، علمنا صدقه؛ دليلاً وتجربة!

فإني منذُ سمعتُ هذا الخبر عملت عليه، فلم يضرُّني شيءٌ إلى أنْ تركته، فلدغتني عقربٌ بالمهدية[4] ليلاً. فتفكَّرتُ في نفسي، فإذا بي قد نسيتُ أنْ أتعوَّذ بتلك الكلمات.

---

(١) (هـ)(ط): ليس الا. ساقط.

(٢) (ض)(هـ): التقييدي (ط): القيد.

(٣) مابينهما ساقطٌ من الأصل، وهو انتقال نظر.

(٤) (ط): المهدية. تحريف. والمهدية: مدينةٌ ببلاد الأندلس السليب.

(١٣)
بـــاب
من الشرك أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ من الشرك أنْ يَستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

ش: قال شيخُ الإِسـلام: الاستغاثة: هي طلبُ الغَوث، وهو إزالة الشِّدة؛ كالاستنصار: طلبُ النصر. والاستعانة: طلب العون[١].

وقـال غيره: الفرقُ بين الاستغاثة والدعاء: أنَّ الاستغاثة/ لا تكون إلَّا من [٥٣/د] المكروب، والدعاءُ أعمُّ من الاستغاثة؛ لأنه يكون من المكروب وغيره. فعطفُ الدعاء على الاستغاثة، من عطف العامِّ على الخاص.

فبينهما عمومٌ وخصوص مُطلق؛ يجتمعان في مادةٍ، وينفردُ الدعاء عنها في مادة. فكلُّ استغاثةٍ دُعاء، وليس كلُّ دعاءٍ استغاثة.

وقوله: (أو يدعو غيره) اعلـم أنَّ الدعاء نوعان: دعاءُ عبادة، ودعاءُ مسألة. ويُراد به في القرآن هذا تارة، وهذا تارة، ويُراد به مجموعهما.

فدعاءُ المسألة: هو طلبُ ما ينفع الداعي، من جلب نفعٍ أو كشف ضر ولهذا أنكر الله على من يدعو أحداً من دونه، ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً؛ كقوله: ﴿قُـل أتَعبُـدُون مِن دُون الله مَا لَا يَملِكُ لَكُمْ ضَرّاً ولا نَفعَـاً والله هُوَ السَّميعُ العَليمُ﴾. [المائدة: ٧٦]، وقوله: ﴿قُل أَنَدعُوا مِن دُونِ الله مَا لَا يَنفَعُنا وَلَا يَضرّنَا

---

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١/١٠٣) وينظر: «الاستغاثة» (٢٤٩).

وَنُرَدُّ عَلَى أعقابِنَا بَعدَ إذ هَدَانَا الله كالَّذِي استَهوَتهُ الشَّيَاطِينُ في الأرض حَيرَانَ لَهُ أصحَابٌ يَدعُونَهُ إلى الهُدَى ائتنا قُل إنَّ هُـدَى الله هُـو الهـدىٰ وأُمِرنَا لِنُسلِـم لِربِّ العَالَمِيـن﴾. [الأنعام: ٧١].

وقال: ﴿ولاَ تَدعُ مِن دُونِ الله مَا لاَ يَنفعُكَ وَلاَ يَضُركَ فـإن فَعَلتَ فَإنَّكَ إذاً مِـنَ الظَّالِمِيـنَ﴾. [يونس: ١٠٦].

قال شيخُ الإسلام: فكلُّ دعاءِ عبادة مستلزمٌ لدعاء المسألة، وكلُّ دعاء مسألة متضمنٌ لدعاء العبادة، قال الله تعالى: ﴿أُدعوارَبَّكم تَضرُّعاً وَخُفيةً إنَّهُ لا يُحبُّ الـمُعتدين﴾. [الأعراف: ٥٥]، وقال ﴿قُل أرأيتكُم إن أتَاكُم عَذَابُ الله أَوْ أَتَتكُمْ السَّاعَةُ أغيرَ الله تَدعُونَ إن كُنتُم صَادِقِين● بَل إيَّاهُ تَدعُونَ فَيَكشِفُ مَا تَدعُونَ إلَيهِ إن شَاءَ وَتَنسَونَ مَا تُشرِكُونَ﴾. [الأنعام: ٤٠ ـ ٤١]، وقال: ﴿وَأنَّ المَسَاجِدَ لله فَلا تَدعُوا مَعَ الله أحداً﴾. [الجن: ١٨]، وقال: ﴿لَهُ دَعوَةُ الحَقِّ وَالَّذِين يَدعُون مِن دُونِهِ لاَ يَستَجِيبُونَ لَهُم بِشيءٍ إلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيهِ إلَىٰ الماءِ لِيَبلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إلاَّ في ضَلاَلٍ﴾. [الرعد: ١٤]. وأمثالُ هذا في القرآن ـ في دعاء المسألة ـ أكثر من أنْ يُحصر، وهو يتضمَّن دعاء العبادة؛ لأن السائل أخلص سؤاله لله، وذلك من أفضل العبادات، وكذلك الذاكر لله. والتالي لكتابه ونحوه، طالبٌ من الله في المعنى، فيكون داعياً عابداً[١].

فتبيَّن بهذا[٢] قول شيخ الإسلام: أنَّ دعاء العبادة مستلزمٌ لدعاء المسألة، كما أنَّ دعاء المسألة متضمنٌ/ لدعاء العبادة. [٥/أ]

وقد قال تعالى عن خليله:[٣] ﴿وأَعتَزِلُكُم وَمَا تَدعُونَ مِن دُونِ الله وأدعُوا رَبِّي

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٥/١١).

(٢) (ض): بهذا معنى. (هـ) بهذا من. (ط): من.

(٣) (ض): خليله إبراهيم عليه السلام.

عَسَى أن لا أكُون بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِياً● فَلَمَّا اعتَزَلَهُم وَمَا يَعبُدُونَ مِن دُونِ الله وَهَبنَا لَهُ إسحاق ويعقوب وكُلًّا جَعَلنَا نبيًّا﴾. [مريم: ٤٨ ـ ٤٩]. فصار الدعاءُ من أنواع العبـادة؛ فإنَّ قوله: ﴿وأَدعُو رَبِّي عَسَى أن لَا أكُون بدعَاءِ رَبِّي شقِياً﴾ كقول زكريا: ﴿رَبِّ إنِّي وَهَنَ العَظمُ مِنِّي واشتَعَلَ الرَّأسُ شَيبَاً وَلَم أكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِياً﴾. [مريم: ٤].

وقد أمر الله تعالى [به][1] في مواضع من كتابه، كقوله: ﴿أُدعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعاً وخُفيَةً، إنَّهُ لَا يُحِبُّ المُعتَدِينَ● وَلَا تُفسِدُوا في الأرضِ بَعدَ إصلَاحِها وَادعُوهُ خَوفَاً وَطَمَعاً إنَّ رَحمَةَ الله قَرِيبٌ مِنَ المُحسِنِينَ﴾. [الأعراف: ٥٥ ـ ٥٦] وهذا هو[2] دعاءُ المسألة المتضمن للعبادة، فإنَّ الداعي يرغبُ إلى المدعو، ويخضع له ويتذلل، وغير ذلك[3].

وضابطُ هذا: أنَّ كل أمرٍ شرعه الله لعباده وأمرهم به، ففعلُه لله عبادة. فإذا صرف من تلك العبادة شيئاً لغير الله فهو مشركٌ، مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله: ﴿قُلِ الله أَعبُدُ مُخلِصاً لَهُ دِينِي﴾. [الزُمر: ١٤] وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

قال شيخُ الإسلام في (الرسالة السَّنية): فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ ـ ممن انتسب إلى الإسلام ـ مَن مرق منه مع عبادته العظيمة، فليُعلم أنَّ المنتسب إلى الإسـلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام؛ لأسباب، منها:

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) (ط): هو. ساقطه.

(٣) (هـ)(ط): وغير ذلك. ساقط.

الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح عليه السلام.

فكلُّ من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أنْ يقول: يا سيدي فلان انصُرني، أو أغثني أو ارزقني، وأنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال. فكلُّ هذا شركٌ وضلال، يُستتاب صاحبه، فإنْ تاب وإلَّا قُتل.

فإنَّ الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل، وأنزل الكُتب[١]، ليُعبد وحده لا شريك له، ولا يُدعَى معه إلهٌ آخر. والذين يدعون مع الله آلهةً أُخرى، مثل المسيح والملائكة والأصنام، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلُق الخلائق/ أو تُنزل المطر، [٥/ب] أو تنبت النبات. وإنما كانوا يَعبدونهم، أو يعبدون قبورهم، أو يعبدون صورهم، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُم إلاَّ لِيُقرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى﴾. [الزمر: ٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ الله﴾. [يونس: ١٨]. فبعث الله سبحانه رسله: تنهى[٢] أنْ يُدْعى أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استعانة.[٣]. انتهى.[٤].

وقال أيضاً: من جعل بينه وبين الله وسائط، يتوكَّلُ عليهم ويدعوهم ويسألهم، كفرَ إجماعاً.

نقله عنه صاحبُ (الفروع)،[٥] وصاحبُ (الإنصاف)،[٦] وصاحب

(١) (ض): الكتاب.
(٢) (هـ)(ط): تنهى عن.
(٣) (ط): استغاثة.
(٤) ابن تيمية، «الوصية الكبرى» (مجموع الفتاوى) (٣/٣٨٣، ٣٩٥).
(٥) محمد بن مُفلح (ت ٧٦٣هـ) «الفروع» (٦/١٦٥) (٦) علي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥) «الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف» (١٠/٣٢٧).
(٦) علي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥هـ) «الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف» (١٠/٣٢٧).

(الإقناع)، [١] وغيرهم. [٢]وذكره في[٣] (مسألة الوسائط)[٤]، ونقلتهُ منه في (الرد على ابن جرجيس) [٢][٥].

وقال ابنُ القيم رحمه الله: ومن أنواعه ـ أي[٦] الشرك ـ طلبُ الحوائج من الموتى، والاستغاثةُ بهم والتوجه إليهم. وهذا أصلُ شرك العالم؛ فإنَّ الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً لمن[٧] استغاث به أو سأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده[٨]. وسيأتي تتمةُ كلامه في باب الشفاعة إنْ شاء الله تعالى.

وقال الحافظُ محمد بن عبدالهادي[٩]، في (ردِّه على السبكي) في قوله: إنَّ المبالغة في تعظيمه ـ أي: الرسول ﷺ ـ واجبة:

إنْ أُريد بها[١٠] المبالغة بحسب ما يراه كلُّ أحد تعظيماً، حتى الحج إلى قبره، والسجود له والطواف به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي ويمنع، ويملك

---

(١) موسى الحجاوي (ت ٩٦٨هـ) «الاقناع لطالب الانتفاع» (٤/٢٩٧).

(٢) مابينهما ساقطٌ من (ض).

(٣) (هـ)(ط): وذكره شيخ الإسلام ونقلته عنه في الرد على ابن جرجيس.

(٤) ابن تيمية، «مسألة الوسائط» «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١/١٢٤).

(٥) داود بن جرجيس البغدادي ت (١٢٩٩هـ) رد عليه المؤلف في كتاب «كشف ما ألقاه ابليس/ القول الفصل النفيس» والشيخ عبدالله أبابطين في كتاب «تأسيس التقديس» والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن في كتاب «منهاج التأسيس».

(٦) (هـ)(ط): يعني.

(٧) (ط): عمن.

(٨) ابن القيم، «مدارج السالكين» (١/٣٤٦).

(٩) أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن عبدالهادي، حافظ، فقيهٌ مجوّد (ت ٧٤٤هـ). «تاريخ ابن رجب» (٢/٤٣٦).

(١٠) (هـ)(ط): به.

لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء.

فدعوى [وجوب][1] المبالغة في هذا التعظيم مبالغةٌ في الشرك، وانسلاخٌ من جُملة الدين.[2]

وفي (الفتاوي البَزازية) ـ من كُتب الحنفية[3] ـ: قال عُلماؤنا: من قال: أرواحُ المشايخ حاضرةٌ تعلم: يكفر.

وقال الشيخ صُنع الله الحلبي[4] الحنفي ـ في كتابه في الرد على من ادَّعى أنَّ للأولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة ـ: هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين، جماعات يدَّعون أنَّ للأولياء تصرُّفات/ بحياتهم وبعد مماتهم، ويُستغاث بهم في الشدائد والبليات وبِهِممِهم تُكشف المهمات. [٥٥/أ]

فيأتون قبورَهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على[5] أنَّ ذلك منهم كرامات، وقالوا: منهم أبدالٌ ونُقباء، وأوتادٌ ونُجباء، وسبعون وسبعة، وأربعون وأربعة، والقطبُ: هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوَّزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور.

قال: وهذا كلامٌ فيه تفريطٌ وإفراط، بل فيه الهلاكُ الأبدي والعذاب

---

(١) إضافة من «الصارم».

(٢) ابن عبدالهادي، «الصارم المُنكي في الرد على السبكي» (٤٦٤).

(٣) تأليف: حافظ الدين، محمد بن محمد بن شهاب الخوارزمي الحنفي، مات بمكة عام ٨٢٧هـ. «الضوء اللامع» (١٠/٣٧).

(٤) (ط): الحلبي ساقطة. وهو صنع الله بن صنع الله الحلبي، ثم المكي الحنفي الواعظ بها، له «ارجوزة في الحديث» و «اكسير النقي» و «سيف الله» فرغ منها سنة ١١١٧هـ. «هدية العارفين» (٥/٤٢٨).

(٥) (هـ)(ط): على. ساقطة.

السَّرمدي؛ لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومُصادرة[١] الكتاب العزيز المُصدَّق، ومخالفةِ[٢] لعقائد الأئمة، وما اجتمعت عليه الأمة، وفي التنزيل ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسولَ مِن بَعْدِ مَا تبين لَهُ الهُدَى وَيَتَّبع غَيْرَ سَبِيل المُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مصِيراً﴾. [النساء: ١١٥].

ثم قال: وأمَّا[٣] قولهم: إنَّ للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد المهات، فيردُّه قوله تعالى ﴿أإِلَهٌ مَعَ الله﴾. [النحل: ٦١ ـ ٦٤]، ﴿ألا لَهُ الخَلْقُ وَالأمْرُ﴾. [الأعراف: ٥٤]، ﴿لله مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالأرْضِ﴾. [الشورى: ٤٩]، ونحوه[٤] من الآيات الدالة على أنَّه المتفرِّدُ بالخلق والتدبير، والتصرف والتقدير، ولا شيء لغيره في شيء مّا بوجهٍ من الوجوه. فالكلُّ تحت مُلكه وقهره: تصرُّفاً وملكاً، وإحياءً وإماتة وخلقاً.

وتمدَّح الربُّ تبارك وتعالى [بانفراده][٥] بملكه في آيات من كتابه، كقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ الله﴾. [فاطر: ٣]، ﴿والَّذين تَدْعُونَ مِن دونه ما يملكون من قطمير • إن تدعوهم لا يسمعوا دُعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويومَ القيامة يكفُرون بشرككم ولا يُنبئُك مثلُ خبير﴾. [فاطر: ١٣ ـ ١٤] وذكر آيات في هذا المعنى.

ثم قال: فقولُه في الآيات كلها ﴿من دونه﴾ أي: من غيره، فإنه عامٌّ يدخل فيه من اعتقدته، من وَليّ وشيطان تستمدُّه؛ فإنَّ من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمدُّ غيره؟

---

(١) (ص)(هـ)(ط): ومصادمة.

(٢) (ض): ومخالف.

(٣) (ض)(هـ)(ط): فأما.

(٤) (هـ)(ط): ونحوها.

(٥) ساقطٌ من الأصل و(ض) و(هـ).

إلى أنْ قال: إنَّ[١] هذا القول[٢] وخيمٌ، وشرك عظيم. إلى أن قال: وأمَّا القول بالتصرُّف بعد الممات، فهو أشنعُ وأبدع من القول بالتصرف في الحياة؛ قال جل ذكره: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُم مَيِّتُونَ﴾. [الزمر: ٣٠]، / ﴿الله يَتَوَفَّى الأَنْفُس حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾. [الزمر: ٤٢] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾. [آل عمران: ١٨٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾. [المدثر: ٣٨] وفي الحديث «إذا مات ابنُ آدم انقطع عملُه إلَّا من ثلاث» الحديث[٣]. [٥٥/ب]

فجميعُ ذلك، وما هو نحوه[٤]: دالٌّ على انقطاع الحِس والحركة من الميت، وأنَّ أرواحهم مُمسَكة، وأنَّ أعمالهم منقطعةٌ عن زيادة أو نقصان. فدلَّ ذلك: على أنْ ليس[٥] للميت تصرفٌ في ذاتـه، فضلاً عن غيره. فإذا عجز عن حركة نفسه، فكيف يتصرَّف في غيره؟! فالله سبحانه يُخبر أنَّ الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إنَّ الأرواح مطلقة متصرِّفة ﴿قُلْ أَأَنْتُم أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾. [البقرة: ١٤٠].

قال: وأمَّـا اعتقـادُهم[٦] أنَّ هذه التصرفـات لهم من الكـرامـات، فهو من المغالطة؛ لأن الكرامة شيءٌ من عند الله يكرم بها[٧] أولياءه، لا قصد لهم فيه ولا

---

(١) (ض)(هـ): فكيف يتصور لغير من ممكن أن يتصرف، إن. وكتب في الأصل ثم ضُرب عليه.

(٢) (ض)(هـ)(ط): لقول.

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (١٦٣١)، وأبو داود في «السنن» رقم (٢٨٨٠) والترمذي في «الجامع» رقم (١٣٧٦) والنسائي في «المجتبى» (٦/ ٢٥١) وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٧٢) والبخاري في «الأدب» رقم (٣٨) من حديث أبي هُريرة.

(٤) (ض): في معناه.

(٥) (ض): أن ليس (ط): على أنه ليس.

(٦) (ض): اعتقاد.

(٧) (هـ)(ط): به.

تحدِّي، ولا قدرة ولا علم؛ كما في قصة مريم ابنة عمران، وأُسيد بن حُضير[١]، وأبي مُسلم الخولاني[٢].

قال: وأمَّا قولهم: فيستغاثُ بهم في الشدائد. فهذا أقبحُ مما قبله وأبدع؛ لمصادمته قوله جل ذكره ﴿أم مَن يُجيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُم خُلَفَاءَ الأَرْضِ أإلـهٌ مَعَ الله﴾. [النمل: ٦٢] ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِن ظُلُماتِ البرِّ وَالبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضرُّعاً وَخُفْيَةً لئِنْ أنْجانَا مِن هَذهِ لنكونَنَّ مِنَ الشَاكرينَ● قُلِ الله يُنَجِّيكُم مِنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُم تُشرِكُونَ﴾. [الأنعام: ٦٣ ـ ٦٤] وذكر آياتٍ في هذا المعنى.

ثم قال: فإنه جل ذكره قرَّر أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه المتفرد بإجابة المضطرين، وأنه المستغاث لذلك كلِّه، وأنه القادر على دفع الضر، القادر على إيصال الخير، فهو المنفردُ بذلك، فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي.

قال: والاستغاثةُ تجوز في الأسباب الظاهرة العادية، من الأمور الحسية: في قتال، أو إدراك عدو أو سبُع أو نحوه، كقولهم: يا لَزَيد، يا لَلمسلمين، بحسب الأسباب[٣] الظاهرة بالفعل[٤].

وأمَّا الاستغاثةُ بالقوة والتأثير، أو في الأمور المعنوية من الشدائد: كالمرض،

---

(١) أبو يحيى، بن سِماك الأنصاري، صحابيٌّ جليل (ت ٢٠هـ). أضاءت له عصاه، بعد أن انصرف من مجلس النبي ﷺ في ليلة مظلمة، أخرجه: ابن سعد في «الطبقات» (٣/٦٠٦) وأحمد في «المسند» (٣/١٣٨، ٨٠، ٢٧٢).

(٢) عبدالله بن أثوب الشامي، من التابعين. ألقاه الطاغية العنسي في النار، فلم تأكله. أخرجه: أبونُعيم في «الحلية» (٢/١٢٩).

(٣) في جميع النسخ: الأفعال. والمثبت من كتاب «سيف الله». (٤) (هـ)(ط): بالفعل. ساقطة.

[٥٦/أ] وخوف الغرق والضيق والفقر، وطلب الرزق ونحوه: فمن خصائص/ الله، لا يُطلب فيها غيره.

قال: وأمَّا كونهم[١] معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم، كما تفعله جاهليةُ العرب والصوفية الجهال، وينادونهم ويستنجدون بهم: فهذا من المنكرات؛ فمن اعتقد أنَّ لغير الله ـ من نبيٍ أو ولي أو روح، أو غير ذلك ـ في كشف كُربةٍ أو قضاء حاجة تأثيراً: فقد وقع في وادي جهلٍ خطير، فهو على شفا حُفرة من السعير.

وأمَّا كونهم مستدلين على أنَّ ذلك منهم كرامات، فحاشا لله أنْ تكون أولياءُ الله بهذه المثابة؛ فهذا ظنُّ أهل الأوثان، كذا أخبر الرحمن: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾. [يونس: ١٨]، ﴿مَا نَعْبُدُهُم إلَّا لِيُقَرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى﴾ [ص: ٣]، ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِه آلِهَةً إن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَني شَفَاعَتُهُم شيْئاً وَلاَ يُنْقِذُونَ﴾. [يس ٢٣].

فإنَّ ذكرَ ما ليس من شأنه النفعُ ولا دفع الضر ـ من نبي وولي وغيره ـ على وجه الإمداد منه: إشراكٌ مع الله؛ إذ لا قادر على الدفع غيره، ولا خير إلا خيره.

قال: وأمَّا ما قالوه:[٢] إنَّ منهم أبدالاً ونقباء، وأوتاداً ونجباء،[٣] وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعة، والقطب؛ هو الغوث للناس: فهذا من موضوعات إفكهم. كما ذكره القاضي المحدِّث [أبو بكر بن العربي][٤] في (سراج المُريدين)، وابنُ الجوزي، وابن تيمية. انتهى باختصار.[٥]

(١) (ط): كونهن. تحريف.
(٢) (هـ)(ط): قالوا.
(٣) (ط): ونقباء.
(٤) إضافة من (ض).
(٥) «سيف الله على من كذب على أولياء الله» لصنع الله الحلبي ورقة (٢، ٥، ٦، ٧، ٨، ١١).

والمقصود: أنَّ أهل العلم ما زالوا يُنكرون هذه الأمور الشركية، التي عمَّت بها البلوى، واعتقَدها أهلُ الأهواء. فلو تتبعنا كلامَ العُلماء المنكرين لهذه الأمور الشركية، لطال الكتاب.

والبصيرُ النبيل، يُدرك الحق من أول دليل. ومن قال قولاً بلا بُرهان، فقولُه ظاهرُ البُطلان مخالفٌ ما عليه أهل الحق والإيمان، المتمسكون بمُحكم القرآن، المستجيبون لداعي الحق والإيمان. والله المستعان، وعليه التكلان.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولُ الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَالَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالمِين• وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ مِن عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورِ الرَّحِيمِ﴾. [يونس: ١٠٦ ـ ١٠٧].

ش: قال ابنُ عطية: معناه: قيل لي ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ فهو معطوفٌ[١] على ﴿أَقِمْ﴾. وهذا الأمرُ والمخاطبة للنبي ﷺ إذا كانت هكذا، / فأحرى أنْ يتحرَّز[٢] من ذلك غيرهُ[٣]. والخطابُ خرج مخرج الخصوص، وهو عامٌّ للأُمّة. [٥٦/ب]

قال أبو جعفر بن جرير في هذه الآية: يقول تعالى ذكره: ولا تدْعُ، يا محمد، من دون معبودك وخالقك شيئاً لا ينفعُك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرُّك في دين ولا دنيا، يعني بذلك: الآلهة [والأصنام][٤]، يقول: لا تعبدها راجياً نفعها أو خائفاً ضرّها؛ فإنها لا تنفعُ ولا تضر. فإنْ فَعلت ذلك فدعوتها من دون الله

---

(١) (ض)(هـ)(ط): عطف.

(٢) (ط): يحذر.

(٣) ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٩/ ٩٩).

(٤) إضافة من (ط) «والتفسير».

﴿فإنَّكَ إذاً مِنَ الظَّالمينَ﴾ يقول: من المشركين بالله[(١)][(٢)].

قلتُ: وهذه الآية لها نظائر، كقوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ المعذَّبِينَ﴾. [الشعراء: ١٢٣] وقوله: ﴿ولَا تَدْعُ مَعَ الله إلهاً آخر، لا إله إلا هو﴾. [القصص: ٨٨].

ففي هذه الآيات: بيانُ أنَّ كلَّ مدعوٍّ يكون إلهاً، والإلٰهية حقٌّ لله لا يصلح منها شيء لغيره؛ ولهذا قال: ﴿لَا إلَهَ إلَّا هُوَ﴾ كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بأنَّ الله هُوَ الحَقُّ وَأنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِه هُوَ البَاطِلُ وَأنَّ الله هُوَ العِليُّ الكبيرُ﴾. [الحج: ٦٢].

وهذا هو التوحيدُ الذي بعث الله به رُسلَه، وأنزل به كتبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِين لهُ الدِّينَ﴾. [البينة: ٥] والدِّين: كلُّ ما يُدان الله به، من العبادات الباطنة والظاهرة. وفسَّره ابنُ جرير في (تفسيره): بالدعاء، وهو فردٌ من أفراد العبادة، على عادة السَّلف في التفسير: يفسرون الآيةَ ببعض أفراد معناها.

فمن صرف منها شيئاً لقبر، أو صنم، أو وثن، أو غير ذلك: فقد اتخذه معبوداً، وجعله شريكاً لله في الإلٰهية التي لا يستحقُّها إلَّا هو، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ الله إلهـاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإنَّما حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾. [المؤمنون: ١١٧] فتبيَّن بهذه الآية ونحوها: أنَّ دعوة غير الله شركٌ، وكفرٌ وضلال.

وقوله: ﴿وَإنْ يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إلَّا هُوَ وإنْ يُرِدْكَ بِخَيرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصيب به من يشاءُ من عباده﴾.

[٥٧/أ] فإنَّـه المتفرِّدُ بالـمُلك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع، دون/ كلِّ ما

---

(١) (ط): بالله الظالم لنفسه.

(٢) الطبري، «جامع البيان عن تأويل أي القرآن» (١٥/٢١٨).

سواه. فيلزمُ من ذلك: أنْ يكون هو المدعوُّ وحده، المعبودُ وحده؛ فإنَّ العبادة لا تصلح إلَّا لمالك النفع.[1] ولا يملك ذلك ولا شيئاً منه غيره؛ فهو المستحقُّ للعبادة وحده، دون من لا ينفعُ ولا يضرُّ.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أفَرَأيْتُم مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله إنْ أرَادَنِي الله بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ الله عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلُونَ﴾. [الزُّمر: ٣٨] وقال: ﴿مَا يَفْتَحِ الله لِلْنَّاسِ مِن رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾. [فاطر: ٢] فهذا ما أخبرَ به[2] في كتابه، من تفرُّده بالإلهية والربوبية، ونصب الأدلة على ذلك[3].

فاعتقد عُبّادُ القبور والمشاهد، نقيضَ ما أخبر به الله، واتخذوهم شركاءَ لله في استجلاب المنافع ودفع المكاره: بسؤالهم، والالتجاء إليهم بالرغبة والرهبة والتضرع، وغير ذلك من أنواع العبادة[4] التي لا يستحقها إلَّا الله، واتخذوهم شُركاء لله في ربوبيته، وإلهيته.

وهذا فوقَ شركِ كُفار العرب القائلين ﴿مَا نَعْبُدُهُم إلَّا لِيُقَرِّبُونَا إلى الله زُلْفَىٰ﴾، ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنا عِنْدَ الله﴾، فإنَّ أولئك يدعونهم ليشفعوا لهم، ويقربوهم إلى الله. وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك؛ لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك!.

وأمَّا هؤلاء المشركون: فاعتقدوا في أهل القبور وفي المشاهد[5] ما هو أعظمُ من

---

(١) (ض)(هـ)(ط): الضر والنفع.

(٢) (ض)(هـ)(ط): به الله تعالى.

(٣) (ض): ونصب الأدلة على ذلك. ساقط.

(٤) (ض)(هـ)(ط): من العبادات.

(٥) (ط): والمشاهد.

ذلك، فجعلوا لهم نصيباً من التصرف والتدبير، وجعلوهم معاذاً لهم وملاذاً في الرغبات والرَّهبات ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: لمن تاب إليه.

قال المُصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. [العنكبوت: ١٧].

ش: يأمرُ عبادَه بابتغاء الرزق عنده وحده، دون ما سواه، ممن لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً. فتقديمُ الظرف يُفيد الاختصاص.

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ من عطف العام على الخاص؛ فإنَّ ابتغاء الرزق عنده/ [٥٧/ب]، من العبادة التي أمر بها.

قال العمادُ ابن كثير: ﴿فَابْتَغُوا﴾ [أي: فاطلبوا][1] ﴿عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ﴾ أي: لا عند غيره؛ لأنه المالكُ له، وغيرُه لا يملك شيئاً من ذلك ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ أي: أخلصوا له العبادة وحده لا شريك له، ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ أي: على ما أنعم عليكم ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: [يوم القيامة][1]، فيُجازي كلَّ عاملٍ بعمله[2].

قال المُصنف رحمه الله تعالى: وقولُه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ من لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُمْ عَن دُعَائِهِم غَافِلُونَ • وَإذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُم أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِم كَافِرِينَ﴾. [الأحقاف: ٥ ـ ٦].

ش: فنفى[3] سبحانه أنْ يكون أحدٌ أضل ممن يدعو غيره. وأخبر أنه لا يستجيبُ

---

(١) إضافةٌ من (ط) «والتفسير».

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٧٩).

(٣) (ط): نفى.

له ما طلب منه إلى يوم القيامة.

والآيةُ تعمُّ كلَّ من يُدعى من دون الله، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُم وَلَا تَحْوِيلًا﴾. [الإسراء: ٦٥].

وفي هذه الآية: أخبر أنه لا يستجيب، وأنه غافلٌ عن داعيه ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُم أعداء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِم كَافِرِينَ﴾ فتناولت الآيةُ كلَّ داعٍ، وكلَّ مدعوٍّ من دون الله.

قال أبو جعفر بن جرير ـ في قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُم أعداءً﴾ ـ: يقول تعالى ذِكره: وإذا جُمع الناسُ ليوم القيامة في موقف الحساب، كانت هذه الآلهةُ التي يدعونها في الدنيا لهم أعداءً؛ لأنهم يتبرؤون منهم. ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِم كَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكانت آلهتُهم التي يعبدونها في الدنيا، لعبادتهم[١] جاحدين؛ لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أُمرنا[٢] بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا[٣].

كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَقُولُ: أَأَنْتُم أَضْلَلْتُم عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ • قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَن نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِن أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَتَّعْتَهُم وَآبَاءَهُم حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً﴾. [الفرقان: ١٧ ـ ١٨].

قال ابن جرير: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ من الملائكة والإنس والجن، وساق بسنده عن مجاهد، قال: عيسى وعزيرٌ والملائكة.[٤]

---

(١) (ط): بعبادتهم.

(٢) (هـ)(ض): أمرناهم.

(٣) «تفسير الطبري» (٢٦/٤).

(٤) «تفسير الطبري» (١٨/١٨٩).

[٥/أ] ثم قال: يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة/ ـ الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله ـ وعيسى: تنزيهاً لك يا ربنا، [وتبرئة][1] مما أضاف إليك هؤلاء المشركون ﴿مَا كَانَ يَنْبَغي لَنَا أنْ نَتَّخِذَ مِن دُونكَ مِن أوْلِيَاءَ﴾ نواليهم ﴿أنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونهم﴾ انتهى.[2]

قلتُ: وأكثرُ ما يُستعمل الدعاء في الكتاب والسنة، واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء: في السؤال والطلب؛ كما قال العُلماء من أهل اللغة، وغيرهم: الصلاة لغة: الدُّعاء، وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذين تَدْعُونَ مِنْ دُونه مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ • إنْ تدعوهم لا يسمعوا دُعاءَكم ولو سَمِعوا ما اسْتَجابوا لكم ويومَ القيامةِ يكفرون بشرككم ولا ينبئُك مثلُ خبير﴾. [فاطر: ١٣ ـ ١٤] وقال: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِنْ ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾. [الأنعام: ٦٣] وقال: ﴿وَإذَا مَسَّ الإنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أوْقَاعِداً أو قَائماً﴾ [يونس: ١٢] وقال ﴿وإذَا مَسَّهُ الشرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيض﴾. [فصلت: ٥١] وقال: ﴿لاَ يَسْأمُ الإنْسَانُ مِن دُعَاءِ الخَيرِ وإنْ مسَّه الشرُّ فيئوسٌ قَنُوط﴾ [فصلت: ٤٩] وقال: ﴿إذْ تَسْتَغيثُونَ رَبَّكُم فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾. [الأنفال: ٩].

وفي حديث أنس، مرفوعاً «الدعاءُ مُخُّ العبادة»[3]

وفي الحديث الصحيح «ادعوا الله وأنتم مُوقنون بالإجابة»[4].

---

(١) إضافة من (ط) «والتفسير».

(٢) «تفسير الطبري» (١٨/ ١٩٠).

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٤٦٨) وقال: هذا حديثٌ غريب من هذا الوجه، لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة. والطبراني في كتاب «الدعاء» رقم (٨)، وله شاهدٌ من حديث النعمان بن بشير، والبراء بن عازب، وسيأتي تخريجه.

(٤) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٣٧٤) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه الَّا من هذا الوجه. والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٣) والخطيب في «التأريخ» (٤/ ٣٥٦) والطبراني في كتاب «الدعاء» رقم =

وفي آخر «من لم يسأل الله يغضب عليه»(١)

وحديث «ليس شيءٌ أكرمَ على الله من الدعاء» رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجة، وابنُ حبان، والحاكم وصححه(٢).

وقوله: «الدعاءُ سلاحُ المؤمن، وعماد الدين ونور السموات والأرض» رواه الحاكم وصححه(٣).

وقوله: «سلوا الله كلَّ شيء حتى الشِّسْع إذا انقطع» الحديث(٤). وقال ابن

= (٦٢) من حديث أبي هريرة، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٧) من حديث ابن عمرو، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٨): إسناده حسن، وأخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٨) من حديث ابن عمر، وقال: فيه بشير بن ميمون الواسطي، وهو مجمعٌ على ضعفه.

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٣٧٠) وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٨٢٧) وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٢، ٤٤٣) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٥٨) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٠٠) والرازي في «الجرح والتعديل» (٩/ ٣٩٣) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩١) من حديث أبي هريرة. قال ابن كثير: إسناده لا بأس به.

(٢) أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٢) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٣٦٧) وقال: هذا حديثٌ حسن غريب. وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٨٢٩) وابن حبان في «الصحيح» (٢/ ١١٥) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٠) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧١٢) والطيالسي في «المسند» رقم (٢٥٨٥) والطبراني في كتاب «الدعاء» رقم (٢٨).

(٣) الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه أبويعلى في «المسند» رقم (٤٣٩) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٧): وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو متروك. وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢١٨١) والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٤٣) والديلمي في «مسند الفردوس» رقم (٣٠٨٥) من حديث علي بن أبي طالب، وأخرج الجملة الاولى: أبويعلى في «المسند» رقم (١٨١٢) من حديث جابر، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٧): وفيه محمد بن أبي حميد، وهو ضعيف.

(٤) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٦٠٧) وقال: هذا حديثٌ غريب، ورقم (٣٦٠٨) وقال: وهذا أصح. وابن حبان في «الصحيح» (٢/ ١٢٦) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٥٤) والطبراني في كتاب «الدعاء» رقم (٢٥) والبزار في «المسند» (٤/ ٣٧) (كشف) من حديث أنس، وأخرجه مسدَّد =

عباس رضي الله عنهما: أفضلُ العبادة الدعاء، وقرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُوني أسْتَجِبْ لَكُم﴾ [غافر: ٦٠]. رواه ابنُ المنذر، والحاكم وصححه.(١)

وحديث «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان» الحديث(٢).

وحديث «اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»(٣)

[٥/ب] وأمثالُ هذا في الكتاب والسنة أكثرُ من أنْ يُحصى(٤)/ في الدعاء، الذي هو السؤال والطلب.

فمن جحد كون السؤال والطلب عبادة: فقد صادم النصوص، وخالف اللغة واستعمال الأمة سلفاً وخلفاً.

وأمَّا ما تقدَّم من كلام شيخ الإسلام، وتبعه العلاَّمة ابن القيم: من أنَّ الدعاء

= في «المسند» كما في «المطالب العالية» رقم (٣٣٥٢) من حديث أبي هريرة، وأخرجه أبويعلى في «المسند» رقم (٤٥٦٠) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٠): ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن عبيدالله بن المنادي، وهو ثقة. كذا قال. وليس في إسناده ابن المنادي. وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٥٥) كلاهما عن عائشة موقوفا.

(١) ابن المنذر في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٠٢) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩١) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٤٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه أبوداود في «السنن» رقم (١٤٩٥) واللفظ له، والترمذي في «الجامع» رقم (٣٥٣٧) وقال: هذا حديثٌ غريب. والنسائي في «المجتبى» (٣/ ٥٣)، وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٨٥٨)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٢٠، ١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٣) وصححه ووافقه الذهبي. من حديث أنس.

(٣) أخرجه أبوداود في «السنن» رقم (١٤٩٣) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٤٧١) وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٨٥٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٦٠) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٤) وصححه ووافقه الذهبي من حديث بريدة.

(٤) (هـ): يحصر (ط): يحضر.

نوعان: دعاءُ مسألة، ودعاء عبادة. وما ذكر بينهما من التلازم، وتضمُّن أحدهما للآخر: فذلك باعتبار كون الذاكر والتالي والمصلي والمتقرب بالنسك، وغيره طالباً في المعنى، فيدخلُ في مسمَّى الدعاء بهذا الاعتبار. وقد شرع الله تعالى في الصلاة الشرعية من دعاء المسألة ما لا تصح[١] الصلاة إلَّا به، كما في الفاتحة وبين السجدتين وفي التشهد، وذلك عبادةٌ كالركوع والسجود. فتدبَّر هذا المقام، يتبيَّن لك[٢] جهلُ الجاهلين بالتوحيد.

ومما يُبيِّن هذا المقام، ويزيدُه إيضاحاً: قولُ العلَّامة ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى[٣] قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّامَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾. [الإسراء: ١١٠]: هذا[٤] الدعاءُ، المشهورُ أنه دعاء المسألة، قالوا: كان النبيُّ ﷺ يدعو ربه، مرة يقول:[٥] يا الله. ومرة: يا رحمن. فظن المشركون أنه يدعو إلهين، فأنزل الله هذه الآية. ذُكر هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما.[٦]

وقيل: إنَّ الدعاء هُنا بمعنى التسمية، والمعنى: أيُّ اسمٍ سمَّيتموه به من أسماء الله تعالى: إمَّا الله، وإمَّا الرحمن، فله الأسماء الحسنى.

وهذا هو[٧] من لوازم المعنى في الآية، وليس هو عينُ المراد. بل المراد بالدعاء: معناه المعهود المطَّردُ في القرآن. وهو دعاء السؤال، ودعاء الثناء.

---

(١) (ط): تصلح.
(٢) (ض): لك. ساقطة.
(٣) (هـ)(ط): معنى. ساقطة.
(٤) (هـ)(ط): وهذا.
(٥) (ض)(هـ)(ط): ويقول مرة.
(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٥/١٨٢) وابن مردويه في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٥/٣٤٨).
(٧) (ض)(ط): وهذا.

ثم قال: إذا عُرف هذا، فقوله تعالى: ﴿ادعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعاً وخفية﴾. [الأعراف: ٥٥] يتناول نوعي الدعاء، لكنه ظاهرٌ في دعاء المسألة، متضمنٌ لدعاء العبادة؛ ولهذا أُمر بإخفائه. قال الحسن: بين دعاء السر ودعاء العلانية سبعون ضعفاً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، ولم يُسمع لهم صوت، إنْ كان إلاَّ همساً بينهم وبين ربهم.(١)

[٥٩/أ] وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَك عِبَادي عَنِّي فَإِنِّي قريبٌ/ أُجيب دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. [البقرة: ١٨٦] يتنـاول نوعي الدعاء، وبكل منهما فُسِّرت الآية. قيل: أُعطيه إذا سألني، وقيل: أُثيبه إذا عبدني.

وليس هذا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته الـواحدة المتضمنة للأمرين جميعاً. وهذا يأتي في مسألة الصلاة، وأنها [هل](٢) نُقلت عن مسمَّاها في اللغة وصارت حقيقة شرعية، أو(٣) استعملت في هذه العبادة مجازاً للعلاقة بينها وبين المُسمَّي اللغوي، أو هي(٤) باقيةٌ على الوضع اللغوي، وضُمَّ إليها أركانٌ وشرائط.

وعلى(٥) ما قررناه: لا حاجة إلى شيء من ذلك؛ فإنَّ المصلي من أول صلاته إلى آخرها لا ينفكُّ عن دعاء: إما دعاء عبادة وثناء، أو دعاء طلب ومسألة، وهو في الحالين داع. انتهى(٦) من (البدائع)(٧).

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٢/٤٨٥) وابن المبارك وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» (٣/٤٧٦).

(٢) إضافة من «البدائع».

(٣) في جميع النسخ: و. تحريف.

(٤) (هـ)(ط): وهي.

(٥) (هـ)(ط): فعلي.

(٦) (ض)(ط): انتهى ملخصاً.

(٧) ابن القيم، «بدائع الفوائد» (٣/٣، ٥، ٦).

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولُه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُم خُلَفَاءَ الأَرْضِ أإلهٌ مَعَ اللهِ﴾. [النمل: ٦٢].

ش: يُبيِّنُ[١] تعالى أنَّ المشركين من العرب ونحوهم، قد علموا أنه لا يُجيب المضطر ويكشف السوء إلَّا الله وحده. فذكر ذلك سبحانه مُحتجاً عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه؛ ولهذا قال: ﴿أإلهٌ مَعَ اللهِ﴾ يعني يفعل[٢] ذلك.

فإذا كانت آلهتُهم لا تُجيبهم في حال الاضطرار، فلا يصلح أنْ يجعلوها شركاء لله الذي يُجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وحده. وهذا أصح ما فُسرت به الآية[٣]؛ كسابقتها من قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُم أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا، أإلهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قومٌ يَعْدِلُونَ • أَمَّنْ جَعَلَ الأَرضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لها رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزاً أإلهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُم لاَ يَعْلَمُونَ﴾. [النمل: ٦٠ ـ ٦١] ولا حقها[٤]، إلى قوله: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ في ظُلُمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أإلهٌ مَعَ اللهِ تَعَالى اللهُ عَمَّا يُشرِكُونَ • أَمَّن يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أإلهٌ مَعَ اللهِ قلْ هاتُوا بُرْهَانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. [النمل: ٦٣ ـ ٦٤].

فتأمَّل هذه الآيات، يتبيَّنُ لك: أنَّ الله تعالى احتج ـ على المشركين ـ بما أقروا به على ما جحدوه، من قَصْر العبادة جميعِها عليه؛ كما في فاتحة الكتاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. [الفاتحة: ٥].

---

(١) (ط): بين.

(٢) (ض): يفعل. ساقطة.

(٣) (هـ): هذه الآية.

(٤) (ط): ولاحقتها.

قال أبو جعفر بن جرير: قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ، وَيَجْعَلُكُم خُلَفَآءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ الله قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أم ما تُشركون بالله خير، أم الذي يُجيب المضطر إذا دعاه/ ويكشف [السوء][1] النازل به عنه؟ [٥٩/ب]

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾ يقول: يستخلف بعد أمواتكم[2] في الأرض منكم خُلفاء، أحياء يخلفونهم.

وقوله: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ الله﴾ يقول:[3] أإلهٌ سواه يفعل هذه الأشياء بكم، ويُنعم عليكم هذه النعم؟

وقوله: ﴿قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: تذكُّراً قليلاً من عظمة الله وأياديه عندكم، تذكرون وتعتبرون حُجج الله عليكم يسيراً؛ فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.[4]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وروى الطبرانيُّ، بإسناده: أنَّه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله»[5].

---

(١) اضافة من (ض) و (هـ) و (ط) و«التفسير».

(٢) «في التفسير». أمرائكم.

(٣) (هـ)(ط) يقول. ساقطة.

(٤) «تفسير الطبري» (٢٠/٤).

(٥) الطبراني في «المعجم الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/١٥٩) وقال: ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/٣١٧) وابن سعد في «الطبقات» (١/٣٨٧) بغير هذا اللفظ، من حديث عبادة بن الصامت. قال الحافظ ابن تيمية في كتاب «الاستغاثة». (١٥٢): وهو صالح للاعتضاد، ودلَّ على معناه الكتاب والسنة.

ش: الطبراني: هو الإمام الحافظ، سُليمان بن أحمد بن أيوب اللَّخْمي الطبراني، صاحبُ المعاجم الثلاثة وغيرها. روى عن النسائي، وإسحاق بن إبراهيم الدَّبْري، وخلقٌ كثير. مات سنة ستين وثلاثمائة. روى هذا الحديث، عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه.

قوله: (أنه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يُؤذي المؤمنين)، لم أقف على اسم هذا المنافق.

(١قلتُ: هو عبدالله بن أُبيّ؛ كما صرَّح به ابنُ أبي حاتم، في روايته.١)

قوله: (فقال بعضهم) ـ أي: الصحابة [رضي الله عنهم ـ هو أبو بكر رضي الله عنه](٢).

قوله: (قوموا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق) لأنه ﷺ كان(٣) يقدرُ على كف أذاه.

قوله: «إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله» فيه: النصُّ على أنَّه لا يُستغاث بالنبي ﷺ، ولا مَن(٤) دونه.

كره ﷺ أنْ يُستعمل هذا اللفظ في حقه، وإنْ كان فيما(٥) يقدر عليه في حياته(٦): حمايةً لجناب التوحيد، وسدّاً لذرائع الشرك، وأدباً وتواضعاً لربه،

---

(١) مابينهما ساقط من (ض) ومعلَّقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٢) اضافةٌ من (هـ)و (ط).

(٣) (هـ)(ط): كان. ساقطة.

(٤) (ط): بمن.

(٥) (هـ)(ط): مما.

(٦) قال الحافظ ابن تيمّية في كتاب «الاستغاثة» (٢٠٠): وظاهرُ لفظ الحديث، إنْ صح: يقتضي أنه لم يكن قادراً على دفع ضرر ذلك المنافق، وأنه أمرهم أن يستغيثوا فيه بالله تعالى. وقال (١٩٤): ولا يلزم تخطئة أبي بكر الصديق؛ فإنَّ الصديق قد يعتقد عند النبي ﷺ في دفع ذلك المنافق بعض الأمور التي يقدر عليها البشر، فبين له النبي ﷺ أنه ليس عنده في دفعه حيلة، بل يُستغاث بالله في أمره.

وتحذيراً للأمة من وسائل الشرك، في الأقوال والأفعال.

فإذا كان هذا فيما يقدر عليه ﷺ في حياته، فكيف يجوز أنْ يُستغاث به بعد وفاته، ويُطلب منه أمورٌ لا يقدر عليها إلاَّ الله؟! كما جرى على ألسنة كثيرٍ من الشعراء ـ كالبُوصِيري[1]، والبُرَعي[2] / وغيرهم ـ من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. [٦/أ]

ويُعرضون عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر على كل شيء، الذي له الخلقُ والأمر وحده، وله الملك وحده، لا إله غيره، ولا رب سواه؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعَاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَآءَ اللهُ﴾. [الأعراف: ١٨٧] في مواضع من القرآن ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُم ضَرّاً وَلَا رَشَداً﴾. [الجن: ٢١].

فأعـرض هؤلاء عن القـرآن، واعتقـدوا نقيضَ ما دلَّت عليه هذه الآيات المحكمات. وتبعهم على ذلك الضلال الخلقُ الكثير، والجمُّ[3] الغفير. فاعتقدوا الشرك بالله ديناً، والهدى ضلالاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فما أعظمها من مصيبة عمَّت بها البلوى، فعاندوا أهل التوحيد، وبدَّعوا أهل التجريد؛ فالله المستعان.

---

(١) محمد بن سعيد بن حمَّاد الصنهاجي، أديبٌ صوفي، صاحب البُردة، له ديوان مطبوع. مات سنة ٦٩٦هـ الزركلي، «الاعلام» (٦/ ١٣٩).

(٢) عبدالرحيم بن أحمد اليماني، شاعر متصوف، مشهور ببلاد اليمن، له ديوان مطبوع. مات سنة ٨٠٣هـ «الاعلام» (٣/٣٤٣).

(٣) (ط): والحجم. تحريف.

(١٤)
بــاب

قول الله تعالى:
﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ﴾

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُم يُخْلَقُونَ • وَلا يَسْتَطِيعُون لَهُمَ نَصرْاً وَلَا أَنْفُسَهُم يَنْصُرُونَ﴾. [الأعراف: ١٩١ - ١٩٢].

ش: قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ أي: في العبادة.

قال المفسرون في هذه الآية: هذا[١] توبيخٌ وتعنيف للمشركين، في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يَخْلُق شيئاً وهو مخلوق. والمخلوق لا يكون شريكاً للخالق في العبادة التي خلقهم لها، وبيَّن أنهم لا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم يَنصُرون، فكيف يُشركون به من لا يستطيع نَصْر عابديه ولا نصر نفسه؟

وهذا برهانٌ ظاهرٌ[٢] على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله، وهذا وصف كلِّ مخلوق، حتى الملائكة والأنبياء والصالحين.

وأشرفُ الخلق محمد ﷺ و[٣] قد كان يستنصرُ ربه على المشركين، ويقول:

---

(١) (هـ)(ط): هذا. ساقطة.

(٢) (ض): واضح.

(٣) (هـ)(ط): و. ساقطة.

«اللهم أنت عَضُدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل»(١).

وهذه الآية، كقوله تعالى(٢): ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وهم يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِم ضَرّاً وَلَا نفعاً ولا يَمْلِكُونَ مَوْتاً ولَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً﴾. [الفرقان: ٣] وقوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً/ ولَا ضَرّاً إلَّا مَا شَاءَ الله وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لا سْتَكْثَرْتُ من الخَيرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إنْ أنا إلَّا نَذيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. [الأعراف: ١٨٨] وقوله: ﴿قُلْ إني لَا أملِكُ لَكُم ضَراً وَلَا رَشَداً • قُلْ إِنِّي لَنْ يُجيرَنِي مِنَ الله أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دونه مُلْتَحَداً • إلَّا بَلاغاً مِنَ الله وَرِسَالَاتِهِ﴾. [الجن: ٢١ ـ ٢٣].

[ب]

فكفى بهذه الآيات برهاناً على بُطلان دعوة غير الله، كائناً من(٣) كان. فإنْ كان نبياً أو صالحاً: فقد شرَّفه الله تعالى بإخلاص العبادة له، والرضى به رباً ومعبوداً. فكيف يجوز أن يجعل العابد معبوداً، مع توجيه الخطاب إليه(٤) بالنهي عن هذا الشرك؟ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ الله إلهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إلا هُوَ كُلُّ شيءٍ هالِكٌ إلَّا وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. [القصص: ٨٨] وقال ﴿إِنِ الحُكْمُ إلَّا لله أَمَرَ أن لَا تَعْبُدوا إلَّا إِيَّاهُ﴾. [يوسف: ٤٠].

فقد أمر عباده من الأنبياء والصالحين وغيرهم بإخلاص العبادة له وحده، ونهاهم أنْ يعبدوا معه غيره. وهذا هو دينُهُ الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ورضيه

---

(١) أخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٢٦٢٣)، والترمذي في «الجامع» رقم (٣٥٧٨) وقال: هذا حديثٌ حسن غريب. والنسائي في «السنن الكبرى كتاب السير» كما في «تحفة الأشراف» (١/٣٤٣) وفي «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٠٤)، وأحمد في «المسند» (٣/١٨٤) من حديث أنس.

(٢) (هـ)(ط): وهذا كقوله.

(٣) (ض): ما.

(٤) (ط): إليه. ساقطة.

لعباده، وهو الإسلام[١]؛ كما روى البخاريُّ، عن أبي هريرة في سؤال جبرائيل عليه السلام، قال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «الإسلامُ أنْ تعبد الله ولا تُشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» الحديث[٢].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِه مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ • إن تَدْعُوهُم لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُم وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرككُم وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾. [فاطر: ١٣ ـ ١٤].

ش: يخبرُ تعالى عن حال المدعوِّين من دونه ـ من المــلائكة والأنبياء والأصنام وغـيرها ـ بما يدلُّ على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي: المُلك، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته. فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوتُه، فكيف إذا عُدمت بالكلية؟

فنفى عنهم الملك بقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ قال ابنُ عباس، ومجاهد، وعكـرمـة، وعـطاء، والحسن، وقتـادة: القـطمير: اللفافة التي تكون على نواه التمر[٣].

كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدونَ مِن دُونِ الله مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُم رِزْقاً مِن/ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْأً وَلاَ يَسْتَطيعُونَ﴾. [النحل: ٧٣] وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونِ الله لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ في السَّموات وَلاَ في الأَرْضِ وَمَا لَهُم فِيهما من شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنهُم مِن ظَهيرٍ • وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾. [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

[٦١/

(١) (هـ)(ط): دين الاسلام.

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (٥٠، ٤٧٧٧)، وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٩) وأحمد في «المسند» (٢/٤٢٦).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٢/١٢٥).

ونفى عنهم سماع الدعاء، بقوله: ﴿إِنْ تَدْعُوهُم لَا يَسْمَعوا دُعَاءَكُم﴾، لأنهم ما بين ميتٍ، وغائب عنهم مشتغلٍ بما خُلق له، مسخَّرٍ بما أُمر به كالملائكة.

ثم قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُم﴾ لأن ذلك ليس إليهم[1]؛ فإنَّ الله تعالى لم يأذن لأحدٍ من عباده في دُعاء أحدٍ منهم، لا استقلالاً ولا واسطة، كما تقدَّم بعضُ أدلة ذلك.

وقوله ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بشرككُم﴾ فتبيَّن بهذا، أنَّ دعوة غير الله شرك. وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ الله آلهةً لِيَكُونُوا لَهُم عِزّاً ● كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادتهم وَيكُونُونَ عَلَيْهِم ضِدّاً﴾. [مريم: ٨١ ـ ٨٢]. وقوله: ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بشرككُم﴾ قال ابنُ كثير: يتبرؤون منكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِن دُونِ الله مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِم غَافِلُون ● وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُم أعداءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِم كَافِرِينَ﴾. [الأحقاف: ٥ ـ ٦].

قال: وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها، وما تصيرُ إليه مثلُ خبير بها. قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى؛ فإنه أخبر بالواقع لا محالة[2].

قلتُ: والمشركون لم يُسلِّموا للعليم الخبير ما أخبر به عن معبوداتهم، فقالوا: تملك وتسمع، وتستجيب وتشفع لمن دعاها، ولم يلتفتوا إلى ما أخبر به الخبيرُ: من أنَّ كلَّ معبودٍ يعادي عابده يوم القيامة، ويتبرأ منه؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُم جميعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُم أَنْتُم وَشُرَكَاؤُكُم فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُم وَقَالَ شرَكَاؤُهم مَا كُنْتُم إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ● فَكَفَى بالله شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم إن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُم لَغَافِلِينَ ● هُنَالِك تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إلى الله مَوْلَاهُم الحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم

---

(١) (هـ)(ط): لهم.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/٥٢٧).

مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٢٨ ـ ٣٠].

أخرج ابنُ جرير، عن ابن جُريج، قال: قال مجاهد ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ قال: يقول ذلك كلُّ شيء كان يُعبد من دون الله[1].

فالكيِّسُ يستقبلُ هذه الآيات ـ التي هي الحجةُ والنور والبرهان/ ـ بالإيمان[2]، [٦١/] والقبول والعمل. فيجرِّدُ أعماله لله وحده دون كلِّ ما سواه، ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا دفعاً، فضلاً عن غيره.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي الصحيح، عن أنس، قال: شُجَّ النبيُّ ﷺ يوم أُحد،[3] فقال: «كيف يُفلحُ قومٌ شجُّوا نبيَّهم؟» فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

ش: قوله: في (الصحيح)، أي: (الصحيحين). علَّقه البخاري، عن حُميد، وعن ثابت[4]: عن أنس[5]. ووصله أحمد، والترمذي، والنسائي، عن حُميد، عن أنس به[6][7]. ووصله مسلمٌ، عن ثابت، عن أنس.[8]

---

(١) ابن جرير الطبري في «التفسير» (١١/١١٢).

(٢) (ط): والايمان. تحريف.

(٣) (هـ)(ط): يوم أحد وكُسرت رباعيته.

(٤) (ط): قال: وقال حميد وثابت.

(٥) ابن حجر، «فتح الباري» (٧/٣٦٥).

(٦) (ض)(هـ)(ط): به. ساقطة.

(٧) أحمد في «المسند» (٣/٩٩، ١٧٨، ٢٠٦) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٠٠٥) وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح. والنسائي كما في «التغليق» (٤/١٠٨)، وأخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٤٠٢٧) وأبويعلى في «المسند» رقم (٣٧٣٨) وابن جرير الطبري (٤/٨٦، ٨٧) وابن سعد في «الطبقات» (٢/٤٤).

(٨) مسلم في «الصحيح» رقم (١٧٩١)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٢٥٣، ٢٨٨) وأبويعلى في «المسند» رقم (٣٣٠١).

وقال ابنُ إسحاق في (المغازي): حدثني حُميد الطويل، عن أنس، قال: كُسِرت رَباعيَةُ النبي ﷺ يوم أُحد، وشُج وجهه، فجعل الدمُ يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم، وهو يقول: كيف يُفلح قومٌ خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟! فأنزل الله الآية.[1].

قوله: (شُجَّ النبي ﷺ) قال أبوالسعادات: الشجُّ في الرأس خاصة في الأصل، وهو أنْ يضربه بشيء فيجرَحه فيه ويشقه، ثم استُعمل في غيره من الأعضاء[2].

وذكر ابنُ هشام، من حديث أبي سعيد الخدري: أنَّ عُتْبة بن أبي وَقَّاص، هو الذي كسر رَباعية النبي ﷺ السفلى، وجرح شفته السفلى[3]، وأنَّ عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجَّه في وجهه، وأن عبد الله بن قَمِيئَة جرحه في وَجْنته، فدخلت حلقتان من حِلَق المِغْفَر في وجنته، وأنَّ مالك بن سنان مصَّ الدمَ من وجه رسول الله ﷺ، وازدرده. فقال له: «لن تمسك النار»[4]

قال القرطبي: والرباعية ـ بفتح الراء وتخفيف الياء ـ وهي كلُّ سنٍ بعد ثنية.

قال النووي: وللإنسان أربعُ رَباعيات.

قال الحافظ: والمراد: أنها كُسرت، فذهب منها فلقة، ولم تُقلع من أصلها.

قال النووي: وفي هذا: وقوعُ الأسقام والابتلاء بالأنبياء صلوات/ الله وسلامه [٦/أ]

---

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٣/٢٨).

(٢) ابن الأثير، «النهاية» (٢/٤٤٥).

(٣) (ط): العليا. تحريف.

(٤) «سيرة ابن هشام» (٣/٢٨) وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/٢٦٦) وانظر «مغازي الواقدي» (١/٢٤٤).

عليهم؛ لينالوا جزيل[١] الأجر والثواب، ولتعرف أُممُهُم[٢] ما أصابهم، ويأتسوا[٣] بهم.

قال القاضي: وليُعلم أنهم من البشر، تُصيبهم محنُ الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر، ليُتيقَّن[٤] أنهم مخلوقون مربوبون، ولا يُفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات، ويُلبِّس الشيطانُ من أمرهم ما لبَّسه على النصارى وغيرهم. انتهى[٥]

قلتُ: يعني: من الغلو، والعبادة.

قوله: (يوم أُحد).

هو[٦] جبلٌ معروف، كانت عنده الوقعة[٧] المشهورة. فأُضيفت إليه[٨].

قوله: «كيف يُفلح قومٌ شجّوا نبيَّهم؟» زاد مسلم: «وكسروا رَباعيتَهُ وأدموا وجهه».

قوله: فأنزل الله ﴿لَيْسَ لك مِنَ الأمْرِ شيءٌ﴾ قال ابنُ عطية: كأنَّ النبي ﷺ لَحِقَه في تلك الحال يأسٌ من فلاح كفار قريش؛ فقيل له بسبب ذلك ﴿لَيْس لَكَ مِنَ الأمْرِ شيٌ﴾ أي: عواقبُ الأمور بيد الله، فَامْضِ أنت لشأنك، ودُمْ على الدعاء لربك.[٩]

---

(١) (هـ)(ط): بذلك جزيل.

(٢) (هـ)(ط): الأمم.

(٣) (ض): ويتأسوا.

(٤) (ض): ليتيقنوا.

(٥) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج» (١٢/١٤٨).

(٦) (هـ)(ط): هو شرقي المدينة قال ﷺ (أحد جبلٌ يحبنا ونحبه) وهو.

(٧) (ض)(ط): الواقعة.

(٨) (ض): فأضيفت إليه. ساقط.

(٩) ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٣/٢٢٦).

وقال ابنُ إسحاق: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شيءٌ﴾ في عبادي، إلَّا ما أمرتُك به فيهم[١].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه: عن ابنِ عمر، أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول ـ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعَة الأخيرة من الفجر ـ: «اللهم العن فُلاناً وفُلاناً»، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شيءٌ﴾[٢].

وفي رواية: يدعــو على صَفْــوان بن أمية، وسُــهيل بن عمــرو، والحارث بن هشام، فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شيءٌ﴾[٣]

ش: قوله: (وفيه)، أي: في (صحيح البخاري)، ورواه النسائي.

قوله: (عن ابن عمر)، هو عبدالله بن عمر بن الخطاب، صحابيٌّ جليل. شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح. مات سنة ثلاثٍ وسبعين في آخرها، أو أوَّل[٤] التي تليها.

قولـه: (أنـه سمـع رسول الله ﷺ). هذا القنوتُ على هؤلاء، بعد ما شُجَّ وكُسرت رَباعيته يوم أُحد.

قولـه: «اللهم العن فلانـاً وفلاناً» قال أبو السعادات: أصلُ اللعن: الطردُ

---

(١) «السيرة» لابن هشام (٣/ ٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٤٠٦٩، ٤٠٧٠، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦) والنسائي في «المجتبى» (٢/ ٢٠٣) وأحمد في «المسند» (٢/ ١٤٧).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٤٠٧٠) مرسلاً، ووصله الترمذي في «الجامع» رقم (٣٠٠٧) وقـال: هذا حديثٌ حسن غريب. وأحـمد في «المسـند» (٢/ ٩٣) وابن جرير الـطبري في «التفسير» (٤/ ٨٨) من حديث ابن عمر.

(٤) (هـ)(ط): في أول.

والإبعاد من الله. ومن الخلق: السب والدعاء[١]. وتقدم كلامُ شيخ الإسلام.

قوله: (فلاناً وفلاناً). يعني صفوان بن أمية، وسهيلَ بن عمرو، والحارث بن هشام/، كما بيَّنه في الرواية الآتية. [٦٢/ب]

وفيه: جوازُ الدعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة، وأنَّ ذلك لا يضرُّ الصلاة.[٢]

قوله: (بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده)، قال أبو السعادات: أي أجاب[٣] حمدَه، وتقبَّله[٤]. وقال السُّهيلي: مفعولُ سَمِع محذوف؛ لأن السمع متعلقٌ بالأقوال والأصوات، دون غيرها. فاللام تُؤذِن بمعنى زائد، وهو الاستجابة للسمع. فاجتمع في الكلمة الإيجاز، والدلالة على الزائد، وهو الاستجابة لمن حمده.

وقال ابنُ القيم ما معناه: عُدِّي، سمع الله لمن حمده، باللام المتضمنة معنى: استجاب له. ولا حَذْف هناك، وإنما هو مضمَّن.

قوله: (ربَّنا ولك الحمد)، في بعض روايات البخاري، بإسقاط الواو. قال ابنُ دقيق العيد: كأنَّ إثباتها دالٌّ[٥] على معنى زائد؛ لأنه يكون التقدير: ربنا استجب ولك الحمد، فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر.

قال شيخُ الإسلام: والحمد ضدُّ الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له، كما أنَّ الذم يكون على مساوئه مع البغض له.

---

(١) ابن الأثير، «النهاية» (٤/٢٥٥).

(٢) (هـ)(ط): في الصلاة.

(٣) (ط): أجاب الله.

(٤) ابن الأثير، «النهاية» (٢/٤٠١).

(٥) (ض): دل.

وكذا قال ابنُ القيم، وفرَّق بينه وبين المدح: بأنَّ الإخبار عن محاسن الغير: إمَّا أنْ يكون إخباراً مجرَّداً عن حُبٍّ وإرادة، أو يكون مقروناً بحبه وإرادته.

فإنْ كان الأول، فهو المدح. وإنْ كان الثاني، فهو الحمد. فالحمدُ: إخبارٌ عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه؛ ولهذا كان خبراً يتضمَّن الإنشاء، بخلاف المدح؛ فإنه خبرٌ مجرد.

فالقائلُ، إذا قال: الحمدُ لله، أو قال: ربنا ولك الحمد. تضمنَّ كلامُه الخبرَ عن كلِّ مايُحمد عليه تعالى، باسمٍ جامع محيط متضمِّن لكلِّ فردٍ من أفراد الجملة المحقَّقة والمقدَّرة. وذلك يستلزم إثبات[1] كلِّ كمال يُحمد عليه الرب تعالى؛ ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه، ولا تنبغي إلَّا لمن هذا شأنه، وهو الحميد المجيد[2].

[٦٣/أ] وفيه: التصريحُ بأنَّ الإمام يجمعُ بين التسميع والتحميد، وهو قول الشافعي / وأحمد، وخالف في ذلك مالكٌ وأبو حنيفة، فقالا:[3] يقتصرُ على سمع الله لمن حمده.

قوله: (وفي رواية: يدعو على صفوان بن أُميَّة، وسُهيل بن عمرو، والحارث بن هشام).

وذلك لأنهم رؤوسُ المشركين يوم أحد: هم، وأبو سفيان بن حرب. فما استُجيب له[4] ﷺ فيهم، بل أنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شيءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم

---

(١) (ط): اثبات. ساقطة.

(٢) ابن القيم، «بدائع الفوائد» (٢/ ٩٣).

(٣) (هـ)(ط): وقالا.

(٤) (ط): له النبي.

أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فتاب عليهم، فأسلموا وحسُن إسلامهم.

وفي هذا كله: معنى شهادة أنْ لا إله إلّا الله، الذي له الأمر كلُّه، يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضلُّ من يشاء بعدله وحكمته. [١] فهو المستحق أنْ يُعبد وحده[١].

وفي هذا من الحجج والبراهين: ما يُبيِّن بُطلان ما يعتقده عبَّادُ القبور، في الأولياء والصالحين ـ بل في الطواغيت ـ من أنهم ينفعون من دَعاهم، ويمنعون من لاذ بحماهم.

فسبحان من حال بينهم وبين فَهم الكتاب. وذلك عدلُه سبحانه، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وبه الحولُ والقوة.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه: عن أبي هريرة، قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزل الله عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾. [الشعراء: ٢١٤] قال: «يامعشر قريش ـ أو كلمةً نحوها ـ اشتروا أنفسكم؛ لا أُغني عنكم من الله شيئاً، ياعباسُ بن عبدالمطلب، لا أُغني عنك من الله شيئاً، ياصفيةُ عمةَ رسول الله، أُغني عنكِ من الله شيئاً. يا فاطمةُ بنت محمد، سَليني من مالي ماشئت، لا أُغني عنكِ من الله شيئا»[٢].

ش: قوله: (وفيه)، أي: (صحيح[٣] البخاري).

قوله: (عن أبي هريرة). اختُلف في اسمه. وصحَّح النوويُّ أنَّ اسمه:

---

(١) مابينهما ساقط من (ض) و (هـ) و (ط) ومعلَّق في هامش الاصل، وعليه كلمة صح.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٢٧٥٣، ٣٥٢٧، ٤٧٧١) والنسائي في «المجتبى» (٦/ ٢٤٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٠) والدارمي في «السنن» رقم (٢٧٣٥).

(٣) (ط): وفي صحيح.

عبدالرحمن بن صخر؛ كما رواه الحاكم في (المستدرك)، عن أبي هريرة، قال: كان اسمي في الجاهلية: عبد شمس بن صخر، فسُمِّيتُ في الإسلام عبدالرحمن(١).

وروى الدُّولابي بإسناده، عن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ سماه عبدالله.(٢)

وهو دَوْسيٌّ، من فُضلاء الصحابة وحفَّاظهم. حفظ عن النبي ﷺ أكثر مما حفظه غيرُه، مات سنة سبعٍ ـ أو ثمان، أو تسع ـ وخمسين، وهو ابنُ ثمانٍ وسبعين سنة.

قوله: (قام رسولُ الله ﷺ) /. في الصحيح ـ من رواية ابن عباس ـ: صعد رسولُ الله ﷺ على الصفا(٣).

قوله: حين أنزل الله عليه ﴿وَأَنْـذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقربينَ﴾. عشيرةُ الرجل: هم بنو أبيه الأدنون أو قبيلته؛ لأنهم أحقُّ الناس ببرِّك وإحسانك الديني والدنيوي؛ كما قال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهـا الَّـذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُم وأَهْلِيكُم نَاراً وَقُودُها النَّاسُ والحِجَارَةُ﴾. [التحريم: ٦].

وقد أمره الله تعالى أيضاً بالنَّذارة العامة، كما قال تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُم فَهُم غَافِلونَ﴾. [يس: ٦] ﴿وَأَنْـذِرِ النَّاس يَـوْمَ يَأتِيهـمُ العَـذابُ﴾. [إبراهيم: ٤٤].

قوله: «يا معشرَ قريش» المعشر: الجماعة.

قوله: (أو كلمةً نحوها) هو بنصب كلمة؛ عطفاً على ما قبله.

قولـه: «اشـتروا أنفسكم» أي: بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له وحده لا

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (٣/٥٠٦، ٥٠٧).

(٢) الدولابي، «الكنى والاسماء» (١/٧٧). وينظر: أحمد بن حنبل «الأسامي والكنى» (٢٩، ٧٥).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٤٧٧٠) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٠٨) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٣٦٠).

شريك له، وطاعته فيما أمر به والانتهاء عما نهى عنه؛ فإنَّ ذلك هو الذي يُنجي من عذاب الله. لا الاعتماد على الأنساب والأحساب؛ فإنَّ ذلك غيرُ نافعٍ عند رب الأرباب.

قولـه: «لا أُغني عنكم من الله شيئـاً» فيه حجـةٌ على من تعلَّق على الأنبياء والصالحين، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه، أو يدفعوا عنه.

فإنَّ ذلك هو الشركُ الذي حرَّمه الله تعالى، وأقام نبيه ﷺ بالإنذار عنه؛ كما أخبر تعالى عن المشركين، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾. [الزُّمر: ٣] ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾. [يونس: ١٨].

فأبطل الله ذلك، ونزّه نفسه عن هذا[١] الشرك. وسيأتي تقريرُ هذا المقام إن شاء الله تعالى.

وفي (صحيح البخاري): «يا بني عبد مناف، لا أُغني عنكم من الله شيئاً».

قولـه: «يا عبـاسُ بنَ عبـد المـطلب». بنصب ابن، ويجوز في عباس الرفعُ والنصب[٢]، وكذا في قوله: «يا صفيةُ عمَّة رسول الله»، و«يا فاطمة بنتَ محمد».

قوله: «سَليني من ما لي ما شئتِ». بينَّ[٣] ﷺ / أنه لا يُنجي من عذاب الله إلَّا الإيمان، والعمل الصالح. [٦٤/أ]

وفيه: أنه لا يجوزُ أنْ يُسأل العبدُ إلَّا ما يقدر عليه، من أمور الدنيا. وأمَّا الرحمة والمغفرة، والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كلِّ ما لا يقدر عليه إلَّا الله، فلا يجوز أنْ يُطلب إلَّا منه.

فإنَّ ما عند الله لا يُنال إلَّا بتجريد التوحيد، والإخلاص له بما شرعه ورضيه[٤]

---

(١) (ض): هذا، ساقطة.
(٢) (ض): والنصب. ساقطة.
(٣) (ط): بين رسول الله.
(٤) (ط): ورضيه. ساقطة.

لعباده أنْ يتقربوا إليه به[١] .

فإذا كان لا ينفع ابنته وعمَّه وعمَّته وقرابته[٢] إلَّا ذلك، فغيرُهم أولى وأحرى. وفي قصة عمه أبي طالب مُعتبر.

فانظر إلى الواقع[٣] من كثيرٍ من الناس: من الالتجاء إلى الأموات، والتوجُّه إليهم بالرغبات والرهبات. وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، فضلاً عن غيرهم. يتبينُ لك أنهم ليسوا على شيء ﴿إنَّهُم اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أولِيَاءَ مِن دُونِ الله وَيَحْسَبُونَ أنَّهم مُهْتَدُونَ﴾. [الأعراف: ٣٠] .

أظهر لهم الشيطانُ الشرك في قالب محبة الصالحين، وكلُّ صالحٍ يبرأُ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

ولا ريب أنَّ محبة الصالحين: إنما تحصلُ بموافقتهم في الدين، ومتابعتهم في طاعة رب العالمين. لا باتخاذهم أنداداً من دون الله، يُحبونهم كحب الله، إشراكاً بالله وعبادة لغير الله، وعداوةً لله ورسله[٤] والصالحين من عباده؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ الله يَا عيسى ابنَ مَرْيَمَ أأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوني وأُمِّي إلَهيْنِ مِن دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لي أنْ أقُولَ مَا لَيْسَ لي بِحَقٍّ إن كُنْتُ قُلْته فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا في نَفْسِي وَلاَ أعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوب • مَا قُلْتُ لَهُم إلاَّ مَا أمَرْتَنِي بِهِ أنْ اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِم شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِم فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِم وَأنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾. [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

---

(١) (ط): به. ساقطة.

(٢) (ط): ولا عمه ولا عمته ولا قرابته.

(٣) (ط): الواقع الآن.

(٤) (هـ)(ط): ورسوله.

قال العَلَّامة ابنُ القيم في هذه الآية ـ بعد كلام سبق ـ: ثم نفى أنْ يكون قال لهم غيرَ ما أُمر به، وهو محضُ التوحيد؛ فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُم إلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أنِ اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُم﴾ ثم أخبر عن[1] شهادته عليهم مدة مقامه فيهم، وأنه بعد الوفاة لا اطلاع له عليهم، وأنَّ الله عز وجل المنفردُ[2] بعد الوفاة / بالاطلاع عليهم، فقال: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِم شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِم فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِم وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾ وصَفَه[3] سبحانه: بأنَّ شهادته فوق كلِّ شهادة، وأعم. انتهى ملخصاً[4]. [٦٤/ب]

قلتُ: ففي هذا بيانُ أنَّ المشركين خالفوا ما أمرالله به رسله: من توحيده الذي هو دينهم[5]، الذي اتفقوا عليه ودعوا الناس إليه، وفارقوهم فيه إلَّا من آمن.

فكيف يُقال لمن دان بدينهم، وأطاعهم فيما أمروا به من إخلاص العبادة لله وحده: إنه قد تنقَّصهم بهذا التوحيد الذي أطاع به ربه، واتبع[6] فيه رسله عليهم السلام، ونزَّه به ربَّه عن الشرك الذي هو هضمٌ للربوبية، وتنقصٌ للإلهية، وسوءُ ظن برب العالمين؟!.

والمشركون هم أعداءُ الرسل وخصماؤهم في الدنيا والآخرة، وقد شرعوا لأتباعهم أن يتبرؤوا من كلِّ مشرك، ويكفروا به، ويبغضوه ويعادوه في ربهم ومعبودهم: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُم أجْمَعِينَ﴾. [الأنعام: ١٤٩].

---

(١) (ض)(ط): أن.

(٢) (ض)(ط): المتفرد.

(٣) (ط): وصف الله.

(٤) (ض)(هـ)(ط): ملخص. ساقطة.

(٥) (ض): دينه.

(٦) (ض): واشبه.

(١٥)

قول الله تعالى:
﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ .

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُم قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾ . [سبأ: ٢٣].

ش: قولـه: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِم﴾ أي: زال الفـزع عنهـا. قاله ابنُ عباس، وابن عمر، وأبو عبدالرحمن السُّلَمي، والشعبي، [والحسن][١] وغيرهم.

وقال ابنُ جرير: قال بعضهم: الذي فُزِّعَ عن قلوبهم: الملائكة. قالوا: وإنما فُزِّع عن قلوبهم، من غَشْية تصيبهم عند سماعهم كلام الله بالوحي.[٢].

وقال ابنُ عطية: في الكلام حذفٌ يدلُّ عليه الظاهر. كأنه قال: ولا هم شفعاءُ كما تزعمون أنتم، بل هم عَبَدَةٌ مسلمون أبداً[٣]، يعني منقادون[٤]. حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم، والمراد: الملائكة. على ما اختاره ابنُ جرير، وغيره.

قال ابنُ كثير: وهو الحق الذي لا مِرْية فيه؛ لصحة الأحاديث فيه والآثار.[٥]

وقال أبو حيَّان:[٦] تظاهرت الأحاديثُ عن رسول الله ﷺ، أنَّ قوله: ﴿حَتَّى

---

(١) إضافة من (ض) و (هـ) و (ط).
(٢) «تفسير الطبري» (٢٢/ ٩٠).
(٣) (هـ)(ط): لله أبداً.
(٤) (ط): ينقادون.
(٥) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٠٣).
(٦) محمد بن يوسف بن علي الجيَّاني، مفسرٌ نحوي (ت ٧٤٥هـ) «شذرات الذهب» (٦/ ١٤٥).

إذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِم﴾ إنما هي في الملائكة، إذا سمعت الوحيَ إلى جبريل يأمره الله به، سمعت كجرِّ سلسلة الحديد على الصَّفوان، فتفزعُ عند ذلك تعظيماً وهيبة.

[٦٥/أ] قال: / وبهذا المعنى - مِنْ ذكر الملائكة في صدر الآية - تتَّسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أنَّ الملائكة مشارُ إليهم من أوَّل قوله: ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها.

قوله: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُم﴾ ولم يقولوا: ماذا خلق ربنا[١]؟ ولو كان كلامُ الله مخلوقاً، لقالوا: ماذا خلق؟! انتهى. من (شرح سُنن ابن ماجة).

ومثلُه الحديث «ماذا قال ربنا يا جبريل؟»[٢] وأمثالُ هذا في الكتاب والسنة كثير.

وقوله: ﴿قَالُوا الحَقَّ﴾ أي: قالوا:[٣] قال الله الحق. وذلك لأنهم إذا سمعوا كلامَ الله صُعقوا، ثم [إذا][٤] أفاقوا أخذوا يسألون، فيقولون: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق.

قوله: ﴿وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾. علوُّ القدر وعلوُّ القهر وعلو الذات، فله العلوُّ الكامل من جميع الوجوه؛ كما قال عبدُ الله بن المبارك - لما قيل له: بماذا نعرفُ ربَّنا؟. قال: بأنه على عرشه، بائنٌ من خلقه. تمسكاً منه بالقرآن، لقول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾. [طه: ٥] ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾. [الفرقان: ٥٩] في سبعة مواضع في[٥] القرآن.

قوله: ﴿الكَبِيرُ﴾. الذي[٦] لا أكبر منه ولا أعظم، تبارك[٧] وتعالى.

---

(١) (ض): ربكم.
(٢) قطعةٌ من حديث النواس بن سمعان، سيأتي قريبا.
(٣) (ط): قالوا. ساقطة.
(٤) ساقطٌ من الأصل و (ض) و (هـ).
(٥) (ض)(هـ)(ط): من.
(٦) (هـ)(ط): أي الذي.
(٧) (هـ)(ط): منه تبارك.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيحِ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إذا قضَى اللهُ الأمرَ في السماء ضَربت الملائكةُ بأجنحتها خَضَعاناً لقوله، كأنه سلسلةٌ على صفوان، يَنْفُذُهم ذلك، حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم. قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحقَّ وهو العليُّ الكبير، فيسمعها مُسترقُ السمع ـ ومسترقُ السمع هكذا بعضُه فوق بعض، وصَفَه سفيانُ بكَفه فحرَّفها وبدَّد بين أصابعه ـ، فيسمعُ الكلمةَ فيلقيها إلى مَن تحته، ثم يُلقيها الآخرُ إلى من تحته، حتى يُلقيها على لسان الساحر أو الكاهن. فربما أدركه الشِّهابُ قبل أنْ يلقيها، وربما ألقاها قبل أنْ يُدركه، فيكذبُ معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء»[1].

ش: قوله: (في الصحيح) ـ أي: (صحيح البخاري).

قوله: «إذا قضى الله الأمر في السماء» أي: إذا تكلَّم الله بالأمر الذي يوحيه إلى جبرائيل، بما أراده؛ كما صرَّح به في الحديث الآتي.

وكما روى سعيدُ بن منصور، وأبو داود، وابنُ جرير، عن ابن مسعود «إذا تكلَّم الله بالوحي سمع أهلُ السموات صلصلة كجرِّ السلسلة على الصفوان»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١)، والترمذي في «الجامع» رقم (٣٢٢١) وابن ماجة في السنن» رقم (١٨٢)، وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» رقم (٢١٢) وابن منده في «الإيمان» رقم (٧٠٠) والطبري في «التفسير» (٢٢/ ٩١).

(٢) سعيد بن منصور، كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٩) وأبوداود في «السنن» رقم (٤٧٣٨) وابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٢/ ٩٠)، وأخرجه البخاري في «الصحيح» تعليقا: «فتح الباري» (١٣/ ٤٥٢) وفي «خلق أفعال العباد» (/١٩٣) وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» رقم (٢٠٧ ـ ٢١١) واللالكائي في «الاعتقاد» (١/ ٣٣٥) وعبدالله بن أحمد بن حنبل في «كتاب السنة» رقم (٥٣٧) والآجري في «الشريعة» =

وروى ابنُ أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس، قال: لما أوحى الجبارُ إلى محمد ﷺ دعا الرسولَ من الملائكة ليبعثه بالوحي. فسمعت الملائكةُ صوت الجبار يتكلم بالوحي، فلما كشف عن قلوبهم، سألوا عما قال الله؟ فقالوا: الحق، وعلموا أنَّ الله لا يقول / إلَّا حقاً.[1]

قوله: «ضربت الملائكةُ بأجنحتها خَضَعاناً لقوله» أي: لقول الله تعالى.

قال الحافظ: خَضَعاناً. بفتحتين، من الخضوع. وفي رواية: بضمٍّ أوله وسكون ثانية، وهو مصدرٌ بمعنى خاضعين.[2]

قوله: «كأنه سلسلةٌ على صفوان» أي: كأن الصوت المسموع سلسلةٌ على صفوان، وهو الحجرُ الأملس.

قوله: «يَنْفُذُهم ذلك» هو: بفتح التحتية، وسكون النون، وضم الفاء والذال المعجمة. ذلك. أي: القول. والضمير في: ينفُذُهم. للملائكة، أي: ينفذُ ذلك القولُ الملائكة: أي: يخلص ذلك القول، ويمضي فيهم حتى يفزعوا منه.

وعند ابن مردويه، من حديث ابن عباس «فلا ينزل على أهل سماء إلَّا صُعقوا»[3].

وعند أبي داود، وغيره مرفوعاً «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهلُ السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل» الحديث.[4]

= (٢٩٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠١) وعبد بن حُميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/٦٩٩).

(١) ابن أبي حاتم، وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٦/٦٩٧).

(٢) ابن حجر، «فتح الباري» (٨/٥٣٨).

(٣) ابن مردويه، كما في «فتح الباري» (٨/٥٣٨).

(٤) مضى تخريجه.

قوله: «حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم» تقدم معناه.

قوله: «قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق» أي: قالوا: قال الله الحق، علموا أنَّه[١] لا يقول إلَّا الحق.

قوله: «فيسمعها مسترقُ السمع» أي: يسمع الكلمة التي قضاها الله، وهم الشياطين يركب بعضهم بعضاً.

وفي (صحيح البخاري)، عن عائشة مرفوعاً «إنَّ الملائكة تنزلُ في العَنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الأمرَ قُضِي في السماء، فتسترقُ الشياطين السمع، فتوحيه إلى الكُهَّان»[٢].

قوله: (ومسترق السمع، هكذا وصفه سفيانُ بكفه). أي: وصف ركوبَ بعضهم فوق بعض.

وسُفيان: هو ابنُ عيينة، أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي، ثقةٌ حافظ، فقيه إمامٌ حجة. مات سنة ثمانٍ وتسعين ومائة، وله إحدى وتسعون سنة.

قوله: (فحرَّفها). بحاءٍ مهملة، وراء مشدَّدة، وفاء.

قوله: (وبدَّد). أي: فرَّق بين أصابعه.

قوله: «فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته» أي: يسمع الفوقانيُّ الكلمة، فيُلقيها إلى آخر تحته، ثم يلقيها إلى من تحته، حتى يُلقيها على لسان الساحر أو الكاهن.

قوله: «فربما أدركه الشهابُ قبل أن يلقيها» الشهاب: هو النجم الذي

---

(١) (هـ)(ط): ان الله.

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (٣٢١٠، ٣٢٨٨، ٥٧٦٢، ٦٢١٣، ٧٥٦١).

يُرمى(١). أي: ربما أدرك الشهابُ المسترِقَ.

[٦٦/أ] وهذا / يدلُّ على أنَّ الرمي بالشُّهب كان(٢) قبل المبعث؛ لما روى أحمدُ، وغيره - والسياق له في (المسند)، من طريق مَعْمر -: أنبأنا الزهري، عن علي بن حسين، عن ابن عباس، قال: كان رسولُ الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه - قال عبدُ الرزاق: من الأنصار - قال: فرُمي بنجمٍ عظيم، فاستنار، قال: «ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟» قال: كنا نقول: لعلَّه(٣) يولد عظيم أو يموت عظيم - قلتُ للزهري: أكان يُرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكن غلظت حين بُعث النبي ﷺ - [قال]:(٤) «فإنه(٥) لا يُرمى بها لموت أحد، ولا لحياته. ولكن ربنا تبارك اسمه: إذا قضى أمراً سبَّح حملةُ العرش، ثم سبح أهلُ السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا. ثم يستخبر أهلُ السماء الذين يلون حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهلُ كل سماء سماءً، حتى ينتهي الخبرُ إلى هذه السماء، ويخطفُ الجنُّ السمعَ فيُرمون. فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يَقْرِفون فيه ويزيدون». قال عبدُ الله: قال أبي، قال عبدالرزاق «ويخطف الجنُّ ويُرمون» وفي رواية له «لكنهم يزيدون فيه، ويقرفون وينقصون»(٦)

---

(١) (هـ)(ط): يرمى به.

(٢) (ط): كان. ساقطة.

(٣) كلمة: لعله. ليست في النسختين المطبوعتين من «المسند».

(٤) إضافةٌ من (هـ) و (ط) «والمسند» (ط. المعارف ٣/٢٦٨).

(٥) الأصل و (هـ) و (ط): فإنها. «والمثبت» من (ض) «والمسند».

(٦) أحمد في «المسند» (١/٢١٨)، وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٢٩) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٢٢٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/١٤٣) والبيهقي في «الدلائل» (٢/٢٣٦) وعبدالرزاق، والنسائي وعبد بن حُميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٦/٦٩٧).

قوله : «فيكذب معها مائة كذبة» أي : الكاهن ، أو الساحر.

و كذْبة. بفتح الكاف، وسكون الذال المعجمة.

قوله : «فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كِذا وكذا» هكذا في نسخةٍ بخط المصنف رحمه الله، كالذي في (صحيح البخاري) سواء.

قال المُصنِّفُ: وفيه: قبولُ النفوس للباطل. يتعلَّقون[1] بواحدة، ولا يعتبرون بمائة.[2]

وفيه: أنَّ الشيء إذا كان فيه شيءٌ من الحق، فلا يدلُّ على أنه حقٌّ كلُّه. فكثيراً ما يلبس أهلُ الضلال الحقَّ بالباطل، ليكون أقبل لباطلهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾. [البقرة: ٤٢].

وفي هذه الأحاديث وما بعدها، وما في معناها: إثباتُ علو الله تعالى على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته،[3] وأنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء بكلام يسمعه الملائكة / . وهذا قول أهل السنة قاطبة سلفاً وخلفاً، خلافاً للأشاعرة والجهمية، [٦٦/ب] ونُفاة المعتزلة. فإياك أنْ تلتفت إلى ما زخرفة أهلُ التعطيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن النوّاس بن سِمعان، قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أراد الله تعالى أنْ يُوحي بالأمر تكلَّم بالوحي، أخذت السمواتِ منه رَجفةٌ ـ أو قال رَعدةٌ ـ شديدةٌ، خوفاً من الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهلُ السموات صُعقوا وخرُّوا لله سجّداً. فيكون أوَّلَ من يرفع

---

(١) (ط): كيف يتعلقون.

(٢) المسألة الثامنة عشرة.

(٣) وعظمته. ليست في (ض).

رأسه جبريلُ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرّ جبريل على الملائكة، كلَّما مرَّ بسماءٍ سأله ملائكتُها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق، وهو العليُّ الكبير. فيقولون كلُّهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريلُ بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل».

ش: هذا الحديث: رواه ابنُ أبي حاتم، بسنده، كما ذكره العمادُ ابن كثير في (تفسيره). [١].

النَّواسُ بن سِمْعان ـ بكسر السين ـ بن خالد الكلابي، ويقال: الأنصاري، صحابي. ويقال: إنَّ أباه صحابيٌّ أيضاً.

قوله: «إذا أراد الله أنْ يُوحي بالأمر» إلى آخره، فيه: النصُّ على أنَّ الله تعالى يتكلَّم بالوحي. وهذا من حجة أهل السنة ـ على النفاة ـ لقولهم: لم يزل الله متكلماً إذا شاء.

قوله: «أخذت السمواتِ منه رجفةٌ» السموات مفعول مقدَّم، والفاعل رجفة، أي: أصاب السموات من كلامه تعالى رجفة، أي: ارتجفت.

وهو صريحٌ في أنها تسمع كلامه تعالى؛ كما روى ابنُ أبي حاتم، عن عكرمة، قال: إذا قضى الله أمراً تكلَّم تبارك وتعالى، رجفت السموات والأرض والجبال، وخرَّت الملائكة كلُّهم سجداً[٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/٥٠٤)، وأخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٢/٩١) ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» رقم (٢٠٦) وأبو زرعة في «تأريخه» (١/٦٢١) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٥) والآجري في «الشريعة» (٢٩٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٢) والطبراني كما في «فتح الباري» (٨/٥٣٨) وابن مردويه وأبو الشيخ في «العظمة» كما في «الدر المنثور» (٦/٦٩٨).

(٢) ابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٦/٧٠٠).

قوله: أو قال: «رَعدةٌ شديدة». شكٌّ من الراوي. هل قال النبي ﷺ رجفة، أو قال: رعدة. والراء مفتوحة فيهما.

قوله: «خوفاً من الله عز وجل» وهذا ظاهرٌ في أنَّ السموات تخاف الله، بما يجعل الله تعالى فيها من الإحساس، ومعرفة مَن خَلَقها.

وقد أخبر تعالى: أنَّ هذه المخلوقات العظيمة تُسبِّحهُ؛ كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّموَاتُ السَّبْعُ وَالأرْضُ وَمَنْ فِيهنَّ وَإنْ مِن شيءٍ إلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَا تَفْقَهُونَ تَسْبيحَهُم إنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾. [الإسراء: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأرْضُ وتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠]، وقال تعالى/ [٦٧/]: ﴿وإنَّ منها لَما يهبطُ من خشية الله﴾. [البقرة: ٧٤].

وقد قرَّر العلَّامة ابن القيم رحمه الله: أن هذه المخلوقات، تسبح الله وتخشاه حقيقة، واحتج[1] بهذه الآيات ونحوها[2].

وفي البخاري: عن ابن مسعود، قال: كنا نسمعُ تسبيحَ الطعام، وهو يُؤكل.[3]

وفي حديث أبي ذر: أنَّ النبي ﷺ أخذ في يده حصياتٍ، فسُمع لهن تسبيح. الحديث.[4]

---

(١) (هـ)(ط): مستدلاً.

(٢) (هـ)(ط): ومافي معنا ها.

(٣) البخاري في «الصحيح» رقم (٣٥٧٩)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٦٠).

(٤) أخرجه البزار في «المسند» رقم (٢٤١٣، ٢٤١٤) (كشف) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٩٩): رجال أحدهما ثقات، وفي بعضهم ضعف، وقال (٥/ ١٧٩): وإسناده صحيح. وأبو نعيم في «الدلائل» رقم (٣٣٩) والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٦٤) والتيمي في «الدلائل» رقم (٢٩٦) والطبراني في «الأوسط» في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٩٩) قال ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٥٩٢): ليس له الا هذه الطريق =

وفي الصحيح : قصةُ حَنين الجِذْع ، الذي كان يخطبُ عليه النبيُّ ﷺ قبل اتخاذ المنبر[١] . ومثلُ هذا كثير.

وقوله : «صُعقوا وخرُّوا لله سجداً» الصَّعق[٢] : هو الغشي ، ومعه السجود.

وقوله : «فيكون أوَّلَ من يرفع رأسه جبريل» بفتح[٣] أول ؛ خبر يكون تقدم[٤] على اسمها . ويجوز العكس.

ومعنى جبريل : عبدالله ؛ كما روى ابنُ جرير، وغيره، عن علي بن حسين، قال : كان اسم جبريل : عبدالله ، واسم ميكائيل : عُبيد الله ، وإسرافيل : عبدالرحمن . وكلُّ شيءٍ رجع إلى إيل ، فهو مُعبَّدٌ لله عز وجل .[٥]

وفيه : فضيلةُ جبريل عليه السلام ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ • ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ • مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ . [التكوير: ١٩ - ٢١].

= الواحدة مع ضعفها. وأخرجه من طريق آخر: أبو نعيم في «الدلائل» رقم (٣٣٨)، ومن طريق ثالث أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (١٧٩/٥) وقال: وفيه محمد بن أبي حُميد، وهو ضعيف.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٥٨٣) والترمذي في «الجامع» رقم (٥٠٥) من حديث ابن عمر، وأخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٥٨٤، ٣٥٨٥) والنسائي في «المجتبى» (١٠٢/٣) وابن ماجة في «السنن» رقم (١٤١٧) وأحمد في «المسند» (٢٩٣/٣ ، ٢٩٥، ٣٠٦، ٣٢٤) من حديث جابر بن عبدالله .

(٢) (هـ)(ط): الصعوق.

(٣) (ط): بنصب.

(٤) (هـ)(ط): مقدم.

(٥) ابن جرير الطبري في «التفسير» (٤٣٧/١)، وأخرجه أبو الشيخ في «كتاب العظمة» رقم (٣٨٢) وله شاهدٌ عن عكرمة: ذكره البخاري في الصحيح «فتح الباري» (١٦٥/٨)، وأخرجه الطبري في «التفسير» (٤٣٧/١) موصولا .

قال ابنُ كثير رحمه الله : إنه[١] لَتبليغُ رسولٍ كريم .[٢]

قال أبو صالح[٣] ـ في الآية ـ قال : جبريلُ يدخلُ في سبعين حجاباً من نور، بغير إذن .[٤]

ولأحمد ـ بإسنادٍ صحيح ـ عن ابن مسعود، قال : رأى رسولُ الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كلُّ جناح قد سدَّ الأفق. يسقطُ من جناحه من التهاويل[٥] والدر والياقوت، ما الله به عليم .[٦]

فإذا كان هذا عِظم هذه المخلوقات، فخالقها أعظمُ وأجلُّ وأكبر. فكيف يسوّى به غيره في العبادة : دعاءً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً، وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها غيره؟ فانظر إلى حال الملائكة وشدة خوفهم من الله تعالى، وقد قال تعالى : ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُون • لاَ يَسْبِقُونَهُ بالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ • يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم وَمَا خَلْفَهُم وَلاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِن خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ • وَمَن يَقُلْ مِنْهُم إنِّي إلهٌ مِن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ . [الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٩].

---

(١) (ط) : إن هذا القرآن .

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/٣٦١) .

(٣) ميزان البصري، مشهور بكنيته، من تلاميذ ابن عباس، مقبول . «تقريب» (٥٥٥) .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٣٠/٨٠) .

(٥) التهاويل : واحدُها تَهْوَال، وهي الأشياء المختلفة الألوان، التي تهول الانسان وتحيره «النهاية» (٥/٢٨٣) .

(٦) أحمد في «المسند» (١/٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٧، ٤١٢، ٤٦٠)، وأخرجه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» رقم (٢٩١، ٢٩٦، ٢٩٩) وابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٧/٤٩) وأبويعلى في «المسند» رقم (٤٩٩٣) والبيهقي في «الدلائل» (٢/٣٧٢) وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٥٠٢) قال الحافظ ابن كثير في «التفسير» (٧/٤٢٧) : إسنادُه حسن، وأصلُ الحديث : عند البخاري في «الصحيح» رقم (٤٨٥٦) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٨٢) .

قولـه: «فينتهي جبريلُ / بالـوحي إلى حيثُ أمره الله عز وجل» «من السماء والأرض» وهذا تمامُ الحديث.

والآياتُ المذكورة في هذا الباب، والأحاديث: تُقرِّرُ التوحيدَ، الذي هو مدلولُ شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله.

فإنَّ الملك العظيم، الذي تُصعق الأملاك من كلامه خوفاً منه ومهابة، وترجُف منه المخلوقات. الكامل في ذاته وصفاته، وعلمه وقدرته، وملكه وعِزِّه وغناه عن جميع خلقـه، وافتقـارهم جميعهم[1] إليه، ونفـوذ قَدَره وتصرفـه فيهم لعلمـه[2] وحكمته: لا[3] يجوز شرعاً ولا عقلاً، أنْ يُجعل له شريكٌ من خلقه في العبادة[4] التي هي حقه عليهم.

فكيف يُجعـل المربـوب ربـاً، والعبد معبوداً؟ أين ذهبت عقولُ المشركين؟! سبحان الله عمَّا يشركون.

وقال تعالى: ﴿إنْ كُلُّ مَنْ في السَّمواتِ وَالأَرْضِ إلاَّ آتي الرَّحْمنِ عَبْداً • لَقَدْ أَحْصَاهُم وَعَدَّهُم عَدّاً • وَكُلُّهُم آتِيه يَوْمَ القِيامَةِ فَرْداً﴾. [مريم: ٩٣-٩٥].

فإذا كان الجميع عبيداً: فَلِمَ يَعبـدُ بعضهم بعضاً بلا دليل ولا برهان، بل بمجرَّد الرأي والاختراع والابتداع؟! ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم، تزجرهم عن ذلك الشرك، وتنهاهم عن عبادة ما سوى الله. (انتهى من شرح سُنن ابن ماجة).

---

(١) (ط): جميعا.

(٢) (ض): بعلمه.

(٣) الأصل و (ض): فلا.

(٤) (هـ)(ط): في عبادته.

(١٦)
بــاب الشفاعــة

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ الشفاعة.

ش: أي: بيانُ ما أثبته القرآن منها وما نفاه، وحقيقةُ ما دلَّ القرآنُ على إثباته.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أن يُحْشَرُوا إلى رَبِّهم لَيْسَ لَهُمْ مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾. [الأنعام: ٥١].

ش: الإنذار: هو الإعلامُ بأسباب المخافة، والتحذيرُ منها.

قوله: به. قال ابنُ عباس: بالقرآن، ﴿الَّذينَ يَخافُونَ أنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِهم﴾ وهم المؤمنون.

وعن الفُضَيل بن عياض: ليس كلَّ خلْقه عاتَب، إنما عاتب الذين يعقلون، فقال: ﴿وأَنْذِر بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أن يُحْشَرُوا إلى رَبِّهم﴾ أي: [١] وهم المؤمنون، أصحاب القلوب الواعية.

قوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِن دُونه وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ قال الزَّجّاج: موضع ليس: نُصب على الحال، كأنه قال: متخلِّين، من وليّ[٢] وشفيع. والعاملُ فيه: يخافون.

قوله: ﴿لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ أي: فيعملون في هذه الدار عملاً، ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة.

---

(١) (ط): أي. ساقطة.

(٢) (ط): كل ولي.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِه: ﴿قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جَميعاً﴾.

ش: وقبلها ﴿أمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ الله شُفَعَاءَ / قُلْ أوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَ يَعقِلُونَ﴾. [الزمر: ٤٣]. وهذه الآية، كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لاَ يَضرُّهُم وَلاَ يَنْفَعُهُم وَيَقُولُونَ هؤلاء شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ الله قُلْ أَتُنَبِّئُونَ الله بِمَا لاَ يَعْلَمُ في السَّمَوَاتِ وَلاَ في الأرضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عَمَّا يُشرِكونَ﴾. [يونس: ١٨] فبيَّن تعالى في هذه الآيات، وأمثالها: أنَّ وقوع الشفاعة على هذا الوجه، منتفٍ وممتنع. [٦٨/أ]

وأنَّ اتخـاذهم شفعاء شركٌ، يتنزّه الرب تعالى عنه. وقد قال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَصرَهُم الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ الله قُرْبَاناً آلهِةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُم وَذَلِكَ إفْكُهُم وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾. [الأحقاف: ٢٨] فبيَّن تعالى: أنَّ دعواهم أنهم يشفعون لهم بتألُّهِهم، أنَّ ذلك منهم إفكٌ وافتراء.

وقوله: ﴿قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جميعاً﴾ أي: هو مالكها، وليس[1] لمن تُطلب منه شيءٌ منها، وإنما تُطلب ممن يملكُها دون كلِّ ما[2] سواه؛ لأن ذلك عبادةٌ، وتألُّه[3] لا يصلُح إلَّا لله.

قال البيضاوي: لعله ردٌّ لما عسى أنْ يُجيبوا به، وهو أنَّ الشفعاء أشخاصٌ مقربون.

وقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأرضِ﴾ تقريرٌ لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه؛ لأنه مالكُ ا لملك، فاندرج في ذلك ملكُ الشفاعة. فإذا كان هو مالكها، بطَل أنْ

---

(١) (هـ)(ط): فليس.

(٢) (هـ)(ط): من.

(٣) (ط): تأليه.

تُطلب ممن لا يملكها ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفعُ عِنْدَهُ إلَّا بإذْنِهِ﴾، ﴿ولَا يَشْفَعُونَ إلَّا لمن ارْتَضى﴾. [الأنبياء: ٢٨].

قال ابنُ جرير: نزلت لما قال الكفار: ما نعبدُ أوثاننا هذه، إلَّا ليقربونا إلى الله زُلفى. قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ والأرضِ ثُمَّ إليْه تُرْجَعُونَ﴾[١] [الزُّمر: ٤٤].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِه: ﴿مَن ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلَّا بإذنِهِ﴾. [البقرة: ٢٥٥].

ش: قد تبيَّن مما تقدم من الآيات: أنَّ الشفاعة التي نفاها القرآن، هي التي تُطلب من غير الله.

وفي هذه الآية: بيانُ أنَّ الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلَّا مَن أذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِي لَهُ قَوْلاً﴾. [طه: ١٠٩].

فبيَّن أنها لا تقع لأحدٍ، إلَّا بشرطين: إذنُ الرب تعالى للشافع أنْ يشفع، ورضاهُ عن المأذون بالشفاعة فيه. وهو تعالى لا يرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، إلَّا ما أُريد به وجهه، ولقي العبدُ به[٢] مخلصاً غيرَ شاكّ في ذلك؛ كما دلَّ على ذلك الحديثُ الصحيح[٣]. وسيأتي ذلك مقرراً، في كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى. / [١٨]

---

(١) ابن جرير، «التفسير» (٥/٣٩٥).

(٢) (ض)(هـ): به ربه.

(٣) ثبت هذا المعنى، في أحاديث كثيرة: منها حديث أبي هريرة، عند مسلم في «الصحيح» رقم (١٩٠٥)، وحديث أبي موسى الأشعري رقم (١٩٠٤) وفيه «من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله».

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغني شَفَاعَتُهُم شيئاً إلَّا مِن بَعْدِ أن يَأذَنَ الله لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾. [النجم: ٢٦].

ش: قال ابنُ كثير: ﴿وَكَمْ مِن مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهم شيئاًإلَّا مِن بَعْدِ أنْ يَأذَنَ الله لِمَنْ يَشَآءُ وَيَرْضَىٰ﴾ كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلَّا بإذْنِهِ﴾، ﴿وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلَّا لِمَنْ أذِن لَهُ﴾ فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعةَ هذه الأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها، ولا أذن فيها. بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟[١]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِين زَعَمْتُم مِن دُونِ الله لا يَملكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّموات وَلاَ فِي الأرض وَمَالهم فيهما مِن شِركٍ، وَمَا لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ ● وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدهُ إلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ﴾. [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

ش: قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى، في الكلام على هذه الآيات: وقد قطع الله الأسباب التي يتعلَّق بها المشركون جميعها. فالمشرك إنما يتخذ معبودَه لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلَّا ممن فيه خصلةٌ من هذه الأربع: إمَّا مالكٌ لما يريدُه[٢] عابدُه منه، فإنْ لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإنْ لم يكن شريكاً له كان مُعيناً له وظهيراً، فإنْ لم يكن مُعيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٣٤).

(٢) (ض)(ط): يريد.

فنفى سبحانه المراتبَ الأربع نفياً مُرتباً، منتقلاً[١] من الأعلى إلى الأدنى. فنفى الملكَ والشركة، والمظاهرة والشفاعة التي يطلُبها المشرك. وأثبت شفاعةً لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعةُ بإذنه.

فكفى بهذه الآية: نوراً وبرهاناً، وتجريداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك وموادّه لمن عقلها.

والقرآنُ مملوءٌ من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له. ويظنه[٢] في نوعٍ وقومٍ قد خَلوا من قبلُ، ولم يُعقبوا وارثاً. وهذا[٣] هو الذي يحولُ بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله، إنْ كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلُهم أو شرٌّ منهم، أو دونهم. وتناولُ القرآن لهم كتناوله لأولئك[٤].

ثم قال: ومن نوعه[٥] ـ أي: الشرك ـ طلبُ الحوائج من الموتى، والاستغاثةُ بهم.

وهذا أصلُ شرك العالم؛ فإنَّ الميت قد انقطع عمله، وهو لا[٦] يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً لمن[٧] استغاث به وسأله[٨] أن يشفع له إلى الله. وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده. فإنَّه لا يقدر أنْ يشفع له عند الله إلَّا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه وإنما السبب كمالُ التوحيد. فجاء هذا المشركُ بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها. وهذه حالةُ[٩] كلِّ مشرك.

(١) (ض)(ط): متنقلاً.
(٢) (ط): ويظنونها.
(٣) (ط): فهذا.
(٤) ابن القيم، «مدارج السالكين» (١/٣٤٣).
(٥) (ض)(هـ)(ط): أنواعه.
(٦) (ط): ولا.
(٧) (ط): عمن.
(٨) (ض): عن الاستقامة به وسؤاله.
(٩) (ض): هذا حال.

فجمعوا: بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات. وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوابه غاية التنقص؛ إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه. وهؤلاء هم أعداءُ الرسل في كلِّ زمانٍ ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم.

وما نجا من شَـرَكِ هذا الشرك الأكبر إلَّا من جَرَّد توحيدَه لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحدَه وليّه وإلهه ومعبوده.

فجرَّد حُبَّه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكُّله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وقصده لله. متبعاً لأمره، مُتطلِّباً لمرضاته. إذا سأل سأل الله، وإذا استعـان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله. فهو لله، وبالله، ومع الله. انتهى كلامه رحمه الله[1].

وهـذا الذي ذكره هذا الإمام[2]: هو حقيقةُ دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ الله إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾. [النساء: ١٢٥].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال أبو العباس: نفى الله عمَّا سواه، كلَّ ما يتعلق به المشركون. فنفى أنْ يكون لغيره مِلكٌ أو قسطٌ منه، أو يكون عوناً لله. ولم[3] يبقَ إلَّا الشفاعة، فبيَّن أنها لا تنفعُ إلَّا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾. [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعةُ التي يظنها / المشركون: هي مُنتفيةٌ يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبيُّ ﷺ: أنه يأتي فيسجدُ لربه ويحمَدُه. لا يبدأ بالشفاعة [ب]

(١) ابن القيم، «مدارج السالكين» (١/٣٤٦) وينظر: «الصواعق المرسلة» (١/٩٤).
(٢) (هـ)(ط): الامام في معنى هذه الآية. (٣) (هـ)(ط): فلم.

أولاً، ثم يقال له: «ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعط واشفع تُشفَّع»[١].

وقال له أبو هريرة: من أسعدُ الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»[٢] فتلك الشفاعةُ لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقتُه:[٣] أنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضَّل على أهل الإخلاص، فيغفرُ لهم بواسطة دعاء من أُذِن له أنْ يشفع، ليُكرمَه وينال المقام المحمود. فالشفاعةُ التي نفاها القرآن: ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعةَ بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أنها لا تكون إلَّا لأهل التوحيد والإخلاص[٤].

ش: قوله: (قال أبو العباس): هو[٥] كُنيةُ شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، إمام المسلمين رحمه الله.

قوله: (وقال له أبو هريرة) إلى آخره. هذا الحديث رواه البخاري، والنسائي، عن أبي هريرة[٦].

---

(١) قطعةٌ من حديث الشفاعة الطويل: أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٣٤٠، ٣٣٦١، ٤٧١٢) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٩٤) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٤٣٦) وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٣٥) من حديث أبي هريرة.

(٢) سيأتي تخريجه بعد قليل.

(٣) (ض)(ط): وحقيقتها.

(٤) (ض)(هـ): والاخلاص. انتهى. (ط) والاخلاص انتهى كلامه. ابن تيمية، «الكلام على حقيقة الإسلام» (١١٩ ـ ١٢١).

(٥) (ط): هذه.

(٦) البخاري في «الصحيح» رقم (٩٩، ٦٥٧٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» في كتاب «العلم» كما في «تحفة الأشراف» (٩/ ٤٨٣)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٧٣).

ورواه أحمدُ، وصححه ابنُ حبان، وفيه: «وشفاعتي لمن قال: لا إله إلاَّ الله مخلصاً، يُصدِّقُ قلبُه لسانَه، ولسانه قلبه»[١].

وشاهدُه في (صحيح مسلم)، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «لكل نبيٍ دعوةٌ مُستجابة، فتعجَّل كلُّ نبي دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إنْ شاء الله من مات لا يُشرك بالله شيئاً»[٢].

وقد ساق الـمُصنِّفُ رحمه الله كلام شيخ الإسلام هنا،[٣] فقام مقام الشرح والتفسير لما في هذا[٤] الباب من الآيات. وهو كافٍ وافٍ، بتحقيق مع الإيجاز. والله أعلم.

وقد عَرَّف الإخلاص بتعريفٍ حسن، فقال: الإخلاصُ:[٥] محبَّةُ الله وحده، وإرادةُ وجهه.[٦]

وقال ابنُ القيم رحمه الله ـ في معنى حديث أبي هريرة ـ: تأمل هذا الحديث كيف جعـل الأسباب[٧] التي تُنال بها شفاعته: تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أنَّ الشفاعة تُنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم. فقلَب النبيُّ ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أنَّ سبب الشفاعة تجريدُ التوحيد، فحينئذ يأذن / [٧/أ] الله للشافع أن يشفع.

ومن جهْل المشرك اعتقادُه أنَّ من اتخذه ولياً أو شفيعاً، أنه يشفعُ له وينفعه عند

---

(١) أحمد في «المسند» (٢/٣٠٧) وابن حبان في «الصحيح» (٨/١٣١).

(٢) مسلم في «الصحيح» رقم (١٩٩)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٢٧٥).

(٣) (ض): هنا. ساقطة.

(٤) (ض): هذا. ساقطة.

(٥) (ض): فقال الاخلاص. ساقط.

(٦) (ط): وجهه. انتهى. وينظر: ابن القيم «مدارج السالكين» (٢/٨٩).

(٧) (ض)(هـ)(ط): أعظم الأسباب.

الله، كما يكون خواصُّ الملوك والولاة تنفع مَن والاهم.

ولم يعلموا أنه لا يشفعُ عنده أحدٌ إلَّا بإذنه[١]، ولا يأذن في الشفاعة إلَّا لمن رضي قوله وعمله؛ كما قال في الفصل الأول: ﴿مَن ذا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلَّا بِإذْنِهِ﴾ وفي الفصل الثاني: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ﴾ وبقي فصلٌ ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلَّا توحيدَه واتباع رسوله ﷺ. فهذه ثلاثةُ فصول، تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها[٢]. انتهى[٣].

وذكر أيضاً رحمه الله: أنَّ الشفاعة ستةُ أنواعٍ:

الأول: الشفاعةُ الكبرى، التي يتأخَّرُ عنها أُولو العزم عليهم الصلاة والسلام، حتى تنتهي إليه ﷺ، فيقول: أنا لها[٤]. وذلك حين يرغبُ الخلائقُ إلى الأنبياء، ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يُريحهم من مقامهم في الموقف. وهذه شفاعةٌ يختصُّ بها، لا يَشْرَكه فيها أحد.

الثاني: شفاعتُه لأهل الجنة، في دخولها. وقد ذكرها أبوهريرة، في حديثه الطويل المتفق عليه.[٥]

الثالث: شفاعتُه لقومٍ من العُصاة من أمته، قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفعُ لهم أن لا يدخلوها.

الرابع: شفاعتُه في العُصاة من أهل التوحيد، الذين يدخلون النار بذنوبهم. والأحاديثُ بها متواترة عن النبي ﷺ، وقد أجمع عليها الصحابةُ وأهلُ السنة

---

(١) (هـ)(ط): بإذنه في الشفاعة.

(٢) (هـ)(ط): من عقلها ورعاها.

(٣) ابن القيم «مدارج السالكين» (١/٣٤١)، وينظر: «اغاثة اللهفان» (١/٢٣٨).

(٤) قطعةٌ من حديث طويل: أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٧٥١٠) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٩٣) من حديث أنس.

(٥) مضى تخريجه قريبا.

قاطبة، وبدَّعوا من أنكرها، وصاحوا به من كلِّ جانب، ونادوا عليه بالضلال.

الخامس: شفاعتُه لقومٍ من أهل الجنة، في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم. وهذه مما لم يُنازع فيها أحد.

(١)وكلها مختصةٌ بأهل الإخلاص، الذين لم يتخذوا من دون الله ولياً ولا شفيعاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِّهِم لَيْس لَهُمْ مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾(١). [الأنعام: ٥١].

السادس: شفاعتُه في بعض الكُفَّار(٢) من أهل النار، حتى يُخَفَّف عذابه. وهذه خاصةٌ بأبي طالب وحده.

---

(١) مابينهما ساقطٌ من (ض). ومعلَّق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٢) (هـ)(ط): أهله الكفار.

(١٧)
بـــاب

قول الله تعالى:
﴿ إنك لا تهـدي من أحـببت ولكن الـلـه يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتديـن ﴾

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. [القصص: ٥٦].

ش: سببُ نزول هذه الآية: موتُ أبي طالب على مِلَّة عبد المطلب، كما يأتي[١] بيانُ ذلك في حديث الباب.

قال ابنُ كثير: يقول تعالى لرسوله: إنك يا محمد «لا تَهْدي من أَحْبَبتَ» أي: ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يهدي / من يشاء، وله الحكمةُ البالغة، [٧٠/ب] والحجـة الـدامغـة؛ كما قال تعالى: ﴿لَيس عَلَيْكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَنْ يَشَـآءُ﴾. [البقـرة: ٢٧٢] وقـال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَـوْ حَرَصْـتَ بِمُؤْمِنِـينَ﴾[٢] [يوسـف: ١٠٣].

قلتُ: والمنفيُّ هنا هدايةُ التوفيق والقبول؛ فإنَّ أمر ذلك الى الله، وهو القادرُ عليه. وأمَّـا الهـداية المـذكـورة في قول الله تعـالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. [الشورى: ٥٢] فإنها هدايةُ الدلالة والبيان. فهو المبيِّنُ عن الله، والدالُّ على دينه وشرعه.

---

(١) (هـ)(ط): سيأتي.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/٢٥٥).

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح، عن ابن المسيَّب عن أبيه، قال: لما حضرَتْ أبا طالبِ الوفاة، جاءه رسولُ الله ﷺ وعنده عبدُ الله بن أبي أُميَّة، وأبو جهل، فقال له: «يا عمِّ، قل: لا إله إلا الله، كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله». فقالا له: أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبيُّ ﷺ، فأعاد. فكان آخِرُ ما قال: هو على مِلَّة عبد المطلب. وأبىٰ أنْ يقول: لا إله إلا الله. فقال النبيُّ ﷺ «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك» فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالَّذِين آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبيَّنَ لَهُم أَنَّهم أصحابُ الجحِيم﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1].

ش: قوله: في (الصحيح)، أي في[2] (الصحيحين).

وابن المسيب، هو سعيدُ بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القُرشي المخزومي، أحدُ العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين. اتفق أهلُ الحديث على أنَّ مراسيله أصحُّ المراسيل. وقال ابنُ المديني: لا أعلمُ في التابعين أوسع علماً منه. مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين.

وأبوه المسيب صحابي، بقي إلى خلافة عثمان رضي الله عنه، وكذا[3] جدُّه

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢، ٦٦٨١)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٤).

(٢) (ض): في. ساقطة.

(٣) (هـ)(ط): وكذلك.

حزْن، صحابيٌّ استُشْهِدَ باليمامة.

قوله: (لَّما حضرت أبا طالب الوفاة). أي: علاماتُها ومقدماتها.

قوله: (جاءهُ رسول الله ﷺ). يُحتمل أن يكون المسيب حضر مع الاثنين؛ فإنهما من بني مخزوم، وهو أيضاً مخزومي. وكان الثلاثةُ إذ ذاك كفاراً؛ فقُتل أبو جهل على كفره، وأسلم الآخران.

قوله: «يا عمِّ» منادى مُضاف/، يجوز فيه إثباتُ الياء وحذفها. حُذفتِ الياءُ [٧١/أ] هُنا، وبقيت الكسرة دليلاً عليها.

قوله: «قل: لا إله إلا الله» أمره أنْ يقولها، لِعلم أبي طالب بما دلَّت عليه: من نفي الشرك بالله، وإخلاص العبادة له وحده.

فإنَّ من قالها بعلمٍ[١] ويقين، فقد بريء من الشرك والمشركين ودخل في الإسلام؛ لأنهم يعلمونَ ما دلَّت عليه. وفي ذلك الوقت، لم يكن بمكة إلَّا مسلمٌ أو كافر. فلا يقولها إلَّا من ترك الشرك، وبريء منه.

ولما هاجر النبيُّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة: كان فيها المسلمون الموحّدون، والمنافقون الذين يقولون[٢] بألسنتهم وهم يعرفون معناها لكن لا يعتقدونه[٣]، لما في قلوبهم من العداوة والشك والريب، فهم مع المسلمين بظاهر الأعمال دون الباطن.

وفيها اليهود، وقد أَقرَّهم رسولُ الله ﷺ لَّما هاجر، ووادعهم بأن لا يخونوه ولا يُظاهروا عليه عدواً، كما هو مذكورٌ في كُتب الحديث والسِّير.

---

(١) (ط): فان قالها عن علم.

(٢) (ض)(هـ)(ط): يقولونها.

(٣) الأصل و (هـ) و (ط): يعتقدونها.

قوله: «كلمةً» قال القرطبي: بالنصب، على أنه بدلٌ من لا إله إلا الله. ويجوز الرفع، على أنه خبرُ مبتدأ محذوف.

قوله: «أحاجُّ لك بها عند الله» هو بتشديد الجيم، من المحاجة.[١]

وفيه: دليلٌ على أنَّ الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها في تلك الحال، معتقداً ما دلَّت عليه مطابقة من النفي والإثبات، لنفعته.

قوله: (فقالا له: أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟). ذكّراه الحجّةَ الملعونة، التي يحتج بها المشركون على المرسلين؛ كقول فرعون لموسى: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥١]، وقوله[٢] تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

قوله: (فأعاد عليه النبيُّ ﷺ، فأعادا). فيه: معرفتهُما معنى[٣] لا إله إلَّا الله؛ لأنهما عرفا أنَّ أبا طالب لو قالها لتبرأ[٤] من ملَّة عبد المطلب. فإنَّ ملّة عبدالمطلب هي الشرك بالله في إلهيتـه؛ وأمَّا الربوبيةُ فقد أقروا بها كما تقدم، وقد قال عبدُ المطلب لأبْرَهَة:[٥] أنا ربُّ الإبل، والبيتُ له ربٌّ يمنعه منك[٦].

[/ب] وهذه المقالة[٧] منهما/ عند قول النبي ﷺ لعمه «قل: لا إله إلا الله» استكباراً

---

(١) (هـ)(ط): من المحاجة، والمراد بها: بيان الحجة بها، لو قالها في تلك الحال.

(٢) (ط): وكقوله.

(٣) (هـ)(ط): لمعنى.

(٤) (هـ)(ط): لبريء.

(٥) أبرهة الأشرم بن الصباح أبايكسوم، من قواد النجاشي، تولى الجيش الذي بعثه إلى اليمن لانقاذ من بقي من النصارى في تلك البلاد، ثم انفرد بالحكم فيها. وبلغ به الغرور أنْ أراد هدم الكعبة، فأهلكه الله في العام الذي ولد فيه المصطفى ﷺ. «تفسير ابن كثير» (٨/٥٠٣).

(٦) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/٩٠).

(٧) (ط): المقابلة.

عن العمل بمدلولها؛ كما قال الله تعالى عنهما، وعن أمثالهما من أولئك المشركين: ﴿إِنَّهُم كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُم لَآ إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ • وَيَقُولُونَ: أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥ ـ ٣٦] فردَّ عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَآءَ بِالحَقِّ وَصَدَّقَ المُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].

فبيَّن تعالى أنَّ[1] استكبارهم عن قول: لا إله إلا الله؛ لدلالتها على نفي عبادتهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله. فإنَّ دلالة هذه الكلمة على نفي ذلك دلالةُ تضمُّن، ودلالتها عليه وعلى الإخلاص دلالةُ مطابقة.

ومن حكمة الرب تعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام، ليبيِّن لعباده أنَّ ذلك إليه، وهو القادرُ عليه دون من سواه.

فلو كان عند النبي ﷺ ـ الذي هو[2] أفضلُ خلقه ـ من هداية القلوب وتفريج الكروب، ومغفرة الذنوب، والنجاة من العذاب، ونحو ذلك شيءٌ: لكان أحقَّ الناس بذلك وأولاهم به عمُّه، الذي كان يحوطُه ويحميه وينصره ويؤويه. فسبحان من بَهَرَتْ حكمتُه العقول، وأرشد العباد إلى ما يدلهم على معرفته وتوحيده؛ وإخلاص العمل له وتجريده.

قوله: (فكان آخرُ ما قال)، الأحسن فيه الرفعُ، على أنَّه اسمُ كان. وجملةُ هو، وما بعدها الخبر.

قوله: (هو على ملة عبدالمطلب). الظاهرُ أنَّ أبا طالب، قال: أنا. فغيَّره الراوي؛ استقباحاً للَّفظ المذكور، وهي[3] من التصرفات الحسنة، قاله الحافظ[4].

---

(١) (ض)(هـ)(ط): أن. ساقطة.

(٢) (ط): فلو كان النبي ﷺ هو الذي. تحريف

(٣) (ط): وهو.

(٤) ابن حجر، «فتح الباري» (٨/٥٠٧).

قوله: (وأبىٰ أنْ يقول: لا إله إلاَّ الله)، قال الحافظ: هذا تأكيدٌ من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب.

قال المُصنِّفُ: وفيه الردُّ على من زعم إسلامَ عبد المطلب[1]، وأسلافِه. ومضرَّةُ أصحاب السوء على الإنسان، ومضرَّةُ تعظيم الأسلاف[2].

أي: إذا زاد على المشروع، بحيثُ تُجعلُ أقوالهم حجة يُرجع إليها عند التنازع.

قوله: فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك مالم أُنْهَ عنك» قال النووي: وفيه[3] جوازُ الحَلِف من غير استحلاف. وكأنَّ الحلف هنا لتأكيد/ [٧/أ] العزم على الاستغفار، تطييباً لنفس أبي طالب.

[4]وكانت وفاةُ أبي طالب بمكة، قبل الهجرة بقليل.

قال ابنُ فارس: مات أبو طالب[4]، ولرسول الله ﷺ تسعٌ وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً.

وتوفيت خديجةُ أمُّ المؤمنين رضي الله عنها، بعد موت أبي طالب بثمانية أيام.

قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنبي وَالَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلمُشرِكِينَ﴾. أي: ما ينبغي لهم ذلك. وهو خبرٌ بمعنى النهي، والظاهرُ أنَّ هذه الآية نزلت في أبي طالب؛ فإنَّ الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب، في قوله: فأنزل الله، بعد قوله: «لأستغفرن لك ما

---

(١) الأصل و (ض): أبي طالب. والمثبت من (هـ) و (ط) «وكتاب التوحيد». ويرد عليهم أيضاً ماثبت من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٨٨٥، ٦٥٦٤) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢١١) وحديث ابن عباس، أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢١٢) وأحمد في «المسند» (١/ ٢٩٠).

(٢) المسائل: السادسة والثامنة والتاسعة.

(٣) (ض)(ط): وفي. تحريف.

(٤) مابينهما معلَّقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

لم أَنْهَ عنك» يُفيد ذلك.

وقد ذكر العلماءُ لنزول هذه الآيةِ أسباباً أُخر، فلا منافاة؛ لأن أسباب النزول قد تتعدد.

قال الحافظ: أمَّا نزولُ الآية الثانية، فواضحٌ في قصة أبي طالب. وأمَّا نزول الآية التي قبلها، ففيه نظر.

ويظهر أنَّ المراد: أنَّ الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالبٍ بمدة، وهي عامةٌ في حقه وحق غيره.

يوضِّحُ ذلك ما يأتي في التفسير: فأنزل الله بعد ذلك ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغفرُوا لِلمُشرِكينَ﴾ الآية، ونزل في أبي طالب ﴿إِنَّك لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ﴾.

كلُّه ظاهرٌ في أنه مات على غير الإسلام، ويُضَعِّفُ ما ذكره السُّهَيلي: أنه رأى[1] في بعض كُتب المسعودي[2] أنه أسلم؛ لأن مثل ذلك لا يُعارِضُ ما في الصحيح. انتهى.[3].

وفيه: تحريمُ الاستغفار للمشركين، وموالاتهم ومحبتهم؛ لأنه إذا حرُم الاستغفارُ لهم فموالاتهُم ومحبتهم أولى.

---

(١) (هـ)(ط): روي. تحريف.

(٢) أبو الحسن، علي بن الحسين بن علي المسعودي، اخباري صاحب غرائب. قال ابن حجر: وكتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً. ت (٣٤٥هـ). «لسان الميزان» (٤/ ٢٢٤).

(٣) ابن حجر، «فتح الباري» (٧/ ١٩٥).



(١٨)
بـــاب
ما جاء أن سبب كفر بني ادم وتركهم دينهـم هـو الغلـو في الصالحيـن

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء أنَّ سبب كُفرِ بني آدم وتركِهم دينَهم هو الغلوُّ في الصالحين.

ش: قوله: (تركهم). بالجر عطفاً على المضاف إليه. وأراد المصنفُ رحمه الله تعالى: بيانَ ما يؤول إليه الغلو في الصالحين، من الشرك بالله في الإلهية الذي هو أعظمُ ذنبٍ عُصي الله به، وهو ينافي التوحيد الذي دلَّت عليه كلمةُ الإخلاص، شهادة أنْ لا إله إلَّا الله.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله عز وجل ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُم ولا تَقولُوا على الله إلَّا الحقَّ إنما المسيحُ عيسى ابنُ مريم رسولُ الله وكَلِمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه﴾ [النساء: ١٧١]

ش: الغلو: هو الإفراطُ في التعظيم[١]، بالقول والاعتقاد/ [٧٢/ب]. أي: لا ترفعوا المخلوقَ عن منزلته التي أنزله الله، فتنزّلوه المنزلةَ التي لا تنبغي إلَّا لله.

والخطابُ: وإنْ كان لأهل الكتاب، فإنَّه عامٌّ يتناول جميعَ الأمة؛ تحذيراً لهم أنْ يفعلوا[٢] فعلَ النصارى في عيسى عليه السلام، واليهود في العُزير، كما قال

(١) (ط): بالتعظيم.

(٢) (هـ)(ط): أن يفعلوا بنبيهم ﷺ.

تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكْرِ الله وَمَا نزل مِنَ الحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهم فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» ويأتي.

فكلُّ من دعا نبياً، أو وليًّا من دون الله: فقد اتخذه إلهاً، وضاهى النصارى في شركهم، وضاهى اليهود في تفريطهم.

فإنَّ النصارى غلوْا في عيسى عليه السلام، واليهود عادَوه وسبُّوه وتنقَّصوه. فالنصارى أفرطوا، واليهودُ فرَّطوا؛ وقد قال[١] تعالى: ﴿مَا المَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يأكلاَنِ الطَّعَامَ﴾ الآية. [المائدة: ٧٥] ففي هذه الآية وأمثالِها: الردُّ على اليهود والنصارى.

قال شيخُ الإسلام: ومن تشبَّه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين بإفراط فيه[٢] أو تفريط، فقد شابههم.

قال: وعليٌّ رضي الله عنه حرَّق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد خُدَّت لهم عند باب كِندة، فقذفهم فيها. واتفق الصحابةُ على قتلهم، لكنَّ ابن عباس مذهبُه أنْ يُقتلوا بالسيف من غير تحريق، وهو قولُ أكثر العلماء[٣].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح، عن ابن عباس - في قول الله تعالى: ﴿وقالوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُواعَاً

---

(١) (هـ)(ط): وقال.

(٢) (ض): فيه. ساقطة.

(٣) ابن تيمية، ينظر «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» (١/ ٢٨). و«مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٧٠، ٣٩٤).

وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ ـ قال: هذه أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلمَّا هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم: أنِ انصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا. ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم، عُبدت[١].

ش: قوله: في (الصحيح) أي: (صحيح البخاري).

وهذا الأثرُ، اختصره الـمُصنِّفُ رحمه الله. ولفظ / ما في البخاري، عن ابن عباس: صارتِ الأوثانُ التي في قوم نوحٍ، في العرب بعدُ. أمَّا وَدٌّ: فكانت لكلْب، بدَوْمَةِ الجندَل. وأمَّا سُواعٌ؛ فكانت لهُذيل. وأمَّا يَغوثُ: فكانت لمراد، ثم لبني غُطيف بالـجُرف عنـد سَبـأ. وأمَّا يعوق: فكانت لهمْدان. وأمَّا نَسْرٌ: فكانت لحِمْيَرَ، لآلِ ذي الكَلاع: أسماءُ رجالٍ صالحين، في قوم نوح. إلى آخره. [٧٣/أ]

وروي: عن[٢] عكرمة، والضَّحاك، وابن إسحاق، نحو هذا.

وقـال ابنُ جرير: حدَّثنـا ابنُ حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس: أنَّ يغوث ويعوق ونسراً، كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباعٌ يقتدون بهم. فلمَّا ماتوا، قال أصحابهم: لو صوَّرناهم كان أشوقَ لنا إلى العبادة؛ فصوَّروهم. فلما ماتوا، وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر، فعبدوهم.[٣]

قوله: (أنِ انصِبوا)، هو بكسر الصاد الـمُهملة.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٤٩٢٠) وابن المنذر وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٨/٢٩٣) وعبدالرزاق في «التفسير» (٢١/٣٢٠) والفاكهي، كما في «فتح الباري» (٨/٦٦٧).

(٢) (هـ)(ط): عن. ساقطة.

(٣) «تفسير الطبري» (٢٩/٩٨).

قوله: (أنصاباً). جمع نُصب، والمراد به هنا: الأصنامُ المصوَّرة على صور أولئك الصالحين، التي نصبوها في مجالسهم، وسمَّوها بأسمائهم.

وفي سياق حديث ابن عباس: مايدلُّ على أنَّ الأصنام تُسمَّى أوثاناً. فاسمُ الوثن، يتناول كلَّ معبودٍ من دون الله، سواء كان ذلك المعبودُ قبراً أو مَشْهداً، أو صورةً أو غير ذلك.

قوله: (حتى إذا هلك أوْلَئِكَ). أي: الذين صوَّروا تلك الأصنام.

قولـه: (ونُسي العلم)، ورواية البخـاري: وتَنَسَّخ. وللكُشْمِيْهَنيّ[1]: ونُسخ العلم. أي: درست آثارهُ بذهاب العلماءِ، وعمَّ الجهلُ حتى صاروا لا يُميِّزون بين التوحيد والشرك. فوقعوا في الشرك، ظناً منهم أنه ينفعهم عند الله.

قوله: (عُبدت). لما قال لهم إبليس: إنَّ من كان قبلكم كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر.

فهـو[2] الـذي زَيَّن لهم عبـادة الأصنام، وأمرهم بها. فصار هو معبودهم في الحقيقة، كما قال تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُم يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ • وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ • وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُم جِبِلًّا كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٠ - ٦٢].

[٧٣/ب] وهذا يفيدُ الحذرَ من الغلوِّ ووسائل الشرك، وإنْ/ كان القصد بها حسناً.

فإنَّ الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب ا لغلو في الصالحين، والإفراطِ في[3] محبتهم، كما قد وقع مثلُ ذلك في هذه الأمة. أظهر لهم البدعَ والغلوَّ في قالب

---

(١) أبو الهيثم، محمد بن مكي بن محمد المروزي، محدث ثقةٌ، من رواة صحيح البخاري. ت (٣٨٩هـ) «سير أعلام النبلاء» (١٦/٤٩١).

(٢) (ض)(هـ)(ط): هو.

(٣) (ط): والافراط في. ساقط.

تعظيم الصالحين ومحبتهم، ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك، من عبادتهم لهم من دون الله.

وفي رواية، أنهم قالوا: ما عَظَّم أوّلُنا هؤلاء إلاَّ وهم يرجون شفاعتهم عند الله.

أي: يرجون شفاعة أولئك الصالحين ا لذين صوَّروا تلك الأصنام على صورهم، وسمَّوها بأسمائهم.

ومن هُنا يعُلم أنَّ اتخاذ الشفعاء، ورجاءَ شفاعتهم بطلبها منهم: شركٌ بالله، كما تقدم بيانُه في الآيات المحكمات.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال ابنُ القيم: قال غيرُ واحدٍ من السَّلف: لَمَّا ماتـوا عكفـوا على قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم. ثم طال عليهم الأمدُ، فعبدوهم[1].

ش: قوله: (وقال ابن القيم). هو الإمامُ العلاَّمة، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي الدِّمَشقي، المعروف بابن قيِّم الجوزية.

قال الحافظُ السَّخاوي: العلاَّمةُ الحجة، المتقدِّمُ في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقـوة الجنان، المجمعُ عليه بين الموافق والمخالف، صاحبُ التصانيف السائرة، والمحاسن الجمة. مات سنة إحدى وخمسين وسبعمائة.

قوله: (قال غيرُ واحد من السلف). هو بمعنى ما ذكره البخاريُّ، وابنُ جرير. إلاَّ أنه ذكر عكوفَهم على قبورهم، قبل تصويرهم تماثيلهم.

وذلك من وسائل الشرك، بل هو شرك؛[2] لأن العكوف لله في المساجد عبادة. فإذا عكفوا على القبور، صار عكوفُهم ـ تعظيماً ومحبة ـ عبادةً لها.

---

(١) ابن القيم، «اغاثة اللهفان» (١/٢٠٣).

(٢) (هـ)(ط): الشرك.

قوله: (ثم طال عليهم الأمدُ فعبدوهم). أي: طال عليهم الزمان. وسبب تلك العبادة والموصل إليها: هو ما جرى من الأولين، من التعظيم في العكوف[١] على قبورهم، ونصب صورهم في مجالسهم. فصارت بذلك أوثاناً تعبدُ من دون الله، كما ترجم به المصنفُ رحمه الله تعالى.

فإنهم تركوا بذلك دينَ الإسلام، الذي كان أولئك عليه قبل حدوث وسائل هذا الشرك.

فكفروا[٢] بعبادة تلك الصور، واتخاذهم[٣] شفعاء. وهذا أوّلُ شرك حدث في الأرض.

قال القُرطبي: وإنما صوَّر أوائلُهم الصور ليتأسوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم. ثم خلفهم قومٌ جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أنَّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها. انتهى[٤].

قال ابنُ القيم: ومازال الشيطانُ يُوحي إلى عُبَّاد القبور، ويُلقي إليهم أنَّ البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأنَّ الدعاء عندها مُستجاب. ثم ينقلُهم من هذه المرتبة إلى الدعاء به[٥]، والإقسام على الله به[٥]، فإن شأن الله أعظمُ من أنْ يُقسم عليه، أو يُسأل بأحدٍ من خلقه.

فإذا تقرَّر ذلك عندهم. نقلهم منه الى دعائه وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون

---

(١) (ط): بالعكوف.

(٢) (ط): وكفروا.

(٣) (هـ)(ط): واتخذوهم.

(٤) القرطبي، «احكام القرآن» (٣٠٨/١٨).

(٥) (هـ)(ط): بها.

الله ، واتخاذِ قبره وثناً تُعلَّقُ عليه القناديلُ والستور، ويُطاف به ويُستلم ويُقبَّل ، ويُحج إليه ويذبح عنده!

فإذا تقرَّر ذلك عندهم . نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته ، واتخاذِه عيداً ومنسكاً ، ورأوا أنَّ ذلك أنفعُ لهم في دنياهم وأُخراهم .

وكلُّ هذا مما قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام ، أنه مضادٌّ لما بعث الله به رسوله ﷺ : من تجريد[١] التوحيد، وأنْ لا يُعبد إلَّا الله .

فإذا تقرَّر ذلك عندهم . نقلهم منه إلى أنَّ مَن نهى عن ذلك فقد تنقَّص أهلَ[٢] الرتب العالية ، وحطَّهم عن منزلتهم ، وزعم أنه لا حُرمة لهم ولا قدر .

وغضب[٣] المشركون واشمأزَّت قلوبهم ؛ كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُم يَسْتَبْشِرونَ﴾ [الزُّمر: ٤٥] وسرى ذلك في نفوس كثيرٍ من الجهال والطغام ، وكثيرٍ ممن ينتسب إلى العلم والدين . حتى عادَوْا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم ، ونفَّروا الناس عنهم ، ووالَوْا أهلَ الشرك وعظَّموهم ، وزعموا أنهم أولياءُ الله ، وأنصار دينه ورسوله ، ويأبى الله ذلك ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَآءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

انتهى كلامُ ابن القيم رحمه الله تعالى[٤] .

وفي القصة فوائدُ / ذكرها المصنفُ رحمه الله : [٧٤/ب]

[٥] منها : أنَّ من فهم هذا الباب وما بعده ، تبيَّنَ له غربةُ الإسلام ، ورأى من قُدرة الله وتقليبه القلوب العجب.

---

(١) (ط): تجديد.
(٢) (ط): أهل هذه.
(٣) (ط): فغضب.
(٤) ابن القيم، «اغاثة اللهفان» (١/ ٢٣١).
(٥) من هنا ساقطٌ من (ط).

ومنها: أنَّ أوَّلَ شرك حدث في الأرض، سببُه محبةُ الصالحين. أي: المحبة التي فيها غُلوّ.

ومنها: معرفةُ أوَّل شيءٍ غُيِّر به دينُ الأنبياء.

ومنها: معرفةُ سبب قبول البدع، مع كون[١] الشرائع والفِطر تُنكرها، وأنَّ سبب ذلك كلّه مَزْجُ الحق بالباطل، بأمرين:

الأول: محبةُ الصالحين. والثاني: فِعلُ أُناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوابه خيراً، فظنَّ مَن بعدهم أنهم أرادوا غيره[٢].

ومنها: معرفة جبلّة الإنسان، في كون الحق ينقصُ في قلبه والباطل يزيد. أي: في الغالب.

ومنها: أنَّ فيها شاهداً لما نُقل عن بعض السلف: أنَّ البدعة سبب الكفر، وأنها أحبُّ إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية قد يُتابُ منها، والبدعة لا يُتاب منها.[٣]

ومنها: معرفةُ الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حَسُن قصد الفاعل.

ومنها: معرفة القاعدة الكلية، وهي: النهي عن الغلو، ومعرفةُ ما يؤول إليه. أي[٤]: من الشرك.

ومنها: النهيُ عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

ومنها: معرفةُ عظم شأن[٥] هذه القصة، وشدةِ الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

(١) (ض): أن.

(٢) (ض)(هـ): به غيره.

(٣) أخرجه ابن الجعد في «المسند» رقم (١٨٨٥) عن سفيان.

(٤) (م): أي. ساقطة.

(٥) الأصل: ومنها معرفة شأن. (ض): ومنها عظم شأن.

ومنها: ـ وهي أعجب ـ قراءتُهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتُهم لمعنى الكـلام، وكون الله تعالى حال بين قلوبهم، حتى اعتقدوا أنَّ فعل قوم نوح هو أفضلُ العبادة،[1] واعتقدوا أنَّ نهي الله ورسوله هو الكفر الـمُبيح للدم والمال.

يعني: لو نهاهم ناهٍ بنهي الله لهم عن الشرك، لكفَّروه واستحلوا دمه وماله بذلك.

ومنها: التصريحُ بأنهم لم يُريدوا إلَّا الشفاعة.

ومنها: ظنُّهم أنَّ الذين صوَّروا الصور أرادوا ذلك.

ومنها: التصريحُ بأنها لم تُعبد، حتى نُسي العلم. ففيها: معرفةُ قدر وجوده ومضرّة فقده.

ومنها: أنَّ سبب[2] فقد العلم موتُ العُلماء. انتهى[3].[4]

ومنهـا: ردُّ الشبه التي يُسمِّيها أهلُ الكلام عقليات، ويدفعون بها ماجاء به الكتابُ والسنة: / من توحيد الصفات، وإثباتها على ما يليقُ بجلال الله وعظمته وكبريائه. [٧٥/

ومنها: مضرَّةُ التقليد.

ومنهـا: ضرورة الأمـة إلى ماجـاء به الرسول ﷺ، علماً وعملاً بما يدلُّ عليه الكتاب والسنة، فإنَّ ضرورة العبد إلى ذلك فوق كلِّ ضرورة.

---

(١) (ض)(م)(هـ): العبادات.

(٢) (ض): سبب. ساقطة.

(٣) إلى هنا ساقط من (ط).

(٤) المسائل: الأولى، والثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والسابعة، والثامنة، والتاسعة، والعاشرة، والثانية عشرة، والثالثة عشرة، والرابعة عشرة، والخامسة عشرة، والسادسة عشرة، والتاسعة عشرة، والعشرون.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «لا تُطْرُوني كما أطرَتِ النصارى ابنَ مريم؛ إنما أنا عبدٌ. فقولوا: عبدُ الله ورسوله» أخرجاه.[١]

ش: قولـه: (عن عمـر)، هو ابنُ الخـطاب بن نُفيل ـ بنـون وفـاء مصغَّراً ـ العَـدوي، أمـيرُ المؤمنين، وأفضلُ الصحابة بعد الصديق رضي الله عنهم. ولِيَ الخلافة عشر سنين ونصفاً، فامتلأت الدنيا عدلاً، وفُتحت في أيامه ممالكُ كسرى وقيصر. واستُشهد في ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين.

قولـه: «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم» الإطراء: مجاوزةُ الحدّ في المدح، والكذب فيه. قاله أبو السعادات. وقال غيرُه: أي: لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا الحدَّ في مدحي.

قولـه: «إنـما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسوله» أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي، كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام، فادّعَوْا فيه الإلهية. وإنما أنا عبدُ الله، فصفوني بذلك كما وصفني ربيّ، فقولوا: عبدُ الله ورسوله.

فأبى المشركـون إلاَّ مخالفـة أمـره، وارتكـاب نهيه. فعظَّموه[٢] بما نهاهم عنه وحذَّرهم منه، وناقضوه أعظمَ مناقضة، وضاهوا النصارى في غُلُوهم وشركهم، ووقعـوا في المحـذور، وجرى منهم من الغلو والشرك شعراً ونثراً ما يطولُ عدُّه،

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٤٤٥، ٦٨٣٠) وأصلُه عند مسلم في «الصحيح» رقم (١٦٩١) وأخرجه الترمذي في «الشمائل» رقم (٢٨٤) والنسائي في «السنن الكبرى كتاب الرجم» كما في «تحفة الأشراف» (٨/ ٤٩) وأحمد في «المسند» (١/ ٢٣، ٢٤، ٤٧، ٥٥) والدارمي في «السنن» رقم (٢٧٨٧) وعبدالرزاق في «المصنف» رقم (٩٧٥٨) وابن حبان في «الصحيح» (٨/ ٤٦) والطيالسي في «المسند» رقم (٢٤) وأبويعلى في «المسند» رقم (١٥٣) والـحُميدي في «المسند» رقم (٢٧).

(٢) (هـ)(ط): وعظموه.

وصنَّفوا فيه المصنفات.[١]

وقد ذكر شيخُ الإسلام، عن بعض أهل زمانه: أنه جوّز الاستغاثة بالرسول ﷺ، في كلِّ ما يُستغاث فيه بالله. وصنَّف في ذلك مصنفاً، ردَّه شيخُ الإسلام، وردُّه موجودٌ بحمد الله[٢].

ويقول: إنه يعلمُ مفاتيح الغيب، التي لا يعلمها إلَّا الله. وذكر عنهم أشياءَ من هذا النمط. نعوذُ بالله من عمى البصيرة.

وقد اشتهر في نظم البُوصِيري، قوله:

يا أكرمَ الخلق مالي من ألوذُ به ... سواك عند حُلول الحادث العَمِمِ[٣]!!

/ وما بعده من الأبيات، التي مضمونُها: إخلاصُ الدعاء، واللياذ والرجاء والاعتماد ـ في أضيق الحالات، وأعظم الاضطرار ـ لغير الله. [٧٥/د]

فناقضوا الرسول ﷺ في ارتكاب[٤] ما نهى عنه أعظم مناقضة، وشاقُّوا الله ورسوله أعظمَ مشاقة.

وذلك أنَّ الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم، في قالب محبة النبي ﷺ وتعظيمه. وأظهر لهم التوحيدَ والإخلاص، الذي بعثه الله به في قالب تنقُّصه[٥].

وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشدَّ النهي، وفرَّطوا في متابعته. فلم يعبؤوا بأقواله وأفعاله، ولا رضوا بحكمه ولا

---

(١) (ض)(هـ)(ط): مصنفات.

(٢) يُعرف بكتاب «الاستغاثة» أو «الرد على البكري» (علي بن يعقوب بن جبريل ت ٧٢٤هـ. «طبقات الداودي» (٢/ ٢١٥) طُبع مختصرُه منذ سنوات طويلة، ويحققه الآن أحدُ طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض، لنيل درجة (الدكتوراه). يسر الله له نشره.

(٣) من أبيات البُردة المشهورة.

(٤) (هـ)(ط): بارتكاب.

(٥) (هـ)(ط): تنقيصه.

سلَّموا له. وإنما يحصلُ تعظيمُ الرسول ﷺ: بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنَّته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه، ونُصرته، وموالاة من عمل به، ومعاداة من خالفه.

فعكَس أولئك المشركون ما أراده[1] الله ورسوله علماً وعملاً، وارتكبوا ما نهى الله عنه ورسوله، فالله المستعان.[2]

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال: قال رسول[3] الله ﷺ: «إياكم والغُلو؛ فإنما أهلك مَنْ كان قبلكم الغلو»

ش: هذا الحديث، ذكره المصنفُ بدون ذكر راويه. وقد رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجة، من حديث ابن عباس[4]

وهذا لفظُ أحمد:[5] عن ابن عباس، قال: قال لي رسول الله ﷺ غَداة جَمْعٍ:

---

(١) (ض)(ط): أراد.

(٢) ينظر: كتاب «المحجَّة في الرد على اللجة» للمؤلف، ورسالته إلى الحِفظي «مجموع رسائل وفتاوي» الشيخ عبدالرحمن بن حسن (٨٢ ـ ٨٤ ط ١٣٤٥هـ).

(٣) قال الشيخ، سليمان بن عبدالله في «تيسير العزيز الحميد» (٣١٧): هكذا ثبت هذا البياض في أصل المصنف. اهـ قُلت: وهكذا أيضاً وجدتُه في نسخة خطية من نُسخ الكتاب. وفي نسخة خطية أخرى، ذكر مانصه: وفي الصحيح عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ. فذكره.

(٤) أحمد في «المسند» (١/٢١٥، ٣٤٧) وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٠٦٤) ولم أراه في «الجامع»، وأخرجه النسائي في «المجتبى» (٥/٢٦٨) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٩٨) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٤٧٣) وابن حبان في «الصحيح» (٦/٦٨) والطبراني في «الكبير» رقم (١٢٧٤٧) وابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (١٩٦) (القسم الأول من الجزء الرابع) والحاكم في «المستدرك» (١/٤٦٦) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/١٢٧)، قال الحافظ ابن تيمية في «الاقتضاء» (١/٢٨٩): إسناده صحيح على شرط مسلم. وقال في «مجموع الفتاوى» (٣/٣٨٣): وهو حديث صحيح.

(٥) (ض)(هـ)(ط): رواية أحمد.

«هَلُمَّ الْقُطْ لي» فلقطتُ له حَصيات، هُنَّ حَصَى الخَذْف. فلما وضعهن في يده، قال: «نعم، بأمثال هؤلاء. وإياكم والغلو في الدين؛ فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين».

قال شيخُ الإسلام: هذا عامٌّ في جميع أنواع الغلو، في الاعتقادات والأعمال. وسببُ هذا اللفظ العام: رمْيُ الجمار، وهو داخلٌ فيه. مثل الرمي بالحجارة الكبار؛ بناءً على أنه أبلغُ من الصغار.

ثم علله بما يقتضي مجانبةَ هَدْي من كان قبلنا؛ إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به. وأن المشارك لهم في بعض هديهم يُخافُ عليه من الهلاك.[1]

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم/ ، عن ابن مسعود: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «هلك المُتنطِّعون» قالها ثلاثاً[2]. [٧٦/أ]

ش: قال الخطَّابي: المتنطِّع: المتعمِّقُ في الشيء، المتكلِّفُ البحث عنه، على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم،[3] الخائضين فيما لا تبلغه عقولُهم[4].

ومن التنطع: الامتناع من المباح مُطلقاً، كالذي يمتنعُ من أكل اللحم والخبز، ومن لبْس الكتان والقطن، ولا يلبس إلاَّ الصوف، ويمتنعُ من نكاح النساء.

---

(١) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

(٢) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٧٠)، وأخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٤٦٠٨) وأحمد في «المسند» (١/ ٣٨٦).

(٣) (ض)(ط): لا يغنيهم.

(٤) الخطابي، «معالم السنن» (٧/ ١٣) (ط المُختصر).

ويظنُّ أنَّ هذا من الزهد المستحب، قال الشيخ تقيُّ الدين: فهذا جاهلٌ ضال. انتهى[١].

وقال ابنُ القيم رحمه الله: قال الغزالي: والمتنطعون في البحث، والاستقصاء!.

وقال أبو السعادات: هم المتعمقون، الغالون في الكلام، المتكلمون بأقاصي[٢] حلوقهم. مأخوذٌ من النطع، وهو الغارُ الأعلى من الفم، ثم استُعمل في كلِّ متعمِّق قولاً وفعلاً[٣].

وقال النووي: فيه: كراهةُ التقعُّرِ في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة، واستعمال وحشي اللغة، ودقائق الإعرابِ في مخاطبة العوام ونحوهم[٤].

قوله: (قالها ثلاثاً). أي: قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغةً في التعليم والإبلاغ، فقد بلَّغ البلاغ المبين. صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٠/٥١١).

(٢) (ط): بأقصى.

(٣) ابن الأثير، «النهاية» (٥/٧٤).

(٤) النووي، «رياض الصالحين» (٥٩٠).

(١٩)
بــــاب
ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟!

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء من التغليظ فيمن عبدَ الله عند قبر رجلٍ صالح، فكيف إذا عبده.

ش: أي: الرجل الصالح؛ فإنَّ عبادته هي الشركُ الأكبر، وعبادةُ الله عنده وسيلةٌ إلى عبادته. ووسائلُ الشرك محرمة؛ لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر، وهو أعظمُ الذنوب.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح، عن عائشة: أنَّ أمَّ سَلَمة، ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصُّور، فقال: «أولئكِ إذا مات فيهم الرجلُ الصالح أو العبد الصالح، بَنَوْا على قبره مَسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصُّور، أولئكِ شرارُ الخلق عند الله»[1]، فهؤلاء، جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنةِ التماثيل[2].

ش: قوله: (في الصحيح). أي: (الصحيحين).

قوله: (أنَّ أمَّ سلمة). هي هندُ بنتُ أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٤٢٧، ٤٣٤، ١٣٤١، ٣٨٧٨) ومسلم في «الصحيح» رقم (٥٢٨) والنسائي في «المجتبى» (٢/ ٤١) وأحمد في «المسند» (٦/ ٥١) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٣٧٦، ٣/ ٣٤٤) وابن خزيمة في «الصحيح» رقم (٧٩٠) وأبويعلى في «المسند» رقم (٤٦٢٩).

(٢) ابن القيم، «اغاثة اللهفان» (١/ ٢٠٣).

مخزوم القُرشية المخزومية. تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة، سنة أربع. وقيل: ثلاث. وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة، ماتت سنة اثنتين وستين. / [٧٦/ب]

قوله: (ذكرت لرسول الله ﷺ). وفي (الصحيحين): أنَّ أمَّ حبيبة وأمَّ سلمة، ذكرتا(١) لرسول الله ﷺ. والكنيسة، بفتح الكاف وكسر النون: معبدُ النصارى.

قوله: «أولئكِ» بكسر الكاف، خطاباً للمرأة.

قوله: «إذا مات فيهم الرجلُ أو العبدُ الصالح» هذا ـ والله أعلم ـ شك من بعض رواة الحديث: هل قال النبيُّ ﷺ هذا أو هذا؟ ففيه: التحرّي في الرواية، وجوازُ الرواية بالمعنى.

قوله: «وصوَّروا فيه تلك الصور» الإشارةُ إلى ما ذكرت أمُّ سلمة وأمُّ حبيبة، من التصاوير التي في الكنيسة.

قوله: «أولئكِ شرارُ الخلق عند الله» وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد على القبور، وقد لُعن من فعل ذلك، كما سيأتي.

قال البيضاوي: لَمَّا كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم، ويجعلونها قبلةً يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً، لعنهم النبيُّ ﷺ.

قال القُرطبي: وإنما صوَّر أوائلُهم الصُّور ليتأسَّوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة(٢) فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم. ثم خلفهم قومٌ جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أنَّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها. فحذَّر النبيُّ ﷺ عن مثل ذلك؛ سدًّا للذريعة المؤدية إلى ذلك.

---

(١) (ض)(هـ)(ط): ذكرتا ذلك.

(٢) (ض)(هـ): ويتذكروا أفعالهم. (ط): ويعملوا أعمالهم الصالحة.

قوله: (فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل). هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ذكره المصنفُ رحمه الله؛ تنبيهاً على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل. فإنَّ الفتنة بالقبور، كالفتنة بالأصنام أو أشد[١].

قال شيخُ الإسلام: وهذه العلَّةُ ـ التي لأجلها نهى الشارعُ ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور ـ هي التي أوقعت كثيراً من الأمم: إمَّا في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك.

فإنَّ النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين، وتماثيلٍ يزعمون أنها / طلاسم [٧٧/] الكواكب ونحو ذلك. فإنَّ الشرك بقبر الرجل الذي يُعتقد صلاحه، أقربُ إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر. ولهذا تجدُ أهلَ الشرك يتضرعون عندها ويخشعون[٢] ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السَّحَر. ومنهم من يسجدُ لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء مالا يرجون[٣] في المساجد.

فلأجل هذه المفسدة، حسم النبيُّ ﷺ مادَّتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإنْ لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد. كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها، لأنها أوقاتٌ يقصد المشركون فيها الصلاة للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذٍ وإن لم يقصد ما قصده المشركون، سدَّاً للذريعة.

وأمَّا إذا قصد الرجلُ الصلاة عند القبور متبركاً بالصلاة في تلك البقعة، فهذا

---

(١) (ض): بل أشد.

(٢) (ط): عندها ويخشون. ساقط.

(٣) ط: يرجونه.

عين(١) المُحادَّة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله.

فإنَّ المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ: أنَّ الصلاة عند القبور منهيٌّ عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد. فمن أعظم المحدثات، وأسباب الشرك: الصلاةُ عندها، واتخاذها مساجد، وبناءُ المساجد عليها. وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك، والتغليظ فيه.

وقد صرَّح عامّةُ الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها؛ متابعةً منهم للسُّنة الصحيحة الصريحة.

وصرَّح أصحابُ أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك، وطائفةٌ أطلقت الكراهة. والذي ينبغي: أنْ تُحمل على كراهة التحريم، إحساناً للظن بالعلماء، وأنْ لا يُظن بهم أنْ يجوِّزوا فعلَ ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه. انتهى كلامُه رحمه الله(٢).

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما عنها ـ أي: عن عائشة ـ قالت: لما نُزِلَ برسول الله ﷺ، طَفِق يطرحُ خَميصةً له على وجهه/ [١/ب]، فإذا اغتم بها كشفَها، فقال ـ وهو كذلك ـ: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد» يُحذِّر ما صنعوا. ولولا ذلك أُبرز قبرُه؛ غير أنه خَشي أنْ يُتخذ مسجداً. أخرجاه. (٣)

---

(١) (ض): من.

(٢) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٧٤). ونقله ابن القيم، في «اغاثة اللهفان» (١/ ٢٠٣).

(٣) البخاري في «الصحيح» رقم (٤٣٥، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٤٤٤٣، ٥٨١٥) ومسلم في «الصحيح» رقم (٥٣١)، وأخرجه النسائي في «المجتبى» (٢/ ٤١) وأحمد في «المسند» (١/ ٢١٨، ٦/ ٢١، ٣٤، ٨٠، ٢٥٥).

ش: قوله: (ولهما). أي: البخاري ومسلم. وهو يغني عن قوله، في آخره: أخرجاه.

قوله: (لما نُزل)، هو بضم النون وكسر الزاي. أي: نزل به مَلَكُ الموت والملائكةُ الكرام عليهم السلام.

قوله: (طَفِق). بكسر الفاء وفتحها، والكسرُ أفصح، وبه جاء القرآن[1]. ومعناه: جعل.

قوله: (خَميصَة)، بفتح المعجمة والصاد المهملة: كساءٌ له أعلام.

قوله: (فإذا اغتمَّ بها كشفها). أي: عن وجهه.

قوله: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد» يبيِّنُ أنَّ من فعل مثل ذلك، حلَّ عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى.

قوله: (يُحذِّرُ ما صنعوا)، الظاهر: أنَّ هذا من كلام عائشة رضي الله عنها؛ لأنها فهمت من قول النبي ﷺ ذلك تحذيرَ أُمَّتهِ من هذا الصنيع، الذي كانت تفعله اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، فإنه من الغلو في الأنبياء. ومن أعظم الوسائل إلى الشرك.

ومن غُربة الإسلام: أنَّ هذا الذي لعن رسولُ الله ﷺ فاعليه ـ تحذيراً لأمته أنْ يفعلوه معه ﷺ ومع الصالحين من أُمتَّه ـ قد فعله الخلقُ الكثير من متأخري هذه الأمـة، واعتقـدوه قربةً من القُربات، وهو من أعظم السيئات والمنكرات، وما شعروا أنَّ ذلك محادَّةٌ لله ورسوله.

قال القُرطبي في معنى هذا الحديث: وكلُّ ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة مَن فيها؛ كما كان السبب في عبادة الأصنام. انتهى.

---

(١) قال تعالى: ﴿فطَفِق مسحاً بالسُّوق والأعناق﴾ سورة ص آية ٣٣.

إذ لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه، وعبادة الصنم. وتأمَّل قولَ الله تعالى عن نبيه يوسف بن يعقـوب، حيث قال: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَـائِي إبْـراهِيم وَإسْحَـاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أنْ نُشرِكَ بِالله مِن شيءٍ﴾. [يوسف: ٣٨] نكِرة في سياق النفي، تعمُّ كلَّ شركٍ.

قوله: (ولولا ذلك)، أي: ما كان يُحْذَرُ من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجداً، لأُبرز قبرهُ مع قبور أصحابه[١] الذين كانت قبورهم في البقيع.

[٧٨/أ] قوله: (غير أنه خَشي أنْ يُتخذ مسجداً)، رُوي بفتح الخاء، وضمها. فعلى/ الفتح: يكون هو الذي خشي ذلك ﷺ، وأمرهم أنْ يدفنوه في المكان الذي قُبض فيه. وعلى رواية الضَّم: يحتمل أنْ يكون الصحابةُ هم الذين خافوا أنْ يقع ذلك من بعض الأمَّـة ـ[٢] غُلوًّاً وتعـظيماً ـ بما أبـدى وأعاد من النهي والتحذير منه، ولعن[٣] فاعله.

قال القُرطبي: ولهذا بالغ المسلمون في سدِّ الذريعة في قبر النبي ﷺ، فأعلوا[٤] حيطان تُربته وسدوا المدخل[٥] إليها، وجعلوها محدقةً بقبره ﷺ.

ثم خافوا أنْ يُتَّخذ موضعُ قبره قبلةً ـ إذ[٦] كان مستقبل المصلين، فتتصوَّر[٧] الصـلاةُ إليه بصورة العبادة ـ فبنوا جدارين من رُكني القبر الشماليَّين، وحرفوهما

---

(١) (ط): وجعل مع قبور الصحابة.

(٢) (ض)(هـ)(ط): من بعض الأمة فلم يبرزوا قبره خشية ان يقع ذلك من بعض الأمة.

(٣) (ط): ومن.

(٤) (ط): فأغلقوا. تحريف.

(٥) (ض)(هـ)(ط): المداخل.

(٦) الأصل و (ط): إذا.

(٧) (هـ)(ط): فتصور.

حتى التقيا على زاويةٍ مثلَّثة من ناحية الشمال؛ حتى لا يتمكن أحدٌ من استقبال قبره. انتهى.

(١)قال المصنف: وفيه من المسائل: ما ذكر الرسولُ ﷺ فيمن بنى مسجداً يُعبد الله فيه على قبر رجل صالح، ولو صحَّت نيةُ الفاعل.

ومنها: النهيُ عن التماثيل، بتغليظ الأمر.

ومنها: نهيهُ عن فعله عند قبره، قبل أنْ يُوجد القبر.

ومنها: أنه من سُنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

ومنها: لعنهُ إيَّاهم على ذلك.

ومنها: أنَّ مُراده بذلك تحذيره إيانا عن قبره.

ومنها: أنها هي العلة في عدم إبرازه. انتهى.(١)(٢)

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلمٍ، عن جُنْدُب بن عبدالله، قال: سمعتُ النبي ﷺ قبل أنْ يموت بخمس، وهو يقول: «إنيّ أَبْرَأُ إلى الله أنْ يكونَ لي منكم خليلٌ؛ فإنَّ الله قد اتَّخذني خَليلاً، كما اتخذَ إبراهيم خليلاً. ولو كنتُ مُتَّخِذاً من أُمتي خليلاً، لاتخَّذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ألَا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألاَّ فَلَا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»(٣)

فقد نهى عنه في آخر حياته.

---

(١) مابينهما ساقطٌ من (ط).

(٢) المسائل: الأولى، والثانية، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة.

(٣) مسلم في «الصحيح» رقم (٥٣٢).

ثم إنه لعن ـ وهو في السِّياق ـ مَنْ فَعله. والصلاةُ عندها من ذلك، وإنْ لم يُبن مَسْجد.

وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجداً، فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حَولَ قبرِه مسجداً. وكلُّ موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخذ مسجداً، بل كلُّ موضع يُصلَّي فيه يُسمَّى مسجداً؛ كما قال ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجداً وطَهوراً»[١]

ش: قوله: (عن جُندب بن عبد الله). أي: ابن سُفيان البَجلي، وينسبُ إلى جده، صحابيٌّ مشهور. مات بعد الستين.

قوله: «إني أبرأُ إلى الله أنْ يكون لي منكم خليل» أي: أمتنع عمَّا لا يجوز لي أنْ أفعله. والخُلَّة فوق المحبة، والخليل: هو المحبوب غاية الحب[٢]، مشتقٌّ من الخَلَّة ـ بفتح الخاء ـ وهي تَخلُّل المودة / في القلب، كما قال الشاعر: [/ب]

قد تخلَّلتَ مسلك الروح مني ... وبذا سُمِّي الخليلُ خليلا[٣]

هذا هو الصحيح في معناه[٤]؛ كما ذكره شيخُ الإسلام، وابنُ القيم، وابنُ كثير وغيرهم[٥].

---

(١) قطعةٌ من حديث: أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٣٥، ٤٣٨، ٣١٢٢)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٥٢١)، وأحمد في «المسند» (٣/٣٠٤) من حديث جابر. والنقل من ابن تيمية، في «الاقتضاء» (٢/٦٦٨، ٦٧١).

(٢) (ض): المحبة.

(٣) من كلام بشَّار بن بُرد، «الديوان» (٢٧٨).

(٤) (ط): معناها.

(٥) ينظر: ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٠/٢٠٣)، وابن القيم «الجواب الكافي» (١٩٩) و«روضة المحبين» (٤٩) وابن كثير، «التفسير» (٢/٣٧٤) والقرطبي في «التفسير» (٥/٤٠٠).

قال القُرطبي : وإنَّما كان ذلك ؛ لأنَّ قلبه ﷺ قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته، فَلا يسعُ خُلَّة غيره.

قوله : «فإنَّ الله قد اتخذني خليلاً» فيه : بيانُ أنَّ الخُلَّة فوق المحبة.

قال ابنُ القيم رحمه الله : وأمَّا ما يظنُّه بعض الغالطين من أن المحبة أكملُ من الخُلَّة، وأنَّ إبراهيم خليل الله، ومحمداً حبيبُ الله، فمن جهلهم.

فإنَّ المحبة عامَّة، والخلة خاصة، وهي نهاية المحبة. وقد أخبر النبي ﷺ : أنَّ الله قد اتخذه خليلاً، ونفى أنْ يكون له خليلٌ غير ربه، مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها، ولعمر بن الخطاب[١]، وغيرهم[٢]. وأيضاً : فإنَّ الله يحبُّ التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين، وخُلَّته خاصةٌ بالخليلين[٣].

قوله : «ولو كنت متخذاً من أُمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً» فيه : بيانُ أنَّ الصِّدّيق أفضلُ الصحابة.

وفيه : الردُّ على الرافضة وعلى الجهمية، وهما شرُّ أهل البدع، وأخرَجَهم بعضُ السلف من الثنتين والسبعين فرقة. وبسبب الرافضة حدث الشركُ وعبادة القبور، وهم أوَّلُ من بنى عليها المساجد. قاله المصنف[٤]، وهو كما قال بلا ريب.

وفيه : إشارةٌ إلى خلافة أبي بكر؛ لأن من كانت محبتهُ لشخص أشد، كان أولى به من غيره. وقد استخلفه على الصلاة بالناس، وغضب ﷺ لما قيل : يصلي بهم

---

(١) (هـ)(ط) : ابن الخطاب ومعاذ بن جبل.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٦٦٢، ٤٣٥٨)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٣٨٤) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٨٧٩) من حديث عمرو بن العاص.

(٣) ابن القيم، «الجواب الكافي» (٢٠٠).

(٤) المسألة الحادية عشرة.

عمر، وذلك في مرضه الذي توفي فيه، صلواتُ الله وسلامه عليه.[١]

واسمُ أبي بكـر: عبـدالله بن عُثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة. الصّديقُ الأكبر، خليفةُ رسول الله ﷺ، وأفضلُ الصحابة بإجماع من يُعتدُّ بقوله من أهل العلم. مات في جُمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، وله ثلاثٌ وستون سنة رضي الله عنه.[٢]

قولـه: «ألا» حرفُ استفتـاح «ألا وإنَّ من كان قبلكم كانـوا يتخـذون قبور أنبيائهم مساجد» الحديث. / [١/أ]

قال الخلخالي:[٣] وإنكارُ النبي ﷺ صنيعهم هذا، يخرَّجُ[٤] على وجهين:

أحدهما: أنهم يسجدون لقبور الأنبياء، تعظيماً لهم.[٥]

الثاني: أنهم يجوِّزون الصلاة في مدافن الأنبياء والتوجه إليها حالة الصلاة، نظراً منهم بذلك إلى عبادة الله والمبالغة في تعظيم الأنبياء. والأول: هو الشرك الجلي،

والثاني: الخفيّ، فلذلك استحقُّوا اللعن.

قوله: (فقد نهى عنه في آخر حياته). أي: كما في حديث جُنْدُب. هذا من كلام شيخ الإسلام، وكذا ما بعده.

قوله: (ثم إنه لعن ـ وهو في السِّياق ـ من فعله). كما في حديث عائشة.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٦٤، ٧١٢، ٧١٣) ومسلم في «الصحيح» رقم (٤١٨) والنسائي في «المجتبى» (٢/٩٨) وأحمد في «المسند» (٩/١٥٩، ٢١٠، ٢٢٤) من حديث عائشة.

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/١٦٩).

(٣) (ط): الخطابي. تحريف. وينظر: ابن العماد «شذرات الذهب» (٨/٣٣٣).

(٤) (ط): مخرج.

(٥) (ط)(هـ): لهم. ساقطة.

قلتُ: فكيف يسوغُ مع[1] هذا التغليظ من سيد المرسلين، أنْ تُعظَّم القبور ويُبنى عليها، ويُصلى عندها وإليها. هذا أعظم مشاقَّة ومحادَّة لله تعالى ولرسوله ﷺ، لو كانوا يعقلون.

قولـه: (والصلاةُ عندها من ذلك، وإن لم يُبن مسجد). أي: من اتخاذِها مساجد، الملعون فاعله، وهذا يقتضي تحريم الصلاة عند القبور وإليها.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مرفوعاً «الأرضُ كلُّها مسجدٌ إلاَّ المقبرة والحمَّام» رواه أحمد، وأهل السنن، وصححه ابنُ حبان، والحاكم[2]

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: وبالجملة، فمن له معرفةٌ بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفَهِمَ عن رسول الله ﷺ مقاصدَه، جزم جزماً لا يحتمل النقيض أنَّ هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغتيه ـ صيغة «لا تفعلوا» وصيغة «إني أنهاكم عن ذلك» ـ ليس لأجل النجاسة، بل هي لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربَّه ومولاه، وقلَّ نصيبُه أو عُدم من لا إله إلاَّ الله.

فإنَّ هذا وأمثالـه من النبي ﷺ: صيانةٌ لحمى التوحيد أن يلحقه الشركُ ويغشاه، وتجريدٌ له وغضبٌ لربه أنْ يعدل به سواه. فأبى المشركون إلاَّ معصيةً لأمره، وارتكاباً لنهيه. وغرَّهم الشيطانُ، بأنَّ هذا تعظيمٌ لقبور المشايخ / [٧٩/ب]

---

(١) (ط): بعد.

(٢) أحمد في «المسند» (٣/٨٣، ٩٦)، وأبوداود في «السنن» رقم (٤٩٢) والترمذي في «الجامع» رقم (٣١٧) وابن ماجة في «السنن» رقم (٧٤٥) وابن حبان في «الصحيح» (٣/١٠٣، ٤/٣٢) والحاكم في «المستدرك» (١/٢٥١)، وأخرجه ابن خزيمة في «الصحيح» رقم (٧٩١، ٧٩٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/٤٣٤)، قال الحافظ ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٧٢) وأسانيدُه جيدة، وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» رقم (١٥٨٢) وابن شيبة في «المصنف» (٢/٣٧٩) عن يحيى بن عمارة مرسلاً.

والصالحين، وكلَّما كنتم لها أشد تعظيماً وأشد فيهم غلواً كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد.

ولعمر الله، من هذا الباب دخل[1] على عُبَّاد يغوث ويعوق ونسر، ودخل على عُبَّاد الأصنام، منذ كانوا إلى يوم القيامة.

فجمع المشركون بين الغلو فيهم، والطعن في طريقتهم. فهدى الله أهلَ التوحيد لسلوك طريقتهم، وإنزالهم[2] منازلهم التي أنزلهم الله إياها: من العبودية، وسلب خصائص الإلهية عنهم[3].

قال الشارح: وممن علَّل بخوف الفتنة بالشرك: الإمامُ الشافعي، وأبوبكر الأثرم،[4] وأبو محمد المقدسي[5]، وشيخُ الإسلام، وغيرهم، وهو الحقُّ الذي لا ريب فيه[6].

قوله: (فإنَّ الصحابة لم يكونوا لِيبنوا حولَ قبره مسجداً)، أي: لما علموا من تشديده في ذلك، وتغليظه[7] ولعن من فعله.

قوله: (وكلُّ موضع قُصدت الصَلاةُ فيه فقد اتُّخذ مسجداً) أي[8]: وإنْ لم يُبن مسجد. بل كلُّ موضع يُصلَّى فيه يسمى مسجداً.

---

(١) (ط): دخل الشيطان.

(٢) (ض)(ط): وأنزلهم.

(٣) ابن القيم، «اغاثة اللهفان» (١/٢٠٨).

(٤) أحمد بن محمد هانيء الطائي، فقيهُ محدِّث، من أصحاب الإمام أحمد (ت ٢٦١هـ). «تأريخ بغداد» (٥/١١٠).

(٥) عبدالله بن أحمد بن محمد بن قُدامة الصالحي الدمشقي، فقيهُ أصولي محدِّث (ت ٦١٥هـ) «تأريخ ابن رجب» (٢/١٣٣).

(٦) سليمان بن عبدالله، «تيسير العزيز الحميد» (٣٢٩).

(٧) (ط): وتغليظه النهي عنه.

(٨) الأصل: أي. ساقطة.

يعني: وإن لم يُقصد بذلك، كما إذا عرض لمن أراد أن يُصلي، فأوقع الصلاة[١] في ذلك الموضع الذي حانت الصلاة[١] عنده من غير أنْ يقصد ذلك الموضع بخصوصه، فصار بفعل الصلاة فيه مسجداً.

قوله: كما قال ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» أي: فسمى الأرض مسجداً تجوزُ الصلاةُ في كلِّ بقعة منها، إلَّا ما استثنى من المواضع التي لا تجوز الصلاة فيها كالمقبرة ونحوها.

قال البغوي في (شرح السنة): أراد أنّ أهلَ الكتاب لم تُبح لهم الصلاة إلَّا في بيَعِهم وكنائسهم، فأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا، تخفيفاً عليهم وتيسيراً، ثم خص من جميع المواضع الحمَّامَ والمقبرة والمكان النجس. انتهى.[٢]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولأحمد بسندٍ جيِّد، عن ابن مسعود مرفوعاً «إنَّ مِن شِرار الناس مَن تُدركهم الساعةُ وهم أحياء، والذين يتخذون القبورَ مساجد» رواه أبو حاتم ابن حبان في (صحيحه).[٣]

ش: قوله: «إنَّ من شِرار الناس» بكسر الشين/، جمعُ شرِّير. [٨٠/أ]

---

(١) مابينهما ساقط من (ط).

(٢) البغوي، «شرح السنة» (٤١٢/٢).

(٣) أحمد في «المسند» رقم (٥٣١٦) وابن خزيمة في «الصحيح» رقم (٧٨٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥/٣) والطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (٢٧/٢) وقال: وإسناده حسن. وأبو نُعيم في «أخبار أصبهان» (١٤٢/١) والبزار في «المسند» رقم (٣٤٢٠، ٣٤٢١) (كشف) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣/٨): رواه البزار باسنادين، في أحدهما عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن تيمية في «الإقتضاء» (٦٦٨/٢): إسنادُه جيد. وكذلك قال ابن القيم في «اغاثة اللهفان» (٢٠٥/١). وأخرج الجملة الأولى البخاري في «الصحيح» رقم (٧٠٦٧).

قوله: «من تدركهم الساعةُ وهم أحياء» أي: مقدماتها، كخروج الدَّابة، وطلوع الشمس من مغربها. وبعد ذلك يُنفخُ في الصُّوْر، نفخة الفَزَع.

قوله: «والذين يتَّخذون القبور مساجد» معطوفٌ على خبر إنَّ، في محل نصب، على نية تكرار العامل.

أي: ومن شرار(١) الناس، الذين يتخذون القبور مساجد. أي: بالصلاة عندها وإليها، وبناء المساجد عليها.

وتقدَّم في الأحاديث الصحيحة أنَّ هذا من عمل اليهود والنصارى، وأنَّ النبي ﷺ لعنهم على ذلك، تحذيراً للأمة أنْ يفعلوا مع نبيهم وصالحيهم فعلَ(٢) اليهود والنصارى. فما رفع أكثرُهم بذلك رأساً، بل اعتقدوا أنَّ هذا الأمر قربةٌ إلى الله، وهو مما يُبعدهم عن الله ويطردهم عن رحمته ومغفرته.

والعجب أنَّ أكثر من يدَّعي العلم ممن هو مِن هذه الأمة لا ينكرون ذلك، بل ربما استحسنوه ورغَّبوا في فعله. فلقد اشتدت غربةُ الإسلام، وعاد المعروفُ منكراً والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير.

قال شيخُ الإسلام رحمه الله: أمَّا بناءُ المساجد على القبور: فقد صرَّح عامةُ الطوائف بالنهي عنه؛ متابعةً للأحاديث الصحيحة. وصرَّح أصحابُنا، وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه. [قال](٣): ولا ريب في القطع بتحريمه.

ثم ذكر الأحاديث في ذلك، إلى أنْ قال: وهذه المساجدُ المبنيةُ على قبور الأنبياء والصالحين أو الملوك وغيرهم، تتعيَّنُ إزالتها بهدم أو بغيره،(٤) هذا مما لا

---

(١) (هـ)(ط): وإن من أشرار.

(٢) (ط): مثل.

(٣) إضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

(٤) (هـ)(ط): أو غيره.

أعلمُ فيه خلافاً بين العلماء المعروفين[١].

وقال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: يجبُ هدمُ القباب التي بُنيت على القبور؛ لأنها أُسِّست على معصية الرسول ﷺ[٢].

وقد أفتى جماعةٌ من الشافعية بهدم ما في القرَّافة[٣] من الأبنية، منهم ابنُ الجُمَّيزي[٤] والظَّهير التَّزْمَنتي[٥] وغيرهما.

وقال القاضي ابن كَجّ:[٦] ولا يجوز أنْ تُجصَّص القبور، ولا أنْ يُبنى عليها قباب، ولا غير قباب، والوصيةُ بها باطلة.

وقال الأذرُعي[٧]: وأمَّا بُطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الأبنية، وإنفاق الأموال الكثيرة، فلا ريب في تحريمه. / [٨٠/]

وقال القُرطبي في حديث جابر ـ «نهى أنْ يُجصص القبر أو يُبنى عليه» ـ[٨] وبظاهر هذا الحديث قال مالك، وكره البناءَ والجص على القبور. وقد أجازه غيره، وهذا الحديث حجةٌ عليه.

---

(١) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٦٧).

(٢) ابن القيم، «اغاثة اللهفان» (١/٢٢٨).

(٣) مقبرة أهل مصر، بها أبنية وسوق قائمة، منسوبة إلى قرافة: بطنٌ من المعافر، نزلوها فسُمِّيت بهم. «معجم البلدان» ياقوت الحموي (٤/٣١٧).

(٤) بهاء الدين، علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي، فقيه محدث (ت ٦٤٩هـ) «طبقات ابن السبكي» (٨/٣٠١).

(٥) (هـ)(ط): الترميني. تحريف. وهو ظهير الدين، جعفر بن يحي بن جعفر، فقيه، شيخ الشافعية في زمانه (ت ٦٨٢هـ) «طبقات ابن السبكي» (٨/١٣٩).

(٦) أبوالقاسم، يوسف بن أحمد الدينوري، فقيه شافعي، من أقران أبي حامد (ت ٤٠٥هـ). «طبقات ابن السبكي» (٥/٣٥٩).

(٧) أبو الوليد، أحمد بن عبدالله الأذرعي، فقيه شافعي، له «غنية المحتاج» وغيره (ت ٧٨١هـ) ابن هداية الله «طبقات الشافعية» (٢٣٨).

(٨) سيأتي تخريجه.

وقال ابنُ رُشْد:[١] كره مالكُ البناء على القبر، وجَعْلَ البلاطة المكتوبة. وهو من بِدع أهل الطَّول، أحدثوه إرادةَ الفخر والمباهاة والسمعة، وهو مما لا اختلاف فيه[٢]

وقال الزَّيْلعي[٣] في (شرح الكنز): ويُكره أنْ يُبنى على القبر[٤]. وذكر قاضي خان:[٥] أنَّه لا يُجصص القبر ولا يُبنى عليه؛ لما رُوي عن النبي ﷺ أنه نهى عن التجصيص والبناء فوق القبر. والمرادُ بالكراهة ـ عند الحنفية ـ كراهة التحريم. وقد ذكر ذلك ابنُ نُجيم في (شرح الكنز).[٦]

وقال الشافعيُّ رحمه الله: أكرهُ أنْ يُعظَّم مخلوق، حتى يُجعل قبره مسجداً؛ مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس[٧]. وكلامُ الشافعي رحمه الله يبين أنَّ مراده بالكراهة: كراهة التحريم.

قال الشارح: وجزم النوويُّ رحمه الله في (شرح المُهذَّب) بتحريم البناء مطلقاً،[٨] وذكر في (شرح مسلم)[٩] نحوه أيضاً.[١٠]

---

(١) أبو الوليد، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، فقيه أصولي مجَود (ت ٥٢٠هـ) «الديباج المُذهَب» (٢/٢٤٨).

(٢) ابن رشد، «البيان والتحصيل» (٢/٢٢٠).

(٣) أبو محمد، عثمان بن علي بن مِحْجَن، فقيهٌ حنفي (ت ٧٤٣هـ) «الجواهر المُضيَّة» (٢/٥١٩).

(٤) الزيلعي، «تبيين الحقائق» (١/٢٤٦).

(٥) الحسن بن منصور ابن أبي القاسم الأُوزْجَندي، فقيهٌ حنفي (ت ٥٩٢هـ) «الجواهر المضيّة» (٢/٩٤).

(٦) ابن نُجيم، «البحر الرائق» (٢/٢٠٩).

(٧) الشافعي «الأم» (١/٢٧٨).

(٨) النووي، «المجموع شرح المهذب» (٥/٢٧٠).

(٩) النووي، «المنهاج شرح مسلم بن الحجاج» (٧/٣٧).

(١٠) سليمان بن عبدالله، «تسير العزيز الحميد» (٣٣٣).

وقال أبو محمد، عبدالله بن أحمد بن قُدامة ـ إمامُ الحنابلة، صاحبُ المصنفات الكبار (كالمغني) و(الكافي)[١] ـ: ولا يجوز اتخاذُ المساجد على القبور؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى» الحديث.

وقد روِّينا أنَّ ابتداء عبادة الأصنام: تعظيمُ الأموات واتخاذُ صورهم،[٢] والتمسُّحُ بها والصلاة عندها، انتهى[٣].

وقال شيخُ الإسلام رحمه الله: وأمَّا المقبرة، فلا فرق فيها بين الجديدة والعتيقة، ومن[٤] انقلبت تربتُها أو لم تنقلب.

ولا فرق بين أنْ يكون بينه وبين الأرض حائل أو لا؛ لعموم الاسم وعموم العلة، ولأن النبيَّ ﷺ لعن الذين اتخذوا قبور الأنبياء مساجد، ومعلومٌ أنَّ قبور الأنبياء لا تنجس.

وبالجملة، فمن علَّل[٥] النهي عن الصلاة في المقبرة بنجاسة التربة خاصة فهو بعيدٌ عن مقصود النبي ﷺ. ثم لا يخلو أن يكون القبرُ قد بُني عليه مسجد، فلا يُصلَّى في هذا المسجد، سواء كان[٦] خلف القبر أو أمامه بغير خلافٍ في المذهب؛ لأن النبي ﷺ قال: «إنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[٧]. وخصَّ قبور

---

(١) (هـ)(ط): والكافي وغيرهما رحمه الله تعالى.

(٢) الأصل و (ض): واتخاذهم صور. والمثبت من (هـ) و (ط) و «المغني».

(٣) ابن قدامة، «المغني شرح الخرقي» (٢/٥٠٨).

(٤) (هـ): وما (ط) ساقطة.

(٥) (هـ): علق.

(٦) (هـ)(ط): صلى.

(٧) مضى تخريجه.

الأنبياء والصالحين[١]؛ لأن عكوف الناس على قبورهم أعظم، واتخاذها مساجد [أشد][٢].

وكذلك إنْ لم يكن بُني عليه مسجد، فهذا قد ارتكب حقيقة المفسدة التي كان النهيُ عن الصلاة عند القبور من أجلها. فإنَّ كُلّ مكان صُلِّي فيه يُسمى مسجداً، كما قال ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»[٣] وإنْ كان موضع قبرٍ أو قبرين.

وقال بعضُ أصحابنا: لا يُمنع الصلاة فيها؛ لأنه لا يتناولها اسمُ المقبرة. وليس في كلام أحمد، ولا بعض أصحابه هذا الفرق[٤]، بل عموم كلامهم يقتضي منع الصلاة عند كل قبر.

وقد تقدَّم عن علي، أنه قال: لا أصلي في حمَّامٍ ولا عند قبر.

فعلى هذا: يكونُ[٥] النهي متناولاً تحريم القبر وبنائه[٦]، ولا تجوزُ الصلاة في مسجد بُني في مقبرة، سواءٌ كان له حيطان تحجزُ بينه وبين القبور أو كان مكشوفاً.

قال في رواية الأثْرم: إذا كان المسجدُ بين القبور لا يُصلِّي فيه الفريضة، وإنْ كان بينها وبين المسجد حاجز فرخَّص أنْ يُصلَّى فيه على الجنائز، ولا يُصلى فيه على غير الجنائز.

---

(١) (ط): والصالحين. ساقطة.
(٢) إضافةٌ من (هـ) و (ط).
(٣) مضى تخريجه.
(٤) (ط): الفرض.
(٥) (هـ)(ط): ينبغي أن يكون.
(٦) (هـ)(ط): وفنائه.

وذكر حديث أبي مَرْثَد، عن النبي ﷺ «لا تُصلُّوا إلى القبور»(١) وقال: إسنادهُ جيد. انتهى.(٢)

ولو تتبَّعنا كلامَ العلماء في ذلك، لاحتمل عِدَّة أوراق. فتبيَّن بهذا أنَّ العلماء رحمهم الله بيَّنوا أنَّ علة النهي، ما يؤدِّي إليه ذلك: من الغلوِّ فيها، وعبادتها من دون الله، كما هو الواقع والله المستعان.

وقد حَدَث بعد الأئمة، ومن(٣) يُعتدُّ بقولهم: أناسٌ كثُر في أبواب العلم بالله اضطرابُهم، وغلظ عن معرفة ما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم حجابُهم. فقيَّدوا نصوصَ الكتاب [والسنة](٤) بقيودٍ أوهنت الانقياد، وغيَّروا بها ما قصده الرسولُ ﷺ بالنهي وأراد.

فقال بعضهم: النهيُ عن البناء على القبور/ يختصُّ بالمقبرة المسبَّلة، والنهي عن الصلاة فيها لتنجُّسها بصديد الأموات(٥). وهذا كلّه باطل، لوجوه:(٦) [٨١/أ]

منها: أنه من القولِ على الله بلا علم. وهو حرامٌ بنصِّ الكتاب.

ومنها: أنَّ ما قالوه لا يقتضي لعنَ فاعله، والتغليظ(٧). وما المانع له من(٨) أنْ يقول: من صلَّى في بقعة نجسة فعليه لعنة الله. ويلزم على ما قاله هؤلاء: أنَّ النبي

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٩٧٢)، وأبوداود في «السنن» رقم (٣٢٢٩) والترمذي في «الجامع» رقم (١٠٥٠) وأحمد في «المسند» (٤/١٣٥).

(٢) ينظر: ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٧٢).

(٣) (هـ)(ط): الذين.

(٤) ساقط من الأصل.

(٥) (هـ)(ط): الموتى.

(٦) (هـ)(ط): من وجوه.

(٧) (هـ)(ط) والتغليظ عليه.

(٨) (هـ)(ط): من. ساقطة.

ﷺ لم يُبيِّن العلة، وأحالَ الأمة في بيانها على من يجيءُ بعده ﷺ، وبعد القرون المُفضَّلة والأئمة.

وهـذا باطلٌ قطعاً عقلاً وشرعاً؛ لما يلزمُ عليه من أنَّ الرسول ﷺ عجز عن البيان، أو قصَّر في البلاغ. وهذا من أبطل الباطل؛ فإنَّ النبي ﷺ بلَّغ البلاغ المبين، وقدرتُه في البيان فوقَ قدرة كلِّ أحد، فإذا بطل اللَّازمُ بطل الملزوم.

ويُقـال أيضـاً: هذا اللعنُ والتغليظ الشـديد إنَّما هو فيمن اتخذ قبورَ الأنبياء مسـاجـد، وجـاء في بعض النصـوص ما يَعمُّ الأنبياء وغيرهم. فلو كانت هذه [هي][1] العلة لكانت منتفيةً في قبور الأنبياء؛ لكون أجسادهم طريَّة لا يكون لها صديدٌ يمنـع من الصلاة عند قبورهم. فإذا كان النهيُ عن اتخاذ المساجد عند القبـور يتناولُ قبور الأنبياء بالنص، عُلم أنَّ العلة ما ذكره هؤلاء العلماء الذين نَقلتُ[2] أقوالهم.

والحمدُ لله على ظهور الحجةِ وبيان المحجَّة، والحمدُ لله الذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله.

---

(١) إضافةٌ من (ض) و (هـ) و (ط).

(٢) (ض)(هـ)(ط): قد نقلت.

(٢٠)
بـــاب
ما جـاء أن الغلـو في قبـور الصالحيـن يصيــرها أوثانـا تعبـد من دون اللــه

قال الـمُصنِّفُ رحمـه الله تعـالى: بابُ ما جاء أنَّ الغلوَّ في قبـور الصالحين يُصيِّرها أوثاناً تُعبد من دون الله.

روى مالك في (الموطأ): أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اللهمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعبد. اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ش: هذا الحديثُ رواه مالكٌ مرْسلاً، عن زيد بن أسْلم، عن عطاء بن يسار: أنَّ رسول الله ﷺ قال. الحديث.

ورواه ابنُ أبي شيبة في (مُصنَّفه)، عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، به. ولم يذكر عطاء.[١] ورواه البَزارُ عن زيد، عن عطاء، عن أبي سعيد الخُدري، مرفوعاً.[٢]

وله شاهدٌ عند الإمام أحمد بسنده، عن سُهيل/ بن أبي صالح، عن أبيه، عن [٨١/ب]

---

(١) مالك في «الموطأ» كتاب الصلاة باب الصلاة رقم (٢٦١) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٣٤٥)، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/٢٤٠) وعبدالرزاق في «المصنف» رقم (١٥٨٧).

(٢) البزار في «المسند» رقم (٤٤٠) (كشف) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٢٨): رواه البزار، وفيه عمر بن صهبان. وقد أجمعوا على ضعفه. وعزاه الحافظ ابن عبدالبر في «التمهيد» (٥/٤٢) إلى البزار من طريق عمر بن محمد العمري، وصححه.

أبي هريرة، رفعه «اللهمَّ لا تجعل قبري وثَناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١]

قوله: (روى مالكٌ في الموطأ). هو الإمامُ، مالكُ بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبدالله المدني. إمامُ دار الهجرة، وأحدُ الأئمة الأربعة، وأحد المتقنين للحديث؛ حتى قال البخاري: أصحُّ الأسانيد مالكٌ عن نافع عن ابن عمر، مات سنة تسعٍ وسبعين ومائة. وكان مولده [سنة][٢] ثلاثٍ وتسعين. وقيل: أربع وتسعين. قال الواقدي: بلغ تسعين سنة.

قوله: «اللهمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعبد» قد استجاب الله دعاءه، كما قال ابنُ القيم رحمه الله:

فأجاب رَبُّ العالمين دعاءَه ... وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه ... في عِزَّةٍ وحماية وصيان[٣]

ودلَّ الحديثُ: على أنَّ قبر النبي ﷺ لو عُبد لكان وثناً، لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس، فلا يُوصلُ إليه.

ودلَّ الحديثُ: على أنَّ الوثن، هو ما يباشر[٤] العابدُ من القبور، والتَّوابيت التي عليها. وقد عظُمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كيف أنتم إذا لبستكم فتنةٌ يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير.

---

(١) أحمد في «المسند» (٢/٢٤٦)، وأخرجه الحُميدي في «المسند» رقم (١٠٢٥) وأبونعيم في «الحلية» (٦/٢٨٣، ٧/٣١٧).

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) ابن القيم، «الكافية الشافية» (١٨٠).

(٤) (ض)(هـ) (ط): ما يباشره.

تجري على الناس يتخذونها سنَّة، إذا غُيِّرت، قيل: غُيِّرت السنة[١] انتهى[٢].

ولخوف الفتنة، نهى عمر رضي الله عنه عن تتبُّع آثار النبي ﷺ:

قال ابنُ وضَّاح[٣]: سمعتُ عيسى بن يُونس[٤]، يقول: أمر عمرُ بن الخطاب بقطع الشجرة التي بُويع تحتها النبي ﷺ.[٥] فقطعها؛ لأن النَّاس كانوا يذهبون فيصلُّون تحتها، فخاف عليهم الفتنة.[٦]

وقال المعرور بن سُويد:[٧] صلَّيتُ مع عمر بن الخطاب بطريق مكة، صلاة الصبح. ثم رأى الناس يذهبون مذاهب، فقال: أين يذهبُ هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، مسجدٌ صلَّى فيه النبيُّ ﷺ فهم يُصلُّون فيه. فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا؛ كانوا يتَّبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبِيَعاً/ [٨٢/أ]. فمن أدركته الصلاةُ في هذه المساجد، فليصلِّ. ومن لا، فليمض ولا يتعمَّدها.[٨]

وفي (مغازي) ابن إسحاق[٩]، من زيادات يُونس بن بُكير[١٠]، عن أبي خَلْدة

---

(١) أخرجه الدارمي في «السنن» رقم (١٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٥١٤).

(٢) سليمان بن عبدالله، «تيسير العزيز الحميد» (٣٤٠).

(٣) أبو عبدالله، محمد بن وضَّاح بن بزيع، مولى عبدالرحمن بن معاوية، حافظ الأندلس (ت ٢٨٦هـ) «لسان الميزان» (٥/٤١٦).

(٤) ابن أبي اسحاق السَّبيعي، نزل الشام مُرابطاً، ثقةٌ مأمون (ت ١٨٧هـ) «تقريب» (٤٤١).

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/١٠٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/٣٧٥) عن ابن عون عن نافع، قال ابن حجر في «الفتح» (٧/٤٤٨) إسناده صحيح.

(٦) ابن وضاح، «البدع والنهي عنها» (٤٢).

(٧) أبو أمية الإسدي الكوفي، تابعي ثقة، عاش مائة وعشرين سنة. «تقريب» (٥٤٠).

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/٣٧٦) وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (٤٢) قال الحافظ ابن تيمية في «التوسل والوسيلة» (٢٠٣) إسناده صحيح.

(٩) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم، المدني نزيل العراق، إمام المغازي، صدوقٌ يدلس، ورمي بالتشيع والقدر (ت ١٥٠هـ) «تقريب» (٤٦٧).

(١٠) أبوبكر، ابن واصل الشيباني الجمَّال الكوفي، صدوقٌ يخطىء (ت ٢٩٩هـ). «تقريب» (٦١٣).

خالد بن دينار[١]، حدَّثنا أبو العالية، قال: لما فتحنا تُسْتَر[٢]، وجدنا في بيت مال الهُرمزان سريراً عليه رجلٌ ميت، عند رأسه مصحف. فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر، فدعا له كعباً فنسخه بالعربية، فأنا أوَّلُ رجلٍ قرأه من العرب:

قرأته مثل ما أقرأ القرآن. فقلت: لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتُكم وأمورُكم ولحون كلامكم، وما هو كائنٌ بعدُ. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة. فلما كان بالليل دفناه، وسوَّينا القبور كلها لِنُعمِّيه على النـاس لا ينبشونه. قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماءُ إذا حُبست عنهم برزوا بسريره فيمطرُون، فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجلٌ يقال له: دانيال، فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة. قلت: ما كان تغيَّر منه شيء؟ قال: لا، إلَّا شُعيرات من قفاه. إنَّ لحوم الأنبياءِ لا تُبليها الأرض[٣].

قال ابنُ القيـم: ففي هذه القصة، ما فعله المهاجرون والأنصار من تَعْمية قبره؛ لئَّلا يُفتتن به. ولم يُبرزُوه للدعاء عنده والتبركِ به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله[٤]

قال شيخُ الإِسـلام: وهـو إنكـارٌ منهم لذلك، فمن قصد بقعةً يرجو الخير

---

(١) التميمي السَّعدي، البصري الخياط، مشهور بكنيته، صدوق. «تقريب» (١٨٧).

(٢) مدينة بالمشرق الأقصى، فتحت في خلافة عمر رضي الله عنه، ينظر: ياقوت «معجم البلدان» (٢/ ٢٩) والذهبي «تاريخ الإسلام» (١٩٨/عهد الخلفاء).

(٣) قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٧) وهذا إسنادٌ صحيح، إلى أبي العالية. ولكن إن كان تأريـخ وفاتـه محفوظـاً من ثلاثمائة سنـة، فليـس بنبـي، بل هو رجلٌ صالح. وأخرجه نُعيم بن حماد. في «الفتن» رقم (٣٧) مختصراً. قال ابن تيمية في «الاغاثة» (٢٨): وهذا من فعل أهل الكتاب، لا من فعل المسلمين. فليس فيه حجة، فلا يحتج به محتج.

(٤) ابن القيم، «اغاثة اللهفان» (١/ ٢٢٢).

بقصـدهـا ـ ولم يستحب الشارعُ قصدها ـ فهو من المنكرات، وبعضه أشدّ من بعض. سواءٌ قصدها ليصلِّ عندها أو ليدعو عندها،(١) أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله عندها، أو لينسُك عندها. بحيثُ يخصُّ تلك البقعة بنوع من العبادة التي(٢) لم يُشرع تخصيصُها به، لا نوعاً ولا عيناً.

إلَّا أنَّ ذلك قد يجوزُ بحكم الاتفاق، لا لقصد(٣) الدعاء فيها. كمن يزورها ويسلِّمُ عليها، ويسألُ الله العافية له وللموتى، كما جاءت السنة به.

وأمَّا تحري الدعاء عندها، بحيثُ يستشعرُ أنَّ الدعاء هناك أجْوَبُ منه في غيره، فهذا هو المنهي عنه. انتهى مُلخصاً.(٤)

قوله: «اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتَّخذوا قبور/ أنبيائهم مساجد» ففيه تحريمُ [٨٢/ب] البناء على القبور، وتحريمُ الصلاة عندها، وأنَّ ذلك من الكبائر.

وفي (القِرَى) للطبري:(٥) عن أصحاب مالك، عن مالك، أنَّه كره أنْ يقول: زرتُ قبرَ النبي ﷺ. وعَلَّل ذلك، بقوله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد» الحديث. كره إضافة هذا اللفظ إلى القبر؛ لئلا يقع التَّشبُّه بفعل أولئك؛ سدّاً للذريعة(٦).

قال شيخُ الإسلام: ومالكُ قد أدرك التابعين، وهم أعلمُ الناس بهذه المسألة،

---

(١) (ض): أو ليدعو عندها. ساقط.

(٢) (ط): التي. ساقطة.

(٣) (ض): قصد.

(٤) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٨١) ومابعدها.

(٥) الأصل و (ض) للطبراني. تحريف. وهو أبو العباس، أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي، الشافعي، فقيه محدث (ت ٦٧٤هـ). «تذكرة الحفاظ» (٤/ ٢٥٥).

(٦) الطبري، «القِرى لقاصد أم القرى» (٦٢٩)، وانظر «الشفاء» للقاضي عياض (٢/ ٦٦٧) ومابعدها.

فدلَّ ذلك[١] على أنَّه لم يكن معروفاً عندهم ألفاظُ زيارة قبر النبي ﷺ.

إلى أنْ قال: وقد ذكروا في أسباب كراهته لأن يقول: زرتُ قبر النبي ﷺ؛ لأنَّ هذا اللفظ قد صار كثيرٌ من الناس يريد [به][٢] الزيارة البدعية، وهي[٣] قصدُ الميت لسؤاله ودعائه، والرغبة إليه في قضاء الحوائج، ونحو ذلك مما يفعله كثيرٌ من الناس.

فهم يعنـون بلفظ الزيارة: مثل هذا، وهذا ليس بمشروعٍ باتفاق الأئمة. فكره[٤] مالكُ أنْ يتكلَّم بلفظٍ مجمل يدلُّ على معنى فاسد، بخلاف الصلاة عليه والسلام، فإنَّ ذلك مما أمر الله به.

أمَّا لفظُ الزيارة في عموم القبور، فلا يُفهم منها مثل هذا المعنى، ألا ترى إلى قوله: «فزوروا القبور فإنَّها تذكركُم الآخرة» مع زيارته لقبر أمه.[٥] فإنَّ هذا يتناول قبور الكفار.

فلا يُفهم من ذلك: زيارة الميت لدعائه، وسؤاله والاستغاثة به، ونحو ذلك مما يفعله أهـلُ الشرك والبدع. بخلاف ما إذا كان المَزورُ معظَّماً في الدين كالأنبياء والصالحين، فإنه كثيراً ما يُعنى بزيارة قبورهم هذه الزيارة البدعية الشركية. فلهذا

---

(١) (ض): ذلك. ساقطة.

(٢) اضافة من (ط).

(٣) (هـ)(ط): وهو.

(٤) (هـ)(ط): وكره.

(٥) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٩٧٦) وأبوداود في «السنن» رقم (٣٢٣٤) والنسائي في «المجتبى» (٤/٧٤) وابن ماجة في «السنن» رقم (١٥٧٢) وأحمد في «المسند» (٢/٤٤١) والحاكم في «المستدرك» (١/٣٧٥) من حديث أبي هريرة.

كره مالك ذلك في مثل[١] هذا، وإنْ لم يكره ذلك في موضعٍ آخر، ليس فيه هذه المفسدة. انتهى.[٢]

وفيه: أنَّ النبي ﷺ لم يسْتعذ إلاَّ مما يُخاف وقوعه. ذكره المصنِّف رحمه الله تعالى.[٣]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولابن جريرٍ بسنده، عن سُفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿أَفَرَأَيْتُم اللَّاتَ وَالعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] قال: كان يَلُتُّ لهم السَّويق فمات، فعكفوا على قبره[٤].

وكذا قال أبو الجوزاء، عن ابن عباس: كان يلُتُّ السويق للحاج[٥].

ش: قولـه: (ولابن جرير). هو الإمـام/ الحـافظُ، محمـد بن جرير بن يزيد [٨٣/] الطبري، صاحبُ (التفسير) و(التاريخ) وغيرهما[٦]. قال ابنُ خزيمة: لا أعلمُ على وجه الأرض أعلمَ من محمد بن جرير. وكان من المجتهدين، لا يقلِّدُ أحداً. وله أصحابٌ يتفقهون على مذهبه، يأخذون بأقواله. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات ليومين بقيا من شوال سنة عشرٍ وثلاثمائة.

قوله: (عن سُفيان)، الظاهر: أنَّه سفيان بن سعيد بن مسرُوق [الثوري][٧]، أبو عبدالله الكوفي، ثقةٌ حافظٌ فقيه إمامٌ عابد. كان مجتهداً، وله أتباعٌ يتفقهون

---

(١) (هـ)(ط): مثل. ساقطة.

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/٣٥٨)، وانظر «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٧٦٢).

(٣) المسألةُ الثالثة.

(٤) ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٧/٥٨).

(٥) «المصدر السابق» (٢٧/٥٩).

(٦) (هـ)(ط): «والاحكام» وغيرها.

(٧) إضافةٌ من (ط).

على مذهبه. مات سنة إحدى وستين ومائة، وله أربعٌ وستون سنة.

قوله: (عن منصور). هو ابن المعتمر بن عبدالله السُّلمي، ثقةٌ ثبتٌ فقيه. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

قولـه: (عن مُجاهـد) هو ابنُ جَبْر- بالجيم والموحَّدة - أبو الحجاج المخزُومي مولاهم المكي، ثقةٌ إمامٌ في التفسير، أخذه[1] عن ابن عباس وغيره. مات سنة أربعٍ ومائة، قاله يحيى القطَّان. وقال ابنُ حبان: مات سنة اثنتين - أو ثلاث - ومائة، وهو ساجد. ولد سنة إحدى وعشرين، في خلافه عمر.

قوله: (كان يَلُتُّ لهم السَّويق، فمات فعكفوا على قبره)، في رواية: فيُطعمُ من يمرُّ من الناس، فلما مات عبدوه، وقالوا: هو اللاَّتّ. رواه سعيدُ بنُ منصور[2].

ومناسبتُه للترجمة: أنَّهم غلوا فيه لصلاحه حتى عبدوه، وصار قبره وثناً من أوثان المشركين.

قوله: (وكذا قال أبو الجوزاء). هو أوسُ بن عبدالله الرَّبَعي، بفتح الراء والباء. مات سنة ثلاثٍ وثمانين.

قال البخـاري: حدَّثنا مسلم - وهو ابنُ إبراهيم -، حدَّثنا أبو الأشهب،[3] حدَّثنا أبو الجوزاء، عن ابن عباس، قال: كان اللاَّتُ رجلاً يَلُتُّ سويق الحاج.[4]

قال ابنُ خُزيمة: وكذا العُزَّى، وكانت شجرةً عليها بناءٌ وأستار بنخلة، بين

---

(١) (ط): أخذ.

(٢) مضى تخريجه.

(٣) الأصل و (ض) و (هـ) أبو الاشعث. تحريف، وهو جعفر بن حَيَّان السعدي العُطاردي، البصري، مشهور بكنيته، ثقة (ت ١٦٥هـ) «تقريب» (١٤٠).

(٤) البخاري في «الصحيح» رقم (٤٨٥٩).

مكة والطائف، كانت قريشٌ يعظِّمونها، كما قال أبو سفيان يوم أُحد: لنا العُزَّى ولا عُزّى لكم(١).

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، قال: لعن رسولُ الله ﷺ زائراتِ القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج. رواه أهلُ السنن(٢).

ش: قلتُ: وفي الباب حديثُ أبي هريرة /، وحديثُ حسَّان بن ثابت. فأمَّا [٨٣/١] حديثُ أبي هُريرة: فرواه أحمد، والترمذي وصحَّحه. (٣) وحديثُ حسَّان، أخرجه

---

(١) مضى تخريجه.

(٢) أبوداود في «السنن» رقم (٣٢٣٦)، والترمذي في «الجامع» رقم (٣٢٠) وقال: حديث ابن عباس حديثٌ حسن، وأبوصالح هذا هو مولى أم هانيء بنت أبي طالب واسمه باذان، ويقال: باذام أيضاً. والنسائي في «المجتبى» (٤/٩٥) وابن ماجة في «السنن» رقم (١٥٧٥)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٣٧) والطيالسي في «المسند» رقم (٢٧٣٣) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٣٤٤) وابن حبان في «الصحيح» (٥/٧٢) والطبراني في «الكبير» رقم (١٢٧٢٥) والحاكم في «المستدرك» (١/٣٧٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/٧٨) وابن شاهين في «ناسخ الحديث ومنسوخه» رقم (٣٠٧) والخطيب في «التاريخ» (٨/٧٠). قال المنذري في «مختصر سنن أبي داود». (٤/٣٤٨): وفيما قاله (الترمذي) نظر؛ فإنَّ أبا صالح هو صاحب الكلبي، وقد قيل: إنه لم يسمع من ابن عباس، وتكلم فيه جماعة من الأئمة.

وأجاب ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٤/٣٥٠) بتوثيق القطان، ورواية شعبة عنه، وترك ابن مهدي لا يعارض ذلك، فحديثه حسن.

ويرى ابن القيم في «تهذيب السنن» (٢٤/٣٤٨) أنَّ أبا صالح هذا هو مهران، وهو ثقة وليس بصاحب الكلبي المزعوم. ونقل ذلك عن أبي حاتم. وفي بعض نسخ «الجامع» كما يقول ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٢٩٤) قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٣) أحمد في «المسند» (٢/٣٣٧، ٣٥٦)، والترمذي في «الجامع» رقم (١٠٥٦)، وأخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (١٥٧٦) والطيالسي في «المسند» رقم (٢٣٥٨) وابن شاهين في «ناسخ الحديث» رقم =

ابنُ ماجة، من رواية عبدالرحمن [بن حسّان][١] بن ثابت، عن أبيه، قال: لعن رسولُ الله ﷺ زوّارات القبور.[٢]

وحديثُ ابنُ عباس هذا: في إسناده أبو صالح مولى أُم هانىء، وقد ضعّفه بعضُهم ووثقه بعضهم. قال علي بن المَديني،[٣] عن يحيى القطان:[٤] لم أر أحداً[٥] من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أُم هانىء. وما سمعتُ أحداً من الناس يقول فيه شيئاً، ولم يتركه شُعبة،[٦] ولا زائدة،[٧] ولا عبدالله بن عثمان.[٨]

= (٣٠٦) وابن حبان في «الصحيح» (٥/٧٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/٧٨) وصححه ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٤/٣٦٠) والبغوي في «شرح السنة» (٢/٤١٧).

(١) إضافةٌ من (ط).

(٢) ابن ماجة في «السنن» رقم (١٥٧٤)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/٤٤٢، ٤٤٣) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٣٤٥) وابن شاهين في «ناسخ الحديث ومنسوخه» رقم (٣٠٨) والطبراني في «الكبير» رقم (٣٥٩١) والحاكم في «المستدرك» (١/٣٧٤) والبيهقي في «السنن» (٤/٧٨)، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/٥١٦): إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٣) أبو الحسن، ابن عبدالله بن جعفر بن نجيح السّعدي مولاهم، بصري ثقة ثبت إمام (ت ٢٣٤هـ). «تقريب» (٤٠٣).

(٤) أبوسعيد، بن سعيد بن فَرُّوخ التميمي، ثقة متقن، حافظ إمام قدوه (ت ١٩٨هـ). «تقريب» ٥٩١.

(٥) الأصل: واحداً.

(٦) أبو بسطام، شُعبة بن الحجاج بن الورد العَتكي، مولاهم الواسطي، ثم البصري، ثقةٌ حافظ متقن، كان الثوري يقول. هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال وذبَّ عن السنة، وكان عابداً ت (١٦٠هـ). «تقريب» (٢٦٦).

(٧) أبـو الصَّلت، زائدة بن قدامة الثقفي الكوفي، ثقة ثبْت، صاحب سُنَّة (ت ١٦٠هـ) وقيل بعدها. «تقريب» (٢١٣).

(٨) البصري، شَريك شعبة، قال النسائي: ثقة ثبْت، مات قبل شعبة. «تقريب» (٣١٣).

وقال ابنُ معين: [١] ليس به بأس، ولهذا أخرجه ابن السَّكَن[٢] في (صحاحه). [٣] انتهى من (الذهب الإبريز)، [٤] عن الحافظ المِزِّي. [٥]

قال شيخُ الإسلام: وقد جاء عن النبي ﷺ، من طريقين: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ: لعن زوّارات القبور. وذكر حديثَ ابن عباس، ثم قال: ورجالُ هذا ليس رجال هذا، فلم يأخذه أحدُهما عن الآخر، وليس في الإسنادين من يُتَّهم بالكذب، ومثلُ هذا حجةٌ بلا ريب. وهذا من أجود الحسن، الذي شرطه الترمذي؛ فإنه جعل الحسن: ما تعدَّدت طرقُه ولم يكن فيه مُتَّهم، ولم يكن شاذاً، أي: مُخالفاً لما ثبت بنقل الثقات.

وهذا الحديثُ: تعددت طرقُه، وليس فيها مُتهم، ولا خالفه أحدُ من الثقات. هذا لو كان عن صاحبٍ واحد، فكيف إذا كان هذا رواه عن صاحبٍ، وذاك عن آخر؟ فهذا كلُّه يُبيِّنُ أنَّ الحديث في الأصل معروف.

والذين رخَّصوا في الزيارة، اعتمدوا على ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها: أنها زارت قبرَ أخيها عبدالرحمن، وقالت: لو شهدتُك ما زُرتُك[٦].

وهذا يدلُّ على أنَّ الزيارة ليست مُستحبةً للنساء كما تُستحب للرجال، إذ لو

---

(١) أبوزكريا، يحيى بن مَعين بن عَوْن الغَطَفَاني مولاهم، البغدادي، ثقة حافظٌ مشهور إمام الجرح والتعديل (ت ٢٣٣هـ) بالمدينة النبوية. «تقريب» (٥٩٧).

(٢) أبوعلي، سعيد بن عثمان بن سعيد البغدادي، حافظ حجة (ت ٣٥٣هـ) «تذكرة الحفاظ» (٣/٩٣٧).

(٣) (ط): صحيحه.

(٤) الأصل: الابريزي. وهو كتاب «الذهب الابريز شرح المعجم الوجيز من أحاديث الرسول العزيز» لابي المحاسن، محمد بن خليل الطرابلسي، القاوقجي (ت ١٣٠٥هـ) «هديه العارفين» (٢/٣٨٧).

(٥) «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للمزي (٤/٧).

(٦) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (١٠٥٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٣٤٣) وعبدالرزاق في «المصنف» (٣/٥١٧).

كان كذلك لا ستَحبَّت زيارته، سواء شهدته أم لا[١].

قلتُ: فعلى هذا، فلا[٢] حُجَّةَ فيه لمن قال بالرُّخصة.

وهـذا السِّياقُ لحديث عائشة: رواه الـترمـذيُّ، من رواية عبـدالله بن أبي مُلَيْكة[٣]، عنها/. وهو يُخالف سياق الأثرم له، عن عبدالله بن أبي مُليكة أيضاً: [٨٤/أ] أنَّ عائشة رضي الله عنها أقبلت ذاتَ يومٍ من المقابر. فقلتُ لها: يا أُمَّ المؤمنين، أليس نهى رسولُ الله ﷺ عن زيارة القبور؟ فقالت: نعم!، نهى عن زيارة القبور، ثم أمر بزيارتها.[٤]

فأجـاب شيخُ الإسـلام عن هذا، فقال: ولا حُجّة في حديث عائشة؛ فإنَّ المُحتجَّ عليها احتج بالنهي العام، فدفعت ذلك بأنَّ النهي منسوخ، ولم يَذكُر لها المُحتجُّ النهيَ الخاص بالنساء، الذي فيه لعنهن على الزيارة.

يُبـيِّنُ ذلـك قولهـا: قد أمـر بزيارتهـا. فهـذا يُبـيِّنُ أنـه أمـرَ بها أمراً يقتضي الاستحبـاب، والاستحبـابُ إنما هو ثابتٌ للرجال خاصة. ولو كانت تعتقدُ أنَّ النسـاء مأمـورات بزيارة القبور، لكانت تفعلُ ذلك كما يفعلُه الرجال، ولم تقل لأخيها: لما زرتك.

واللَّعنُ صريحٌ في التحريم، والخطابُ بالإذن في قوله: «فَزُورُوها»[٥] لم يتناول

---

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٢٤/٣٤٥، ٣٥١)

(٢) (ط): لا.

(٣) عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله بن أبي مُلَكية بن عبدالله بن جُدْعان التيمى، المدني، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه (ت ١١٧هـ). «تقريب» (٣١٢).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/٣٧٦) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/٧٨).

(٥) قطعـة من حديث أخـرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٩٧٧)، وأبو داود في «السنن» رقم (٣٢٣٥)

النساء، فلم[1] يدخلن في الحكم الناسخ. والعامُّ إذا عُرف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخاً له عند جمهور العلماء، وهو مذهبُ الشافعي، وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهو المعروفُ عند أصحابه. فكيف إذا لم يُعلم أنَّ هذا العام بعد الخاص؟. إذْ قد يكون قوله: «لعن الله زوَّارات القبور» بعد إذنه للرجال في الزيارة؛ يدلُّ على ذلك: أنَّه قرنه بالمتَّخذين عليها المساجد والسُّرُج؛ ومعلومٌ أنَّ اتخاذ المساجد والسرج المنهي عنه[2] مُحكم؛ كما دلَّت عليه الأحاديثُ الصحيحة، وكذلك الآخر.

والصحيح: أنَّ النساء لم يدخُلن في الإذن في زيارة القبور، لعدة أوجه:

أحدُها: أنَّ قوله ﷺ: «فزوروها» صيغةُ تذكير. وإنما يتناول النساء أيضاً على سبيل التغليب. لكن هذا فيه قولان، قيل: إنَّه يحتاجُ إلى دليل مُنفصل، وحينئذٍ فيحتاج تناول ذلك النساء[3] إلى دليلٍ منفصل، وقيل: إنَّه يُحمل على ذلك عند الإطلاق.

وعلى هذا: فيكونُ دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعامُّ لا يُعارضُ الأدلة الخاصة ولا ينسخها عند جمهور العلماء. ولو كان النساءُ داخلات في هذا الخطاب لا ستُحبَّ لهن زيارة القبور، وما علمنا أحداً من الأئمة استحبَّ لهن زيارة القبور/، ولا كان النساء على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين يخرُجن إلى زيارة القبور. [٨٤/ب]

ومنها: أنَّ النبي ﷺ علَّل الإذن للرجال، بأنَّ ذلك «يذكِّرُ الموت، ويرقِّقُ

= والترمذي في «الجامع» رقم (١٠٥٤) والنسائي في «المجتبى» (٤/ ٨٩)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٠، ٣٥٦) من حديث بُريدة.

(١) (هـ) (ط): في.

(٢) (ط): عنها.

(٣) (هـ) (ط): للنساء.

القلب، وتدمع العين» هكذا في (مُسند أحمد)[١]. ومعلومٌ أنَّ المرأة إذافُتح لها هذا الباب أخرجها إلى الجزع والندب والنياحة؛ لما فيها من الضَّعف وقلة الصبر. وإذا كانت زيارة النساء مَظِنَّةً وسبباً للأمور المحرَّمة، فإنه لا يُمكن أنْ يُحدَّ المقدار الذي لا يُفضي إلى ذلك، ولا التمييز بين نوع ونوع.

ومن أُصول الشريعة: أنَّ الحكمة إذا كانت خفيَّةً أو مُنتشرة عُلِّق الحكمُ بمظنتها. فيحرُم هذا الباب سدَّاً للذريعة، كما حُرِّم النظرُ إلى الزينة الباطنة، وكما حُرِّم الخلوةُ بالأجنبية وغير ذلك. وليس في ذلك من المصلحة ما يُعارض هذه المفسدة، فإنَّه ليس في ذلك إلَّا دعاؤها للميت. وذلك ممكنٌ في بيتها.

ومن العُلماء من يقول: التَّشْييعُ كذلك، ويحتجُّ بقوله ﷺ: «ارجعن مأزوراتٍ غير مأجورات، فإنكن تَفتنَّ الحي وتُؤذين الميت»[٢] وقوله لفاطمة: «أمَا إنَّك لو بلغت معهم الكُدَى[٣] لم تدخُلي الجنة»[٤].

---

(١) أحمد في «المسند» (٣/٢٣٧، ٢٥٠)، وأخرجه الموصلي في «المسند» رقم (٣٧٠٥، ٣٧٠٦، ٣٧٠٧) والبزار في «المسند» رقم (١٢١١) (كشف) والحاكم في «المستدرك» (١/٣٧٦) والبيهقي (٤/٧٧) من حديث أنس.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «التاريخ» (٦/٢٠١) وابن الجوزي في «الواهيات» رقم (١٥٠٦) و قال: فيه أبو هدبة، وقد أجمعوا على انه كذاب. وأخرجه موقوفاً على عمر: عبدالرازق في «المصنف» (٣/٤٥٧)، وأخرج الجملة الأولى: ابن ماجة في «السنن» رقم (١٥٧٨) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/٧٧) وابن شاهين في «ناسخ الحديث» رقم (٣١١) وابن الجوزي في «الواهيات» رقم (١٥٠٧) من حديث علي. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/٥١٧): وإسنادُه مختلف فيه. وأخرجه من حديث أنس أبويعلى، الموصلي في «المسند» رقم (٤٠٥٦) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٢٨) رواه أبويعلى وفيه الحارث بن زياد، قال الذهبي ضعيف. وابن شاهين في «ناسخ الحديث» رقم (٣١٢).

(٣) جمع كُدْيَة، وهي القطعةُ الصلبة من الأرض، تحفر فيها القبور. «تغريب الحديث» للخطابي (١/٣٨٤).

(٤) أخرجه أبوداود من حديث بن عمر في «السنن» رقم (٣١٢٣) والنسائي في «المجتبى» (٣/٢٧) وأحمد في «المسند» (٢/١٦٨، ١٦٩) والحاكم في «المستدرك» (١/٣٧٣) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي

يؤيِّدُه: ما ثبت في (الصحيحين)؛ من أنَّه نهى النساءَ عن اتباع الجنائز[١]، ومعلومٌ أنَّ قوله ﷺ: «من صلَّى على جنازة فله قيراط، ومن تبعها حتى تُدفن فله قيراطان»[٢] هو أدلُّ على العموم من صيغة التذكير؛ فإن لفظ: مَن، يتناولُ الرجالَ والنساء باتفاق الناس، وقد عُلم بالأحاديث الصحيحة أنَّ هذا العموم لم يتناول النساء لنهي النبي ﷺ لهن عن اتباع الجنائز. فإذا لم يدخُلن في هذا العموم، فكذلك في ذلك بطريق الأولى. انتهى ملخصاً.[٣]

قلتُ:[٤] وعمَّا استدلَّ به القائلون بالنسخ أجوبةٌ أيضاً:

منها: أنَّ ما ذكروه عن عائشة وفاطمة رضي الله عنهما معارضٌ بما ورد عنهما في هذا الباب، فلا يثبتُ به نسخ.

ومنها: أنَّ قول الصحابي وفعله ليس حجةً على الحديث، بلا نزاع. وأمَّا تعليمهُ عائشة كيف تقول إذا زارت القبور ونحو ذلك، فلا يدلُّ على نسخ ما دلَّت/ عليه [٨٥] الأحاديثُ الثلاثة من لعن زائرات القبور؛ لاحتمال أنْ يكون ذلك قبل هذا النهي الأكيد والوعيد الشديد، والله أعلم.

= في «السنن» (٤/٧٧)، قال المنذري في «مختصر السنن» (٤/٢٨٩): فيه ربيعة بن سيف المعافري وفيه مقال.

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٣١٣، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ٥٣٤٠، ٥٣٤١، ٥٣٤٢، ٥٣٤٣) ومسلم في «الصحيح» رقم (٩٣٨)، وأخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٣١٦٧) وابن ماجة في «السنن» رقم (١٥٧٧) وأحمد في «المسند» (٦/٤٠٩) من حديث أم عطية.

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (١٣٢٥) ومسلم في «الصحيح» رقم (٩٤٥) وأحمد في «المسند» (٢/٤٠١) من حديث أبي هريرة.

(٣) «مجموع فتاوى» ابن تيمية (٢٤/٣٤٣ ـ ٣٥٦).

(٤) (هـ)(ط): قلت: ويكون الاذن في زيارة القبور مخصوصا بالرجال، خص بقوله: «لعن الله زوارات القبور» الحديث. فيكون من العام المخصوص.

قال محمدُ بن إسماعيل[١] في كتاب (تطهير الاعتقاد): والمشاهدُ التي صارت أعظم ذريعةٍ إلى الشرك والالحاد، غالبُ من يعمرُها الملوكُ والسلاطين. إمَّا على قريبٍ لهم، أو على من يُحسنون الظنَّ فيه من فاضلٍ أو عالم.

ويزوره النـاسُ الـذين يعرفونه، زيارةَ الأموات من دون توسلٍ به ولا هتفٍ باسمه، بل يدعون له ويستغفرون.

حتى ينقرض من يعرفُه أو أكثرهم، فيأتي مَنْ بعدهم من يرى قبراً قد شُيِّد عليه البناء، وسُرجت عليه الشموع، وفُرش بالفراش الفاخر. فيعتقد أنَّ ذلك لنفعٍ أو دفع ضر، وتأتيه السدنةُ يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل، وأنزل بفلانٍ الضر وبفـلان النفع، حتى يغرسوا في جبلَّته كلَّ باطل. والأمرُ ما ثبت في الأحاديث النبوية، من لعن من سرج القبور وكتب عليها وبنى عليها. وأحاديثُ ذلك واسعةٌ معروفة؛ فإنَّ ذلك في نفسه منهيٌّ عنه، ثم هو ذريعةٌ إلى مفسدةٍ عظيمة.[٢] انتهى.[٣]

ومنه تعلم مطابقة الحديثِ للترجمة، والله أعلم.

قوله: (والمتَّخذين عليها المساجد) تقدَّم شرحُه في الباب قبله.

قوله: (والسُّرُج) قال أبو محمد المقدسي: لو أبيح اتخاذُ السرج عليها لم يُلعن من فعله؛ لأنَّ فيه تضييعاً للمال في غير فائدة، وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه تعظيم[٤] الأصنام.

---

(١) الأمير، ابن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني، ثم الصنعاني، فقيه محدِّث، داعيةٌ مصلح (ت ١١٨٢) «البدر الطالع» (٢/ ١٣٣).

(٢) يلاحظ مطابقة مافي (ط) لما في «التطهير» والمثبت من الأصل والنسخ الأخرى.

(٣) ابن الأمير «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» (٤٨) (طـ صبيح).

(٤) (ط): بتعظيم.

وقال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: اتخاذها مساجد وإيقادُ السرج عليها من الكبائر.[١]

قوله: (رواه أهلُ السُّنن). يعني أبا داود، والترمذي، وابن ماجة، فقط، ولم يروه النسائي[٢].

---

(١) ابن القيم، «إغاثة اللهان من مصائد الشيطان» (١/ ٢١٥).

(٢) أخرجه النسائي كما سبق بيانه، وقد تابع المؤلف الشارح في ذلك. والله أعلم.



(٢١)
بـــاب
ما جـاء فـي حماية المصطفـى ﷺ جنــاب التوحـيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جنابَ التوحيد، وسدِّه كلَّ طريق يُوصل إلى الشركِ.

ش: الجناب: هو الجانب، والمرادُ حمايتُه عمَّا يقربُ إليه(١) أو يخالطه من الشرك وأسبابه.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُم رَسُولٌ مِن أنْفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيْصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ش: قال ابنُ كثير: يقول تعالى ممتناً على المؤمنين بما / أرسل إليهم رسولاً من [٨٥/أ] أنفسهم، أي: من جنسهم وعلى لغتهم، كما قال إبراهيمُ عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِم رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩](٢) وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَىٰ الْمُؤمِنِينَ إذْ بَعَثَ فِيهم رَسُولاً مِن إنْفُسِهِم﴾(٢) [آل عمران: ١٦٤] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُم رَسُولٌ مِن أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: منكم، كما قال جعفرُ بن أبي طالب للنجاشي،(٣)

---

(١) (ض)(هـ)(ط): منه.

(٢) مابينهما ساقط من (ض).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/٢٠١، ٥/٢٩٠) وأبو نعيم في «الدلائل» رقم (١٩٤) وفي «الحلية» (١/١١٥) والبيهقي في «السنن» (٩/٩) والتيمي في «الدلائل» رقم (١٠٠) من حديث أم سلمة، قال =

والمغيرةُ بن شُعبة لرسول كسرى: [1] إنَّ الله بعث فينا رسولا منا، نعرفُ نسَبَه وصفته، ومدخلَه ومخرجه، وصدقه وأمانته، وذكر الحديث.

وقال سُفيان بن عُيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُم رَسُولٌ مِن أَنْفُسِكُمْ﴾ قال: لم يُصبه شيءٌ من ولادة الجاهلية[2].

وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يعزُّ عليه الشيءُ الذي يعْنتُ أمتَّه، ويشقُّ عليها؛ ولهذا جاء في الحديث المروي من طرقٍ عنه، أنه قال: «بُعثتُ بالحنيفية السَّمحة»[3] وفي الصحيح: «إنَّ هذا الدين يسرٌ»[4] وشريعتُه كلُّها سمحةٌ سهلةٌ كاملة، يسيرةٌ على من يسرها الله عليه.

= الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/٢٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير ابن اسحاق، وقد صرَّح بالسماع.

(١) أخرجه الطبري في «التأريخ» (٣/٥٢٣)، وأبو نعيم في «الدلائل» رقم (٤٧٦).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (١١/٧٦) والبيهقي في «السنن» (٧/١٩٠) وعبدالرزاق وابن أبي حاتم وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» (٤/٣٢٧).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/١١٦، ٢٣٣) من حديث عائشة، قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٨٦): وسنده حسن، وأخرجه أحمد (٥/٢٦٦) والطبراني في «الكبير» رقم (٧٨٦٨) من حديث أبي أمامة، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/٢٧٩): رواه أحمد والطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف. وله شاهدٌ من حديث ابن عمر: أخرجه أبونُعيم في «الحلية» (٨/٢٠٣)، ومن حديث ابن عباس، أخرجه أحمد في «المسند» رقم (٢١٠٨) والبخاري في «الأدب المُفرد» رقم (٢٨٣) والطبراني في «الكبير» رقم (١١٥٧١) والبزار في «المسند» رقم (٧٨)، ومن حديث أبي قلابة مرسلاً، أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/٣٩٥) ومن حديث حبيب بن أبي ثابت، أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/١٩٢)، ومن حديث عبدالعزيز بن مروان مرسلاً، أخرجه أحمد في الزهد (٣٥٣، ٣٧٧) والبزار في «المسند» (كشف) رقم (٧٧).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٩، ٥٦٧٣، ٦٤٦٣، ٧٢٣٥) والنسائي في «المجتبى» (٧/١٢١) وأحمد في «المسند» (٥/٦٩) من حديث أبي هريرة.

قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: على هدايتكم، ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم.

وعن أبي ذر، قال: تركنا رسولُ الله ﷺ، وما طائر يُقلِّبُ جناحيه في الهواء إلَّا وهو يذكر لنا منه علماً. أخرجه الطبراني، قال: وقال رسولُ الله ﷺ: «ما بقي شيءٌ يُقرِّبُ من الجنة ويُباعد من النار إلَّا وقد بيّنتُه لكم»[(١)].

قوله: ﴿بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم﴾، كما قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ● فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٥ - ٢١٦] وهكذا أَمَره تعالى في هذه الآية الكريمة[(٢)(٣)].

قلتُ: فاقتضت هذه الأوصافُ التي وصف الله بها رسوله ﷺ، في حقِّ أُمَّته: أنْ أنذَرَهم وحذَّرهم الشرك الذي هو أعظمُ الذنوب، وبيَّن لهم ذرائعهَ الموصلة إليه، وأبلغ في نهيهم عنها. ومن ذلك تعظيم القبور والغلوُّ فيها، والصلاةُ عندها وإليها، ونحو ذلك مما يُوصل إلى عبادتها، كما تقدَّم، وكما سيأتي في أحاديثِ الباب.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٦٤٧)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/٢٦٤): ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقري وهو ثقة. وجوَّد سليمان بن عبدالله إسناده، كما في «تيسير العزيز الحميد» (٣٤٩). وأخرج الجملة الأولى: أحمد في «المسند» (٥/١٥٣، ١٦٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/٢٦٤). وفي إسناد أحمد من لم يُسم، والطيالسي في «المسند» رقم (٤٧٩) وابن حبان في «الصحيح» رقم (٦٥) والبزار في «المسند» (كشف) رقم (١٤٧)، وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء، كما في «مجمع الزوائد» (٨/٢٦٤) وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. وأخرج الجملة الثانية: الحاكم في «المستدرك» (٢/٤) في سياق طويل.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/١٧٧ - ١٧٩).

(٣) (ط): الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿فان تولوا﴾ أي عما جئتم به من الشريعة المطهرة الكاملة الشاملة ﴿فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتَكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً. وصلُّوا عَليَّ فإنَّ/ [٨/أ] صلاتكم تبلُغني حيث كنتم» رواه أبو داود بإسنادٍ حسن، رواتُه ثقات.[١]

ش: قوله: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً» قال شيخُ الإسلام: أي: لا تُعطِّلُوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور. فأمر بتحرِّي العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبَّه بهم من هذه الأمة.

وفي (الصحيحين)، عن ابن عمر، مرفوعاً «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً».[٢]

وفي (صحيح مسلم)، عن ابن عمر، مرفوعاً «لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ فإنَّ الشيطان يفرُّ من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه»[٣][٤].

قوله: «ولا تجعلوا قبري عيداً» قال شيخُ الإسلام: العيد: اسمٌ لما يعود من

---

(١) أبو داود في «السنن» رقم (٢٠٤٢) قال الحافظ ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٥٤): وإسنادهُ حسن. وقال الحافظ النووي في «الأذكار» (٩٧): وإسناده صحيح، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/٢٥٦) وأحمد في «المسند» (٢/٣٦٧) والبيهقي في «حياة الانبياء» (١٢)، وسيأتي كلامُ المؤلف عليه في شرح الحديث الذي بعده.

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (٤٣٢، ١١٨٧)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٧٧٧) وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/١٦)، وأخرجه من حديث عائشة (٦/٦٥).

(٣) مسلم في «الصحيح» رقم (٧٨٠)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٨٨٠) وأحمد في «المسند» (٢/٢٨٤، ٣٣٧، ٣٧٨، ٣٨٨) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/٢٥٦) والنسائي في «فضائل القرآن» رقم (٤٠) والفريابي في «فضائل القرآن» رقم (٣٦، ٣٧) وابن الضُّرَيس في «فضائل القرآن» رقم (١٧٣، ١٨٤) من حديث أبي هريرة.

(٤) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٥٧).

الاجتماع العام على وجهٍ مُعتاد، عائد: إمَّا بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر ونحو ذلك.[١].

وقال ابنُ القيم: العيد: ما يُعتاد مجيئُه وقصده، من زمان ومكان. مأخوذٌ من المعاودة[٢]، والاعتياد.

فإذا كان اسماً للمكان فهو المكانُ الذي يُقصد فيه الاجتماع، وانتيابه للعبادة أو لغيرها؛[٣] كما أنَّ المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحُنفاء ومثابة، كما جعل أيام التعبد[٤] فيها عيداً.

وكان للمشركين أعيادٌ زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوَّض الحُنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر، وأيام منى. كما عوَّضهم عن أعياد المشركين المكانية، الكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر[٥].

قوله: «وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلُغني حيث كنتم».

قال شيخُ الإسلام: يُشير بذلك إلى أنَّ ما ينالُني منكم من الصلاة والسلام يحصلُ مع قربكم من قبري وبُعدكم، فلا حاجة بكم[٦] إلى اتخاذه عيداً. انتهى[٧][٨]

---

(١) ابن تيمية، «المصدر السابق» (١/ ٤٤١).

(٢) (ط): العادة. تحريف.

(٣) (ط): وغيرها.

(٤) جميع النسخ: العيد. والمثبت من «الاغاثة».

(٥) ابن القيم، «اغاثة اللهفان» (١/ ٢٠٩).

(٦) (هـ)(ط): لكم.

(٧) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٥٧).

(٨) (هـ)(ط): عيداً، قوله «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً» تقدم كلام شيخ الإسلام في معنى الحديث قبله. انتهى.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن علي بن الحُسين، أنه رأى رجلاً يجيءُ إلى فُرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخلُ فيها فيدعو. فنهاه، وقال: ألا أُحدّثُكم حديثاً سمعته من أبي، عن جدِّي، عن رسول الله ﷺ؟ قال: «لا تتخذوا قبري عِيداً، ولا بيوتَكم قبوراً، فإنَّ تسليمكم يبلُغني أين كنتم» رواه في المُختارة[١].

ش: هذا الحديثُ والذي قبله جَيِّدان، حَسَنا الإسنادين.

[٨٦/ب] أمَّا الأول/: فرواه أبو داود، وغيرُه، من حديث عبدالله بن نافع الصَّائغ،[٢] قال: أخبرني ابنُ أبي ذئب،[٣] عن سعيد الـمَقبُري،[٤] عن أبي هريرة، فذكره. ورواتُه ثقاتٌ مشاهير، لكن عبد الله بن نافع، قال فيه أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ، تعرفُ وتُنكر. وقال ابنُ معين: هو ثقة. وقال أبو زُرعة: لا بأس به.

قال شيخُ الإسلام: ومثلُ هذا، إذا كان لحديثه شواهدُ عُلم أنَّه محفوظ، وهذا له شواهدُ متعددة.[٥]

---

(١) الضياء المقدسي في «المختارة» رقم (٤٢٨)، وأخرجه أبويعلى في «المسند» رقم (٤٦٩) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٣): رواه أبويعلى وفيه جعفر بن إبراهيم الجعفري، ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً. وبقية رجاله ثقات. وعبدالرزاق في «المصنف» رقم (٦٧٢٦) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/٣٧٥) والجهضمي في «فضل الصلاة» رقم (٢٠) والبخاري في «التأريخ الكبير» (٢/١٨٦).

(٢) أبو محمد، المخزومي مولاهم المدني، ثقةٌ صحيح الكتاب، في حفظه لين. (ت ٢٠٦هـ). «تقريب» (٣٣٦).

(٣) أبوالحارث، محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن الحارث القرشي العامري المدني، ثقة فقيهٌ فاضل (ت ١٥٨هـ). «تقريب» (٤٩٣).

(٤) أبوسعد، ابن كيسان المقبري المدني، ثقة، تغير قبل موته بأربع سنين (ت ١٢٠هـ). «تقريب» (٢٣٦).

(٥) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٥٤).

وقال الحافظُ محمَّد بن عبدالهادي: هو حديثٌ حسن، جيِّدُ الإسناد، وله شواهد كثيرة[١] يرتقي بها إلى درجة الصحة.[٢]

وأمَّا الحديثُ الثاني: فرواه أبو يعلى، والقاضي إسماعيل، والحافظ الضياء.[٣] في (المختارة).

قال شيخُ الإسلام: فانظر هذه السُّنة، كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت، الذين لهم من رسول الله ﷺ قُرب النسب وقُرب الدار؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أضبط. انتهى.[٤]

وقال سعيدُ بن منصور في (سُننه): حدَّثنا عبدُ العزيز بن محمد[٥]، أخبرني سُهيل بن أبي سهيل[٦]، قال: رآني الحسنُ بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٧] رضي الله عنه عند القبر، فناداني، وهو في بيت فاطمة يتعشَّى، فقال: هلُمّ إلى العشاء. فقلت: لا أُريده. فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلَّمتُ على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلِّم. ثم قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلُّوا عليّ فإنَّ صلاتكم تبلُغني

---

(١) (ط): كثيرة. ساقطة.

(٢) ابن عبدالهادي، «الصارم المُنكي في الرد على السبكي» (٤١٤).

(٣) (هـ)(ط): الضياء محمد بن عبدالواحد المقدسي.

(٤) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٦٠).

(٥) أبو محمد، ابن محمد بن عُبيد الدَّراوَردي الجهني مولاهم، المدني، صدوقٌ كان يحدث من كتب غيره فيخطيء (ت ١٨٦هـ). «تقريب» (٣٥٨).

(٦) الأصل: ابن سهيل (هـ) بن أبي صالح. تحريف، قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ٢٤٩): روى عن الحسن بن علي، وروى عنه محمد بن عجلان وسفيان الثوري، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٤١٨).

(٧) صدوق، (ت ١٩٧هـ). «تقريب» (١٥٩).

حيثما كُنتم، لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ما أنتم ومن بالأندلس إلَّا سواء[١].

وقال سعيدٌ أيضاً: حدَّثنا حِبَّانُ بنُ علي[٢]، حدَّثنا محمد بن عجلان[٣]، عن أبي سعيد مولى المَهْري[٤]، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتخذوا بيتي عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلُّوا عليّ فإنَّ صلاتكم تبلُغني»[٥].

قال شيخُ الإسلام: فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين، يدلَّان على ثبوت الحديث. لا سيَّما وقد احتجَّ به من أرسله، وذلك يقتضي ثبوته عنده. هذا لو لم/ يُرْوَ من وجوه مسندة غير هذين، فكيف وقد تقدَّم مُسنداً؟[٦] [٨٧/أ]

قوله: (عن علي بن الحسين). أي: ابن علي بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين رضي الله عنه، أفضلُ التابعين من أهل بيته وأعلمُهم. قال الزهري: ما رأيتُ قُرشياً أفضل منه.

مات سنة ثلاث وتسعين، على الصحيح. وأبوه الحسين، سِبْطُ رسول الله ﷺ وريحانته. حفظ عن النبي ﷺ، واستُشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وله ستٌّ وخمسون سنة.

قوله: (أنَّه رأى رجلاً يجيءُ إلى فُرجة). بضم الفاء وسكون الراء، وهي الكُوّة

---

(١) وأخرجه الجهضمي في «فضل الصلاة» رقم (٣٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/٣٤٥).

(٢) أبو علي، العَنزي الكوفي، ضعيف، وكان له فقهٌ وفضل (ت ١٧٢هـ). «تقريب». (١٤٩).

(٣) أبو عبدالله، المدني، صدوق الا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة (ت ١٤٨هـ). «تقريب» (٤٩٦).

(٤) مقبول من الثالثة. «تقريب» (٦٤٤).

(٥) وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/٣٤٥).

(٦) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٥٦).

في الجدار والخوخة ونحوهما.

قولـه: (فيدخـلُ فيها فيدعو، فنهاه). هذا يدلُّ على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها.

قال شيخ الإسـلام: ما علمتُ أحـداً رخَّص فيه؛ لأن ذلك نوعٌ من اتخاذه عيداً، ويدلُّ أيضاً: أنَّ قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهيٌّ عنه، لأنَّ ذلك لم يُشرع.

وكره مالكُ لأهل المدينة كلَّما دخل الإنسانُ المسجد أنْ يأتي قبر النبي ﷺ؛ لأنَّ السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، قال: ولن يُصلح آخر هذه الأمة إلَّا ما أصلح أولها[١].

وكان الصحابةُ والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلُّون، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام؛ لعلمهم أنَّ الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكملُ وأفضل.

وأمَّا دخولهُم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أو الصلاة أو الدعاء[٢]، فلم يشرعه لهم. بل نهاهم[٣]، في قوله: «لا تتخذوا قبري عيداً وصلُّوا علي فإنَّ صلاتكم تبلُغني[٤]»، فبينَّ أنَّ الصلاة تصل إليه من بُعدٍ، وكذلك السلام، ولعن من اتَّخذ قبورَ الأنبياء مساجد[٤].

وكانت الحجرةُ في زمانهم يُدخَل إليها من الباب، إذا[٥] كانت عائشة فيها، وبعد ذلك، إلى أنْ بُني الحائط الآخر. وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره

---

(١) نقله القاضي عياض في «الشفاء» (٢/ ٨٧).
(٢) (ض)(هـ)(ط): للصلاة والدعاء.
(٣) (ط): نهاهم عنه.
(٤) مضى تخريجه.
(٥) (ض)(هـ)(ط): إذ.

لا يدخلون إليه[١]، لا لسلامٍ ولا لصلاةٍ، ولا لدعاءٍ[٢] لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤالٍ عن حديثٍ أو علم. ولا كان الشيطانُ يطمعُ فيهم ـ حتى يُسمعَهم كلاماً أو سلاماً، فيظنون / أنَّه هو كلَّمهم وأفتاهم وبيَّن لهم الأحاديث، أو أنه قد ردَّ عليهم السلام بصوتٍ يُسمع من خارج ـ كما طمع الشيطانُ في غيرهم، فأضلَّهم عند قبره وقبر غيره، حتى ظنوا أنَّ صاحب القبر يأمرُهم وينهاهم ويُفتيهم ويحدِّثهم في الظاهر، وأنه يخرجُ من القبر ويرونه خارجاً من القبر، ويظنُّون أنَّ نفس أبدان الموتى خرجت تكلِّمهُم، وأنَّ روح الميت تجسَّدت لهم فرأوها، كما رآهم النبيُّ ﷺ ليلة المِعراج[٣]. [٨/ب]

والمقصود: أنَّ الصحابة لم يكونوا يعتادون الصلاةَ والسلام عليه عند قبره، كما يفعلهُ من بعدهم من الخلوف[٤]. وإنما كان بعضُهم يأتي من خارج فيسلِّمُ عليه إذا قدم من سفره[٥]، كما كان ابنُ عمر يفعلُه.

قال عُبيدُالله بن عُمر[٦]، عن نافع: كان ابنُ عمر إذا قدم من سفر أتى قبرَ النبي ﷺ، فقال: السلامُ عليك يارسول الله. السلام عليك يا أبابكر. السلام عليك يا أبتاه، ثم ينصرف[٧]. قال عُبيدالله: مانعلمُ أحداً من أصحاب النبي ﷺ

(١) (هـ)(ط): عليه.

(٢) (هـ)(ط): لا للسلام ولا للصلاة ولا للدعاء.

(٣) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٨٦).

(٤) (ط): الخلف.

(٥) (ض)(هـ)(ط): سفر.

(٦) أبو عثمان، بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، المدني، ثقةٌ ثبت، توفي سنة بضع وأربعين ومائة. «تقريب» (٣٧٣).

(٧) أخرجه ابن بطة في «الابانة» باسناد صحيح كما في «الاقتضاء» (٢/ ٦٦٣) وسعيد بن منصور في «السنن» كما في «المصدر السابق» (٢/ ٧١٨)، وأخرجه مالك في «الموطأ» باب «الصلاة» رقم (٢٤٤) بغير هذا اللفظ.

فعل ذلك إلَّا ابن عمر. وهذا يدلُّ على أنَّه لا يقفُ عند القبر للدعاء إذا سلَّم، كما يفعلُه كثير.

قال شيخُ الإسلام: لأنَّ ذلك لم يُنقل عن أحدٍ من الصحابة، فكان بدعةً محضة[١]. وفي (المبسوط): قال مالك: لا أرى أنْ يقف عند قبر النبي ﷺ، ولكن يُسلِّم ويمضي. ونصَّ أحمدُ أنه يستقبلُ القبلةَ، ويجعل الحجرةَ عن يساره؛ لئلا يستدبره.

وبالجملة، قد[٢] اتفق الأئمةُ على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر، وتنازعوا: هل يستقبله عند السلام عليه أم لا[٣]؟.

وفي الحديث: دليلٌ على منع شدِّ الرحال إلى قبره ﷺ، وإلى غيره[٤] من القبور والمشاهد؛ لأنَّ ذلك من اتخاذها أعياداً. بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها.

وهذه هي المسألةُ التي أفتى فيها[٥] شيخُ الإسلام - أعني من سافر لمجرَّد زيارة قبور الأنبياء والصالحين - ونقل فيها اختلافَ العُلماء. فمن مبيحٍ لذلك، كالغزّالي، وأبي محمَّد المقدسي. ومن مانعٍ لذلك، كابن بَطَّه[٦]، وابن عقيل، وأبي محمَّد الـجُويني، والقاضي عياض.

وهو قول الجمهور؛ نصَّ عليه مالك، ولم يخالفه أحدٌ من الأئمة. وهو

---

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٩٦).

(٢) (ض)(هـ)(ط): فقد.

(٣) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٣٠).

(٤) الأصل و (هـ): قبر غيره.

(٥) (ط): بها.

(٦) أبو عبدالله، عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري، فقيهٌ محدِّث (ت ٣٨٧هـ) «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٤٤).

الصواب؛ لما في (الصحيحين)، عن أبي سعيد، عن النبي - ﷺ - / : «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجدِ الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[١] فدخل في النهي: شدُّها لزيارة القبور والمشاهد، فإمَّا أنْ يكون نهياً، وإمَّا إنْ يكون نفياً. وجاء في روايةٍ، بصيغة النهي[٢]، فتعيَّنَ أنْ يكون للنهي.

ولهذا فهم منه الصحابةُ المنع؛ كما في (الموطأ)، [والمسند][٣] والسنن، عن بَصرْة بن أبي بصرة الغِفاري، أنه قال لأبي هريرة - وقد أقبل من الطُّور -:[٤] لو أدركتُك قبل أنْ تخرج إليه لما خرجت؛ سمعتُ رسول الله يقول: «لا تُعْمل المَطِيُّ إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[٥]

وروى الإمامُ أحمد، وعمر بن شَبَّة[٦] في (أخبار المدينة) بإسناد جيد، عن قَزَعة[٧]، قال: أتيتُ ابن عمر، فقلت: إني أريدُ الطُّور. فقال: إنما تشدُّ الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى. فدع عنك الطور ولا تأته.[٨]

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (١١٩٧، ١٩٩٥)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٨٢٧)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/٧، ٣٤، ٤٥، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٧١، ٧٧، ٧٨).

(٢) وهي عند مسلم، بلفظ «لا تشدوا الرحال».

(٣) إضافة من (ط).

(٤) جبلٌ يقع في الضفة الشرقية من خليج السويس، في جنوب شبه جزيرة سيناء. ينظر «معجم البلدان» (٤/٤٨).

(٥) مالك في «الموطأ» كتاب الصلاة باب الصلاة رقم (٩٣)، وأحمد في «المسند» (٦/٧، ٣٩٧) والنسائي في «المجتبى» (٣/١١٣)، وأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/٢٤٢) وابن حبان في «الصحيح» (٤/١٩٢) والطيالسي في «المسند» رقم (١٣٤٨).

(٦) أبوزيد، النميري البصري، حافظ مؤرخ (ت ٢٦٢هـ) «تذكرة الحفاظ» (٢/٥١٦).

(٧) أبو الغادية، قزعة بن يحي البصري الأموى مولاهم، ثقةٌ من الثالثة «تقريب» (٤٥٥).

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/٣٧٤، ٤/٦٥) وأحمد، في «المسند» (٣/٤٥، ٦٤، ٩٣).

فابن عمر، وبَصرْة بن أبي بصرة، جعلا الطور مما نُهي عن شد الرِّحال إليه؛ لأن اللفظ الذي ذكراه: في[1] النهي عن شدِّها إلى غير الثلاثة، مما يُقصدُ به القُربة. فعُلم أنَّ المستثنى منه عامٌّ في المساجد وغيرها، وأنَّ النهي ليس خاصَّاً بالمساجد؛ ولهذا نهيا عن شدِّها إلى الطور مُستدلِّين بهذا الحديث.

والطُّورُ إنما يسافر من يسافر إليه لفضيلة البُقعة؛ فإنَّ الله سمَّاه الوادي المقدَّس[2] والبُقعة المباركة[3]، وكلَّم كليمَه موسى هُناك، وهذا هو الذي عليه الأئمةُ الأربعة، وجمهور العلماء.

ـ ومن أراد بسط القول في ذلك والجوابَ عمَّا يُعارضُه، فعليه بما كتبه شيخُ الإسلام مُجيباً لابن الأخنائي[4] فيما اعترض به على ما دلَّت عليه الأحاديثُ[5]، وأخذ به العلماء[6] وفي (الجواب الباهر)[7] الذي نقل عنه ابن عبدالهادي رحمه الله تعالى[6] ـ وقياسُ الأولى؛[8] لأن المفسدة في ذلك ظاهرة.

وأمَّا النهي عن زيارة غير المساجد الثلاثة، فغايةُ ما فيها: أنها لا مصلحة في ذلك توجبُ شدَّ الرحال، ولا مزيَّة تدعو إليه.

---

(١) (ض)(هـ)(ط): فيه.

(٢) كما في سورة طه، آية: ١٢، سورة النازعات: آية: ١٦.

(٣) كما في سورة القصص: آية: ٣٠.

(٤) أبوعبدالله، محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي، المصري، فقيهٌ مالكي (ت ٧٥٠هـ)، «الديباج المذهب» (٢/ ٣٢١). وردُّ شيخ الإسلام عليه مطبوع، واطلعتُ على نسخة خطية، في احدى مكتبات الرياض الخاصة.

(٥) (هـ)(ط): الأحاديث الصحيحة.

(٦) مابينهما ساقطٌ من (ض) و (هـ) و (ط) ومعلَّقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٧) «الجواب الباهر في زوار المقابر»، نشره الشيخ عبدالرحمن المعلّمي، والصنيّع سنة ١٣٧٨هـ.

(٨) ينظر «الصارم المنكي» (٤١) وما بعدها.

(٩) (ط): وهو قياس أولى.

وقد بسط القولَ في ذلك الحافظُ محمد بن عبد الهادي في كتاب (الصَّارم المُنكي) في رده على السُّبْكي[1]، وذكر فيه عللَ الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي ﷺ.

وذكر هو، وشيخُ الإسلام رحمه الله: أنه لا يصحُّ منها حديثٌ عن النبي ﷺ، [٨٨/ب] / ولا عن أحدٍ من أصحابه. مع أنها لا تدلُّ على محل النزاع؛ إذ ليس فيهاإلاَّ مطلقُ الـزيارة، وذلـك لا ينكـرهُ أحـدٌ بدون شد الرحال. فيُحمل على الزيارة الشرعية، التي ليس فيها شرك ولا بدعة.

قولـه: (رواه في المُختارة)، المختارة: كتابٌ جمع فيه مؤلِّفُه الأحاديث الجياد الزائدة على (الصحيحين).

ومؤلفه: هو أبو عبدالله، محمد بن عبدالواحد المقدسي، الحافظ ضياء الدين الحنبلي، أحدُ الأعلام. قال الذهبي: أفنى عمره في هذا الشأن مع الدين المتين، والورع والفضيلة التامَّة والإتقان، فالله يرحمُه ويرضى عنه.[2]

وقال شيخُ الإسلام: تصحيحهُ في (مختارته)[3] خيرٌ من تصحيح الحاكم بلا ريب[4]. مات سنة ثلاثٍ وأربعين وستمائة.

---

(١) أبو الحسن، علي بن عبدالكافي بن علي بن تمّام، فقيهٌ متكلِّم (ت ٧٥٦هـ) «طبقات الشافعية» (١٠/١٣٩).

(٢) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٢٣/١٢٦).

(٣) (ط): مختاراته.

(٤) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٥٥).

(٢٢)
باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء أنَّ بعض هذه الأمة يعبدُ الأوثان. وقولِ الله تعالى ﴿ألمْ تَر إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يُؤمنونَ بالجبْتِ والطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

ش: الوثن: يطلقُ على ما[١] قُصد بنوعٍ من أنواع العبادة من دون الله، من القبور والمشاهد وغيرها؛ لقول الخليل عليه السلام: ﴿إنَّما تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله أوثـانـاً وَتَخْلُقُـونَ إفْكاً﴾ [العنكبوت: ١٧] مع قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَا ماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِـينَ﴾ [الشعراء: ٧١] وقـولـه: ﴿أَتَعْبُـدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥] فبذلك يُعلم[٢] أنَّ الوثن يطلقُ على الأصنام وغيرها مما عُبد من دون الله، كما تقدَّم في الحديث.

وقوله: ﴿يؤمنون بالجبتِ والطَّاغوت﴾ روى[٣] ابنُ أبي حاتم، عن عكرمة، قال: جاءُ حُيَيُّ بن أخطَب[٤] وكعبُ بن الأشرف[٥] إلى أهل مكة، فقالوا لهم:

---

(١) (ض)(هـ): كل ما.

(٢) (ض): يعلم. ساقطة.

(٣) الأصل و (ض) و (هـ): وروى.

(٤) من يهود بني قُريضة، قتل مع من قتل منهم حين نزلوا على حُكم سعد بن معاذ، بعد أن نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ في أواخر السنة الخامسة «الدرر في المغازي والسير» (٢٠٦).

(٥) نبهانيٌّ من طيء، وأمُّه من بني النضير، أسرف في إيذاء المسلمين، فقتله محمد بن مسلمة بأمر النبي ﷺ في السنة الثالثة. «المصدر السابق» (١٥٢) ويأتي.

أنتم أهلُ الكتاب وأهلُ العلم، فأخبرونا عنَّا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصلُ الأرحام، وننحر الكَوْماء[١]، ونسقي الماء على اللبن، ونفُكُّ العناة، ونسقي الحجيج. ومحمد صنبور،[٢] قطع أرحامنا، واتبعه سُرّاق الحجيج من غِفار، فنحن خيرٌ أم هو؟ فقالوا: أنتم خيرٌ وأهدى سبيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوْتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ يُؤمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤلاَءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾[٣]

وفي (مسند أحمد)، عن ابن عباس، نحوه[٤]

قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: الجِبْت: السحر، والطاغوت: الشيطان.[٥] وكذا قال ابنُ عباس/ [٨٩/أ] وأبو العالية، ومجاهد، والحسن، وغيرهم.

وعن ابن عباس، وعكرمة، وأبي مالك: الجبت: الشيطان ـ زاد ابنُ عباس: بالحبشية.

---

(١) الكوماء: المرتفعة السنام «غريب الحديث» للخطابي (١/٣٨٩).

(٢) الصُّنبور: الأبتر الذي لا عقب له. «النهاية» (٣/٥٥).

(٣) ابن أبي حاتم في «التفسير» كما في «تفسير ابن كثير» (٢/٢٩٤)، وأخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير (٥/١٣٤) وسعيد بن منصور في «السنن» وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٢/٥٦٢)، وأخرجه من طريق ابن عباس: الطبري في «التفسير» (٥/١٣٤) والبيهقي في «الدلائل» (٣/١٩٣) والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٦/٧) وقال: فيه يونس بن سليمان الجمال ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) عزاه لأحمد ابن كثير في «التفسير» (٢/٢٩٥) والسيوطي في «الدر» (٢/٥٦٢) ولم أجده في النسخة المطبوعة من «المسند»، وأخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٥/١٣٤) وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر» (٢/٥٦٢).

(٥) علقه البخاري في «الصحيح» (٨/٢٥١) «فتح» قال الحافظ: وإسناده قوي وأخرجه الطبري في «التفسير رقم (٥٨٣٤) والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ورُسته في «الايمان» كما في «الدر المنثور» (٢/٥٦٤).

وعن ابن عباس أيضاً: الجبت: الشرك. وعنه، الجبت: الأصنام. وعنه، الجبت: حُيي بن أخْطب.

وعن الشعبي، الجبت: الكاهن.

وعن مجاهد، الجِبْت: كعب بن الأشرف.(١)

قال الجوهري: الجِبت: كلمةٌ تقع على الصنم والكاهن والساحر، ونحو ذلك.(٢)

قال المصنف: وفيه: معرفةُ الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع: هل هو اعتقادُ قلبٍ، أو هو موافقة أصحابها مع بُغْضها، ومعرفة بطلانها؟(٣)

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٦٠].

ش: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد، هل أُخبركم بشرٍّ جزاءٍ عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ وهم أنتم أيها المتَّصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله: ﴿مَن لَعَنَهُ اللهُ﴾ أي: أبعده من رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ أي: غضباً لا يرضى بعده أبداً ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ﴾.

---

(١) أخرج هذه الآثار: ابن جرير الطبري في «التفسير» (٥/١٣٤) ومابعدها.

(٢) الجوهري، «الصحاح» (١/٢٤٥).

(٣) المسألةُ الرابعة.

وقد قال الثوريُّ :[١] عن عَلْقمة بن مَرْثَد،[٢] عن الـمُغيرة بن عبدالله[٣]، عن المعرور بن سُويد : إنَّ ابن مسعود، قال : سُئل رسولُ الله ﷺ عن القردة والخنازير : أهي مما مسخ الله؟ فقال : «إنَّ الله لم يُهلك قوماً ـ أو قال : لم يمسخ قوماً ـ فيجعل لهم نسلاً ولا عاقبة، وإنَّ القردة والخنازير كانت قبل ذلك»[٤] ورواه[٥] مسلم[٦].

قال البَغوي في (تفسيره) : ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ أُنبئكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِن ذَلِكَ﴾ يعني، قولهم : لم نرَ أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء؛ كقوله : ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلكُم النَّارُ﴾ [الحج : ٧٢].

وقوله : ﴿مَثُوبَةً﴾ ثواباً وجزاءً، نُصب على التفسير ﴿عِنْدَ الله مَن لَعَنَهُ الله وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِردَةَ وَالخَنَازِير﴾ فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى. وعن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس : أنَّ المسخين كلاهما من أصحاب السبت، فشبابهم مسخوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير.

[٨٩/ب] ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أي : وجعل منهم / مَنْ عبد الطاغوت، أي : أطاع الشيطان فيما سوَّل له.

وقرأ ابنُ مسعود ﴿وعَبَدُوا الطَّاغُوتَ﴾ وقرأ حمزةُ : «وعَبُدِ الطاغوتِ» بضم الباء وجر التاء، أراد العبد. وهما لغتان : عبْد بجزم[٧] الباء، وعبُد بضمها، مثل سبْع

(١) (ط) : النووي. تحريف.

(٢) أبو الحارث، الحضرمي الكوفي، ثقةٌ من السادسة «تقريب» (٣٩٧).

(٣) ابن أبي عقيل اليَشْكري، الكوفي، ثقةٌ من الرابعة «تقريب» (٥٤٣).

(٤) أخرجه ابن مردويه في «التفسير» كما في «الدر» (٣/ ١٠٩).

(٥) (هـ)(ط) : رواه.

(٦) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٦٣)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٩٠، ٤٣٣، ٤٤٥، ٤٦٦).

(٧) (ط) : بسكون.

وسبُع، وقرأ الحسن ﴿وعبْد الطاغوت﴾ على الواحد.(١).

وفي (تفسير الطبرسي)(٢): قرأ حمزةُ وحده ﴿وعبُد الطاغوتِ﴾ بضم الباء وجر التاء، والباقون ﴿وعبَدَ الطاغوتَ﴾ بنصب الباء وفتح التاء. وقرأ ابنُ عباس، وابن مسعود، وإبراهيم النخعي، والأعمش، وأبَان بن تغلب ﴿وعُبُدَ الطاغوتِ﴾ بضم العين والباء، وفتح الدال وخفض التاء.

قال: وحجةُ حمزة في قراءته ﴿وَعُبد الطاغوت﴾ أنه يحملُه على ما عمل فيه ﴿جعل﴾. كأنه:(٣) وجعل منهم عبُد الطاغوت. ومعنى ﴿جَعَلَ﴾: خلق، كقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنور﴾ وليس عبُد لفظ جمعٍ؛ لأنه ليس من أبنية الجموع شيءٌ على هذا البناء، ولكنه واحدٌ يُراد به الكثرة. ألَا ترى أنَّ في الأسماء المفردة المضافة إلى المعارف ما لفظه لفظ الإفراد ومعناه الجمع، كما في قوله: ﴿وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] ولأنَّ بناء فَعُل يُراد به المبالغة والكثرة نحو يَقُظَ ودَنُس، وكأن تقديره: أنه قد ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب.

وأمَّا من فتح فقال: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغوتَ﴾ فإنه عطفه على بناء الُمضيٍّ الذي في الصلة، وهو قوله: ﴿لَعَنَهُ الله﴾. وأفرد الضمير في عَبَد، وإنْ كان المعنى فيه الكثرة؛ لأنَّ الكلام محمولٌ على لفظه دون معناه. وفاعله ضميرُ مَن، كما أنَّ فاعل الأمثلة المعطوف عليها ضمير مَن، فأُفرد لحمل ذلك جميعاً على اللفظ. وأمَّا قوله: ﴿عُبُدَ الطَّاغُوت﴾ فهو جمع عبَد.

وقال أحمدُ بنُ يحيى: عُبُد جمع عابد؛ كبازل وبُزل، وشارف وشرف، وكذلك

---

(١) البغوي، «معالم التنزيل» (٢/ ٤٩).

(٢) (ط) الطبري. تحريف، وهو أبوعلي، الفضل بن الحسن الطبرسي، لُغوي مفسر، شيعيٌّ مُحترق ت (٥٤٨هـ) «روضات الجنات» للخونساري (٥١٢).

(٣) (ط): جعل كأنه. ساقطة.

عُبَّد جمع عابد. ومثله عباد وعبَّاد. انتهى.[١]

وقال شيخُ الإسلام ـ في قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ ـ الصَّواب: أنه معطوفٌ على ما قبله من الأفعال، أي: مَن لعنه وغضب عليه، ومَن جعل منهم القردةَ والخنازير وعبد[٢] الطاغوت. قال: والأفعالُ المتقدِّمة، الفاعلُ فيها اسم/ الله [٩٠/أ] تعالى، مظهراً ومضمراً. وهنا الفاعلُ اسم مَنْ عَبَد الطاغوت، وهو الضمير في عَبَد. ولم يُعد سبحانه مَن؛ لأنه جعل هذه الأفعال صفةً لصنفٍ واحد، وهم اليهود[٣].

قوله: ﴿أولئكَ شرٌّ مكاناً﴾ مما تظنون بنا ﴿وأضلُّ عن سواءِ السبيل﴾ وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة[٤]، كقوله: ﴿أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خيرٌ مُستَقَرّاً وأحسنُ مَقيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤] قاله العِمادُ ابن كثير في (تفسيره)[٥]. وهو ظاهر.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِم لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِداً﴾ [الكهف: ٢١].

ش: والمراد: أنَّهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يُذَم فاعله؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٦] أراد تحذيرَ أمتهِ أنْ يفعلوا كفعلهم.

---

(١) الطبرسي، «مجمع البيان في تفسير القرآن» (٦/١٣٥).
(٢) (ض)(هـ)(ط): ومن عبد.
(٣) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٤/٤٥٥).
(٤) (هـ)(ط): له مشارك.
(٥) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٣٥).
(٦) مضى تخريجه.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي سعيد: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لتتبعنَّ سَنن من كان قبلكم حَذْوَ القُذَّةِ بالقذَّة، حتى لو دخلوا جُحْـر ضَبٍّ لدخلتمـوه» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن» أخرجاه[١].

ش: وهذا سياقُ مسلم.

قولـه: «سنَن» بفتح المهملة، أي: طريق من كان قبلكم. قال المُهلَّب:[٢] الفتحُ أولى.

قوله: «حَذو القُذَّة بالقذة» بنصب حذو، على المصدر. والقُذة ـ بضم القاف ـ واحـدة القـذاذ، وهـو ريشُ السَّهم. أي: لتتبعن طريقهم في كلِّ ما فعلوه، وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قُذة السهم القذة الأخرى، [٣]فوقع كما أخبر ﷺ[٣]. وبهذا تظهرُ مناسبةُ الآيات للترجمة. وقد وقع كما أخبر، وهو عَلَمٌ من أعلام النبوة.

قوله: «حتى لو دخلوا جُحر ضبٍّ لدخلتموه» وفي حديث آخر «حتى لو كان

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٣٤٥٦) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٦٩)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/٨٤، ٨٩، ٩٤) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/١٠١، ١٠٣، ١٠٦) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٧٤) والمروزي في «السنة» رقم (٤١) وابن حبان في «الصحيح» (٨/٢٤٨)، وأخرجه من حديث أبي هريرة: البخاري في «الصحيح» رقم (٧٣٢٠) وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٩٩٤) وأحمد في «المسند» (٢/٣٢٧، ٤٥٠، ٥٢٧) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/١٠٢)، وجملة «حذو القذة بالقذة» لم تخرّج في «الصحيحين» وإنما هي من حديث شداد بن أوس عند أحمد في «المسند» (٤/١٢٥) والمروزي في «السنة» رقم (٤٩) والأجري في «الشريعة» (١٩).

(٢) أبوالقاسم، المهلَّب بن أحمد بن أسيد بن عبدالله الأسدي، محدِّث لُغوي (ت ٤٣٥هـ) «سير أعلام النبلاء» (١٧/٥٧٩).

(٣) مابينهما ساقطٌ من (ط).

فيهم من يأتي أُمَّه علانية لكان في أمتي من يفعل ذلك»(١).

أراد ﷺ أنَّ أمتَّه لا تدع شيئاً مما كان يفعلُه اليهود والنصارى إلَّا فعلته كله، لا تترك منه شيئاً؛ ولهذا قال سُفيان بن عُيينة: من فسد من عُلمائنا ففيه شبهٌ من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبهٌ من النصارى. انتهى.(٢)

قلتُ: فما أكثر الفريقين، لكن من رحمة الله تعالى ونعمته أنْ جعل هذه الأمة لا تجتمعُ على ضلالة؛ كما في حديث ثوبان الآتي قريباً.

قوله: قالوا: يا رسول الله: اليهودُ والنصارى؟/ قال: «فمن» هو برفع اليهود؛ [٩/ب] خبرُ مبتدأ محذوف، أي: أهم اليهودُ والنصارى الذين نتبعُ سُننهم؟! ويجوزُ النصب بفعلٍ محذوفٍ تقديُره: تعني.

قوله: قال: «فمن» استفهامُ إنكار(٣). أي: فمن هم غير أولئك؟

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم، عن ثَوبان: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ الله زَوَى لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإنَّ أُمَّتي سيبلُغ ملكُها ما زُويَ لي منها. وأُعطيتُ الكنزين: الأحمرَ والأبيض. وإني سألتُ ربي لأُمتي أنْ لا يُهلكها بسنَةٍ بعامَّة، وأنَّ لا يُسلِّط عليهم عدواً من سِوي أنفسهم، فيستبيحَ بَيْضتهم. وإنَّ ربي قال: يا محمد، إذا قضيتُ

---

(١) قطعة من حديث أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٦٤٣) وقال: هذا حديث مُفسَّر حسن غريب. واللالكائي في «أصول الاعتقاد» رقم (١٤٧) والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٨) من حديث ابن عمر، وأخرجه البزار في «المسند» رقم (٣٢٨٥) من حديث ابن عباس، قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٦١): رواه البزار ورجاله ثقات.

(٢) هذا الأثر، نقله ابنُ تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٦٧).

(٣) (هـ): تقرير (ط): انكاري.

قضاءً فإنَّه لا يُرَدُّ. وإني أعطيتك لأُمتك أنْ لا أُهلكهم بسنةٍ بعامَّة، وأنْ لا أُسلِّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيحَ بيضتهم. ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلكُ بعضاً، ويَسْبي بعضهم بعضاً»[(١)].

ورواه البرقانيُّ في (صحيحه)، وزاد: «وإنَّما أخافُ على أُمَّتي الأئمة المضلِّين. وإذا وقـع عليهم السيفُ لم يُرْفَـع إلى يوم القيامـة. ولا تقوم الساعة حتى يَلْحَق حَيٌّ من أُمتي بالمشركين، وحتى تَعْبُدَ فِئَامٌ من أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أُمتي كذَّابون ثلاثون، كلُّهم يزعم أنه نبي. وأنا خاتمُ النبين، لا نبيَّ بَعْدي. ولا تزالُ طائفةٌ من أُمتي على الحقِّ منصُورة، لا يَضرُّهم مَنْ خذلهم حتى يأتي أمرُ الله، تبارك وتعالى».

ش: هذا الحـديثُ رواه أبوداود في (سننه)، وابن ماجة، بالزيادة التي ذكرها المصنف.[(٢)]

قوله: عن (ثَوْبان). هو موْلى النبي ﷺ. صحِبه ولازمه، ونزل بعده الشام. ومات بحِمص سنة أربعٍ وخمسين.

قولـه: «زَوَى لي الأرض» قال التُّوربِشْتي:[(٣)] زَويتُ الشيءَ، جمعتهُ وقبضته.

---

(١) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٨٨٩)، وأخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٨/٢٥٢، ٩/١٨٠) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/٤٥٨).

(٢) أبوداود في «السنن» رقم (٤٢٥٢) وابن ماجة في «السنن» رقم (٤٠٠٠)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/٢٧٨، ٢٨٤) وبحشـل في «التـاريخ» (١٧٥) والحـاكم في «المستـدرك» (٤/٤٤٩) وأبونعيم في «الحلية» (٢/٢٨٩) وفي «الدلائل» رقم (٤٦٤) والبيهقي في »الدلائل» (٦/٥٢٦).

(٣) شهاب الدين، فضل الله بن حسن التوربشتي، محدث فقيه (ت ٦٦٠هـ). «طبقات الشافعية» (٨/٣٤٩).

يُريدُ تقريبَ البعيد منها، حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب.

وحاصلُه: أنه طوى له الأرض، وجعلها مجموعةً كهيئة كف في مرآةٍ ينظره. قال الطِّيبي:[1] أي: جمعها لي، حتى أبصرتُ ما تملكُه أُمتي من أقصى المشارق والمغارب منها.

قوله: «وإنَّ أُمتي سيبلُغ ملكُها ما زُوي لي منها» قال القرطبي: هذا الخبر وُجد مخبرُه كما قال، وكان ذلك من دلائل نُبوَّته. وذلك أنَّ مُلك أمته اتسع / إلى أنْ بلغ أقصى طَنْجة ـ بالنون والجيم ـ الذي هو مُنتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما وراء خُراسان والنهر، وكثير من بلاد الهند والسند والصُّغْد[2]. ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال؛ ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أُريه، ولا أُخبر أنَّ مُلك أمته يبلغه.

قوله: «زُوي لي منها» يحتمل أنْ يكون مبنياً للفاعل، وأن يكون مبنياً للمفعول.

قولـه: «وأعطيتُ الكنزين: الأحمرَ والأبيض» قال القرطبي: يعني بها[3] كنز كسرى، وهو ملِكُ الفُرس، وكنز قيصر وهو ملِكُ الروم وقصورَهما وبلادهما.

وقد قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله»[4] وعبَّر بالأحمر

---

(١) أبو العباس، أحمد بن علي بن أحمد، القاضي، فقيه محدث توفي بعد الخمس مائة «طبقات الشافعية» (٢٨/٦).

(٢) بلاد واسعة فيما رواء النهر، عاصمتها سمرْقند (تحت الاحتلال الروسي) «معجم البلدان» (٤٠٩/٣).

(٣) (هـ)(ط): به.

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٦٢٩) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٩١٩) وأحمد في «المسند» (٩٩،٩٢/٥) من حديث جابر بن سمرة، وأخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٦٣٠) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٩١٨) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٢١٧) وأحمد في «المسند» (٥٠١،٢٤٠/٢) من حديث أبي هريرة.

عن كنز قيصر؛ لأنَّ الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى؛ لأنَّ الغالب عندهم كان الجوهر والفضة.

ووُجد ذلك في خلافة عمر؛ فإنَّه سيق إليه تاجُ كسرى وحليتُه وما كان في بيوت أمـواله، وجميعُ ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر. والأبيض والأحمر، منصوبان على البدل.

قوله: «وإنّي سألتُ ربي لأمتي أنْ لا يهلكها بسنةٍ بعامة» هكذا ثبت في أصل المصنف رحمه الله تعالى: بعامّة. بالباء، وهي روايةٌ صحيحة في (صحيح مسلم). وفي بعضها بحذفها.

قال القرطبي: وكأنها زائدة؛ لأنَّ عامة صفةُ السنة، والسنة: الجدب الذي يكون به الهلاكُ العام. ويسمَّى الجدبُ والقحط: سنة. ويُجمع على سنين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] أي: الجدب المتوالي.

قولــه: «وأنْ لايُسلِّط عليهم عدواً من سِوى أنفسهم» أي: من غيرهم من الكفـار: من إهـلاك بعضهم بعضاً، وسبي بعضهم بعضاً، كما هو مبسوطٌ في التاريخ فيما قبلُ، وإلى[1] زماننا هذا. نسألُ الله العفو والعافية.

قولـه: «فيستبيحَ بَيْضتهم» قال الجوهري: بَيْضَةُ كلِّ شيءٍ: حَوْزَتُهُ. وبيضةُ القوم: ساحتهم[2].

وعـلى هذا فيكـون معنى الحـديث: إنَّ الله تعالى لا يُسلِّط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض، وهي جوانبها. وقيل: بيضتُهم: معظمُهم وجماعتهم، وإن قلّوا.

---

(١) (ض)(ط): وفي.

(٢) الجوهري، «الصحاح» (٣/١٠٦٨).

[٩١/ب] قوله/ : «حتى يكون بعضهم يُهلكُ بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً» والظاهر أنَّ حتّى. عاطفة، أو تكون لانتهاء الغاية. أي: أنَّ أمر الأُمة ينتهي[١] إلى أنْ «يكون بعضُهم يُهلك بعضاً» الحديث. وقد يسلَّطُ[٢] بعضُهم على بعض، كما هو الواقع؛ [٣] وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم. [٣]

قوله: «وإنَّ ربي قال: يا محمد، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردّ» قال بعضهم: أي: إذا حكمتُ حُكماً مُبرماً نافذاً فإنَّه لا يُردّ بشيء، ولا يقدرُ أحدٌ على ردِّه؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «ولا رادَّ لما قضيت»[٤]

قوله: (ورواه البَرْقانيُّ في صحيحه). هو الحافظُ الكبير، أبو بكر،[٥] أحمدُ بن محمد [بن أحمد][٦]بن غالب الخوارزميُّ الشافعي. ولد سنة ستٍ وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

قال الخطيب: كان ثبتاً ورعاً، لم نرَ في شيوخنا أثبت منه، عارفاً بالفقه. كثير التصانيف، صنَّف (مسنداً) ضمّنه ما اشتمل عليه (الصحيحان)، وجمع حديث الثوري، وحديث شُعبة، وطائفة.

---

(١) (ط): ينتهي. ساقطة.

(٢) (هـ)(ط): سلط.

(٣) مابينهما معلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٤) قطعةٌ من حديث: أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» رقم (١٩٦٣٨) والطبراني في «كتاب الدعاء» رقم (٦٨٦) قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/٥١٣). وسندُه صحيح. وعبد بن حُميد في «المنتخب» رقم (٣٩١) من حديث المغيرة بن شعبة، وأخرجه البزار في «المسند» رقم (٣٠٩٨) من حديث جابر، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٠٣): واسناده حسن. وأصلُ حديث المغيرة في «الصحيح» عند البخاري رقم (٨٤٤، ١٤٧٧، ٢٤٠٨، ٥٩٧٥) ومسلم في «الصحيح» رقم (٥٩٣).

(٥) الأصل و (ض) أبو محمد.

(٦) اضافة من (ط) «وسير أعلام النبلاء» (١٧/٤٦٤).

/ (١)وهذا الحديثُ رواه أبوداود بتمامه(٢)، بسنده إلى أبي قِلابة، عن أبي أسماء، [٩٢/أ] عن ثوبــان، قال: قال رسـول الله ﷺ: «إنَّ الله ـ أو قال: إنَّ ربي ـ زَوى لي الأرضَ، فرأيتُ مشارق الأرض ومغاربها، وإنَّ مُلك أُمتي سيبلغ ما زُوي لي منها، وأعطيتُ الكنزين: الأحمرَ والأبيض، وإني سألتُ ربي لأمَّتي أنْ لا يُهلكها بسَنةٍ عامة، ولا يسلِّط عليها عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضَتهم، وأنَّ ربي قال لي: يا محمد، إنّي إذا قضيتُ قضاءً فإنَّه لا يُرد، ولا أُهلكهم بسنةٍ عامة، ولا أُسلِّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضَتهم، ولـو اجتمـع عليهم مَن بَين أقـطارهـا ـ أو قال: بأقطارها ـ حتى يكون بعضهم يُهلك بعضاً، وحتى يكون بعضهم يَسْبي بعضاً، وإنَّما أخافُ على أمتي الأئمة المُضلين. وإذا وضع السيف في أمتي لم يرتفع عنها إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعةُ حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركـين، وحتى تَعبُـد قبائلُ من أُمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون كلُّهم يزعم أنَّه نبي، وأنا خاتمُ النبيين، لا نبيَّ بعدي، ولا تزال طائفةٌ من أُمتي على الحق ـ قال ابنُ عيسى: ظاهرين، ثم اتفقا ـ لا يضرُّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»(٣)

وروى أبوداود أيضاً، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «تدورُ رَحَى الإسلام لخمسٍ وثلاثين، أو ستٍ وثلاثين، أو سبعٍ وثلاثين، فإنْ يهلكوا فسبيلُ مَن هلك، وإن يَقُمْ لهم دينُهم يقم سبعين عاماً»، قال: قلتُ: إمِمّا بقي أو مما مضى؟ قال: «مما مضى»(٤).

---

(١) من هنا ساقطٌ من (ض) ومضافٌ إلى الأصل بقلم مُختلف.

(٢) الأصل: بتمامه وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم. وهو سهو من الناسخ.

(٣) مضى تخريجه.

(٤) أبوداود في «السنن» رقم (٤٢٥٤)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٩٠، ٣٩٣، ٤٥١) والطحاوي في =

وروى في (سننه) أيضاً، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يتقارَبُ الـزمـان وينقصُ العلم، وتظهرُ الفتن، ويُلقى الشُّحُّ، ويكثرُ الهرْجُ» قيل: يا/ [٩٢/ب] رسول الله، أيَّهْ هو؟ قال: «القتل القتل»[(١)(٢)].

قوله: «وإنّما أخافُ على أُمَّتي الأئمة المضلِّين» أي:[(٣)] الأمراء والعُلماء والعباد، فيحكمون فيهم بغير علم فيُضلُّوهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السبِيلا﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وكان بعضُ هؤلاء يقول لأصحابه: من كان له حاجةٌ فليأت إلى قبري فإني أقضيها له، ولا خير في رجُلٍ يحجبهُ عن أصحابه ذراعٌ من تراب، أو نحو هذا.

وهذا هو الضَّلالُ البعيد؛ يدعو أصحابه إلى أنْ يعبدوه من دون الله، ويسألوه[(٤)] ما لا يقدر عليه من[(٤)] قضاء حاجاتهم، وتفريج كُرباتهم، وقد قال تعالى: ﴿يَدْعُو مِن دُونِ الله مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هو الضَّلَالُ البَعِيدُ • يَدْعُو لمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَفْعِهِ لَبِئْسَ المَوْلَى وَلَبِئْسَ العَشِيرُ﴾. [الحج: ١٢-١٣] وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِـه آلِهَـةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُم يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِم ضَرًّا وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَياةً وَلَا نُشُوراً﴾ [الفرقان: ٣] وقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ الله الرِّزْقَ

= «مشكل الآثار» (٢/ ٢٣٥) وابن حبان في «الصحيح» (٨/ ٢٣١) والطبراني في «الكبير» رقم (١٠٣١١، ١٠٣٥٦) والطيالسي في «المسند» رقم (٣٨٣) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٢١) وصححه ووافقه الذهبي، واسحاق ابن راهويه في «المسند» كما في «المطالب العالية» (٤/ ٢٦٤) وقال ابن حجر: وإسناده حسن.

(١) أبو داود في «السنن» رقم (٤٢٥٥)، وأخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٢٠٦١) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٥٧) وابن ماجة في «السنن» رقم (٤٠٥٢) وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٣، ٥٢٥).

(٢) إلى هنا ينتهي السقط من (ض).

(٣) (هـ): أراد.

(٤) مابينهما ساقطٌ من (ض).

واعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧] وأمثالُ هذا في القرآن كثير، يُبيِّنُ تعالى الهدى(١) من الضلال.

ومن هذا الضَّرب: مَنْ يدّعي أنـه يصـلُ مع الله إلى حالٍ تسقط عنهم(٢) التكاليف، أو يدَّعي أنَّ الأولياء يُدعون أو يستغاث بهم في حياتهم ومماتهم. وأنَّهم ينفعـون ويضرُّون ويدبِّرون الأمور على سبيل الكرامة، أو أنه يطلع على اللوح المحفوظ، ويعلم أسرارَ الناس وما في ضمائرهم.

أو يُجوِّز بنـاء المساجد على قبور الأولياء/ (٣) والصالحين، وإيقادها بالسُّرج، [٩٣/أ] ونحو ذلك من الغلوِّ والإفراط والعبادة لغير الله. فما أكثر هذا الهذيان والكفر، والمحادة لله ولكتابه ولرسوله.

وقـوله ﷺ: «وإنما أخافُ على أمتي الأئمة المضلين» أتى بإنَّما، التي قد تأتي للحصر؛ بياناً لشدة خوفه على أُمَّته من أئمة الضلال. وما وقع في خَلَد النبي ﷺ من ذلك، إلاَّ لما أطلعه الله عليه من غيبه أنه سيقعُ نظير ما في الحديث قبله من قوله: «لتتبعن سَنن من كان قبلكم» الحديث(٤).

وقد بيَّن الله تعالى في كتابه صراطَهُ المستقيم، الذي هو سبيلُ المؤمنين. فكلُّ من أحدث حَدثاً ليس في كتاب الله ولا في سُنة رسوله ﷺ فهو ملعونٌ، وحدثُه مردود؛ كما قال ﷺ: «مَن أحدَث حدثاً، أو آوى مُحدِثاً فعليه لعنةُ الله والملائكة

---

(١) (ط): يبين الله تعالى به الهدى.

(٢) (ط): فيها عنه.

(٣) (هـ)(ط): الأنبياء.

(٤) (هـ)(ط): الحديث. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» رواه أبو داود الطيالسي، وعن ثوبان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنما اخاف على أمتي الأئمة المضلين» رواه الدارمي.

والناس أجمعين، لا يقبلُ الله منه يوم القيامة صَرْفاً ولا عَدْلاً»[١]

وقال: «مَن أحدَث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[٢].

وقال «كُلُّ مُحدَثةٍ بدعة وكلُّ بدعةٍ ضلالة»[٣]

وهذه أحاديثُ صحيحة، ومدارُ أصول الدين وأحكامِهِ على هذه الأحاديث ونحوها. وقد بيَّن الله تعالى هذا الأصلَ في مواضع من كتابه العزيز، كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُم وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] وقال ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ • إنَّهم لَنْ يُغنوا عنكَ مِنَ الله شيئاً﴾ الآية[٤] [الجاثية: ١٨ - ١٩] ونظائرُها في القرآن كثيرة.[٥]

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (١٨٧٠، ٦٧٥٥) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٣٧١) وأحمد في «المسند» (١/٨١، ١١٩، ١٢٢، ١٢٦) من حديث علي، وأخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٧٣٠٦) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٣٦٦) وأحمد في «المسند» (٣/٢٣٨، ٢٤٢) من حديث أنس، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٢٣٦، ٤٥٠، ٥٢٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٢٦٩٧) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٧١٨) وأبوداود في «السنن» رقم (٤٦٠٦) وابن ماجة في «السنن» رقم (١٢) وأحمد في المسند» (٦/ ٢٤٠، ٢٧٠) من حديث عائشة.

(٣) قطعةٌ من حديث العرباض بن سارية: أخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٤٦٠٧) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٦٧٦) وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح، وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٤) وأحمد في «المسند» (٤/١٢٦، ١٢٧) والمروزي في «السنة» رقم (٦٩ - ٧٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/٢٢٠، ١٠/١١٥) والحاكم في «المستدرك» (١/٩٥) وتمام في «الفوائد» رقم (٦٣، ٦٤) «ترتيب»، وأخرجه النسائي في «المجتبى» (٣/١١٨) من حديث جابر، وأخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٣٧) من حديث ابن مسعود.

(٤) الآية: ليست في (هـ) و (ط).

(٥) (ض) (هـ) (ط): كثير.

وعن زياد بن حُدَير، [١] قال: قال لي عُمر: هل تعرفُ ما يهدم الإسلام؟ قلتُ: لا، قال: يهدمه زَلّةُ العالم، وجدالُ المنافق بالكتاب، وحُكمُ الأئمة المُضلِّين. رواه الدارمي [٢].

وقال يزيد بن عَميرة[٣]: كان مُعاذ بن جبل لا يجلسُ مجلساً للذكر إلَّا قال: الله حَكمٌ قِسط، هلك المرتابون ـ وفيه ـ: واحذروا زيغةَ الحكيم؛ فإنَّ الشيطان قد يقول الضلالةَ على لسان الحكيم، وقد يقول المنافقُ كلمةَ الحق. قلتُ لمعاذ: وما يُدريني ـ رحمك الله ـ أنَّ الحكيم قد يقول كلمة الضلال، والمنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: قال لي: اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي يُقال: ما هذه؟ ولا يثنينك عنه، / فإنَّه لعله يُراجع الحق، وتَلَقَّ الحق إذا سمعته، فإنَّ على الحق نوراً. [٩٣/ب] رواه أبو داود، وغيره[٤].

قوله: «وإذا وقع عليهم السيفُ لم يُرفع إلى يوم القيامة» ° وكذلك وقع، فإنَّ السيف لما وقع بقتل عُثمان رضي الله عنه لم يُرفع، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، °[٥] ولكن قد يكثُر تارة، ويقلُّ أخرى. ويكون في جهة، ويرتفعُ عن أخرى.

قولـه: «ولا تقـوم الساعة حتى يَلْحق حيٌّ من أمتي بالمشركين» الحيُّ واحدُ الأحياء، وهي القبائل. وفي رواية أبي داود «حتى يلحق قبائلُ من أُمتي بالمشركين»

---

(١) الأسدي، ثقة عابد، من الثانية. «تقريب» (٢١٨).

(٢) الدارمي في «السنن» رقم (٢٢٠)، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (١٤٧٥) والفريابي في «صفة النفاق» (٧١) وأبو نُعيم في «الحلية» (٤/ ١٩٦) وابن عبدالبر في «الجامع» (٢/ ١١٠).

(٣) (ط): عمير. تحريف، وهو الحمصي الزُّبيدي، ثقةٌ من الثانية، نزل الكوفة. «تقريب» (٦٠٤).

(٤) أبو داود في «السنن» رقم (٤٦١١)، وأخرجه الفريابي في «صفة المنافق» (٧٣) والآجري في «الشريعة» (٤٧).

(٥) مابينهما معلَّقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

والمعنى: أنَّهم يكونون معهم، ويرتدُّون؛ برغبتهم عن أهل الإسلام، ولحوقهم[١] بأهل الشرك.

قوله: «وحتى تعبُدَ فِئامٌ من أُمتي الأوثان» والفئامُ ـ مهمُوز ـ:[٢] الجماعاتُ الكثيرة. قاله أبو السعادات[٣].

وفي رواية أبي داود «وحتى تَعبُد قبائل من أُمتي الأوثان».

وهـذا هو شاهـدُ الترجمة. ففيه: الرَّدُّ على من قال بخلافِه من عُبَّاد القبور، الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الأوثان. وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما يُناقضه من الشرك والتنديد، فالتوحيدُ هو أعظم مطلوب، والشرك هو أعظم الذنوب.

وفي معنى هذا الحديث: ما في «الصحيحين»، عن أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً «لا تقومُ الساعةَ حتى تضطرب أَلَيَاتُ نساء دَوْس على ذي الخَلَصة». قال: وذو الخَلصة، طاغيةُ دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية.[٤] وروى ابنُ حبان، عن معمر، قال: إنَّ عليه الآن بيتاً مبنياً مُغلقاً.[٥]

قال العلَّامة ابنُ القيم ـ في قصة هدم اللَّات لـمَّا أسلمت ثقيف ـ: فيه أنه لا يجوزُ إبقاءُ مواضِع الشرك والطواغيت بعد القُدرة على هدمها وإبطالها، يوماً واحداً.

وكذلك حُكمُ المشاهد التي بُنيت على القبور، والتي اتُّخذت أوثاناً تعبدُ من دون

---

(١) (ط): ويلحقون.

(٢) (ط): بكسر الفاء مهموز.

(٣) ابن الأثير، «النهاية» (٣/٤٠٦).

(٤) البخاري في «الصحيح» رقم (٧١١٦)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٩٠٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٢٧١).

(٥) ابن حبان في «الصحيح» (٨/٢٦٤)، وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» رقم (٢٠٧٩٥).

الله. والأحجار التي تُقصد للشرك[1] والنذر، لا يجوز إبقاءُ شيءٍ منها على وجه الأرض مع القُدرة على إزالتها. وكثيرٌ منها بمنزلة اللاّت والعُزَّى ومناة، وأعظم شركاً عندها وبها. فاتَّبعَ هؤلاء سَنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القُذَّة بالقذة، وغلب الشركُ على أكثر/ النفوس؛ لظهور الجهل وخفاء العلم. فصار [٩٤] المعروفُ منكراً والمنكر معروفاً، والسُّنة بدعة والبدعة سنة. وطُمست الأعلام، واشتـدت غُربة الإسلام، وقلَّ العُلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتدَّ البأس، وظهر الفسادُ في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.

ولكن لا تزال طائفةٌ من العِصابة المحمَّدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها وهو خيرُ الوارثين. انتهى ملخصاً.[2]

قلتُ: فإذا كان هذا في القرن السابع وقبله، فما بعده أعظمُ فساداً [كما هو الواقع][3].

قولـه: «وإنـه سيكـون في أُمتي كذَّابـون ثلاثـون كلُّهم يزعم أنَّـه نبي» قال القرطبي: وقد جاء عددُهم معيّناً في حديث حُذيفة، قال: قال رسولُ الله ﷺ «يكـون في أُمتي كذابـون دجَّـالـون سبـع وعشرون، منهم أربع نسوة» أخرجه أبونُعيم. وقال: هذا حديثٌ غريب.[4] انتهى.

---

(١) (ض)(هـ)(ط): للتبرك.

(٢) ابن القيم، «زادُ المعاد في هدي خير العباد» (٣/٥٠٦).

(٣) اضافة من (هـ) و (ط).

(٤) أبو نعيم في «الحلية» (٤/١٧٩)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/٣٩٦) قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/٨٧) وسنده جيد، والطبراني في «الكبير» رقم (٣٠٢٦)، والبزار كما في «مجمع الزوائد» (٧/٣٣٢) وقال: ورجال البزار رجال الصحيح.

وحديثُ ثوبان أصحُّ من هذا.

قال القاضي عياض: عُدَّ من تنبَّأ من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن ـ ممن اشتهر بذلك، وعُرف واتَّبعه جماعةٌ على ضلالته ـ[1]فوُجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كُتبَ الأخبار والتواريخ عرف صحَّة هذا.

وقال الحافظ[2]: قد ظهر مصداقُ ذلك في زمن النبي ﷺ: فخرج مسيلمةُ الكذَّاب باليمامة، والأسودُ العنسي باليمن. وفي خلافة أبي بكر: طُليحةُ بن خويلد في بني أسد بن خُزيمة، وسَجاحُ في بني تميم.

وقُتل الأسودُ قبل أنْ يموت النبي ﷺ، وقُتل مسيلمةُ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. وتاب[3] طليحةُ ومات على الإسلام في زمن عمر رضي الله عنه، ونُقل أنَّ سَجاح تابت أيضاً.

ثم خرج المختارُ ابنُ أبي عُبيد الثقفي، وغلب على الكوفة في أوَّل خلافة ابن الزبير. فأظهر محبةَ أهل البيت، ودعا الناس إلى طلب قَتَلة الحُسين، فتتبَّعهم فقتل كثيراً ممن باشر ذلك وأعان عليه، فأحبَّه الناس. ثم ادَّعى النبوة، وزعم أنَّ جبريل عليه السلام يأتيه. ومنهم الحارثُ الكذَّاب، خرج في خلافة عبدالملك بن مروان فقُتل. وخرج في خلافة بني العباس جماعة.

وليس المرادُ بالحديث من ادَّعى النبوةَ مطلقاً، فإنَّهم لا يُحصون كثرة؛ لكون غالبهم/ ينشأ[4] عن جنونٍ أو سوداء. وإنما المرادُ من قامت له شوكةٌ، وبدا له [ب]

---

(١) (هـ)(ط): ضلاله.

(٢) (هـ): الحافظ أبو نعيم.

(٣) (هـ)(ط): قتله وحشي قاتل حمزة يوم أحد، وشاركه في قتل مسيلمة يوم اليمامة رجلٌ من الأنصار. وتاب.

(٤) (ط): تنشأ دعوته.

شبهةٌ كمن وصفنا. وقد أهلك الله تعالى من وقع منهم[١] ذلك، وبقي منهم من يلحقه بأصحابه، وآخرُهم الدَّجالُ الأكبر[٢].

قوله: «وأنا خاتمُ النبيين»[٣] قال الحسن: خاتم:[٤] الذي خُتم به، أي:[٥] أنه آخِرُ النبيين، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُم وَلَكِن رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [٣] [الأحزاب: ٤٠].

وإنَّما ينزِلُ عيسى بنُ مريم في آخِرِ الزمان، حاكماً بشريعة محمد ﷺ مُصلِّياً إلى قبلته. فهو كأحدِ أُمّته، بل هو أفضلُ هذه الأمة؛ قال النبيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابنُ مريم حَكماً مُقْسِطاً. فليكسرنَّ الصَّليبَ، وليقتلنَّ الخنزير، وليضَعنَّ الجزية»[٦].

قوله: «ولا تزالُ طائفةٌ من أُمتي على الحق منْصُورة لا يَضُرُّهم مَن خذلهم».

قال يزيدُ بن هارون، وأحمد بن حنبل: إنْ لم يكونوا أهلَ الحديث فلا أدري مَن هم؟[٧]

---

(١) (ض)(هـ)(ط): له منهم.

(٢) ابن حجر، «فتح الباري» (٦/٦١٧).

(٣) مابينهما «ساقط من الأصل» وهو انتقال نظر.

(٤) (ط): الخاتم.

(٥) (هـ)(ط): يعني.

(٦) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٤٤٨) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٥٥) وأحمد في «المسند» (٢/٢٧٢، ٥٣٨) من حديث أبي هريرة.

(٧) عن يزيد: أخرجه الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» رقم (٢٧)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» رقم (٤٦)، وعن أحمد: أخرجه الخطيب في «المصدر السابق» رقم (٤٨) والحاكم في «المعرفة» (٢) وابن الجوزي في «المناقب» (٢٣٤). وإسناده صحيح، كما قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/٢٩٣).

قال ابنُ المبارك، وعلي بن الـمَديني، وأحمد بن سنان، [١] والبخاري، وغيرُهم: إنهم أهلُ الحديث[٢].

وعن ابن المـديني، رواية: هم العرب. واستدلَّ برواية من روى: هم أهلُ الغرب[٣]. وفسَّر الغربَ بالدَّلو العظيمة؛ لأن العرب هم الذين يستقون بها. [٤]

قال النووي: يجوز أنْ تكون الطائفةُ جماعةً متعددة، من أنواع المؤمنين ما بين شُجاعٍ وبصير بالحرب، وفقيهٍ ومحدِّث ومفسِّر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهـدٍ وعـابـد. ولا يلزم أنْ يكـونوا مجتمعين في بلدٍ واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقُهم في أقطار الأرض، ويجوز أنْ يجتمعوا في البلد الواحد، وأنْ يكونوا في بعضٍ دون بعض منه، ويجوز إخلاءُ الأرض من بعضهم أوّلاً فأولاً، إلى أنْ لا يبقى إلاَّ فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمرُ الله. انتهى ملخصاً، مع زيادةٍ فيه. قاله الحافظ [٥].

قال القرطبي: وفيه دليلٌ [٦] على أنَّ الإجماع حُجَّة؛ لأنَّ الأُمَّة إذا اجتمعت فقد دخل فيهم الطائفة المنصورة.

---

(١) أبوجعفر، بن أسد بن حبان القطان الواسطي، ثقةٌ حافظ ت (٢٥٩هـ) «تقريب» (٨٠).

(٢) عن ابن المبارك: أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» رقم (٤٧)، وعن ابن المديني: أخرجه الترمذي في «الجامع» (٨/٧) والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» رقم (٥٠)، وعن ابن سنان: أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» رقم (٤٩)، وعن البخاري: أخرجه الخطيب في «المصدر السابق» رقم (٥١).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (١٩٢٥) والموصلي في «المسند» رقم (٧٨٣) وأبو نُعيم في «الحلية» (٩٦/٣) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٤) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٦٨/١٣).

(٥) ابن حجر، «فتح الباري» (٢٩٥/١٣).

(٦) (ض): دليل. ساقطة.

قال المصنف: وفيه: الآيةُ العظيمة، أنَّهم مع قلَّتهم لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم. والبشارةُ بأنَّ الحق لا يزول بالكلية.[1]

قلتُ: واحتج به الإمامُ أحمد على أنَّ الاجتهاد لا ينقطعُ، ما دامت هذه الطائفة موجودة.

قوله: «حتى يأتي أمرُ الله» الظاهرُ أنَّ المراد به/ ما روي من قبض مَنْ[2] بقي [٩٥/ من المؤمنين بالرِّيح الطيبة، ووقوع الآيات العظام.

ثم لا يبقى إلاَّ شِرار[3] الناس؛ كما روى الحاكمُ: أنَّ عبد الله بن عمرو، قال: لا تقومُ الساعةُ إلاَّ على شرار الخلق، هم شرُّ أهل الجاهلية. فقال عُقبة بن عامر لعبدالله: اعلَمْ ما تقول، وأمَّا أنا فسمعتُ النبي ﷺ يقول: «لا تزال عِصابةٌ من أُمَّتي يُقاتلون على أمر الله، ظاهرين، لا يضرُّهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعةُ وهم على ذلك» فقال عبدُ الله: ويبعث الله ريحاً ريحها المسك، ومسُّها مسُّ الحرير، فلا تترك أحداً في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من إيمان إلاَّ قبضته، ثم يبقى شرار الناس، فعليهم تقوم الساعة.[4].

وفي (صحيح مسلم) «لا تقوم الساعةُ حتى لا يُقال في الأرض: الله الله».[5]

وعلى هذا: فالمرادُ بقوله في حديث عُقبة، وما أشبهه «حتى تأتيهم الساعة» ساعتُهم، وهي وقت موتهم بهبوب الريح. ذكره الحافظ.[6]

---

(١) المسألتان: التاسعة والعاشرة.

(٢) (ض): أرواح من. وعليه حرف (ض).

(٣) (ض): أشرار.

(٤) الحاكم في «المستدرك» (٤/٤٥٦) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم

(٥) (١٩٢٤).

(٦) مضى تخريجه.

(٧) ابن حجر، «فتح الباري» (١٣/٢٩٤).

وقد اختُلف في محلٍّ هذه الطائفة، فقال ابنُ بَطَّال[١]: إنها تكون في بيت المقدس؛[٢] كما رواه الطبرانيُّ، من حديث أبي أُمامة، قيل: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس»[٢][٣] وقال مُعاذُ بن جبل: هم بالشام.[٤]

وفي كلام الطَّبري ما يدلُّ على أنه لا يجب أنْ تكون في الشام أو في بيت المقدس دائماً، بل قد تكون في موضعٍ آخر في بعض الأزمنة.

قلتُ: ويشهدُ له الواقع، وحالُ أهلِ الشام وأهل بيت المقدس. [فإنهم][٥] من أزمنةٍ طويلة لا يُعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه، في القرن السابع وأوَّلِ الثامن.

فإنَّهم على[٦] الحق يدعون إليه، ويناظرون عليه، ويجاهدون فيه. وقد يجيءُ من أمثالهم بعدُ بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق والتمسك بالسنة، والله على كلِّ شيءٍ قدير.

ومَّما يؤيِّدُ هذا: أنَّ أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة، وتوافر العُلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده، لم يكونوا في محلٍّ واحد. بل هم في غالب الأمصار: في

---

(١) أبو الحسن، علي بن خلف بن بطّال البكري، مُحدِّثُ فقيه مالكي ت (٤٤٩هـ) «سير أعلام النبلاء» (١٨/٤٧).

(٢) مابينهما ساقطٌ من الأصل، وهو انتقال نظر.

(٣) الطبراني في «الكبير» رقم (٧٦٤٣)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/٢٦٩)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٨٨): ورجاله ثقات. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/٣١٨) عن مُرة البهزي، وأخرجه البيهقي في «السنن» (٩/٣٩، ١٨٠) عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٦٤١).

(٥) إضافة من (ط).

(٦) (ض): في زمانهم على (هـ)(ط): كانوا في زمانهم على.

الشام منهم أئمة، وفي الحرمين،[١] وفي مصر، وفي العراق، وفي اليمن.

وكلُّهم على الحق يُناضلون ويُجاهدون أهل البدع، ولهم المصنفاتُ التي صارت أعلاماً لأهل السنة، وحُجَّةً على كلِّ مُبتدع.[٢]

فعلى هذا: فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق، وقد تكون في الشام، وقد/ [٩٥] تكون في غيره.

فإنَّ حديث أبي أمامة، وقول معاذ، لا يُفيدُ حصرها بالشام، وإنما يُفيد أنها تكون في الشام في بعض الأزمان لا في كلِّها.[٣]

وقوله: «تبارك وتعالى» قال ابنُ القيِّم: البركةُ نوعان: أحدُهما: بركةٌ هي فِعْلُه، والفعلُ منها بارَكَ. ويتعدَّى بنفسه تارةً، وبأداة على تارة، وبأداة في تارة. والمفعول منها مُبارك. وهو ما جعل منها كذلك، فكان مُباركاً بجعله تعالى.

والنوعُ الثاني: بركةٌ تُضاف إليه إضافةَ الرحمة والعزّة، والفعلُ منها تبارك. ولهذا لا يُقال لغيره ذلك، ولا يصلُح[٤] إلَّا له عز وجل. فهو سبحانه المُبارك، وعبدُه ورسوله المُبارَك، كما قال المسيحُ عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١] فمن باركَ الله فيه وعليه، فهو المباركُ.

وأما صفتُه تبارك فمختصَّةٌ به، كما أطلقها على نفسه في قوله: ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿تَبَارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهو عَلَىٰ كُلِّ شيءٍ قَديرٌ﴾ [الملك:

---

(١) (هـ)(ط): الحجاز.

(٢) وأمَّا في هذا العصر: فقد وجدوا في كل مكان، وانتشرت مؤلفاتُهم فلله الحمدُ على الإسلام والسنة.

(٣) (هـ)(ط): في كلها. وكل جملة من هذا الحديث عَلمٌ من أعلام النبوة، فإنَّ كل ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث وقع كما أخبر ﷺ.

(٤) (ض)(هـ): يصح.

[١] . أفلا تراها كيف اطَّردت في القرآن جاريةً عليه مختصَّةً به، لا تُطلق على غيره؟ .

وجاءت على بناءِ السَّعة والمُبالغة، كتعالى وتعاظم ونحوه. فجاء بناء ﴿تَبَارَكَ﴾ على بناء: تعالى، الذي هو دالٌّ على كمال العلوِّ ونهايته، فكذلك ﴿تَبَارَكَ﴾ دالٌّ على كمال بركته وعظمتها وسعتها. وهذا معنى قول من قال من السلف ﴿تَبَارَكَ﴾: تعاظم. وقال ابنُ عباس: جاء بكلِّ بركة.[١]

آخـرُ المجلَّـد الأوّل

ويليه المجلَّدُ الثاني

وأوَّلـهُ: بـاب ماجـاء فـي السحـر

---

(١) ابن القيم، «بدائع الفوائد» (٢/ ١٨٥ ـ ١٨٦).

(٢٣)
باب ماجاء في السحر

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في السِّحر.

ش: أي والكهانة. السِّحرُ في اللغة: عبارةٌ عمَّا خفي ولطُف سببه؛ ولهذا جاء في الحديث «إنَّ من البيان لسحراً»[١] وسُمِّي السَّحَرُ سَحراً؛ لأنه يقع خفياً آخر الليل.

قال أبو محمَّد المَقدسي في (الكافي): السحرُ: عزائمُ ورُقىً وعُقد، تُؤثِّرُ[٢] في القلوب والأبـدان، فيُمـرض ويقتل، ويفرِّقُ بين المرء وزوجه؛ قال الله تعالى: ﴿فيَتَعَلَّمُون مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المْرءِ وزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقال سبحانه: ﴿ومِن شرِّ النَّفَّاثَاتِ في العُقَدِ﴾ [الفلق: ٤].

يعني: السـواحـر اللَّاتي يعقدن في سحرهن، وينفثن في عقدهن. ولولا أنَّ للسحر حقيقةً لم يأمر[٣] بالاستعاذة منه.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ النبي ﷺ سُحر، حتى إنَّه ليُخيَّلُ إليه أنه يفعل

---

(١) أخرجه البخاريُّ في «الصحيح» رقم (٥١٤٦، ٥٧٦٧) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٠٢٩) وأبوداود في «السنن» رقم (٥٠٠٧) وأحمد في «المسند» (٢/ ١٦، ٥٩، ٦٣، ٩٤) من حديث عبدالله بن عمر، وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٨٦٩)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٣) من حديث عمّار بن ياسر، وأبوداود في «السنن» رقم (٥٠١١) وأحمد في «المسند» (١/ ٢٦٩، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٣٢) من حديث عبدالله بن عباس، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٧٠) من حديث معن بن يزيد السلمي، وأبو داود في «السنن» رقم (٥٠١٢) من حديث بُريدة.

(٢) الأصل و (ض) و (ط): يُؤثر.

(٣) (ط): أمر الله.

الشيءَ ومايفعله، وأنَّه قال لها ذات يوم: «أتاني مَلكان، فجلس أحدُهما عند رأسي والآخرُ/ عند رجليَّ، فقال: ماوجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومَن طَبّه؟ قال: لَبيدُ ابن الأعصم، في مشطٍ ومِشاطة، في جُفِّ طَلْعةٍ ذَكر[1] في بئر ذَرْوان» رواه البخاري[2][3]. [٩٦/أ]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ش: قال ابنُ عباس: من نصيب[4]. قال قتادة: وقد علم أهلُ الكتاب فيما عُهد إليهم: أنَّ الساحر لا خلاق له في الآخرة[5]. وقال الحسن: ليس له دين[6].

فدلَّت الآيةُ على تحريم السِّحر، وكذلك هو محرَّمٌ في جميع أديان الرسل عليهم السلام؛ كما قال تعالى: ﴿ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

وقد نص أصحابُ أحمد: أنَّه يكفر بتعلُّمه وتعليمه[7].

وروى عبدُ الرزاق، عن صفوان بن سليم، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من

---

(١) هو الغشاء الذي يكون على الطلع. «فتح الباري» (١٠/٢٢٩).

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (٣١٧٥، ٥٧٦٣، ٦٠٦٣)، وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢١٨٩)، وأحمد في «المسند» (٦/٥٧ و٦٣ و٦٦)، وفي روايةٍ مُفسِّرة عند البخاري في «الصحيح» رقم (٥٧٦٥) «حتى كان يَرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن».

(٣) ابن قدامة، «الكافي في فقه الإمام المُبجّل أحمد بن حنبل» (٣/١٦٤) (ط الشيخ علي آل ثاني رحمه الله تعالى). وينظر: ابن القيم، «بدائع الفوائد» (٢/٢٢٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم، في «التفسير» والطستي، في «مسائله» كما في «الدر المنثور» (١/٢٥١).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري، في «التفسير» رقم (١٧٠٥)، وعبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» (١/٢٥٠).

(٦) أخرجه عبدالرزاق في «التفسير» (١/٥٤). وابن جرير في «التفسير» رقم (١٧١٣).

(٧) ينظر: ابن قدامة المقدسي، «المغني» (١٢/٣٠٠)

تعلَّم شيئًا من السِّحر قليلاً كان أو كثيرًا كان آخرُ عهده من الله»[١] وهو مُرسل[٢].

وقد[٣] اختلفوا: هل يكفر الساحرُ أو لا؟ فذهب طائفةٌ من السلف [إلى][٤] أنَّه يكفر، وبه قال مالك، وأبوحنيفة، وأحمد. قال أصحابُه: إلَّا أن يكون سِحرُه بأدويةٍ وتدخين وسقي شيء[٥] لا يضر، فلا يكفر.

وقال الشافعي: إذا تعلَّم السحر، قلنا له: صف لنا سحرك!، فإنْ وصف مايوُجب الكفر ـ مثل ما اعتقده أهلُ بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل مايلتمس منها ـ فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر: فإنْ اعتقد إباحته كفر. انتهى[٦].

وقد سمَّاه الله كفرًا في قوله[٧]: ﴿إنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فلا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله: ﴿وما كَفَرَ سُلَيْمانُ ولَكِنَّ الشياطين كَفروا﴾ قال ابنُ عباس، في قوله: ﴿إنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فلا تَكْفُرْ﴾ وذلك أنهما علِما الخير والشر والكفر والإيمان، فعرفا أنَّ السحر من الكفر[٨].

---

(١) عبدالرزاق في «المصنف» (١٠/١٨٤)، وأخرجه ابن حزم في «المحلى» (١١/٣٩٦). وفيه إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي، وأخرجه ابن عَدي في «الكامل» موصولاً كما في «الكنز» (٦/٧٤٣) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) (هـ)(ط): وهذا

(٣) (ض) (هـ) (ط): قد. ساقطة.

(٤) إضافة من (ض) و(هـ) و(ط).

(٥) (ض) (هـ) (ط): لا. ساقطة.

(٦) ينظر: القرافي «كتاب الفروق» (٤/١٥٢)، وابن قدامة، «المغني» (١٢/٣٠١).

(٧) (٦٧) (هـ) (ط): بقوله.

(٨) «تفسير ابن كثير» ١/٢٥٢ (ط دار الأرقم)، والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (١/٢٤٥).

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿يُؤمِنُونَ بالجِبْتِ والطاغُوت﴾ [النساء: ٥١].

ش: تقدَّم الكلامُ عليهما في الباب قبله. وفيه: أنَّ السحر من الجبت. قاله المُصنِّفُ.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان.

ش: هذا الأثر، رواه ابنُ أبي حاتم، وغيرُه[1].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال جابر: الطواغيت: كُهَّانٌ، كان ينزل عليهم الشيطانُ، في كلِّ حيٍّ واحد.

ش: هذا الأثر، رواه ابنُ أبي حاتم بنحوه مُطولاً، عن وهب بن مُنبِّه، قال: سألتُ جابر بن عبدالله عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها، قال[2]: إنَّ في جُهينةَ واحدًا، وفي أسْلَم واحدًا، وفي هلال واحدًا، وفي كلِّ حيٍ واحدًا، وهم كُهّان تنزلُ[3] عليهم الشياطين[4] / .

[٩٠/ب]

قوله: (قال جابر)، هو ابنُ عبدالله بن عمرو بن[5] حرام الأنصاري.

---

(١) سبق تخريجه. وقال ابنُ حجر في «فتح الباري» (٨١/٢٥٢): إسناده قوي.

(٢) (ط): فقال.

(٣) (هـ) (ط): كانت تنزل.

(٤) ابن أبي حاتم في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٢/٢٢)، وأخرجه ابنُ جرير الطبري في «التفسير» رقم (٥٨٤٥). وذكره البخاري في «الصحيح» معلقاً «فتح الباري» (٨/٢٥١).

(٥) (هـ) (ط): عمرو بن. ساقط.

قوله: (الطواغيت: كهان)، أراد أنَّ الكهان من الطواغيت، فهو من أفراد المعنى.

قوله: (كان ينزل عليهم الشيطان)، أراد الجنس، لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة، بل تنزل عليهم الشياطين، ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقونه[1] من السمع، فيصْدقون مرة، ويكذبون مائة.

قوله: (في كلِّ حيٍ واحد). الحيُّ واحدُ الأحياء، وهم القبائل، أي: في كل قبيلة كاهنٌ يتحاكمون إليه ويسألونه عن الغيب، وكذلك كان الأمرُ قبل مبعث النبي ﷺ. فأبطل الله ذلك بالإسلام، وحُرست السماءُ بكثرة الشُّهُب[2].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبعَ الـمُوبقات» قالوا: يارسول الله، وماهُن؟ قال: «الشركُ بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكلُ الربا، وأكلُ مال اليتيم، والتولِّي يوم الزَّحْف، وقذفُ الـمُحصَناتِ الغافلات المؤمنات».

ش: [كذا أورده المصنفُ غيرَ معزو][3]، وقد رواه البخاريُّ، ومسلم[4].

قوله: «اجتنبوا» أي: ابعدوا، وهو أبلغُ من قوله: دعوا أو اتركوا؛ لأنَّ النهي عن القُربان أبلغ، كقوله: ﴿ولا تَقْرَبُوا الفواحِش ماظهر مِنْها ومابطن﴾. [الأنعام: ١٥١].

---

(١) (هـ) (ط): يسترقون.

(٢) ينظر في معنى الطاغوت، وأنواعه أيضاً: مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١/ ٣٧٦).

(٣) مابينهما ساقطٌ من الأصل.

(٤) البخاري في «الصحيح» رقم (٢٧٦٦، ٥٧٦٤، ٦٨٥٧)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٨٩)، وأخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٢٨٧٤) والنسائي في «المجتبى» (٦/ ٢٥٧) وابن حبان في «الصحيح» (٧/ ٤٣٥).

قوله: «الموبقات» بموحَّدة وقاف. أي: المُهلكات. وسُمِّيت هذه موبقات؛ لأنها تُهلك فاعلَها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب.

وفي حديث ابن عمر ـ عند البخاري في (الأدب المفرد)، والطبري في (التفسير)، وعبدالرزاق، مرفوعًا وموقوفًا ـ قال: الكبائرُ تسع ـ وذكر السبعة المذكورة ـ والإلحاد في الحرم. وعقوق الوالدين[١].

ولابن أبي حاتم، عن علي، قال: الكبائر ـ فذكر السبع، إلَّا مال اليتيم ـ وزاد: العقوق، والتعرُّب بعد الهجرة، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة[٢].

قال الحافظ: ويُحتاج عند[٣] هذا، إلى[٤] الجواب عن الحكمة في الاقتصار[٥]على سبع.

ويُجاب: بأنَّ مفهوم العدد ليس بحُجة، وهو ضعيف، أو بأنَّه أعْلَم أوَّلاً بالمذكورات. ثم أعْلم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائد، أو أنَّ الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل[٦].

---

(١) البخاري في «الأدب المُفرد» رقم (٨) وابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٩١٨٨) وعبدالرزاق في «المصنف» (١٠/٤٦٠)، وأخرجه البغوي في «الجعديات» رقم (٣٤٢٦) والبيهقي في «السنن» (٣/٤٠٩) وابن راهويه، وعبد بن حُميد، وابن المنذر بسند حسن، والقاضي إسماعيل في «أحكام القرآن» كما في «الدر المنثور» (٢/١٤٦).

(٢) ابن أبي حاتم في «التفسير» كما في المصدر السابق (٢/١٤٧)، وأخرجه بنحو ذلك الطبري في «التفسير» رقم (٩١٧٩).

(٣) (ط): عندي: تحريف.

(٤) (ط): إلى. ساقطة.

(٥) (ط): عندي على. تحريف.

(٦) (هـ) (ط): إلى السائل.

وقد أخرج الطبرانيُّ، وإسماعيلُ القاضي/، عن ابن عباس، أنه قيل له: [٩٧/أ] الكبائرُ سبع، قال: هُن أكثر من سبعٍ وسبع[١]. وفي رواية: هي إلى السبعين أقرب[٢]. وفي رواية: إلى السبعمائة[٣][٤].

قوله: قال «الشركُ بالله» هو أنْ يجعل لله ندًّا، يدعوه كما يدعو الله[٥] ويرجوه كما يرجو الله[٦]، ويخافه كما يخاف الله.

وبدأ به؛ لأنه أعظمُ ذنبٍ عُصي الله به، كما في (الصحيحين)، عن ابن مسعود: سألتُ النبي ﷺ أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك» الحديث[٧].

وأخرج الترمذي ـ بسنده ـ عن صفوان بن عسَّال، قال: قال يهوديٌّ لصاحبه: أذهب بنا إلى هذا النبي، فقال له صاحبُه: لا تقل: نبيّ، إنه لو سمعك لكان له أربع أعين، فأتيا رسولَ الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا مُحصنة، ولا تُولّوا الفرار يوم الزحف. وعليكم خاصةً اليهود أنْ لا تعتدوا

---

(١) وأخرجه الطبري في «التفسير» رقم (٩٢٠٣).

(٢) وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٦٠) وابن جرير في «التفسير» رقم (٩٢٠٦) واللالكائي في «السنة» رقم (١٩١٧، ١٩١٨) وعبد بن حُميد، وابن المُنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٢/ ١٤٦).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٩٢٠٧) واللالكائي في «السنة» رقم (١٩١٩) وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٢/ ١٤٦).

(٤) ابن حجر، «فتح الباري» (١٢/ ١٨٣).

(٥) كما يدعو الله. ليست في (هـ) و (ط).

(٦) كما يرجو الله. ليست في (هـ) و (ط).

(٧) مضى تخريجه.

في السبت» قال: فقبَّلا يديه ورجليه. وقالا: نشهدُ أنك نبي. الحديث[١]. وقال: حسنٌ صحيح.

قوله: «والسحر» تقدم معناه. وهذا وجهُ مناسبة هذا[٢] الحديث للترجمة.

قوله: «وقتلُ النفس التي حرَّم الله» أي: حرَّم قتلَها[٣].

«إلَّا بالحق» أي: بأنْ تفعل مايوجب قتلها، كالشرك، والنفس بالنفس، والزاني بعد الإحصان. [٤ وقوله: «وقتل النفس التي حرم الله» أي: نفس المسلم المعصوم ٤]، وقتل[٥] المُعاهد؛ كما في الحديث «من قتل مُعاهداً لم يرح رائحة الجنة» الحديث[٦].

واختلف العلماءُ فيمن قتل مؤمناً متعمِّداً، هل له توبة أم لا؟ فذهب ابنُ عباس، وأبوهريرة، وغيرهُما: إلى أنه لا توبة له؛ استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤمِناً مُتَعَمِّداً فجزاؤهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيها﴾. [النساء: ٩٣].

قال ابنُ عباس: نزلت[٧ هذه الآيةُ وهي آخرُ مانزل، ومانسخها شيءُ[٨]. وفي رواية: لقد نزلت ٧] في آخر مانزل، مانسخها شيءٌ حتى قُبض رسولُ الله / ﷺ [٩٠/ب]

---

(١) الترمذي في «الجامع» رقم (٢٧٣٤، ٣١٤٣)، وأخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٣٧٠٥) وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٣٩) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/ ٢٨٩).

(٢) (هـ) (ط): هذا. ساقطة.

(٣) (ط): قتلها. وهي نفس المسلم المعصوم.

(٤) مابينهما ساقطٌ من (ط).

(٥) (ط): وكذا قتل.

(٦) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣١٦٦، ٦٩١٤) والنسائي في «المجتبى» (٨/ ٢٥) وابن ماجة في «السنن» رقم (٢٦٨٦) وأحمد في «المسند» (٢/ ١٨٦) من حديث عبدالله بن عمرو.

(٧) مابينهما ساقطٌ من الأصل، وهو انتقالُ نظر من الناسخ.

(٨) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٤٥٩٠، ٤٧٦٦) ومسلم في «الصحيح» رقم (٣٠٢٣) والقاسم بن سلام في «ناسخ القرآن» رقم (٤٩١).

ومانزل وحي[١].

ورُوي في ذلك آثارٌ تدلُّ لما ذهب إليه[٢]؛ كما عند الإمام أحمد، والنسائي، وابن الـمُنذر، عن معاوية: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كلُّ ذنب عسى الله أنْ يغفره إلَّا الرجل يموت كافرًا أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً»[٣].

وذهب جمهورُ الأُمة ـ سلفاً وخلفًا ـ إلى أنَّ القاتل له توبةٌ فيما بينه وبين الله، فإنْ تاب وأناب وعمل صالحاً بدَّل الله سيئاته حسنات؛ كما قال تعالى: ﴿والذين لا يَدْعُونَ مع الله إلهاً آخَرَ ولا يَقْتُلُون النَّفْس التي حرَّمَ الله إلا بالحَقِّ ولا يَزْنُونَ ومَنْ يَفْعَلْ ذلِك يَلْقَ أَثَامًا • يُضَاعَفْ لهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ ويَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا • إلَّا مَنْ تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولئك يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حسناتٍ وكان الله غفوراً رحيماً﴾. [الفُرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤمِنًا مُتَعَمِّداً﴾ فقد[٤] قال أبوهريرة، وغيرُه: هذا جزاؤه إنْ جازاه.

[وقد رُوي عن ابن عباس مايُوافق قول الجمهور، فروى عبدُ بن حُميد، والنَّحاس، عن سعيد بن عبيد: أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: لِمن قتل مؤمناً توبة[٥]. وكذلك ابن عمر رضي الله عنهما[٦]. ورُوي مرفوعًا: أنَّ جزاءه جهنمُ

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» رقم (٢١٤٢) وابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٠١٨٨).

(٢) (ط): إليه هؤلاء.

(٣) أحمد في «المسند» (٤/ ٩٩) والنسائي في «المجتبى» (٧/ ٨١) وابن المنذر في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٢/ ١٩٧)، وأخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٤٢٧٠) من حديث أبي الدرداء.

(٤) (هـ) (ط): فقد. ساقطة.

(٥) عبد بن حميد، والنحاس، كما في «الدر المنثور» (٢/ ٦٢٩).

(٦) أخرجه النحاس، كما في «الدر المنثور» (٢/ ٦٢٩).

إنْ جازاه][(١)][(٢)].

قوله: «وأكلُ الربا» أي: تناوله بأي وجهٍ كان؛ كما قال تعالى: ﴿الذين يأكُلُون الرِّبا لا يَقُومُون إلَّا كما يقُومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ من المسِّ﴾. الآيات [البقرة: ٢٧٥ - ٢٨٠]. قال ابنُ دقيق العيد[(٣)]: وهو مجرَّبٌ لسوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك.

قوله: «وأكلُ مال اليتيم» يعني: التعدِّي فيه. وعبَّر بالأكل؛ لأنه أعمُّ وجوه الانتفاع، كما قال تعالى: ﴿إن الذين يأكُلُون أمْوَال اليَتَامى ظُلْماً إنَّما يَأكُلُون في بُطُونِهِم ناراً وسَيَصْلَوْن سعيراً﴾. [النساء: ١٠].

قوله: «والتولي يوم الزحف» أي: الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال. وإنما يكون كبيرة إذا فرَّ إلى غير فئةٍ، أو غير متحرِّفٍ لقتال، كما قُيِّد به في الآية.

قوله: «وقذفُ الـمُحصنات الغافلات المؤمنات» وهو بفتح الصاد: المحفوظات من الزنا، وبكسرها: الحافظات فروجهن منه. والمراد: الحرائر العفيفات، والمراد: رميهن بزنا أو لواط. والغافلات: أي: عن الفواحش، وما رُمين به. فهو كناية عن البريئات؛ لأن الغافل بريءٌ عمّا بُهت به، والمؤمنات: أي بالله تعالى، احترازاً من قذف الكافرات.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن جُندب مرفوعًا «حَدُّ الساحر:

---

(١) مابينهما إضافة من (هـ) و (ط).

(٢) أخرجه ابنُ أبي حاتم، والطبراني، وأبوالقاسم بن بشران في «أماليه» بسند ضعيف، عن أبي هريرة، كما في «الدّر المنثور» (٢/٦٢٧).

(٣) أبو الفتح، تقي الدين، محمد بن علي بن وهب القُشيري، فقيه محدث (ت ٧٠٢هـ) «طبقات الشافعية» (٩/٢٠٧).

ضربُه بالسيف» رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف[١].

ش: قوله (عن جُندب) ظاهرُ صنيع[٢] الطبراني في (الكبير): أنَّه جُندب بن عبدالله البَجلي. لا جُندب الخير / الأزدي، قاتل الساحر؛ فإنه رواه في ترجمة [٩٨/أ] جُندب البجلي، من طريق خالد العبد، عن الحسن، عن جندب، عن النبي ﷺ، وخالد العبد: ضعيف.

قال الحافظ: والصواب أنَّه غيرُه، وقد رواه ابنُ قانع، والحسن بن سُفيان من وجهين، عن الحسن، عن جُندب الخير: أنه جاء إلى ساحرٍ، فضربه بالسيف حتى مات، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: فذكره.

وجُندب الخير: هو جندب بن كعب ـ وقيل: جندب بن زهير، وقيل هما واحد؛ كما قاله[٣] ابنُ حبان ـ أبوعبدالله الأزدي الغامدي، صحابي. روى ابنُ السّكن، من حديث بُريدة: أنّ النبي ﷺ قال: «يضرب ضربةً واحدة فيكون أُمّةً وحده»[٤].

قوله: «حدُّ الساحر: ضربُه بالسيف» ورُوي بالهاء وبالتاء، وكلاهُما صحيح.

---

(١) الترمذي في «الجامع» رقم (١٤٦٠)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٦٦٥) والرامُهرمزى في «المحدث الفاصل» رقم (٥٩٠) والدار قطني في «السنن» (٣/ ١١٤) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٠) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٦) قال الترمذي في «العلل الكبير» (٢/ ٦٢٤): سألت محمَّد (البخاري) عن هذا الحديث. فقال: هو لا شيء. وقال ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٢٣٦): في سنده ضعفٌ. وقال الذهبي في «الكبائر» (٤٦): والصحيحُ أنه من قول جُندب.

(٢) (ض): صنيع. ساقطة.

(٣) (هـ) (ط): قال.

(٤) ابن السكن كما في «الإصابة» (١/ ٢٥٠)، وأخرجه ابنُ مندة كما في المصدر السابق (١/ ٥٨٣) وعبدالرزاق في «المصنف» (١٠/ ١٨١).

وبهذا الحديث: أخذ أحمدُ، ومالك، وأبوحنيفة، فقالوا: يُقتل الساحر. وروي ذلك عن عُمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبدالله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبدالعزيز.

ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرَّد السحر، إلَّا إنْ عمل في سحره مايبلغُ الكفر. وبه قال ابنُ المنذر، وهو روايةٌ عن أحمد(١).

والأوَّل أولى؛ للحديث ولأثر عمر، وعمل به الناسُ في خلافته من غير نكير.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي (صحيح البخاري)، عن بَجالة بن عَبَدة قال: كتب عمرُ بن الخطاب: أنِ اقتلوا كلَّ ساحرٍ وساحرة، قال: فقتلنا ثلاثَ سواحر(٢).

ش: هذا الأثرُ رواه البخاريُّ؛ كما قال الـمُصنِّفُ، لكن لم يذكر قتلَ السواحر.

قوله: (عن بَجالة) بفتح الموحَّدة بعدها جيم. ابن عبدة ـ بفتحتين ـ التميمي العنبري، بصريٌّ ثقة(٣).

قوله: (كتب إلينا عمرُ بن الخطاب: أنِ اقتلوا كلَّ ساحرٍ وساحرة)، وظاهرُه أنَّه يُقتل من غير استتابة. وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك؛ لأنَّ

---

(١) ينظر: ابن قدامة، «المغني» (١٢/٣٠٢).

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (٣١٥٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/١٩٠، ١٩١) واللفظُ له، وأبوداود في «السنن» رقم (٣٠٤٣) والترمذي في «الجامع» (١٥٨٦) وعبدالرزاق في «المصنف» (١٠/١٧٩) وابن أبي شيبة، في «المصنف» (١٠/١٣٦)، وسعيد بن منصور، في «السنن»، رقم (٢١٨١) وعبدالله في «مسائل الإمام أحمد» رقم (١٧٧٨) والقاسم بن سلَّام في «الأموال» (٣٢) والبيهقي في «السنن» (٨/١٣٦)، وصححه ابنُ حزم في «المحلى» (١١/٣٩٦).

(٣) قال ابنُ حجر في «الفتح» (٦/٢٦٠): وماله في البخاري سوى هذا الموضع.

علم الساحر[١] لايزول بالتوبة. وعن أحمد يُستتاب[٢]، فإنْ تاب قُبلت توبتُه، وبه قال الشافعي؛ لأنَّ ذنبه لايزيد عن الشرك، والمشرك يُستتاب[٢] وتُقبل توبته. ولذلك صح إيمانُ سحرة فرعون وتوبتهم[٣].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وصحَّ عن حفصة: أنَّها أمرت بقتل جاريةٍ لها سحرَتها / فقُتلت. وكذا صحَّ عن جُندب. [٩٨/د]

ش: هذا الأثرُ، رواه مالكٌ في (الموطأ)[٤].

وحفْصةُ، هي أمُّ المؤمنين، بنت عمر بن الخطاب، تزوَّجها النبيُّ ﷺ بعد خُنَيس بن حُذافة[٥]، وماتت سنة خمسٍ وأربعين.

قوله: (وكذا صح عن جُندب)، أشار المصنفُ بهذا إلى قتله الساحر؛ كما رواه البخاريُّ في (تاريخه)، عن أبي عُثمان النهدي، قال: كان عند الوليد رجلٌ يلعب، فذبح إنسانًا وأبان رأسَه، فعجبنا! فأعاد رأسه. فجاء جُندب الأزدي فقتله[٦].

---

(١) (ض) (هـ) (ط): السحر.

(٢-٢) مابينهما ساقطٌ من الأصل، وهو انتقالُ نظر.

(٣) ينظر: أبو يعلى، «الروايتين» (٢/٣٠٣)، ابن قدامة، «المغني» (١٢/٣٠٣)، وابن كثير «التفسير» (١/٢٦٠).

(٤) مالك في «الموطأ، كتاب العُقول» رقم (٤٦) بلاغًا، ووصله عبدُالرزاق في «المصنف» (١٠/١٨٠)، وابن أبي شيبة، في «المصنف» (٩/٤١٦، ١٠/١٣٦)، وعبدالله في «مسائل الإمام أحمد» رقم (١٧٧٩) والبيهقي في «السنن» (٨/١٣٦) من حديث ابن عمر.

(٥) أبو حُذافة، ابن قيس بن عدي، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً، مات في أول السنة الثالثة من الهجرة. «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/٣٩٢).

(٦) البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/٢٢٢)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٧٢٥)، وعبدالرزاق، في «المصنف» (١٠/١٨٢) والبيهقي في «السنن» (٨/١٣٦) قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣/٣): إسنادهُ صحيح.

ورواه البيهقيُّ في (الـدلائل) مطولاً. وفيه: فأمر به الوليدُ، فسُجن. فذكر القصة بتمامها[١]، ولها طرقٌ كثيرة.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال أحمد: عن ثلاثةٍ من أصحاب النبي ﷺ.

ش: أحمد، هو الإمام، أحمد بن محمد بن حنبل.

قوله: (عن ثلاثة). أي: صحَّ قتلُ الساحر عن ثلاثة، أو جاء قتل الساحر عن ثلاثة من (أصحاب النبي ﷺ)، يعني: عمر، وحفصة، وجُندبا. والله أعلم.

---

(١) كما في «الإصابة» (١/ ٢٥٠) وأخرجه في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦).

(٢٤)
باب بيان شيء من أنواع السحر

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ بيان شيءٍ من أنواع السحر.

ش: قلتُ: ذكر الشارحُ هنا[١] شيئًا من الخوارق وكراماتِ الأولياء، وذكر ما اغترَّ به كثيرٌ من الناس من الأحوال الشيطانية التي غرَّت كثيرًا من العوام والجهال، وظنوا أنها تدلُّ على ولاية مَنْ جرت على يده[٢]، ممن هو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن، ثم قال: ولشيخ الإسلام كتابُ (الفُرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)[٣] فراجعه. انتهى[٤].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال أحمد: حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا عوف، حدثنا[٥] حيَّان بن العلاء، حدثنا قَطَن بن قَبيصة، عن أبيه: أنه سمع النبي ﷺ قال: «إنَّ العِيَافة، والطَّرْق، والطِّيَرة من الجبْت» قال عوف: العيافةُ: زَجر الطير، والطَّرْقُ: الخط يُخط في

---

(١) (هـ) (ط): هاهنا.

(٢) (ط): يديه.

(٣) مطبوعٌ متداول، غير أنه بحاجة إلى خدمة تليق به. وقد رأيتُ له نُسخاً خطية جيدة في بعض مكتبات الرياض الخاصة، إحداها كُتبت سنة ١٢٨٧هـ بقلم تلميذ المؤلف، الشيخ الجليل، محمد بن حمد بن راشد بن عساكر. رحمه الله تعالى.

(٤) سليمان بن عبدالله، «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (٣٩٨).

(٥) (هـ) (ط): عن.

الأَرض. والجبت: قال الحسن: رنَّـة الشيطان[١]. إسنادُه جيد. ولأبي داود، [والنسائي][٢]، وابن حبان في (صحيحه): المسندُ منه[٣].

ش: قوله: (قال أحمد) هو الإمام، أحمد بن محمد بن حنبل.

ومحمد بن جعفر: هو المشهور بغُندَر الـهُذلي البصري، ثقةٌ مشهور. مات سنة ستٍ ومائتين.

[٩٩/أ] وعوف: هو ابنُ / أبي جَميلة ـ بفتح الجيم ـ العبدي البصري، المعروفُ بعوف الأعرابي، ثقة. مات سنة ستٍ ـ أو سبع ـ وأربعين[٤]، وله ستٌ وثمانون سنة.

وحيَّان بن العـلاء: هو بالتحتية، ويقـال: حيَّان بن مُخارق، أبـوالعـلاء البصري، مقبول. وقَطَن ـ بفتحتين ـ أبوسهل البصري، صدوق.

قوله: (عن أبيه) هو قَبيصة ـ بفتح أوله ـ ابن مُخارق ـ بضم الميم ـ أبوعبدالله الهلالي، صحابيٌّ نزل البصرة.

قوله: «إنَّ العيافة والطرْق والطيرة من الجبْت» قال عوف: العيافة: زجرُ الطير، والتفـاؤلُ بأسـمائهـا[٥] وأصـواتهـا وممـرِّهـا. وهو من عادة[٦] العرب، وكثُر[٧] في

---

(١) أحمد في «المسند» (٥/ ٦٠، ٣/ ٤٧٧). وفيه: قال الحسن: إنَّه الشيطان. وهو الصواب. والله أعلم

(٢) إضافةٌ من (ط).

(٣) أبوداود في «السنن» رقم (٣٩٠٧) والنسائي في «السنن الكبرى» كتاب التفسير كما في «تحفة الأشراف» (٨/ ٢٧٥) وابن حبّان في «الصحيح» (٧/ ٦٤٦)، وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٠٣) وابن أبي شيبه في «المصنف» (٩/ ٤٢) وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٣٥) وأبونُعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٥٨) وأبوالشيخ في «طبقات المحدثين» رقم (٣٧) والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٩) قال النووي في «رياض الصـالحين» (٦٣٧): رواه أبـوداود بإسنـادٍ حسن. وقـال ابن تيمية «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٩٢): إسنادهُ حسن. وقال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٣٦٧): إسناد جيد.

(٤) بعد المائة «تقريب التهذيب» (٤٣٣).

(٥) الأصل: باسمها. (٦) (ض) (هـ) (ط): عادات (٧) (ض) (هـ) (ط): وكثير.

أشعارهم. يُقال: عاف يعيف عيفًا: إذا زجر وحدس وظن.

قوله: «والطَّرْق»: الخط يُخط بالأرض. كذا فسَّره عوف، وهو كذلك.

وقال أبوالسعادات: هو الضربُ بالحصى، الذي يفعلُه النساء[1].

وأمَّا الطيرة: فيأتي الكلامُ عليها، في بابها إن شاء الله تعالى.

قوله: «من الجِبْت» أي: السِّحر[2]، قال القاضي: والجبتُ في الأصل: الفشلُ الذي لا خير فيه، ثم استُعير لما يُعبد من دون الله، وللسَّاحر والسحر.

قوله: (قال الحسن: رنَّة الشيطان)[3]. قلتُ: ذكر إبراهيمُ بن محمد بن مُفلح[4]:

أنَّ في (تفسير بَقِيٍّ بن مَخْلَد)[5]: أنَّ إبليس رنَّ أربع رنات: رنة حين لُعن، ورنة حين أُهبط، ورنة حين ولد رسولُ الله ﷺ، ورنة حين نزلت فاتحةُ الكتاب[6].

قال سعيدُ بن جُبير: لما لعن الله إبليس، تغيَّرت صورتُه عن صورة الملائكة، ورنّ رنة، فكلُّ رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة. رواه ابنُ أبي حاتم[7].

وعن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: لما فتح رسولُ الله ﷺ مكة، رنّ

---

(١) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٢١).

(٢) يعني: من أفعال السحرة، وليست هي بذاتها من السحر. والله أعلم.

(٣) سبق التنبيه إلى أن الصواب في قول الحسن: إنَّه الشيطان. فلا حاجة إلى تكلف شرح لفظ الرنين.

(٤) أبو إسحاق المقدسي، الراميني، فقيه (حنبلي ت ٨٨٤هـ) «شذرات الذهب» (٧/ ٣٣٨).

(٥) أبو عبدالرحمن، ابن يزيد الأندلسي القرطبي، حافظ مفسر، إمام مجتهد صالح، منقطع القرين. ت (٢٧٦هـ) و«طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ١٢٠).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة، وأبوسعيد بن الأعرابي في «مُعجمه»، كما في «الدر المنثور» (١/ ١١) والطبراني في «الأوسط» (١/ ٢٩٥) عن أبي هريرة قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح «مجمع الزوائد» (٦/ ٣١١).

(٧) ابن أبي حاتم، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان»، وأبو الشيخ في «العظمة» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٨٠).

إبليس رنّة اجتمعت عليه جنودُه. رواه[1] الحافظُ الضياء في (الـمُختارة).

الرنين: الصوت. وقد رن يرنُّ رنينًا. وبهذا يظهر معنى قول الحسن رحمه الله.

قوله: (ولأبي داود، وابن حبان في صحيحه: المسندُ منه). ولم يذكر التفسيرَ الذي فسَّره به عوف. وقد رواه أبوداود بالتفسير المذكور، بدون كلام الحسن[2] / . [٩/ب]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من اقتبس شُعبةً من النجوم، فقد اقتبس شعبةً من السحر، زادَ مازاد» رواه أبوداود[3]، بإسنادٍ صحيح.

ش: وكذا صحَّحه النوويُّ، والذهبي[4]. ورواه أحمدُ، وابن ماجة[5].

قولـه: «من اقتبس» قال أبو السعادات: قبستُ العلم واقتبستُه: إذا علِمتهُ. انتهى[6].

قوله: «شُعبة» أي: طائفةٌ من علم النجوم. والشُّعبةُ الطائفة، ومنه الحديث «الحياءُ شعبةٌ من الإيمان»[7] أي: جزءٌ منه.

---

(١) الأصل و (ض) و (هـ): وروى.

(٢) لكن أبا داود رحمه الله تعالى لم يذكر تفسير عون بن أبي جميلة متصلاً بالإسناد الأول، وانما رواه مستقلاً بإسناد خاص برقم (٣٩٠٨).

(٣) أبوداود في «السنن» رقم (٣٩٠٥).

(٤) النووي في «رياض الصالحين» (٦٣٧) والذهبي في «الكبائر» (١٢٣). وقال ابن تيمية «مجموع الفتاوى» (١٩٣/٣٥): إسنادهُ صحيح.

(٥) أحمد في «المسند» (٢٧٧/١، ٣١١) وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٧٢٦)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٠٢/٨) والطبراني في «الكبير» رقم (١١٢٧٨) والبيهقي في «السنن» (١٣٨/٨). وقال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٤٣٤/٣): إسناده جيد.

(٦) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث» (٤/٤).

(٧) قطعةٌ من حديث أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٩)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٣٥) وأحمد في «المسند» (٤١٤/٢) من حديث أبي هريرة.

قوله: «فقد اقتبس شُعبةً من السحر»، المحرَّم تعلُّمه.

قال شيخُ الإسلام: فقد صرَّح رسولُ الله ﷺ بأنَّ علم النجوم من السحر، وقد قال[1] تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[2]. [طه: ٦٩].

قوله: «زاد مازاد» أي: كلَّما زاد من تعلُّم علم النجوم، زاد في الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شُعَبه؛ فإنَّ مايعتقده في النجوم من التأثير باطل، كما أنَّ تأثير السحر باطل. والله اعلم[3].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وللنسائي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَن عقد عُقدةً ثم نفَث فيها فقد سَحر، ومن سَحر فقد أشرك، ومن تعلَّق شيئًا وُكِلَ إليه»[4].

ش: هذا الحديثُ[5] ذكره الـمُصنِّفُ من حديث أبي هريرة، وعزاه للنسائي[6].

وقد رواه النسائيُّ مرفوعًا[7]، وحسَّنه ابنُ مُفلح[8].

---

(١) (ط): وقال.

(٢) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٩٣/٣٥).

(٣) والله اعلم. ليست في (ط). وانظر: النووي، «عيون السائل» (٢٩٣).

(٤) النسائي في «المجتبى» (١١٢/٧)، وأخرجه ابن مردويه في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٤١٩/٦) قال الـمُنذري في «الترغيب والترهيب» (٣٢/٤): رواه النسائي من رواية الحسن، عن أبي هريرة، ولم يسمع منه عند الجمهور.

(٥) (ط): حديث.

(٦) ولم يُبيِّن هل هو موقوف أو مرفوع. «التيسير» (٤٠١).

(٧) والصوابُ أنه موقوفٌ على الحسن؛ كما قال الذهبي في «الميزان» (٣٧٨/٢) وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٧/١١)، وأمَّا قوله (ومن تعلق شيئًا وكل إليه) فله شاهدٌ من حديث ابن عُكيم، أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٠٧٣) وأحمد في «المسند» (٣١٠/٤، ٣١١) والحاكم في «المستدرك» (٢١٦/٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٨) ابن مفلح، «الآداب الشرعية» (٧٨/٣).

قوله: (وللنسائي). هو الإمام الحافظ، أحمد بن شُعيب بن علي بن سنان بن بحر[١] بن دينار، أبوعبدالرحمن، صاحبُ (السنن) وغيرها. روى عن محمد بن المُثنّى، وابن بشار، وقُتيبة، وخلْق. وكان إليه المُنتهى في العلم بعلل الحديث. مات سنة ثلاثٍ وثلاثمائة، وله ثمانٌ وثمانون سنة.

قوله: «مَن عَقَد عُقدةً ثم نَفث فيها فقد سَحر» إعلم أنَّ السَّحرة إذا أرادوا عمل[٢] السحر، عقدوا الخيوط ونفثوا على كلِّ عُقدة، حتى ينعقد كلُّ[٣] مايُريدون من السحر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ شرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدْ﴾ يعني: السواحر اللاتي يفعلن ذلك. والنفثُ: هو النفخ مع ريق[٤]، وهو دون التفل. والنفثُ فعلُ الساحر، فإذا تكيَّفت نفسُه بالخُبث والشر ـ الذي يُريده بالمسحور ويستعين عليه [١٠/أ] / بالأرواح الخبيثة ـ نفخ في تلك العُقدة نفخاً معه ريق، فيخرُج من نفْسه الخبيثة نَفَسٌ ممازجٌ للشر والأذى، مُقترنٌ[٥] للريق الممازج لذلك، وقد تَساعد[٦] هو والروح الشيطانية على أذى المسحور، فيصيبه السحرُ[٧] بإذن الله الكوني القدري، لا الشرعي، قاله ابنُ القيِّم[٨].

قوله: «ومن سَحر فقد أشرك» نصٌّ في أنَّ الساحر مُشرك؛ إذ لا يتأتى السحرُ بدون الشرك، كما حكاه الحافظُ عن بعضهم.

---

(١) لأصل و (ض) و (هـ): بحير.

(٢) (هـ): عمل. ساقطة.

(٣) (هـ) (ط): كل. ساقطة.

(٤) (هـ) (ط): الريق.

(٥) (ط): مقارن.

(٦) (هـ) (ط) يتساعد.

(٧) (هـ) (ط): السحر. ساقطة.

(٨) ابن القيم، «بدائع الفوائد» (٢/٢٢١).

قوله: «ومن تعلّق شيئًا وُكِل إليه» أي: من تعلَّق قلبُه شيئًا ـ بحيثُ يعتمد عليه ويرجوه ـ وكَلَه الله إلى ذلك الشيء.

فمن تعلَّق على ربه وإلهه وسيده ومولاهُ ربِّ كلِّ شيء ومليكِه، كفاه ووقاه وحفظه وتولَّاه، فنعم المولى ونعم النصير؛ قال تعالى: ﴿أَلَيْس الله بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾. [الزُّمر: ٣٦]. ومن تعلَّق على السحرة والشياطين وغيرهم من المخلوقين وكلَه الله إلى من تعلَّقه، فهلك.

ومن تأمل ذلك في أحوال الخلق، ونظر بعين البصيرة رأى ذلك عيانًا، وهذا من جوامع الكلِم. والله أعلم.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ألا أُنبئُكم ما العَضْةُ؟ هي النميمـة: القالَةُ بيـن الناس» رواه مسلم[1].

ش: قوله: «ألا أُنبئكم» أي[2]: أُخبركم، و «العَضْهُ» بفتح المُهملة وسكون المعجمة.

قال أبوالسعادات: هكذا يُروى في كُتب الحديث. والذي في كُتب الغريب «ألا أُنبئكم ما العِضَه» بكسر العين وفتح الضاد.

قال الزمخشري: أصلُها: العِضْهَة[3]، فِعْلة من العَضْه وهو البَهت، فحُذفت لامُه، كما حُذفت من السَّنَة والشَّفة. وتُجمع على عِضِين[4].

ثم فسَّره بقوله: «هي النميمة: القالةُ بين الناس»فأطلق عليها: العَضْهُ؛ لأنَّها

---

(١) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٠٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/٤٣٧) والدارمي في «السنن» رقم (٢٧١٨) وابن أبي الدنيا في «الصمت» رقم (٢٥٦، ٥٢١) وأبويعلى في «المسند» رقم (٥٣٦٣).

(٢) (ض) (هـ) (ط): أي. ساقطة.

(٣) (ط): العضة. تحريف.

(٤) ابن الاثير، «النهاية في غريب الحديث» (٣/٢٥٤)، وينظر: الزمخشري، «الفائق» (٢/٤٤٣).

لا تنفك عن الكذب والبهتان غالبًا. ذكره القُرطبي.

وذكر ابنُ عبدالبر، عن يحيى بن أبي كثير، قال: يفسدُ النمام والكذَّابُ في ساعةٍ ما لا يُفسد الساحرُ في سنة[١].

وقال أبوالخطَّاب[٢] في (عُيون المسائل): ومن السِّحر السعيُ بالنميمة والإفساد بين الناس.

قال في (الفُروع): ووجهُه: أنَّه يقصدُ الأذى بكلامه وعمله، على وجه المكر والحيلة، أشبه السحر. وهذا يُعرف / بالعُرف والعادة أنه يؤثر، ويُنتج مايعمله [١/ب] السِّحرُ أو أكثر. فيُعطى حكمُه؛ تسويةً بين المُتماثلين أو المتقاربين. لكن يُقال: الساحرُ إنَّما يكفر لوصف السحر، وهو أمرٌ خاص ودليله خاصّ. وهذا ليس بساحر، وإنَّما يؤثر عملُه ما يؤثره فيُعطى[٣] حُكمه، إلَّا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة. انتهى ملخصًا[٤].

وبه يظهر مطابقةُ الحديث للترجمة. وهو يدلُّ على تحريم النميمة، وهو مجمعٌ عليه.

قال ابنُ حزم: اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة، في غير النصيحة الواجبة[٥].

وفيه: دليلٌ على أنَّها من الكبائر.

قوله: «القالَةُ بين الناس» قال أبوالسعادات: أي: كثرةُ القول، وإيقاع

---

(١) نقله ابن مفلح في «الفروع» (٦/ ١٨٠).

(٢) محفوظ بن أحمد الكلوذاني، البغدادي الحنبلي، فقيه أصولي (ت ٥١٠هـ) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٥٨). وعيون المسائل: هو المعروف بالخلاف الصغير، أو رؤوس المسائل؛ كما في «تاريخ ابن رجب» (١/ ١١٦).

(٣) (ط): فيعي. تحريف.

(٤) ابن مفلح، «الفروع». (٦/ ١٨٠) ونقل كلام أبي الخطاب.

(٥) ابن حزم، «مراتب الاجماع» (١٥٦).

الخُصومة بين الناس. ومنه الحديث: «ففَشَتِ القالَةُ بين الناس»[١].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما، عن ابن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من البيان لسحرًا»[٢].

ش: البيانُ: البلاغةُ والفصاحة.

قال صَعْصعةُ بنُ صُوْحان[٣]: صدق نبيُّ الله، فإنَّ الرجل يكون عليه الحقُّ وهو ألحنُ بالحُجج من صاحب الحق، فيسحرُ القومَ ببيانه فيذهب بالحق[٤].

وقال ابنُ عبدالبر: تأوَّلَته طائفةٌ على الذم؛ لأنَّ السحر مذموم. وذهب أكثرُ أهل العلم، وجماعة أهل الأدب إلى أنَّه على المدح؛ لأن الله تعالى مدح البيان. قال: وقد قال عمرُ بن عبدالعزيز لرجلٍ سأله عن حاجة فأحسن المسألة، فأعجبه قولُه[٥] قال: هذا والله السحرُ الحلال. انتهى[٦].

والأوَّلُ أصح[٧]. والمرادُ به البيان الذي فيه تمويهٌ على السامع وتلبيس، كما قال بعضُهم: شعرًا[٨].

في زُخــرف القــول تزيينٌ لبـاطله   والحـقُّ قد يعـتريه سوءُ تعبـير[٩]

(١) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/١٢٣).

(٢) مضى تخريجه.

(٣) العبدي، نزيل الكوفة، تابعي كبير، مخضرم، فصيح، ثقة، مات في خلافة معاوية. «تقريب» (٢٧٦).

(٤) ذكره أبوداود في، «السنن» (٥/٢٧٨).

(٥) (هـ): جوابه.

(٦) ينظر «معالم السنن» للخطابي (٤/١٣٦).

(٧) قال ابن رجب في «فضل علم السلف» (٥٥) وإنما قاله في ذم ذلك، لا مدحاً له كما ظن ذلك من ظنّه. ومن تأمل سياق ألفاظ الحديث قطع بذلك.

(٨) (ض) (ط): شعرًا. ساقطة.

(٩) من كلام أحمد بن شافع الجيلاني (ت ٥٦٥هـ) ذكره ابنُ رجب في «التاريخ» (١/٣١٣).

[مأخوذٌ من قول الشاعر:][(١)]

[(٢)]تقول: هذا مُجاج النحل، تمدحُه   وإنْ تشأ قلت: ذا قيءُ الزنابير
مدحاً وذماً، وماجاوزتَ وصفهما   والحقُّ قد يعتريه سوءُ تعبير[(٢)]

وقوله: «إنَّ من البيان لسحرًا» هذا من التشبيه البليغ؛ لكون ذلك يعملُ عملَ السحر، فيجعل الحقَّ في قالب الباطل، والباطلَ في قالب الحق. فيستميلُ به قلوبَ الجهال، حتى يُقبل[(٣)] الباطل ويُنكر[(٤)] الحق. نسألُ الله الثبات، والاستقامة على الهُدى.

وأمَّا البيانُ الذي يوضِّحُ الحقَّ ويقرِّره، [ويبطل الباطل][(٥)] ويبيِّنه. فهذا هو الممدوح، وهكذا حالُ الرسل وأتباعهم؛ ولهذا علت مراتبُهم في الفضائل، وعظمت حسناتهم.

[١٠/أ] وبالجملة: فالبيانُ لا يحمد إلَّا إذا لم يخرج إلى حد / الإسهاب والاطناب، وتغطية الحق وتحسين الباطلِ. فإذا خرج إلى هذا فهو مذموم؛ وعلى هذا تدلُّ الأحاديثُ، كحديث الباب، وحديث «إنَّ الله يبغض البليغَ من الرجال الذي يتخلَّل بلسانه كما تتخلّل البقرةُ بلسانها» رواه أحمد، وأبوداود[(٦)].

---

(١) ساقط من الأصل و (ض).

(٢) مابينهما ساقطٌ من (ض) ومعَّلقٌ في هامش الأصل بقلم مغاير، والبيتان ذكرهما ابنُ القيم رحمه الله تعالى في «مفتاح دار السعادة» (١٥٣).

(٣) (هـ) (ط): يقبلوا.

(٤) (هـ) (ط): وينكروا.

(٥) إضافةٌ من (ض) و (هـ) و (ط).

(٦) أحمد في «المسند» (٢/١٦٥، ١٨٧) وأبوداود في «السنن» رقم (٥٠٠٥)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٨٥٧) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وابن أبي شيبة في «المصنف» (٩/١٥) وابن أبي الدنيا في «الصمت» رقم (٧٢٨) من حديث عبدالله بن عمرو، وله شاهدٌ من حديث سعد بن أبي وقاص عند أحمد في «المسند» (١/١٧٦، ١٨٤).

(٢٥)
باب ماجاء في الكهان ونحوهم

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في الكُهَّان ونحوهم.

ش: الكاهنُ: هو الذي يأخذُ عن مُسترق السمع، وكانوا قبل المبعث(١ كثيراً. وأمَّا بعد المبعث١) فإنهم قليل؛ لأن الله تعالى حرس السماء بالشُّهُب.

وأكثرُ ما يقع في هذه الأمة: ما يُخبر به الجنُّ مواليهم(٢) من الإنس، عن الأشياء الغائبة مما(٣) يقع في الأرض من الأخبار، فيظنه الجاهلُ كشفًا وكرامة. وقد اغترَّ بذلك كثيرٌ من الناس، يظنون ذلك(٤) المخُبر لهم عن(٥) الجن ولياً لله، وهو من أولياء الشيطان؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم جَمِيعًا يا مَعْشَرَ الجِنِّ قد استكثرتُم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربَّنا استمتعَ بعضُنا ببَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الذي اجَّلت لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُم خَالِدِينَ فيها إلَّا ما شاء الله إنَّ رَبَّك حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾. [الأنعام: ١٢٨].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: روى مسلم في (صحيحه) عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مَن أتى عَرَّافًا فسأله عن شيءٍ ـ فصدَّقه بما يقول ـ لم تُقبَل له صلاةٌ أربعين يومًا»(٦).

(١-١) مابينهما معلَّقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٢) (ط): أولياءهم.

(٣) (هـ) (ط): بما.

(٤) (هـ) (ط): ذلك. ساقطة.

(٥) (هـ) (ط): بذلك عن.

(٦) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٣٠) دون قوله «فصدقه بما يقول» فهي عند أحمد في «المسند» (٦٨/٤، ٣٨٠/٥).

ش: قوله: (عن بعض أزواج النبي ﷺ) هي حفصة، ذكره أبومسعود الدِّمشقي[١]؛ لأنه ذكر هذا الحديث في (الأطراف) في مُسندها.

قوله: «من أتى عرّافًا» سيأتي بيانُ العرَّاف إنْ شاء الله تعالى.

وظاهر الحديث[٢]: أنَّ الوعيد مُرتّبٌ على مجيئه وسؤاله، سواءٌ صدَّقه أو شك في خبره؛ فإنَّ [في][٣] بعض روايات الصحيح «من أتى عرافًا فسأله عن شيءٍ لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة»[٤].

قوله: «لم تُقبل له صلاة» إذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟

قال النوويُّ وغيره: معناه أنَّه لا ثواب له فيها، وإنْ كانت مُجزئةً بسقوط الفرض عنه. ولا بدَّ من هذا التأويل في هذا الحديث؛ فإنَّ العلماء متفقون على أنَّه لا يلزم من أتى العرَّاف إعادة صلاة أربعين ليلة. انتهى ملخصًا[٥].

وفي الحديث[٢]: النهيُ عن إتيان الكاهن ونحوه.

[١/ب] قال القُرطبي: يجب على من قدر على ذلك من مُحتسب وغيره أن / يُقيم من يتعاطى شيئًا من ذلك من الأسواق، ويُنكر عليهم أشد النكير[٦]، وعلى من يجيء إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة من يجيء إليهم ممن ينتسب إلى العلم؛ فإنهم غيرُ راسخين في العلم، بل من الجهال بما في إتيانهم من المحذور.

---

(١) في جميع النسخ: الثقفي. تحريف، وهو إبراهيم بن محمد بنُ عبيد الدمشقي، ثقة حافظ، مصنف كتاب أطراف الصحيحين (ت ٤٠١هـ) «تاريخ بغداد» (١٧٢/٦).

(٢) (ط): هذا الحديث.

(٣) اضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

(٤) هذا نصُّ رواية مسلم.

(٥) النووي «المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج» (٢٢٧/١٤).

(٦) (ط): التنكير. تحريف.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَن أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنْزِلَ على محمد ﷺ». رواه أبوداود(١).

ش: وفي رواية أبي داود «أو أتى امرأة ـ قال مُسدَّد: امرأته ـ حائضاً، أو أتى امرأة ـ قال مُسدَّد: امرأته ـ في دبرها، فقد بريء مما أُنزل على محمد ﷺ» فناقلُ هذا الحديث من (السنن) حذف منه هذه الجملة، واقتصر على مايُناسب الترجمة.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وللأربعة، والحاكم ـ وقال: صحيحٌ على شرطِهما ـ عن. . .(٢) «من أتى عَرَّافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ».

ش: هكذا بيّض المصنفُ لاسم الراوي. وقد رواه أحمد، والبيهقي، والحاكم، عن أبي هُريرة مرفوعًا(٣).

قوله: «من أتى كاهناً» قال بعضُهم: لا تَعارض بين هذا و(٤) حديث «من أتى عرافًا فسأله عن شيءٍ لم تُقبل له صلاةٌ أربعين ليلة» هذا على قول من يقول: هو كفرٌ دون كفر. أمَّا على قول من يقول بظاهر الحديث، فيُسأل عن وجه الجمع بين الحديثين!.

---

(١) أبوداود في «السنن» رقم (٣٩٠٤)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (١٣٥) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٠/١٢٤) وابن ماجة في «السنن» رقم (٦٣٩) وأحمد في «المسند» (٢/٤٠٨، ٤٧٦) والدارمي في «السنن» رقم (١١٤٣) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (١٠٧) والبيهقي في «السنن» (٧/١٩٨).

(٢) بياضٌ في جميع الأصول الخطية التي اطلعتُ عليها من كتاب التوحيد وشروحه.

(٣) أحمد في «المسند» (٢/٤٢٩) والبيهقي في «السنن» (٨/١٣٥) والحاكم في «المُستدرك» (١/٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الذهبي في «الكبائر» (١٢٣): إسنادُه صحيح.

(٤) (هـ) (ط): وبين.

وظاهرُ الحديث: أنَّه يكفر، متى اعتقد صدقَه بأي وجهٍ كان. وكان غالبُ الكهان قبل النبوة إنما كانوا[١] يأخذون عن الشياطين.

قوله: «فقد كفر بما أُنزل على محمد» قال القُرطبي: المراد بالمنزَّل: الكتاب والسنة. انتهى.

وهل الكفرُ في هذا الموضع كفرٌ دون كفر، فلا ينقل عن الملة، أم يُتوقف[٢] فلا يقال: يُخرج عن الملة ولا ما[٣]يخرج؟ وهذا أشهرُ الروايتين عن أحمد رحمه الله.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولأبي يعلى ـ بسندٍ جيِّد ـ عن ابن مسعود، مثلُه موقوفًا[٤].

ش: أبو يعلى: اسمُهُ: أحمد بن علي بن المُثنى الموصلي، الإمام صاحبُ التصانيف [كالمسند] وغيره، روى عن يحيى بن مَعين وأبي خيثمة، وأبي بكر بن أبي شيبة، وخلْق. وكان من الأئمة الحُفاظ. مات سنة سبعٍ وثلاثمائة. [١٠/أ]

وهذا الأثر: رواه البزَّارُ أيضًا، ولفظُه: من أتى كاهنًا أو ساحرًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ[٥].

---

(١) (ض): كانوا. ساقطة.

(٢) (هـ) (ط): يتوقف فيه.

(٣) (ض): أو. (ط): لا.

(٤) أبو يعلى في «المسند» رقم (٥٤٠٨)، وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١١/ ٢١٠) و «التفسير» (٢/ ٤٠٨) والبغوي في «الجعديات» رقم (٢٠١٧ ـ ٢٠٣٩). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٣٦) رواه البزار وأبويعلى، باسناد جيد موقوفاً.

(٥) البزَّار في «المسند» رقم (٢٠٦٧) (كشف)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٠٠٠٥) قال ابنُ حجر في «الفتح» (١٠/ ٢١٧): إسنادهُ جيد.

وفيه: دليلٌ على كفر الكاهن والساحر؛ لأنهما يدَّعيان علم الغيب، وذلك كفر. والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به، وذلك كفرٌ أيضًا.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عمران بن حُصين، مرفوعًا: «ليس منا مَن تطيَّر أو تُطيِّر له، أو تكهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحر، أو سُحر له. ومَن أتى كاهنًا فصدَّقهُ بما يقول، فقد كفر بما أُنْزِلَ على مُحمد ﷺ». رواه البزَّار[1] بإسنادٍ[2] جيد.

ورواه الطبرانيُّ[3] بإسناد حسن، من حديث ابن عباس، دون قوله: «ومن أتى كاهنا» إلى آخره[4].

ش: قوله: «ليس منا» فيه: وعيدٌ شديد، يدلُّ على أنَّ هذه الأمور من الكبائر؛ وتقدّم: أنَّ الكهانةَ والسحر كفر.

قوله: «من تطيّر» أي: فعل الطيرة، «أو تُطير له» أي: قَبِل قولَ المُتطيِّر له وتابعه، وكذا معنى «أو تكهن أو تُكهن له» كالذي يأتي الكاهن ويصدِّقُه ويتابعه، وكذلك من عمل الساحرُ له السحر.

فكلُّ من تلقَّى هذه الأمور عمّن تعاطاها فقد بريء منه رسولُ الله ﷺ؛

---

(١) البزَّار في «المسند» رقم (٣٠٤٤) (كشف) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/٣٣) إسنادهُ جيد. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/١١٧): ورجاله، رجال الصحيح.

(٢) (ض): بسند.

(٣) (هـ) (ط): الطبراني في الأوسط.

(٤) الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (٥/١١٧) وقال: وفيه زمعة بن صالح، وهو ضعيف، وأخرجه البزار في «المسند» رقم (٣٠٤٣) (كشف) وأبويعلى في «المسند» كما في «المطالب العالية» (٢/٣٥٤) قال المُنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/٣٣): إسنادهُ حسن.

لكونها: إمَّا شركٌ كالطيرة، أو كفرٌ كالكهانة والسحر. فمن رضي بذلك وتابع[١] فهو كالفاعل؛ لقبوله الباطل واتباعه.

قوله: (رواه البزَّار). هو أحمدُ بن عمرو بن عبدالخالق، أبوبكر البزَّار البصري، صاحب (المُسند الكبير). وروى عن ابن بشّار[٢]، وابن المُثنى[٣]، وخلْق. مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال البَغَوي: العرَّاف: الذي يدَّعي معرفةَ الأمور بمقدِّماتٍ يستدلُّ بها على المسروق ومكانِ الضَّالة، ونحو ذلك[٤].

وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يُخبر عن المغيَّبات في المُستقبل. وقيل: الذي يُخبر عمَّا في الضمير.

وقال أبوالعباس ابنُ تيمية: العرَّاف: اسمٌ للكاهن والمنجم والرَّمّال ونحوهم، ممن يتكلَّم في معرفة الأمور بهذه الطرق[٥].

ش: البَغَوي[٦] ـ بفتحتين ـ هو الحُسين بن مسعود بن الفرَّاء الشافعي، صاحبُ

---

(١) (ض) (ط): وتابع عليه.

(٢) (ض): بشار. تحريف. وهو أبوبكر، محمد بن بشار بن عثمان العبدي، البصري، بُنْدار، (ثقة ت ٢٥٢هـ) «التقريب» (٤٦٩).

(٣) أبو موسى، محمد بن المثنى بن عبيد العنزي، البصري، ثقةٌ ثبت، وكان هو وبُنْدار كفرسي رهان، وماتا في سنة واحدة. «التقريب» (٥٠٥).

(٤) البغوي «شرح السنة» (١٢/١٨٢).

(٥) ابن تيمية «مجموع الفتاوى» (٣٥/١٧٣).

(٦) (ض): البغوي. ساقطة.

التصانيف، وعالمُ أهلِ خُراسان. كان ثقة فقيهًا زاهدًا. مات في شوَّال سنة ستَ عشرة وخمسمائة.

قوله: (العرّاف: الذي يدَّعي معرفة الأمور). ظاهرهُ، أنَّ العرّاف: الذي[1] يُخبر عن الواقع[2] كالسرقة وسارقها، والضالةِ ومكانها.

وقال شيخُ الإسلام: إنَّ العرَّاف: اسمٌ للكاهن والمنجِّم والرَّمَّال /ونحوهم، [١٠٢/ب] كالحازر الذي يدَّعي علمَ الغيب، أو يدَّعي الكشف!.

وقال أيضًا: والمنجِّمُ يدخلُ في اسم العراف، وعند[3] بعضهم هو في[4] معناه.

وقال أيضًا: والمنجِّمُ يدخل في اسم الكاهن، عند الخَطَّابي وغيره من العلماء، وحُكي ذلك عن العرب.

وعند آخرين: هو من جنس الكاهن، وأسوأُ حالاً منه، فيُلحق به من جهة المعنى[5].

وقال الإمامُ أحمد: العراف[6]: طَرَفٌ من السحر. والساحرُ أخبث.

وقال أبوالسعادات: العرّاف: المنجِّم، والحازر[7] الذي يدَّعي علم الغيب، وقد استأثر الله تعالى به[8].

وقال ابنُ القيِّم: من اشتهر بإحسان الزَّجْر عندهم سمَّوه عائفًا، وعرَّافًا.

---

(١) (ض) (هـ) (ط): هو الذي.

(٢) (ط): الوقائع.

(٣) (ض): وعن.

(٤) (ط): في. ساقطة.

(٥) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٣٥/١٧٣، ١٩٣).

(٦) (ط): العرافة.

(٦) في النهاية: أو الحازي.

(٧) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/٢١٨).

والمقصودُ من هذا: معرفة من[١] يدَّعي معرفة[٢] علم شيء من الـمُغيَّبات، فهو إمَّا داخلٌ في اسم الكاهن، وإمَّا مشاركٌ له في المعنى، فيُلحق به. وذلك أنَّ إصابة المُخبر ببعض الأمور الغائبة، في بعض الأحيان يكون بالكشف. ومنه ماهو من الشياطين، ويكون: بالفأل، والزَّجر، والطِّيرة، والضرب بالحصى، والخط في الأرض، والتنجيم، والكهانةِ، والسحر، ونحو هذا من عُلوم الجاهلية.

ونعني بالجاهلية: كلَّ من ليس من أتباع الرُّسل عليهم السلام، كالفلاسفة والكُهَّان والمنجِّمين، وجاهليةِ العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ؛ فإنَّ هذه علوم القوم[٣]، ليس لهم علمٌ بما جاءت به الرسل عليهم السلام.

وكلُّ هذه الأمور يُسمَّى صاحبُها كاهنًا وعرّافًا، أو في معناهما. فمن أتاهم فصدَّهم بما يقولون لحقه الوعيد. وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوامٌ، فادَّعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وادَّعوا أنهم أولياء، وأنَّ ذلك كرامة!!.

ولا ريب أنَّ من ادعى الولاية، واستدلَّ بإخباره ببعض المُغيَّبات فهو من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمن!؛ إذ الكرامةُ: أمرٌ يُجريه الله على يد عبده المؤمن المتقي[٤]: إمَّا بدعاءٍ، أو أعمال[٥] صالحة لا صُنع للولي فيها، ولا قُدرة له عليها. بخلاف من يدَّعي أنَّه وليٌّ لله، ويقول للناس: اعلموا أنِّي أعلمُ المُغيبات؛ فإنَّ مثل[٦] هذه / الأمور قد تحصُل بما ذكرنا من الأسباب، وإنْ كانت أسبابًا محرَّمة كاذبة في الغالب. [١٠١/أ]

(١) (ط): أن من.
(٢) (ض): معرفة. ساقطة.
(٣) (هـ) (ط): لقوم.
(٤) (ض) (هـ) (ط): التقي.
(٥) (ض): بأعمال.
(٦) (ط): مثل. ساقطة.

ولهـذا قال ﷺ في وصف الكهان: «فيكذبون معها مائةَ كذبة»[١] فبيَّن أنَّهم يصْدقون مرةً ويكذبون مائة.

وهكذا حالُ من سلك سبيلَ الكُهَّان، ممن يدَّعي الولاية والعلم بها في ضمائر الناس، مع أنَّ نفس دعواه دليلٌ على كذبه؛ لأن في دعواه الولاية تزكيةَ النفس المنهي عنها بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُم﴾. [النجم: ٣٢] وليس هذا من شأن الأولياء، بل[٢] شأنُهم الإزراءُ على نفوسهم وعيبهم لها، وخوفُهم من ربهم. فكيف يأتون الناس، يقولون: اعرفوا أنَّا[٣] أولياء، وأنا نعلم الغيب؟ وفي ضمن ذلك طلبُ المنزلة في قلوب الخلق، واقتناصُ الدنيا بهذه الأمور.

وحسْبـك بحال الصحابة والتابعين، وهم سادات الأولياء رضي الله عنهم، أفكان عندَهم من هذه الدعاوي والشَّطحات شيء؟! لا والله، بل كان أحدُهم لا يملك نفسه من البُكاء إذا قرأ القرآن، كالصديق رضي الله عنه[٤]. وكان عمر يُسمـع نشيجُه من وراء الصفوف يبكي في صلاته[٥]، وكان يمرُّ بالآية في ورده

---

(١) قطعةٌ من حديث، أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٢١٠، ٣٢٨٨، ٥٧٦٢، ٦٢١٣، ٧٥٦١) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٢٨) وأحمد في «المسند» (٦/٨٧) من حديث عائشة.

(٢) (هـ) (ط): فإن.

(٣) (ط): أننا.

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٧١٦) ومسلم في «الصحيح» رقم (٤١٨) وأحمد في «المسند» (٦/٣٤، ٩٦، ١٥٩، ٢٠٢، ٢١٠).

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح» معلقاً (٢/٢٠٦) ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (١/٣٥٥) وسعيد ابن منصور في «السنن» كما في «فتح الباري» (٢/٢٠٦) وابن سعد في «الطبقات» (٦/١٢٦) قال ابن حجر في «التعليق» (٢/٣٠٠): هذا إسنادٌ صحيح.

بالليل[١] فيمرضُ منها ليالي يعودونه[٢]. وكان تميمُ الداري يتقلَّب في[٣] فراشه لا يستطيع النوم إلَّا قليلاً، خوفًا من النار، ثم يقوم إلى صلاته!.

ويكفيك في صفات الأولياء، ماذكره الله تعالى من[٤] صفاتهم: في سورة الرَّعد، والمؤمنين، والفُرقان، والذَّاريات، والطور. فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء[٥]، لا أهل الدعوى والكذب ومنازعة ربِّ العالمين فيما اختصَّ به من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب، بل مجَرَّدُ دعواه علمُ الغيب كفر.

فكيف يكون المدعي لذلك ولياً لله؟. وقد[٦] عظُمَ الضررُ واشتدَّ الخطبُ بهؤلاء المغتَرِّين[٧] الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين، ولبَّسوا بها على خفافيش القلوب. نسألُ الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال ابنُ عباس ـ في قومٍ يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم ـ: ما أرى مَن فعلَ ذلك له عند الله من خلاق[٨].

---

(١) (هـ) (ط): من الليل.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٩/١٣) وأحمد في «الزهد» (١١٩) وأبونُعيم في «الحلية» (٥١/١).

(٣) (هـ) (ط): على.

(٤) (ط): في.

(٥) (ط): الأصفياء. ساقطة.

(٦) (ض) (هـ) (ط): ولقد.

(٧) (هـ) (ط): المفترين.

(٨) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٢٦/١١) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٠٢/٨) والبيهقي في «السنن» (١٣٩/٨). وأخرجه حرب، كما في «فضل علم السلف» (٣٢) عن طاووس.

ش: هذا الأثرُ، رواه الطبرانيُّ / عن ابن عباس، مرفوعًا. وإسنادهُ ضعيف، [١٠٣/ ولفظه: رُبّ مُعَلِّم حروف أبي جاد دارسٍ في النجوم. ليس له عند الله خلاقٌ يوم القيامة[١].

ورواه حُميد بن زَنْجويه عنه، بلفظ: رُبّ ناظرٍ في النجوم ومتعلِّمٍ حروف أبي جاد، ليس له عند الله خلاق.

قوله: (ما أرى). يجوزُ فتحُ الهمزة، بمعنى: لا أعلم. ويجوز ضمُّها، بمعنى: لا[٢] أظن.

وكتابةُ أبي جاد، وتعلُّمها ـ لمن يدَّعي بها علم الغيب ـ هو الذي يُسمَّى علمُ الحرف[٣]، وهو الذي فيه[٤] الوعيد. فأمَّا تعلُّمها للتهجي وحساب الجُمل، فلا بأس به.

قوله: (وينظرون في النجوم)، أي: ويعتقدون أنَّ لها تأثيرًا؛ كما سيأتي في باب التنجيم.

وفيه من الفوائد: عدمُ الاغترار بما يؤتاه أهلُ[٥] الباطل من معارفهم وعلومهم؛

---

(١) الطبراني في «الكبير» رقم (١٠٩٨٠) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١٧/٥): وفيه خالد بن يزيد العمري، وهو كذّاب!.

(٢) (ط): لا. ساقطة.

(٣) ينظر طاش كبري زاده، «مفتاح السعادة» (٥٩١/٢)، وصدِّيق حسن خان، «أبجد العلوم» (٢٣٦/٢).

(٤) (هـ) (ط): جاء فيه.

(٥) (ط): أهل. ساقطة.

كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهم بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِن العِلْمِ وحَاقَ بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستهزِئُونَ﴾. [غافر: ٨٣][1].

---

(١) وأمامنا في العصر الحاضر نماذجُ حية ـ سواء في الشرق أو الغرب ـ تشهد بتفاهة الإنسان، حين يرضى لنفسه أن يعيش بعيداً عن هداية الله. ومهما بلغ من تقدم تقني أو تطور صناعي فسوف يبقى أسيراً للاضطراب، لا يعرف لحياته طعماً ولا لوجوده هدفا، ولا لبقائه معنى. ولن يصل قط إلى ماينشده من استقرار روحي ونفسي يليق به مادام في صدود عن دين الفطرة السوية. والحمد لله على الإسلام والسنة كثيراً.

(٣٦)
باب ماجاء في النشرة

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في النُّشرة.

ش: بضمِّ النون؛ كما في (القاموس). قال أبوالسعادات: النُّشْرة: ضربٌ[١] من العلاج والرُّقية، يُعالَج به من كان[٢] يُظنُّ أنَّ به مسَّاً من الجن، سُمِّيت نُشرة؛ لأنه يُنشَر بها عنه ما خامرَه من الداء، أي: يُكشف ويزال.

قال الحسن: النُّشرة من السحر[٣]. وقد نَشَّرت عنه تنشيراً، ومنه الحديث «فلعل طَبَّاً أصابه» ثم نَشَّره بـ ﴿قل أعوذُ بربِّ الناس﴾ أي: رَقَاه[٤].

وقال ابنُ الجوزي: النُّشْرة: حلُّ السِّحر عن المسحور. ولا يكاد يقدر عليه إلَّا من يعرفُ السحر[٥].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن جابر، أنَّ رسول الله ﷺ سُئل عن النُّشرة؟ فقال: «هي من عمل الشيطان» رواه أحمدُ بسندٍ جيّد،

---

(١) الأصل: الضرب.

(٢) (هـ) (ط): كان. ساقطة.

(٣) أخرجه الخطابي في «معالم السنن» (٤/٢٠١). أي: عن السحر.

(٤) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/٥٤).

(٥) «غريب الحديث» لابن الجوزي (٢/٤٠٨). والمقصود: ماكان بغير الرقى المشروعة أو مالا يُعرف، وهو المراد بهذا الباب. أما ماكان بالمشروع منها، فقد فعله النبي ﷺ كما سبق وفعله الناس بعده. والتوقي بالأذكار والأوراد المأثورة من قبل، كفيلٌ بالسلامة باذن الله تعالى.

وأبوداود. [١] وقال: سُئل أحمدُ عنها؟ فقال: ابنُ مسعودٍ يكره هذا كلَّه [٢].

ش: هذا الحديثُ رواه أحمد، ورواه عنه أبوداود في (سُننه). والفضلُ بن زياد في كتاب (المسائل)، عن عبدالرزاق، عن عقيل بن معقل بن مُنبّه، عن عمه وهب بن منبه، [٣]. عن جابر، فذكره. قال ابنُ مفلح: إسناده [٤] جيّد [٥]. وحسّن الحافِظُ / إسناده. [١٠/أ]

قولـه: (سُئـل عن النُّشرة)، الألفُ والـلام في النُّشرة للعهـد. أي: النُّشرةُ المعهودة، التي كان أهلُ الجاهلية يصنعونها، هي من عمل الشيطان.

قوله: (وقال: سُئل أحمدُ عنها؟ فقال: ابنُ مسعود يكره هذا كلَّه)، أراد أحمدُ رحمه الله: أنَّ ابن مسعود يكره النُّشرة التي هي من عمل الشيطان؛ كما يكره تعليقَ التمائم مُطلقًا.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وللبخاري، عن قتادة: قلتُ لابن المسيّب: رجلٌ به طِبٌّ أو يُؤخَّذُ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لا بأسَ به، إنَّما يُريدون به الإصلاح؛ فأمَّا ماينفع فلم يُنه عنه [٦].

---

(١) أحمد في «المسند» (٣/٢٩٤) وأبوداود في «السنن» رقم (٣٨٦٨)، وأخرجه البيهقي في «السنن» (٩/٣٥١)، قال ابنُ حجر في «فتح الباري» (١٠/٢٣٣): إسنادهُ حسن. وأخرجه البزار في «المسند» رقم (٣٠٣٤) (كشف) والحاكم في «المستدرك» (٤/٤١٨) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (٥/١٠٢) وقال: ورجال البزَّار رجال الصحيح. من حديث أنس.

(٢) رواية جعفر عنه، كما في «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/٧٧).

(٣) (ط): عن عمه وهب بن منبه. ساقط.

(٤) (ض) (هـ)(ط): اسناد.

(٥) ابن مفلح، «الآداب الشرّعية» (٣/٧٣).

(٦) البخاري في «الصحيح» تعليقًا (١٠/٢٣٢)، ووصله ابنُ جرير الطبري في «التهذيب»، والأثرم في «السنن» كما في «تغليق التعليق» (٥/٤٩) بإسنادٍ صحيح.

ش: قوله: (عن قتادة). هو ابن دِعامة ـ بكسر الدال ـ السَّدوسي، ثقةٌ، فقيه، من أحفظ التابعين. قالوا: إنه ولد أكْمه. مات سنة بضع عشرةِ ومائة.

قوله: (رجلٌ به طِب). بكسر الطاء. أي: سِحْر، يُقال[1] له: طُبَّ الرجل ـ بالضم ـ إذا سُحر، ويقال: كَنَّوا عن السحر بالطب؛ تفاؤلاً. كما يُقال للديغ: سليم.

وقال ابنُ الأنباري[2]: الطِّبُّ من الأضداد. يقال لعلاجِ الدَّاء: طبٌّ. والسحرُ من الداء، ويقال له: طب[3].

قوله: (يؤَخَّذُ) ـ بفتح الواو مهموز[4]، وتَشدِيدِ الخاء المعجمة وبعدها ذالٌ مُعجمة ـ أي: يُحبس عن امرأته، ولا يصل إلى جماعها. والأُخذة ـ بضم الهمزة ـ الكلامُ الذي يقوله السَّاحر.

قوله: (أيُحَل)، بضم الياء وفتح الحاء، مبني للمفعول.

قوله: (أو يُنشَّر) بتشديد المعجمة. قوله: (لا بأس به) يعني: أنَّ النُّشرة لا بأس بها؛ لأنهم يريدون بها الإصلاح. أي: إزالة السحر، ولم يُنه عما يُراد به الإصلاح، وهذا من ابن المسيّب يُحمل على نوع من النُّشرة، لا يُعلم أنه سحر.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ويُروى[5] عن الحسن، أنه قال: لا يَحُلُّ السحر إلاَّ ساحر[6].

---

(١) (ض) (هـ) (ط): له. ساقطة.

(٢) أبوبكر، محمد بن القاسم بن بشار، المقريء النحوي (ت ٣٢٨هـ) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٦٩).

(٣) ابن الأنباري «كتاب الأضداد» (٢٣١).

(٤) (ض) (ط): مهموزة.

(٥) (ط): وروي.

(٦) أخرجه ابنُ جرير الطبري في «التهذيب» كما في «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٣).

ش: هذا الأثرُ، ذكره ابنُ الجوزي في (جامع المسانيد)[١].

والحسن: هو ابنُ أبي الحسن، واسمه يسار[٢] - بالتحتية والمهملة - البصري الأنصاري، مولاهم. ثقةٌ فقيه، إمامٌ من خيار التابعين. مات سنة عشرٍ ومائة، وقد قارب التسعين.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال ابنُ القيِّم: النُّشرةُ: حلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدُهما: حلٌّ بسحرٍ مثله، وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يُحمل قولُ الحسن، فيتقرَّبُ الناشرُ والمنتشر إلى الشيطان بما يُحب، فيبطل عملُه عن المسحور.

والثاني: النُّشرة بالرُّقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز[٣].

[١/ب] ش: ومما جاء/ في صفة النُّشْرة الجائزة: مارواه ابنُ أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن ليث بن أبي سُليم، قال: بلغني أنَّ هؤلاء الآيات شفاءٌ من السحر بإذن الله، - تقرأ في إناءٍ فيه ماء، ثم يُصبُّ على رأس المسحور - الآيةُ التي في يونس[٤] ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قالَ مُوسى ما جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِين • ويُحِقُّ اللهُ الحَقَّ بكلماته ولَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُون﴾. [يونس: ٨١ - ٨٢]، وقوله: ﴿فَوَقَعَ الحَقُّ وبَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [الأعراف: ١١٨] إلى آخر الآيات الأربع، وقوله: ﴿إنَّما

---

(١) الأصل: الأسانيد. ونقله عنه ابنُ مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٧٧).

(٢) الأصل و (ض): سيار. تحريف.

(٣) ينظر ابن القيم «زاد المعاد» (٤/ ١٢٤، ١٨١). وابن مفلح، «الآداب الشرعية» (٣/ ٩٨).

(٤) (هـ) (ط): سورة يونس.

صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾. [طه: ٦٩][1]

وقال ابنُ بطّال: في (كتاب[2] وهب بن مُنبّه): أنْ[3] يأخذ سبعَ ورقاتٍ من سدْر أخضر، فيدقّه بين حجرين، ثم يضربه[4] بالماء ويقرأ فيه آيةَ الكرسي والقواقل[5]، ثم يحسو منه ثلاثَ حسوات، ثم يغتسل به، يذهب عنه كلُّ ما به، وهو جيدٌ للرجل إذا حُبس عن أهله[6].

قلتُ: قولُ العلَّامة ابن القيِّم: (والثاني: النُّشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة. فهذا جائز). يُشير إلى مثل هذا، وعليه يُحمل كلامُ من أجاز النُّشرة من العلماء.

[والحاصلُ: أنَّ ماكان منه بالسحر فيحرُم، وماكان بالقرآن والدعوات والأدوية المباحة، فجائز][7]. والله أعلم.

---

(١) ابن أبي حاتم في «التفسير»، وأبوالشيخ، كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣٨١).

(٢) الأصل: كتابه.

(٣) (ض) (ط): أنه.

(٤) (ض): يضرب به.

(٥) (ط): القوافل. تحريف. وهن السور الثلاث الأخيرة، من القرآن الكريم. وسورة الكافرون.

(٦) نقله ابنُ حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٣). وقد جُرّب، وظهر أثره في عشرات الحالات. ينظر: عبدالعزيز بن علي «طريق الهداية» (١٢٥).

(٧) مابينهما إضافةٌ من (هـ) و (ط).



(٢٧)
باب ماجاء في التطير

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في التطيُّر.

ش:(١أي: من النهي عنه والوعيدِ فيه١)، مصدرُ تطيَّر يتطيَّر [تطيُّراً](٢)، و الطِّيرةُ ـ بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تُسكَّن ـ: اسمُ مصدرٍ من تطيَّر [طِيرة](٣).

وأصلُه(٤): التطيرُ بالسَّوانح والبوارِح، من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصُدُّهم عن مقاصدهم. فنفاه الشَّرعُ(٥) وأبطله، وأخبر أنَّه لا تأثير له في جلب نفع أو(٦) دفع ضُرٍّ(٧).

قال المدائني(٨): سألتُ رُؤبة بن العجاج: ما(٩) السانحُ؟ قال: ماولاَّك ميامِنه. قلتُ: فما البارحُ؟ قال: وما ولاَّك مياسِره. والذي يجيءُ من أمامك فهو النَّاطحُ والنطيح(١٠)، والذي يجيءُ من خلفك هو(١١) القاعدُ والقعيد!.

(١-١) مابينهما ساقطٌ من الأصل.

(٢) إضافةٌ من (ض) و (هـ).

(٣) إضافةٌ من (ض) و (هـ) و (ط).

(٤) في (هـ) (ط) زيادة: كما يُقال: تخيَّر خيرة، ولم يجيء في المصادر على هذه الزِّنة غيرُهما. وأصله.

(٥) (هـ) (ط): الشارع.

(٦) (ط): ولا.

(٧) ينظر: ابن الأثير، «النهاية» (٣/١٥٢).

(٨) أبوالحسن، علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف الأخباري، مؤرخُ نسَّابه حافظ، له كتاب الزجر والفأل (ت ٢٢٥هـ) «اللباب» (٣/١٨٢).

(٩) (ض) (هـ) (ط): قلت ما.

(١٠) (ض): والنطيح. ساقطة.

(١١) (ط): فهو.

ولما كانت الطيرةُ من الشّرك المُنافي لكمال التوحيد الواجب ـ لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته[١] ـ ذكرها المصنِّفُ في (كتاب التوحيد) ؛ تحذيرًا مما يُنافي كمالَ التوحيد الواجب.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى: ﴿ألا إنَّما طائِرُهُم عند الله / ولكِنَّ أَكْثَرَهُم لا يَعْلَمُون﴾. [الأعراف: ١٣١]. [١٠٠/أ]

ش: ذكر تعالى هذه[٢] الآيةَ في سياق قوله تعالى: ﴿فإذَا جاءتْهُم الحسَنَةُ قالوا لنا هَذِهِ وإن تُصِبْهُم سيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى ومَنْ مَعهُ﴾. [الأعراف: ١٣١].

المعنى: أنَّ آل فرعون إذا[٣] أصابتهم الحسنة، أي: الخِصب والسعة والعافية ـ كما فسَّره مجاهدُ وغيرُه[٤] ـ قالوا: لنا هذه، أي: نحن الجديرون والحقيقون به، ونحن أهلُه. وإنْ تُصبهم سيئـةٌ، أي: بلاء وقحط، يطَّيروا[٥] بمـوسى ومن معـه، [٦]فيقـولـون: هذا بسبب موسى وأصحـابـه، أصابنا بشؤمهم. فقال الله تعالى:[٦] ﴿ألَا إنَّما طائِرُهُم عِنْدَ الله﴾.

قال ابنُ عباس: طائرهم: ما قضى عليهم وقدَّر لهم. وفي رواية: شُؤمهم[٧]

---

(١) في (هـ) زيادة مانصه: ووسوسته بتعلُّق القلب بها خوفًا وطمعًا، ومنافاتها للتوكلِ على الله الذي لا ينفع ولا يضر غيرُه، واعتقاد النفع والضر في طائر ونحوه لا علم عنده ولا قصد. فهذا وإنْ كان من الشرك الأصغر فهو من أقبح الشرك، وهذا كاعتقاد المنجِّمين في النجوم التي سخَّرها الله تعالى. اعتقدوا أنّ لها تأثيرًا في الكون، وهي خلقٌ مسخَّر لا تنفع ولا تضر.

(٢) الأصل (ض) (هـ): في هذه. ولعل المثبت هو الصواب.

(٣) (ط): كانوا إذا.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٤٩٨٣).

(٥) (ط): تطيَّروا.

(٦) مابينهما ساقطٌ من الأصل، وهو انتقالُ نظر.

(٧) الأصل: شؤمهم فقال تعالى (الا إنما طائرهم).

عند الله ومن قِبَله. أي: إنما جاءهم الشؤم من قبله؛ بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله[١].

قولـه: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُم لا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أنَّ أكثرهم جهّالٌ لا يدرون، ولو فهمـوا وعقلوا لعلموا أنَّه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلَّا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبعه.

قال الـمُصنِّف رحمـه الله تعالى: وقولِه: ﴿قالُوا طائِرُكُم مَعَكُم أَئِنْ ذُكِّرْتُم بَلْ أَنْتُم قَوْمٌ مُسرِفُون﴾. [يس: ١٩].

ش: المعنى ـ والله أعلم ـ حظُّكم وما نابكم من شرٍّ معكم، بسبب أفعالِكم وكفركم ومخالفتِكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا، بل ببغيكم وعداوتكم[٢].

فطائرُ الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشرور[٣] فهو سببُه الجالب له. وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمين كالْمُجْرِمِين • مالكُم كيْف تحْكُمُون﴾. [القلم: ٣٥ ـ ٣٦].

ويحتمل أنْ يكون المعنى: طائركم معكم. أي: راجعٌ عليكم. فالتطيُّر الذي حصل لكم إنما يعود عليكم؛ وهذا من باب القصاص في الكلام، ونظيرُه قولُه عليه السـلام: «إذا سلَّم عليكم أهلُ الكتاب فقولوا: وعليكم»[٤] ذكـره ابنُ القيِّم[٥].

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ١٩٠).

(٢) (ض) (هـ) (ط): وعدوانكم.

(٣) (هـ) (ط): الشر.

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٢٥٨، ٦٩٢٦) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢١٦٣) وأحمد في «المسند» (٣/ ٩٩، ١٤٠، ١٤٤، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٨، ٢٣٤، ٢٦٢) من حديث أنس بن مالك.

(٥) ابن القيم، «مفتاح دار السعادة» (٥٧٩).

وقوله: ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُم﴾ أي: من أجل أنّا ذكَّرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسرِفُونَ﴾ وقال قتادة: أئن ذكَّرناكم بالله تطيّرتم بنا[1]؟!.

ومناسبةُ الآيتين للترجمة: أنَّ التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين، وقد ذمَّهم الله به ومقتهم. وقد نهى رسولُ الله ﷺ عن التطير، وأخبر أنَّه شرك؛ كما سيأتي في أحاديث الباب/. [/ب]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا عَدوى ولا طِيرة ولا هامَة ولا صَفَر» أخرجاه[2]. زاد مسلمٌ: «ولا نَوْءَ، ولا غُول»[3].

ش: قال أبوالسعادات: العَدوى: اسمٌ من الإعداء. كالرَّعوى[4]. يُقال: أعداه الداءُ، يُعديه إعداءً: إذا أصابه مثل مابصاحب الداء[5][6].

وفي روايةٍ لمسلم: أنَّ أباهريرة، كان يُحدِّثُ بحديث «لا عدوى»، ويُحدِّثُ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يُورِدُ مُمرِضٌ على مُصح».

---

(١) أخرجه ابنُ جرير الطبري في «التفسير» (٢٢/١٥٨).

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (٥٧٥٧) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٢٠)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٢٦٧، ٣٢٧، ٣٩٧، ٤٣٤).

(٣) من رواية أبي هريرة، ومن رواية جابر رقم (٢٢٢٢)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/٢٩٣، ٣١٢) وأبويعلى في «المسند» رقم (١٧٨٩).

(٤) (ط): كالدعوى. تحريف.

(٥) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث» (٣/١٩٢).

(٦) في (هـ) و (ط) زيادة مانصه: وقال غيره: لا عدوى. هو اسمٌ من الإعداء، وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره، والمنفي نفس سراية العلة أو إضافتها إلى العلة. والأول هو الظاهر.

ثم إنَّ أباهريرة اقتصر على حديث «لا يُورِدُ ممرضٌ على مصح» وأمسك عن حديث «لا عدوى» فراجعوه، وقالوا: سمعناك تُحدثه[١]، فأبى أنْ يعترف به.

قال أبوسلمة ـ الراوي عن أبي هريرة ـ: فلا أدري أنسي أبوهريرة أو نَسخ أحدُ القولين الآخر؟[٢].

وقد رَوى حديثَ «لا عدوى» جماعةٌ من الصحابة: أنسُ بن مالك[٣]، وجابر بن عبدالله[٤]، والسائب بن يزيد[٥]، وابن عمر[٦] وغيرُهم[٧]، وفي بعض روايات هذا الحديث «وفِرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد»[٨].

وقد اختلف العلماءُ في ذلك، وأحسنُ ماقيل فيه: قولُ البيهقي ـ وتبعه ابنُ

---

(١) (هـ) (ط): تحدث به.

(٢) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٢١)، وأخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٣٩١١) وابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار» رقم (٤).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٧٥٦، ٥٧٧٦) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٢٤) وأحمد في «المسند» (٣/١١٨، ١٣٠، ١٥٤، ١٧٣، ١٧٨، ٢٥١، ٢٧٦، ٢٧٨).

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٢٢) وأحمد في «المسند» (٣/٢٩٣، ٣١٢، ٣٨٢).

(٥) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٢٠) وأحمد في «المسند» (٣/٤٤٩، ٤٥٠).

(٦) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٧٧٢) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٢٥) وأحمد في «المسند» (٢/٢٤، ١٥٣).

(٧) وأخرجه أحمد في «المسند» (١/٢٦٩، ٣٢٨) من حديث ابن عباس، وأخرجه أيضًا من حديث عبدالله بن عمرو (٢/٢٢٢) ومن حديث سعد بن أبي وقاص (١/١٨٠) ومن حديث ابن مسعود (١/٤٤٠)، وأخرجه ابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار» من حديث أبي أمامة رقم (٢٤) ومن حديث أبي سعيد الخدري رقم (٢٧).

(٨) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٧٠٧) تعليقًا، وقد وصله أحمد في «المسند» (٢/٤٤٣) وابن أبي شيبةْ في «المصنف» (٩/٤٤) وابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار» رقم (٣٨، ٣٩)، وله شاهدٌ من حديث عائشة، عند ابن خزيمة في «كتاب التوكل» كما في «فتح الباري» (١٠/١٥٩).

الصَّـلاح، وابنُ القيم، وابنُ رجب، وابنُ مُفلح، وغيرُهم[١] ـ. أنَّ قوله: «لا عدوى» على الـوجه الذي يعتقده أهلُ الجاهلية، من إضافة الفعل إلى غير الله تعـالى، وأنَّ هذه الأمـور تُعـدي بطبعهـا. وإلَّا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطةَ الصحيح من به شيءٌ من الأمـراض سببـًا لحدوث ذلك؛ ولهذا قال: «وفِرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد» وقال: «لا يُورِدُ مُمرضٌ على مُصح» وقال في الطاعون «من سمع به في أرضٍ فلا يقدُم عليه»[٢] وكلُّ ذلك بتقدير الله تعالى[٣].

ولأحمـد، والترمذي، عن ابن مسعود، مرفوعًا «لا يُعدي شيءٌ شيئا» ـ قالها ثلاثًا ـ فقال أعرابيٌّ: يارسول الله النُّقْبَةُ من الجَرَب تكون بِمِشفَر البعير أو بذنبه في الإبل العظيمة فتَجْرَبُ كلُّها؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «فمن أجربَ الأول؟ لا عدوى ولا طِيرةَ ولا هامة ولا صَفَر، خلق الله كلَّ نفسٍ وكتب حياتَها ومصائبها/ [١٠٠/أ] ورزقها»[٤].

---

(١) البيهقي، في «السنن» (٧/٢١٦) وابن الصلاح، «علوم الحديث» (٤١٥) وابن القيم، «مفتاح دار السعادة» (٥٨٢) و«زاد المعاد» (٤/١٤٨) وابن رجب، «لطائف المعارف» (٦٩) وابن مفلح، «الأداب الشرعية» (٣/٣٦٣) وانظر: الطبري، «تهذيب الآثار» (مسند علي/١٦) وابن قتيبة، «مختلف الحديث» (١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٧٢٨) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢١٨) وأحمد في «المسند» (٥/٢٠٦، ٢٠٨) من حديث أسامة، وأخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٧٢٩، ٥٧٣٠، ٦٩٧٣) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢١٩) وأحمد في «المسند» (١/١٩٤) من حديث عبدالرحمن بن عوف، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/١٨٠، ١٨٢) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٣) ينظر البغوي، «شرح السنة» (١٢/١٦٩).

(٤) أحمد في «المسند» (١/٤٤٠) والترمذي في «الجامع» رقم (٢١٤٤)، وأخرجه أبويعلى في «المسند» رقم (٥١٨٢) والطحاوي في «معاني الآثار» (٤/٣٠٨)، وأخرجه من حديث أبي هريرة: أحمد في «المسند» (٢/٣٢٧) وابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار» رقم (٨)، وأصله عند البخاري في «الصحيح» رقم (٥٧١٧، ٥٧٧٠، ٥٧٧٥) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٢٠).

فأخبر ﷺ: أنَّ ذلك كلَّه بقضاء الله وقدره، والعبدُ مأمورٌ باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية. فكما أنه يُؤمر أنْ لا يُلقي نفسَه في الماء وفي النار، مما جرت العادةُ أنه يُهلك أو يضر. فكذلك اجتنابُ مقاربةِ المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد الطاعون؛ فإن هذه كلها أسبابٌ للمرض والتلف، فالله سبحانه هو خالقُ الأسباب ومُسبَّباتها، لا خالق غيرُه ولا مقدِّر غيره.

وأما إذا قوي التوكُّل على الله، والإيمان بقضاء الله وقدره ـ فقويت النفسُ على مُباشرة بعض هذه الأسباب، اعتمادًا على الله، ورجاءً منه أن لا يحصل به ضرر ـ ففي هذه الحال تجوزُ مباشرةُ ذلك، لا سيَّما اذا كانت مصلحةً عامة أو خاصة.

وعلى هذا يُحمل الحديث الذي رواه أبوداود، والترمذي: أنَّ النبي ﷺ أخذ بيد مجذومٍ فأدخلها معه في القَصْعة، ثم قال «كُل بسم الله، ثقةً بالله وتوكلًا عليه»[١] وقد أخذ به الإمامُ أحمد. ورُوي ذلك عن عمر[٢]، وابنه،[٣] وسلمان[٤] رضي الله عنهم.

---

(١) أبوداود في «السنن» رقم (٣٩٢٥) والترمذي في «الجامع» رقم (١٨١٨) وقال: هذا حديثٌ غريب، من حديث جابر، وأخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٣٥٤٢) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨/٨) وأبويعلى في «المسند» رقم (١٨٢٢) وابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار» رقم (٨٤) وابن حبان في الصحيح (٦٤١/٧) وابن شاهين في «ناسخ الحديث» رقم (٥٤١) والحاكم في «المستدرك» (١٣٦/٤) وصححه ووافقه الذهبي عنه به، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٦٠/١٠): فيه نظر. وقال ابنُ القيم في «زاد المعاد» (١٥٣/٤): لا يثبت ولا يصح.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٤٠٥/١٠، ٢٠٥/١١) وابن سعد في «الطبقات» (١١٧/٤) قال البغوي في «شرح السنة» (١٧٢/١٢): وهو عندي أشبه وأصح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٧/٨) وابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار» رقم (٨٠، ٨١).

(٤) أخرجه ابن ابي شيبة في «المصنف» (٣١٧/٨) وأبونُعيم في «الحليه» (٢٠٠/١).

ونـظيرُ ذلـك: ما رُوي عن خالـد بن الوليد من أكل السُّم(١)، ومنه: مَشْيُ سعد بن أبي وقَّاص(٢)، وأبي مُسلم الخولاني على متن البحر. قاله ابنُ رجب رحمه الله(٣).

قوله: «ولا طِيرةَ» قال ابنُ القيِّم: يحتمل أنْ يكون نفيًا أو نهيًا، أي: لا تطيَّروا، ولكنَّ قولَه في الحديث «ولا عدوى ولا صَفَر ولا هامَة» يدلُّ على أن المراد النفيُ، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهليةُ تعانيها. والنفيُ في هذا أبلغ من النهي؛ لأنَّ النفي يدلُّ على بُطلان ذلك وعدمِ تأثيره، والنهيُ إنما يدلُّ على المنع منه.

وفي (صحيح مسلم)، عن معاوية بن الحَكم: أنه قال لرسول الله ﷺ: ومنا أُناسٌ يتطيرون، قال: «ذلك شيءٌ يجده أحدُكم في نفسه فلا يصدَّنكم»(٤) فأخبر أن تأذِّيه(٥) وتشاؤمه بالطيرة إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في المُتطيَّر به. فوهمُه وخوفه وإشراكه هو الذي يُطيِّره ويصده، لا(٦) ما رآه وسمعه.

[١٠/ب] فأوضح ﷺ لأمته الأمر، وبيَّن لهم فسادَ الطيرة/ ليعلموا أنَّ الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نَصَبها سببًا لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (١٥٥٧٧) وأبويعلى في «المسند» رقم (٧١٨٦) والطبراني في «الكبير» رقم (٣٨٠٨، ٣٨٠٩)، وفيه انقطاع كما في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٥٠) لكن أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (١٤٨١، ١٤٨٢) بإسناد متصل.

(٢) أخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» رقم (٥٢٢) وذلك حين عبر نهر دجلة مع جيوش المسلمين سنة ست عشرة.

(٣) ابن رجب، «لطائف المعارف» (٦٩).

(٤) قطعةٌ من حديث طويل، عند مسلم في «الصحيح» رقم (٥٣٧)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨).

(٥) (هـ): تأثره.

(٦) (ط): لما. تحريف.

قلوبهم، وتسكن نفوسُهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، وخلق لأجلها السموات والأرض، وعمر الدارين الجنةَ والنار بسبب التوحيد.

فقطع ﷺ عِلَق الشركِ من قلوبهم؛ لئلا يبقى فيها علقة منها، ولا يتلبَّسوا بعمل من أعمال [أهل][1] النار البتة.

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكَّل على الله، قطع هاجسَ الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرهَا من قبل استمكانها[2].

قال عكرمة: كنَّا جلوسًا عند ابن عباس، فمرَّ طائرٌ يصيح، فقال رجلٌ من القوم: خير خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شر[3]. فبادره بالإنكار عليه، لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر.

وخرج طاوسُ مع صاحبٍ له في سفر، فصاح غرابٌ، فقال الرجل: خير، فقال طاوس: وأيُّ خيرٍ عند هذا؟ لا تصحبني[4]. انتهى ملخصًا[5]

وقد جاءت أحاديثُ ظن بعضُ الناس أنَّها تدلُّ على جواز الطيرة؛ كقوله ﷺ: «الشؤمُ في ثلاث: في المرأة، والدابة، والدار»[6] ونحو هذا.

---

(١) إضافة من (ض) و (هـ) و(ط).

(٢) (ط): استكمالها.

(٣) أخرجه الطبري، كما في «فتح الباري» (١٠/٢١٥).

(٤) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٠/٤٠٦)، والخلال كما في «الآداب الشرعية» (٣/٣٦٩).

(٥) ابنُ القيِّم «مفتاحُ دار السعادة ومنشورُ ولاية العلم والإرادة» (٥٨٢).

(٦) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٢٨٥٨)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٢٥) وأحمد في «المسند» (٢/٨، ١١٥، ١٢٦، ١٣٦، ١٥٣) واللفظ له، من حديث ابن عمر. وعند أحمد في «المسند» (٦/٢٤٦) عن عائشة، قالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ماهكذا كان يقول، ولكن نبي الله ﷺ كان يقول: «كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة» ثم قرأت عائشة ﴿ماأصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاَّ في كتاب﴾» إلى آخر الآية.

قال ابنُ القيِّم رحمه الله: إخبارُه ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه[1] إثباتُ الطِّيرةِ التي نفاها الله، وإنما غايتُه أنَّ الله سبحانه قد يخلُق منها أعيانًا مشؤومة على من قاربها وسكنها[2]، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤمٌ ولا شر.

وهذا كما يُعطي سبحانه الوالدين ولداً مُباركًا يريان الخير على وجهه، ويُعطي غيرَهما ولداً مشؤومًا يريان الشرَّ على وجهه، وكذلك[3] مايُعطاه العبدُ من ولاية أو غيرها، فكذلك الدارُ والمرأة والفرس.

والله سبحانه خالقُ الخير والشر والسُّعودِ والنحوسِ، فيخلُق بعضَ هذه الأعيان سعـودًا مُبـاركـة، ويقضي بسعادة من قاربها وحصولِ اليُمن والبركة له. ويخلق بعضها نُحوسا يتنحَّس بها من قاربها.

وكـلُّ ذلـك بقضاء الله[4] وقدره، كما خلق سائرَ الأسباب وربطها بمسبَّباتها المتضادة والمختلفة. كما خلق المسك وغيرَه من الأرواح الطيبة ولذَّذ بها مَن قاربها من الناس، وخلق ضدَّها وجعلها سببًا لألم من قاربها / من الناس. [١٠١/أ]

والفرقُ بين هذين النوعين مُدركٌ بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لونٌ والطِّيرةُ الشركية لون. انتهى[5].

قوله: «ولا هامةَ» بتخفيف الميم، على الصحيح. قال الفَّراء[6]: الهامةُ: طيرٌ

---

(١) الأصل و (ض) و (هـ): فيها. والمثبت من «مفتاح دار السعادة».

(٢) (ض) (هـ) (ط): وساكنها.

(٣) الأصل: وكذا.

(٤) (ض) (هـ) (ط): بقضائه.

(٥) ابن القيِّم «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (٦٠٦).

(٦) أبـوزكريا، يحيى بن زياد بن عبدالله الأسدي، مولاهم، حافظ نحوي، لغوي مفسر (ت ٢٠٧هـ) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٣٧٢).

من طيور الليل. كأنَّه يعني البُومة.

قال ابنُ الأعرابي[١]: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدِهم، يقول: نَعَتْ إليّ نفسي أو أحداً من أهل داري، فجاء الحديثُ بنفي ذلك وإبطاله.

قوله: «ولا صفَر» بفتح الفاء. روى أبوعبيدة في (غريب الحديث)، عن رُؤْبة، أنه قال: هي حيَّةٌ تكون في البطن تُصيب الماشيةَ والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب[٢]!.

وعلى هذا: فالمرادُ بنفيه: ماكانوا يعتقدونه من العدوى. وممن قال بهذا سفيانُ بن عيينة، والإمام أحمد، والبخاري، وابن جرير.

وقال آخرون: المراد به: شهر صفر، والنفي لِما كان أهلُ الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يُحلُّون المحرم ويُحرمون صفر مكانه، وهو قولُ مالك[٣].

وروى أبوداود، عن محمَّد بن راشد، عمَّن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شهرٌ مشؤوم، فأبطل النبيُّ ﷺ ذلك[٤].

قال ابنُ رجب: ولعل هذا القول أشبهُ الأقوال، والتشاؤم بصفر هو من[٥] جنس الطيرة المنهيِّ عنها، وكذلك التشاؤم بيومٍ من الأيام، كيوم الأربعاء، وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة[٦].

---

(١) أبو عبدالله، محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي، مولاهم، لغوي مؤرخ نسابة (ت ٢٣١هـ) «تاريخ ابن كثير» (١٠/٣٠٧).

(٢) أبوعبيدة، «غريب الحديث» (١/٢٥)، ونقله ابنُ جرير الطبري في «تهذيب الآثار» (١/٣٨).

(٣) أخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٣٩١٤).

(٤) أبوداود في «السنن» رقم (٣٩١٥).

(٥) (ط): من. ساقطة.

(٦) ابن رَجَب «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» (٧٤).

قوله: «ولا نَوْءَ» النَّوءُ: واحدُ الأنواء، وسيأتي الكلامُ عليه في بابه إنْ شاء الله تعالى.

قوله: «ولا غُول» هو بالضم، اسمُه[1]. وجمعُه أغوالٌ وغيلان. وهو المراد هُنا.

قال أبوالسعادات: الغول: واحد الغِيلان، وهو جنسٌ من الجن والشياطين. كانت العربُ تزعم أنَّ الغول في الفلاة تتراءى للناس، تتلوَّن تلونًا [في صورٍ][2] شتّى، وتَغُولُهم: أي: تُضلُّهم عن الطريق وتُهلكُهم، فنفاه النبيُّ ﷺ وأبطله[3] [4].

فيكون[5] المعنيُّ بقوله: «لا غُول» أنَّها لا تستطيع أن تُضلَّ أحدًا مع ذكر الله والتوكل عليه. ويشهدُ له الحديثُ الآخر «لا غُول ولكن السَّعالي»[6] [السَّعالي][7]: سَحرةُ الجن. أي: ولكنَّ في الجن سحرةً لهم تلبيسٌ وتخييل.

ومنه: الحديث «إذا تغوَّلت الغيلانُ فبادروا بالأذان»[8] أي: ادفعوا شرَّها بذكر

---

(١) (ض) (هـ) (ط): اسم.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث» (٣/٣٩٦).

(٤) في (هـ) و (ط) زيادة مانصه: فإن قيل: مامعنى النفي وقد قال النبي ﷺ (إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان). أجيب عنه: بأن ذلك كان في الابتداء، ثم دفعها الله عن عباده. أو يقال: المنفي ليس وجود الغول، بل مايزعمه العرب من تصرفه في نفسه.

(٥) (ض) (هـ) (ط): أو يكون.

(٦) أخرجه الخطابي في «غريب الحديث» (١/٤٦٣) عن الحسن بن محمد، رفعه. وروي معناه عن [illegible]، أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٥/١٦٢).

(٧) اضافةٌ من «النهاية».

(٨) قطعة من حديث: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/٣٠٥، ٣٨١، ٣٨٢) وأبويعلى في «المسند» رقم (٢٢١٩) وابن خزيمة في «الصحيح» رقم (٢٥٤٨) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٥٥) والدنيوري في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥٢٣) والديلمي في «المسند» رقم (١٠٦٣) من حديث جابر. =

الله. وهذا يدلُّ على أنَّه لم/يُرد بنفيها عدمَها. [١٠٧/ب]

ومنه: حديثُ أبي أيوب: كان لي تمرٌ في سَهْوة، فكانت الغولُ تجيء فتأخذ[١][٢].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عَدْوَى ولا طِيرة، ويُعْجِبُني الفألُ» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمةُ الطيبة»[٣].

ش: قوله: «ويُعجبني الفأل» قال أبو السعادات: الفأل - مهموز - فيما يَسرُّ ويسوء، والطيرةُ لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استُعملت فيما يسر. يقال: تفاءلتُ بكذا وتفاولت، على التخفِيف[٤] والقلب. ولقد[٥] أولع الناسُ بترك الهمزة[٦]

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٢١٣): رواه أبويعلى ورجالُه رجال الصحيح، وله شاهدٌ من حديث سعد بن أبي وقاص، أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٥/١٦٣) والبزار في «المسند» رقم (٣١٢٩) (كشف) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٣٤): رواه البزار ورجاله ثقات إلا أن الحسن البصري لم يسمع من سعد فيما أحسب. وله شاهدٌ آخر من حديث أبي هريرة، أخرجه ابن خزيمة في «الصحيح» رقم (٢٥٤٩) والطبراني في «الدعاء» رقم (٢٠٠٩)، وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٥/١٦٠) عن الحسن مرفوعا، وأصله في «صحيح مسلم» رقم (١٩٢٦) دون اللفظ المذكور.

(١) قطعةٌ من حديث: أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٨٨٣) وقال: هذا حديثٌ حسن غريب، وأحمد في «المسند» (٥/٤٢٣) وأبونعيم في «الدلائل» رقم (٥٤٥) والطبراني في «الكبير» رقم (٤٠١١).

(٢) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث» (٣/٣٩٦). وينظر: ابن مفلح، «الآداب الشرعية» (٣/٣٦٨).

(٣) البخاري في «الصحيح» رقم (٥٧٧٦)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٢٤)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/١٣٠، ١٥٤، ١٧٣، ١٧٨، ٢٥١، ٢٧٨).

(٤) (ض) (هـ) (ط): التحقيق. تحريف.

(٥) (ض) (هـ) (ط): وقد.

(٦) (ض) (هـ) (ط): الهمز.

تخفيفاً، وإنما أحبَّ الفألَ، لأن الناس إذا أمَّلوا فائدة الله، ورجوا عائدته عند كلِّ سببٍ ضعيف أو قوي فهم على خير، وإذا قطعوا أملهم[١] ورجاءهم من الله تعالى كان ذلك من الشر.

وأمَّا الطيرةُ: فإن فيها سُوءَ الظن بالله وتوقُّعَ البلاء، والتفاؤل: أنْ يكون رجلٌ مريض فيسمع آخرَ يقول:[٢] ياسالم، أو يكون طالبُ ضالَّة فيسمع آخر يقول [٢]: ياواجد، فيقع في ظنه أنه يبرأُ من مرضه ويجد ضالته؛ ومنه الحديث، قيل: يارسول الله، ماالفأل؟ قال: «الكلمةُ الطيبة»[٣].

قوله: قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة» بينَّ ﷺ أنَّ الفأل يُعجبه، فدلَّ على أنَّه ليس من الطيرة المنهيِّ عنها.

قال ابنُ القيِّم: ليس في الإعجاب بالفأل ومحبَّتِهِ شيءٌ من الشرك، بل ذلك إبـانةٌ عن مُقتضى الطبيعة، وموجَب الفطرة الإنسانية، التي تميلُ إلى ما يوافقها ويلائمُها؛ كما أخبرهم ﷺ أنه حُبِّب إليه النساءُ والطيب[٤]، وكان يُحبُّ الحلواء والعسل[٥]، ويحبُّ حَسن الصوت بالقرآن والأذان ويستمع إليه[٦]، ويحبُّ معالي

---

(١) (ض) (هـ) (ط): آمالهم.

(٢) مابينهما معّلقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٣) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث» (٣/٤٠٥).

(٤) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٧/٦١) وأحمد في «المسند» (٣/١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥) من حديث أنس.

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٤٣١) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٤٧٤) وأبوداود في «السنن» رقم (٣٧١٥) وأحمد في «السند» (٦/٥٩) من حديث عائشة.

(٦) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٠٤٩» ومسلم في «الصحيح» رقم (٨٠٠) وأبو داود في «السنن» رقم (٣٦٦٨) وأحمد في «المسند» (١/ ٣٨٠، ٤٣٣) عن ابن مسعود.

الأخلاق ومكارمَ الشِّيَم[١].

وبالجملة: يُحبُّ كلَّ كمالٍ وخير، ومايُفضي إليهما. والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجابَ بسماع الاسم[٢] الحسن، ومحبته وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياحَ والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة، والبُشرى والفوز والظفر ونحو ذلك. فإذا قرعت هذه الأسماءُ الأسماعَ استبشرت بها النفس[٣]، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب. وإذا سمعت أضدادَها أوجب لها ضدَّ هذه الحال، فأحزنها ذلك / وأثار لها خوفا وطِيرة وانكماشاً [١٠٨/] وانقباضا عمَّا قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ضررا في الدنيا ونقصا في الإيمان ومقارفةَ الشرك[٤].

وقال الحَليمي[٥]: وإنَّما كان ﷺ يُعجبه الفأل؛ لأنَّ التشاؤم سُوءُ ظنٍّ بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حُسن ظن به، والمؤمن مأمورٌ بحسن الظن بالله تعالى على كلِّ حال[٦].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولأبي داود ـ بسند صحيح ـ عن عُقبة بن عامر، قال: ذُكرتْ الطيرةُ عند رسول الله ﷺ، فقال: «أحسنُها

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٨٦١) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٤٧٤) من حديث أبي ذر وانظر كتاب «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا، الأحاديث رقم (٦ ـ ١٠).

(٢) (هـ): بالاسم.

(٣) (هـ) (ط): النفوس.

(٤) ابن القيِّم «مفتاح دار السعادة» (٥٩٢).

(٥) أبوعبدالله، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم المروزي حافظ، من فقهاء الشافعية (ت ٤٠٣هـ) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٣٠).

(٦) الحليمي «المنهاج في شعب الإيمان» (٢/ ٢٥).

الفألُ، ولا تَردُّ مسلمًا، فإذا رأى أحدُكم مايكره، فليقُل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[١].

ش: قوله: (عن عُقبة بن عامر) هكذا وقع في نُسخ (التوحيد)، وصوابُه: عن عروة بن عامر[٢]. كذا أخرجه أحمد، وأبوداود، وغيرُهما. وهو مكيٌّ، اختُلف في نسبه، فقال أحمد: عن عروة بن عامر القُرشي[٣]. وقال غيرُه: الجهني. واختُلف في صُحبته، فقال الباوردي[٤]: له صُحبة. وذكره ابنُ حبان في ثقات التابعين. وقال المِزي: لا صُحبة له تصح[٥].

قوله: فقال: «أحسنُها الفأل» قد تقدَّم أنَّه ﷺ كان يُعجبه الفأل.

وروى الترمذيُّ وصححه، عن أنس: أنَّ النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجته، يُحبُّ أن يسمع: يانجيحُ، ياراشد[٦].

---

(١) أبوداود في «السنن» رقم (٣٧١٩)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (٦٤٤٣، ٩٥٩٠، ٩٥٩١) والدينوري في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٩٣) والبيهقي في «السنن» (١٣٩/٨) و «الجامع لشعب الايمان» رقم (١١٢٨). وله شاهدٌ مرسل من طريق عبدالرحمن بن سابط الجمحي، به: أخرجه أبوداود في «المراسيل» رقم (٥٣٩) وآخر عن الاعمش به، أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٤٠٦/١٠)، قال النووي في «رياض الصالحين» (٦٣٩): رواه أبوداود باسناد صحيح.

(٢) يبدو أنَّ الغلط في ذلك قديم؛ فقد أخرجه ابنُ السني من رواية عقبة، وهكذا نقله النوويُّ في «الأذكار» (٢٧٤).

(٣) ليس في «مسند أحمد» المطبوع شيءٌ من حديث عروة بن عامر.

(٤) (هـ) (ط): الماوردي. تحريف.

(٥) السِمِزِّي، «تهذيب الكمال» (٢٦/٢٠) قال ابنُ حجر في «التهذيب» (١٨٥/٧): اثبت غيرُ واحد له صحبة، وشك فيه بعضُهم، وروايته عن بعض الصحابة لا تمنع أن يكون صحابيا.

(٦) الترمذي في «الجامع» رقم (١٦١٦)، وأخرجه الطبراني في «الصغير» رقم (٥٤٩) وأبونُعيم في «أخبار أصبهان» (٢٠٦/٢).

وروى أبوداود، عن بُريدة: أن النبي ﷺ كان لا يتطيَّرُ من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمَه رُئي كراهيُة ذلك في وجهه[1]. وإسنادُه حسن. وهذا فيه استعمالُ الفأل.

قال ابنُ القيِّم: أخبر ﷺ أنَّ الفأل من الطيرة، وهو خيرُها. فأبطل الطِّيرةَ، وأخبر أنَّ الفأل منها ولكنه خيرٌ منها. ففصَل بين الفأل والطيرة؛ لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفعِ أحدهما، ومضرَّة الآخر، ونظيرُ هذا: منعُه من الرُّقى بالشرك، وإذنُه في الرّقية إذا لم يكن فيها شرك، لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة[2].

قوله: «ولا تردُّ مسلمًا» قال الطيبي. تعريضٌ بأنَّ الكافر بخلافه.

قوله: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلَّا أنت» / أي: [١٠٨/] لا تأتي الطيرةُ بالحسنات ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات، وتدفع السيئات[3].

ففيه: نفيُ تعلُّق[4] القلبِ بغير الله في جلب نفعٍ أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد. وهو دعاءٌ مناسب لِمن وقع في قلبه شيءٌ من الطيرة، وتصريحٌ بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضراً، ويُعدُّ مَن اعتقدها سفيها مُشركا.

---

(١) أبوداود في «السنن» رقم (٣٩٢٠)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/٣٤٧) والبيهقي في «السنن» (٨/١٤٠) قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/٢١٥): أخرجه أبوداود بسند حسن. وأخرجه من حديث ابن عباس أحمدُ في «المسند» (١/٢٥٧، ٣٠٤، ٣١٩).

(٢) ابن القيم، «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (٥٩٣).

(٣) في (هـ) و (ط) زيادة مانصه: والحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب؛ كقوله (وإنْ تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) إلى قوله (ما أصابت من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك).

(٤) (هـ) (ط): تعليق.

قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بك» استعانةٌ بالله تعالى على فعل التوكل، وعدمِ الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سبباً لوقوع المكروه عقوبةً لفاعلها. وذلك الدعاءُ إنَّما يصدر عن حقيقة التوكل، الذي هو أقوى الأسبابِ في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

والحولُ والتحول: الانتقالُ[1] من حالٍ إلى حال، والقوَّةُ على ذلك بالله وحده[2].

ففيه: التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته، وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليلُ على توحيد الإلهية الذي هو إفرادُ الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيدُ القصد والإرادة. وقد تقدَّم بيانُ ذلك بحمد الله.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود، مرفوعًا: «الطِّيرةُ شركٌ، الطيرة شرك» وما منا إلَّا!، ولكن الله يُذْهِبُه بالتوكل. رواه أبوداود، والترمذي، وصحَّحه[3]، وجعل آخرَه من قول ابن مسعود.

---

(١) (ض): والحول والقوة والانتقال (هـ) (ط): والحول: التحول والانتقال.

(٢) (هـ) (ط): وحده لا شريك له.

(٣) أبـوداود في «السنن» رقم (٣٩١٠) والترمذي في «الجامع» رقم (١٦١٤)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٩، ٤٣٨، ٤٤٠) والطيالسي في «المسند» رقم (٣٥٦) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٩٠٩) وابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (٦٤٤٢) والبغوي في «الجعديات» رقم (٥٠٣) وأبويعلى في «المسند» رقم (٥٠٩٢) وابن أبي الدنيا في «التوكل» رقم (٤١، ٤٢) والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٩) «والجامع لشعب الإيمان» رقم (١١٢٤)، وأخرجه من حديث علي، أبويعلى في «المسند» رقم (٤٣٠، ٤٣١) وأخرجه أيضا من حديث أنس رقم (٢٨٧٠) ومن حديث سعد بن أبي وقاص رقم (٧٦٦).

ش: ورواه ابنُ ماجـة، وابن حِبَّـان[١]. ولفظُ أبي داود «الطيرةُ شرك، الطيرةُ شرك، الطيرة شرك» ثلاثًا.

وهذا صريحٌ في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلُّق القلبِ على غير الله تعالى.

قال ابنُ حمْدان[٢]: تُكره الطيرة، وكذا قال غيرُه من أصحاب أحمد.

قال ابنُ مُفلح: والأولى القطعُ بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهة[٣] الاصطلاحية؟!![٤].

قال في (شرح السنن): وإنَّما جعل الطيرةَ من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنَّ الطيرة تجلبُ لهم نفعًا أو تدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبه[٥]، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى[٦].

قولـه: (وما منا إلَّا) قال أبوالقاسم الأصبهاني[٧]، والـمُنذري: في الحديث إضمارٌ، والتقدير: وما منا إلاَّ وقد وقع في قلبه شيءٌ من ذلك. انتهى[٨].

---

(١) ابن ماجة في «السنن» رقم (٣٥٣٨) وابن حبان في «الصحيح» (٦٤٢/٧).

(٢) أبو عبدالله، أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النّمري، فقيهٌ أصولي (ت ٦٩٥) «تاريخ ابن رجب» (٣٣١/٢).

(٣) (هـ) (ط): الكراهية.

(٤) ابن مفلح «الآداب الشرعية» (٣٦٢/٣).

(٥) (ط): بموجبها.

(٦) «معالم السنن» للخطابي (١٣٤/٤).

(٧) إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي، الأصبهاني، حافظ مفسر لغوي (ت ٥٣٥هـ) «شذرات الذهب» (١٠٥/٤).

(٨) المنذري، «الترغيب والترهيب» (٦٤/٤).

[١٠٩/أ] وقال الخلخالي: حَذف المُستثنى؛ لما يتضمَّنه من الحالة المكروهة. وهذا / من أدب الكلام.

قوله: (ولكن الله يُذهِبُه بالتوكل). أي: لكن لمَّا توكَّلنا على الله في جلب النفع أو دفع الضر، أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده.

قوله: (وجعل آخرَه من قول ابن مسعود)، قال ابنُ القيم: وهو الصواب[١]؛ فإنَّ الطيرة نوعٌ من الشرك[٢].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولأحمد، من حديث ابن عمرو: «مَن ردَّته الطِّيَرةُ عن حاجته فقد أشرك». قالوا: فما كفَّارةُ ذلك؟ قال: «أنْ تقول: اللهم لا خيرَ إلَّا خيرُك، ولا طير إلا طيرُك، ولا إله غيرك»[٣].

ش: هذا الحديثُ رواه أحمد، والطبراني، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وفي إسناده ابنُ لَهيعة، وبقيةُ رجاله ثقات[٤].

قوله: (من حديث ابن عمرو). هو عبدُالله بن عمرو بن العاص بن وائل السَّهمي، أبومحمد ـ وقيل: أبوعبدالرحمن ـ أحدُ السابقين الـمُكثرين من الصحابة[٥]، وأحد العبادلة[٦] الفقهاء. مات في ذي الحجة، ليالي

---

(١) (ط): من الصواب.

(٢) ابن القيِّم «مفتاح دار السعادة» (٥٨١).

(٣) أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٠).

(٤) كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٥) لكنه من طريق ابن وهب عنه، قال ابن حجر في «التقريب» (٣١٩): صدوق، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما. وأخرجه الدنيوري في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٩٢)، وله شاهدٌ من حديث بُريدة، أخرجه الطبراني في «الدعاء» رقم (١٢٧٠) والبزار في «المسند» رقم (٣٠٢٨) (كشف).

(٥) (هـ): من الصحابة. ساقط.

(٦) الأصل: العبّاد.

الحرَّة[1] - على الأصح - بالطائف.

قوله: «من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» وذلك أنَّ الطيرة هي التشاؤمُ بالشيء المرئي أو المسموع. فإذا ردَّه شيءٌ من ذلك عن حاجته التي عزم عليها - كإرادة السفر ونحوه - فمنعه عما أراده وسعى فيه ما رأى وسمع[2] تشاؤمًا، فقد دخل في الشرك؛ كما تقدم. فلم يُخلص توكّلَه على الله بالتفاتة إلى ماسواه، فيكون للشيطان منه نصيب.

قوله: (فما كفارة ذلك)؟ إلى آخره. فإذا قال ذلك، وأعرض عمَّا وقع في قلبه «ولم يلتفت إليه: كفَّر الله عنه ماوقع في قلبه»[3] ابتداءً؛ لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمِّن للاعتماد على الله وحده، والإعراضِ عمَّا سواه.

وتضمَّن الحديث: أنَّ الطيرة لا تضرُّ من كرهها ومضى في طريقه، وأمَّا من لم يُخلص توكله على الله، واسترسل مع الشيطان في ذلك، فقد يُعاقب بالوقوع فيما يكره؛ لأنه إعراضٌ[4] عن واجب الإيمان بالله، وأنَّ الخير كلَّه بيده. فهو الذي يجلبه لعبده بمشيئته وإرادته، وهو الذي يدفع عنه الضر وحده بقُدرته ولُطفه وإحسانه. فلا خير إلَّا منه، وهو الذي يدفع الشرَّ عن عبده، فما أصابه من ذلك فبذنبه؛ كما قال تعالى: ﴿ما أصابك من حسنةٍ فمن الله وما أصابك من سيئةٍ فمن نَفْسِك﴾. [النساء: ٧٩].

---

(١) وذلك سنة ثلاثٍ وستين، في عهد يزيد بن معاوية. وأما ماروي من الأخبار في استباحة المدينة، والاعتداءِ على أهلها وانتهاك الأعراض، فكذبٌ مفضوح؛ أملاه الحقد الضارب في نفوس الرافضة على بني أمية. وجميعه من اختلاق الشيعي التالف، أبي مخنف، لوط بن يحيى الأزدي. «ينظر تاريخ الطبري» (٥/٤٩١)، وابن تيمية، «منهاج السنة النبوية» (٤/٥٧٥).

(٢) (ط): وما سمع.

(٣) مابينهما ساقطٌ من الأصل، وهو انتقال نظر.

(٤) (ض) (هـ) (ط): اعرض.

قال المُـصنِّفُ رحمه الله تعالى: وله، من حديث الفَضل بن عبَّاس: «إنَّما الطيرةُ ما أمضاك أو ردَّك»[١].

ش: هذا الحديثُ: عند الإمام أحمد، من حديث الفَضْل بن عباس، قال: خرجتُ مع رسول الله / ﷺ يومًا، فبرَّح ظبيٌ، فمال في شِقِّه فاحتضنتهُ، فقلتُ: يارسول الله، تطيرت، فقال: «إنما الطيـرة ما أمضاك أو ردك». [١٠/ب]

وفي إسناده انقطاع[٢]، أي: بين مَسلمة راويه، وبين الفضل. وهو الفضلُ بن العباس بن عبدالمطلب، ابنُ عمِّ النبي ﷺ. قال ابنُ مَعين: قُتل يوم اليرموك[٣]. وقال غيرُه: [قُتل يوم مَرْج الصُّفَّر[٤] سنة ثلاث عشرة، وهو ابنُ اثنتين وعشرين سنة. وقال أبو داود][٥]: قتل بدمشق، كان عليه درعُ النبي ﷺ[٦].

قوله: «إنما الطيرةُ ما أمضاك أو ردك» هذا حدُّ الطيرة المنهي عنها، لأنها[٧]: ما يحمل الإنسان على الـمُضي فيما أراده، ويمنعُه من المضي فيه كذلك.

وأمّا الفألُ الذي كان يُحبه النبيُّ ﷺ: فيه نوعُ بشارة، فيُسرُّ به العبدُ ولا يعتمد عليه؛ بخلاف ما يُمضيه أو يردّه؛ فإنَّ للقلب عليه نوعُ اعتماد، فافهم الفرق، والله أعلم.

---

(١) أحمد في «المسند» (١/ ٢١٣)، وأخرجه أبويعلى كما في «المطالب العالية» (٢/ ٣٥٤) من حديث أبي أُمامة.

(٢) كما قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٣٦١).

(٣) كانت في رجب سنة خمس عشرة، بين المسلمين والروم على جانب وادي اليرموك بالأردن. «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٩٤).

(٤) الـمَرج: الأرض الواسعة فيها نبتٌ كثير، والصُّفَّر بُليدةٌ في ضواحي دمشق. «معجم البلدان» (٥/ ١٠١).

(٥) مابينهما ساقطٌ من الأصل.

(٦) قال ابنُ كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٣٤): والصحيحُ أنه تأخر إلى سنةِ ثماني عشرة.

(٧) (ط): أنها. تحريف.

(٢٨)
باب ماجاء في التنجيم

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في التَّنجيم.

ش: قال شيخُ الإسلام: التنجيم: هو الاستدلالُ بالأحوال الفلكية، على الحوادث الأرضية[١].

وقال الخطَّابي: علمُ النجوم المنهي عنه: ما[٢]يدَّعيه أهلُ التنجيم، من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مُستقبل الزمان، كأوقات هبوب الريح[٣] ومجيء المطر، وتغيُّر الأسعار، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنَّها تُدرك معرفتُها بمسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها، يدَّعون أن لها تأثيرًا في السُّفليات. وهذا منهم تحكّمٌ على الغيب، وتعاط لعلمٍ قد استأثر الله به، لا يعلم الغيب سواه[٤].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال البخاريُّ في (صحيحه): قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يُهتدَى بها. فمن تأوَّل فيها غيرَ ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علمٍ له به. انتهى[٥].

---

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٣٥/١٩٢).
(٢) (ض) (هـ) (ط): هو ما.
(٣) (ض) (هـ) (ط): الرياح.
(٤) الخطابي «معالم السنن» (٤/٢٣٠).
(٥) البخاري في «الصحيح» (٦/٢٩٥).

ش: هذا الأثرُ علَّقه البخاريُّ في (صحيحه)، وأخرجه عبدالرزاق، وعبد بن حُميد،[1] وابن جرير، وابن الـمُنذر، وغيرُهم[2].

وأخرجه الخطيبُ في (كتاب النجوم)، عن قتادة، ولفظُه، قال: إنَّما جعل الله هذه النجـوم لثلاث خصال: جعلها زينةً للسماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها رجـومًـا للشياطـين. فمن تعاطى فيها غيرَ ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظَّه، وأضاع/ نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به. وإنَّ ناساً جهلةً بأمر الله، قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا، كان كذا كذا. ولعمري ما من نجمٍ إلا يولد به الأحمرُ والأسود، والـطويل والقصـير، والحسن والدميم، وما عِلمُ هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيءٍ من هذا الغيب. ولو أنَّ أحداً علم الغيب لعلمِه آدمُ الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلَّمه أسماءَ كلِّ شيء. انتهى[3]. [١١/أ]

وتـأمَّـل[4] ما أنكـره هذا الإمـامُ، مما حدث من هذه[5] المنكـرات في عصر التـابعـين. ومـازال الشرُّ يزداد في كل عصرٍ بعـدهم، حتى بلغ الغايةَ في هذه الأعصار، وعمَّت به البلوى في جميع الأمصار، فمقلٌّ ومستكثر. وعزَّ في الناس من

---

(١) عبدالرزاق في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٣/٣٢٨). وعبد بن حميد، كما في «التغليق» لابن حجر (٣/٤٨٩) موصولاً.

(٢) ابنُ جرير الطبري في «التفسير» (١/٩١، ٢٩/٣) وابنُ الـمُنذر، وابن أبي حاتم، وأبوالشيخ؛ كما في «الدر المنثور» (٣/٣٢٨).

(٣) الخطيب البغدادي في كتاب «القول في النجوم» كما في «الدر المنثور» (٣/٣٢٨).

(٤) (هـ) (ط): فتأمل.

(٥) (ط): هذه. ساقطة.

يُنكره، وعظُمت المصيبة[١] في الدين. فإنَّا لله وإنا إليه راجعون[٢].

قوله: (خلق الله هذه النجوم لثلاث). قال الله تعالى: ﴿وَلَقد زيَّنا السماء الدُّنيا بمصابيح وجعلناها رُجوماً للشياطين﴾. [الملك: ٥] وقال تعالى: ﴿وعلاماتٍ وبالنَّجْمِ هُمْ يهتدون﴾. [النحل: ١٦].

وفيه: إشارةٌ إلى أنَّ النجوم في السماء الدنيا؛ كما روى ابنُ مردويه، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ «أما السماء الدنيا: فإنَّ الله خلقها من دخان، وجعل فيها سراجاً وقمراً مُنيراً، وزيَّنها بمصابيح، وجعلها رجوماً للشياطين، وحِفظاً من كلِّ شيطانٍ رجيم»[٣].

قوله: (وعلامات). أي: دلالات على الجهات. يُهتدى بها، أي: يهتدي بها الناسُ في ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكمُ النجُومَ لتهتدوا بها في ظُلُمات البر والبحر﴾. [الأنعام: ٩٧] أي: ليعرفوا[٤] بها جهةَ قصدهم[٥]، وليس المرادُ أنه يُهتدى بها في علم الغيب، كما يعتقده المنجِّمون.

وقد تقدَّم بطلانُه[٦] وأنَّه لا حقيقة له؛ كما قال قتادة: فمن تأول فيها غير ذلك ـ أي: زعم فيها غيرَ ماذكر الله في كتابه من هذه الثلاث ـ فقد أخطأ، حيث زعم شيئًا ما أنزل الله به من سلطان، وأضاع نصيبَه من كلِّ خير؛ لأنه أشغل[٧] نفسه

(١) (ط): المصيبة به.

(٢) أمَّا في زمانِنا، فلا تسأل عن هذا الغثاء الزاهق. وارجع بصرك قليلاً، لترى أكوام الجداول وزوايا البروج، والحظوظ تملأ أكثر الصحف والمجلات، نسأل الله العفو والعافية.

(٣) ينظر «الدر المنثور» (٣/٣٢٨).

(٤) (ط): لتعرفوا.

(٥) (ط): قصدكم.

(٦) (ض) (هـ) (ط): وجه بطلانه.

(٧) (ط): شغل.

بما يضره ولا ينفعه[١].

فإن قيل: المنجِّمُ قد يصدق!! قيل: صدقُه كصدق الكاهن، يصدقُ في كلمةٍ ويكذب في مائة. وصدقُه ليس عن علم، بل قد يوافق قدراً فيكون فتنةً في حق من صدَّقه[٢].

[١١/ب] وعن ابن عباس / رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿وأَلْقى في الأرض رواسِي أنْ تميد بِكُمْ وأَنهاراً وسُبُلاً لعَلَّكُم تهْتَدُون ● وعلاماتٍ﴾. [النحل: ١٥ - ١٦].

فقولـه: ﴿وعلاماتٍ﴾ معطوفٌ على ماتقدَّم، مما ذكره في الأرض، ثم استأنف، فقال: ﴿وبالنَّجْمِ هُمْ يهتدُون﴾ ذكره ابنُ جرير، عن ابن عباس بمعناه[٣].

وقد جاءت الأحاديثُ عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم؛ كقوله: «من اقتبس شُعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر. زاد مازاد»[٤].

وعن رجاء بن حَيْوة[٥]، أنَّ النبي ﷺ قال: «مما أخافُ على أمتي: التصديقَ بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيفَ الأئمة». رواه عبدُ بن حُميد[٦].

وعن أبي مِحجن، مرفوعاً «أخافُ على أُمتي ثلاثاً: حيفَ الأئمة، وإيماناً

---

(١) قال ابن تيمية، في «مجموع الفتاوى» (٣٥/١٩٣): والاستقراء يدل على أنَّ أهل النجوم لا يفلحون لا في الدنيا ولا في الآخرة.

(٢) قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٥/١٧٢، ١٨٩): والمنجمون خاطبتهم بدمشق، وحضر عندي رؤساؤهم. قال رئيس منهم: والله إنا نكذب مائة كذبة حتى نصدق في كلمة. قال: ولا تزال أحكامهم كاذبة متهافتة.

(٣) ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٤/٩١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أبو المقدام، الكندي الفلسطيني، ثقةٌ فقيه (ت ١١٢هـ) «تقريب» (٢٠٨).

(٦) عبد بن حميد في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٨/٣١)، وأخرجه أيضاً، من طريق عبدالله بن محيريز به، كما في «المصدر السابق».

بالنجوم، وتكذيباً بالقدر» رواه ابنُ عساكر، وحسَّنه السيوطي[١].

وعن أنس، مرفوعًا «أخافُ على أُمتي بعدي خَصلتين: تكذيباً بالقدر وإيمانًا بالنجوم». رواه أبويعلى، وابنُ عَدي، والخطيب[٢] في (كتاب النجوم)[٣]، وحسَّنه السيوطي أيضاً.

والأحاديثُ في ذمِّ التنجيم والتحذير منه كثيرة.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وكره قتادةُ تعلُّمَ منازل القمر، ولم يُرخِّص ابنُ عيينة فيه. ذكره حربٌ[٤] عنهما. ورخَّص في تعلُّمِ المنازل أحمدُ، وإسحاق[٥].

ش: قال الخطَّابي: أمَّا علمُ النجوم الذي يُدرك من طريق المشاهدة والخبر، الذي يُعرف به الزوال، وتُعلم به جهةُ القبلة: فإنَّه غيرُ داخل فيما نهى عنه؛ وذلك أنَّ معرفة رصدِ الظل، ليس شيئًا بأكثر[٦] من أنَّ الظل مادام مُتناقصاً، فالشمسُ

---

(١) ابن عساكر في «التاريخ» كما في «الكنز» (١٥/٦)، وأخرجه الحاكم، وأبونعيم كما في «الاصابة» (١٧٣/٤) وقال: أبوسعد ضعيف ولم يدرك أبامحجن، وأخرجه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٤٨/٢)، وله شاهدٌ من حديث أبي أمامة، أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٢٠٣/٧) وقال: وفيه ليث بن أبي سليم، وهو لين، وبقية رجاله وثِّقوا.

(٢) (ط): والخطاب. تصحيف.

(٣) أبويعلى في «المسند» رقم (٤١٣٥) وابن عدي في «الكامل» (١٣٥٠/٤) والخطيب البغدادي في كتاب «القول في النجوم» كما في «الدر المنثور» (٣٣٠/٣)، وأخرجه ابن مردويه كما في «المصدر السابق».

(٤) أبو محمد، حرب بن اسماعيل بن خلف الكرماني، فقيه محدث، من تلاميذ أحمد، له عنه مسائل «طبقات الحنابلة» (١٤٥/١).

(٥) أبو محمد، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد (ت ٢٣٨هـ) «التقريب» (٩٩). ونقله عنهم، ابن رجب في «افضل علم السلف» (٣١، ٣٢).

(٦) (ط): أكثر.

بعدُ صاعدة نحو وسط السماء(١ من الأُفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة فالشَمسُ هابطة من وسط السماء١) نحو الأُفق الغربي. وهذا علمٌ يصحُّ إدراكُه بالمشاهدة، إلَّا أنَّ أهل هذه الصناعة قد دبَّروها بما اتخذوا له(٢) من الآلات التي يستغني الناظرُ فيها عن مراعاة مُدَّته ومُراصدته.

وأمَّا مايُستدلُّ به من النجوم على جهة القبلة: فإنها كواكبُ رصدها أهلُ الخبرة بها(٣) من الأئمة، الذين لا نشكُّ في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها، وصدقِهم فيما أخبروا به عنها. مثل أنْ يُشاهدَها بحضرة الكعبة، ويُشاهدها على حال الغيبة عنها. فكان إدراكُهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذْ كانوا عندنا غيرَ متهمين في دينهم، ولا مُقصّرين في معرفتهم / انتهى(٤). [١١/أ]

وروى ابن المنذر، عن مجاهد: أنه كان لا يرى بأساً أنْ يتعلَّم الرجلُ منازلَ القمر(٥).

وروي عن إبراهيم: أنه كان لا يرى بأساً أن يتعلَّم الرجلُ من النجوم مايهتدي به(٦).

قال ابنُ رجب: والمأذون في تعلمه [علمُ](٧) التسيير لا علم التأثير؛ فإنَّه باطلٌ محرم، قليله وكثيره. وأما علم التسيير، فيتعلم منه مايحتاج إليه للاهتداء(٨) ومعرفة

(١-١) مابينهما معلَّقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.
(٢) (هـ): اتخذوها (ط): اتخذوه.
(٣) (هـ) (ط): بها. ساقطة.
(٤) الخطابي «معالم السنن» (٤/ ٢٣٠).
(٥) وأخرجه الخطيب البغدادي كما في «الدر المنثور» (٣/ ٣٢٩).
(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (٥٦٩٩) وأبونعيم في «الحلية» (٤/ ٢٢٥).
(٧) اضافة من (ض).
(٨) (ط): من الاهتداء.

القبلة والطرق. جائزٌ عند الجمهور. انتهى[١].

قوله: (ذكره حرب عنهما). هو الإمام الحافظ، حربُ بن إسماعيل، أبومحمد الكرماني، الفقيه، من جلة أصحاب الإمام أحمد. روى عن أحمد، وإسحاق، وابن المديني، وابن معين، وغيرهم. وله (كتابُ المسائل) التي سُئل عنها الإمام أحمد وغيره، مات سنة ثمانين ومائتين.

وأمَّا إسحاق: فهو ابن إبراهيم بن مخلد، أبويعقوب[٢] الحنظلي النيسابوري، الإمام المعروف بابن راهُويه. روى عن ابن المبارك، وأبي أُسامة، وابن عُيينة وطبقتهم. قال أحمد: إسحاق عندنا إمامٌ من أئمة المسلمين. روى عنه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبوداود وغيرهم، وروى هو أيضًا عن أحمد. مات سنة تسعٍ وثلاثين ومائتين.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مُدمِنُ الخمر، وقاطع الرحم، ومصدِّقٌ بالسحر». رواه أحمد، وابن حبان في (صحيحه)[٣].

ش: هذا الحديثُ رواه أيضا الطبراني، والحاكم، وقال: صحيح. وأقرَّه الذهبي[٤]. وتمامه: «ومن مات وهو مدمنٌ الخمر سقاه الله من نهر الغُوطة: نهر

---

(١) «فضل علم السلف على علم الخلف» لابن رجب (٣٤).

(٢) (ط): أيوب. تصحيف.

(٣) أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٩) وابن حبان في «الصحيح» (٧/ ٣٦٦)، وأخرجه أبويعلى في «المسند» رقم (٧٢٤٨) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٧٤): رجال أحمد وأبي يعلى ثقات، وبحشل في «تاريخ واسط» (١٨٠).

(٤) الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٥/ ٧٤) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٤٦) وله شاهدٌ من حديث أبي سعيد: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٤، ٨٣).

يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريحُ فروجهن».

قوله: عن (أبي موسى). هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حَضّار ـ فتح المهملة وتشديد الضاد ـ أبوموسى الأشعري، صحابيٌ جليل، مات سنة خمسين.

قولـه: «ثـلاثةٌ لا يدخلون الجنة» هذا من نصوص الوعيد التي كره السلفُ تأويلَها، وقالوا: أمِرُّوها كما جاءت، ومن تأوَّلها فهو على خطر من القول على الله بلا علم.

وأحسنُ مايقال: إنَّ كلَّ عمل دون الشرك والكفر المخرج عن ملّة الإسلام فإنّه يرجـع إلى مشيئـة الله، فإن عذَّبـه به[1] فقد استوجب العذاب/، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته. [١/ب]

قوله: «مدمن الخمر» أي: المداوم على شُربها.

قوله: «وقاطع الرحم» يعني القرابة؛ كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُم إن تَوَلَّيْتُم أن تُفْسِدوا في الأرض وتُقطِّعُوا أَرْحَامَكُم﴾. [محمد: ٢٢] الآية.

قوله: «ومصدِّقٌ بالسحر» أي: مطلقاً، ومنه التنجيم؛ لِما تقدَّم من الحديث، وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة.

قال الذهبي في (الكبائر): ويدخل فيه تعلم السِّيميا وعملُها، وعقْد المرء عن زوجته، ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه، وأشباهُ ذلك بكلماتٍ مجهولة. قال: وكثيرٌ من الكبائر ـ بل عامتها إلا الأقل ـ يجهل خلقٌ من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه، ولا الوعيدُ عليه. انتهى[2].

---

(١) (ط): به. ساقطة.

(٢) الذهبي، «الكبائر» (٤٥، ٤٦).

(٢٩)
باب ماجاء في الاستسقاء بالأنواء

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في الاستسقاءِ بالأنْوَاء.

ش: أي: من الوعيد، والمراد: نسبةُ السُّقيا ومجيء المطر إلى الأنواء. ـ جمعُ نَوْء[1] وهي منازلُ القمر.

قال أبوالسعادات: وهي ثمانٌ وعشرون منزلة، ينزل القمرُ كلَّ ليلة منزلة منها. ومنه قوله تعالى: ﴿والقَمَر قدَّرْنَاهُ مَنازِل﴾. [يس: ٣٩].

يسقطُ في الغرب كلَّ ثلاث عشرة ليلة منزلةً مع طلوع الفجر، وتطلعُ أُخرى مُقابلَتها ذلك الوقت من المشرق، فتنقضي جميعُها مع انقضاء السنة. وكانت العربُ تزعم أنَّ مع سقوط المنزلة وطلوع رَقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها، ويقولون: مُطرنا بنوْء كذا. وإنما سُمِّي نَوْءاً؛ لأنه إذا سقط الساقطُ منها نَاء الطالعُ بالمشرق، أي: نَهض وطلع[2].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُم أَنَّكُمْ تُكَذِّبُون﴾. [الواقعة: ٨٢].

ش: روى الإمام أحمد، والترمذيُّ ـ وحسنه ـ وابن جرير، وابن أبي حاتم، والضياء في (المُختارة)، عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «﴿وتَجعلون رِزْقَكُم﴾ يقول: شُكرَكم ﴿أنَّكم تُكذِّبُون﴾ يقولون: مُطرنا بنوء كذا

---

(١) (ط): والأنواء جمع نوء.

(٢) ابن الأثير، «النهايةُ في غريب الحديث» (٥/١٢٢).

وكذا، بنجم كذا وكذا»(١) وهذا أولى ما فُسِّرت به الآية.

وروي ذلك: عن علي، وابن عباس، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخُراساني، وغيرهم(٢)، وهو قولُ جمهور المفسرين، وبه يظهر وجهُ استدلال الـمُصنِّف بالآية.

قال ابنُ القيم: أي: وتجعلون حظَّكم من هذا الرزق الذي به حياتكم: التكذيب به، يعني / القرآن(٣). [١١٢/أ]

[قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن](٤) أنكم تُكذِّبون(٥).

قال: وخسر عبدٌ لا يكون حظُّه من القرآن إلَّا التكذيب.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي مالك الأشعري، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أربعٌ في أُمَّتي من أمر الجاهلية لا يتركونَهن: الفخرُ بالأحساب، والطعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنجوم، والنياحة». وقال: «النائحةُ إذا لم تتب قبل موتها تُقام يومَ القيامة وعليها سِربالٌ من قَطِران، ودِرعٌ من جرب» رواه مسلم(٦).

---

(١) أحمد في «المسند» (١/ ٨٩، ١٠٨، ١٣١) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٢٩١) وابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٧/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» والضياء في «المختارة» كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٩)، وأخرجه ابن منيع، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والخرائطي، وابن مردويه، كما في المصدر السابق، وله شاهدٌ من حديث أبي أمامة، أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٧/ ٢٠٩). وشاهدٌ عن ابن عباس موقوفاً، اخرجه سعيد بن منصور في «السنن» بسند صحيح كما قال ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٥٢٢)

(٢) ينظر «تفسير الطبري» (٢٧/ ٢٠٨) و «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣) و «فتح الباري» (٢/ ٥٢٢).

(٣) ابن القيم، «التبيان في أقسام القرآن» (١/ ٤١٨).

(٤) ساقطُ من الأصل، وهو انتقال نظر.

(٥) أخرجه عبدُ بن حميد، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٠).

(٦) مسلم في «الصحيح» رقم (٩٣٤)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٢، ٣٤٤) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٩٠) وأبويعلى في «المسند» رقم (١٥٧٧).

ش: أبـومـالـك، اسمُـه: الحارث بن الحارث الشامي. صحابيٌّ، تفرَّد عنه بالرواية أبوسلّام. وفي الصحابة أبومالك الأشعري، اثنان غير هذا[١].

قوله: «أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن» ستفعلُها هذه الأمة: إمَّا مع العلم بتحـريمهـا، أو مع الجهـل بذلك، مع كونها من أعمال أهل[٢] الجاهلية المذمومة المكروهةِ المحرَّمة.

والمرادُ بالجاهلية هنا: ماقبلَ المبعث؛ سُمّوا بذلك لفرط جهلهم، وكلُّ ما يُخالف ماجاء به رسول الله ﷺ[٣] فهو جاهلية. فقد خالفهم رسول الله ﷺ في كثيرٍ من أمورهم أو أكثرها، وذلك يُدرك بتدبر القرآن ومعرفة السنة[٤].

قال شيخُ الإسلام: أخبر أنَّ بعض أمرِ الجاهلية لا يتركُه الناس كلُّهم، ذمًا لمن لم يتركه، وهذا يقتضي أنَّ كلَّ ماكان من أَمر الجاهلية وفعلِهم فهو مذمومٌ في دين الإسلام، وإلَّا لم يكن في إضافة هؤلاء[٥] المنكرات إلى الجاهلية ذمٌّ لها. ومعلومٌ أنَّ إضـافتهـا للجـاهلية[٦] خرج مخرج الذم؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿ولا تَبَرَّجْنَ تبرُّج الجاهلية الأولى﴾. [الأحزاب: ٣٣].

[فإنَّ في ذلك ذمّاً للتبرج، وذماً لحال الجاهلية الأولى][٧] وذلك يقتضي المنعَ من مشابهتهم في الجملة[٨].

---

(١) ينظر «الاستغناء في الكُنى» لابن عبدالبر (١/ ٢٢٠) و (المُقتنى في سرد الكُنى) للذهبي (٢/ ٥٩).

(٢) (هـ) (ط): أهل. ساقطة.

(٣) (هـ) (ط): الرسول.

(٤) في (هـ) و (ط) زيادة مانصه: ولشيخنا رحمه الله مصنف لطيف، ذكر فيه ماخالف رسولُ الله ﷺ فيه أهل الجاهلية، بلغ مائة وعشرين مسألة.

(٥) (ض) (هـ) (ط): هذه.

(٦) (هـ) (ط): إلى الجاهلية.

(٧) ساقطٌ من الأصل، وهو انتقال نظر.

(٨) ابن تيمية «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٠٥).

قوله: «الفخرُ بالأحساب» أي: التعاظمُ على الناس بالآباء ومآثرهم، وذلك جهلٌ عظيم، إذ لا كرم إلا بالتقوى؛ كما قال تعالى: ﴿إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾. [الحجرات: ١٣] وقال تعالى: ﴿وما أَمْوَالُكُم ولا أَوْلادُكُم بالتي تُقَرِّبُكُم عِنْدنا زُلْفى إلا من آمن وعمِل صالحاً فأوْلئك لهم جزاءُ الضِّعْفِ بما عَمِلُوا وهُم في الغُرُفاتِ آمِنُونَ﴾. [سبأ: ٣٧].

ولأبي داود، عن أبي هريرة، مرفوعًا: «إنَّ الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية[1]، وفخرَها بالآباء. إنما هو مؤمنٌ تقي، أو فاجرٌ شقي. الناسُ بنو آدم، وآدم خُلق من تراب، ليدعَنَّ رجالٌ فخرهم بأقوام ـ إنَّما هم فحمٌ من فحم جهنم ـ أو ليكونُنَّ أهونَ على الله من الجعلان»[2] / الحديث[3][4]. [١/ب]

(١) العُبِّيَّة: الكبر والنخوة. الخطابي «غريب الحديث» (١/ ٢٩٠).

(٢) أبوداود في «السنن» رقم (٥١١٦)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٩٥٠) وقال: هذا حديث حسن غريب. وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦١، ٥٢٣، ٥٢٤) وأبونعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٦٠) قال الحافظ ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢١٦، ٣٦٣): رواه أبوداود وغيره، وهو صحيح.

(٣) (هـ) (ط): الحديث. ساقطة.

(٤) وهذا لا يعني قطعاً إسقاط ما للعرب من خصوصية، قال ابنُ تيمية رحمه الله تعالى: الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد أنَّ جنس العرب أفضل من جنس العجم؛ فإن الله تعالى خص العرب ولسانهم بأحكام تميَّزوا بها، وجعل محبتهم سببا لقوة الايمان ومعاداتهم كفراً أو سبباً للكفر. والشعوبية الذين لا يفضلون العرب على من سواهم انما يفعلون ذلك عن نوع نفاق!!
قال الامام أحمد رحمه الله تعالى: ولا تقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي، الذين لا يحبون العرب ولا يقرون بفضلهم؛ فإن قولهم بدعة وخلاف.
ومن أجل ذلك كانت الكفاءة في النسب حقاً من الحقوق المطلقة في النكاح، لا تختص بفرد معين يتصرف فيه كيف يشاء. غير أن الذي يجب على المسلم إذا نظر في الفضائل، أو تكلم فيها: أن يسلك سبيل العاقل الدِّين، الذي غرضه أن يعرف الخير ويتحراه جهده. ليس غرضه الفخر على أحد ولا الغمص من أحد. ينظر: ابن تيمية «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٨٥، ٣٩٥، ٤٠١) و «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٣٣١)

قوله: «والطعنُ في الأنساب» أي: الوقوعُ فيها، بالعيب والتنقُّص.

ولما عيَّر أبوذر رضي الله عنه رجلاً بأُمِّه، قال النبي ﷺ: «أعيرته بأمه، إنك امرؤٌ فيك جاهلية» متفق عليه[١].

فدلَّ على أنَّ الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية، وأنَّ المسلم قد يكون فيه شيءٌ من هذه الخصال المسمَّاة بجاهلية ويهودية ونصرانية، ولا يوجبُ ذلك كفرَه ولا فسقه. قاله شيخُ الإسلام[٢].

قوله: «والاستسقاءُ بالنجوم» أي: نسبةُ المطر إلى النوء، وهو سُقوط النجم؛ كما أخرج الإمامُ أحمد، وابنُ جرير، عن جابر السوائي، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أخافُ على أُمتيَّ ثلاثاً: استسقاءً بالنجوم، وحَيْفَ السلطان، وتكذيبًا بالقدر»[٣].

فإذا قال قائلُهم: مُطرنا بنجم كذا أو بنوْء كذا، فلا يخلو: إمَّا أنْ يعتقد أنَّ له تأثيرًا في نزول[٤] المطر، فهذا شركٌ وكفر. وهو الذي يعتقده أهلُ الجاهلية، كاعتقادهم أنَّ دعاء[٥] الميت والغائب يجلبُ لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضراً، أو أنَّه

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٣٠، ٢٥٤٥، ٦٠٥٠) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٦٦١)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٦١).

(٢) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٢٠).

(٣) أحمد في «المسند» (٥/ ٨٩، ٩٠) وابن جرير الطبري كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٠)، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٢٤) والطبراني في «الكبير» رقم (١٨٥٣) و «الصغير» رقم (١١٢) وأبويعلى في «المسند» رقم (٧٤٦٢، ٧٤٧٠) وعبد بن حُميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣): فيه محمد بن القاسم الأسدي، وثَّقة ابنُ معين، وكذَّبه أحمد، وضعَّفه بقيةُ الأئمة. وللحديث شواهدُ مضت في الباب السابق.

(٤) (هـ) (ط): انزال.

(٥) (ط): دعاء. ساقطة.

يشفع[١] بدعائهم إياه، فهذا هو الشركُ الذي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنه وقتالِ من فعله؛ كما قال تعالى: ﴿وقاتِلُوهُم حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكون الدينُ كلّه لله﴾ [الأنفال: ٣٩] والفتنةُ الشرك.

وإمَّا أن يقول: مُطرنا بنوء كذا مثلاً، لكن مع اعتقاده أنَّ المؤثر هو الله وحده، لكنه أجرى العادةَ بوجود المطر عند سُقوط ذلك النجم.

والصحيح: أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم، ولو على طريق المجاز، فقد صرَّح ابنُ مُفلح في (الفروع)، بأنه يحرم قول: مُطرنا بنوء كذا[٢]. وجزم في (الإنصاف) بتحريمه[٣]، ولم يذكر[٤] خلافاً[٥].

وذلك أنَّ القائل لذلك نسبَ ماهو من فعل الله تعالى ـ الذي لا يقدر عليه غيرُه ـ إلى خلْقٍ مُسخَّر، لاينفع ولا يضر ولا قُدرة له على شيء. فيكون ذلك شركاً أصغر، والله أعلم.

قوله: «والنياحةُ» أي: رفعُ الصوت بالندب على الميت؛ لأنها تسخُّطٌ لقضاء[٦] الله، وذلك يُنافي الصبر الواجب، وهي من الكبائر، لشدة الوعيد والعقوبة.

قوله: «النائحةُ إذا لم تتب/ قبل موتها» فيه: تنبيهٌ على أنَّ التوبة تكفِّر الذنب وإن عظُم، هذا مجمعٌ عليه في الجملة. وتكفر[٧] أيضًا بالحسنات الماحية [١١٢/أ]

---

(١) (ض): يشفع لهم.

(٢) ابن مفلح، «الفروع» (٢/١٦٣).

(٣) (هـ) (ط): بتحريمه ولو على طريق المجاز.

(٤) (هـ): يذكرا.

(٥) المرداوي، «الانصاف» (٢/٤٦١).

(٦) (ط): بقضاء.

(٧) (ط): ويكفر.

والمصائب، ودعاءِ المسلمين بعضهم لبعض، وبالشفاعة بإذن الله وعفو الله عمَّن شاء ممن لا يُشرك بالله[1] شيئًا.

وفي الحديث، عن ابن عمر، مرفوعًا «إنَّ الله تعالى يقبلُ توبةَ العبد مالم يُغَرْغِر» رواه أحمدُ، والترمذي، وابن ماجة، وابن حبان[2].

قوله: «تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قطران ودرعٌ من جرب» قال القُرطبي: السِّربال، واحدُ السرابيل، وهي الثياب والقُمُص، يعني أنهن يُلطَّخن بالقِطران، فيكون لهن كالقُمص، حتى يكون اشتعالُ النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن، وأَلمُها[3] بسبب الجرب أشد.

ورُوي عن ابنِ عباس: أنَّ القطران هو النحاسُ المُذاب[4].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما، عن زيد بن خالد، قال: صلَّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاة الصبح بالحُدَيبية، على إثْر سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال

---

(١) (ض) (هـ) (ط): به.

(٢) أحمد في «المسند» (٢/ ١٣٢، ١٥٣) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٥٣١) وقال: هذا حديثٌ حسن غريب، وابن ماجة في «السنن» رقم (٤٢٥٣) وابن حبان في «الصحيح» (٢/ ١٢)، وأخرجه أبونُعيم في «الحلية» (٥/ ١٩٠) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٥٧) وصححه ووافقه الذهبي، وله شاهدٌ من حديث أبي ذر، أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٤) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٦١) وابن حبان في «الصحيح» (٢/ ١٢) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٥٧)، وشاهدٌ من حديث عبادة بن الصامت، أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٨٨٥٨)، وعن الحسن مرسلاً أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٤٦٣) وابن جرير في «التفسير» رقم (٨٨٥٩)، قال ابنُ كثير في «التفسير» (٢/ ٢٠٧): هذا مرسلٌ حسن.

(٣) (ط): وألمهن.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٣/ ٢٥٧) وابن المنذر، وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩).

ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فأمَّا مَن قال: مُطِرْنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب. وأمَّا مَن قال: مُطرنا بنَوْءِ كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب»[1].

ش: زيدُ بن خالد الـجُهني، صحابيٌّ مشهور، مات سنة ثمانٍ وستين، وقيل: غير ذلك، وله خمسٌ وثمانون سنة.

قوله: (صلَّى لنا رسولُ الله ﷺ) أي: بنا، فاللَّامُ بمعنى الباء. قال الحافظ: وفيه إطلاقُ ذلك مجازاً. وإنَّما الصلاةُ لله[2].

قوله: (بالـحُديبية) بالمهملة[3] وتخفيفِ يائها، وتُثَقَّل.

قوله: (على إثْر) بكسر الهمزة وسكون المثلَّثة على المشهور، وهو مايعقبُ الشيء.

قوله: (سماء). أي: مطر؛ لأنه ينزل من السحاب، والسماءُ يطلق على كل ما ارتفع.

قوله: (فلما انصرف). أي: من صلاته، أي: التفت إلى المأمومين؛ كما يدلُّ عليه قوله: (أقبل على الناس). ويُحتمل أنه أراد السلام.

قوله: «هل تدرون» لفظُ استفهام، ومعناه التنبيه.

وفي النسائي «ألم تسمعوا ماقال ربُّكم الليلة؟»[4] وهذا من الأحاديث القُدسية.

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٨٤٦، ١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣) ومسلم في «الصحيح» رقم (٧١)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/١١٧).

(٢) ابن حجر، «فتح الباري» (٢/٥٢٣).

(٣) (ط): بالمهملة المضمومة.

(٤) النسائي في «المجتبى» (٣/١٦٥).

وفيه: إلقاءُ العالم المسألة على أصحابه، ليختبرهم(١).

قوله: (قالوا الله ورسوله أعلم). فيه حُسن الأدب/ للمسؤول إذا سُئل(٢) عمّا لا يعلم: أنْ يكِلَ العلم إلى عالمه. وذلك يجب. [١١٣/]

قوله: «أصبح من عبادي» الإضافةُ هنا(٣) للعُموم؛ بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الذي خَلَقَكُم فَمِنْكُم كافِرٌ ومِنْكُم مِؤمِنٌ﴾. [التغابن: ٢].

قوله: «مؤمنٌ بي وكافر» إذا اعتقد أنَّ للنوء تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا كفر؛ لأنه شركٌ(٤) في الربوبية، والمشركُ كافر. وإنْ لم يعتقد ذلك، فهو من الشرك الأصغر؛ لكونه(٥) نسب نعمةَ الله إلى غيرهِ، ولأن الله لم يجعل النوءَ سببًا لإنزال المطر فيه، وإنَّما هو فضلٌ من الله ورحمة. يحبُسه إذا شاء، ويُنزِله إذا شاء.

ودلَّ هذا الحديث: أنه(٦) لا يجوز لأحدٍ أنْ يُضيف أفعالَ الله إلى غيره، ولو على سبيل المجاز.

وأيضًا، الباءُ تحتمل معاني، وكلها لا تصدق بهذا اللفظ، فليست للسببية ولا للاستعانة؛ لما عرفتَ من أنَّ هذا باطل. ولا تصدقُ أيضًا على أنها للمصاحبة؛ لأن المطر قد يجيءُ في هذا الوقت وقد لا يجيء فيه. وإنما يجيء المطرُ في الوقت الذي أراد الله مجيئه فيه، برحمته وحكمته وفضله. فكلُّ معنى تُحمل عليه الباءُ في هذا اللفظ المنهي عنه فاسدٌ.

فيظهر على هذا: تحريمُ هذه اللفظة مطلقًا؛ لفساد المعنى. وقد تقدَّم القطعُ

---

(١) (ط): ليخبرهم. تحريف.

(٢) (ط): إذا سئل. ساقط.

(٣) (ض): هنا. ساقطة.

(٤) (ط): أشرك.

(٥) (هـ) (ط): لأنه.

(٦) (ض) (هـ) (ط): على أنه.

بتحريمه في كلام صاحب (الفروع) و (الإنصاف).

قال المُصنِّف: وفيه التفطُّنُ للإيمان في هذا الموضع[١]. يشيرُ إلى أنه الإخلاص.

قوله: «فأمَّا من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته» فالفضلُ والرحمة صِفتان لله، ومذهبُ أهل السنة والجماعة: أنَّ ماوصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الذات: كالحياة، والعلم. وصفات الأفعال؛ كالرحمة التي يرحم بها عباده، كلها صفاتٌ لله قائمة بذاته، ليست قائمةً بغيره، فتفطَّنْ لهذا؛ فقد غلِط فيه طوائف.

وفي هذا الحديث: أنَّ نعم الله[٢] لايجوز أنْ تُضاف إلَّا إليه وحده، وهو الذي يُحمد عليها، وهذه حالُ أهل التوحيد.

قوله: «وأمَّا من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا» إلى آخره، قد[٣] تقدم مايتعلَّقُ بذلك.

قال المُصنِّفُ: وفيه: التفطُّن للكفر في هذا الموضع[٤].

يُشير: أن[٥] نسبة النعمة إلى غير الله كفر؛ ولهذا قطع بعضُ العلماء بتحريمه، وإنْ لم يعتقد تأثير النوء في إنزال[٦]/ المطر. فيكون من كفر النعم؛ لعدم نسبتها إلى الذي أنعم بها ونسبتها إلى غيره، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثم يُنْكِرُونها﴾. [النحل: ٨٣]. [١١٤/أ]

قال القُرطبي في شرح حديث زيد بن خالد: وكانت العربُ إذا طلع نجمٌ من المشرق وسقط آخرُ من المغرب فحدث عند ذلك مطرٌ أو ريح، فمنهم من ينسبه

(١) المسألة السادسة.
(٢) (هـ): النعم لله.
(٣) (ض) (هـ) (ط): قد. ساقطة.
(٤) المسألة السابعة.
(٥) (ض) (هـ) (ط): إلى أن.
(٦) (هـ) (ط): بانزال.

إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب؛ نسبةَ إيجادٍ واختراع، ويُطلقون ذلك القولَ المذكور في الحديث. فنهى الشارعُ من إطلاق ذلك؛ لئلا يعتقد أحدٌ اعتقادهم، ولا يشتبه[1] بهم في نطقهم. انتهى.

قوله: فمنهم من ينسبُه نسبةَ إيجاد. يدلُّ على أنَّ بعضهم لا[2] يعتقد ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿ولئن سألْتَهُم مَنْ نزَّل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بَعْد موتها ليقُولُنَّ الله﴾. [العنكبوت: ٦٣]. فدلَّ على أنَّ منهم من يعرف ويقرُّ بأنَّ الله هو الذي أوجد المطر، و [قد][3] يعتقد هؤلاء أنَّ للنوء فيه شيئاً من التأثير.

والقرطبيُّ في شرحه لم يُصرِّح أنَّ العرب كلَّهم يعتقدون ذلك المعتقد الذي ذكره، فلا اعتراض عليه بالآية؛ للاحتمال المذكور.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما، من حديث ابن عباس، معناه. وفيه: قال بعضُهم: لقد صدق نَوءُ كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات[4]: ﴿فلا أُقْسِمُ بمواقِعِ النُّجُوم • وإنَّهُ لقسَمٌ لو تَعْلَمُون عظيم • إنَّهُ لَقُرآنٌ كريم • في كِتَابٍ مَكْنُونٍ • لا يَمسُّهُ إلَّا المطهرون • تنْزِيلٌ من ربِّ العالمين • أفبهذا الحديث أَنْتُم مُدْهِنُون • وتَجْعَلُون رِزْقكُم أَنَّكُم تُكَذِّبُون﴾[5].

[الواقعة: ٧٥ ـ ٨٢].

ش: وبلفظه، عن ابن عباس، قال: مُطر الناسُ على عهد النبي ﷺ، فقال

---

(١) (ض) (هـ) (ط) يتشبه.

(٢) (ط): كان لا.

(٣) إضافةٌ من (ض) و (هـ) و (ط).

(٤) الأصل و (ض) و (هـ): الآية.

(٥) هو من حديث ابن عباس، عند مسلم في «الصحيح» رقم (٧٣) وأخرجه من حديث أبي هريرة رقم (٧٢).

النبيُّ ﷺ: «أصبح من الناس شاكرٌ، ومنهم كافر». قالوا: هذه رحمةُ الله، وقال بعضهم: لقد صدق نَوْءُ كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾.

هذا قسمٌ من الله عز وجل، يقسمُ بما شاء من خلقه على ماشاء، وجوابُ القسم ﴿إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ﴾ فتكونُ: لا صلةً لتأكيد النفي، فتقديرُ الكلام: ليس الأمرُ كما زعمتم في القرآن أنه سحرٌ، أو كهانة، بل هو قرآنٌ كريم.

قال ابنُ جرير: قال بعضُ أهل العربية: معنى قوله ﴿فلا أُقْسِمُ﴾ فليس الأمر كما تقولون، ثم استُؤنف القسم بعد، فقيل: أُقسم[١].

ومواقع[٢] النجوم، قال ابنُ عباس: يعني نجوم القرآن، فإنَّه نزل جملةً ليلة القدر من السماء العُليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مُفرَّقاً في السنين بعدُ. ثم قرأ ابنُ عباس هذه الآية[٣].

ومواقعُها: نزولُها شيئا بعد شيء. وقال مُجاهد: مواقع النجوم: مطالعها ومساقطها[٤]. واختاره ابنُ جرير/. [١/ب]

وعلى هذا: فتكون المناسبةُ بين المقسَم به والـمُقسَم عليه ـ وهو القرآن ـ من وجوه:

أحدُها: أنَّ النجوم جعلها الله يُهتدى[٥] بها في ظُلمات البر والبحر، وآياتِ القرآن يُهتدى بها في ظلمات الغي والجهل. فتلك هدايةٌ في الظلمات الحسية،

---

(١) ابن جرير، «جامع البيان» (٢٧/ ٢٠٣).
(٢) (هـ) (ط): بمواقع.
(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٧/ ٢٠٣).
(٤) في جميع النسخ: ومشارقها. والمثبت من «التفسير» (٢٧/ ٢٠٤).
(٥) (ط): ليهتدي.

والقرآنُ هدايةٌ في الظلمات المعنوية، فجمع بين الهدايتين.

مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة، وفي القرآن من الزينة الباطنة، ومع مافي النجوم من الرجوم للشياطين، وفي القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن.

والنجوم آياتُه المشهودة العيانية، والقرآنُ آياته المتلوّةُ السمعية؛ مع مافي مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية، ومواقعها عند النزول. ذكره ابنُ القيِّم[١].

وقوله: ﴿وإنَّهُ لقسمٌ لوْ تَعْلَمُونَ عظيم﴾ قال ابن كثير: أي: وإنَّ هذا القسم الذي أقسمتُ به لقسمٌ عظيم، لو تعلمون عظمتَه لعظَّمتم المقسِم به عليه[٢].

وقوله: ﴿إنَّهُ لقُرآنٌ كَرِيمٌ﴾ هذا هو المقسَمُ عليه، وهو القرآن، أي: وإنَّه[٣] وحيُ الله وتنزيلُه وكلامه، لا كما يقول الكفار: إنه سحرٌ أو كهانة، أو شعر. بل هو قرآنٌ كريم: أي: عظيمٌ كثير الخير، لأنه كلامُ الله.

قال ابنُ القيِّم: فوصفه بما يقتضي حُسنَه، وكثرة خيره ومنافعه وجلالته؛ فإنَّ الكريم هو البهيُّ الكثير الخير العظيم النفع[٤]، وهو من كل شيءٍ أحسنَه وأفضله.

والله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثُرَ خيرهُ وحسُن منظرُه من النبات وغيره؛ ولذلك فسر السلفُ، الكريم: بالحسَن؛ قال الأزهري: الكريم اسمٌ جامع لما يُحمد، والله تعالى كريمٌ جميل الفِعال. وإنه لقرآن كريمٌ يُحمد؛ لما فيه من الـهُدى والبيان والعلم والحكمة[٥].

---

(١) ابن القيم، «التبيان في أقسام القرآن» (١/٣٩٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/٢١).

(٣) (ض) (هـ) (ط): انه.

(٤) (ط): النفع. ساقطة.

(٥) ابن القيم، «التبيان في أقسام القرآن» (١/٤٠٠).

وقوله: ﴿في كتابٍ مكنُون﴾ أي: معظَّم[١]، في كتابٍ معظَّم محفوظ موقَّر. قاله ابنُ كثير[٢].

وقـال ابنُ القيِّم: اختلف المفسِّرون في هذا، فقيل: هو اللَّوحُ المحفـوظ. والصحيحُ أنَّه الكتابُ الذي بأيدي الملائكة، وهو المذكور في قوله: ﴿في صُحُفٍ مُكرَّمَةٍ • مَرْفُوعَةٍ مُطهَّرةٍ • بأيدي سفرةٍ • كِرامٍ بَررَةٍ﴾. [عبس: ١٣ - ١٦].

ويدلُّ على أنَّه الكتابُ الذي بأيدي الملائكة؛ قولُه: ﴿لا يَمَسُّهُ إلا المُطهَّرُون﴾ فهذا يدلُّ على أنه بأيديهم يمسُّونه[٣].

[١١/أ] قوله: ﴿لا يمسُّهُ إلا المُطهرون﴾ قال/ ابنُ عباس: ﴿لا يمسُّهُ إلَّا المطهرون﴾ قال: الكتابُ الذي في السماء. وفي رواية ﴿لا يمسُّه إلَّا المطهرون﴾ يعني الملائكة[٤].

وقال قتادة: لا يمسُّه عند الله إلا المطهرون. فأمَّا في الدنيا: فإنه يمسه المجوسيُّ النجس والمنافقُ الرجس[٥]. واختار هذا القول كثيرون. منهم ابن القيِّم، ورجَّحه.

وقال ابنُ زيد[٦]: زعمت قريشُ أنَّ هذا القرآن تنزَّلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنَّه لا يمسه إلا المطهرون؛ كما قال تعالى: ﴿وما تَنَزَّلَتْ به الشياطينُ • وما يَنْبَغي لهم ومايستطيعون • إنهم عن السمع لمعزولون﴾. [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢].

---

(١) معظم. ليست في (ط).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/٢١).
(٣) ابن القيم «التبيان في أقسام القرآن» (١/٤٠٢).
(٤) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢٧/٢٠٥).
(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٧/٢٠٦).
(٦) أبو الشعثاء، جابر بن زيد الازدي البصري، مشهور بكنيته، ثقةٌ فقيه (ت ١٩٣هـ) «تقريب» (١٣٦).

قال ابنُ كثير: هذا قولٌ جيد، وهو لا يخرج عن القول قبله[١]. وقال البخاريُّ في (صحيحه)[٢] ـ في هذه الآية ـ لا يجد طعمَه إلا من آمن به.

قال ابنُ القيِّم: هذا من إشارة الآية وتنبيهها، وهو أنه لا يتلذذ[٣] به، وبقراءته، وفهمه، وتدبره، إلَّا من يشهد أنه كلامُ الله تكلم به حقاً، وأنزله على رسوله وحياً. لا ينال معانيه إلا من لم يكن في قلبه منه حرج، بوجه من الوجوه[٤].

وقال آخرون: ﴿لا يَمَسُّهُ إلا المُطَهَّرُون﴾[٥] أي: من الجنابة والحَدَث. قالوا: ولفظُ الآية خبرٌ، ومعناه الطلب.

وقالوا: والمرادُ بالقرآن هاهنا المصحف؛ واحتجوا على ذلك بما رواه مالك في (الموطأ)، عن عبدالله بن محمد[٦] بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: إنَّ في الكتاب الذي كتبه رسولُ الله ﷺ لعمرو بن حزم: «أنْ لا يمس القرآن إلا طاهر»[٧].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/٢٢).

(٢) هكذا في جميع النسخ، ولم أجده في مظانه منه، ونسبه ابنُ كثير في «التفسير» (٨/٢٢) إلى الفراء.

(٣) (ض) (هـ) (ط): يلتذ.

(٤) ابن القيم، «التبيان» (١/٤١٠).

(٥) (ض) (هـ): أي. ساقطة.

(٦) (ط): بن محمد. ساقطة.

(٧) مالك في «الموطأ» كتاب الصلاة باب الصلاة رقم (٣١٧) مرسلاً، وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١/٣٤١) والدارمي، في «السنن» رقم (٢٢٧٨) وابن أبي داود في «المصاحف» (١٨٥) والدار قطني في «السنن» (١/١٢١) وقال: مُرسل ورواته ثقات. وأخرجه من حديث حكيم بن حزام، الطبراني في «الكبير» رقم (٣١٣٥) والدار قطني في «السنن» (١/١٢٢) والحاكم في «المستدرك» (٣/٤٨٥) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه من حديث ابن عمر، الطبراني في «الكبير» رقم (١٣٢١٧) و«الصغير» رقم (١١٦٢) والدار قطني في «السنن» (١/١٢١) قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١/١٣١): اسناده لا بأس به.

وقوله: ﴿تنزيلٌ من رب العالمين﴾(١ قال ابنُ كثير: أي: هذا القرآنُ منزَّلٌ من الله ربِّ العالمين١)، وليس كما يقولون: إنه سحر وكهانة أو شعر، بل هو الحقُّ الذي لا مرية فيه، وليس وراءه حقٌّ نافع[٢]. وفي هذه الآية: أنَّه كلام الله تكلَّم به.

قال ابن القيِّم: ونظيرُه ﴿ولكن حق القولُ مني﴾. [السجدة: ١٣] وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ من رَبِّكَ بِالحقِّ﴾. [النحل: ١٠٢] هو إثباتُ علو الله تعالى على خلقه؛ فإنَّ النزول والتنزيل الذي تعقله العقولُ، وتعرفه الفطر هو وصولُ الشيء من أعلى إلى أسفل. ولا يرد عليه قولُه: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُم من الأنْعَامِ ثمانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾. [الزُّمر: ٦] لأنا نقول: إنَّ الذي أنزلها فوقَ سمواته، فأنزلها لنا بأمره.

قال ابنُ القيِّم: وذكر التنزيلَ مُضافاً إلى ربوبيته للعالمين المستلزمةِ لمُلْكه لهم وتصرفه فيهم، وحكمه عليهم، وإحسانه[٣] وإنعامه عليهم، وأنَّ مَن هذا شأنُه مع الخلق، كيف يليق به مع ربوبيته/ التامة أن يتركهم سُدىً، ويدعهم هملاً، ويخلقهم عبثاً. لا يأمرهم ولا ينهاهم، ولا يُثيبهم ولا يُعاقبهم؟ فمن أقرَّ بأنه ربُّ العالمين، أقرَّ بأنَّ القرآن تنزيلُه على رسوله، (١ واستدل بكونه ربَّ العالمين على ثبوت رسالة رسوله١) وصحَّة ما جاء به. وهذا الاستدلالُ أقوى وأشرفُ من الاستدلال بالـمُعجزات والخوارق، وإنْ كانت دلالتها أقربَ إلى أذهان عموم الناس، وتلك إنما تكون لخواص العُقلاء[٤].

[١/ب]

(١) مابينهما مُعلَّق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.
(٢) «تفسير ابن كثير» (٣٢/٨).
(٣) (هـ) (ط): واحسانه إليهم.
(٤) ابن القيم، «التبيان في أقسام القرآن» (٤١٢/١).

قولـه: ﴿أفبهـذا الحـديثِ أَنْتُم مُدْهِنُـونَ﴾ قال مجاهد: أي: تريدون[١] أنْ تُمالئوهم فيه، وتركنوا إليهم[٢].

قال ابنُ القيِّم: ثم وبَّخهم سبحانه على وضعهم الادهان في غير موضعها[٣]، وأنهم يُداهنون فيما حقه أنْ يُصدع به ويُفرق[٤] به، ويُعضَّ عليه بالنواجذ، وتُثنى عليه الخناصر، وتعقد عليه القلوبُ والأفئدة، ويُحارب ويسالم لأجله، ولا يلتوي عنه يمنة ولا يسرة، ولا يكون للقلب التفاتٌ إلى غيره، ولا محاكمة إلَّا إليه، ولا مخاصمةٌ إلَّا به، ولا اهتداءٌ في طرق المطالب العالية إلَّا بنوره، ولا شفاءٌ إلَّا به. فهـو روحُ الـوجـود، وحياة العـالم، ومدارُ السعادة، وفائدة[٥] الفلاح، وطريقُ النجاة، وسبيلُ الرشاد، ونور البصائر.

فكيف تُطلب المـداهنـة بما هذا شأنه، ولم ينزل للمداهنة، وإنما نزل بالحق وللحق، والمداهنةُ إنما تكون في باطلٍ قوي لا تُمكن إزالتهُ، أو في حق ضعيف لا تمكن إقامته، فيحتاج المداهنُ إلى أن يترك بعضَ الحق ويلتزم بعض الباطل. فأمَّا الحقُّ الذي قام به كلُّ حق، فكيف يُداهن به[٦]؟

وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُم أَنَّكُم تُكَذِّبُونَ﴾ تقدَّم الكلامُ عليها أول الباب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) (هـ) (ط): أتريدون.

(٢) أخرجه ابنُ جرير الطبري في «التفسير» (٢٧/٢٠٧) وعبد بن حُميد، وابن المنذر، كما في «الدر المنثور» (٨/٢٨).

(٣) (ض) (ط): موضعه.

(٤) (هـ) (ط). ويعرف.

(٥) (ط): وقائد.

(٦) ابن القيم، «التبيان في أقسام القرآن» (١/٤١٦).



(٣٠)
باب قول الله تعالى:
﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ﴾

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿ومِن النَّاسِ منْ يَتَّخِذُ من دُونِ الله أَنْدَاداً يحبونهم كحُبِّ الله﴾. [البقرة: ١٦٥].

ش: لما كانت محبتُـه سبحانه هي أصلُ دين الإسلام الذي يدور عليه قطبُ رحاه، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيدُ الإنسان [نبَّه المصنفُ على ذلك بهذه الترجمة](١).

قوله: باب قول الله تعالى:(٢) ﴿ومِنَ النَّاسِ من يَتَّخِذُ من دُونِ الله أَنْداداً﴾. الآية. قال في (شرح المنازل): أخبر تعالى أنَّ من أحب من دون الله شيئاً كما يُحب الله تعالى، فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً. فهذا ندٌّ في المحبة، لا في الخَلْق والربوبية؛ فإنَّ أحداً / من أهل الأرض لا يُثبت هذا الند. بخلاف ند المحبة، [١١٦/] فإنَّ أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم.

ثم قال تعالى: ﴿والذين آمَنُوا أشدُّ حُبًّا لله﴾ وفي تقدير الآية قولان:

أحدُهما: والذين آمنوا أشدُّ حباً لله من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم، التي يُحبونها ويعظِّمونها من دون الله.

وروى ابنُ جرير، عن مُجاهد، في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ الله﴾: مُباهاةً

---

(١) إضافة من (ط)

(٢) (ط): قوله تعالى.

ومضاهاةً للحق بالأنداد ﴿والذين آمَنُوا أشدُّ حُبّاً لله﴾ من الكفار لأوثانهم[١].

ثم روى: عن ابن زيد، قال: هؤلاء المشركون أندادُهم آلهتهم التي عبدوا مع الله، يحبونهم كما يُحب الذين آمنوا الله، والذين آمنوا أشدُّ حباً لله من حُبهِّم آلهتهم. انتهى[٢].

والثاني: والذين آمنوا أشدُّ حباً لله، من المشركين بالأنداد لله؛ فإنَّ محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهُم بقسطٍ منها، والمحبةُ الخالصة أشدُّ من المشتركة[٣]. والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُم كحُبِّ الله﴾؛ فإنَّ فيها قولين أيضاً:

أحدُهما: يحبونهم كما يحبون الله. فيكون قد أثبت لهم محبةَ الله، ولكنها محبةٌ شرَّكوا[٤] فيها مع الله تعالى أندادهم. والثاني: أنَّ المعنى: يحبون أندادَهم كما يُحب المؤمنون الله، ثم بيَّن تعالى أنَّ محبة المؤمنين لله أشدُّ من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم.

وكان شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يُرجح القولَ الأول، ويقول: إنما ذُمُّوا بأنْ شرَّكوا بين الله وبين أندادهم في المحبة، ولم يُخلصوها لله كمحبة المؤمنين له.

وهـذه التسـويةُ المذكورة[٥] في قوله تعالى حكايةً عنهم، وهم في النار، أنَّهم

---

(١) ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٢٤٠٧، ٢٤٠٨).

(٢) «المصدر السابق» رقم (٢٤١٠).

(٣) (ض): المشركة.

(٤) (ط): أشركوا.

(٥) (ض): هي المذكورة.

يقولون لآلهتهم وأندادهم وهي محضرةٌ معهم في العذاب: ﴿تالله إن كُنَّا لَفِي ضلالٍ مُبينٍ• إذ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ العالمين﴾. [الشعراء :٩٧-٩٨].

ومعلومٌ أنهم لم يُسوّوهم[1] بربِّ العالمين في الخلق والربوبية، وإنما سوّوهم به في المحبة والتعظيم.

وهذا أيضاً هو العدلُ المذكور في قوله تعالى: ﴿ اَلحَمْدُ لله الذي خَلَقَ السموات والأَرْضَ وجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ ثُمَّ الذين كفروا بِرَبهم يَعْدِلُون﴾. [الأنعام :١]. أي: يعدلون[2] به غيره في العبادة، التي هي المحبة والتعظيم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إن كُنْتُم تُحبُّونَ الله فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُم الله﴾. [آل عمران :٣١] وهذه تُسمَّى آيةُ المِحنة[3]. قال بعضُ / السلف: ادَّعى قومٌ محبة الله، فأنزل الله [١١٦/ب] عز وجل آية المحنة ﴿قُلْ إن كُنْتُم تُحِبُّون الله فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُم الله﴾ إشارةً إلى دليل المحبة، وثمرتها وفائدتها. فدليلُها وعلامتها: اتباعُ الرسول ﷺ، وفائدتُها وثمرتها: محبةُ المُرسِل لكم، فما لم تحصل المتابعة فلا محبة له حاصلة[4]، ومحبتُه لكم مُنتفية.

وقال تعالى: ﴿يا أَيُّها الذين آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُم عن دِينِهِ فسوْف يأْتي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ على المؤمِنِين أعِزَّةٍ على الكافِرِين يُجَاهِدُون في سبيل الله ولا يَخافُون لَوْمَة لائِمٍ﴾. [المائدة :٥٤] وذكر لهم أربع علامات:

أحدُها: أنهم أذلةٌ على المؤمنين، قيل معناه: أرقَّاء رُحماء مشفقين عليهم، عاطفين عليهم. فلما ضمَّن أذلةَ هذا المعنى عدَّاه بأداة على، قال عطاء رحمه الله:

---

(١) (ط): ماسووهم.

(٢) (ط): أي يعدلون. ساقط.

(٣) (هـ) (ط): المحبة. تحريف.

(٤) (ط): منكم المتابعة فمحبتكم له غير حاصلة.

للمؤمنين كالولد لوالده[١]، والعبد لسيده.

وعلى الكافرين كالأسد على فريسته ﴿أَشِدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُم﴾[٢]. [الفتح: ٢٩].

العلامةُ الثالثة: الجهادُ في سبيل الله تعالى، بالنفس واليد واللسان والمال. وذلك يُحقِّق[٣] دعوى المحبة.

العلامةُ الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومةُ لائم. وهذا[٤] علامةُ صحة المحبة.

فكلُّ محبٍ أخذه اللومُ على محبوبه فليس بمحبٍّ على الحقيقة.

وقال تعالى: ﴿أُولئِكَ الذين يَدْعُون يَبْتَغُون إلى رَبِّهِم الوسيلةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ ويَرْجُون رحْمَتَهُ ويخافُون عذابَهُ﴾. [الإسراء: ٥٧]، فذكر المقاماتِ الثلاثة: الحب. وهو ابتغاء القُرب إليه، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة. والرجاءُ والخوف يدلُّ على أنَّ ابتغاء الوسيلة أمرٌ زائد على رجاء الرحمة وخوف العذاب.

ومن المعلوم قطعاً أنَّه لا يتنافس إلَّا في قرب من يحب قربهَ، وحبُّ قربه تبعٌ لمحبة ذاته، بل محبةُ ذاته أوجبت محبةَ القرب منه.

وعند الجهمية والمعطِّلة: ما من ذلك كلِّه شيء؛ فإنه عندهم لا تقربُ ذاتُه من شيء، ولا يقرب من ذاته شيء، ولا يُحَبُّ لذاته ولا يُحِب[٥]. فانكروا حياةَ

---

(١) الأصل: كالوالد لولده. تحريف.

(٢) هذه هي العلامةُ الثانية.

(٣) (هـ) (ط): تحقيق.

(٤) (ط): وهذه.

(٥) لذاته ولا يحب. ليست في (ط).

القلوب، ونعيم الأرواح، وبهجة النفوس، وقرَّة العيون، وأعلى نعيمِ الدنيا والآخرة. ولذلك ضُربت قلوبُهم بالقسوة، وضُرب دونَهم ودون الله حجابٌ على[1]معرفته ومحبته. فلا يعرفونه ولا يحبونه[2]، ولا يذكرونه إلَّا عند تعطيل أسمائه وصفاته. فذكرهم أعظمُ آثامهم وأوزارهم، بل يُعاقبون من يذكره بأسمائه/ [١١٧/أ] وصفاته ونعوت جلاله، ويرمونهم بالأدواء التي هم أحقُّ بها وأهلُها.

وحسْبُ ذي البصيرة وحياة القلب، مايرى على كلامهم من القسوة والمقت والتنفير عن محبة الله تعالى ومعرفته وتوحيده. والله الـمُستعان[3].

وقال رحمه الله أيضاً: لا تُحدُّ المحبةُ بحدّ أوضح منها، فالحدودُ لا تزيدها إلا خفاءً.

فحدُّها وجودُها، ولا توصف المحبةُ[4] بوصف أظهرَ من المحبة. وإنما يتكلَّم الناسُ في أسبابها[5]، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهدِها، وثمراتها، وأحكامها.

وأجمعُ ماقيل في ذلك، ماذكره أبوبكر الكَتَّاني[6] رحمه الله، عن الجُنَيد[7]:

قال أبوبكر: جرت مسألةٌ في المحبة بمكة ـ أعزها الله ـ في أيام الموسم، فتكلم

---

(١) (ض): عن.

(٢) ولا يحبونه. ليست في (ط).

(٣) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣/ ٢٠ ـ ٢٣).

(٤) (ط): المحبة. ساقطة.

(٥) الأصل: بأسبابها.

(٦) محمد بن علي بن جعفر، زاهد مُتنسِّك. (ت ٣٢٢هـ) «تاريخ بغداد» (٣/ ٧٤).

(٧) أبوالقاسم، ابن محمد بن الجنيد البغدادي، فقيه محدث زاهد، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في «الاستقامة» (٢/ ٨١): كان الـجُنيدُ رضي الله عنه سيِّدَ الطائفة، ومن أحسنهم تعليماً وتأديباً وتقويماً. (ت ٢٩٨هـ) «وفيات الأعيان» (١/ ٣٧٣).

الشيوخُ فيها، وكان الـجُنيد أصغرَهم سناً، فقالوا: هات[١] ما عندك ياعراقي، فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه، متصلٌ بذكر ربه، قائمٌ بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه. أحرق قلبَه نورُ[٢] هيبته، وصفا شِربُه[٣] من كأس مودَّته، وانكشف له الجبار[٤] من أستار غيبه[٥]. فإنْ تكلَّم فبالله، وإنْ نطق فعن الله، وإن تحرَّك فبأمر الله، وإنْ سكن فمع الله. فهو بالله ولله، ومع الله. فبكى الشيوخُ، وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك الله ياتاج العارفين!.

وذكر رحمه الله: أنَّ الأسباب الجالبة للمحبة عشرةٌ: أحدُها: قراءةُ القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، وما أُريد به.

الثاني: التقرُّب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوامُ ذِكره على كلِّ حال باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبُه من المحبة على قدر هذا.

الرابع: إيثارُ محابِّه على محابِّك عند غلبات الهوى.

الخامس: مطالعةُ القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.

السادس: مشاهدةُ برّه وإحسانه، ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع: ـ وهو[٦] أعجبُها ـ: انكسارُ القلب بين يديه.

---

(١) (ط): هات. ساقطة.

(٢) (هـ) (ط): أنوار.

(٣) (هـ) (ط): شرابه.

(٤) في جميع النسخ: الحياء. والمثبت من «مدارج السالكين». وهي كلمة فيها نظرا!

(٥) الأصل: غيبته.

(٦) (ض): وهي.

الثامن: الخلوةُ وقت النزول الإلهي، وتلاوة كتابه ثم ختمُ ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسةُ المحبين الصادقين، والتقاطُ أطايب كلماتهم[١]، ولا تتكلم[٢] إلا إذا ترجحت مصلحةُ الكلام، وعلمتَ أنَّ فيه مزيداً لحالك/ ومنفعةً لغيرك. [١١٧/]

العاشر: مباعدةُ كلِّ سببٍ يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة: وصل الـمُحبّون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب[٣].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى: ﴿قُلْ إنْ كان آباؤكم وأَبْناؤكُم وإخوانُكم وأزواجُكم وعشِيرتُكُم وأمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وتجارَةٌ تَخْشَوْن كسادَها ومسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إلَيْكُم من الله ورسولِهِ وجِهادٍ في سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حتى يأتي الله بأَمْرِهِ والله لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾. [التوبة: ٢٤].

ش: أمر الله نبيَّه ﷺ أنْ يتوعَّد من أحبَّ أهلَه وماله وعشيرته، وتجارته ومسكنه، فآثرها أو بعضها على فعل ما أوجبه الله عليه من الأعمال، التي يُحبُّها الله تعالى ويرضاها، كالهِجرة والجهاد ونحو ذلك.

قال العِماد ابن كثير: أي: إنْ كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إليْكُم من الله ورسُولِهِ وجِهادٍ في سبِيلِهِ فتَرَبَّصُوا﴾ أي: انتظروا ماذا يحلُّ بكم من عقابه. روى الإمامُ أحمد، وأبوداود ـ واللفظ له ـ من حديث أبي عبدالرحمن الـخُراساني[٤]، عن عطاء

---

(١) (ض) (هـ) (ط): ثمرات كلامهم.

(٢) الأصل: يتكلم.

(٣) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣/٩، ١٦ ـ ١٨).

(٤) (ض) (هـ) (ط): السلمي. تحريف، وهو إسحاق بن أُسيد الأنصاري، نزيل مصر، فيه ضعف «تقريب» (١٠٠).

الخراساني، عن نافع، عن ابن عمر، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتُم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذُلًّا لا ينزعه حتى تُراجعوا دينكم»(١)(٢).

فلا بُدَّ من إيثار ما أحبَّه الله من عبده وأراده، على مايُحبه العبدُ ويُريده، فيحبُّ مايُحبه الله، ويبغض مايبغضه الله، ويُوالي فيه ويُعادي فيه، ويُتابع رسولَه ﷺ؛ كما تقدَّم في آية المحنة، ونظائرها.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناسِ أجمعين» أخرجاه(٣).

ش: أي: البخاري، ومسلم. قوله: «لا يُؤمن أحدكم» أي: الإيمان الواجب، والمرادُ كماله، حتى يكون الرسولُ أحبَّ إلى العبد من ولده ووالده والناس أجمعين. بل ولا يحصل هذا الكمالُ إلاَّ بأن(٤) يكون الرسولُ أحبَّ إليه من نفسه؛ كما في الحديث: أنَّ عمر قال: لأنت يارسول الله أحبُّ إليَّ من كلِّ شيء إلا نفسي، فقال: «والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك» فقال له عمر:

(١) أحمد في «المسند» (٢/ ٢٨، ٤٢، ٨٤) وأبوداود في «السنن» رقم (٣٤٦٢)، قال ابن تيمية في «اقامة الدليل» (٤٥) وهذان إسنادان حسنان، أحدهما يشد الآخر ويقويه. وقال ابن القيِّم في «تهذيب السنن» (٥/ ١٠٤): إسنادهُ حسن، وأصله محفوظ. وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٣٥٨٣، ١٣٥٨٥) وأبونعيم في «الحلية» (١/ ٣١٧، ٣/ ٣١٨، ٥/ ٢٠٨) والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٧).

(٣) البخاري في «الصحيح» رقم (١٥) ومسلم في «الصحيح» رقم (٤٤)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٧٧، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٨) وابن منده في «الإيمان» رقم (٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦).

(٤) (ض): حتى.

فإنك الآن أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال: «الآن ياعمر». رواه البخاري[١].

فمن قال: إنَّ المنفيَّ هو الكمال، فإنْ أراد الكمالَ الواجب/ الذي يُذمُّ تاركُه[٢] [١١٨/] ويعرَّض للعقوبة، فقد صَدَق. وإنْ أراد أنَّ المنفي الكمالُ المُستحب، فهذا لم يقع قطُّ في كلام الله ورسوله ﷺ. قاله شيخُ الإسلام[٣].

فمن ادَّعى محبـةَ النبي ﷺ بدون متـابعة، وتقديم قوله على قول غيره فقد كَذَب؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُون آمَنَّا بالله وبالرَّسُولِ وأَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلَّى فريقٌ مِنْهُم من بَعْدِ ذَلِكَ وما أُوْلئِكَ بالمؤمنين﴾. [النور: ٤٧].

فنفى الإيمانَ عمن تولّى عن طاعة الرسول ﷺ، لكن كلّ مسلم يكون مُحباً بقدر ما معه من الإسلام، وكل مسلم لا بُدَّ أن يكون مؤمناً وإنْ لم يكن مؤمناً الإيمان المطلق؛ لأن ذلك لا يحصل ألا لخواص المؤمنين.

قال شيخُ الإسلام: وعامةُ الناس إذا أسلموا بعد كُفر، أو ولِـدوا على الإسلام والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله، فهم مسلمون ومعهم إيمانٌ مُجْملَ. لكنَّ دخول حقيقةِ الإيمان إلى قلوبهم يحصلُ شيئاً فشيئاً، إنْ أعطاهم الله ذلك، وإلاَّ فكثيرٌ من الناس لا يَصلون إلى اليقين، ولا إلى الجهاد. ولو شُكِّكوا لشكـوا، ولـو أُمروا بالجهاد لما جاهدوا؛ إذ ليس عندهم من علم اليقين مايدرأُ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله مايُقدِّمونه على الاهل والمال. فهؤلاء إنْ عُوفوا من المحنة، وماتوا دخلوا الجنة، وإنْ ابتُلوا بمن يُدخل عليهم شبهاتٍ تُوجب ريبتَهم[٤]، فإنْ لم يُنعم الله عليهم بما يُزيل الريب، وإلا صاروا مُرتابين،

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٦٦٣٢)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/٣٣٦) من حديث عبدالله بن هشام.

(٢) الأصل: تركه.

(٣) ابن تيمية، «الكلام على حقيقة الاسلام» (٦٦).

(٤) (ض) (هـ) (ط): ريبهم.

وانتقلوا إلى نوعٍ من النفاق. انتهى[١].

وفي[٢] الحديث: أنَّ الأعمال من الإيمان؛ لأن المحبة عملُ القلب.

وفيه: أنَّ محبـة الرسول ﷺ واجبةٌ، تابعةٌ لمحبة الله لازمةٌ لها؛ فإنها محبةٌ لله ولأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقصُ بنقصها. وكلُّ من كان مُحباً لله فإنما يُحب في الله ولأجله، كما يُحبُّ[٣] الإيمانَ والعمل الصالح. وهذه المحبةُ ليس فيها شيءٌ من شوائب الشرك، كالاعتماد عليه ورجائه في حصول مرغوبٍ منه أو دفعِ مرهوب[٤]. وما كان فيها ذلك، فمحبةٌ[٥] مع الله؛ لما/ فيها من التعلُّق على غيره، والرغبةِ إليه من دون الله. [١/ب]

فبهذا يحصلُ التمييز بين المحبة في الله ولأجله ـ التي هي من كمال التوحيد ـ وبـين المحبـة مع الله التي هي محبـةُ الأنـداد من دون الله؛ لما يتعلَّق بقلوب[٦] الـمُشركين من الإلهية، التي لا تجوز إلَّا لله وحده لا شريك له[٧].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أنْ يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما. وأنْ يُحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأنْ يكره أنْ يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أنْ يُقذفَ في النار»[٨].

---

(١) ابن تيمية، «الكلام على حقيقة الإسلام» (٢٨١).

(٢) (ض) (هـ) (ط): وفي هذا.

(٣) كما يحب. ليست في موضعها من الأصل.

(٤) (ض) (هـ) (ط): مرهوب منه.

(٥) (هـ) (ط): فمحبته.

(٦) (هـ) (ط): في قلوب.

(٧) لا شريك له. ليست في (ض) و (هـ) و (ط).

(٨) البخاري في «الصحيح» رقم (١٦، ٢١، ٦٩٤١) ومسلم في «الصحيح» رقم (٤٣)، وأخرجه أحمد في =

وفي رواية: «لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتى» إلى آخره[١].

ش: قوله: (ولهما عنه). أي: البخاري، ومسلم، عن أنس.

قوله: «ثلاثٌ» أي: ثلاثُ خصال.

قوله: «من كنَّ فيه» أي: وجدت[٢] فيه تامة.

قوله: «وجد بهن حلاوةَ الإيمان» الحلاوةُ هنا: هي التي يُعبَّر عنها بالذوق؛ لما يحصل به من لذَّة القلب، ونعيمه وسروره وغذائه، وهو[٣] شيءٌ محسوس يجده أهلُ الإيمان في قلوبهم.

[٤]قال السيوطيُّ في (التوشيح): وجد حلاوةَ الإيمان. فيه: استعارةٌ تخييلية. شبَّه رغبة المؤمن في الإيمان بشيءٍ حلو، وأثبت له لازمَ ذلك الشيء، وأضافه إليه.

وقال النووي: معنى حلاوة الإيمان: استلذاذُ الطاعات وتحمُّل المشاق، وإيثارُ ذلك على أغراض[٥] الدنيا، ومحبةُ العبدالله بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك الرسول ﷺ[٦].

قال يحيى بنُ معاذ[٧]: حقيقةُ الحب في الله: أنْ لايزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء[٤].

= «المسند» (٣/١٠٣، ١٧٢، ١٧٤، ٢٣٠، ٢٤٨، ٢٧٥، ٢٨٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/٣٦٦) وابن منده في كتاب «الإيمان» رقم (٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٠٤١).

(٢) (ط): وجدت.

(٣) (ض) (هـ) (ط): وهي.

(٤) مابينهما معلَّق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٥) (ض): أعراض.

(٦) النووي، «المنهاج» (٢/١٣).

(٧) أبوزكريا الرازي، الواعظ الزاهد. (ت ٢٥٨هـ) «تاريخ بغداد» (١٤/٢٠٨).

قولـه: «أنْ يكـون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما» يعني بالسِّوى: مايحبُّه الإنسانُ بطبعه، كمحبة الولد والمال والأزواج ونحوها، فتكون: أحبَّ هنا على بابها.

[وقال الخطَّابي: والمراد بالمحبة هنا: حُبُّ الاختيار لا حب الطبع. كذا قال!](١).

وأمَّـا(٢) المحبةُ الشركية ـ التي قد تقدَّم بيانُها ـ فقليلُها وكثيرها يُنافي محبةَ الله ورسوله. وفي بعض الأحاديث «أحبوا الله بكلِّ قلوبكم»(٣).

فمن علامات محبة الله ورسوله: أنْ يُحبَّ مايُحبه الله ويكره مايكرهه الله، ويؤثرَ مرضاته على ماسواه، ويسعى في مايُرضيه(٤) ما استطاع، [ويُبعد عمَّا حرَّمه ويكرهه أشد الكراهة](١)، ويُتابع رسولَه ويمتثل أمره ويترك نهيه؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرسُول فقد أطاع الله﴾. [النساء: ٨٠].

فمن آثر أمرَ غيره على أمره، وخالف مانهي عنه، فذلك عَلَمٌ على عدم محبة الله(٥) ورسوله؛ فإنَّ محبة الرسول من لوازم محبة الله. فمن أحبَّ الله وأطاعه أحب الرسولَ وأطاعه، ومن لا فلا؛ كما في آية المِحنة ونظائرها، والله المُستعان.

قال شيخُ الإسلام: أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ هذه الثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان/ ؛ لأن وجود الحلاوةِ للشيء يتبع المحبة له. فمن أحبَّ شيئًا واشتهاه، إذا [١١٠/أ]

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) (هـ): فأما.

(٣) قطعةٌ من حديث مُرسل، أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/٥٢٥) وذكره ابن اسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٢/١٤٦) عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف.

(٤) (هـ) (ط): مرضاته.

(٥) (ض) (هـ) (ط): محبته لله.

حصل له مرادهُ، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذةُ أمرٌ يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب والمشتهى.

قال: فحلاوةُ الإيمان المتضمِّنة للَّذة والفرح، تتبع[١] كمال محبة العبدلله. وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريغها[٢]، ودفع ضدها. فتكميلُها: أنْ يكون الله ورسوله أحبَّ إليه[٣] مما سواهما؛ [فإنَّ محبة الله ورسوله لا يُكتفى فيها بأصل الحب، بل لابد أنْ يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما][٤].

قلتُ: ومحبةُ الله تعالى تستلزمُ محبةَ طاعته؛ فإنه يُحب من عبده أنْ يُطيعه والمحبُّ يُحب مايحبه محبوبُه ولابد.

ومن لوازم محبة الله أيضاً: محبةُ أهل طاعته، كمحبة أنبيائه ورسله والصالحين من عباده. فمحبةُ مايحبه الله، ومن يُحبه الله من كمال الإيمان؛ كما في حديث ابن عباس الآتي.

قال: وتفريغها[٢]: أنْ يُحب المرءَ لا يُحبه إلَّا لله، قال: ودفع ضدها: أنْ يكره ضدَّ الإيمان، كما يكره أنْ يُقذف في النار. انتهى[٥].

قوله: «أحبَّ إليه مما سواهما» فيه جمع ضمير الرب[٦] سبحانه وتعالى وضمير رسوله ﷺ، وفيه قولان.

---

(١) الأصل و (هـ): يتبع.
(٢) (ض) (هـ): تفريعها.
(٣) (هـ) (ط): إلى العبد.
(٤) مابينهما ساقطٌ من الأصل، وهو انتقال نظر. ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٠/٢٠٥).
(٥) (ط): انتهى. ساقطة. ابن تيمية، «المصدر السابق» (١٠/٢٠٦).
(٦) (ض) (هـ) (ط): الله.

أحدُهما: أنه ثنَّى الضمير هنا، إيماءً إلى أنَّ الـمُعتبر هو المجموع المركَّب من المحبَّتين. لا كل واحدة، فإنها وحدها لاغية. وأمر بالإفراد في حديث الخطيب[١]، إشعاراً بأنَّ كلَّ واحد من العصيانين مستقلٌّ باستلزام[٢] الغواية؛ إذ العطفُ في تقدير التكرير، والأصلُ استقلال كلٍّ من المعطوفين في الحكم.

الثاني: حملُ حديث الخطيب على الأدب والأولى، وهذا على الجواز.

وجوابٌ ثالث: وهو أنَّ هذا ورد على الأصل، وحديثُ الخطيب ناقلٌ[٣] فيكون أرجح.

قوله: «كما يَكره أنْ يُقذف في النار» أي: يستوي عنده الأمران. وفيه: ردٌّ على الغُلاة الذين يتوهَّمون أنَّ صدور الذنب من العبد نقصٌ في حقه مُطلقًا، وإنْ تاب منه.

والصوابُ: أنه إنْ لم يتب[٤] كان نقصاً، وإنْ تاب فلا؛ ولهذا كان المهاجرون والأنصار أفضلَ هذه الأمة، مع كونهم في الأصل كفاراً، فهداهم الله إلى/ [١/ب] الإسلام. والإسلامُ يمحو ماقبله وكذلك الهجرة، كما صح الحديثُ بذلك[٥].

---

(١) حديث عدي بن حاتم، ولفظه: أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشَد ومن يعصهما فقد غوى. فقال رسول الله ﷺ: (بئس الخطيبُ أنت. قل: ومن يعص الله ورسوله) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٨٧٠) وأبوداود في «السنن» رقم (١٠٩٩) وأحمد في «المسند» (٤/٢٥٦، ٣٧٩) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/٣٤٧).

(٢) (ط): بالزام.

(٣) في هامش (ض): اي ناقل عن الأصل.

(٤) (ط): يكن يتب.

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥) والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٩/٣٥١) وقال: ورجالهما ثقات. والبيهقي في «السنن» (٩/١٢٣) «والدلائل» (٤/٣٤٣) من حديث عمرو بن العاص، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/٢٩٨، ٤٥٤) مختصراً، وأخرجه ابن سعد من حديث الزبير، وحديث جبير بن مُطعم، كما في «الكنز» (١/٦٦).

قوله: وفي رواية «لا يجد أحدٌ» هذه الرواية أخرجها البخاريُّ في الأدب من (صحيحه). ولفظُه[١] «لا يجد أحدٌ حلاوةَ الإيمان حتى يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلاّ لله، وحتى أنْ يُقذف في النار أحبُّ إليه من أنْ يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وحتى أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما».

وقد تقدَّم أنَّ المحبة هنا: عبارةٌ عما يجده المؤمنُ من اللذة والبهجة والسرور، والإجلال والهيبة، ولوازم ذلك، قال الشاعر:

أهـابـكِ إجـلالا. ومـا بكِ قدرةٌ عليَّ، ولكن ملءُ عينٍ حبيبُهـا[٢]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تُنال ولَايةُ الله بذلك. ولن يجدَ عبدٌ طعمَ الإيمان وإنْ كثُرت صلاتُه وصومه، حتى يكون كذلك. وقد صارت عامَّةُ مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً. رواه ابنُ جرير[٣].

ش: وأخرج ابنُ أبي شيبة، وابن أبي حاتم، الجملةَ الأولى منه فقط[٤].

قوله: (من أحب في الله) أي: أحبَّ أهلَ الإيمان بالله وطاعته؛ من أجل ذلك.

قولـه: (وأبغض في الله) أي: أبغض من كفـر بالله وأشرك به، وفَسَقَ عن

---

(١) (ط): ولفظها.

(٢) من كلام مجنون ليلى «الديوان» (٧١).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه «الاخوان» رقم (٢٢) وابن المبارك في «كتاب الزهد» رقم (٣٥٣)، وأخرجه موقوفاً على ابن عمر، الطبرانيُّ في «الكبير» رقم (١٣٥٣٧) وأبو نُعيم، في «الحلية» (١/ ٣١٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٩٠): وفيه ليث بن أبي سليم، والأكثر على ضعفه.

(٤) ابن أبي شيبة في «المسند» وابن أبي حاتم في «التفسير»، وأخرجه الحكيم الترمذي، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨٧).

طاعته؛ لأجل مافعلوه مما يُسخط الله، وإنْ كانوا أقربَ الناس إليه، كما قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قوْماً يُؤمِنُون بالله واليَوْمِ الآخِرِ يُوادُّون من حادَّ الله ورسولَه ولو كانوا آباءَهم أو أبناءهم أو إخوانَهم أو عشيرتهم﴾. الآية. [المُجادَلة: ٢٢].

قوله: (ووالى في الله) هذا والذي قبله، من لوازم محبةِ العبد لله تعالى. فمن أحبَّ الله أحب فيه، ووالى أولياءه، وعادى أهلَ معصيته وأبغضهم، وجاهد أعداءه ونصر أنصاره. وكلما قويت محبةُ العبد لله في قلبه قويت هذه الأعمالُ المرتبةِ[1] عليها، وبكمالها يكملُ توحيدُ العبد، ويكون ضَعْفُها على قدر ضَعفِ محبة العبد لربه؛ فمقلٌّ، ومستكثر، ومحروم!.

[١٢٠/أ] قوله: (فإنما/ تُنال وَلايةُ الله بذلك) أي: تولِّيه لعبده. ووَلاية: بفتح الواو لا غير، أي: الأخوة والمحبة والنُّصرة، وبالكسر الإمارة، والمرادُ هنا الأول.

ولأحمد، والطبراني، عن النبي ﷺ قال: «لا يجدُ العبد صريحَ الإيمان حتى يُحبَّ لله ويبغض لله. فإذا أحبَّ لله وأبغض لله، فقد استحق الوَلاية لله»[2].

وفي حديثٍ آخر «أوثقُ عُرى الإيمان الحبُّ في الله والبغض في الله عز وجل». رواه الطبراني[3].

قوله: (ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان) إلى آخره. أي: لا يحصل له ذوقُ الإيمان ولذتهُ وسروره وإنْ كثُرت صلاتُه وصومه، حتى يكون كذلك، أي: حتى يُحبَّ في

---

(١) (ض) (هـ) (ط): المترتبة.

(٢) أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٠) والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٩) وقال: وفيه رشدين، وهو ضعيف. كلاهما من حديث عمرو بن الجموح وعمرو بن الحَمِق.

(٣) الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٧٢) و «الصغير» رقم (٦٢٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ٤٨) من حديث ابن مسعود، وله شاهدٌ من حديث البراء وابن عباس، وانظر بقية التخريج في كتاب «اوثق عُرى الإيمان» للعلامة سليمان بن عبدالله (٢٧).

الله، ويبغض في الله، ويعادي في الله، ويوالي في الله.

وفي حديث أبي أُمامة، مرفوعاً «من أحبَّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان». رواه أبوداود[1].

قوله: (وقد صارت عامةُ مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً) أي: لا ينفعهُم بل يضرهم؛ كما قال تعالى: ﴿الأخِلَّاءُ يومئذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلا المُتَّقِين﴾. [الزخرف: ٦٧].

فإذا كانت البلوى قد عمَّت بهذا في زمن ابن عباس في[2] خير القرون، فما زاد الأمرُ بعد ذلك إلا شدة. حتى وقعت الموالاةُ: على الشرك، والبدع، والفسوق، والعصيان. وقد وقع ما أخبر به ﷺ، بقوله: «بدأ الإسلامُ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»[3].

وقد كان الصحابةُ رضي الله عنهم في[4] عهد نبيهم ﷺ، وعهد أبي بكر وعمر

---

(١) أبـوداود في «السنن» رقم (٤٦٨١)، وأخـرجـه الـطبراني في «الكبير» رقم (٧٦١٣، ٧٧٣٧، ٧٧٣٨) والضياء في «المختارة» كما في «الكنز» (٩/ ١٠) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣١٥)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٥٢٣) وقال: هذا حديثٌ حسن، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٨، ٤٤٠) والموصلي في «المسند» رقم (١٤٨٥، ١٥٠٠) «والمفاريد» رقم (٣) والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٣٩٥) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦٤) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٥) من حديث معاذ بن أنس الـجُهني.

(٢) (هـ) (ط): في. ساقطة.

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (١٤٥) وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٨٩) من حديث أبي هريرة، وانظر بقية التخريج في «فصل الجواب عن استحقاق المتأخر فضل الصحاب» للعلامة حسن بن حُسين «مجلة البحوث الإسلامية»، إصدار الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية (٢٨/ ٢١٣ - ٢٣٨).

(٤) (ض) (هـ) (ط): من المهاجرين والانصار في.

[يؤثر بعضهم بعضاً على نفسه، محبةً في الله وتقرباً إليه][1]؛ كما قال تعالى: ﴿ويُؤْثِرُونَ على أنْفُسِهِم ولَوْ كانَ بهِم خصاصَةٌ﴾. [الحشر: ٩].

وعن ابن عمر، قال: لقد رأيتُنا على عهد رسول الله ﷺ، وما منا أحدُ يرى أنه أحقُّ بديناره ودرهمه من أخيه المُسلم. رواه ابنُ ماجة[2].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال ابنُ عباس، في قوله تعالى: ﴿وتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسْبَابُ﴾. [البقرة: ١٦٦] قال: المودَّة.

ش: هذا الأثَرُ رواه عبدُ بن حُميد، وابنُ جرير، وابنُ المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكمُ وصححه[3].

[١١/ب] قوله: (قال: المودَّة)، أي: التي/ كانت[4] في الدنيا، خانتهم أحوجَ ماكانوا اليها، وتبرأ بعضُهم من بعض؛ كما قال تعالى: ﴿وقال إنَّما اتَّخَذْتُم من دُونِ الله أوْثَاناً مَودَّة بَيْنِكُم في الحياةِ الدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ويَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً ومأوَاكُم النَّارُ وما لَكُم مِن ناصِرِين﴾. [العنكبوت: ٢٥].

قال العلاَّمةُ ابنُ القيِّم ـ في قوله تعالى: ﴿إذْ تَبَرَّأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورَأوا العذاب وتقطَّعت بهـم الأسباب﴾. [البقرة: ١٦٦ ـ ١٦٧].

---

(١) مابينهما ساقطُ من الأصل.

(٢) لم أجده في المطبوعة من السنن، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٨٤) والطبراني في «الكبير» رقم (١٣٥٨٣، ١٣٥٨٥) وابن أبي الدنيا في كتابه «الاخوان» رقم (١٥٧) وأبونعيم في «الحلية» (١/ ٣١٣، ٣/ ٣١٨) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨٥): رواه الطبراني بأسانيد، وبعضُها حسن.

(٣) ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٢٤٢٣) وعبد بن حُميد وابن المُنذر وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (١/ ٤٠٢) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٧٢).

(٤) (هـ) (ط): كانتْ بينهم.

فهؤلاء المتبوعون كانوا على الهُدى، وأتباعُهم ادَّعوا أنَّهم على طريقهم ومنهاجهم وهم مخالفـون لهم سالكون غيرَ طريقهم. ويزعمون أنَّ محبتهم لهم تنفعُهم مع مخالفتهم، فيتبرؤون منهم يوم القيامة؛ فإنَّهم اتخذوهم أولياء من دون الله.

وهذا حالُ كلِّ من اتخذ من دون الله وليجةً وأولياء، يوالي لهم ويُعادي لهم، ويرضى لهم[١]، ويغضب لهم. فإنَّ أعماله كلَّها باطلة، يراها يوم القيامة حسراتٍ عليه مع كثرتها وشدة تعبه[٢] فيها ونصَبه؛ إذ لم يجرِّد موالاتِه ومعاداتِه، ومحبتَه[٣] وبغضه، وانتصاره وإيثارهَ لله ورسوله. فأبطل الله عز وجل ذلك العمل كلَّه، وقطع تلك الأسباب.

فينقطعُ يوم القيامة كلُّ سببٍ ووصلة ووسيلة ومودة كانت لغير الله، ولا يبقى إلَّا السببُ الـواصـل بين العبـد وربه. وهو حظُّه من الهجرة إليه وإلى رسوله، وتجريدِه عبادتِه[٤] وحدَه ولوازِمها: من الحبِّ والبغض، والعطاء والمنع، والموالاةِ والمعاداة، والتقريب والإبعاد، وتجريدِ متابعة رسوله[٥] ﷺ تجريداً محضاً، بريئاً من شوائب الالتفات إلى غيره، فضلاً عن الشرك بينه وبين غيره، فضلا عن تقديم قولِ غيره عليه.

فهذا السببُ هو الذي لا ينقطع بصاحبه، وهذه هي النسبةُ التي[٦] بين العبد

---

(١) (ط): ويرضى لهم. ساقطة.

(٢) الأصل: وشدة تعبه. بياض.

(٣) (هـ) (ط): وحبه.

(٤) (ط): عبادته لله.

(٥) (ط): رسول الله.

(٦) (ط): التي. ساقطة.

وبـين[١] ربه، وهي نسبة العبودية [المحضة][٢]. وهي أخيتُه التي يجول مايجول وإليها مرجعُـه، ولا تتحقق إلَّا بتجـريدِ[٣] متابعة الرُّسلِ صلواتُ الله وسلامه عليهم؛ إذ هذه العبودية إنَّما جاءت على ألسنتهم، وماعُرفت إلَّا بهم، ولا سبيلَ إليها إلا بمتابعتهم/. [١٢/أ]

وقـد قال تعـالى: ﴿وقَـدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾. [الفرقان: ٢٣]. فهذه هي الأعمالُ التي كانت في الدنيا على غير سنة رُسلِه وطريقتهم، ولغير وجهه، يجعلها الله هباءً منثوراً، لا ينتفع منها صاحبُها بشيءٍ أصلاً. وهذا من أعظم الحسرات على العبد يوم القيامة، أنْ يرى سعيه ضائعاً، وقد سعد أهلُ السعي النافع بسعيهم. انتهى مُخلصاً[٤].

---

(١) (هـ) (ط): بين. ساقطة.

(٢) إضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

(٣) (ض) (هـ) (ط): بتجريده.

(٤) ابن القيم، «التبوكية» (٥٧).

(٣١)
بـــــاب
قول الله تعالى: ﴿ انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فـلا تخافوهـم وخافـون ان كنتـم مؤمنـين ﴾ .

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعـالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿إنَّما ذلِكُم الشيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلياءه فلا تخافُوهُم وخَافُونِ إنْ كُنْتُم مُؤمِنين﴾ . [آل عمران: ١٧٥].

ش: الخوفُ من أفضل مقامات الدِّين [وأجلِّها][1]، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصُها لله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿يَخافُون رَبَّهُم من فَوْقِهِم﴾ . [النحل: ٢٨] وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَـامَ رَبِّـهِ جَنَّتَـانِ﴾ . [الرحمن: ٤٦] وقال تعالى: ﴿وهُم مِن خَشْيته مُشفقون﴾ . [الأنبياء: ٢٨] [وقال تعالى: ﴿وإيَّاي فارْهَبُون﴾][2]. [البقرة: ٤٠] وقال تعالى: ﴿فلا تَخْشَوا النَّاسَ واخْشَوْنِ﴾ . [المائدة: ٤٤]، وأمثالُ هذه الآيات في القرآن كثير.

والخوفُ من حيث هو، ثلاثةُ[3] أقسام:

أحدُها: خوفُ السر، وهو أنْ يخاف من غير الله، من وثن أو طاغوت أنْ يُصيبه بما يكره؛ كما قال تعالى عن قوم هود، إنهم قالوا له: ﴿إن نَقُولُ إلَّا اعْتَراكَ بَعْضُ آلهتِنا بسُوءٍ قال إني أُشْهِدُ الله واشْهَدُوا أني بَرِيٌ مما تُشْرِكُون●من دُونه فكِيدُوني جميعاً

(١) إضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

(٢) ليست في الأصل.

(٣) (ض) (هـ) (ط): على ثلاثة.

ثُمَّ لاَ تُنْـظِرُونِ﴾. [هـود: ٥٤ ـ ٥٥] وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بالذين من دُونِهِ﴾. [الزُّمر: ٣٦] وهذا هو الواقع من عُبَّاد القبور ونحوها من الأوثان، يخافونها ويخوِّفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا يُنافي التوحيد.

الثاني: أنْ يترك الإنسانُ مايجب عليه، خوفاً من بعض الناس. فهذا مُحَرَّمٌ، وهو نوعٌ من الشرك بالله الـمُنافي لكمال التوحيد، وهذا هو سببُ نزول هذه الآية، كما قال تعالى: ﴿الذين قال لهم النَّاسُ إن النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فاخْشَوْهُم فَزَادَهُمْ إيماناً وقَالُوا حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوكيلُ • فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ من الله وفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُم سُوءٌ واتَّبَعُوا رِضْوَانَ الله والله ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ • إنَّمَا ذَلِكُم الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءه فلا تخافُوهُم وخافُونِ إن كُنْتُم مُؤمِنين﴾. [آل عمران: ١٧٣ : ١٧٥].

وفي الحديث «إن الله تعالى يقولُ للعبد يومَ القيامة: مامنعك إذْ رأيتَ الـمُنْكَر أنْ لا تُغيِّره؟ فيقول: ربِّ خشيتُ الناس. فيقول: إياي كُنتَ أحقُّ أن تخشى»[١].

[١/ب] الثالث: الخوفُ الطبيعي، وهو الخوف من عدو أو سبُع/ أو غير ذلك، فهذا لا يُذمّ؛ كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فخرج مِنْها خَائِفاً يَترقَّبْ﴾. [القصص: ٢١].

ومعنى قوله تعالى: ﴿إنَّما ذَلِكُم الشيْطانُ يُخَوِّفُ أولياءه﴾ أي: يُخوِّفكم أولياءه ﴿فـلا تخافُوهُم وخافُون إنْ كنتم مؤمنين﴾ وهذا نهيٌ من الله تعالى للمؤمنين أنْ يخافوا غيره، وأمرٌ لهم أن يقصروا خوفَهم على الله تعالى، فلا يخافون إلَّا إياه.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٧، ٢٩، ٧٧) والحُميدي في «المسند» رقم (٧٣٩) وابن حبان في «الصحيح» (٩/ ٢٣٠) وأبونُعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٨٧) من حديث أبي سعيد. وأخرجه بلفظ آخر، ابنُ ماجة في «السنن» رقم (٤٠٠٨) وأبونُعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨٤) والطيالسي في «المسند» رقم (٢٢٠٦) والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٩٠) قال البُوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٤٢): هذا إسنادٌ صحيح.

وهذا هو الإخلاصُ الذي أمر الله به عباده، ورضيه منهم. فإذا أخلصوا له الخوفَ، وجميعَ العبادة: أعطاهم مايرجون، وأمّنهم من مخاوف الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿أَلَيْس الله بِكَافٍ عَبْدَهُ ويُخَوِّفُونَك بالذين من دُونِهِ ومن يُضلل الله فما له من هاد﴾. [الزُّمر: ٣٦].

قال العلامةُ ابنُ القيِّم: ومن كيد عدو الله: أنْ يخوِّفَ المؤمنينَ من جُنده وأوليائهم؛ لئلا يُجاهدوهم، ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن مُنْكَر. وأخبر تعالى أنَّ هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أنْ نخافَه.

قال: والمعنى عند جميع الـمُفسِّرين: يخوِّفكم بأوليائه. قال قتادة: يعظمهم في صدوركم. فكلَّما قوي إيمانُ العبد زال من قلبه خوفُ أولياء الشيطان، وكلَّما ضعف إيمانه قوي خوفُه منهم. فدلَّت هذه الآيةُ على أنَّ إخلاص الخوف من شروط كمال الإيمان[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِه: ﴿إنَّما يَعْمُرُ مَساجدَ الله مَنْ آمن بالله واليَوْمِ الآخِرِ وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولَمْ يَخْشَ إلاَّ الله فعسى أُولئك أنْ يكونُوا مَن المُهْتَدِين﴾. [التوبة: ١٨].

ش: أخبر تعالى أنَّ مساجد الله لا يعمرها إلَّا أهلُ الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، وأخلصوا له الخشيةَ دون من سواه.

فأثبت لهم عمارةَ المساجد بعد أنْ نفاها عن المشركين؛ لأن عمارة المساجد بالطاعة والعمل الصالح، والمشركُ وإنْ عمل فعمله: ﴿كَسَرَابٍ بقيعةٍ يحسبُه الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾. [النور: ٣٩] أو ﴿كَرَمَادٍ اشتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ

---

(١) ابن القيم، «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/ ١٣٠).

في يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾. [ابراهيم: ١٨] وما كان كذلك فالعدمُ خيرٌ منه. فلا تكون المساجدُ عامرةً إلَّا بالإيمان الذي مُعظمه التوحيد، مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع. وذلك كلُّه داخلٌ في مسمَّى الإيمان المطلق، عند أهل السنة والجماعة.

[١٢١/أ] قوله: / ﴿وَلَمْ يَخْشَ إلا الله﴾ قال ابنُ عطية: يُريد خشيةَ التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أنَّ الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية. وينبغي أنْ يخشى في ذلك كلِّه قضاءَ الله وتصريفه[١].

قال ابنُ القيِّم رحمه الله تعالى: الخوفُ عبودية القلب، فلا يصلح إلَّا لله، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء، وغيرها من عبودية القلب[٢].

قوله: ﴿فعسى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِن المهتدين﴾ قال ابنُ أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقول: إنَّ أولئك هم المُهتدون؛ وكلُّ ﴿عسى﴾ في القرآن فهي واجبة[٣].

وفي الحديث «إذا رأيتم الرجلَ يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» قال الله تعالى: ﴿إنَّما يَعْمُرُ مساجد الله من آمن بالله واليَوْمِ الآخِرِ﴾. رواه أحمد، والترمذي، والحاكم[٤].

---

(١) ابن عطية «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (١٤٨/٨).

(٢) ينظر ابن القيم، «طريق الهجرتين» (٣٦٢).

(٣) أخرجه ابن جرير في «التفسير» رقم (١٦٥٥٥)، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» ٤/ ١٤٠).

(٤) أحمد في «المسند» (٦٨/٣، ٧٦) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٠٩٣) وقال: هذا حديثٌ حسن، والحاكم في «المستدرك» (٢١٢/١، ٣٣٢/٢)، وأخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٨٠٢) والدارمي في «السنن» رقم (١٢٢٦) وابن خُزيمة في «الصحيح» رقم (١٥٠٢) وابن حبان في «الصحيح» رقم =

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بالله فإذا أُوْذِي في الله جعل فِتْنَةَ النَّاسِ كعذاب الله﴾. [الآية العنكبوت: ١٠].

ش: قال ابنُ كثير: يقول تعالى مُخبراً عن صفات قومٍ من الـمُكذِّبين الذين يدَّعـون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت في قلوبهم: إنهم إذا جاءتهم محنـةٌ وفتنة في الدنيا، اعتقدوا أنَّها من نقمة الله بهم، فارتدوا عن الإسلام. قال ابنُ عباس: يعني: فتْنَتَه، أنْ يرتدَّ عن دينه إذا أُوذي في الله[1].

وقـال ابنُ القيِّم: النـاسُ إذا أُرسِـل إليهم الرسلُ بين أمرين: إمَّا أنْ يقول أحدُهم: آمنا. وإمَّا أنْ لا يقول ذلك، بل يستمر على السيئات والكفر. فمن قال: آمنا، امتحنه ربُّه وابتلاه وفَتَنه. والفتنةُ: الابتلاءُ والاختبار، ليتبين الصادقُ من الكاذب. ومن لم يقل: آمنا. فلا يحسب أنه يُعجزُ الله ويفوته ويسبقه.

فمن آمن بالرسل وأطاعهم عاداه أعداؤهم وآذوه، فابُتلي بما يؤلمه. ومن لم يؤمن بهم ولم يُطعهم، عُوقب في الـدنيا والآخرة، وحصل له ما يؤلمه، وكان هذا الألم أعظمَ وأدوم من ألم أتباعهم.

فلابد من حصول الألم لكل نفسٍ آمنت، أو رغبت عن الإيمان. لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءً، ثم تكون له العاقبةُ في الدنيا والآخرة.

والمعرضُ عن الإيمان تحصل له اللذةُ ابتداءً، ثم يصير في الألم الدائم.

والإنسانُ لابد أنْ يعيش مع الناس، والناسُ لهم إراداتٌ وتصورات. فيطلبون

= (١٧٢١) وأبونُعيم في «الحلية» (٨/٣٢٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٦٦) وعبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٤/١٤٠). من حديث أبي سعيد الخدري.

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/٢٧٥).

منه أنْ يوافقهم عليها، وإن لم يوافقهم آذوه وعذَّبوه، وإنْ وافقهم حصل له العذابُ/ تارةً منهم وتارة من غيرهم. [١١/ب]

كمن عنده دِينٌ وتُقى حلَّ بين قومٍ فُجَّار ظلمة، ولا يتمكَّنون من فجورهم وظلمهم إلاّ بموافقته لهم أو سكوته عنهم. فإنْ وافقهم أو سكت عنهم سلم من شرِّهم في الابتداء، ثم يتسلَّطون عليه بالإهانة والأذى أضعاف ماكان يخافه ابتداءً لو أنكر عليهم وخالفهم، وإن سلِم منهم فلا بد أنْ يُهان ويعاقب على يد غيرهم.

فالحزمُ كل الحزم في الأخذ بما قالت أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها لمعاوية رضي الله عنه «من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونةَ الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يُغنوا عنه من الله شيئا»[١].

فمن هداه الله وألهمه رُشده، ووقاه شرَّ نفسه، امتنع من الموافقة على فعل المحرم، وصبر على عداوتهم، ثم تكونُ له العاقبةُ في الدنيا والآخرة؛ كما كانت للرسل وأتباعهم.

ثم أخبر عن حال الداخلِ في الإيمان بلا بصيرة، وأنَّه إذا أُوذي في الله جعل فتنةَ الناس له، وهي أذاهُم ونيلهم إياه بالمكروه، وهو الألمُ الذي لابد أنْ ينال الرسلَ وأتباعهم ممن خالفهم، جعل ذلك ـ في فراره منه وتركه السببَ الذي يناله به ـ كعذاب الله الذي فرَّ منه المؤمنون بالإيمان.

فالمؤمنون لكمال بصيرتهم، فرُّوا من ألم عذاب الله إلى الإيمان، وتحمَّلوا مافيه من الألم الزائل المُفارقِ عن قُرب.

---

(١) أخرجه موقوفاً: الترمذي في «الجامع» (٧/ ١٣٣)، وأحمد في «الزهد» وأبوداود في «الزهد» رقم (٣٢٢)، والبيهقي في «الزهد» رقم (٨٨٦)، والقاضي وكيع في «الأخبار» (١/ ٣٨) بإسناد صحيح، عن عائشة.

وهذا من ضعف بصيرته، فرَّ من ألم (١ أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم. ففرَّ من ألم١) عذابهم إلى ألم عذاب الله، فجعل ألمَ فتنة الناس ـ في الفرار منه ـ بمنزلة عذاب الله. وغُبن كل الغبن؛ إذ استجار من الرَّمْضاء بالنار، وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد، وإذا نصر الله جُنده وأولياءه، قال: إني كنتُ معكم، والله أعلم بما انطوى عليه صدرُه من النفاق. انتهى[٢].

وفي الآية: ردٌّ على الـمُرجئة والكَرَّامية، (٣ووجهه: أنَّه لم ينفع هؤلاء قولُهم: آمنا بالله. مع عدم صبرهم على أذى من عاداهم في الله، فلا ينفع القولُ والتصديق بدون العمل، فلا يصدق الايمانُ الشرعي على الانسان إلَّا باجتماع الثلاثة: التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان. وهذا قولُ أهل السنة والجماعة، سلفاً وخلفاً. والله سبحانه أعلم٣).

(٤وفيه: الخوفُ من مداهنة/ الخلق، والمعصومُ من عصمه الله٤). [١٢٣/أ]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن أبي سعد مرفوعاً: «إنَّ من ضَعف اليقين: أنْ تُرضي الناسَ بسخط الله، وأنْ تحمَدهم على رزق الله، وأنْ تَذُمَّهم على مالم يؤتك الله، إنَّ رزقَ الله لا يُجرُّه حرصُ حريص، ولا يرده كراهية كاره».

ش: هذا الحديثُ رواه أبونُعيم في (الحلية)، والبيهقي[٥]. وأعلَّه بمحمد بن

---

(١) مابينهما معَّلقٌ في هامش الأصل.

(٢) ابن القيم، «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٨٩).

(٣) مابينهما ساقط من (ض).

(٤) مابينهما ساقط من (ط).

(٥) أبونعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٦، ١٠/ ٤١) والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٢٠٣).
ولە شاهدٌ من حديث ابن مسعود، أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٠٥١٤) وأبو نعيم في «الحلية» =

مروان السُّدي، وقال: ضعيف(١). وفي إسناده(٢) أيضاً: عطيةُ العوفي، ذكره الذهبيُّ في (الضعفاء)(٣). (٤وموسى بن بلال، قال الأزدي: ساقط٤).

وتمامُ الحديث(٥): «وإنَّ الله بحكمته جعل الروحَ والفرح في الرضى واليقين، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط».

(٦والحديثُ وإنْ كان في إسناده مَن ذُكر، فمعناه صحيح٦).

قوله: «إنَّ من ضعف اليقين» [الضعف: يُضمُّ ويحرك، ضد القوة، ضعُف ككرم ونصر، ضعفاً، وضعفة، وضعافية، فهو ضعيف وضعوف وضعفان، والجمع: ضِعاف وضُعفاء وضَعفة وضَعْفى وضعافى.

أو الضَّعف ـ بالفتح ـ في الرأي، وبالضم في البدن، فهي ضعيفة وضعوف](٧). واليقين: المرادُ به الإيمان كله(٨)؛ كما قال ابنُ مسعود: اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان. رواه الطبراني بسند صحيح(٩)، [وأبونعيم في

= (٤/١٢١، ٧/١٣٠) والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٠٤) بإسناد حسن. وشاهد عن ابن مسعود موقوفاً، أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٢٠٥).

(١) قال ابن حجر في «التقريب»، (٥٠٦): متهم بالكذب، من الثامنة.

(٢) (ض)(هـ)(ط): وفيه.

(٣) الذهبي «المغني» (٢/٤٣٦) وقال في «التقريب» (٣٩٣): صدوق يخطيء كثيراً، وكان شيعياً مدلِّساً.

(٤) مابينهما ساقط من (ض) و (هـ) و (ط). وينظر: الذهبي، «ميزان الاعتدال» (٤/٢٠١).

(٥) (ض)(هـ)(ط): وتمامه.

(٦) مابينهما ساقط من (ض) و(هـ) و(ط).

(٧) في الأصل: قال في المصباح: الضعف بفتح الضاد، لغة تميم. وبضمها، لغة قريش. خلاف القوة والصحة.

(٨) (ض)(هـ)(ط): كمال الايمان.

(٩) : الطبراني بسند صحيح. ليست في (ض) و(هـ) و(ط).

(الحلية)، والبيهقي في (الزهد) من حديثه مرفوعا[(١)] .

قال[(٢)] : ويدخل في ذلك تحقيقُ الإيمان بالقَدَر السابق؛ كما في حديث ابن عباس مرفوعاً «فإنْ استطعت أنْ تعمل بالرضى في اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإنَّ في الصبر على ماتكره خيراً كثيراً»[(٣)] وفي رواية: قلت: يارسول الله كيف أصنع باليقين؟ قال: «أنْ تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»[(٤)]][(٥)] .

قوله: «أنْ تُرضي الناس بسخط الله» أي: تؤثر رضاهم على رضى الله، [(٦)]بأنْ توافقهم على ترك ما أمر الله به، وفعلِ مانهى عنه؛ أستجلابًا لرضاهم.

وهذا يُنافي قوَّةَ اليقين، وكمال الإيمان في إيثار مايُرضي الله على ما تهواه النفوس، والصبر على مخالفة هواها؛ كما قال تعالى: ﴿الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيبا﴾ . [الأحزاب: ٣٩][(٦)].

---

(١) الطبراني في «الكبير» رقم (٨٥٤٤) وأبونعيم في «الحلية» (٥/٣٤) والبيهقي في «الزهد» (١/٢٨)، وأخرجه موقوفاً وكيع في «الزهد» رقم (٢٣) والخطيب في «التاريخ» (١٣/٢٢٦) والحاكم في «المستدرك» (٢/٤٤٦) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» رقم (٤٧)، وذكره البخاري في «الصحيح» (١/٤٥) معلقاً. قال ابن حجر في «الفتح» (١/٤٨) أثر وصله الطبراني بسند صحيح، ولا يثبت رفعه. وقال المُنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/٢٧٧): ورواته رواة الصحيح، وهو موقوف. وقد رفعه بعضُهم.

(٢) أي صاحب «تيسير العزيز الحميد» (٤٩).

(٣) أخرجه أبونُعيم في «الحلية» (١/٣١٤) والحاكم في «المستدرك» (٣/٥٤١).

(٤) أخرجه الأجري في «الشريعة» (١٩٨) قال ابنُ رجب في «الجامع» (١٨٤): إسنادُه ضعيف. وللحديث شاهد من حديث ابن عباس. أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٥١٦) وأحمد في «المسند» (١/٢٩٣) وأبو يعلى في «المسند» رقم (٢٥٥٦).

(٥) مابينهما إضافة من (ض) و(هـ) و (ط).

(٦) مابينهما ساقط من (ض) و (هـ) و (ط).

[وذلك إذا لم يقُم بقَلْبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته، مايمنعه من استجلاب رضى المخلوق بما يجلب له سخطَ خالقه وربه ومليكه، الذي يتصرفُ في القلوب ويفرِّج الكروب، ويغفر الذنوب.

وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك؛ لأنه آثر رضى المخلوق على رضى الله، وتقرب إليه بما يسخط الله. ولا يسلم من هذا إلاَّ من سلَّمه الله، ووفَّقه لمعرفته، ومعرفة مايجوز على الله من إثبات صفاته على مايليق بجلاله، وتنزيهه تعالى عن كل مايُنافي كماله، ومعرفةِ توحيده في ربوبيته وإلهيته، وبالله التوفيق][1].

قوله: «وأنْ تحمَدهم على رزق الله» أي: على ماوصل إليك على أيديهم، بأنْ تضيفَه إليهم وتحمدهم عليه؛ فإنَّ المتفضل في الحقيقة هو الله وحده، الذي قدَّره لك وأوصله إليك، وإذا أراد أمراً قيَّض له أسباباً.

ولا يُنافي هذا حديثَ «من لا يشكر الناسَ لا يشكر الله»[2]؛ لأن شكرهم إنَّما هو في الدعاء لهم، لكون الله ساقه على أيديهم، فتدعو لهم أو تكافئهم؛ لحديث «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإنْ لم تجدوا ماتكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[3] فإضافةُ الصَّنيعةِ إليهم لكونهم صاروا سبباً في إيصال المعروف إليك، والذي قدَّره وساقه هو الله وحده.

---

(١) إضافةٌ من (ض) و(هـ) و(ط).

(٢) أخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٤٨١١)، والترمذي في «الجامع» رقم (١٩٥٤) وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح، وأحمد في «المسند» (٢/٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٨٨) والطيالسي في «المسند» رقم (٢٤٩١) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢١٨) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/٧٧) رواته ثقات. من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه أبوداود في «السنن» رقم (١٦٧٢، ٥١٠٩) والنسائي في «المجتبى» (٥/٨٢) وأحمد في «المسند» (٢/٦٨، ٩٩، ١٢٧) من حديث ابن عمر.

قوله : / «وأنْ تذمَّهم على مالم يؤتك الله» لأنَّه لم يقدِّر لك ماطلبته على أيديهم، [١٢٣/ب] فلو قُدِّر لك لساقته المقاديرُ إليك. فمن عَلِم أنَّ المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأنَّه الذي يرزق العبدَ بسببٍ وبلا سبب، ومن حيثُ لايحتسب، لم يمدح مخلوقاً على رزق، ولم يذمّه على منع، ويفوِّض أمرَه إلى الله، ويعتمد عليه في أمور دينه ودنياه.

وقد قرَّر هذا المعنى بقوله في الحديث «إنَّ رزق الله لا يجرُّه حرصُ حريص، ولا يرده كراهيةُ كاره»؛ كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ الله لِلنَّاسِ مِن رَحْمَةٍ فلا مُمْسِك لها وما يُمْسِكْ فلا مُرْسِل لَهُ مِن بَعْدِهِ وهو العزيز الحكيمُ﴾. [فاطر: ٢].

قال شيخُ الإسلام: اليقينُ يتضمَّن اليقينَ في القيام بأمر الله وما وعد الله أهلَ طاعته، ويتضمَّن اليقينَ بَقدَر الله وخلْقه وتدبيره. فإذا أرضيتَهم بسخط الله لم تكن موقناً لا بوعده ولا برزقه، فإنه إنما يحمل الإنسانَ على ذلك: أمَّا ميلٌ إلى ما في أيدي الناس، فيترك القيامَ فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم. وإمَّا ضعفُ تصديقه بما وعد الله أهل طاعته، من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة. فإنك إذا أرضيتَ الله، نصرك ورزقك وكفاك مؤونتهم.

وإرضاؤهم بما يَسخَطُه إنما يكون خوفاً منهم ورجاءً لهم، وذلك من ضعف اليقين. وإذا لم يُقدَّر لك ماتظن أنهم يفعلونه معك، فالأمرُ في ذلك إلى الله لا لهم؛ فإنَّه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على مالم يُقدَّر كان ذلك من ضعف يقينك.

فلا تَخَفْهم ولا ترجهم، ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك. ولكن من حَمدَهَ الله ورسوله فهو المحمود، ومن ذمَّه الله ورسوله منهم فهو المذموم.

ولما قال بعضُ وفد بني تميم: أي محمد، أعطني! فإنَّ حَمْدي زيْن، وذمِّي شيْن،

قال ﷺ: «ذاك الله»[١] انتهى[٢].

ودلَّ الحديثُ على أنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ الأعمال من مسمَّى الإيمان.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من التمس رِضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رِضى الناس بسخط الله، سَخِطَ الله عليه وأسخط عليه/ الناس» رواه ابنُ حبان في (صحيحه)[٣]. [١٢٤/أ]

ش: هذا الحديثُ: رواه ابنُ حبان بهذا اللفظ، ورواه الترمذيُّ عن رجلٍ من أهل المدينة، قال: كتب معاويةُ، إلى عائشة: أنْ اكْتُبي لي كتاباً تُوصيني فيه، ولا تُكثري عليَّ، فكتبت عائشةُ إلى معاوية: سلامٌ عليك، أمَّا بعد: فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونةَ الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله وكَلَه الله إلى الناس» والسلام عليك. ورواه أبونُعيم[٤].

قوله: «من التمس»: أي: طلب.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٨، ٦/ ٣٩٣، ٣٩٤) والطبراني في «الكبير» رقم (٨٧٨) من حديث الأقرع بن حابس، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٢٦٧) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ، وأبونعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٩٦) من حديث البراء بن عازب.

(٢) (ض)(هـ)(ط): انتهى ساقطة. ابن تيمية «مجموع الفتاوى» (١/ ٥١).

(٣) ابن حبان في «الصحيح» (١/ ٢٤٧)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٤٣٦، ٥٧٣)، والبيهقي في «الزهد» رقم (٨٨٥) والقضاعي في «المسند» رقم (٥٠١)، وذكره الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ٢٨٨).

(٤) (ط): أبونعيم في الحلية. أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٤١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٨٨).

قال شيخُ الإسلام: وكتبت عائشةُ إلى معاوية، وروي أنَّها رفعته: «من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يُغنوا عنه من الله شيئاً» هذا لفظ المرفوع.

ولفظُ الموقوف: من أرضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناسَ، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامدُه من الناس له ذامًّا.

وهذا من أعظم الفقه في الدين؛ فإنَّ من أرضى الله بسخطهم كان قد اتَّقاه، وكان عبْدَه الصالح، والله يتولى الصالحين، والله كافٍ عبده ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً ● وَيَرْزُقْهُ من حَيْثُ لا يَحْتَسِبْ﴾. [الطلاق: ٢ ـ ٣] والله يكفيه مؤونةَ الناس بلا ريب!.

وأمَّا كونُ الناس كلِّهم يرضون عنه، فقد لا يحصل ذلك، لكن يرضون عنه إذا سَلِموا من الأغراض، وإذا تبيَّن لهم العاقبة. «ومن أرضى الناس بسخط الله لم يُغنوا عنه من الله شيئاً» كالظالم الذي يَعضُّ على يديه.

وأمَّا كون حامدِه ينقلب ذاماً، فهذا يقع كثيراً، ويحصل في العاقبة. فإنَّ العاقبة للتقوى، لا تحصل ابتداءً عند أهوائهم. انتهى[1].

وقد أحسن من قال:

إذا صحَّ منك الودُّ ياغاية الـمُنى فكـلُّ الذي فوق التراب تُراب[2]

قال ابنُ رجب: فمن تحقق أنَّ كل مخلوقٍ فوق التراب فهو تراب، فكيف يقدِّم

---

(١) ابن تيمية «مجموع الفتاوى» (١/٥٢).

(٢) من كلام أبي فِراس الحمْداني. نقله ابنُ القيِّم في «مدارج السالكين» (٢/٣٠١، ٣/١٧٨)

طاعةَ من هو تراب على طاعةَ رب الأرباب؟ أم كيف يُرضي التراب بسخط الملك الوهاب؟ إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب[1] .

[١١/ب] وفي الحديث: عقوبةُ من خاف الناس/ وآثر رضاهم على الله، وأنَّ العقوبة قد تكون في الدين. عياذاً بالله من ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً في قُلُوبِهِم إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا الله ما وعَدُوهُ وبِمَا كانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٨].

---

(١) ابن رجب، «نور الاقتباس» (٨٩).

(٣٢)
بـــــاب
قول الله تعالى: ﴿ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ﴾

قال الـمُصنِّفُ رحمـه الله تعـالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿وعَلى الله فتوكَّلُوا إنْ كُنْتُم مُؤمِنِين﴾. [المائدة : ٢٣].

ش: قال أبـوالسعـادات: يقال: توكَّل بالأمر: إذا ضمن القيامَ به، ووكَّلتُ أمـري إلى فُلان: إذا اعتمدتُ عليه، ووكَّل فلانٌ فلاناً: إذا استكفاه أمرَه ثقةً بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه. انتهى(١).

وأراد المصنفُ بهذه الترجمة بالآية: بيانَ أنَّ التوكل فريضةٌ يجب إخلاصُه لله تعالى؛ فإنَّ تقديم المعمول يُفيد الحصر، أي: وعلى الله فتوكلوا لا على غيره، فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها، لما ينشأُ عنه من الأعمال الصالحة. فإنَّه إذا اعتمد على الله في جميع أمـوره الـدينية والدنيوية، دون كلِّ من سواه، صح إخلاصُه ومعاملته مع الله تعالى.

فهو من أعظم منازل ﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نسْتَعِينُ﴾ فلا يحصل كمالُ التوحيد بأنواعه الثلاثة إلَّا بكمال التوكل على الله؛ كما في هذه الآية، وكما قال تعالى: ﴿إن كُنْتُم آمَنْتُم بالله فَعَلَيْهِ تَوكَّلُوا إنْ كُنْتُم مُسْلِمِين﴾. [يونس: ٨٤] وقوله: ﴿ربُّ المشرِقِ والمغْرِبِ لا إله إلا هُو فاتخذْهُ وكيلاً﴾. [المزمل: ٩] والآياتُ في الأمر به كثيرةٌ جدًّا.

---

(١) ابن الأثير، «النهاية» (٥/ ٢٢١).

قال الإمامُ أحمد: التوكلُ عملُ القلب[١].

وقال ابنُ القيِّم في معنى الآية الـمُترجَم بها: فجعل التوكلَ على الله شرطاً في الإيمان، فدلَّ على انتفاء الإيمان عند انتفائه، وفي الآية الأخرى: ﴿قال موسى ياقَوْمِ إنْ كُنْتُم آمَنْتُم بالله فعَلَيْهِ توكَّلُوا إنْ كُنْتُم مُسلمين﴾. [يونس: ٨٤] فجعل دليلَ صحةِ الإسلام التوكل، وكلَّما قوي توكُّلُ العبد كان إيمانهُ أقوى[٢]، وإذا ضعُف الإيمانُ ضعف التـوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً كان دليلاً على ضعف الإيمان ولابد. والله تبارك وتعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية.

فظهـر أنَّ التـوكـل أصـلٌ لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأنَّ منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس[٣]؛ فكما لا يقوم الرأسُ إلَّا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمانُ ومقاماته/ وأعمالُه إلَّا على ساق التوكل[٤]. [١٢٥/أ]

قال شيخُ الإسلام: وما رجا أحدٌ مخلوقاً أو توكل عليه إلَّا خاب ظنُّه فيه؛ فإنَّه مُشرك: ﴿وَمَنْ يُشرِكْ بالله فكأنما خرَّ من السماء، فتخْطَفُه الطَّيْرُ أو تَهْوي بهِ الرِّيحُ في مكانٍ سحِيقٍ﴾. [الحج: ٣١].

قال الشارحُ: قلتُ: لكنَّ التوكُّلَ على [غير][٥] الله قسمان:

أحدُهما: التوكلُ في الأمور التي لا يقدر عليها إلَّا الله، كالذي يتوكَّلُ[٦] على

---

(١) نقله ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ١١٤). و«طريق الهجرتين» (٣٢٩).

(٢) (ض) (هـ) (ط)، و«الطريق»: وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى.

(٣) الأصل: الرأس من الجسد. ولعل المثبت هو الصواب.

(٤) ابن القيم «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (٣٢٧ ـ ٣٣٠).

(٥) ساقطٌ من جميع النسخ، والاضافة من «الشرح».

(٦) (ض) (هـ) (ط): كالذين يتوكلون.

الأمواتِ والطواغيت في رجاء مطالبهم : من نصرٍ أو حفظ أو رزق أو شفاعة ، فهذا شركٌ أكبر.

الثاني : التوكُّلُ في الأسباب الظاهرة ، كمن يتوكَّلُ على أميرٍ أو سُلطان فيما أقدره الله تعالى عليه : من رَزق ، أو دفع أذى ونحو ذلك ، فهو نوعُ شركٍ أصغر.

والوكالةُ الجائزة : هي توكيلُ الإنسان في فعل مايقدر عليه نيابةً عنه ، لكن ليس له أنْ يعتمد عليه في حصول ماوكَّله عليه[١] ، بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبهُ بنفسه أو نائبه ، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلُها ، ولا يعتمد عليها ، بل يعتمد على المسبِّب الذي أوجد السبب والمُسبَّب[٢].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى : وقوله : ﴿إنَّما المُؤمِنُون الذين إذا ذُكِر الله وجِلَتْ قُلُوبُهُم وإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِم آيَاتُهُ زَادَتْهُم إيماناً وعَلى رَبِّهِم يتوَكَّلُونَ﴾ . [الأنفال : ٢].

ش: قال ابنُ عباس في الآية : المنافقون ، لا يدخل في قلوبهم شيءٌ من ذكر الله عنـد أداء فرائضه ، ولا يُؤمنون بشيءٍ من آيات الله ، ولا يتوكَّلونَ على الله ، ولا يُصلُّون إذا غابوا ، ولا يؤدُّون زكاة أموالهم . فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين ، فقال : ﴿إنَّما المؤمِنُون الذين إذا ذُكِر الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُم﴾ فأدَّوا فرائضه . رواه ابنُ جرير ، وابنُ أبي حاتم[٣].

ووَجَلُ القلب من الله يستلزمُ القيامَ بفعل ما أمر به ، وترك مانهى عنه .

---

(١) (ض) (هـ) (ط) : ماوكل فيه .

(٢) سليمان بن عبدالله ، «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (٤٩٧) .

(٣) ابنُ جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٥٦٨٤) . وابن أبي حاتم في التفسير كما في «الدر المنثور» (١١/٤) ، وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١٦٠٢) .

قال السُّدّي: ﴿الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُم﴾. هو الرجلُ يُريد أنْ يظلم، أو قال: يَهِمَّ بمعصية، فيقَال له: اتق الله، فيجلُ قلبُه. رواه ابنُ أبي شيبة، وابن جرير[1].

قوله: ﴿وإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِم آياتُهُ زَادَتهُم إيماناً﴾ استدلَّ الصحابةُ والتابعون ومن تبعهم من أهل السُّنة، بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونُقصانه.

قال عُمير بن حبيب، الصحابي: إنَّ الإيمان يزيدُ وينقص. فقيل له: وما زيادتُه ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخشيناه، / فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيَّعنا، فذلك نقصانه. رواه ابنُ سعد[2]. [١٢/ب]

وقال مُجاهد: الإيمانُ يزيد وينقُص، وهو قولٌ وعمل. رواه ابنُ أبي حاتم[3].

وحكى الإجماعَ على ذلك الشافعيُّ، وأحمدُ، وأبوعبيد، وغيرُهم[4].

وقوله: ﴿وعَلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، مفوِّضين إليه أمورهم. فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلَّا إياه، ولا يرغبون إلَّا إليه، يعلمون

---

(١) ابن أبي شيبة كما في «الدر المنثور» (١٢/٤) وابن جرير في «التفسير» رقم (١٥٦٩٠)، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في «الشعب» كما في «الدر المنثور» (١٢/٤).

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في«السن» رقم (٦٢٤) وابن أبي شيبة في «الايمان» رقم (١٤) وابن بطه الحنبلي في «الإبانة» رقم (١١٣١) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقادة رقم (١٧٢١) والبيهقي في «شعب الايمان» رقم (٥٥).

(٣) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» رقم (٦١١) والآجري في «الشريعة» (١١١) وابن بطة الحنبلي في «الابانة» رقم (١١٦٧) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١٧٢٨) والبيهقي في «شعب الايمان» رقم (٥٩).

(٤) أخرجه ابن بطه الحنبلي في «الإبانة» رقم (١١٤٦) اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١٥٩٢) وينظر «شرح السنة» للبغوي (٣٨/١) وكتاب «الايمان» لابن تيمية (١٢٣) ومابعدها.

أنَّ ماشاء كان، ومالم يشأ لم يكن، وأنه المتصرفُ في الـمُلْك وحده، والمعبودُ وحده لا شريك له.

وفي الآية: وصفُ المؤمنين حقاً بثلاث مقامات من مقامات الإحسان، وهي: الخـوفُ، وزيادةُ الإيمان، والتوكلُ على الله وحده. وهذه المقامات تقتضى كمالَ الإيمان، وحصول أعماله الباطنة والظاهرة. مثال ذلك: الصلاة، فمن أقام الصلاة وحافظ عليها، وأدَّى الزكاة كما أمره الله، استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات، وترك جميع المحرمات؛ كما قال تعالى: ﴿إنَّ الصَّلاَة تنهى عن الفحْشَاءِ والْمُنْكَرِ ولَذِكْرُ الله أكبر﴾. [العنكبوت: ٤٥].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿يا أَيُّهَا النبيُّ حَسْبُك الله ومن اتَّبَعَك مِن المؤمِنِين﴾. [الأنفال: ٦٤].

ش: قال ابنُ القيِّم: أي: الله وحده كافيك وكافي أتباعَك، فلا تحتاجون معه إلى أحد. وهذا اختيارُ شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقيل: المعنى: حسْبُك الله، وحسْبك المؤمنون.

قال ابن القيِّم: وهــذا خطأٌ محض، لا يجوز حملُ الآية عليه؛ فإنَّ الحسْب والكفـاية لله وحـده، كالتـوكل والتقوى والعبادة، قال تعالى: ﴿وإنْ يُرِيدُوا أن يخدعوك فإنَّ حَسْبَكَ الله هُو الذي أيَّدَك بِنصرِهِ وبالمؤمِنِين﴾. [الأنفال: ٦٢].

ففرَّق بين الحسْب والتأييد، فجعل الحسْبَ له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده، وأثنى على أهل التوحيد من عباده حيث أفردوه بالحسب، فقال تعالى: ﴿الذين قال لهم الناسُ إنَّ النَّاس قد جَمَعُوا لَكُم فاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُم إيمَاناً وقالوا حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوكيلُ﴾. [آل عمران: ١٧٣] ولم يقولوا: حَسْبنا الله ورسولُه. ونظيرُ

هذا قوله سبحانه: ﴿وقالوا حَسْبُنا الله سَيؤتينا الله من فَضْلِهِ ورَسُولُه إنَّا إلى الله رَاغِبُون﴾. [التوبة: ٥٩].

[١٢٦/أ] فتأمَّل كيف جعل الإِيتاء لله والرسول، وجعل الحسبَ له وحده، فلم يقل: / حسبنا الله ورسوله، بل جعله خالصَ حقَّه؛ كما قال: ﴿إنَّا إلى الله رَاغِبُونَ﴾ فجعل الرغبةَ إليه وحده، كما قال: ﴿وإلى رَبِّك فارْغَبْ﴾. [الشرح: ٨] فالرغبةُ والتوكل والإِنابة والحسْبُ لله وحده؛ كما أنَّ العبادة والتقوى والسجود والنذر والحلف لا يكون إلَّا له سُبحانه وتعالى. انتهى[١].

وبهذا يتبينَّ مطابقةُ الآية للترجمة؛ فإذا كان هو الكافي لعبده، وجب ألَّا يتوكل إلَّا عليه. ومتى التفت بقلبه إلى سواه، وُكِل[٢] إلى من التفت إليه؛ كما في الحديث: «مَنْ تَعلَّقَ شَيْئاً وُكل إليه»[٣].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِه: ﴿وَمَنْ يتوكَّل على الله فهو حَسْبُهُ﴾. [الطلاق: ٣].

ش: قال ابنُ القيِّم[٤]: أي: كافيه. ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدو، ولا يضرُّه إلَّا أذىً لا بُدَّ منه، كالحر والبرد والجوع والعطش. وأمَّا أنْ يضره بما يبلغ به مُراده[٥]، فلا يكون أبداً. وفرقٌ بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء، وفي الحقيقة إحسانٌ وإضرارٌ بنفسه، وبين الضُّر[٦] الذي يتشفَّى[٧] به منه.

---

(١) ابن القيم «زاد المعاد» (١/٣٥-٣٧) وانظر ابن تيمية «مجموع الفتاوى» (١٠/٢٩٣، ١٠/١٥٤).

(٢) (هـ) (ط): وكله الله.

(٣) مضى تخريجُه.

(٤) (هـ) (ط): قال ابن القيِّم رحمه الله وغيره.

(٥) (ط): مراده منه.

(٦) (ض) (هـ) (ط): الضرر.

(٧) (ض): يشتفي.

قال بعضُ السلف: جعل الله لكل عملٍ جزاءً من نفسه، وجعل جزاءَ التوكل عليه نفسَ كفايته، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على الله فهو حَسْبُهُ﴾ ولم يقل: فله كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال. بل جعل نفسَه سبحانه كافي عبده المتوكِّل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبدُ على الله حقَّ توكله، وكادته السمواتُ والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجاً، وكفاه[1] ونصره. انتهى[2].

وفي أثرٍ رواه أحمد في (الزهد)، عن وهب بن مُنبِّه، قال الله عزَّ وجل في بعض كُتبه: بعزتي، إنَّه من اعتصم بي فكادته السمواتُ بمن فيهن والأرضون بمن فيهن، فإني أجعلُ له من ذلك مخرجاً. ومن لم يعتصم بي، فإني أقطعُ يديه من أسباب السماء، وأخسف من تحت قدميه الأرض، فأجعلُه في الهواء، ثم أكِلُه إلى نفسه. كفى بي لعبدي مآلاً، إذا كان عبدي في طاعتي أُعطيه قبل أنْ يسألني، وأستجيب له قبل أنْ يدعوني، فأنا أعلم بحاجته التي ترفق به منه[3].

وفي الآية: دليلٌ على فضل التوكل، وأنه أعظمُ الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار؛ لأنَّ الله علَّق الجملةَ الأخيرة على الأولى تعليقَ الجزاءِ على الشرط، فيمتنع أنْ يكون وجودُ الشرط كعدمه، لأنه تعالى رتب الحكم على الوصف المناسب له، فعُلم أنَّ توكله هو/ سببُ كون الله حسْباً له. [١٢٦/ب]

وفيه: تنبيهٌ على القيام بالأسباب مع التوكل؛ لأنه تعالى ذكر التقوى، ثم ذكر التوكل، كما قال: ﴿واتَّقُوا الله وعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمِنُونَ﴾. [المائدة: ١١]، فجعل

---

(١) (ض): وكفاه ورزقه. (هـ) ورزقه (ط): وكفاه رزقه.

(٢) ابن القيم «تفسير سورة الفلق/ التفسير القيم» (٥٨٧).

(٣) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» رقم (٤٩٦) وتمام في «الفوائد»، وانظر بقية التخريج في «حجة التحريض» (٢٥).

التوكل مع التقوى، الذي هو قيامٌ بالأسباب المأمور بها. فالتوكلُ بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجزٌ محض، وإنْ كان مشوباً بنوع من التوكل.

فلا ينبغي للعبد أنْ يجعل توكلَه عجزاً، ولا عجزه توكلاً، بل يجعل توكلَه من جملة الأسباب التي لا يتم المقصودُ إلا بها كلها. ذكره ابنُ القيِّم بمعناه[1].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، قال: حَسْبُنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيمُ ﷺ حين أُلْقِي في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا له: ﴿إنَّ النَّاس قَدْ جَمَعوا لكُم فاخْشَوْهُم فزادَهُم إيماناً وقالُوا حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل﴾. [آل عمران: ١٧٣] رواه البخاري[2][3].

ش: قولـه: (حَسْبُنَا الله)، أي: كافينا، فلا نتوكل[4] إلَّا عليه؛ قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾. [الزُّمر: ٣٩].

قوله: (ونِعْمَ الوكيلُ): أي: نِعْم الموكول إليه؛ كما قال تعالى: ﴿واعْتَصِمُوا بالله هُوَ مولاكُم فنِعْمَ المَوْلى ونِعْمَ النَّصِيرُ﴾. [الحج: ٧٨] ومخصوصُ نِعم، محذوفٌ تقديره: هو.

قال ابنُ القيِّم: هو حسبُ من توكَّل عليه وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمِّن خوف الخائف، ويجير المستجير. فمن تولَّاه واستنصر به وتوكَّل عليه، وانقطع بكُلِّيته إليه، تولَّاه وحفظه وحرسه وصانه. ومن خافه واتقاه، أمَّنه مما يخاف ويحذر، ويجلب إليه ما يحتاج إليه من المنافع[5].

---

(١) ابن القيم، «مدارج السالكين» (٢/ ١٢٨).

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (٤٥٦٣، ٤٥٦٤)، وأخرجه النسائي في «الكبرى/ كتاب التفسير» كما في «تحفة الأشراف» (٥/ ٢٣٨) وانظر بقية التخريج في «حجة التحريض» (٢٤).

(٣) (ط): رواه البخاري والنسائي.

(٤) (ط) نتكل.

(٥) ينظر: ابن القيم «طريق الهجرتين» (٣٣١).

قوله: (قالها إبراهيمُ ﷺ حين أُلقي في النار). قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وانْصُرُوا آلهتَكُم إنْ كُنْتُم فاعِلِينَ • قُلْنا يانَارُ كُوني بَرْداً وسَلاماً على إبْراهِيم • وأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجعَلْنَاهُم الأخْسرِين﴾. [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

قوله: وقالها محمَّدٌ ﷺ حين قالوا له: ﴿إنَّ النَّاس قَدْ جَمَعُوا لكُم فاخْشَوْهُم فَزَادَهُم إيمَاناً وقَالُوا حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوكيلُ﴾.

وذلك بعد مُنصرف قريش والأحزاب من أُحد: بلغه أنَّ أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا الكَرَّة عليهم، فخرج النبيُّ ﷺ في سبعين راكباً حتى انتهى إلى حَمراء الأسد[١]، فألقى الله الرُّعب في قلب أبي سفيان. فرجع إلى مكة بمن معه، ومر به ركبٌ من عبدالقيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نُريد المدينة. قال: فهل أنتمُ مبلِّغون محمداً عني / رسالة؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنَّا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتَهم. فمر الرَّكبُ برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبوسفيان. فقال: «حسبنا الله ونعم الوكيل»[٢]. [١٢٧/]

ففي هاتين القصتين: فضلُ هذه الكلمة العظيمة، وأنها قولُ الخليلين عليهما السلام، في الشدائد.

وجاء في الحديث «إذا وقعتم في الأمر العظيم، فقولوا: حسبُنا الله ونعم الوكيل»[٣][٤].

---

(١) موضعٌ على ثمانية أميال من المدينة «مُعجم البلدان» لياقوت الحموي (٢/ ٣٠١).

(٢) أخرجه الطبري في «التفسير» رقم (٨٢٤٣) في سياق طويل، عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

(٣) أخرجه ابن مردويه في «التفسير» كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٤٨) وقال: هذا حديثٌ غريب من هذا الوجه.

(٤) ينظر في الباب: ابن تيمية «رسالة في تحقيق التوكل/ جامع الرسائل» (١/ ٨٦).



(٣٣)
بــــــاب
قـول الله تعالـى: ﴿ افامنـوا مكـر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ﴾

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ الله فَلا يَأمَنُ مَكْرَ الله إلَّا القَوْمُ الخاسرون﴾. [الأعراف: ٩٩].

ش: قصد المصنفُ رحمه الله تعالى بهذه الآية: التنبيهَ على أنَّ الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب، وأنه يُنافي كمال التوحيد، كما أنَّ القنوط من رحمة الله كذلك. وذلـك يُرشد إلى أنَّ المؤمن يسيرُ إلى الله بين الخوف والرجاء؛ كما دلَّ على ذلك الكتابُ والسُّنة، وأرشد إليه السلف(١) والأئمة.

ومعنى الآية: أنَّ الله تبارك وتعالى لمَّا ذكر حالَ أهل القُرى الـمُكذِّبين للرسل، بيَّن أنَّ الذي حملهم على ذلك، هو الأمنُ من مكر الله، وعدمُ الخوف منه؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يَأْتِيَهُم بأسُنَا بَيَاتاً وَهُم نَائِمُون • أو أَمِنَ أَهْلُ القُرَى أنْ يَأْتِيَهُم بَأسُنا ضُحىً وهُمْ يَلْعَبُونَ • أَفَأَمِنُوا مَكرَ الله فلا يأمن مَكْرَ الله إلَّا القَوْمُ الخَاسِرُون﴾. [الأعراف: ٩٦-٩٨] أي: الهالكون.

وذلك أنَّهم أمِنوا مكر الله؛ لما استدرجهم بالسراء والنَّعيم(٢)، فاستبعدوا أنْ يكون ذلك مكراً.

قال الحسن: من وسَّع الله عليه، فلم ير أنَّه يمكر به، فلا رأي له!.

---

(١) (ط): سلف الأمة.

(٢) (ض) (هـ) (ط): والنعم.

وقال قتادة: بَغتَ القومَ أمرُ الله، وما أخذ الله قوماً قطُّ إلاَّ عند سَلْوتهم وغرَّتهم ونعمتهم. فلا تغتروا بالله[١].

وفي الحديث «إذا رأيت الله يُعطي العبد من الدنيا وهو مُقيمٌ على معاصيه ما يُحبّ، فإنما هو استدراج». رواه أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم[٢].

وقال إسماعيلُ بن رافع[٣]: مِن الأمن من مكر الله: إقامةُ العبد على الذنب، يتمنَّى على الله المغفرة. رواه ابنُ أبي حاتم[٤].

وهذا هو تفسيرُ المكر في قول بعض السلف: يستدرجهم الله بالنعم إذا عصوه، ويُملي لهم، ثم يأخذهم أخذَ عزيز مُقتدر. وهذا هو معنى المكر والخديعة ونحو ذلك. ذكره ابنُ جرير بمعناه[٥].

[١/ب] قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِه: / ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَحْمَةِ رَبِّه إلاَّ الضالُّون﴾. [الحجر: ٥٦].

ش: [القنوط: استبعادُ الفرج، واليأسُ منه. وهو يقابلُ الأمنَ من مكر الله، وكلاهما ذنبٌ عظيم][٦]. وتقدم مافيه[٧]؛ لمنافاته لكمال التوحيد.

---

(١) أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٣/٥٠٥).

(٢) أحمد في «المُسند» (٤/١٤٥) وفي «الزهد» (١٢) وابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٣٢٤٠، ١٣٢٤١) وابن أبي حاتم في «التفسير» وأخرجه ابن المنذر، وأبو الشيخ، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٣/١٩) والدولابي في «الكُنى» (١/١١١٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٨٨) عن عُقبة بن عامر. وهو حديثٌ حسن، كما قال العراقي في «تخريج الأحياء» (٤/١٣٢).

(٣) الأصل: اسماعيل بن أبي رافع. تحريف، أبورافع بن عُويمر الأنصاري المدني، ضعيف الحفظ. (ت ١٥٠هـ) «تقريب» (١٠٧).

(٤) ابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٣/٥٠٧).

(٥) «تفسير الطبري» (١٢/٥٧٩).

(٦) ساقطٌ من الأصل.

(٧) الأصل: قد تقدم مافي القنوط.

وذكر المصنفُ رحمه الله، هذه الآية مع التي قبلها؛ تنبيهاً على أنَّه لا يجوز لمن خاف الله أنْ يقنط من رحمته، بل يكون خائفاً راجياً، يخاف ذنوبَه، ويعمل بطاعة الله، ويرجو رحمته؛ كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء الليل ساجداً وقائماً يَحْذَرُ الآخِرَة وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾. [الزمر: ٩] وقال تعالى: ﴿إنَّ الذين آمَنُوا والذِين هاجَرُوا وجَاهَدُوا في سبِيلِ الله أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ الله والله غَفُورٌ رَحيمٌ﴾. [البقرة: ٢١٨].

فالرجاءُ مع المعصية وتركِ الطاعة غرورٌ منِ الشيطان؛ ليوقع العبدَ في المخاوف مع ترك الأسباب المُنجية من المهالك. بخلاف حال أهلِ الإيمان الذين أخذوا بأسباب النجاة خوفاً من الله، وهرباً من عقابه، وطمعاً في المغفرة، والرجاء لثوابه.

والمعنى: أنَّ الله تعالى حكى قولَ خليله إبراهيم عليه السلام، لـمَّا بشَّرَته الملائكةُ بابنه إسحاق: ﴿قال أَبشرتموني على أَنْ مسَّني الكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُون﴾. [الحجر: ٥٤]؛ لأن العادة أنَّ الرجل إذا كَبرُ سِنّهُ وسنُ زوجته، استُبعد أنْ يولد له منها. والله على كل شيءٍ قدير، فقالت الملائكة: ﴿بشرناك بالحقِّ﴾ الذي لا ريب فيه؛ فإنَّ الله إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كُن فيكون ﴿فلا تَكُن من القانطين﴾ أي: من الأيسين، فقال عليه السلام: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَحْمَةِ رَبِهِ إلَّا الضالُّون﴾ فإنه يعلم من قدرة الله وحكمته[1] ماهو أبلغ من ذلك وأعظم؛ لكنه ـ والله أعلم ـ قال ذلك على وجه التعجُّب.

قوله: ﴿إلَّا الضالُّون﴾ قال بعضُهم: إلَّا المخطئون طريق[2] الصواب، أو إلَّا الكافرون؛ كقوله: ﴿إنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ الله إلَّا القَوْمُ الكافِرُون﴾. [يوسف: ٨٧].

---

(١) (ض) (هـ) (ط): ورحمته.

(٢) (ط): لطريق.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس: أنَّ رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر؟ فقال: «الشركُ بالله، واليأسُ من رَوْحِ الله، والأمنُ من مَكْرِ الله».

ش: هذا الحديثُ رواه البزَّار، وابن أبي حاتم[١]، من طريق شَبيب بن بشر[٢]، عن عكرمة، عن ابن عباس. ورجالُه ثقاتٌ، إلا شبيب بن بشر. فقال ابنُ معين: ثقة. وليَّنَه أبوحاتم[٣]. وقال ابنُ كثير: في إسناده نظر، والأشبهُ أنْ يكون موقوفاً[٤].

[١٢٨/أ] قوله: «الشركُ بالله» / هو أكبرُ الكبائر. قال ابنُ القيِّم رحمه الله: الشرك بالله هضمٌ للربوبية، وتنقُّص للإلهية، وسوءُ ظن برب العالمين. انتهى.

ولقد صدق ونصح؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ الذين كفرُوا بِرَبهم يَعْدِلُون﴾. [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿إنَّ الشرك لظُلمٌ عظيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ولهذا لا يغفره الله إلاَّ بالتوبة منه.

قولـه: «واليأسُ من رَوْح الله» أي: قطعُ الـرجاء والأمل من الله، فيما يخافُه ويرجوه؛ وذلك إساءةُ ظنّ بالله، وجهلٌ به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته.

قوله: «والأمنُ من مكر الله» أي: من استدراجه للعبد، وسلبه ما أعطاه من الإيمان، نعوذُ بالله من ذلك. وذلك جهلٌ بالله وبقدرته، وثقةٌ بالنفس وعُجب بها.

---

(١) البزار في «المسند» رقم (١٠٦) (كشف الاستار)، وابن أبي حاتم في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (١٤٧/٢) وقال: إسنادهُ حسن، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (١٠٤/١) قال الهيثمي. رواه البزار والطبراني، ورجاله موثقون. وحسَّنه العراقي في «تخريج الاحياء» (١٧/٤).

(٢) أبوبشر البَجَلي الكوفي، صدوق يخطيء. «تقريب» (٢٦٣).

(٣) ينظر: ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٣٠٦/٤).

(٤) ابن كثير، «التفسير» (٢٤٣/٢).

واعلم أنَّ هذا الحديث لم يُرد به حَصْر الكبائر في الثلاث، بل الكبائرُ كثيرة. وهذه الثلاثُ من أكبر الكبائر المذكورة في الكتاب والسُّنة، وضابطها:

ماقاله المحققون من العلماء: كلُّ ذنب ختمه الله بنارٍ أو لعنة أو غضب أو عذاب. زاد شيخُ الإسلام ابن تيمية: أو نفي الإيمان[١].

قلتُ: ومن بريء منه رسولُ الله ﷺ، أو قال: ليس منَّا من فعل كذا وكذا.

وعن ابن عباس: هي إلى سبعمائة أقرب إلى سبع، غيرَ أنَّه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار[٢].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود، قال: أكبرُ الكبائر: الإشراكُ بالله، والأمنُ من مكرِ الله والقنوط من رحمة الله، واليأسُ من رَوْح الله. رواه عبدُالرزاق[٣].

ش: ورواه ابنُ جرير، بأسانيد صِحاح، عن ابن مسعود[٤]

قوله: (أكبر الكبائر: الإشراكُ بالله). أي: في ربوبيته أو عبادته. وهذا بالإجماع.

قوله: (والقنوطُ من رحمة الله). قال أبوالسعادات: هو أشدُّ اليأس[٥].

وفيه: التنبيهُ على الجمع بين[٦] الرجاء والخوف، فإذا خاف فلا يقنط ولا ييأس، بل يرجو رحمة الله.

---

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١١/٦٥٢).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١٩١٩).

(٣) عبدالرزاق في «المصنف» (١٠/٤٥٩)، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» رقم (٨٧٨٣) وإسنادهُ صحيح. وانظر بقية التخريج في «حجة التحريض» لسعد بن عتيق (١٨).

(٤) ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٩١٩٠، ٩١٩٣، ٩١٩٦).

(٥) ابن الأثير، «النهاية» ()٤/١١٣).

(٦) (ض) (هـ) (ط): الجمع بين. ساقط.

وكان السلفُ يستحبُّون أنْ يقوى في الصحة الخوفُ، وفي المرض الرجاء، وهذه طريقةُ أبي سُليمان الدّاراني[1] وغيرُه.

قال: وينبغي للقلب أنْ يكون الغالبُ عليه الخوف، فإذا غلب الرجاءُ الخوف فسد القلب[2].

قال تعالى: ﴿إنَّ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بالغَيْب لهم مَغْفِرَةٌ وأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾. [الملك: ١٢] وقال: ﴿يخافون يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيه القُلُوبُ والأَبْصَارُ﴾. [النور: ٣٧] وقال: ﴿والذين يُؤْتُون/ ما آتو وقُلُوبُهُم وجِلَةٌ أَنَّهُم إلى رَبِّهِم راجِعُون • أُولئك يُسارِعُون في الخَيْرات وهم لها سابِقُون﴾. [المؤمنون: ٦٠-٦١] وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناء الليل ساجداً وقائِماً يَحذرُ الآخِرَة ويَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾. [الآية الزُّمر: ٩] وقدَّم الحذَر على الرجاء في هذه الآية.

[١١/ب]

---

(١) عبدالرحمن بن أحمد بن عطية الدَّاراني العنسي، من كبار الصوفية. قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في «الاستقامة» (٢/ ٩٥): من أجلاء المشايخ وساداتهم، ومن أتبعهم للشريعة. (ت ٢١٥هـ) «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٤٨).

(٢) سليمان بن عبدالله، «تيسير العزيز الحميد» (٥١١).

(٣٤)
باب من الايمان بالله: الصبر على اقدار الله

قال الـمُصنِّفُ رحمـه الله تعالى: بابٌ من الإيمان بالله: الصبرُ على أقدار الله.

ش: قال الإمامُ أحمد رحمه الله: ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من كتابه[١].

وفي الحديث الصحيح «الصبرُ ضياء». رواه أحمدُ، ومُسلم[٢].

وللبخاري، ومسلم، مرفوعاً «ما أُعْطِي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»[٣].

قال عُمر: وجدنا خيرَ عيشنا بالصبر. رواه البخاري[٤].

قال علي: إنَّ الصبر من الإيمان، بمنزلة الرأس من الجسد. ثم رفع صوته، فقال: ألا إنَّه لا إيمان لمن لا صبر له[٥].

واشتقـاقُـه: من صَبرَ: إذا حَبس ومنـع. والصبرُ حبس النفس عن الجزع، وحبسُ اللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الخدود وشقِّ الجيوب، ونحوهما. ذكره ابنُ القيِّم[٦].

---

(١) نقله ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/١٥٢).

(٢) أحمد في «المسند» (٣٤٣/٥ و٣٤٤) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٣) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٥١٢) من حديث أبي مالك الأشعري.

(٣) البخاري في «الصحيح» رقم (١٤٦٩، ٦٤٧٠)، ومسلم في «الصحيح» رقم (١٠٥٣) وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/٩٣) من حديث أبي سعيد.

(٤) البخاري في «الصحيح» تعليقا (١١/٣٠٣) ووصله أحمد في كتاب «الزهد» (٢/٢٧) بسند صحيح كما قال ابنُ حجر في «الفتح» (١١/٣٠٣) ومن طريقه أبونعيم في «الحلية». (١/٥٠)

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «كتاب الإيمان» رقم (١٣٠) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١٥٦٩)، والبيهقي في «شعب الايمان» رقم (١٠).

(٦) ابن القيم «مدارج السالكين» (٢/١٥٦).

واعلم أنَّ الصبر ثلاثةُ أقسام: صبرٌ على ما أمر الله به، وصبرٌ عمَّا نهى عنه، وصبرٌ على ماقدّره الله من المصائب.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولُ الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤمِن بالله يَهْدِ قَلْبَهُ والله بِكُلِ شيء عَلِيمٌ﴾. [التغابن: ١١].

ش: وأوَّلُ الآية: ﴿ما أَصَابَ من مُصيبة إلا بإذْنِ الله﴾ [قال ابنُ عباس: بأمر الله. يعني عن قَدَره ومشيئته.][١][٢] أي: بمشيئته وإرادته وحكمته؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿ما أصابَ من مُصيبةٍ في الأرْضِ ولا في أنْفُسِكُم إلَّا في كتابٍ من قَبْلِ أنْ نَبْرَأها إنَّ ذلك على الله يَسِيرٌ﴾. [الحديد: ٢٢] وقال: ﴿وَبَشِّر الصابرين • الذين إذا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إنَّا لله وإنَّا إليْهِ رَاجِعُونَ • أُوْلَئِك عَلَيْهِم صَلَوَاتٌ مِن رَبِهِّم ورَحْمَةٌ وأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُون﴾. [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

قوله: ﴿وَمَنْ يُؤمِنْ بالله يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ أي: مَن أصابته مصيبةٌ فعلم أنها بقضاء الله وقَدَره[٣] فصبر واحتسب[٤] جازاه الله بهدايته قلبه التي هي أصلُ كلِّ سعادة، وخير في الدنيا والآخرة[٤] وقد يخلفُ الله عليه في الدنيا ماكان أخذه، أو خيراً منه[٥][٦].

---

(١) مابينهما معلَّق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح، وفي (ض) و (هـ) و (ط) أقحم في غير موضعه.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/١٦٣).

(٣) (هـ) (ط): بقدر الله.

(٤) في هامش الأصل وعليه حرف (خ)، وفي (ض) و (هـ) و (ط): واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه، وعوَّضه عما فاته من الدنيا هُدىً في قلبه ويقينا صادقا.

(٥) (ض) (هـ) (ط): وقد يخلف عليه ماكان أخذ منه.

(٦) «تفسير ابن كثير» (٨/١٦٣).

قولـه: ﴿والله بِكُـلِ شيء عَلِيمٌ﴾ تنبيهٌ على أنَّ ذلـك إنـما يصدر عن علمه المتضمِّن لحكمته. وذلك يوجب الصبرَ والرضا.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال عَلْقمةُ: هو الرجلُ تُصيبه المصيبةُ فيعلمُ أنَّها من عند الله، فيرضى ويُسلِّم. / [١٢٩/أ]

ش: هذا الأثر، رواه ابنُ جرير، وابن أبي حاتم[١].

وعلقمة: هو ابنُ قيس بن عبدالله النخعي الكوفي. وُلِد في حياة النبي ﷺ، وسمـع من أبي بكـر، وعمـر، وعثمان، وعلي، وسعد، وابن مسعود، وعائشة، وغيرِهم[٢] وهو من كبار التابعين، وعلمائهم وثقاتهم. مات بعد الستين[٢][٣].

قوله: (هو الرجلُ تُصيبه المصيبة). إلى آخره. [٤]هذا الأثرُ رواه الأعمشُ، عن أبي ظبيان، قال: كُنَّا عند علقمة، فقُرِيء عليه هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُؤمِن بالله يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ فقال: هو الرجل تُصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم. هذا سياقُ ابنُ جرير[٤].

وفي هذا دليلٌ: على أنَّ الأعمال من مُسمَّى الإيمان.

قال سعيدُ بن جُبير ﴿وَمَنْ يُؤمِن بالله يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يعني يسترجع، يقول: إنَّا لله وإنا إليه راجعون[٥].

---

(١) ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٨/١٢٣) وابن أبي حاتم في «التفسير» كما في «تفسير ابن كثير» (٨/١٦٣)، وأخرجه عبدالرزاق في «التفسير» (٣/٩٥) وعبد بن حُميد، وابن المنذر، كما في «الدر المنثور» (٨/١٨٣)، وأخرج نحوه: البخاري في «الصحيح» معلقا (٨/٦٥٢) عن ابن مسعود.

(٢) مابينهما ساقط من (هـ).

(٣) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٧/٢٧٦).

(٤) معلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٥) «تفسير ابن كثير» (٨/١٦٤).

وفي الآية: بيانُ أنَّ الصبر سببٌ لهداية القلب، وأنها من ثواب الصابر.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي (صحيح مسلم)، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هُما بهم كفرٌ: الطعنُ في النَّسَب، والنِّياحةُ على الميت»[١].

ش: أي: هما بالناس كفرٌ؛ حيث كانتا من أعمال الجاهلية. وهما قائمتان بالناس، ولا يسلم منهما إلَّا من سلَّمه الله، ورزقه علماً وإيماناً يستضيء به.

لكن ليس من قام به شعبةٌ من شُعب الكفر، يصير كافراً الكفر[٢] المطلق. كما أنَّه ليس من قام به شُعبة من شعب الإيمان، يصير مؤمناً الإيمان المطلق.

وفرقٌ بين الكفر المعرَّف باللام؛ كما في قوله: «ليس بين العبد وبين الكُفر أو الشرك إلَّا ترك الصلاة»[٣] وبين كُفرٍ مُنَكَّرٍ في الإثبات[٤].

قوله: «الطعنُ في النسب» أي: عيبه، ويدخل فيه أنْ يُقال: هذا ليس ابن فلان، مع ثبوت نسبه شرعاً[٥].

قوله: «والنياحةُ على الميت» أي: رفعُ الصوت بالندب، وتعداد فضائله[٦]؛ لما

---

(١) مسلم في «الصحيح» رقم (٦٧)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٣٧٧، ٤٤١، ٤٩٦) وابن منده في «كتاب الإيمان» رقم (٦٦٠، ٦٦٢، ٦٦٣).

(٢) (ط): كالكفر. تحريف.

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٨٢) وأبوداود في «السنن» رقم (٤٦٧٩) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٦٢١) وابن ماجة في «السنن» رقم (١٠٧٨) وأحمد في «المسند» (٣/٣٧٠، ٣٨٩) ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٨٨٨، ٨٩٠) من حديث جابر.

(٤) ابن تيمية، (اقتضاء الصراط المستقيم) (١/٢٠٨).

(٥) (ض) (هـ) (ط): شرعا. ساقطة.

(٦) (هـ) (ط): فضائل الميت.

فيه من التَّسخط على القدر، المنافي للصبر، كقول النائحة : واعضُده ، واناصِراه ، ونحوِ ذلك .

وفيه : دليلٌ على أنَّ الصبر واجب ، وأنَّ من الكفر ما لاينقُل عن الملة .

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى : ولهما عن ابن مسعود ، مرفوعاً : «ليس مِنَّا من ضرب الخدود ، وشقَّ الجيوب ، ودعا بدعْوى الجاهلية»(١) .

ش: هذا من نصوص الوعيد . وقد جاء عن سفيان الثوري ، وأحمد : كراهة تأويلها ؛ ليكون أوقع في النفوس ، وأبلغ في الزجر ، وهو يدلُّ على أنَّ ذلك يُنافي كمال الإيمان الواجب .

قوله : «مَن ضربَ الخدود» قال الحافظ : خُصَّ الخدُّ لكونه الغالب ، وإلَّا فضربُ بقيَّة الوجه مثلُه(٢) .

قوله : «وشقَّ الجيوب» هو الذي يُدخل فيه الرأسُ من الثوب/ وذلك من عادة أهل الجاهلية ؛ حُزْناً على الميت . [١٢٩/١]

قوله : «ودعا بدعوى الجاهلية» قال شيخُ الإسلام : هو ندبُ الميت(٣) . وقال غيرُه : هوالدعاءُ بالويل والثبور . وقال ابن القيِّم : الدعاءُ بدعوى الجاهلية ، كالدعاء بالقبائل(٤) والعصبية ، ومثلُه التعصُّب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ ،

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (١٢٩٤، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ٣٥١٩) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٠٣) وأخرجه أحمد في «المسند» (١/٣٨٦، ٤٣٢، ٤٤٢، ٤٥٦، ٤٦٥) .

(٢) ابن حجر، «فتح الباري» (٣/١٦٤) .

(٣) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٢٠٤) .

(٤) (ض) (هـ) (ط) : إلى القبائل .

وتفضيل بعضٍ على بعض، يدعو إلى ذلك، ويوالي عليه ويُعادي. فكلُّ هذا من دعوى الجاهلية[1].

وعند ابن ماجة ـ وصححه ابنُ حبان ـ عَن أبي أُمامة: أنَّ رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها، والشَّاقَّة جيبها، والداعية بالويل والثبور.[2].

وهذا يدلُّ على أنَّ هذه الأمور من الكبائر، وقد يُعفى عن الشيء اليسير من ذلـك إذا كان صِدْقـاً، وليس على وجه النوح والتسخط. نص عليه أحمدُ رحمه الله[3]؛ لِما وقع لأبي بكر[4] وفاطمة رضي الله عنهما[5]، لـمَّا تُوفي رسولُ الله ﷺ[6]

وليس في هذه الأحاديث مايدلُّ على النهي عن البكاء؛ لما في الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ لما مات ابنه إبراهيم، قال: «تدمعُ العينُ ويحزن القلب، ولا نقول

---

(١) وقد انتشر مثل هذا أو اكثر في عصرنا، وفرح أقوامٌ بما عندهم من العلم. فنسوا الجامعة الدينية والرابطة الأخوية، واستنفذوا قواهم: في التمويه والتزوير، والانتصار للأهواء وزرع الضغينة والأحقاد، وترويج الأكـاذيب والحط على الدعاة، واستعداء الحكام وشق عصا المسلمين والكيد للجميع. فلم يستبقوا خيراً، ولا حفِظوا ذماماً. فالله حسيبهم، وهو الموعد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) ابن ماجة في «السنن» رقم (١٥٨٤) وابن حبان في «الصحيح» (٥/٦٢)، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/٥٢١): هذا إسنادٌ صحيح، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٢٩٠) والطبراني في «الكبير» رقم (٧٥٩١، ٧٧٧٥).

(٣) نقله الزركشي في «شرح مختصر الخرقي» (٢/٣٥٦).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/٣١) عن عائشة.

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٤٤٦٢)، والنسائي في «المجتبى» (٤/١٣) وابن ماجة في «السنن رقم (١٦٢٩) وأحمـد في «المسنـد» (٣/١٤١) وعبـدالرزاق في «المصنف» رقم (٦٦٧٣) عن أنس. واستدركــه الحاكــم (١/٣٨١) ووافقــه الذهبــي، فوهمــا رحمهمــا الله تعالــى.

(٦) قال الخـطابي في «غريب الحديث» (١/٦٤٩): فأما المراثي التي فيها ثناءٌ على الميت ودعاءٌ له، فغير مكروهة. وقد رثى رسول الله غيرُ واحد من الصحابة، وندبته فاطمةُ بكلام مذكور عنها، ورُثي أبوبكر وعمر وغيرهما من الصحابة بمراث رواها العلماءُ، ولم يكرهوا إنشادها، وهي أكثر من أن تُحصى.

إلَّا مايُرضي الرب، وإنا بك يا إبراهيمُ لمحزونون»[١].

وفي (الصحيحين)، عن أُسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ انطلق إلى إحدى بناته ولها صبيٌّ في الموت، فرُفع إليه ونفْسُه تَقعْقَع كأنها شَنٌّ. ففاضت عيناه، فقال سعدٌ: ما هذا يارسول الله؟ قال: «هذه رحمةٌ جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرُّحماء»[٢].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه، حتى يُوافِيَ به يوم القيامة».

ش: هذا الحديثُ: رواه الترمذيُّ، والحاكم وحسنه الترمذي[٣]. وأخرجه الطبرانيُّ، والحاكم، عن عبدالله بن مُغفَّل[٤]، وأخرجه ابن عدي، عن أبي

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (١٣٠٣) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٣١٥) وأبوداود في «السنن» رقم (٣١٢٦) وابن ماجة في «السنن» رقم (١٥٨٩) وأحمد في «المسند» (٣/١٩٤) من حديث أنس، وأسماء بنت يزيد.

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (١٢٨٤، ٥٦٥٥، ٦٦٠٢، ٦٦٥٥، ٧٣٧٧، ٧٤٤٨) ومسلم في «الصحيح» رقم (٩٢٣)، وأخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٣١٢٥) والنسائي في «المجتبى» (٤/٢٢) وابن ماجة في «السنن» رقم (١٥٨٨) وأحمد في «المسند» (٥/٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧).

(٣) الترمذي في «الجامع» رقم (٢٣٩٨) والحاكم في «المستدرك» (١/٣٤٠)، وأخرجه ابن حبان في «الصحيح» (١/٢٧٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٥٤).

(٤) الحاكم في «المستدرك» (١/٣٤٩، ٤/٣٧٦) والطبراني كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/١٩١)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/٨٧) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٩١): ورجال أحمد رجال الصحيح، وكذا أحد إسنادي الطبراني، وأخرجه أبونعيم في «الحلية» (٣/٢٥) وفي «أخبار أصبهان» (٢/٢٧٤).

هريرة[١]، والطبرانيُّ عن عمار بن ياسر[٢].

قوله: «إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبةَ في الدنيا» أي: بصبِّ[٣] البلاء والمصائب عليه؛ لِـما فرَط من الذنوب منه، فيخرج منها وليس عليه ذنبٌ يوافي به يوم القيامة/ . [١٣٠/أ]

قال شيخُ الإسـلام: المصـائبُ نعمـة؛ لأنها مكفِّـرات للذنوب، وتدعو إلى الصبر، فيُثاب عليها. وتقتضي الإنابة إلى الله والذل له، والإعراضَ عن الخلق، إلى غير ذلك من المصالح العظيمة.

فنفسُ البـلاء يكفِّر الله به الخطايا، وهذا من أعظم النعم. فالمصائب رحمةٌ ونعمة في حق عموم الخلق، إلَّا أنْ يدخل صاحبُها بسببها في أعظم[٤] مما كان قبل ذلك، فتكون شراً عليه من جهة ما أصابه في دينه؛ فإنَّ مَن الناس من إذا ابتُلي بفقرٍ أو مرض أو جوع[٥]، حصل له من النفاق والجزع ومرض القلب، أو الكفر الظاهر أو ترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرَّمات مايوجب له ضررًا في دينه. فهذا كانت العافيةُ خيراً له من جهة ما أورثته المصيبةُ [لا من جهة نفس المصيبة][٦] كما أنَّ من أوجبت له المصيبةُ صبراً وطاعة، كانت في حقه نعمةً دينية، فهي بعينها فعلُ الرب عز وجل رحمةً للخلق. والله تبارك وتعالى محمودٌ عليها.

---

(١) ابن عدي في «الكامل» (٣/١١٩٢).

(٢) الطبراني كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/١٩٢). وقال: إسنادهُ جيد، وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١١٨٤٢) من حديث ابن عباس.

(٣) (هـ) (ط): يصب عليه.

(٤) (ض) (هـ) (ط): في معاصي اعظم.

(٥) (هـ) (ط): وجع.

(٦) إضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

فمن ابتلي فرُزق الصبرُ، كان الصبرُ نعمة عليه في دينه، وحصل له بعدما كفَّر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاةُ ربه عليه، قال جل ذكره: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِم صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحْمَةٌ﴾ وحصل له غُفرانُ السيئات، ورفع الدرجات. فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك. انتهى ملخصاً[1].

قوله: «وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه» أي: أخَّر عنه العقوبةَ بذنبه «حتى يُوافي به يوم القيامة» هو بضمّ الياء وكسر الفاء منصوباً بحتى، مبنياً للفاعل.

قال العَزيزي[2]: أي: لا يُجازيه بذنبه في الدنيا حتى يجيء في الآخرة مستوفر الذنوب وافيها، فيستوفي ما يستحقه من العقاب[3]. وهذه الجملةُ هي آخرُ الحديث.

فأمَّا قولُه: وقال النبيُّ ﷺ «إن عِظَمَ الجزاء مع عِظَمِ البلاء» إلى آخره، فهو أوَّلُ حديثٍ آخر؛ لكن لـمَّا رواهما الترمذيُّ بإسنادٍ واحد، وصحابي واحد جعلهما المصنفُ كحديثٍ واحد.

وفيه: التنبيهُ على حُسن الرجاء، وحُسن الظن بالله فيما يقضيه لك؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُم وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شيئاً وَهُوَ شرٌّ لَكُم والله يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾. / [البقرة: ٢١٦]. [١٣٠/]

قال الـمصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ عِظَمَ الجزاء مع

---

(١) ينظر: ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٠/٤٨).

(٢) نور الدين، علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم العزيزي، البولاقي، فقيه شافعي، له «السراج المنير شرح «الجامع الصغير» و«الفوائد». مات سنة ١٠٧٠هـ. ينظر: كحالة «معجم المؤلفين» (٧/٢٤).

(٣) العزيزي «السراج المنير» (١/٨٨).

عِظَمِ البلاء، وإنَّ الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سَخِطَ فله السخط». حسّنه الترمذي[١].

ش: قال الترمذي: حدَّثنا قُتيبة، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس، وذكر الحديث السابق.

ثم قال: وبهذا الإسناد، عن النبي ﷺ، قال: «إنَّ عظم الجزاء»الحديث. ثم قال: وهذا حديثٌ حسن غريب من هذا الوجه.

ورواه ابنُ ماجة[٢]، ورواه[٣] الإمامُ أحمد، عن محمود بن لَبيد، رفعه «إذا أحبَّ الله قوماً ابتلاهم، فمَن صبر فله الصبر، ومن جَزِع فله الجَزَع»[٤] قال المُنذري: رواتُه ثقات[٥].

قوله: «إنَّ عِظَم الجزاء» بكسر العين وفتح الظاء فيها. ويجوز ضمُّها مع سكون الظاء. أي: من كان ابتلاؤه أعظمُ كيفيَّةٍ وكمية.

وقد يحتجُّ بهذا الحديث من يقول: إنَّ المصائب يُثاب عليها مع تكفير الخطايا. ورجح ابنُ القيِّم: أنَّ ثوابها تكفيرُ الخطايا فقط، إلَّا إذا كانت سببًا لعملٍ صالح، كالصبر والرضا والتوبة والاستغفار، فإنَّه حينئذٍ يُثاب على ما تولَّد منه. وعلى هذا، يُقال في معنى الحديث: إنَّ عظمَ الجزاء مع عظمِ البلاء إذا صبر واحتسب.

قوله: «وإنَّ الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم» ولهذا ورد في حديث سعدٍ: سُئل النبيُّ

---

(١) الترمذي في «الجامع» رقم (٢٣٩٨).

(٢) ابن ماجة في «السنن» رقم (٤٠٢١).

(٣) (ض) (هـ) (ط): وروى.

(٤) أحمد في «المسند» (٥/٤٢٧، ٤٢٩).

(٥) «الترغيب والترهيب» (٤/٢٨٣) وبه قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٢٩١) وابن حجر في «فتح الباري» (١٠/١٠٨).

ﷺ : أي الناس أشد بلاءً؟ قال : «الأنبياءُ ، ثم الأمثل فالأمثل ؛ يُبتلى الرجلُ على حسب دينه ، فإنْ كان في دينه صلابةٌ اشتد بلاؤه ، وإنْ كان في دينه رقَةٌ ابتُلي على قدر دينه ، فما يبرح البلاءُ بالعبد حتى يتركَه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» . رواه الدارميُّ ، وابن ماجة ، والترمذي وصححه[1] .

وهذا الحديثُ ونحوه : من أدلة التوحيد ، فإذا عرف العبدُ أنَّ الأنبياء والأولياء يصيبهم البلاءُ في أنفسهم ، الذي هو في الحقيقة رحمة [ولا يدفعه عنهم إلَّا الله][2] ، عرف أنَّهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا دفعاً ، فلأن لا يملكونه[3] لغيرهم أولى وأحرى .

فيحـرمُ قصدُهم ، والرغبةُ إليهم في قضاء حاجةٍ أو تفريج كُربة . وفي وقوع الابتلاء بالأنبياء والصالحين ، من الأسرار والحِكم والمصالح في[4] العاقبة ما لايُحصى .

قوله : «فمَن رضي فله الرضا» أي : مِن الله تعالى . والرضا قد وصف الله به نفسه في مواضع من كتابه ، كقوله : ﴿جَزَاؤُهُم عِنْدَ رَبِّهِم جَنَّاتُ عَدْنٍ/ تَجْرِي مِن تَحْتِها الأَنْهَارُ خالِدِين فيها أبَداً رَضِيَ الله عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ﴾ . [البينة : ٨]. [١٣١/]

ومذهبُ السلف وأتباعهم من أهل السُّنة : إثباتُ الصفات التي وصف الله بها

---

(١) الدارمي في «السنن» رقم (٢٧٨٦) وابن ماجة في «السنن» رقم (٤٠٢٣) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٤٠٠)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٢٣٣) والطيالسي في «المسند» رقم (٢١٥) والحاكم في «المستدرك» (١/٤١) وأبونعيم في «الحلية» (١/٣٦٨).

(٣) إضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

(٤) (ط): يملكوه.

(٥) (ط): وحسن.

نفسه، ووصفه بها رسولُه ﷺ [على مايليق بجلاله وعظمته][1] إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل. فإذا رضي الله تعالى عنه حصل له كلُّ خير، وسلم من كلِّ شر.

والرضا: هو أنْ يُسلم العبدُ أمره إلى الله، ويُحسن الظنَّ به، ويرغبَ في ثوابه. وقد يجد لذلك راحةً وانبساطاً؛ محبةً لله وثقة به؛ كما قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: إنَّ الله ـ بقسطه وعدله ـ جعل الرَّوحَ والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط[2].

قوله: «ومن سخِط» هو بكسر الخاء. قال أبوالسعادات: السخطُ: الكراهية للشيء وعدم الرضا به[3]. أي: من سخِط على الله فيما دبَّره، فله السخط من الله، وكفى بذلك عقوبة.

وقد يُستدلُّ به على وجوب الرضا. وهو اختيار ابن عقيل. واختار القاضي عدمَ الوجوب، ورجَّحه شيخُ الإسلام، وابنُ القيِّم[4].

قال شيخُ الإسلام: ولم يجيء الأمرُ [به كما جاء الأمر][5] بالصبر. وإنما جاء الثناءُ على أصحابه. قال: وأمَّا ما يُروى: من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي، فليتخذ رباً سواي.

---

(١) اضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

(٢) قطعةٌ من أثر: أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا» رقم (٩٤) والبيهقي في «شعب الايمان» رقم (٢٠٥)، وروي مرفوعاً من حديثه، أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٠٥١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٢١/٤، ١٣٠/٧) وقال غريب من حديث الثوري، والأعمش. تفرد به العُمري، والبيهقي في «شعب الايمان» رقم (٢٠٤). وله شاهدٌ من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٦/٥، ٤١/١٠)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٠٣).

(٣) ابن الأثير، «النهاية» (٣٥٠/٢).

(٤) ابن القيم، «من مدارج السالكين» (١٧١/٢، ١٨٤).

(٥) ساقط من الأصل.

فهذا إسرائيلي، لم يصح عن النبي ﷺ [١]،[٢].

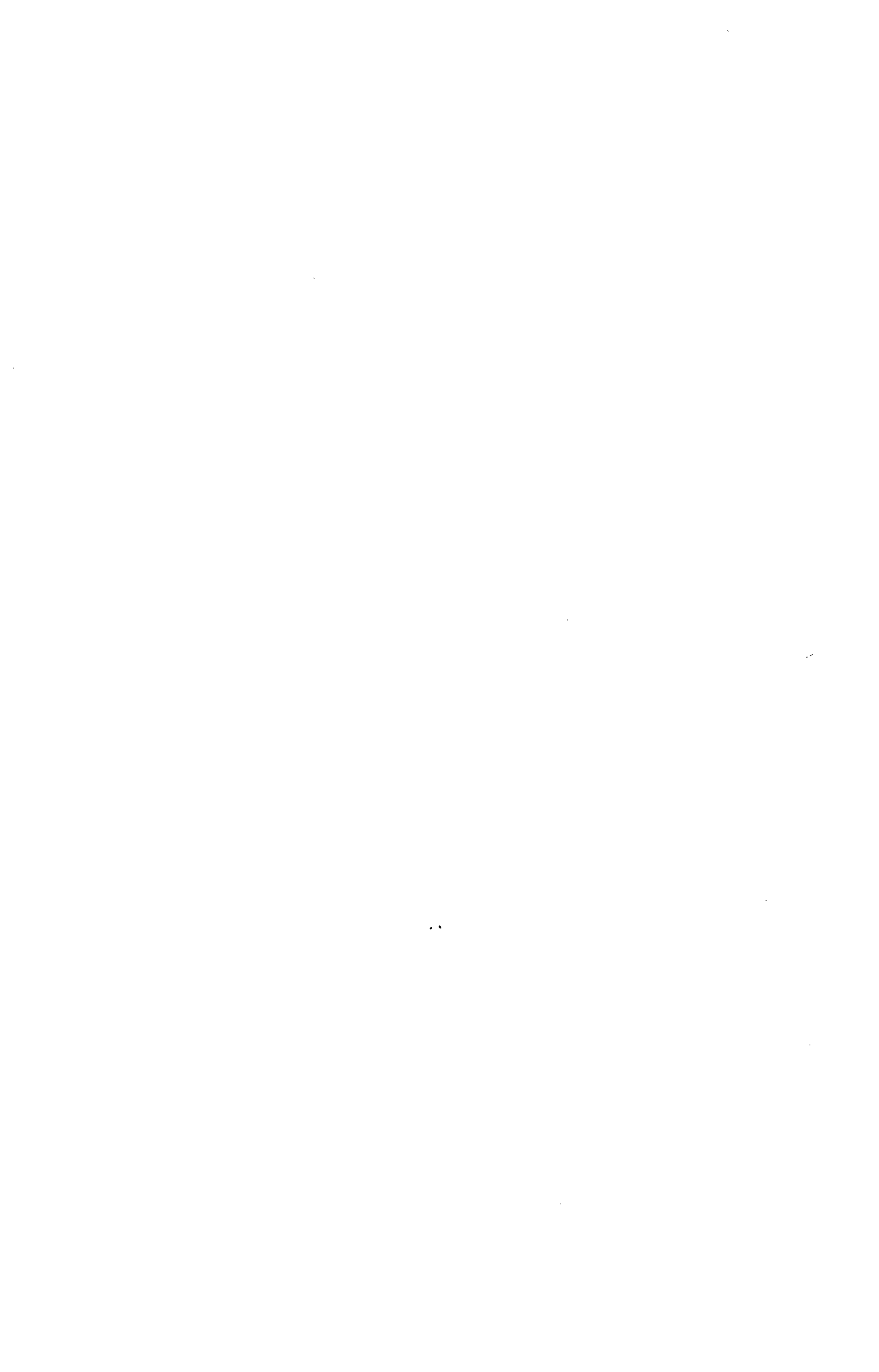
قال شيخُ الإسـلام: وأعـلى من ذلـك ـ أي من الرضا ـ أنْ يشكر الله على الـمُصيبة، لما يرى من إنعام الله عليه بها. انتهى[٣]. والله أعلم.

---

(١) أمَّـا ما أخـرجـه الطبراني في «الكبير (٢٢/ ٣٢٠) و«الصغير» (٢/ ٤٨) وأبونعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٢٨) والبيهقي في «الشعب» رقم (١٩٦) من حديث أنس، مرفوعاً «من لم يرض بقضاء الله ويؤمن بقدر الله فليلتمس إلهاً غيرَ الله» فقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٧): فيه سُهيل بن أبي حزم. وقال السمعاني في «الأنساب» (٢/ ١١٣): هذا إسنادٌ مُظلم، لا أصل له.

(٢) نقله ابن القيِّم في «مدارج السالكين» (٢/ ١٧١).

(٣) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٦٠).



(٣٥)
باب ما جاء في الرياء

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في الرِّياء.

ش: أي: من النهي والتحذير. قال الحافظ: هو مشتقٌ من الرؤية، والمرادُ به: إظهارُ العبادة؛ لقصد رؤية الناس لها، فيحمدون صاحبَها[١].

والفرقُ بينه وبين السُّمعة: أنَّ الرِّياء لما يُرى من العمل، كالصلاة. والسمعة لما يُسمع كالقراءة والوعظ والذكر. ويدخل في ذلك التحدُّثُ بما عمله.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُم يُوحى إليَّ أَنَّما إلهكُم إلهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾. [الكهف: ١١٠].

ش: قوله: ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُم يُوحى إليَّ أَنَّما إلهكُم إلهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيءٌ، بل ذلك كله لله وحده لا شريك له، أوحاه إلي ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ أي: يخافه: ﴿فَلْيَعْمَلْ عملاً صَالِحاً ولا يُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾

قولـه: ﴿أَحَـداً﴾ نكـرةٌ في سياق النهي تعُمّ، وهـذا العمـومُ يتناول الأنبياء والملائكة، والصالحين والأولياء، وغيرهم/. [١٣١/]

قال شيخُ الإسـلام: أمّـا اللقـاء: فقد فسَّره طائفةٌ من السلف والخلف بما

---

(١) ابن حجر، «فتحُ الباري» (١١/٣٣٦).

يتضمَّن المُعاينة، وقالوا: لقاء الله، يتضمَّن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة. وذكر الأدلة على ذلك(١).

قال ابنُ القيِّم في الآية: أي: كما أنَّه إلهٌ(٢) واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أنْ تكون العبادةُ له وحده لا شريك له. فكما تفرَّد بالإلهية، يجب أنْ يُفرد بالعبودية، فالعملُ الصالح: هو الخالص من الرياء، المُقيَّدُ بالسنة. انتهى(٣).

وفي الآية: دليلٌ على أنَّ أصل الدين الذي بَعث الله به رسوله ﷺ والمرسلين قبله، هو إفرادُ الله تعالى بأنواع العبادة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾. [الأنبياء: ٢٥].

والمخالفُ لهذا الأصل من هذه الأُمة أقسامٌ: إمَّا طاغوتٌ يُنازع الله في ربوبيته وإلهيته، ويدعو الناس إلى عبادته، أو طاغوتٌ يدعو الناس إلى عبادة الأوثان، أو مشركٌ يدعو غيرَ الله، ويتقرَّبُ إليه بأنواع العبادة أو بعضها، أو شاكٌّ في التوحيد: أهو أقرب(٤) حق، أم يجوز أن يجعل لله شريكٌ في عبادته؟ أو جاهلٌ يعتقد أنَّ الشرك دينٌ يقرِّب إلى الله تعالى. وهذا هو الغالبُ على أكثر العوام؛ لجهلهم وتقليدهم مَن قَبلهم؛ لـمَّا اشتدت غرْبةُ الدين، ونُسي العلمُ بدين المرسلين.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة، مرفوعاً: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشرك، من عَمِل عملاً أشرك معي فيه غيري تركتُه وشِرْكَه». رواه مسلم(٥).

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٦/٤٨٨).
(٢) (ط): أن الله.
(٣) ابن القيم، «الجواب الكافي» (١٣٦).
(٤) (ض) (هـ) (ط): أقرب. ساقطة.
(٥) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٩٨٥).

ش: قوله: «من عَمِل عملاً أشرك معي فيه غيري» أي: مَن قصد بعمله غيري من المخلوقين، تركتهُ وشِرْكَه.

ولابن ماجة «فأنا منه بريءٌ وهو للذي أشرك»(١) قال الطيبي: الضَّميرُ المنصوب في قوله: «تركتهُ» يجوز أنْ يرجع إلى العمل.

قال ابنُ رجب: واعلم أنَّ العمل لغير الله أقسام: فتارةً يكون رياءً محضاً كحال المنافقين؛ كما قال تعالى: ﴿وإذا قَامُوا إلى الصلاةِ قامُوا كُسَالى يُرَاءون النَّاسَ ولا يَذْكُرُون الله إلاَّ قَلِيلاً﴾. [النساء: ١٤٢] وهذا الرِّياءُ المحض، لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام. وقد يصدرُ في الصدقة الواجبة أو الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدَّى نفعُها؛ فإنَّ الإخلاص فيها عزيز. وهذا العملُ لا يشك مسلمٌ أنه حابط، وأنَّ صاحبه/ يستحق المقتَ من الله والعقوبة. [١٣٢/أ]

وتارةً يكون العملُ لله، ويشاركُه الرِّياءُ. فإنْ شاركه من أصله، فالنصوصُ الصحيحة تدلُّ على بطلانه.

ـ وذكر أحاديثَ تدلُّ على ذلك ـ منها: هذا الحديث، وحديثُ شدَّاد بن أوس، مرفوعاً «مَن صلَّى يُرائي فقد أشرك، ومن صام يُرائي فقد أشرك، ومن تصدَّق يُرائي فقد أشرك، وإنَّ الله عز وجل يقول: أنا خيرُ قسيمٍ لمن أشرك بي، فَمَن أشرك بي شيئاً فإنَّ جِدَّة عمله وقليلِه وكثيرِه لشريكه الذي أشرك به. أنا عنه غني». رواه أحمد(٢).

---

(١) ابن ماجة في «السنن» رقم (٤٢٥٥)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠١، ٤٣٥) «والزهد» (١/ ٧٨)، وابن خزيمة في «الصحيح» رقم (٩٣٨)، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٦٩): رواة ابن ماجة ثقات. وقال البُوصَيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٩٥): هذا إسنادٌ صحيح.

(٢) أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٥، ٤/ ١٢٦)، وأخرجه الطيالسي في «المسند» رقم (١١٢٠) والطبراني في «الكبير» رقم (٧١٣٩) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٢٩) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢١): فيه شَهر بن حوشب.

ـ وذكر أحاديثَ في المعنى ـ ثم قال: فإنْ خالط نيَّةَ الجهاد مثلاً نيَّةُ غير الرِّياء، مثلُ أخذ أجرةٍ للخدمة، أو أخذ شيءٍ من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجرُ جهادهم، ولم يبطل بالكلية.

قال ابنُ رجب: وقال الإمامُ أحمد: التاجرُ والمستأجر والـمُكاري، أجرُهم على قدر ما يخلُص من نيَّاتهم في غزواتهم، ولا يكونون مثل من جاهد بنفسه وماله، لا يخلِط به غيرَه.

وقال أيضاً ـ فيمن يأخذ جُعلاً على الجهاد ـ: إذا لم يخرج لأجل الدراهم، فلا بأس. كأنه خرج لدِينه، فإنْ أُعطي شيئاً أخذه[1].

ورُوي عن عبدالله بن عمرو، قال: إذا أجمع أحدُكم على الغزو، فعوَّضه الله رزْقاً، فلا بأس بذلك. وأمَّا إنَّ أحدكم إنْ أُعطي دراهم غزا، وإنْ لم يُعط دراهم لم يغز، فلا خير في ذلك.

وروي عن مُجاهد، أنَّه قال ـ في حج الجمَّال وحج الأجير، وحج التاجر ـ: هو تامٌّ لا يُنقص من أُجورهم شيء. أي: لأن قصدَهم الأصلي، كان هو الحج دون التكسب.

قال: وأمَّا إنْ كان أصلُ العمل لله، ثم طرأ عليه نيةُ الرِّياء: فإنْ كان خاطراً ثم دفعه، فلا يضرُّه بغير خلاف. وإنْ استرسل معه، فهل يُحبِط عملَه أم لا، ويُجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلافٌ بين العلماء من السلف، قد حكاه الإمامُ أحمد، وابن جرير، ورجَّحا أنَّ عمله لا يبطل بذلك، وأنه يُجازى بنيَّته الأولى، وهو مرويٌّ عن الحسن وغيره.

[فأمَّا إذا عمل العملَ لله خالصاً ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين

---

(١) ينظر: أبوداود «المسائل» (٢٥١)، وابن هانيء «المسائل» رقم (١٦٣٥)، ابن قدامة «المغني» (١٣/١٦٣).

بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره بذلك][1].

وفي هذا المعنى: جاء حديثُ أبي ذر، عن النبي ﷺ أَنَّهُ سُئل عن الرجل، يعمل العمل من الخير يَحمدُه الناسُ/ عليه، فقال: «تلك عاجلُ بُشرى المؤمن». [١٣٢/ب] رواه مسلم[2] انتهى مُلخصاً[3].

قلت: وتمامُ هذا المقام يتبينَّ في شرح حديث أبي سعيد، إنْ شاء الله تعالى.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي سعيد، مرفوعاً: «ألا أُخبرُكم بما هو أخْـوَفُ عليكم عنـدي من المسيح الدَّجَّال؟» قالوا: بلى، قال: «الشركُ الخفي: يقـوم الـرجلُ فيُصلي فيُزيِّنُ صلاتَه؛ لما يرى من نظر رجل». رواه أحمد[4].

ش: وروى ابنُ خُزيمة في (صحيحه)، عن محمود بن لَبيد، قال: خرج رسولُ الله ﷺ فقال: «أيها الناس، إيَّاكم وشركَ السرائر» قالوا: يارسول الله وما شركُ السرائر؟ قال: «يقوم الرجلُ فيصلي فيزيّن صلاته جاهداً لما يرى من نظر الرجل إليه، فذلك شرك السرائر»[5].

قوله: (عن أبي سعيد). هو الخدري. وتقدَّم.

---

(١) إضافة من «الجامع» و «تيسير العزيز الحميد» يقتضيها السياق.

(٢) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٤٢)، وأخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٤٢٧٨) وأحمد في «المسند» (٥/١٥٦، ١٥٧، ١٦٨) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ٥٣).

(٣) ابن رجب، «جامعُ العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم» (١/ ٨٩ ـ ٨٤).

(٤) أحمد في «المسند» (٣/ ٣٠)، وأخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٤٢٠٤) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٢٩) قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٩٦): هذا إسنادٌ حسن.

(٥) ابن خزيمة في «الصحيح» رقم (٩٣٧)، وأخرجه البيهقي في «السنن» (٢/ ٢٩٠) بإسناد حسن، كما قال الذهبي في «المهذب من سنن البيهقي» (٢/ ٢٦١).

قوله: «الشركُ الخفي» سمَّاه خفياً؛ لأن صاحبه يُظهر أنَّ عمله لله، وقد قصد غيره، أو شرَّكه فيه بتزيين صلاته لأجله.

وعن شداد بن أوس، قال: كنَّا نعدُّ الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشركَ الأصغر. رواه ابنُ أبي الدنيا في (كتاب الإخلاص)، وابنُ جرير في (التهذيب)، والطبرانيُّ، والحاكم وصححه[1].

قال ابنُ القيِّم: وأمَّا الشركُ الأصغر[2]، فكيسير الرياء، والتصنُّع للمخلوق والحلف بغيرالله، وقولِ الرجل للرجل: ماشاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلاَّ الله وأنت، وأنا متوكِّلٌ على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا شركاً أكبر، بحسب حال قائله ومقصده. انتهى[3].

ولا خلاف أنَّ الإخلاص شرطٌ لصحة العمل وقبوله، وكذلك الـمُتابعة؛ كما قال الفُضيل بن عياض رحمه الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. [الملك: ٢] قال: أخلصُه وأصوبه.

قيل: ياأباعلي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صوابــاً لم يُقبــل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً

---

(١) ابن أبي الدنيا في «كتاب الاخلاص» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٠) والطبراني في «الكبير» رقم (٧١٦٠) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٢٩) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البزار في «المسند» (٤/ ٢١٧) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٢): رواه الطبراني في الأوسط، والبزار، ورجالهما رجال الصحيح غير يعلى بن شداد، وهو ثقة.

(٢) وحدُّه الضابط له: كل وسيلة وذريعة يُتطرَّق منها إلى الشرك الأكبر، من الإرادات والأقوال والأفعال، التي لم تبلغ رُتبة العبادة. «القولُ السديد» (٥٣).

(٣) ابن القيم، «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٤).

صواباً، فالخالصُ ماكان لله، والصوابُ ماكان على السُّنة(١).

وفي الحديث من الفوائد: شفقةُ النبي ﷺ على أمته ونصحُه لهم، وأنَّ الرِّياء أخوف/ على الصالحين من فتنة المسيح الدجال. فإذا كان النبيُّ ﷺ يخافهُ على [١٣٣/أ] سادات الأولياء مع قوة إيمانهم وعلمهم، فغيرُهم ممن هو دونَهم بأضعاف أولى بالخوف من الشرك، أصغرِه وأكبرِه.

---

(١) نقله: ابن تيمية، «الاستقامة» (٢/ ٣٠٩)، وابن رجب، «جامع العلوم والحكم» (١/ ٧٢).



(٣٦)
باب من الشرك: ارادة الانسان بعمله الدنيا

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ من الشرك: إرادةُ الإنسان بعمله الدنيا.

ش: فإنْ قيل: فما الفرقُ بين هذه الترجمة، وبين ترجمة الباب قبله؟.

(١ قلتُ: بينهما عمومٌ وخصوص مُطلق، يجتمعان في مادة، وهو إذا أراد الإنسانُ بعمله التزيُّنَ عند الناس والتصنع لهم والثناء، فهذا رياءٌ كما تقدم بيانُه، كحال المنافقين. وهو أيضاً إرادةٌ للدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكرام.

ويفارقُه[٢] الرياءُ، بكونه عَمِل عملاً صالحاً، أراد به عَرَضاً من الدنيا، كمن يُجاهد ليأخذ مالاً؛ كما في الحديث: «تعس عبدُ الدينار»[٣] أو يُجاهد للمغنم، أو غير ذلك من الأمور التي ذكرها شيخُنا[٤] عن ابن عباس، وغيره من الـمُفسرين في معنى ﴿مَن كان يُريدُ الحَيَاةَ الدُّنْيا وزِينَتَها﴾١)[٥]. [هود: ١٥].

وأراد المصنفُ رحمه الله بهذه الترجمة ومابعدها: أنَّ العمل لأجل الدنيا، شركٌ يُنافي كمالَ التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال. وهو أعظمُ من الرياء؛ لأن مُريد الدنيا قد تغلب إرادتُه تلك على كثيرٍ من عمله، وأمَّا الرِّياءُ فقد يعرض له في عملٍ

---

(١) مابينهما معلَّقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمةُ صح.

(٢) (ض) (هـ): ويفارق.

(٣) قطعةٌ من حديث، سيأتي تخريجه قريبا.

(٤) العَّلامةُ الـمُجدِّد، محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

(٥) سيأتي نصُّ كلامه بعد قليل.

دون عمل، ولا يسترسل معه، والمؤمنُ يكون حذراً من هذا وهذا.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولُه تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وزِينَتَها نُوَفِّ إليْهِمْ أعْمالَهُم فيها وَهُمْ فيها لا يُبخسونَ • أُولَئِك الذِين ليسَ لَهُمْ في الآخِرَةِ إلَّا النَّارُ وحَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وباطِلٌ ماكانُوا يَعْمَلُون﴾. [هود: ١٥ - ١٦].

ش: قال ابنُ عباس: ﴿مَنْ كان يُرِيدُ الحياةَ الدُّنْيَا﴾ أي: ثوابها ﴿وَزِينَتَها﴾ أي: مالها ﴿نُوَفِّ﴾ نوفر لهم ثوابَ أعمالهم، بالصحة والسرور في المال والأهل والولد ﴿وَهُمْ فيها لا يُبْخَسُون﴾ لا ينقصون. ثم نسختها ﴿مَن كانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فيها ما نشاءُ لِـمَنْ نُرِيدُ﴾. [الإسراء: ١٨] الآية[١] رواه النَّحاسُ في (ناسخه)[٢].

قوله: ثم نسختها، أي: قيَّدتها، فلم تبق الآيةُ على إطلاقها.

وقال قتادة: يقول: من كانت الدنيا همُّه وطلبته ونيته، جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يُفضي إلى الآخرة وليس له حسنةٌ يُعطى بها جزاءً. وأمَّا المؤمنُ فيُجازى بحسناته في الدنيا، ويُثاب عليها في الآخرة. ذكره ابنُ جرير بسنده[٣].

ثم ساق حديثَ أبي هريرة، عن ابن المبارك، عن حيوة بن شُريح، قال: حدَّثني الوليدُ بن أبي الوليد أبوعثمان، أنَّ عُقبة بن مسلم حدَّثه، أنَّ شُفَيَّ بن ماتِع[٤] الأصبحي حدَّثه: أنَّه دخل المدينةَ، فإذا هو برجلٍ قد اجتمع عليه

---

(١) (ط): الآيتين.

(٢) النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (١٧٧).

(٣) «تفسير» ابن جرير الطبري رقم (١٨٠١٩)، وأخرجه أبوالشيخ، كما في «الدر المنثور» (٤/٤٠٨).

(٤) الأصل و (ض) و (هـ): مانع. والمثبت من «التفسير» و (ط) وهو الصواب، ثقةٌ من الثالثة، أرسل حديثاً فذكره بعضُهم في الصحابة خطأً، مات في خلافة هشام. «تقريب» (٢٦٨).

الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبوهريرة. فدنوتُ منه حتى قعدتُ بين يديه، وهو يُحدِّثُ الناس! . فلمَّا سكت وخلا. قلتُ: أنشُدك بحقٍّ وبحقٍّ لَما حدثتني حديثاً سمعتَه من رسول الله ﷺ، عَقَلته وعلِمْته. فقال أبوهريرة: أفعل، لأحدِّثنّك حديثاً حدثنيه رسولُ الله ﷺ في هذا البيت، مافيه أحدٌ غيري / وغيره، [١٣٣/ب] ثم نَشَغ[1] أبو هريرة نَشْغَة، ثم أفاق، فقال: لأحدثنك حديثاً حدَّثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت، مافيه أحدٌ غيري وغيره، ثم نَشَغ أبوهريرة نَشْغَة أخرى، ثم مال خارّاً على وجهه، واشتد به طويلاً! ثم أفاق، فقال: حدَّثني رسولُ الله ﷺ: «أنَّ الله تبارك وتعالى إذا كان يومُ القيامة، نزل إلى أهل القيامة ليقضي بينهم، وكلُّ أمَّةٍ جاثية.

فأوَّلُ مَن يدعو به رجلٌ جمع القرآن، ورجلٌ قُتل في سبيل الله، ورجلٌ كثيرُ المال. فيقول الله للقاريء: ألم أُعلمك ما أنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يارب، قال: فماذا عملت فيما علِمت؟ قال: كنتُ أقوم آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكةُ: كذبت! ويقول الله له: بل أردت أنْ يُقال فلانٌ قاريء، فقد قيل ذلك! .

ويُؤتى بصاحب المال، فيقول الله له: ألم أُوسِّع عليك حتى لم أدَعْك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يارب، قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصلُ الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكةُ: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أنْ يُقال فلانٌ جواد، فقد قيل ذلك! .

ويُؤتى بالذي قُتل في سبيل الله، فيقال له: فيماذا قُتلت؟ فيقول: أُمرتُ بالجهاد في سبيلك، فقاتلتُ حتى قُتلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكةُ

(١) شَهَق حتى كاد يُغشى عليه، وإنما يُفعل ذلك تشوقاً أو أسفاً. «القاموس»، (ترتيب) (٤/ ٣٧٥).

كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يُقال: فلانٌ جريء، وقد قيل ذلك! . »

ثم ضرب رسولُ الله ﷺ على رُكبتي، فقال: «يا أباهريرة، أولئك الثلاثةُ أوَّلُ خلق الله تُسعَّر بهم النار يوم القيامة»[(١)].

وقد سُئل شيخُنا المصنفُ رحمه الله تعالى، عن هذه الآية؟ فأجاب بما حاصلُه: ذُكر عن السلف فيها أنواعٌ مما يفعلُه الناسُ اليوم، ولا يعرفون معناه.

فمن ذلك: العملُ الصالح، الذي يفعلُه كثيرٌ من الناس ابتغاءَ وجه الله: من صدقةٍ وصلاة، وصلةٍ وإحسان إلى الناس، وتركِ ظُلم، ونحو ذلك مما يفعلُه الإنسانُ أو يتركه خالصاً لله.

لكنه لايُريد ثوابَهُ في الآخرة، إنما يُريد أن يُجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظِ أهله وعياله، أو إدامةِ النعم عليهم، ولا هِمَّة له في طلب الجنة والهرب من النار. فهذا يُعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب. وهذا النوعُ، ذكره ابنُ عباس.

النوع الثاني: وهو أكبرُ من الأول، / وأخوف، وهو الذي ذكره مجاهدُ في الآية: أنَّها نزلت فيه، وهو أنْ يعمل أعمالاً صالحة[(٢)] ونيّتهُ رياءُ الناس، لا طلبَ ثواب الآخرة. [١٣٤/أ]

النوع الثالث: أنْ يعمل أعمالاً صالحة[(٢)] يقصد بها مالاً، مثلَ أنْ يحج لمالٍ يأخذُه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأةٍ يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم.

---

(١) ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٨٠٢٨) وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٣٨٣) وقال: هذا حديثٌ حسن غريب، وابن حبان في «الصحيح» (٣١٣/١)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» رقم (١٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٨/١). وصححه ووافقه الذهبي، وأصله في «صحيح مسلم» برقم (١٩٠٥).

(٢) ساقطٌ من الأصل، وهو انتقالُ نظر.

فقد ذُكر أيضاً هذا النوع في تفسير هذه الآية، وكما يتعلَّم الرجلُ لأجل مدرسةِ أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيراً.

النوع الرابع: أنْ يعمل بطاعة الله، مُخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عملٍ يُكفِّره كفراً يخرجه عن الإسلام. مثلُ اليهود والنصارى، إذا عبدوا الله، أو تصدَّقوا أو صاموا ابتغاءَ وجه الله والدارِ الآخرة. ومثل كثيرٍ من هذه الأمة، الذين فيهم كفرٌ أو شركٌ أكبر، يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعةً خالصة يُريدون بها ثوابَ الله في الدار الآخرة، لكنَّهم على أعمال تُخرجهم من الإسلام، وتمنع قبولَ أعمالهم.

فهذا النوعُ أيضاً قد ذُكر في هذه الآية، عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلفُ يخافون منها.

قال بعضُهم: لو أعلم أنَّ الله تقبَّل مني سجدةً واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله يقول: ﴿إنَّما يَتَقَبَّلُ الله من المُتَّقِين﴾[1]. [المائدة :٢٧].

ثم قال: بقي أن يُقال: إذا عمل الرجلُ الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاءَ وجه الله، طالباً ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا، مثلَ أنْ يحج فرضَه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع، فهو لِما غلب عليه منهما.

وقد قال بعضُهم: القرآنُ كثيراً مايذكر أهلَ الجنة الخُلَّص وأهل النار الخلَّص، ويسكتُ عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله. انتهى[2].

(١) أخرجه ابن عساكر، كما في «الدر المنثور» (٥٧/٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، «كتابُ الاستنباط» (١٢٠ ـ ١٢٣) (مجموع مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، إصدارُ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى : في (الصحيح) عن أبي هريرة، قال : قال رسولُ الله ﷺ : «تَعِس عبدُ الدينار، تَعِس عبدُ الدرهم، تَعِسَ عبدُ الخميصة، تَعِسَ عبدُ الخميلة، إنْ أُعطي رضي، وإنْ لم يُعط سَخِط، تَعِس وانْتكس، وإذا شيك فلا انْتقش. طوبى لعَبْدٍ آخذٌ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعثَ رأسهُ، مُغْبَرَّةٍ قدماه. إنْ كان في الحَراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة كان في الساقة، إنْ استأذن لم يُؤذن له، وإن شفع / لم يُشفَّع»[١]. [١٢/ب]

ش: قوله : (في الصحيح) أي : (صحيح البخاري).

قوله : «تَعِس» هو بكسر العين، ويجوز الفتح، أي : سقط، والمراد هنا : هلك. قاله الحافظ. وقال في موضعٍ آخر: وهو ضدُّ سَعِد أي : شقي[٢]. وقال أبوالسعادات : يقال تعس يتعس. أي : عَثرَ وانكبَّ لوجهه. وهو دعاءٌ عليه بالهلاك[٣].

قوله : «عبدُ الدِّينار» هو المعروف من الذهب، كالمثقال في الوزن. زنتُه : درهمٌ وثُمن درهم[٤].

قوله : «تَعِس عبدُ الدرهم» وهو من الفضة، قدَّره الفقهاءُ بالشعير وزناً، وعندنا منه درهمٌ من ضَرْب بني أُمية، وهو زنةُ خمسين حبة شعير وخُمسا حبة.

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٢٨٨٦، ٢٨٨٧، ٦٤٣٥)، وأخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٤١٣٥).

(٢) ابن حجر، «فتح الباري» (١١/ ٢٥٤، ٦/ ٨٢).

(٣) ابن الأثير، «النهاية» (١/ ١٩٠).

(٤) (ط): زنته درهم وثمن درهم. ساقط. (ض) قدر الدينار (هـ): قوله الدينار. تحريف

سمَّاه عبداً له ؛ لكونه هو المقصود بعمله . فكلُّ من توجَّه بقصده لغير الله ، فقد جعله شريكاً لله في عبوديته ، كما هو حالُ الأكثر.

قوله : «تَعس عبدُ الخميصة» قال أبوالسعادات : هي ثوب خَزٍّ أو صوفٍ مُعلَّم ، وقيل : لا تُسمَّى خميصة إلَّا أنْ تكون سوداء مُعلَّمة ؛ وتُجمع على خمائص . والخميلةُ ـ بفتح الخاء الـمُعجمة ـ قال أبوالسعادات : ذات الخَمَل ـ ثيابٌ لها خَمَل من أي شيءٍ كان[1].

قوله : «تعس وانتكس» قال الحافظ : هو بالـمُهملة ، أي : عاوده المرض . وقال أبوالسعادات : أي : انقلب على رأسه . وهو دعاءٌ عليه بالخيبة[2].

قال الطيبي : فيه الترقّي بالدعاء عليه ؛ لأنه إذا تعس ، انكبَّ على وجهه . فإذا انتكس ، انقلب على رأسه بعد أنْ سقط .

قوله : «وإذا شِيك» أي أصابته شوكة «فلا انتقش» أي : فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش . قاله أبو السعادات[3].

والمرادُ : أنَّ من كانت هذه حالُه [فإنَّه يستحقّ أنْ يُدعى عليه بما يسؤوه في العواقب ، ومن كانت هذه حاله][4] فلا بدَّ أنْ يجد أثرَ هذه الدعوات ، من الوقوع فيما يضرّه في عاجل دُنياه وآجل أخراه .

قال شيخُ الإسلام : فسمَّاه النبيُّ ﷺ عبدَ الدينار والدرهم ، وعبد القطيفة وعبد الخميصة . وذكر فيه ماهو دعاءٌ بلفظ الخبر ، وهو قوله : «تعس وانتكس وإذا شِيك فلا انتقش» وهذه حالُ من إذا أصابه شرٌّ لم يخرج منه ولم يُفلح ؛ لكونه تعس وانتكس ، فلا نال المطلوب ، ولا خلص من المكروه .

---

(١) ابن الأثير، «النهاية» (٢/ ٨١).

(٢) ابن الأثير «المصدر السابق» (٥/ ١١٥).

(٣) ابن الأثير «المصدر السابق» (٥/ ١٠٦).

(٤) إضافةٌ من (هـ) و (ط).

وهذا حالُ من عبد المال، وقد وصف ذلك بأنه «إنْ أُعطي رضي، وإن مُنِعَ سَخِط»؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مِن يَلْمِزُكَ في الصدقاتِ/ فإنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وإنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إذا هُمْ يَسْخطون﴾. [التوبة: ٥٨]. [١٣٥/أ]

فرضاهم لغير الله، وسخطُهم لغير الله. وهكذا حالُ من كان متعلقاً برياسة أو بصورة، ونحو ذلك من أهواء نفسه. إنْ حصل له رضي، وإنْ لم يحصل له سخط. فهذا عبدُ ما يهواه من ذلك، وهو رقيقٌ له؛ إذ الرِّقُ والعبودية في الحقيقة: هو رِقُّ القلب وعبوديته، فما استرقَّ القلبَ واستعبده فهو عبده.

- إلى أنْ قال -: وهكذا أيضاً طالبُ المال، فإنَّ ذلك يستعبدُه ويسترقُّه، وهذه الأمور نوعان:

فمنها: مايحتاج إليه العبد، كما يحتاج إلى طعامه وشرابه، ومنكحه ومسْكنه، ونحو ذلك. فهذا يطلبه من الله، ويرغب إليه فيه، فيكون المالُ عنده يستعمله في حاجته: بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطِهِ الذي يجلس عليه، من غير أنْ يستعبده فيكون هلوعاً!.

ومنها: ما لا يحتاج إليه العبد، فهذا ينبغي أنْ لا يُعلِّق قلبَه بها. فإذا تعلَّق قلبُه بها، صار مُستعبداً لها [وربما صار مستعبداً و](١)معتمداً على غير الله فيها. فلا يبقى معه حقيقةُ العبودية لله، ولا حقيقة التوكل عليه، بل فيه شعبةٌ من العبادة لغير الله، وشعبة من التوكل على غير الله.

وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ: «تعس عبدُ الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة» وهذا هو عبدٌ لهذه الأمور، ولو طلبها من الله؛ فإنَّ الله إذا أعطاه إياها رضي، وإن منعه إياها سخط.

---

(١) ساقط من الأصل.

وإنما عبدُالله : مَن يُرضيه ما يُرضي الله ، ويُسخطه ما يسخط الله ، ويُحبُّ ما أحبَّه الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، ويوالي أولياءَ الله، ويُعادي أعداء الله، فهذا الذي استكمل الإيمان. انتهى مُلخصاً[1] .

قوله : «طُوبى لعبد» قال أبوالسعادات: طُوبى، اسمُ الجنة، وقيل: هي شجرةٌ فيها[2] .

ويؤيِّد هذا: ماروى ابنُ وهب ـ بسنده ـ عن أبي سعيد، قال رجلٌ: يارسول الله وما طوبى؟ قال: «شجرةٌ في الجنة مسيرة مائة سنة، ثيابُ أهل الجنة تخرج من أكمامها»[3] .

ورواه الإمامُ أحمد: حدّثنا حسن بن موسى، سمعت عبدَالله بن لَهيعة، حدَّثنا دَرّاج أبوالسمح، أنَّ أبا/ الهيثم حدَّثه، عن أبي سعيد الخُدري، عن رسول الله ﷺ: أنَّ رجلاً قال: يارسول الله، طُوبى لمن رآك وآمن بك. قال: «طُوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طُوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني» قال له رجلٌ: ومـا طُوبى؟ قال: «شجرةٌ في الجنة مسيرة مائة عام، ثيابُ أهل الجنة تخرج من أكمامها»[4]. وله شواهدُ في (الصحيحين)[5] وغيرِهما[6] . [١٣٥/ب]

---

(١) ابن تيمية «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٨٠ ـ ١٩٠)

(٢) ابن الأثير، «النهاية» (٣/ ١٤١).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٢٠٣٩٥).

(٤) أحمد في «المسند» (٣/ ٧١)، وأخرجه أبويعلى في «المسند» رقم (١٣٧٤) وابن حبان في «الصحيح» (٩/ ١٧٧)، والآجري في «الشريعة» (٢٧١) وابن أبي حاتم، وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٤/ ٦٤٤).

(٥) البخاري في «الصحيح» رقم (٦٥٥٣) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٨٢٨).

(٦) أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦٤) وابن حبان في «الصحيح» (٩/ ١٧٨) من حديث أبي أمامة، وانظر «مجمع الزوائد» (١٠/ ٦٦).

وقد روى ابنُ جرير، عن وهب بن مُنبِّه هاهنا أثراً غريباً عجيباً. قال وهبٌ رحمه الله تعالى: إنَّ في الجنة شجرةً يُقال لها: طُوبى، يسير الراكبُ في ظلها مائة عام لا يقطعها: زهْرُها رياطٌ، وورقُها بُرود، وقضبانها عَنْبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور، وَوَحْلها مسك.

يخرج من أصلها أنهارُ الخمر واللبن والعسل، وهي مجلسٌ لأهل الجنة. فبينما هم في مجلسهم، إذ أتتهم الملائكةُ من ربهم يقودون نُجُباً مزمومةً بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حُسنها، ووبَرها كخزِّ المِرعِزّى[1] من لينه، عليها رحالٌ ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سُندس وإستبرق، فينيخونها، ويقولون: إنَّ ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلِّموا عليه، قال: فيركبونها.

قال: فهي أسرعُ من الطائر، وأوطأ من الفِراش. نُجباً[2] من غير مهنة، يسير الراكبُ إلى جنب أخيه وهو يكلِّمه ويُناجيه، لا تصيب أذنُ راحلةٍ منها أذنَ صاحبتها، ولا تركُ راحلةٍ تركَ الأخرى[3]، حتى إنَّ الشجرة لتنتحي عن طريقهم؛ لئلا تُفرّق بين الرجل وأخيه.

قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم، فيسفرُ لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السَّلام ومنك السلام، وحقٌّ لك الجلال والإكرام، قال: فيقول تبارك وتعالى عند ذلك: أنا السلامُ ومني السلام، وعليكم حقَّت رحمتي ومحبتي، مرحباً بعبادي الذين خشوني بالغيب وأطاعوا أمري.

---

(١) الأصل و (ض) و (هـ): الزعري. تحريف.

(٢) (هـ) (ط): خبا. تحريف.

(٣) (ط) ولا برك راحلة برك صاحبتها. ولعل الصواب: ورك، كما نبَّه إليه محقق «تفسير» الطبري.

قال: فيقولون: ربنا إنا لم نعبدك حقَّ عبادتك، ولم نقدِّرك حق قدرك، فأذن لنا بالسجود قدَّامك. قال: فيقول الله تعالى: إنها ليست بدار نصَبَ ولا عبادة، ولكنها دارُ ملك ونعيم، وإني قد رفعتُ عنكم نصب العبادة، فسلوني ماشئتم، فإنَّ لكل رجلٍ منكم أمنيته. فيسألونه، حتى إنَّ أقصرهم أمنية/ ليقول: ربي، [١٣٦/] تنافس أهلُ الدنيا في دنياهم فتضايقوا، رب فآتني مثل[١] كلِّ شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أنْ انتهت الدنيا، فيقول الله تعالى: لقد قصَّرت بك [اليوم][٢] أمنيتُك، ولقد سألت دون منزلتك. هذا لك مني [وسأتحفك بمنزلتي][٢]؛ لأنه ليس في عطائي نكد ولا قِصرَ يدٍ[٣].

قال: ثم يقول: اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيُّهم، ولم يخطر لهم على بالٍ. قال: فيَعرضون عليهم حتى تقصر بهم[٤] أمانيُّهم التي في أنفسهم، فيكون فيما يَعرضون عليهم: براذين مُقرَّنة على كلِّ أربعةٍ منها سريرٌ من ياقوتة واحدة على كل سرير منها قُبةٌ من ذهب مُفرغة، في كلِّ قبةٍ منها فرش من فرش الجنة مُظاهرة، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين. على كلِّ جاريةٍ منهنَّ ثوبان من ثياب الجنة، وليس في الجنة لونٌ إلاَّ وهو فيهما، ولا ريح طيبٌ إلاَّ قد عبق بهما. ينفُذ ضوءُ وجوههما غلظ القبة، حتى يظن مَن يراهما أنَّهما دونَ القبة. يُرى مُخُّهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل. ويرى لهما مثل ذلك. ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه، ويقولان له: والله ماظننا أنَّ الله يخلقُ مثلك، ثم يأمر الله تعالى

---

(١) (هـ) (ط): من.

(٢) إضافة من «التفسير».

(٣) (هـ) «والتفسير»: تصريد.

(٤) «التفسير»: يعصوهم.

الملائكة فيسيرون بهم صفاً في الجنة، حتى ينتهي كلُّ رجل منهم إلى منزلته التي أُعدَّت له[١].

وقد روى هذا الأثر ابنُ أبي حاتم بسنده، عن وهب بن مُنبِّه، وزاد: فانظروا إلى مواهب ربِّكم الذي وهب لكم، فإذا بقبابٍ في الرفيق الأعلى، وغُرفٍ مبنية من الدر والمرجان، وأبوابُها من ذهب، وسررها من ياقوت، وفرشها من سندسٍ وإستبرق، ومنابرها من نور. يفور من أبوابها وعراصها نورٌ مثل شعاع الشمس، عنده مثل الكوكب الدري في النهار المضيء.

وإذا بقصور شامخةٍ في أعلى علِّيين، من الياقوت يزهوها نورُها، فلولا أنه مُسخَّر إذا لا لتمع الأبصار. فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض، فهو مفروشٌ بالحرير الأبيض. وماكان منها من الياقوت الأخضر، فهو مفروشٌ بالسندس الأخضر/ ، وما كان منها من الياقوت الأصفر، فهو مفروشٌ بالارجوان الأصفر. [١/ب] مُبوَّبةٌ بالزمرد الأخضر، والذهب الأحمر، والفضة البيضاء، قوائمُها وأركانها من الجوهر، وشُرَفُها قبابٌ من لؤلؤ، وبروجها غرفٌ من المرجان.

فلمَّا انصرفوا إلى ما أعطاهم ربُّهم، قُرِّبت لهم براذينُ من ياقوت أبيض، منفوخ فيها الروح، تحتها الولدان المخلَّدون، بيد كلِّ وليدٍ منهم حَكَمة برذون من تلك البراذين، ولُجُمُها وأعنتُّها من فضةٍ بيضاء منظومة بالدر والياقوت، سروجها سررٌ موضونة مفروشة بالسندس والاستبرق.

فانطلقت بهم تلك البراذين تزفُّ بهم، ينظروا رياض الجنة، فلما انتهوا إلى منازلهم وجدوا الملائكة قعوداً على منابر من نور؛ ينتظرونهم ليزوروهم ويصافحوهم ويهنئوهم كرامة ربهم. فلما دخلوا قصورَهم وجدوا فيها جميعَ ما تطاول به عليهم وما

---

(١) ابن جرير في «التفسير» (١٣/ ١٤٨) وأخرجه أبوالشيخ، كما في «الدر المنثور» (٤/ ٦٤٥).

سألوا وتمنوا، وإذا على كل باب قصرٍ من تلك القصور أربعة جنان: جنتان ذواتا أفنان، وجنتان مُدْهامتَّان، وفيهما عينان نضَّاختان، وفيهما من كل فاكهةٍ زوجان، وحورٌ مقصورات في الخيام.

فلما تبوَّؤوا منازلهم، واستقروا قرارهم، قال لهم ربُّهم: فَهَل وجَدتُّم ما وعَد ربُّكم حَقاً؟ قالوا: نَعمْ وربّنا. قال: هل رضيتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا رضينا فارض عنا، قال: فبرضاي عنكم أحللتكم داري ونظرتم إلى وجهي، فعند ذلك قالوا: ﴿الحَمْدُ لله الذي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَن إنَّ رَبَّنا لغَفُورٌ شكُورٌ• الذي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ من فَضْلِهِ لا يَمسُّنا فيها نصَبٌ ولا يَمَسُّنَا فيها لُغُوبٌ﴾. [1] [فاطر: ٣٤ـ٣٥]. وهذا سياقٌ غريب، وأثرٌ عجيب، ولبعضه شواهد في (الصحيحين)[2].

وقال خالدُ بن مَعْدان: [3] إنَّ في الجنة شجرةً يُقال لها: طُوبى، ضروعٌ كلُّها، تُرضِعُ صبيانَ أهل الجنة، وإنَّ سِقط المرأة يكون في نهرٍ من أنهار الجنة يتقلَّبُ فيه حتى تقوم القيامة، فيُبعث ابنُ أربعين سنة رواه ابنُ أبي حاتم[4].

قوله: «آخذٌ بعنان فرسه في سبيل الله» أي: في جهاد المشركين.

---

(١) ابن أبي حاتم في «التفسير» كما في «الدر المنثور» ٦٤٧/٤، وأخرجه ابن أبي الدنيا، كما في «الترغيب والترهيب» (٥٤٦/٤)، وأبونعيم في «صفة الجنة» رقم (٤١١) والآجري في «الشريعة (٢٧٢) عن محمد بن علي بن الحسين مرفوعاً. قال الحافظُ بن كثير في «النهاية» (٥٢٠/٢): وهذا مرسلٌ ضعيف غريب، وأحسن أحواله أن يكون من كلام بعض السلف، فوهم بعضُ رواته فجعله مرفوعاً، وليس كذلك، والله اعلم.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣٨٠/٤).

(٣) أبوعبدالله، الكلاعي الحمصي ثقةٌ عابد، يُرسل كثيرا (ت ١٠٣هـ) «تقريب» (١٩٠).

(٤) ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦٤٥/٤)، وأخرجه ابنُ أبي الدنيا في «كتاب العزاء» كما في المصدر السابق، والسلمي في «وصف الفردوس» رقم (٩٤).

قوله: «أشعثَ» مجرورٌ بالفتحة؛ لأنه اسمٌ لا ينصرف للوصف[١] ووزن الفعل، و «رأسه» مرفوعٌ على الفاعلية، وهو طائرُ الشعر، أشغله[٢] الجهادُ/ في سبيل الله، عن التنعم بالإِدِّهان وتسريح الشعر. [١٣/أ]

قوله: «مغبَّرةٍ قدماه» هو بالجر، صفة ثانية لعبد.

قوله: «إنْ كان في الحراسة» هو بكسر الحاء، أي: حماية الجيش عن أنْ يهجم العدوُّ عليهم.

قوله: «كان في الحراسة» أي: غير مقصرٍ فيها ولا غافل، وهذا اللفظُ يُستعمل في حق من قام بالأمر على وجه الكمال.

قوله: «وإنْ كان في السَّاقة كان في الساقة» أي: في مؤخِّرة الجيش، أي: يُقلِّب نفسَه في مصالح الجهاد. فكلُّ مقامٍ يقوم فيه إنْ كان ليلاً أو نهاراً؛ رغبةً في رضا الله، وطلبًا لثوابه[٣] ومحبةً لطاعته.

قال ابنُ الجوزي: وهو خاملُ الذِّكر، لا يقصد السموَّ[٤].

وقال الخلخالي: المعنى: ائتمارُه لما أُمر، وإقامتُه حيثُ أُقيم. لا يُفقد من مكانه[٥]، وإنَّما ذَكر الحراسةَ والساقة لأنهما أشدُّ مشقة. انتهى. وفيه: فضلُ الحراسة في سبيل الله.

قوله: «إن استأذَن لم يُؤذن له» أي: إذا استأذن على الأُمراء ونحوهم، لم يأذنوا له؛ لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة؛ لأنه ليس من طُلَّابها، وإنما يطلب ما عند الله، لا يقصد بعمله سواه.

---

(١) (ط): للوصفية.
(٢) (ط): شغله.
(٣) (ط): في ثواب الله وطلباً لمرضاته.
(٤) ينظر: ابن حجر «فتح الباري» (٦/٨٣).
(٥) (ض) (هـ) (ط): مقامه.

قولـه: «وإنْ شَفَع» بفتح أوله وثانيه. قوله: «لم يشفَّع» بفتح الفاء مشددة. يعني: لو ألجأته الحالُ إلى أنْ يشفع في أمرٍ يحبُّه الله ورسوله، لم تُقبل شفاعتُه عند الأمراء ونحوهم!.

وروى الإمـامُ أحمد، ومسلم، عن أبي هريرة، مرفوعاً «رُبَّ أشعثَ مدفوعٍ بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه»[١].

قال: الحافظ: فيه تركُ حبِّ الرياسة والشهرة، وفضلُ الخمول والتواضع. انتهى[٢].

وروى الإمامُ أحمد أيضاً، عن مُصعب بن ثابت[٣]، أنَّ[٤] عبدالله بن الزبير، قال: قال عثمان ـ وهو يخطب على منبره ـ: إني محدِّثكُم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، لم يكن يمنعني أنْ أُحدِّثَكم به إلاَّ الضَّن بكم. سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «حَرَسُ ليلةٍ في سبيل الله أفضل من ألفِ ليلة يُقام ليلُها ويصام نهارها»[٥].

وروى الحافظُ ابن عساكر ـ في ترجمة عبدالله بن المبارك ـ قال عبدُالله بن محمد،

---

(١) أحمد في «المسند» (٣/١٢٨، ١٦٧، ٢٨٤) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٢٢، ٢٨٥٤) واللفظ له، وأخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٨/١٣٩).

(٢) ابن حجر، «فتح الباري» (٦/٨٣).

(٣) أبوعبدالله، مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوَّام الأسدي، لين الحديث وكان عابدًا (ت ١٥٧هـ) «تقريب» (٥٣٣).

(٤) (ض) (هـ) (ط): ابن. تحريف.

(٥) أحمـد في «المسند» (١/٦١، ٦٥)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٤٥) والحاكم في «المستدرك» (٢/٨١) وصححه ووافقه الذهبي، وأبونعيم في «الحلية» (٦/٢١٤) وابن أبي عاصم في «كتاب الجهاد» رقم (١٥١) قال ابن حجر في «الفتح» (٦/٨٣) إسنادُه حسن، وأخرجه بغير هذا اللفظ الترمذي في «الجامع» رقم (١٦٦٧) وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح. والنسائي في «المجتبى» (٦/٣٩) وابن ماجة في «السنن» رقم (٢٧٩٢).

قاضي نَصيبين[١]: حدَّثني محمد بن إبراهيم بن أبي سُكينة، أنَّه أملى عليه عبدُالله بن المبارك هذه الأبيات بطَرَسوس[٢]، وودعه الخروج. وأنفذها[٣] معه/ [١٢/ب] إلى الفُضيل بن عياض، في سنة سبعٍ وسبعين ومائة. قال:

يا عابدَ الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمتَ أنَّك في العبادة تلعبُ
من كان يخضب خدَّه بدموعه ... فنحورُنا بدمائنا تتخضَّب
أو كان يتعب خيلَه في باطل ... فخيولَنا[٤] يوم الصبيحة تتعب
ريحُ العبير لكم، ونحن عبيرُنا ... رَهَجُ السنابك والغُبارُ الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قولٌ صحيحٌ صادق لا يُكذب
لا يستوي وغبار خيل الله في ... أنف امرىءٍ ودخان نار تلهَب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميِّتٍ لا يَكذبُ

قال: فلقيتُ الفُضيلَ بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأ ذرفت عيناه، فقال: صدق أبو عبدالرحمن ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلتُ: نعم، قال لي:

اكتب هذا الحديث، وأملى عليّ الفضيلُ بن عياض: حدَّثنا منصور بن المعتمر، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أنَّ رجلاً قال: يارسول الله، علمني عملاً

---

(١) مدينة بين دجلة والفرات في بلاد العراق، على جادة القوافل المتجهة من الموصل إلى الشام، فُتحت على يد سعد بن أبي وقاص في عهد عمر سنة ١٧هـ «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥/ ٢٨٨).

(٢) مدينة بثغور الشام بين انطاكيا وحلب وبلاد الروم، وتقع الآن ضمن دولة تركيا. «المصدر السابق» (٤/ ٢٨).

(٣) في جميع النسخ: وأنشدها والمثبت من «تاريخ دمشق».

(٤) (ط): فخيولهم.

أنالُ به ثوابَ المجاهدين في سبيل الله، فقال: «هل تستطيعُ أنْ تُصلّي فلا تفتر، وتصوم فلا تفطر؟» فقال: يارسول الله أنا أضعفُ من أنْ أستطيع ذلك، ثم قال النبيُّ ﷺ: «فوالذي نفسي بيده لو طُوِّقتَ ذلك ما بلغت فضلَ المجاهدين في سبيل الله. أمَا علمت أنَّ فرس المجاهد لَيسْتنُّ في طِوَله[1] فيكتب له بذلك حسنات؟»[2][3].

---

(١) الطِّول: الحبل الطويل الذي يشد في يد الفرس، حتى لا تذهب «النهاية في غريب الحديث» (١٤٥/٣).

(٢) ابن عساكر «تاريخ دمشق» (٣٥٤/٣٨)، وانظر «سير أعلام النبلاء» (٤١٢/٨).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٢٧٨٥) والنسائي في «المجتبى» (١٩/٦)، وأحمد في «المسند» (٣٤٤/٢) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٣/٥) وابن منده في «الإيمان» رقم (٢٤١) وابن أبي عاصم في كتاب «الجهاد» رقم (٢٧) والبيهقي في «السنن» (١٥٧/٩).



(٣٧)

باب: من اطاع العلماء والامراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ماحرم الله، فقد اتخذهم أربابا من دون الله

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ مَن أطاع العُلماءَ والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليلِ ماحرَّم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله.

ش: لقول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَابًا مِن دُونِ الله والمسيحَ ابنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إلَّا لِيَعْبُدُوا إلهاً واحدًا لا إله إلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. [التوبة: ٣١] وتقدَّم تفسيرُ هذا في أصل المصنف، لما ذكر حديثَ عَديٍّ بن حاتم رضي الله عنه(١).

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال ابنُ عباس: يُوشِكُ أنْ تنزل عليكم حجارةٌ من السماء؛ أقول: قال رسولُ الله ﷺ، وتقولون: قال أبوبكر وعمر؟(٢).

ش: قوله: (يُوشك) بضم أوله وكسر الشين الـمُعجمة، أي: يقرب ويسرع. وهذا القولُ من ابن عباس/ رضي الله عنهما، جوابٌ لمن قال له: إنَّ أبابكر [١٣٨]

---

(١) في باب: تفسير التوحيد وشهادة أنْ لا إله إلا الله، رقم (٥).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» رقم (٣١٢١) وأبوبكر الأثرم في «السنن» كما في «المغنى شرح مختصر الخرقي» (٥/٩١)، وابن إسحاق كما في «المطالب العالية» (١/٣٦٠)والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/١٤٥) وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢/١٩٦) والضياء في «الـمُختارة» كما في «الآداب» لابن مفلح (٢/٦٦) عن سعيد بن جبير. وله شاهدٌ من طريق عروة، أخرجه الطبراني في الأوسط كما في «مجمع الزوائد» (٣/٢٣٤) بإسناد حسن.

وعمر رضي الله عنهما لايريان التمتعَ بالعمرة إلى الحج، ويريان أنَّ إفراد الحجِّ أفضل، أو ماهو معنى هذا.

وكان ابنُ عباس يرى أنَّ التمتع بالعمرة إلى الحج واجب، ويقول: إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواطٍ، فقد حلَّ من عمرته شاء أم أبى؛ لحديث سُراقة بن مالك، حين أمرهم النبيُّ ﷺ أنْ يجعلوها عمرة، ويُحلّوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة، فقال سراقة: يارسول الله، ألِعامنا هذا أم للأبد؟ قال: «بل للأبد» والحديثُ[1] في (الصحيحين)[2].

وحينئذٍ فلا عُذر لمن استُفتي: أنْ ينظر في مذاهب العلماء، وما استدلَّ به كلُّ إمام، ويأخذ من أقوالهم مادلَّ عليه الدليلُ، إذا كان له مَلكةٌ يقتدر بها على ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿فإن تَنَازَعْتُم في شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرَّسُولِ إن كُنْتُم تُؤمِنُونَ بالله واليَوْمِ الآخِرِ ذلك خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأوِيلاً﴾. [النساء: ٥٩].

وللبخاري، ومسلم، وغيرهما: أنَّ النبي ﷺ قال: «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أنَّ معي الهدي لأحللت» هذا لفظُ البخاري، في حديث عائشة[3].

ولفظهُ في حديث جابر «افعلوا ما أمرتكم، فلولا أني سُقتُ الهدي لفعلت مثل الذي أمرتكم»[4] في عدة أحاديث تؤيد قولَ ابن عباس.

---

(١) الأصل و (ض) و (هـ): وللحديث الذي.

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (١٧٨٥، ٧٢٣٠) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٢١٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٩٣، ٣٦٦، ٣٨٨) من حديث جابر، وأخرجه في «المسند» (٣/ ٤٠٥) من حديث سبرة بن معبدو (٤/ ١٧٥) من حديث سُراقة.

(٣) البخاري في «الصحيح» رقم (٧٢٢٩) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٢١١) وأحمد في «المسند» (٦/ ٢٤٧).

(٤) البخاري في «الصحيح» رقم (١٦٥١، ١٧٨٥) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٢١٦، ١٢١٨).

وبالجملة: فلهذا قال ابنُ عباس ـ لَمَّا عارضوا الحديث برأي أبي بكر وعمر ـ: يوشك أنْ تنزل عليكم حجارةٌ من السماء. الحديث.

وقال الإمامُ الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع العلماءُ على أنَّ من استبانت له سنَّةُ رسول الله ﷺ، لم يكن له أنْ يدعها لقول أحد[١].

وقال الإمامُ مالك رحمه الله تعالى: مامنا إلَّا رادٌّ ومردود عليه، إلَّا صاحب هذا القبر ﷺ[٢]. وكلامُ الأئمة في هذا المعنى كثير.

ومازال العلماءُ رحمهم الله يجتهدون في الوقائع: فمَن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر؛ كما في الحديث[٣].

لكن إذا استبان لهم الدليلُ، أخذوا به وتركوا اجتهادَهم. وأمَّا إذا لم يبلغهم الحديث، أو لم يثبت عن النبي ﷺ عندهم فيه حديث، أو ثبت وله معارضٌ أو مُخصِّص ونحو ذلك. فحينئذٍ، يسوغ للإمام/ أنْ يجتهد. [١٣٨/]

وفي عهد[٤] الأئمة الأربعة، إنما طلبوا[٥] الأحاديثَ ممن هي عنده، باللُّقَى والسماع، ويسافر الرجلُ في طلب الحديث إلى الأمصار عدَّة سنين[٦].

ثم اعتنى الأئمةُ بالتصانيف، ودوَّنوا الأحاديث ورووها بأسانيدها[٧]، وبيَّنوا

---

(١) نقله ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢) وانظر نصوصا مشابهة في «الرسالة» (٧٣) «وجماع العلم» (١١٣) للشافعي، و «المناقب» للبيهقي (١/ ٤٧١).

(٢) ينظر ابن عبدالبر «الجامع» (٢/ ٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٧٣٥٢) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٧١٦) وأحمد في «المسند» (٢/ ١٨٧) من حديث عمرو بن العاص.

(٤) (ض) (ط): عصر.

(٥) (هـ) (ط): كان طلب.

(٦) ينظر: الخطيب البغدادي «الرحلة في طلب الحديث» (٨١، ١٠٩، ومابعدها).

(٧) (ط): باسانيد.

صحيحها من حسنها من ضعيفها. والفقهاءُ صنَّفوا في كلِّ مذهب، وذكروا حُجَجَ المجتهدين. فسهل الأمرُ على طالب العلم، وكلُّ إمامٍ يذكر الحكمَ بدليله عنده.

وفي كلام ابن عباس رضي الله عنهما، ما يدلُّ على أنَّ من بلغه الدليلُ فلم يأخذ به ـ تقليداً لإمامه ـ فإنَّه يجب الإنكارُ عليه بالتغليظ؛ لمخالفته الدليل.

وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا أحمد بن عمرو البزَّار، حدَّثنا زياد بن أيوب، حدَّثنا أبوعبيدة الحداد، عن مالك بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ليس منا أحدٌ إلَّا يؤخذ من قوله ويدع، غير النبي ﷺ[1].

وعلى هذا: فيجب الإنكارُ على من ترك الدليل لقول أحدٍ من العلماء، كائنًا من كان. ونصوصُ الأئمة على هذا، وأنه لا يسوغ التقليد إلَّا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها يُرجع إليه من كتاب ولا سنة. فهذا هو الذي عناه بعضُ العلماء بقوله: لا إنكار في مسائل الاجتهاد[2].

وأمَّا ماخالف الكتاب والسُّنة: فيجب الردُّ عليه؛ كما قال ابنُ عباس، والشافعي، ومالك، وأحمد. وذلك مجمعٌ عليه، كما تقدَّم في كلام الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال الإمام أحمد: عجبتُ لقوم عرفوا الإسنادَ وصحَّتَه، يذهبون إلى رأي سُفيان. والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الذين يُخَالِفُون عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُم فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. [النور:

---

(١) لم أجده في شيءٍ من كتب أحمد المطبوعة، وأخرج نحوه أبونُعيم في «الحلية» (٣/ ٣٠٠) والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٧٦) وابن عبدالبر في «الجامع» (٢/ ٩١) عن مجاهد.

(٢) ينظر الكلام حول هذه المسألة بالتفصيل في كتاب «إتمام المنَّة والنعمة في ذم اختلاف الأُمَّة» لنجل المؤلِّف، يسَّر الله تعالى نشره. ثم صدر عن دار البراء عام ١٤١٢هـ.

٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنةُ: الشرك. لعلَّه إذا رَدَّ بعضَ قوله، أنْ يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلِك.

ش: هذا الكلامُ من الإمام أحمد، رواه عنه الفضلُ بن زياد[1]، وأبوطالب[2]. قال الفضل، عن أحمد: نظرتُ في المُصحف، فوجدتُ طاعةَ الرسول ﷺ في ثلاثٍ وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذرِ الذين يُخالِفُون عَنْ أمْرِهِ أنْ تُصِيبَهُم فِتْنَةٌ أوْ يُصِيبَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

فذكر من قوله: الفتنةُ: الشرك، إلى قوله: فيهلك. ثم جعل يتلو هذه الآية/ [١٣٩/] ﴿فلا وربِّك لا يؤمنون حتَّى يُحَكِّمُوكَ فيما شجرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لا يَجِدُوا في أنْفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[3]. [النساء: ٦٥].

وقال أبوطالب ـ عن أحمد ـ وقيل له: إنَّ قوماً يدَّعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره، [فقال: أعجبُ لقومٍ سمعوا الحديثَ، وعرفوا الإسناد وصحَّته يَدَعونه، ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره][4]، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الذِين يُخالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ أن تُصِيبَهُم فِتْنَةٌ أوْ يُصِيبَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ [5] أتدري ما الفتنة؟ الفتنةُ: الكفر. قال الله تعالى: ﴿والفِتْنَةُ أكْبَرُ مِنَ القَتْلِ﴾. [البقرة: ٢١٧][5] فيدعون الحديثَ عن رسول الله ﷺ، وتغلبُهم أهواؤهم إلى الرأي. ذكر ذلك عنه شيخُ الإسلام.

---

(١) أبوالعباس القطان، من أصحاب أحمد، وممن أكثروا الرواية عنه «تاريخ بغداد» (٢٦٣/١٢).

(٢) أحمد بن حُميد المشكاني، متخصصٌ بصحبة أحمد، وكان يكرمه ويعظمه (ت ٢٤٤هـ) «طبقات الحنابلة» (٣٩/١).

(٣) أخرجه عبيد الله بن بطة في «الابانة الكبرى» رقم (٩٧) وينظر «مسائل عبدالله» (١٣٥٥/٣).

(٤) ساقط من الأصل. وهو انتقال نظر.

(٥) مابينهما ساقطٌ من (ط).

قولـه: (عـرفـوا الإسنـاد). أي: إسنـاد الحديث وصحته، فإذا صح إسنادُ الحديث، فهو صحيحٌ عند أهل الحديث وغيرِهم من العلماء.

وسفيان: هو الثوري، الإمامُ الزاهد، العابد الثقة الفقيه، وكان له أصحابٌ يأخذون عنه. ومذهبُه مشهور، يذكره العلماءُ في الكتب التي يُذكر فيها مذاهب الأئمة، كـ: (التمهيد) لابن عبدالبر[١]، و(الاستذكار) له[٢]، وكتاب (الإشراف على مذاهب الأشراف) لابن المنذر[٣]، و(المحلَّى) لابن حزم[٤]، و(المغني) لأبي محمد، عبدالله بن أحمد بن قُدَامة الحنبلي[٥]، وغير هؤلاء.

فقول الإمام أحمد رحمه الله: (عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته) إلى آخره. إنكارٌ منه لذلك، وأنه يؤول إلى زيغِ القلوب، الذي يكون به المرءُ كافراً.

وقد عمَّت البلوى بهذا المُنكر، خصوصاً ممن ينتسب إلى العلم. نصبوا الحبائلَ في الصَّـد عن الأخـذ بالكتاب والسُّنة، وصدُّوا الناس[٦] عن مُتابعة النبي ﷺ وتعظيم أمره ونهيه.

فمن ذلـك قولُهم: لا يَستـدلُّ بالكتـاب والسُّنة إلَّا المجتهد، والاجتهادُ قد انقطع. ويقول: هذا الذي قلَّدتُه أعلمُ منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك من الأقوال، التي غايتها تركُ متابعة الرسول ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، والاعتمادُ على قول من يجوز عليه الخطأ. وغيرهُ من الأئمة يخالفه ويمنع قولَه بدليل،

---

(١) طبع منه عشرون مجلدا.

(٢) طبع منه مجلدان فقط.

(٣) طبع منه المجلد الرابع.

(٤) مطبوع منذ سنوات، بتحقيق العلامة أحمد شاكر.

(٥) طبع طبعات كثيرة، آخرُها بتحقيق الدكتور عبدالله التركي والدكتور عبدالفتاح الحلو، وقد اكتمل الآن والحمد لله.

(٦) (ط): الناس. ساقطة.

فما من إمامٍ إلا والذي معه بعضُ العلم لا كله.

فالواجبُ على كلِّ مكلف، إذا بلغه الدليلُ من كتاب الله وسنة رسوله وفَهِم معنى ذلك: أنْ ينتهي إليه ويعملَ به، وإنْ خالفه من خالفه؛ كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُم ولا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَا تَذَّكَّرُونَ﴾. / [الأعراف: ٣] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِم أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَاب يُتْلَى عَلَيْهِم؟ إنَّ في ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤمِنُون﴾. [العنكبوت: ٥١].

[١٣٩/]

وقد تقدَّم حكايةُ الإجماع على ذلك؛ وبيانُ أنَّ المقلد ليس من أهل العلم، وقد حكى أيضاً أبوعمر بن عبدالبر وغيرُه الإجماعَ على ذلك.

قلتُ: ولا يخالف في ذلك إلَّا جُهَّالُ المقلِّدة، لجهلهم بالكتاب والسُّنة، ورغبتهم عنهما. وهؤلاء وإنْ ظنوا أنهم اتبعوا الأئمة، فإنهم في الحقيقة قد خالفوهم، واتبعوا غيرَ سبيلهم؛ كما قدَّمنا من قول مالك، والشافعي، وأحمد.

لكن في كلامِ أحمد رحمه الله إشارةٌ إلى أنَّ التقليد قبل بلوغ الحجة لا يُذم، وإنَّما يُنكر على من بلغته الحجةُ وخالفها[١]، لقول إمامٍ من الأئمة؛ وذلك إنَّما نشأ عن الإعراض عن تدبُّر كتاب الله وسُنة رسوله، والإقبالِ على كُتب من تأخر، والاستغناءِ بها عن الوحيين. وهذا يُشبه ما وقع من أهل الكتاب، الذين قال الله فيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ الله﴾ [التوبة: ٣١] كما سيأتي[٢] بيانُ ذلك، في حديث عَدي بن حاتم.

فيجبُ على من نصح نفسَه: إذا قرأ كُتب العلماء ونظر فيها، وعرف أقوالَهم،

---

(١) (ط): وخالفهم.

(٢) (ض): تقدم.

فليعرضها[1] على ما في الكتاب والسُّنة؛ فإنَّ كلَّ مجتهدٍ من العلماء ومن تبعه وانتسب إلى مذهبه، لابدَّ أنْ يذكر دليلَه.

والحقُّ في المسألة واحد، والأئمةُ مثابون على اجتهادهم. فالمنصفُ يجعل النظر في كلامهم وتأمُّلَه، طريقاً إلى معرفة المسائل واستحضارها ذهناً، وتمييزاً للصواب من الخطأ بالأدلة التي يذكرها المستدلون، ويتعرَّفُ[2] بذلك من هو أسعدُ بالدليل من العلماء فيتَّبعه.

والأدلةُ على هذا الأصل في كتاب الله أكثر من أنْ تحصر، وفي السُّنة كذلك؛ كما أخرج أبوداود بسنده، عن أُناسٍ من أصحاب معاذ: أنَّ رسول الله ﷺ لَمَّا أراد أنْ يبعث مُعاذاً إلى اليمن، قال: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاءٌ» قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإنْ لم تجد في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «فإنْ لم تجد في سُنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله؟»/ قال: أجتهدُ رأيي ولا آلو، فضرب رسولُ الله ﷺ صدره، وقال: «الحمدُ لله الذي وفَّق رسولَ رسول الله لما يُرضي رسول الله» وساق بسنده، عن الحارث بن عمرو، عن أُناسٍ من أصحاب معاذ، عن مُعاذ بن جبل: أنَّ رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن ـ بمعناه[3].

[١٤٠/أ]

والأئمةُ رحمهم الله، لم يُقصِّروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت

---

(١) (هـ) (ط): أن يعرضها.

(٢) (ط): ويعرف.

(٣) أبوداود في «السنن» رقم (٣٥٩٢، ٣٥٩٣)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (١٣٢٧) وأحمد في «المسند» (٥/٢٣٦، ٢٤٢) والطيالسي في «المسند» رقم (٥٥٩) وابن سعد في «الطبقات» (١/٣٤٧، ٥٨٤) والدارمي في «السنن» رقم (١٧٠) والبيهقي في «السنن» (١٠/١١٤)، وقال الحافظ أبوعبدالله الجوزجاني في كتاب «الأباطيل» (١/١٠٦): هذا حديثٌ باطل!! واصحاب معاذ لا يعرفون، ويمثل هذا الاسناد لا يعتمد عليه في أصل من أصول الشريعة. وقال ابنُ حجر في «التلخيص» (٤/١٨٢): إسناده ضعيف، لجهالة أصحاب معاذ.

السنة؛ لعلمهم أنَّ مِن العلم شيئاً لم يعلموه، وقد يبلغ غيرَهم، وذلك كثير، كما لا يخفى على من نظر في أقوال العلماء.

قال أبوحنيفة: إذا جاء الحديثُ عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجالٌ وهم رجال!.

وقال: إذا قلتُ قولاً وكتاب الله يخالفه، فاتركوا قولي لكتاب الله. قيل: إذا كان قول الرسول ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر الرسول ﷺ. وقيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة(١).

وقال الربيع: سمعتُ الشافعيَّ يقول: إذا وجدتم في كتابي خلافَ سُنة رسول الله ﷺ، فخذوا سُنةَ رسول الله ﷺ ودعوا ماقلت.

وقال: إذا صح الحديثُ بما يخالف قولي، فاضربوا بقولي الحائط(٢)!

وقال مالك: كلُّ أحدٍ يُؤخذ من قوله ويترك، إلَّا رسول الله ﷺ.

وتقدم له مثلُ ذلك، فلا عذر لمقلِّدٍ بعد هذا. ولو استقصينا كلامَ العلماء في هذا لخرج بنا عمَّا قصدناه من الاختصار، وفيما ذكرناه كفايةٌ لطالب الهُدى.

قوله: (لعلَّه إذا ردَّ بعضَ قوله ـ أي: قول الرسول ﷺ ـ أنْ يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلِك).

نبَّه رحمه الله أنَّ رد قول الرسول ﷺ سببٌ لزيغ القلب، وذلك هو الهلاكُ في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزاغ الله قُلُوبهم والله لا يهدي القوم الفاسِقين﴾. [الصف: ٥].

---

(١) ذكرهما الفُلَّاني في «إيقافه همم أولي الأبصار» (٥٠).

(٢) أخرجه البيهقي في «المناقب» (١/ ٤٧١).

قال شيخُ الإسلام ـ في معنى قول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الذين يُخالِفُون عن أَمْرِهِ﴾ ـ: فإذا كان المخالفُ عن أمره قد حُذِّر من الكفر والشرك؛ أو من العذاب الأليم/، دلَّ على أنَّه قد يكون مُفضياً إلى الكفر والعذاب الأليم. ومعلومٌ أنَّ إفضاءَه إلى العذاب هو مجرَّدُ فعل المعصية، فإفضاؤه إلى الكفر إنَّما هو لما يقترن به من الاستخفاف في حق الآمر؛ كما فعل إبليسُ لعنه الله. انتهى.

[١٤٠/ب]

وقال أبوجعفر بن جرير: عن الضحاك ﴿فَلْيَحْذَرِ الذين يُخالِفُون عن أَمْرِهِ أَنْ تُصيبَهُم فِتْنَةٌ﴾ قال: يُطبع على قلبه فلا يُومَن أنْ يُظهر الكفر بلسانه فتُضرب عُنقُه.

قال أبوجعفر: أُدخلت عن؛ لأن معنى الكلام: فليحذر الذين يلوذون عن أمره، ويُدبِرون عنه معرضين[١].

قوله: ﴿أو يُصيبهم﴾ في عاجل الدنيا عذابٌ من الله مُوجع؛ على خلافهم أمر رسول الله ﷺ.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن عَدي بن حاتم: أنه سمع النبيَّ ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتخذُوا أَحْبارَهُمْ ورُهْبانَهُمْ أربابًا من دون الله والمسيح بن مريم، وما أُمروا إلَّا ليعبدوا إلهاً واحداً، لا إله إلَّا هو سُبحانه عما يُشركون﴾. [التوبة: ٣١] فقلت: إنَّا لسنا نعبدهم، قال: «أليس يُحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرمونه، ويحلُّون ما حرم الله فتحلونه»، فقلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم». رواه أحمدُ، والترمذي وحسنه[٢].

---

(١) ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٨/١٧٨).

(٢) الترمذي في «الجامع» رقم (٣٠٩٤) وأصله عند أحمد في «المسند» (٤/٢٥٧، ٣٧٨) دون هذا اللفظ، وقد سبق تخريجُه في أول الكتاب.

ش: هذا الحديثُ قد رُوي من طُرق: فرواه ابنُ سعد، وعبد بن حُميد، وابنُ المنذر، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبوالشيخ، وابن مردويه، والبيهقي.

قوله: (عن عَدي بن حاتم)، أي: الطائي المشهور، وحاتم هو ابن عبدالله بن سعد بن الحشرج ـ بفتح الحاء المهملة ـ المشهورُ بالسخاء والكرم. قدم عديٌّ على رسول الله ﷺ في شعبان سنة تسعٍ من الهجرة فأسلم. وعاش مائة وعشرين سنة.

وفي الحديث: دليلٌ على أنَّ طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادةٌ لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لقوله تعالى[1]: ﴿وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا إلهاً واحداً لا إله إلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عمَّا يُشرِكُون﴾ ويُظهر[2] ذلك؛ قوله تعالى: ﴿ولا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ الله عَلَيْهِ وإنَّهُ لَفِسْقٌ وإنَّ الشياطِين لَيُوحُون إلى أَوْلِيَائِهِم لِيُجَادِلُوكم وإنْ أَطَعْتُمُوهُم إنَّكُم لمشرِكُون﴾. [الأنعام: ١٢١].

وهذا قد وقع في[3] كثيرٍ من الناس مع من قلَّدوهم، لعدم اعتبارهم الدليل/ [١٤١/أ] إذا خالف المقلَّد، وهو من هذا الشرك.

ومنهم من يغلو في ذلك، واعتقد[4] أنَّ الأخذ بالدليل ـ والحالة هذه ـ يُكره، أو يحرم؛ فعظُمت الفتنة. ويقول: هم أعلمُ منا بالأدلة، ولا يأخذ بالدليل إلاَّ المجتهد. وربما تفوَّهوا بذمٍّ من يعمل بالدليل، ولا ريب أنَّ هذا من غُربةِ الإسلام، كما قال شيخُنا رحمه الله تعالى في المسائل:

---

(١) (ط): لقوله تعالى في آخر الآية.

(٢) (ض) (هـ) (ط): ونظير.

(٣) (ض) (هـ) (ط): فيه.

(٤) (ض) (ط): ويعتقد.

فتغيَّرت الأحوالُ، وآلت إلى هذه الغاية. فصار عند الأكثر، عبادةُ الرهبان: هي أفضـلُ الأعـمال، ويسمُّونها ولاية، وعبادةُ الأحبار: هي العلمُ والفقه. ثم تغيَّرت الحالُ إلى أنْ عُبد من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين[1].

وأمَّا طاعةُ الأمراء ومتابعتُهم، فيما يُخالف ماشرعه الله ورسوله: فقد عمَّت به البلوى قديماً وحديثاً، في أكثر الولاة بعد الخُلفاء الراشدين وهلُمَّ جرا. وقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَستَجيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُون أَهْوَاءَهُم وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَير هُدىً مِن الله إنَّ الله لا يَهْدِي القَوْمَ الظالمين﴾. [القصص: ٥٠].

وعن زياد بن حُدير، قال: قال لي عُمر: هل تعرفُ ما يهدمُ الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زَلَّةُ العالم، وجدال المنافق بالكتاب وحكمُ الأئمة المُضلّين. رواه الدارمي[2].

جعلنا الله وإياكم من الذين يَهدون بالحق، وبه يعدِلون.

(١) المسألة الخامسة.

(٢) الدارمي في السنن رقم (٢٢٠)، وأخرجه الفريابي في «صفة النافق» رقم (٣١) وأبو نعيم في «الحلية» (١٩٦/٤).

(٣٨)
بـــــاب:
قـول اللـه تعالـى: ﴿ الم تـر الى الذيـن يزعمـون انهـم امنـوا بمـا انـزل اليـك وما انزل من قبلـك يريـــدون ان يتحاكمـــوا الـــى الطاغـــوت ﴾

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الذِينَ يَزْعُمُون أَنَّهم آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ من قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إلى الطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِه وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعِيداً • وإذا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إلى ما أَنْزَلَ الله وإلى الرَّسُولِ رَأَيْتَ المُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً • فكَيْفَ إذا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِم ثُمَّ جَاؤُكَ يَحْلِفُونَ بالله إن أَرَدْنَا إلَّا إحْسَاناً وَتَوْفِيقاً﴾. [النساء: ٦٠ ـ ٦٢].

ش: قال العمادُ ابنُ كثير: والآيةُ ذامَّةٌ لمن عدل عن الكتاب والسُّنة، وتحاكم إلى ماسواهما من الباطل، وهو المرادُ بالطاغوت هاهنا[١].

وتقدَّم ماذكره العلَّامةُ ابنُ القيِّم رحمه الله في حدِّه للطاغوت، وأنَّه كلُّ ما تجاوز به العبدُ حدَّه: من معبودٍ أو متبوع أو مُطاع.

فكلُّ من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد حاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين أنْ يكفروا به. فإنَّ التحاكم ليس إلَّا إلى كتاب الله وسُنة رسوله، ومن كان يحكُم بهما. فمن حاكم[٢] إلى غيرهما: فقد تجاوز به

---

(١) ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٣٠٥).

(٢) ط: تحاكم.

[١/ب] حدَّه، وخرج عما شرعه الله ورسوله، وأنزله/ منزلةً لا يستحقها.

وكذلك من عبد شيئاً دون الله فإنما عبدَ الطاغوت، فإنْ كان المعبودُ صالحا صارت عبادةُ العابد له راجعةً إلى الشيطان الذي أمره بها؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ للذين أَشْرَكُوا مكَانَكُم أَنْتُم وشركاؤكم فزَيَّلْنَا بَيْنَهُم وَقَال شركاؤهُم ما كُنْتُم إيَّانَا تَعْبُدُون • فكفى بالله شَهيداً بَيْنَنَا وبينكم إنْ كُنَّا عن عبادَتِكُم لغافِلِينَ • هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إلى الله مَوْلاهُم الحَقِّ وضَلَّ عَنْهُم ما كانُوا يَفْتَرُون﴾. [يونس: ٢٨ ـ ٣٠]، وكقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم جَميعاً ثُمَّ يقُولُ لِلمَلائِكَةِ أَهَؤلاء إيَّاكُم كانُوا يَعْبُدُون • قالوا سُبْحَانَكَ أنتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤمِنُونَ﴾. [سبأ: ٤٠ ـ ٤١].

وإنْ كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه، أو كان شجراً أو حجراً أو قبراً، أو غير ذلك مما كان يتخذه المشركون لهم أصناماً(١) على صُور الصالحين أو الملائكة أو غير ذلك، فهي من الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده أنْ يكفروا بعبادته، ويتبرؤوا منه، ومن عبادة كلِّ معبودٍ سوى الله كائناً من كان. وهذا كلُّه من عمل الشيطان وتسويله، فهو الذي دعا إلى كلِّ باطل وزيَّنه لمن فعله، وهذا يُنافي التوحيدَ الذي هو معنى شهادة أنْ لا إله إلا الله.

فالتوحيدُ: هو الكفر بكلِّ طاغوتٍ عبده العابدون من دون الله؛ كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُم أُسْوَةٌ حَسنَةٌ في إبْراهِيم والذين مَعَهُ إذْ قَالُوا لِقَوْمِهم إنَّا بُراؤا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُون مِن دُونِ الله كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدا بيْنَنا وَبيْنَكُم العَدَاوَةُ والبَغْضَاءُ أَبَداً حتى تُؤمِنُوا بالله وَحْدَهُ﴾. [الممتحنة: ٤]. وكلُّ من عبد غيرَ الله فقد جاوز به حدَّه، وأعطاه من العبادة ما لا يستحقه.

---

(١) (هـ) (ط): مما يتخذه المشركون أصناما.

قال الإمام مالك: الطاغوت: ما عُبد من دون الله(١).

وكذلك من دعا إلى تحكيم غير الله تعالى ورسوله: فقد ترك ماجاء به الرسولُ ﷺ ورغب عنه، وجعل لله شريكا في الطاعة، وخالف ماجاء به الرسول ﷺ فيما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿وأن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ الله ولا تَتَّبِعْ أَهْواءهُم واحْذَرْهُم أَنْ يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ ما أَنْزَلَ الله إلَيْكَ﴾. [المائدة :٤٩] وقوله: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنُونَ حتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجر بَيْنَهُم ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾. [النساء: ٦٥].

فمن خالف ما أمر الله به رسولَه ﷺ/ : بأنْ حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، [١٤٢] أو طلب ذلك اتباعاً لما يهواه ويُريده، فقد خلع ربقةَ الإسلام والإيمان من عُنقه. وإنْ زعم أنه مؤمن.

فإنَّ الله تعالى أنكر على من أراد ذلك، وأكذَبهم في زعمهم الإيمان؛ لما في ضِمن قوله: ﴿يزعُمون﴾ من نفي إيمانهم، فإنَّ ﴿يزعُمون﴾ إنما يُقال غالبًا لمن ادَّعى دعوى هو فيها كاذبٌ لمخالفته لموجبها، وعملِه بما ينافيها. يحقق هذا قولُه: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا به﴾؛ لأن الكفر بالطاغوت ركنُ التوحيد، كما في آية البقرة. فإذا لم يحصل هذا الركنُ لم يكن موحِّداً.

والتوحيدُ هو أساسُ الإيمان، الذي تصلح به جميعُ الأعمال وتَفسُد بعدمه. كما أنَّ ذلك بيِّنٌ في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بالطاغُوتِ وَيُؤمِنِ بالله فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لا انفصام لها﴾. [البقرة: ٢٥٦] وذلك أنَّ التحاكم إلى الطاغوت إيمانٌ به.

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ الشيْطانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعِيداً﴾ يبيِّنُ تعالى في هذه الآية:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٢/ ٢٢).

أنَّ التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطانُ ويُزيِّنه لمن أطاعه، ويبيِّن أنَّ ذلك مما أضل به الشيطانُ من أضلَّه. وأكَّده بالمصدر، ووصفَه بالبعد، فدلَّ على أنَّ ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهُدى.

ففي هذه الآية أربعةُ أمور. الأوَّل: أنَّه من إرادة الشيطان. الثاني: أنه ضلالٌ. الثالث: تأكيدُه بالمصدر. الرابع: وصفُه بالبعد عن سبيل الحق والهدى.

فسبحان الله! ما أعظَمَ هذا القرآن وما أبلغه، وما أدلَّه على أنه كلامُ رب العالمين، أوحاه إلى رسوله الكريم، وبلَّغه عبدُه الصادق الأمين. صلوات الله وسلامه عليهما أجمعين.

قوله: ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إلى مَا أَنْزَلَ الله وإلى الرَّسُولِ رَأَيْتَ المُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾ بيَّن تعالى أنَّ هذه صفةُ المنافقين، وأنَّ من فعل ذلك أو طلبه، وإنْ زعم أنَّه مؤمنٌ فإنَّه في غاية البُعد من الإيمان.

قال العلَّامةُ ابنُ القيِّم: هذا دليلٌ على أنَّ من دُعي إلى تحكيم الكتاب والسُّنة فأبى، أنَّه من المنافقين.

قوله: ﴿يصدُّون﴾ لازمٌ. وهو بمعنى يُعرضون؛ لأنَّ مصدره، صدوداً. فما أكثر من اتصف بهذا الوصف، خصوصاً ممن/ يدَّعي العلم. فإنَّهم صدُّوا عما [١٤/ب] توجبه الأدلةُ من كتاب الله وسُنة رسوله إلى أقوال من يُخطيء كثيراً، ممن ينتسب إلى الأئمة الأربعة:

في تقليدهم من لا يجوز تقليده، واعتمادِهم على قول من لايجوز الاعتمادُ على قولـه، ويجعلون قولَه المخالف لنص الكتاب والسُّنة وقواعد الشريعة هو المعتمدُ عندهم، الذي لا تصح الفتوى إلَّا به. فصار المتبعُ للرسول ﷺ بين أولئك غريباً، كما تقدَّم التنبيهُ على هذا في الباب الذي قبل هذا.

فتدبَّر هذه الآيات ومابعدها، يتبيَّنُ لك ما وقع فيه غالبُ الناس من الإعراض عن الحق وتركِ العمل به في أكثر الوقائع. والله المستعان.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وإذا قيل لَهُم لا تُفْسِدُوا في الأرضِ قَالُوا إنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾. [البقرة: ١١].

ش: قال أبوالعالية في الآية: يعني: لا تعصوا في الأرض؛ لأن من عصى الله في الأرض، أو أمر بمعصية الله: فقد أفسد في الأرض؛ لأنَّ صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله[1].

وقد أخبر تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤذِّنٌ أَيَّتُها العِيرُ إنَّكُمْ لَسارِقُون • قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهم ماذا تَفْقِدُون • قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ وَلِمَنْ جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وأَنَا بِهِ زعيمٌ • قالُوا تاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُم ما جِئْنَا لِنُفْسِدَ في الأرضِ ومَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾. [يوسف: ٧٠ ـ ٧٢] فدلَّت الآيةُ على أنَّ كلَّ معصية فسادٌ في الأرض.

ومناسبةُ الآية للترجمة: أنَّ التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين، وهو من الفساد في الأرض.

وفي الآية: التنبيهُ على عدم الاغترار [بأقوال أهل الأهواء وإنْ زخرفوها بالدعوى. وفيها: التحذير من الاغترار][2] بالرأي، مالم يقم على صحته دليلٌ من كتاب الله وسُنَّة رسوله. فما أكثر من يُصدِّق بالكذب ويُكذِّب بالصدق إذ جاءه، وهذا من الفساد في الأرض، ويترتب عليه من الفساد أمورٌ كثيرة تخرج صاحبها من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» رقم (١٢١)، وأخرجه الطبري في «التفسير» رقم (٣٤٠) عن الربيع بن أنس.

(٢) ساقط من الأصل، وهو انتقال نظر.

الحق وتدخله في الباطل. نسألُ الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

فتدبَّر تجد ذلك في حال الأكثر: إلَّا من عصمه الله، ومَنَّ عليه بقوَّةِ داعي الإيمان، وأعطاه عقلاً كاملاً عند ورود الشهوات، وبصراً ناقداً[١] عند ورود الشبهات. وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِه: ﴿ولا تُفْسِدُوا في الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾. [الأعراف: ٥٦].

[١٤/أ] **ش**: قال/ أبوبكر بن عيَّاش[٢] ـ في الآية ـ: إنَّ الله بعث محمداً ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمَّدٍ ﷺ. فمن دعا إلى خلاف ماجاء به محمدٌ ﷺ فهو من المفسدين في الأرض[٣].

وقال ابنُ القيِّم: قال أكثرُ المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والدعاءِ إلى غير طاعة الله، «[٤] بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل، وبيانِ الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله[٤]»؛ فإنَّ عبادة غيرِ الله والدعوة إلى غيره والشركَ به: أعظمُ[٥] فسادٍ في الأرض. بل فسادُ الأرض في الحقيقة إنَّما هو بالشرك به ومخالفة أمره. فالشركُ والدعوة إلى غير الله وإقامةُ معبودٍ غيره، ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ: هو أعظمُ الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبودَ

---

(١) (ض) (ط): نافذاً.

(٢) ابن سالم الأسدي الكوفي، المقريء مشهور بكُنيته، والأصح أنها اسمه، ثقةٌ عابد، إلَّا أنه لما كبر ساء حفظُه، وكتابه صحيح (ت ١٩٤هـ) «تقريب» (٦٢٤).

(٣) أخرجه أبوالشيخ، كما في «الدر المنثور» (٣/٤٧٦).

(٤) مابينهما معلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٥) (ض) (هـ) (ط): هو أعظم.

المطاع، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلَّا. وغيرُه إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلافِ شريعته فلا سمع له ولا طاعة.

ومن تدبَّر أحوالَ العالم: وجد كلَّ صلاح في الأرض، فسببه توحيدُ الله وعبادتُه وطاعةُ رسوله. وكلَّ شرٍّ في العالم وفتنةٍ وبلاء وقحْط وتسليط عدوٍّ وغيرِ ذلك، فسببُه: مخالفةُ رسوله، والدعوةُ إلى غيرِ الله ورسوله. انتهى[1].

ووجهُ مطابقةِ هذه الآية للترجمة: أنَّ التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما يُفسد الأرض من المعاصي، فلا صلاح لها إلَّا بتحكيم كتاب الله وسُنة رسوله، وهو سبيلُ المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ من بَعْدِ ما تبَيَّنَ لَهُ الهدى ويَتَّبعْ غَيْرَ سَبِيلِ المؤمنين نُوَلِّه ما تَوَلَّى ونُصْلهِ جهَنَّم وساءَتْ مصيراً﴾. [النساء: ١١٥].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الجاهِلِيَّة يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسنُ من الله حُكْماً لِقَومٍ يُوقِنُون﴾. [المائدة: ٥٠].

ش: قال ابنُ كثير: يُنكر تعالى، على من خرج عن حُكم الله تعالى المشتملِ على كلِّ خير، والنهي[2] عن كلِّ شر، وعَدَل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجالُ بلا مُستندٍ من شريعة الله؛ كما كان أهل الجاهلية يحكمون بها من الجهالات والضلالات، كما يحكم بها التتار من السياسات المأخوذة عن جنكز خان[3] الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكامِ

(١) ابن القيم، «بدائع الفوائد» (١٧/٣).

(٢) (ط): الناهي.

(٣) سُلطان التتار، ووالد ملوكهم ومؤسس حُكمهم الجائر. لا يُعرف له نسب، كان باذلاً للمال ومسرفاً في القتل مشركاً بالله، من ذريته هولاكو السفاح، مات سنة (٦٢٤هـ) «تاريخ ابن كثير» (١١٧/١٣).

[١٤/ب] أقيسة[١] من شرائع شتى[٢]. وفيها كثيرٌ من الأحكام أخذها عن/ مجرَّد نظره، وصار في بَنيه شرعاً يقدِّمونه على الحكم بكتاب الله وسُنة رسوله.

ومن فعل ذلك: فهو كافرٌ يجب قتاله حتى يرجع إلى حُكم الله ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليلٍ ولا كثير[٣].

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ من الله حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ استفهامُ إنكار، أي: لا حُكم أحسن من حكمه تعالى.

وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشارك، أي: ومن أعدل من الله حكماً لِمن عقل عن الله شرعه، وآمن وأيقن أنَّ الله تعالى: أحكمُ الحاكمين، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، العليمُ بمصالح عباده القادر على كلِّ شيء، الحكيمُ في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره؟.

وفي الآية: التحذيرُ من حكم الجاهلية، واختيارِه على حكم الله ورسوله. فمن فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن، وهو الحق، إلى ضدِّه من الباطل.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن عبدالله بن عمرو: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به»قال النووي: حديثٌ صحيح، رُوِّيناه في كتاب (الحجة) بإسنادٍ صحيح.

ش: هذا الحديث: رواه الشيخ أبوالفتح، نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي[٤]

---

(١) في (ط) إضافة مانصه: وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب أحكام قد اقتبسها.

(٢) (ط): مانصه: شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية.

(٣) ابن كثير في «التفسير» (٣/١٢٣).

(٤) النابلسي، يعرف بابن أبي حافظ، فقيه محدّث (ت ٤٩٠هـ) «سير النبلاء» (١٩/١٣٦).

في كتاب (الحُجَّةِ على تاركِ المحجَّة)، بإسنادٍ صحيح، كما قاله المصنفُ، عن النووي(١).

ورواه الطبرانيُّ، وأبوبكر بن عاصم، والحافظ أبونُعيم في (الأربعين) التي شرط لها أنْ تكون من صحاح الأخبار(٢)، وشاهدُه في القرآن:

قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَر بيْنَهم﴾. الآية [النساء: ٦٥]، وقوله: ﴿وما كانَ لمؤمِنٍ ولا مُؤمِنَةٍ إذا قضى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً أنْ يَكُونَ لَهُمْ الخِيرَةُ مِن أمْرِهِم﴾. [الأحزاب :٣٦] وقوله: ﴿فإنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُم﴾. [القصص: ٥٠] ونحو هذه الآيات.

قوله: «لا يؤمن أحدكم»: أي: لا يكون من أهل كمال الإيمان الواجب الذي وعد الله أهلَه عليه بدخول الجنة والنجاة من النار، وقد يكون في درجةِ أهل الإساءة والمعاصي من أهل الإسلام.

قوله: «حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به». الهوى: بالقصر، أي: مايهواه وتحبُّه نفسُه وتميل إليه.

فإنْ كان الذي يحبه وتميل إليه نفسه ويعمل به تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ لا يخرج عنه إلى مايخالفه، فهذه صفةُ أهل الإيمان المطلق.

وإنْ كان/ بخلاف ذلك، أو في بعض أحواله أو أكثرِها. انتفى عنه من الإيمان [١٤٤/

(١) النووي في «الأربعين» (الحديث الحادي والأربعون).

(٢) الطبراني كما في «جامع العلوم والحكم» (٢/٢٦٨) وابن أبي عاصم في «السُّنة» رقم (١٥) وأبونعيم في «الأربعين» كما في «جامع العلوم والحكم» (٢/٢٦٨) وأخرجه ابن بطة الحنبلي في «الابانة الكبرى» رقم (٢٧٩) والحكيم الترمذي، وأبونصر السجزي في «الابانة» وقال: حسن غريب كما في «الكنز» (٢١٧/١) والخطيب البغدادي في «التاريخ» (٣٦٩/٤) وابن الجوزي في «ذم الهوى» (١٨)، قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/٢٦٩): تصحيح هذا الحديث بعيد جدًّا من وجوه. وذكرها.

كماله الواجب؛ كما في حديث أبي هريرة «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارقُ حين يسرق وهو مؤمن»(١) يعني أنَّه بالمعصية ينتفي عنه كمالُ الإيمان الواجب، وينزل عنه في درجة الإسلام. وينقص إيمانُه، فلا يُطلق عليه الإيمانُ إلا بقيد المعصية أو الفسوق، فيقال: مؤمنٌ عاص، أو يقال: مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بمعصيته، فيكون معه مُطلق الإيمان الذي لا يصح إسلامه إلَّا به؛ كما قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾. [النساء: ٩٢].

والأدلَّةُ على ماعليه سلفُ الأمة وأئمتها ـ أنَّ الإيمان قولٌ وعمل ونيَّة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ـ من كتاب الله وسُنة رسوله أكثرُ من أنْ تُحصر.

فمن ذلك: قولُه تعالى: ﴿ومَا كانَ الله لِيُضيعَ إيمانَكُم﴾. [البقرة: ١٤٢] أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة، وقولُ النبي ﷺ لوفد عبد القيس «آمرُكم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أنْ لا إله إلَّا الله» الحديث، وهو في (الصحيحين)، و(السنن)(٢).

والدليلُ على أنَّ الإيمان يزيد: قوله تعالى: ﴿ويَزْدَادَ الذين آمَنُوا إيمَاناً﴾. [المدثر: ٣١]، ﴿فَأَمَّا الذين آمَنُوا فزادتْهُم إيمَاناً﴾. [التوبة: ١٢٤] خلافاً لمن قال: إنَّ الإيمان هو القول، وهم المُرجئة، ومن قال: إنَّ الإيمان هو التصديق، كالأشاعرة.

ومن المعلوم عقلاً وشرعاً: أنَّ نية الحق تصديقٌ، والعملَ به تصديق، وقول الحق تصديق. فليس مع أهل البدع ماينافي قولَ أهل السُّنة والجماعة. ولله الحمدُ والمنّة.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٢٤٧٥، ٥٥٧٨، ٦٧٧٢، ٦٨١٠) ومسلم في «الصحيح» رقم (٥٧) وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٨٦، ٤٧٩).

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (٥٣، ٨٧، ٥٢٣، ١٣٩٨) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٠٧) وأبوداود في «السنن» رقم (٣٦٩٢) والترمذي في «الجامع» رقم (١٧٤١) والنسائي في «المجتبى» (٨/ ١٢٠) من حديث ابن عباس.

قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المشرِقِ والمغْرِبِ ولَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخِر والملائِكَةِ والكِتَابِ والنَبِيِّين وآتى المال على حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى واليَتامى والمساكين وابْنَ السَّبِيلِ والسائلين وفي الرِّقَابِ وأقَامَ الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعَهْدِهِم إذا عاهَدُوا والصابرين في البأساء والضرَّاء وحين البأسِ أُوْلَئِكَ الذين صَدَقُوا﴾ . [البقرة: ١٧٧] أي : فيما عملوا به في هذه الآية من الأعمال الظاهرة والباطنة . وشاهدُه في كلام العرب، قولُهم : حملةٌ صادقة .

وقد سمَّى الله تعالى الهوى المخالف لما جاء به الرسولُ ﷺ إلهاً، فقال : ﴿أَرأيْت مَنِ اتخذ إلهَهُ هواهُ﴾ . [الفرقان: ٤٣] قال بعضُ المفسرين : لا يهوى شيئاً إلَّا ركبه[1] .

قال ابنُ رجب : أمَّا معنى الحديث : فهو أنَّ الإنسان لا يكون مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكونَ محبتُه تابعةً لما جاء به الرسول ﷺ /من الأوامر والنواهي [١٤٤/ب] وغيرها . فيحبُّ ما أُمر به، ويكره مانُهي عنه . وقد ورد[2] القرآنُ بمثل هذا المعنى في غير موضع، وذمَّ سبحانه من كره ما أحبَّه الله، أو أحبَّ ماكرهه الله ؛ كما قال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُم اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ الله وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُم﴾ . [محمد: ٢٨].

فالواجبُ[3] على كلِّ مؤمنٍ أنْ يحبَّ ما أحبه الله، محبةً توجب له الاتيانَ بما أوجب عليه منه . فإنْ زادت المحبةُ حتى أتى بما نُدب إليه منه، كان ذلك فضلاً .

وأنْ يكره مايكرهه الله كراهةً توجب له الكفَّ عما حرَّم عليه منه، فإنْ زادت الكراهةُ حتى أوجبت الكفَّ عمَّا كرهه تنزيهاً، كان ذلك فضلاً .

---

(١) أخرجه عبد بن حُميد، وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٠) عن قتادة السدوسي .

(٢) (ط) : رد . تحريف .

(٣) في هامش (ض) مانصه : قف فتأمل قوله : فالواجب .

فمن أحبَّ الله ورسوله محبةً صادقة من قلبه، أوجب ذلك له أن يحب بقلبه: ما يُحبه الله ورسوله، ويكره مايكرهه الله ورسولُه، فيرضى بما يرضى به الله ورسولُه، ويَسخط مايُسخط الله ورسولَه، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض. فإنْ عمل بجوارحه شيئاً يخالف ذلك، بأنْ ارتكب بعضَ مايكرهه الله ورسوله، وترك مايحبه الله ورسوله ـ مع وجوبه والقدرة عليه ـ دلَّ ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أنْ يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة التي هي ركنُ العبادة إذا كملت. فجميعُ المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله.

وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضعَ من كتابه، فقال تعالى: ﴿فإنْ لَمْ يستجيبوا لكَ فاعْلَم أنَّما يَتَّبِعُون أَهْواءهُم ومَنْ أَضَلُّ مِمَن اتَّبَع هَوَاهُ بِغَير هُدىً مِن الله ﴾. [القصص: ٥٠].

وكذلك البدعُ إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع؛ ولهذا سُمي أهلها أهل الأهواء. وكذلك المعاصي، إنما تقع[١] من تقديم الهوى على محبَّة الله ومحبة مايحبه الله.

وكذلك حبُّ الأشخاص: الواجبُ فيه أنْ يكونَ تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ، فيجب على المؤمن محبةُ من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصِّديقين والشهداء والصالحين عموماً؛ ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان: أنْ يحبَّ المرء لا يحبه إلاَّ لله[٢]. فتحرمُ موالاةُ أعداء الله/ ومن يكرهه الله عموماً، وبهذا [١٤٠/أ]

---

(١) (هـ) (ط). تنشأ.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (١٦، ٢١) ومسلم في «الصحيح» رقم (٤٣) من حديث أنس. وانظر بقية التخريج في «أوثق عُرى الإيمان» (٦٩).

يكونُ الدين كله لله وحده. ومن أحبَّ لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله: فقد استكمل الإيمان[١]. ومن كان حبُّه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه: كان ذلك نقصاً في إيمانه الواجب. فيجب التوبةُ من ذلك. انتهى ملخصاً[٢].

ومناسبةُ الحديث للترجمة: بيانُ الفرقِ بين أهل الإيمان وأهل النفاق والمعاصي، في أقوالهم وأفعالهم وإراداتهم.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال الشَّعبي: كان بين رجلٍ من المنافقين ورجل من اليهود خصومةٌ، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ عرف أنَّه لا يأخذ الرشوة. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أنْ يأتيا كاهناً في جُهينة فيتحاكما إليه، فنزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الذين يَزْعُمُون﴾ الآية[٣].

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدُهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر بن الخطاب، فذكر له أحدُهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال نعم، فضربه بالسيف فقتله[٤].

---

(١) أخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٤٦٨١) من حديث أبي أمامة، وانظر بقية التخريج في كتاب «أوثق عُرى الإيمان» (٧٢).

(٢) ابن رجب «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٧٠).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٩٨٩١، ٩٨٩٢، ٩٨٩٣) وابن المنذر، كما في «الدر المنثور» (٢/ ٥٨٠) واسحاق بن راهويه في «تفسيره» باسناد صحيح، كما قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٣٧).

(٤) أخرجه الثعلبي، كما في «الدر المنثور» (٢/ ٥٨٢)، والكلبي كما في «فتح الباري» (٥/ ٣٧) عن ابن عباس، قال ابن حجر: وهذا الإسناد وإن كان ضعيفا لكن تقوى بطريق مجاهد، أخرجه الطبريُّ في «التفسير» رقم (٩٩٠١) باسناد صحيح.

ش: قوله: (وقال الشعبي). هو عامر بن شَراحيل الكوفي، عالمُ أهل زمانه، وكان حافظاً علاَّمة ذا فنون. كان يقول: ماكتبتُ سوداءَ في بيضاء. وأدرك خلقاً من الصحابة، وعاش بضعاً وثمانين سنة. قاله الذهبي[١].

وفيما قاله الشَّعبيُّ مايُبيِّنُ أنَّ المنافق يكون أشدَّ كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى. ويكون أشدَّ عداوة منهم لأهل الإيمان؛ كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها: من إعانة[٢] العدوِّ على المسلمين، وحرصِهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان[٣].

ومن تدبَّر مافي التاريخ وما وقع منهم في الوقائع عرف أنَّ هذا حالُ المنافقين قديماً وحديثاً، وقد حذَّر الله نبيَّه ﷺ من طاعتهم والقرب منهم، وحضَّه على جهادهم في مواضع من كتابه؛ قال تعالى: ﴿يا أيُّها النَّبيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ والمُنافِقِين واغْلُظْ عَلَيْهِم ومأواهم جهنَّمُ وبئسَ المَصير﴾. [التحريم: ٩].

وفي قصة عمر، وقتله المنافق الذي طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي: دليلٌ على قتل من أظهر الكفر والنفاق.

وكان كعبُ بن الأشرف[٤] هذا شديدَ العداوة للنبي ﷺ والأذى له، وإظهار

---

(١) الذهبي «سير النبلاء» (٤/٣٠١).

(٢) (ط): اعانة المنافقين.

(٣) وقد استحوذ الرافضةُ والاسماعيلية (القاديانية والمكرمية والنصيرية والبهائية ونحوهم) ومن شايعهم من العلمانيين والحداثين في وقتنا من ذلك على النصيب الأوفى. نعوذ بالله تعالى من الخذلان.

(٤) قال الحافظ ابن القيِّم رحمه الله تعالى في «زاد المعاد» (٣/١٩١): كان رجلاً من اليهود، وأُمُّه من بني النضير. وفي «فتح الباري» (٧/٣٣٧): كان عربياً من بني نبهان، وهم بطن من طيء. وكان أبوه أصاب دمًا في الجاهلية، فأتى المدينة فحالف بني النضير. فشرُف فيهم، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعبا. ا.هـ.

عداوته[1]. فانتقض به عهدُه، وحلَّ به قتله. وروى مسلمٌ في (صحيحه)، عن عمرو: سمعتُ جابراً يقول: قال رسولُ الله ﷺ «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسولَـه» قال محمَّدُ بن مَسلمة: يارسول الله، أتحبُّ أنْ أقتله؟ قال: «نعم» قال: ائذن لي فلأقل، قال: «قُل».

فأتاه فقال له، وذكر ما بينهم، وقال: إنّ الرجلَ قد أراد صدقةً، وقد عنَّانا. فلما سمعه، قال: وأيضاً والله لتمَلُّنَّه، قال: إنا قد اتبعناه الآن، ونكره أنْ ندعه حتى ننظر إلى أيِّ شيء يصير أمرُه، قال: وقد/ أردتُ أنْ تُسلفني سلفاً. [١٤٥] قال: فما تَرهَنُني؟ قال: ماتُريده؟ قال: ترهنني نساءَكم؟ قال: أنت أجملُ العرب، أنرهنك نساءنا؟ قال: ترهنوني أولادكم؟ قال: يُسبُّ ابنُ أحدنا، فيقال: رُهن في وَسْقين من تمر. ولكن نرهنك اللأمة ـ يعني السلاح ـ قال: فنعم. وواعده أنْ يأتيه بالحارث، وأبي عبس ابن جبر، وعبَّاد بن بشر. قال: فجاؤوا، فدعوه ليلاً فنزل إليهم، قال سفيان قال غيرُ عمرو: قالت له امرأتُه: إني لأسمع صوتاً كأنه صوت دم، قال: إنما هذا محمد بن مَسلمة، ورضيعه، وأبونائلة؛ إنَّ الكريم لو دُعي إلى طعنةٍ ليلاً لأجاب. قال محمد: إني إذا جاء فسوف أمدُّ يدي إلى رأسه، فإذا استمكنتُ منه فدونَكم. قال: فلمَّا نزل، نزل وهو متوشِّحٌ. فقالوا: نجد منك ريحَ الطيب، قال: نعم، تحتي فلانةُ أعطر نساء العرب. قال: فتأذنُ لي أن أشم منه؟ قال: نعم فشُمَّ! فتناوله فشم، ثم قال: أتأذن لي أنْ أعود؟ قال: فاستمكن من رأسه. ثم قال: دونكم، قال: فقتلوه[2].

---

(١) (هـ)(ط): والاظهار لعداوته.

(٢) مسلم في «الصحيح» رقم (١٨٠١)، وأخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٢٥١٠، ٣٠٣١، ٣٠٣٢، ٤٠٣٧) وأبوداود في «السنن» رقم (٢٦٧٨).

وفي قصة عُمر: بيانُ أنَّ المنافق المغموصَ بالنفاق[1] إذا أظهر نفاقه قُتل؛ كما في (الصحيحين)، وغيرهما: أن النبي ﷺ إنما ترك قتْلَ من أظهر نفاقه منهم، تأليفاً للناس؛ فإنه قال: «لا يتحدَّثُ الناسُ أنَّ محمداً يقتل أصحابه»[2] صلواتُ الله وسلامه عليه.

---

(١) المتهم به، المطعون عليه. «تاج العروس» (١٨/ ٥٨).

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (٣٥١٨، ٤٩٠٥، ٤٩٠٧) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٥٨٤) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٣١٢) وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٩٣).

(٣٩)
باب: من جحد شيئا من الأسماء والصفات

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ من جحد شيئاً من الأسماء والصفات، وقولِ الله تعالى: ﴿وهم يكفُرونَ بالرَّحمن﴾. [الرعد: ٣٠].

ش: سببُ نزول الآية معلومٌ مذكور في كُتب التفسير وغيرها، وهو أنَّ مُشركي قريش[١] جحدوا اسم ﴿الرحمن﴾ عنادا[٢].

قال تعالى: ﴿قُل ادْعُوا الله أو ادْعوا الرحمنَ أيًّا ما تدعوا فله الأسماءُ الحُسنى﴾. [الإسراء: ١١٠] و الرحمن: اسمُه وصفته، دلَّ هذا الاسمُ على أنَّ الرحمة وصفُه[٣] سُبحانه؛ وهي من صفات الكمال.

فإذا كان المشركون جحدوا اسْماً من أسمائه تعالى، وهو من الأسماء التي دلَّت على كماله سبحانه وبحمده: فجحودُ معنى هذا الاسم ونحوِه من الأسماء يكون كذلك. فإنَّ جَهْم بن صَفْوان[٤] ومن تبعه: يزعُمون أنَّها لا تدل على صفة قائمة

---

(١) قبيلة، وقُريش مأخوذ من القرش، دابة تكون في البحر من أعظم دوابه، ومنه اشتق هذا اللقب. واسمُه: النَّضْر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن معَدّ بن عدنان، من ذرية عابر فيها قيل. وعند عابر تلتقي أنسابُ العرب جميعاً، قحطانيهم وعدنانيهم. والله أعلم. ينظر: الملك الرسولي، «طُرفة الأصحاب» (٥٨). وابن كثير، «التاريخ» (٢/ ١٨٧).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٣/ ١٥٠).

(٣) (ط): صفته.

(٤) أبو محرز، من موالي بني راسب، بلخيُّ الأصل، وعاش في سمرْقند فنسب إليها، كان له نشاطٌ محموم مقذور في تشتيت الأمة وتضليلها، إلى أن هلك في زمن صغار التابعين. «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٤٢٦).

بالله تعالى. وتبعهم على ذلك طوائفُ من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم؛ فلهذا كفَّرهم كثيرون من أهل السنة؛ قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى/ . [١٤٦/أ]

ولقد تقلَّد كفرَهم خمسون في عشر من العُلماء في البلدان

واللالكائيُّ الإمام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبراني[١]

فإنّ هؤلاء الجهميةَ، ومن وافقهم على التعطيل: جحدوا ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، وبنوا هذا التعطيل على أصلٍ باطل أصَّلوه من عند أنفسهم، فقالوا: هذه الصفاتُ هي صفات الأجسام، فيلزم من إثباتها أنْ يكون الله جسما.

هذا منشأ ضلال عقولهم، لم يفهموا من صفات الله إلاَّ ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين. فشبَّهوا الله في ابتداء رأيهم الفاسد[٢] بخلقه، ثم عطَّلوه من صفات كماله، وشبَّهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات.

فشبَّهوا أوَّلاً، وعطلوا ثانيا، وشبَّهوا ثالثا بكل ناقص أو معدوم[٣]. فتركوا ما دلَّ عليه الكتاب والسنة، من إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته.

هذا هو الذي عليه سلفُ الأمة وأئمتها؛ فإنَّهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسولُه ﷺ، إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل؛ فإنَّ الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات يُحتذى حذوه. فكما أنَّ هؤلاء المعطِّلة يُثبتون لله ذاتا لا تشبه الذوات، فأهل السنة يقولون ذلك، ويثبتون ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، لا تُشْبه[٤] صفات خلقه.

---

(١) ابن القيم «الكافية الشافية». ( ).

(٢) (هـ)(ط): آرائهم الفاسدة.

(٣) (ط): وشبهوه ثالثاً بكل ناقص ومعدوم.

(٤) (ط): لا يشبهون صفاته.

فإنهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولم يتناقضوا. وأولئك المعطِّلةُ: كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك، فتناقضوا.

فبطل قولُ المعطِّلين بالعقل والنقل ـ ولله الحمدُ والمنّة ـ وإجماعِ أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة المسلمين.

وقد صنَّف العلماءُ رحمهم الله تعالى في الرَّد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، في إبطال هذه البدع وما فيها من التناقض والتهافُت: كالإمام أحمد رحمه الله تعالى في ردّه المشهور[1]، و (كتاب السنة) / لابنه عبدالله[2]، [١٤٦/ب] وصاحب (الحَيدة)، عبدالعزيز الكناني في ردِّه على بشْر المرِّيسي[3]. و (كتاب السنة) لأبي عبدالله المروَزي[4]، وردِّ عثمان بن سعيد على الكافر العنيد وهو بشر المريسي[5]، و (كتاب التوحيد) لإمام الأئمة محمد بن خُزيمة الشافعي[6]، و (كتاب السنة) لأبي بكر الخلَّال[7]، وأبي عثمان الصابوني الشافعي[8]، وشيخ الإسلام الأنصاري[9]، وأبي عمر بن عبدالبر النمري، وخلقٍ كثير من أصحاب

---

(١) «الرد على الجهمية والزنادقة»، طُبع مرات، غير أنَّه بحاجة إلى تحقيق يليق به. ولدي منه ثلاثُ نسخ خطية جيدة.

(٢) مطبوع مُحقق في مجلّدين (رسالة دكتوراه).

(٣) مطبوع، وانظر كلام الذهبي عنه في «سير النبلاء» (١٨/٢٤٨).

(٤) مطبوع دون عناية تذكر، ثم طبع ثانية مع تخريج نصوصه، وعلمت أنه يحقق الآن.

(٥) مطبوع في مصر. باشراف الشيخ حامد الفقي رحمه الله تعالى.

(٦) مطبوع مُحقق في مجلدين كبيرين (رسالة دكتوراه).

(٧) طبع منه المجلد الأول محققاً (رسالة دكتوراه).

(٨) إسماعيل بن عبدالرحمن النيسابوري، مفسِّر محدِّث، له كتاب السنة (مطبوع في المنيرية) وغيره. ت ٤٤٩هـ «سير النبلاء» (١٨/ ٤٠).

(٩) أبو اسماعيل، عبدالله بن محمد الانصاري الهروي، ففيه محدث، له كتاب ذم الكلام ومنازل السائرين وغيرهما. ت ٤٨١هـ ابن أبي يعلي «طبقات الحنابلة» (٢/٢٤٧).

الأئمة الأربعة وأتباعهم، وأهل الحديث.

ومن متأخريهم: أبو محمد، عبدالله بن أحمد ابن قُدامة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وأصحابه وغيرهم. فلله الحمدُ والمنّة على بقاء السُّنة وأهلها، مع تفرُّق الأهواء وتشعُّب الآراء، والله أعلم.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي (صحيح البخاري)، قال علي: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتُريدون أنْ يُكذَّب الله ورسوله[1].

ش: علي: هو أميرُ المؤمنين أبو الحسن، علي بن أبي طالب، وأحدُ الخلفاء الراشدين. وسبب هذا القول ـ والله أعلم ـ ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس على الحديث، وكثرةِ القُصَّاص وأهل الوعظ، فيأتون في قصصهم بأحاديث لا تعرف من هذا القبيل. فربما استنكرها بعض الناس وردها، وقد يكون لبعضها أصلٌ أو معنى صحيح، فيقع بعضُ المفاسد لذلك. فأرشدهم أميرُ المؤمنين رضي الله عنه إلى أنَّهم لا يحدثون عامة الناس إلا بما هو معروف، ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه، من بيان الحلال والحرام الذي كلِّفوا به علما وعملا، دون ما يُشغل عن ذلك، مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله، فيُفضي بهم إلى التكذيب، لاسيما مع اختلاف الناس في وقته، وكثرة خوضهم وجدلهم.

وقد كان شيخُنا المصنف رحمه الله لا يُحب أنْ يُقرأ على الناس إلا ما ينفعهم في أصل دينهم وعبادتهم ومعاملاتهم الذي لا غنى لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي: (كالمنعش)، و (المرعش)، و (التبصرة)، لما في ذلك من الاعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله به أعلم مما لا ينبغي اعتقاده، والمعصومُ من عصمه الله.

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (١٢٧).

وقد كان أميرُ المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ينهى القُصَّاص عن القَصَص؛ لما في قصصهم من الغرائب والتساهل في النقل وغير ذلك، ويقول: لا يقص إلا أمير أو مأمور[1].

وكلُّ هذا محافظة على لزوم الثبات/ على الصراط المستقيم علما وعملا ونية وقصدا، وترك كلِّ ما كان وسيلة إلى الخروج عنه من البدع ووسائلها، والله الموفق للصواب، ولا حول ولا قوة إلا بالله. [١٤٧/أ]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وروى عبدالرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس: أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات، استنكاراً لذلك! . فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقَّةً عند مُحكَمه، ويَهلكون عند مُتشابهه. انتهى[2]

ش: قولـه: (وروى عبـدالرزاق). هو ابن همَّام الصنعاني المحدِّث، مُحدِّث اليمن صاحب التصانيف، أكثر الروايةَ عن مَعْمر بن راشد صاحب الزهري. وهو شيخ عبدالرزاق، يروي عنه كثيرا[3].

ومعمر ـ بفتح الميمين وسكون العين ـ أبو عروة بن أبي عمرو، راشد الأزدي الحرَّاني ثم اليماني، أحدُ الأعلام من أصحاب محمد بن شهاب الزهري، يروي عنه كثيرا[4].

---

(١) حديث، أخرجه أحمد في «المسند» (٦/٢٢، ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٢٩) من حديث عوف بن مالك، وأخرجه من حديث ابن عمرو، أحمد في «المسند» (٢/١٧٨، ١٨٣) وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٧٥٣) والطبراني في «الصغير» رقم (٦٠١).

(٢) عبدالرزاق في «المصنف» رقم (٢٠٨٩٥)، وأخرجه ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» رقم (٤٨٥).

(٣) ترجمته: «الفهرست» لابن النديم (٢٨٤).

(٤) ترجمته: «الفهرست» لابن النديم (١٠٦).

قوله: (عن ابن طاوس). هو عبدالله بن طاوس اليماني. قال معْمر: كان من أعلم الناس بالعربية. وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة[١].

قوله: (عن أبيه). هو طاوس بن كَيْسَان الجَنَدي - بفتح الجيم والنون - الإمام العَلَم، قيل: اسمُه ذكْوان، قاله ابنُ الجَوزي[٢].

قلت: وهو من أئمة التفسير، ومن أوعية العلم. قال في (تهذيب الكمال): عن الوليد المُوقَّري[٣]، عن الزهري، قال: قدمتُ على عبدالملك بن مروان، فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قال: قلتُ: من مكة، قال: من خلَّفت يسودها وأهلَها؟ قلتُ: عطاء بن أبي رباح، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلتُ: من الموالي، قلت: فبِمَ سادهم؟ قال، قلتُ: بالديانة والرواية. قال: إنَّ أهل الديانة والرواية لينبغي أنْ يسودوا. قال: فمَن يسود أهلَ اليمن؟ قلتُ: طاوس بن كَيْسان، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلتُ: من الموالي؟ قال: فبم سادهم؟ قلتُ: بما ساد به عطاء، قال: إنه لينبغي ذلك، قال: فمن يسود مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلتُ: من الموالي، قال: فمن يسود أهلَ الشام؟ قلتُ: مكحول. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلتُ: من الموالي، عبدٌ نوبي أعتقته امرأةٌ من هُذيل، قال: فمن يسود أهلَ الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مِهْران، قال: فمن العرب أم من الموالي/؟ قلتُ: من الموالي، قال: فمن يسود أهل خُراسان؟ قال: قلتُ: الضحاك بن مُزاحم، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل البصرة؟ [١٤٧/ب]

---

(١) ترجمته: «تقريب التهذيب» (٣٠٨).

(٢) ترجمته: «تقريب التهذيب» (٢٨١).

(٣) أبو بشر، ابن محمد البَلْقاوي، مولى بني أمية، متروك. (ت ١٨٢هـ) «تقريب» (٥٨٣).

قال: قلتُ: الحسن البصري، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلتُ: من الموالي، قال: ويلك، ومن يسود أهل الكوفة؟ قال: قلتُ: إبراهيم النخعي، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلتُ: من العرب، قال: ويلك يا زهري، فرَّجت عني، والله لتسودن الموالي على العرب في هذا البلد، حتى يُخطب لها على المنابر والعرب تحتها. قال: قلتُ: يا أمير المؤمنين، إنَّما هو دين. من حفظه سادَ ومن ضيَّعه سقط[1].

قوله: (عن ابن عباس). قد تقدَّم، وهو حَبرُ الأمة وتَرجمان القرآن، ودعا له النبيُّ ﷺ، وقال: «اللهم فقِّهه في الدين، وعلِّمه التأويل»[2] وروى عنه أصحابهُ أئمةُ التفسير، كمجاهد، وسعيد بن جُبير، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس، وغيرهم.

قوله: (ما فَرَقُ هؤلاء). يستفهم من أصحابه، يشير إلى أُناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس، فإذا سمعوا شيئا من محكم القرآن ومعناه، حصل معهم فَرَق. أي: خوف، فإذا سمعوا شيئا من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين له، فلم يحصل منهم الإيمان الواجب الذي أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين.

قال الذهبي: حدَّث وكيعُ ـ عن إسرائيل ـ بحديث: إذا جلس الربُّ على الكرسي. فاقشعر رجلٌ عند وكيع. فغضب وكيع، وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يُحدِّثون بهذه الأحاديث ولا يُنكرونها. أخرجه عبدالله في (كتاب الرَّد على الجهمية)[3].

---

(١) المزي «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٨١). وفيه الموقَّري، وهو متروك.

(٢) مضى تخريجه.

(٣) عبدالله بن أحمد بن حنبل في «كتاب السنة» رقم (٥٨٧). وينظر: الذهبي، «العلو» (   ).

وربما حصل معهم من عدم تلقِّيه بالقبول تركُ ما وجب من الإيمان به، فتُشبه حالـهُم حال من قال الله فيهم: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفُرون ببعض﴾. [البقرة: ٨٥] . فلا يَسلم من الكفر إلَّا من عمل بما وجب عليه في ذلك، من الإيمان بكتاب الله كله واليقين؛ كما قال تعالى: ﴿هو الذين أنْزَل عليك الكتابَ منه آياتٌ محكماتٌ هُنَّ أمُّ الكتابِ وأُخرُ متشابهاتٌ فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلمُ تأويلَه إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به/ كلٌّ من عند ربنا وما يذَّكر إلا أُولوا الألباب﴾. [آل عمران: ٧]. [١٤٨/أ]

فهؤلاء الذين ذكرهم ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ تركوا ما وجب عليهم من الإيمان بما لم يعرفوا معناه من القرآن، وهو حقٌّ لا يرتاب فيه مؤمن.

وبعضُهم يفهم منه غيرَ المراد من المعنى الذي أراد الله، فيحملُه على غير معناه؛ كما جرى لأهل البدع، كالخوارج والرافضة والقدرية، ونحوهم ممن يتأول بعضَ آيات القرآن على بدعته.

وقد وقع منهم ما وقع، من[1] الإبتداع والخروجِ عن الصراط الـمُستقيم. فإنَّ الواقع من أهل البدع، وتحريفهم لمعنى الآيات يُبينِّ معنى قول ابن عباس.

وسببُ هذه البدع جهلُ أهلها وقصورُهم في الفهم، وعدمُ أخذ العلوم الشرعية على وجههـا وتلقِّيها من أهلها العارفين لمعناها، الذين وفَّقهم الله تعالى: لمعرفة الـمُـراد، والتـوفيق بين النصوص، والقطعِ بأنَّ بعضها لا يخالف بعضا، وردِّ المتشابه إلى الـمُحْكَم. وهذه طريقةُ أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان. فلله الحمدُ لا نُحصي ثناءً عليه.

---

(١) (هـ)(ط): ما وقع من. ساقط.

ذكر ما ورد عن علماء السلف في المتشابه:

قال في (الدُّر المنثور): أخرج الحاكمُ ـ وصحّحه ـ عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «كان الكتابُ الأوَّل ينزل من باب واحد على حرف واحد، فنزل القرآنُ من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال. فأحلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه، وافعلوا ما أُمرتم به، وانتهوا عما نُهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمُحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا به كلٌّ من عند ربنا»[1].

قال: وأخرج عبدُ بن حُميد، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فأمَّا الذين في قلوبهم زيغ﴾، قال: طلب القومُ التأويل، فأخطأوا التأويل وأصابوا الفتنة، وطلبوا ما تشابه منه، فهلكوا بين ذلك.

وأخرج عبد بن حُميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿آياتٌ مُحكَمات﴾ قال: من هنا[2]: ﴿قل تعالوا﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣] إلى ثلاث آيات، ومن هنا[2]: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ [الإسراء: ٢٣-٣٩]. إلى ثلاث آيات بعدها[3][4].

وأخرج ابن جرير، من طريق أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس،

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (١/٥٥٣)، (٢/٢٨٩)، ووافقه الذهبي وقال في الموضع الآخر: منقطع وأخرجه ابن جرير في «التفسير» (١/٢٣) والطحاوي في «المشكل» (٤/١٨٤) والطبراني في «الكبير» رقم (٨٢٩٦) وابن حبان في «الصحيح» (٢/٦٣).

(٢) في جميع النسخ: منهن. والمثبت من «تفسير الطبري» «والدر المنثور».

(٣) (ط) و«تفسير الطبري»: إلى آخر الآيات.

(٤) ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٦٥٧٣)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٢٨٨) وصححه ووافقه الذهبي.

[١/ب] وعن مُرَّة، عن ابن مسعود وناس من الصحابة/ : الـمُحكَمات: الناسخاتُ التي يُعمل بهن. والـمُتشابهات: المنسوخات[١].

وأخرج عبد بن حُميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن إسحاق بن سُويد: أنّ يحيى ابن يَعمُر، وأبا فاختة تراجعا هذه الآية: ﴿هن أُمُّ الكتاب﴾ فقال أبو فاختة: هن فواتح السور، منها يُستخرج القرآن ﴿ألـم • ذلك الكتاب﴾ منها استُخرجت البقرة و ﴿ألـم • الله لا إله إلاَّ هو﴾ منها استُخرجت آلُ عمران. وقال يحيى: هن اللاتي فيهن الفرائضُ، والأمر والنهي والحلال، والحدود وعمادُ الدين[٢].

وأخرج ابن جرير، عن محمد بن جعفر بن الزبير، قال: ﴿الـمُحكمات﴾ حُجة الرب وعصمةُ العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس فيها تصريفٌ ولا تحريف عما وضعت عليه ﴿وأُخـرُ مُتشابهات﴾ في الصدق، لهن تصريفٌ وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام، لا يُصرفن إلى الباطل، ولا يحرفن[٣] عن الحق[٤].

وأخرج ابن أبي حاتم، عن مقاتل بن حيَّان: إنما قال ﴿هُنَّ أمُّ الكتاب﴾ لأنه ليس من أهـل دينٍ لا يرضى بهن ﴿وأُخرُ متشابهات﴾ يعني فيما بلغنا ﴿ألـم﴾ و﴿المص﴾ و﴿المر﴾[٥].

قلتُ: وليس في هذه الآثار ونحوها ما يُشعر بأنَّ أسماء الله تعالى وصفاته من المتشابه، وما قاله النفاةُ: من أنها من المتشابه، دعوى بلا برهان.

(١) ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٦٥٧٦).
(٢) ابن جرير الطبري في «التفسير»، في أثرين منفصلين رقم (٦٥٨٩، ٦٥٩١).
(٣) (ط): يجرفن.
(٤) ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٦٥٨٧).
(٥) السُّيوطي، «الدر المنثور» (٢/ ١٤٥).

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر: الرحمن. أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم ﴿وهم يَكفُرونَ بالرَّحمن﴾.

[الرعد: ٣٠].

ش: روى ابنُ جرير، عن قتادة: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ ذُكر لنا أنَّ نبي الله ﷺ زمن الحُديبية حين صالح قُريشا، كتب: «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله». فقال مشركو قريش: لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك لقد ظلمناك! ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: دعنا يا رسول الله نقاتلهم، فقال: «لا. ولكن اكتبوا كما يُريدون، إني محمد بن عبدالله». فلما كتب الكاتب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قالت قُريش: أمَّا الرحمن فلا نعرفه ـ وكان أهل الجاهلية يكتبون: باسمك اللهم ـ فقال أصحابه: يا رسول الله دعنا نقاتلهم! قال: «لا. ولكن اكتبوا كما يُريدون»[1].

[١٤٩] وروى أيضا، عن مجاهد/ قال: قوله: ﴿كذلك أرسلناك في أُمة قد خلت من قبلها أُمم﴾ الآية [الرعد: ٣٠]. قال: هذا لمَّا[2] كاتب رسول الله ﷺ قريشا في الحُديبية؛ كتب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قالوا: لا تكتب الرحمن، وما ندري ما الرحمن؟ ولا تكتب إلَّا: باسمك اللهم. قال الله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو﴾[3].

---

(١) ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٢٠٣٩٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» (٤/ ٦٥٠).

(٢) جميع النسخ: ما. تحريف.

(٣) ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٢٠٣٩٨).

وروى أيضا، عن ابن عباس، قال: كان النبي ﷺ يدعو ساجدا: يا رحمنُ يا رحيم. فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحداً، وهو يدعو مثنى مثنى. فأنزل الله: ﴿قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماءُ الحُسنى﴾[1] [الإسراء: ١١٠].

---

(١) ابن جرير الطبري في «المصدر السابق» (١٨٢/١٥)، وأخرجه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٣٤٨/٥)، وأخرجه البخاري في «خلق افعال العباد» (٨٢) من حديث عائشة.

(٤٠)
باب قول الله تعالى: ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ﴾

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ [النحل: ٨٣] قال مُجاهد ـ ما معناه ـ: هو قول الرجل: هذا مالي، ورِثتهُ عن أبائي. وقال عون بن عبدالله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذاً. وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

ش: ذكر المصنِّفُ رحمه الله تعالى: ما ذكر بعضُ العلماء في معناها.

وقال ابنُ جرير: فإنَّ أهل التأويل اختلفوا في المعنيِّ بالنعمة. فذَكر عن سفيان، عن السدي: ﴿يعرفون نعمةَ الله ثم يُنكرونها﴾ قال: محمد ﷺ. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يعرفون أنَّ ما عدّد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله، وأنَّ الله هو المنعم عليهم بذلك، ولكنهم ينكرون ذلك، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم.

وأخرج، عن مجاهد: ﴿يعرفون نعمةَ الله ثم يُنكرونها﴾، قال: هي المساكن والأنعام وما يُرزقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب. تعرف هذا كفارُ قريش ثم تنكره، بأن تقول: هذا كان لآبائنا فورّثونا إياه. وقال آخرون: معنى ذلك أنَّ الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقرّوا بأنَّ الله هو الذي رزقهم، ثم ينكرون ذلك بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا[1].

---

(١) ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٤/١٥٧).

وذكـر المصنِّفُ رحمه الله مثل هذا عن ابن قُتيبة. وهو أبو محمد، عبدالله بن مُسلم بن قُتيبة الدِّيْنوَري، قاضي مصر، النحوي اللغوي، صاحبُ المصنفات البـديعـة المفيدة المحتـوية على علوم جمة، اشتغل ببغداد، وسمع الحديث على إسحاق بن راهَوْيه وطبقته. توفي سنة ستٍ وسبعين ومائتين.

وقـال آخـرون: ما ذكره المصنِّف، عن عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الـهُـذلي ـ أبـو عبـدالله الكـوفي الزاهد. [روى][1]: عن أبيه، وعائشة، وابن عبـاس. وعنـه قتـادةُ وأبـو الـزبـير، والزهري. وثَّقه أحمد، وابنُ معين/ [١٤٠/ب]. قال البخاري: مات بعد العشرين ومائة[2] ـ ﴿يعرفون نعمة الله ثم يُنكرونها﴾ قال: إنكـارُهم إياها: أنْ يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا[3].

واختار ابنُ جرير القول الأول، واختار غيرهُ أنَّ الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها. وهو الصواب، والله أعلم.

قوله: (قال مجاهد). هو شيخ التفسير، الإمامُ الربَّاني، مجاهد بن جَبْر المكي، مولى بني مخزوم، يقول[4]: عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، أقفه عند كل آية، وأسأله: فيم نزلت؟ وكيف معناها[5]؟. توفي سنة اثنتين ومائة. وله ثلاثٌ وثمانون[6] سنة.

---

(١) إضافةٌ يقتضيها السياق.

(٢) ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٨/ ١٧١).

(٣) ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٤/ ١٥٨).

(٤) (ط): قال الفضلُ بن ميمون: سمعتُ مجاهداً يقول.

(٥) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٩).

(٦) الأصل و (ض) و (هـ): ثلاث وستون. تحريف.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال أبو العباس ـ بعـد حديث زيد بن خالد، الذي فيه: أنَّ الله تعالى قال: «أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر» الحديث. وقد تقدَّم ـ: وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يُضيفُ إنعامَه إلى غيره ويُشرك به.

قال بعضُ السلف: هو كقولهم: كانت الريحُ طيِّبةً، والملاحُ حاذقا، ونحوِ ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

ش: قولـه: (وقال أبو العباس). هو شيخُ الإسلام، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيميَّة، الإمامُ الجليل.

(بعد حديث زيد بن خالد). قد تقدَّم في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

قال: (وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبةً؛ والملاح حاذقا. ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.) انتهى.

وكلامُ شيخ الإسلام يدل على أنَّ حُكم هذه الآية عامٌّ فيمن نسب النِّعمَ إلى غير الله الذي أنعم بها، وأسند أسبابها إلى غيره؛ كما هو مذكورٌ في كلام المفسِّرين المذكور بعضه هنا.

قال شيخُنا رحمه الله تعالى: وفيه اجتماع الضدين في القلب، وتسميةُ هذا الكلام إنكارا للنعمة[1].

---

(١) المسألتان: الثالثة والرابعة.



(٤١)
باب قول الله تعالى: ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾. [البقرة: ٢٢].

ش: الند: المَثل والنظير. وجَعْلُ النِّدِّ لله: هو صرفُ أنواع العبادة ـ أو شيءٍ منها ـ لغير الله، كحال عَبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهم.

وهذه الآية في سياق قوله: ﴿يا أيها الناسُ اعبدوا ربَّكم الذي خلَقكم والذين من قبلِكم لعلَّكم تتقون • الذي جعل لكم الأرضَ فراشا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرجَ به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

قال العمادُ ابن كثير في (تفسيره): قال أبو العالية: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ أي: عُدلاء شركاء. وهكذا قال الربيعُ بن أنس، وقتادة، والسدي، وأبو مالك، وإسماعيل/ بن أبي خالد[١]. [١٥٠/أ]

وقال ابن عباس: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ أي: لا تشركوا بالله شيئا من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره. وقد علمتم أنَّ الذي يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه. وكذلك قال قتادة.

---

(١) الأحْمَسي مولاهم، البَجَلي، ثقةٌ ثبْت. (ت ١٤٦هـ) «تقريب» (١٠٧).

وعن قتادة، ومجاهد: ﴿لا تجعلوا لله أندادا﴾ قال: أكفاء من الرجال تُطيعونهم في معصية الله.

وقال ابنُ زيد: الأنداد: الآلهةُ التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له.

وعن عباس ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ قال: أشباها(١).

وقال مُجاهد ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ قال: تعلمون أنّه إلهٌ واحدٌ في التوراة والإنجيل.

وذكر حديثاً في معنى هذه الآية الكريمة: وهو ما في (مسند الإمام أحمد)، عن الحارث الأشعري: أنَّ نبي الله ﷺ قال: «إنَّ الله أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات: أنْ يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وأنه كاد يُبطيء بها. فقال له عيسى عليه السلام: إنك قد أُمرت بخمس كلمات: أن تعمل بهن، وتأمرَ بني إسرائيل أنْ يعملوا بهن. فإما أنْ تبلِّغهن، وإما أن أبلغهن، فقال: يا أخي، إني أخشى إنْ سبقتني أن أُعذَّب أو يُخسف بي. قال: فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس، حتى امتلأ المسجد فقُعد على الشُرف. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنَّ الله أمرني بخمس كلمات: أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن:

أُولاهن: أنْ تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، فإنَّ مَثل ذلك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو وَرِق، فجعل يعمل ويؤدي غَلَّته إلى غير سيده، فأيكم يسره أنْ يكون عبده كذلك؟ وإنَّ الله خلقكم ورزقكم، فاعبدوه ولا تُشركوا به شيئا.

---

(١) أخرج هذه الآثار: ابنُ أبي حاتم في «التفسير» رقم (٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤) وابن جرير الطبري في «التفسير» (١/ ١٦٣).

وأَمَركم بالصلاة، فإنَّ الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا.

وأمركم بالصيام، فإنَّ مَثل ذلك كمثل رجل معه صرة مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك. وإن خلوف فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أَسَره العدو فشدوا يديه إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل/ [١٥٠/١] يفتدي نفسه بالقليل والكثير حتى فك نفسه.

وأمركم بذكر الله تعالى كثيرا، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره، فأتى حصنا حصينا فتحصن فيه، وإن العبد أحصنُ ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله».

قال: وقال رسولُ الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله. فإنه من خرج من الجماعة قيدَ شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جُثى جهنم». قالوا: يا رسول الله وإن صلَّى وصام؟ فقال: «وإنْ صلى وصام، وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم. بل بما سمَّاهم الله عز وجل: المسلمين المؤمنين، عبادَ الله»[1].

---

(١) أحمد في «المسند» (٤/١٣٠، ٢٠٢، ٣٤٤)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٨٦٧) و (٢٨٦٨) وقال هذا حديثٌ حسن صحيح غريب، والطيالسي في «المسند» رقم (١١٦١، ١١٦٢) وابن خزيمة في «الصحيح» رقم (١٨٩٥) وابن حبان في «الصحيح» (٤٣/٨) والطبراني في «الكبير» رقم (٣٤٢٧، ٣٤٢٩، ٣٤٣١) والآجري في «الشريعة» (٨)، وأبو يعلى في «المسند» رقم (١٥٧١) وابن طهمان في «مشيخته» رقم (٢٠٠) وابن منده في كتاب «الايمان» رقم (٢١٢) والحاكم في «المستدرك» (١١٨/١، ٤٢١) وصححه ووافقه الذهبي، وهو من الأحاديث التي استدركها الدراقطنيُّ على صحيح مسلم كما في «الالزامات والتتبع» (١٣٠). وينظر في معناه: ابن القيم «الوابل الصيب» (٤٤).

هذا حديثٌ حسن، والشاهدُ منه في هذه الآية، قوله: «وإنَّ الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تُشركوا به شيئا».

وهذه الآية دالَّةٌ على توحيد الله تعالى بالعبادة، وحده لا شريك له. وقد استدل بها كثيرٌ من المفسرين على وجود الصانع[1]، وهي دالَّةٌ على ذلك بطريق الأولى. والآياتُ في القرآن الدالةُ على هذا المقام كثيرةٌ جدا.

وسُئل أبو نواس عن ذلك؟ فأنشد:

تأمل في نباتِ الأرض، وانظر ... إلى آثار ما صنع المليكُ
عيونٌ من لُجين فاتراتٌ ... بأحداقٍ هي الذهب السبيك
على قضُب الزبرجد شاهداتٌ ... بأن الله ليس له شريك[2]

وقال ابنُ المعتزّ:

فيا عجبا، كيف يُعصى الإِ ... ـه، أم كيف يجحدُه الجاحدُ
وفي كل شيء له آيةٌ ... تدل على أنه واحد[3][4]

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، في الآية: الأندادُ: هو الشِّركُ، أخفى من دَبيب النمل على صفاةٍ سوداء في ظُلمة الليل. وهو

---

(١) أسماء الله تعالى توقيفية، وليس ورود الفعل عنه بكاف في إطلاق الأسماء على الصحيح، ويقول ابن القيم في «شفاء العليل» (٢٢٥): وأمَّا لفظ الصانع فلم يرد في أسماء الرب سبحانه، ولا يمكن ورودُه. فإن الصانع: مَن صنع شيئاً، عدلاً كان أو ظلماً. وماانقسم مسماه إلى مدح وذم، لم يجيء اسمُه المطلق في الأسماء الحسنى.

(٢) ذكرها ابن كثير في «التاريخ» (١٠/٢٤٥).

(٣) نسبها ابن كثير في «التاريخ» (١٠/٢٤٣) لأبي العتاهية، وهي في ديوانه (١٢٢)، وعند ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٧/١٣٨) لأبي نواس. والله أعلم.

(٤) ابن كثير في «التفسير» (١/١١٠-١١٢).

أنْ تقول: والله وحياتُكِ يَا فُلانة، وحياتي، وتقول: لولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البَطُّ في الدار لأتانا اللصوص. وقولُ الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلان. هذا كلُّه به شركٌ. رواه ابن أبي حاتم[١].

ش: بيَّن ابنُ عباس رضي الله عنهما/ أنَّ هذا كلَّه من الشرك، وهو الواقع اليوم [١٥١/أ] على ألسن كثير ممن لا يعرف التوحيدَ ولا الشرك.

فتنبَّه لهذه الأمور؛ فإنها من الـمُنكر العظيم، الذي يجب النَّهيُ عنه والتغليظ فيه؛ لكونه أكبر من الكبائر[٢]. وهذا من ابن عباس رضي الله عنهما تنبيهٌ بالأدنى من الشرك على الأعلى.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك». رواه الترمذيُّ، وحسنه، وصححه الحاكم[٣].

ش: قوله: «فقد كفر أو أشرك» يُحتمل أنْ يكون شكّاً من الراوي. ويحتمل أن تكون: أو بمعنى الواو، فيكون قد كفر وأشرك. ويكون من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر، كما هو من الشرك الأصغر. وورد مثلُ هذا عن ابن مسعود بهذا اللفظ.

---

(١) ابن أبي حاتم في «التفسير» رقم (٢٣٠). وسنده حسن، كما في هامش «تفسير ابن كثير» (١/ ١١٠).

(٢) (هـ): اكبر الكبائر (ط): من أكبر الكبائر.

(٣) الترمذي في «الجامع» رقم (١٥٣٥) والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨، ٤/ ٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٣٢٥١) وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٤، ٤٧، ٦٧، ٨٧، ١٢٥) والطيالسي في «المسند» رقم (١٨٩٦).

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال ابنُ مسعود: لأن أحلفَ بالله كاذباً أحبُّ إليَّ من أنْ أحلف بغيره صادقا[1].

ش: ومن المعلوم أنَّ الحلف بالله كاذبا من الكبائر[2]، لكن الشرك أكبرُ من الكبائر وإنْ كان أصغر؛ كما تقدم بيانُ ذلك.

فإذا كان هذا حالُ الشرك الأصغر، فكيف بالشرك الأكبر الموجبِ للخلود في النار؟ كدعوة غير الله والاستغاثة به، والرغبة إليه، وإنزالِ حوائجه به، كما هو حالُ الأكثر من هذه الأمة في هذه الأزمان وما قبلها: من تعظيم القبور، واتخاذها أوثاناً والبناءِ عليها، واتخاذها مساجد، وبناء المشاهد باسم الميت لعبادة مَن بُنيت باسمه، وتعظيمه، والإقبالِ عليه بالقلوب والأقوال والأعمال.

وقد عظُمت البلوى بهذا الشرك الأكبرِ الذي لا يغفره الله، وتركوا ما دلَّ عليه القرآن العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يُوصل إليه.

قال الله تعالى: ﴿فمن أظلمُ ممن افترى على الله كذبا أو كذَّب بآياته أُولئك ينالُهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رُسُلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلُّوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾. [الأعراف: ٣٧]. كفَّرهم تعالى بدعوتهم مَن كانوا يدعونه من دونه في الدار الدنيا؛ وقد قال تعالى: ﴿وأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾. [الجن: ١٨]. وقال تعالى: ﴿قُل إنما أدعو ربي ولا أُشركُ به أحدا • قُل إني لا أملكُ لكم ضراً ولا رشدا﴾. [الجن: ٢٠-٢١].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٨/٤٦٩) والطبراني في «الكبير» رقم (٨٩٠٢) والديلمي في «مسند الفردوس» رقم (٧٨٧١)، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/٦٠٧): رواته رواةُ الصحيح، وأخرجه مرفوعاً: أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٧/٢٦٧) و «تاريخ أصبهان» (٢/١٨١)،

(٢) (هـ)(ط): كبيرة من الكبائر.

وهؤلاء المشركون/ عكسوا الأمر. فخالفوا ما بلَّغ به[1] الأمةَ، وأخبر به عن نفسه ﷺ. فعاملوه بما نهاهم عنه: من الشرك بالله، والتعلُّقِ على غير الله؛ حتى قال قائلهم: [١٥١/

يا أكـرمَ الخلق ما لي من ألـوذُ به ... سواك عند حُلول الحادث العَممِ
إنْ لم تكن في معادي آخذاً بيدي ... فضـلا؛ وإلا فقـل: يا زلَّة القدم
فإنَّ من جودك الـدنـيا وضرَّتَهَـا ... ومن علومك علمَ اللوح والـقــلم!![2]

فانظر إلى هذا الجهل العظيم، حيثُ اعتقد أنه لا نجاة له إلا بعياذه ولياذه بغير الله.

وانظر إلى هذا الإطراء العظيم، الذي تجاوز الحدَّ في الإطراء؛ الذي نهى عنه ﷺ بقوله «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا عبدالله ورسوله» رواه مالك وغيره[3]. وقد قال تعالى: ﴿قُل لا أقول لكم عندي خزائنُ الله ولا أعلمُ الغيب ولا أقول لكم إني مَلَك﴾. [الأنعام: ٥٠].

فانظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة، والمحادَّة لله ورسوله. وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثيرٍ، خصوصا ممن يدَّعي[4] العلم والمعرفة، ورأوا قراءةَ هذه المنظومة ونحوها لذلك وتعظيمِها من القُربات، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن حُذيفة رضي الله عنه، عن النبي

---

(١) (ط): مابلغه الرسول.

(٢) الأبيات من «قصيدة البُردة» لمحمد بن سعيد البُوصِيري (ت ٦٩٦).

(٣) مضى تخريجه.

(٤) (ض)(هـ): من يدعي (ط) ممن يدعون.

ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». رواه أبو داود بسند صحيح[1].

ش: وذلك لأنَّ المعطوف بالواو يكون مساوياً للمعطوف عليه؛ لكونها إنَّما وضعت لمُطلق الجمع فلا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا.

وتسويةُ المخلوق بالخالق شركٌ، إنْ كان في الأصغر - مثل هذا - فهو أصغر، وإنْ كان في الأكبر فهو أكبر؛ كما قال تعالى عنهم في الدار الآخرة: ﴿تالله إنْ كنَّا لفي ضلالٍ مُبين • إذ نُسوِّيكم برب العالمين﴾. [الشعراء: ٩٧-٩٨]. بخلاف المعطوف بـ: ثم. فإنَّ المعطوف بها يكون مُتراخيا عن المعطوف عليه بمُهلة. فلا محذور؛ لكونه صار تابعا.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن إبراهيم النخعي: أنَّه يكره أنْ يقول الرجل: أعوذ بالله وبك. ويجوِّز أنْ يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فُلان. ولا يقول: لولا الله وفلان[2].

ش: قد تقدَّم الفرقُ بين ما يجوز وبين ما لا يجوز من ذلك. وهذا[3] إنَّما هو في الحي الحاضر الذي له قدرةٌ وسبب في الشيء/، وهو الذي يجري في حقه مثلُ ذلك. وأمَّا في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم، ولا قدرةَ لهم [١٥٢/أ]

---

(١) أبو داود في «السنن» رقم (٤٩٨٠)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨) والطيالسي في «المسند» رقم (٤٣٠) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٨٥) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٣٤٦) وابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» رقم (٣٤٤) والطحاوي في «المشكل» (١/ ٩٠) والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢١٦) قال النووي في «الأذكار» (٣٠٨): إسنادُه صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» رقم (٣٤٧).

(٣) الأصل: وذلك.

على نفعٍ ولا ضر. فلا يُقال في حقهم شيءٌ من ذلك؛ فلا يجوز التعلُّقُ عليه بشيءٍ ما، بوجهٍ من الوجوه.

والقرآنُ يبينُّ ذلك، ويُنادي بأنه يجعلهم آلهةً إذا سُئلوا شيئاً من ذلك، أو رَغب إليهم أحدٌ بقوله أو عمله الباطن أو الظاهر. فمن تدبَّر القرآن ورُزق فهمه، صار على بصيرة من دينه، وبالله التوفيق.

والعلمُ لا يُؤخذ قَسْراً، وإنَّما يُؤخذ بأسبابٍ ذُكر بعضُها[1] في قوله:

أخي، لن تنال العلمَ إلا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيانِ
ذكاء، وحرص، واجتهاد، وبُلغة ... وإرشاد أستاذٍ، وطول زمانِ[2]

وأعظمُ من هذه الستة: من رَزقه الله تعالى الفهمَ والحفظ، وأتعب نفسه في تحصيله. فهو[3] الموفَّق لمن شاء من عباده؛ كما قال تعالى: ﴿وعلَّمك ما لم تكن تعلم وكان فضلُ الله عليك عظيماً﴾. [النساء: ١١٣].

ولقد أحسن العلاَّمةُ ابن القيِّم رحمه الله تعالى، حيثُ قال:

والجهلُ داءٌ قاتلٌ وشفاؤه ... أمران في التركيب مُتفقانِ
نصٌّ من القرآن، أو من سنة ... وطبيبُ ذاك العالمُ الرَّبَّاني
والعلم أقسامٌ ثلاث، ما لها ... من رابع، والحق ذو تبيان
علمٌ بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماءِ للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكلُّ في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالقرآن
والله ما قال امرؤٌ متحذلِقٌ ... بسواهما إلاَّ من الهذيان[4]

---

(١) (هـ) ذكر بعضهم (ط) ذكرها بعضهم.

(٢) من كلام الشافعي رحمه الله تعالى، «الديوان» (٨١).

(٣) (ط) فالله.

(٤) ابن القيم، «الكافية الشافية» (١٨٩).



(٤٢)
باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء فيمن لم يقْنع بالحَلفِ بالله.

عن ابن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم، من حَلَف بالله فليصْدُق، ومن حُلف له بالله فليرضَ، ومن لم يرضَ فليس من الله» رواه ابنُ ماجة بسند حسن(١)

ش: قوله: «لا تحلفوا بآبائكم» تقدَّم النهيُ عن الحلفِ بغير الله عموما.

قوله: «من حلف بالله فليصدُق» هذا مما أوجبه الله على عباده، وحضَّهم عليه/ [١٥٢/ب] في كتابه؛ قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتَّقوا الله وكونوا مع الصَّادقين﴾. [التوبة: ١١٩]. وقال: ﴿والصادقين والصادقات﴾. [الأحزاب: ٣٥]. وقال: ﴿فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾. [محمد: ٢١].

وهو حال أهل البر؛ كما قال تعالى: ﴿ولكنَّ البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكةِ والكتاب والنبيين وآتى المالَ على حُبّه ذوي القُربى واليتامى والمساكينَ وابنَ السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقامَ الصلاة وآتى الزكاة والموفونَ بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأسآء والضرَّآء وحين البأسِ أُولئك الذين صدقوا وأُولئك هم المتقون﴾. [البقرة: ١٧٧].

وقوله: «من حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله»، أمَّا إذا لم

---

(١) ابن ماجة في «السنن» رقم (٢١٠١) قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/٥٣٥): سندُه حسن. وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/١٤٣): هذا إسنادٌ صحيح، رجاله ثقات.

يكن له بُحكم الشريعة على خصمه إلاَّ اليمين فأحْلَفَه، فلا ريب أنَّه يجب عليه الرضا.

وأمَّا إذا كان فيما يجري بين الناس، مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك. فهذا من حق المسلم على المسلم: أنْ يقبل منه إذا حلف له معتذراً، أو متبرئا من تُهمة. ومن حقه عليه: أنْ يُحسن به الظن إذا لم يتبينَّ خلافُه؛ كما في الأثر عن عمر: ولا تظنُنْ بكلمةٍ خرجت من أخيك شرًّاً وأنت تجدُ لها من الخير محْملا[1].

وفيه: من التواضع والأُلفة والمحبة، وغير ذلك من المصالح التي يحبها الله ما لا يخفى على من له فهم؛ وذلك من أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله. ثم إنه يدخل في حُسن الخُلق الذي هو أثقل ما يوضع في ميزان العبد؛ كما في الحديث[2] وهو من مكارمِ الأخلاق.

فتأمَّل أيها الناصح لنفسه ما يصلحك مع الله تعالى: من القيام بحقوقه وحقوق عباده، وإدخال السرور على المسلمين، وتركِ الإنقباض عنهم والترفع عليهم؛ فإن فيه من الضرر ما لا يخطر بالبال ولا يدور بالخيال. وبسط هذه الأمور وذكرُ ما ورد فيها مذكورٌ في كتب الأدب وغيرها. فمن رُزق ذلك، والعمل بما ينبغي العمل به منه، وتركَ ما يجب تركه من ذلك: دلَّ على وفور دينه، وكمالِ عقله، والله الموفق والـمُعين لعبده الضعيف المسكين، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في كتاب «الزهد» كما في «الدر المنثور» (٧/٥٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٤٧٩٩) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٠٠٣، ٢٠٠٤) وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح، وأحمد في «المسند» (٦/٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥١) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/٥١٦) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٧٠) والطبراني في «مكارم الأخلاق» رقم (٤) من حديث أبي الدرداء.

(٤٣)
باب قول: ما شاء الله وشئت

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قولِ: ما شاء الله وشئتَ، عن قُتَيلة: أنَّ يهوديا أتى النبيَّ ﷺ، فقال: إنكم تُشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبيُّ ﷺ إذا أرادوا أنْ يحلفوا، أن يقولوا: وربِّ الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت. رواه النسائي وصححه(١).

ش: قوله: (عن قُتيلة). ـ بمُثنَّاة مصغَّرة ـ بنت صيفي الأنصارية، صحابيةٌ/ [١٥٣] مهاجرة، لها حديثٌ في (سنن النسائي)، وهو المذكور في الباب. ورواه عنها عبدالله بن يسار الجُعفي.

وفيه: قبولُ الحق ممن جاء به كائناً من كان. وفيه: بيانُ النهي عن الحلف بالكعبة، مع أنها بيتُ الله التي حجُّها وقصدها بالحج والعمرة فريضة.

وهذا يُبيِّن أنّ النهي عن الشرك بالله عامٌّ، لا يصلح منه شيء لا لملَك مقرَّب ولا لنبي مرسل، ولا للكعبة التي هي بيتُ الله في أرضه.

وأنت ترى ما وقع من الناس اليوم، من الحلف بالكعبة وسؤالها ما لا يقدر عليه

---

(١) النسائي في «المجتبى» (٦/٧) «وعمل اليوم والليلة» رقم (٩٨٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٦/٣٧١، ٣٧٢) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/٩١، ٣٥٧) والحاكم في «المستدرك» (٤/٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي، وعنه البيهقي في «السنن» (٣/٢١٦) قال ابن حجر في «الإصابة» (٤/٣٨٩): حديثٌ صحيح.

إلا الله . ومن المعلوم أنَّ الكعبة لا تضر ولا تنفع ، وإنما شَرع الله لعباده الطواف بها والعبادة عندها ، وجعلها للأمة قبلة . فالطوافُ بها مشروع ، والحلف بها ودعاؤها ممنوع .

فَمَيِّز أيها المكلف بين ما يُشرع وما يمنع ، وإن خالفك مَن خالفك من جهلة الناس الذين هم كالأنعام ، بل هم أضلُّ سبيلا .

قوله : (إنكم تُشركون ؛ تقولون : ما شاء الله وشئت) ، والعبدُ وإن كان له مشيئةٌ فمشيئته تابعة لمشيئة الله ، ولا قدرة له على أن يشاء شيئاً إلَّا إذا كان الله قد شاءه ؛ كما قال تعالى : ﴿لمن شاء منكم أنْ يستقيم ● وما تشاءون إلا أن يشاء الله ربُّ العالمين﴾ . [التكوير: ٢٨-٢٩] . وقوله : ﴿إنَّ هذه تذكرةٌ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ● وما تشاءون إلَّا أنْ يشاء الله إنَّ الله كان عليما حكيما﴾ [الإنسان: ٢٩-٣٠] .

وفي هذه الآيات والحديث : الردُّ على القدرية والمعتزلة نفاةِ القدر ، الذين يُثبتون للعبد مشيئةً تخالف ما أراد الله تعالى من العبد وشاءه .

وسيأتي ما يُبطل قولهم ـ في باب ما جاء في مُنكري القَدَر ـ إن شاء الله ، وأنهم مجوسُ هذه الأمة .

وأمَّا أهل السنة والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره ، واعتقدوا أنَّ مشيئة العبد تابعةٌ لمشيئة الله في كل شيء ، مما يوافق ما شرعه الله وما يخالفه : من أفعال العباد وأقوالهم . فالكلُّ بمشيئته[١] وإرادته ، فما وافق شرْعَه[٢] رضيه وأحبه ، وما خالفه كرهه من العبد ؛ كما قال تعالى : ﴿إن تكفروا فإن الله غنيٌّ

---

(١) (هـ)(ط) : بمشيئة الله .

(٢) (ض)(هـ)(ط) : ما شرعه .

عنكم ولا يرضى لعباده الكفرَ وإنْ تشكروا يرْضَه لكم﴾ . [الزمر: ٧] . / [١٥٣/]

وفيه: بيانُ أنَّ الحلف بالكعبة شرك؛ فإنَّ النبي ﷺ أقر اليهودي على قوله: إنكم تشركون .

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وله أيضا، عن ابن عباس: أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئتَ، قال: «أجعلتني لله ندا، بل ما شاء الله وحده»[١] .

ش: هذا يُقرِّر ما تقدَّم: من أنَّ هذا شركٌ؛ لوجود التسوية في العطف بالواو.

وقوله: «أجعلتني لله ندا؟» فيه: بيانُ أنَّ من سوَّى العبد بالله ولو في الشرك الأصغر فقد جعله نداً لله، شاء أم أبى. خلافا لما يقوله الجاهلون بما يختص بالله تعالى من عبادته[٢]، وما يجب النهيُ عنه من الشرك بنوعيه. ومن يُرد الله به خيراً يفقِّهه في الدين[٣] .

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولابن ماجة: عن الطُّفيلِ ـ أخي عائشة لأُمّها ـ قال: رأيتُ كأني أتيتُ على نفر من اليهود، قلتُ: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عُزيرٌ ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررتُ بنفر من النصارى، فقلتُ: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيحُ ابن الله. قالوا:

---

(١) النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٨٨)، وقد مضى تخريجُه في أوَّل الكتاب.

(٢) (هـ)(ط): عبادة.

(٣) قطعة من حديث، أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣١١٦) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٠٣٧) وأحمد في «المسند» (٤/٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١٠١) من حديث معاوية رضي الله عنه.

وأنتم لأنتم القـومِ، لولا أنكم تقـولـون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحتُ، أخبرتُ بها من أخبرت. ثم أتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرته، فقال: «هل أخبرتَ بها أحداً؟» قلتُ: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أمَّا بعدُ، فإنَّ طُفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أنْ أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»[1].

ش: قولـه: (عن الـطفيل أخي عائشـة لأمهـا). هو الطُّفيل بن عبدالله بن سَخْـبرة، أخـو عائشـة لأمها، صحابيٌّ له حديثٌ عند ابن ماجه، وهو ما ذكره المصنِّف في الباب.

وهذه الرُّؤيا حق، أقرَّها رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها. فنهاهم أن يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، وأمرهم أن يقولوا: ما شاء الله وحده.

وهذا الحديث والذي قبله: أمرَهم فيه أنْ يقولوا: ما شاء الله وحده؛ ولاريب أنَّ هذا أكملُ في الإخلاص/ وأبعد عن الشرك، من أن يقولوا: ثم شاء فلان؛ لأن فيه التصريحَ بالتوحيد، المنافي للتنديد من كل وجه. فالبصيرُ يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص. [١٥/أ]

وقوله: «كان يمنعني كذا وكذا أنْ أنهاكم عنها» ورد في بعض الطُّرق: أنه كان يمنعه الحياءُ منهم. وبعد هذا الحديث الذي حدَّثه به الطفيلُ عن رؤياه، خطبهم ﷺ فنهى عن ذلك نهياً بليغا.

---

(١) ابن ماجـة في «السنن» رقم (٢١١٨) قال البوصَيري في «مصباح الزجاجة» (٢/١٥١): هذا إسنادٌ صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/٧٢، ٣٩٣) والدارمي في «السنن» رقم (٢٧٠٢) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/٦٥٤) والطبراني في «الكبير» رقم (٨٢١٤).

فمازال ﷺ يبلّغهم حتى أكمل الله له الدين وأتم له به النعمة، وبلَّغ البلاغ المبين، صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وفيه معنى قوله ﷺ: «الرُّؤيا الصالحة جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»[1]

قلتُ: وإنْ كانت رؤيا منام فهي وحي، يثبت بها ما يثبت بالوحي أمراً ونهيا[2].

والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٩٨٩)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٦٣، ٢٢٦٥)، وأحمد في «المسند» (٢/٣٦٩) من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة، وابن عمر.

(٢) وذلك لإقرار النبي ﷺ له، وأمره به.



(٤٤)
باب من سب الدهر فقد اذى الله

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ من سَبَّ الدهرَ فقد آذى الله.

وقـولُ الله تعالى: ﴿وقالوا ما هي إلَّا حياتُنا الدنيا نموتُ ونحيا وما يُهلكنا إلا الدهر﴾. [الجاثية: ٢٤]. في الصحيح: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قـال الله تعالى: يُؤذيني ابنُ آدم، يَسبُّ الدهر وأنا الدهر، أُقلِّبُ الليل والنهار» وفي رواية: «لا تسبوا الدهر، فإنَّ الله هو الدهر».

ش: قال العمادُ ابن كثير في (تفسيره): يُخبر تعالى عن دَهْرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وقالوا ما هي إلَّا حياتُنا الدنيا نموتُ ونحيا﴾ ما ثَمَّ إلَّا هذه الدار، يموت قومٌ ويعيش آخرون، وما ثَمَّ معاد ولا قيامة.

وهذا يقولُه مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم يُنكرون البداءَة والرَّجعة.

وتقوله الفلاسفةُ الدهرية [الدَّورية][1]، المنكرون للصانع[2]، المعتقدون أنَّ في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كلُّ شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أنَّ هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول؛ ولهذا قالوا: ﴿وما يهلكُنا إلا الدهر﴾ قال سبحانه: ﴿وما لهم بذلك من علم إنْ هم إلا يظنون﴾ أي: يتوهَّمون ويتخيَّلون.

---

(١) اضافة من (ط) «والتفسير».

(٢) ينظر: التعليق على هذا، في الباب السابق.

[١٥/ب] فأمَّا الحديثُ الذي أخرجه صاحبا (الصحيح)، وأبو داود، والنسائي، من/ رواية سُفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيِّب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يؤذيني ابنُ آدم يَسُبُّ الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلِّبُ الليل والنهار»[١]. وفي رواية: «لا تسبوا الدهر فإنَّ الله هو الدهر»[٢]. وفي رواية: «لا يقل ابنُ آدم: يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أُرسل الليل والنهار، فإذا شئتُ قبضتهما»[٣].

قال في (شرح السنة): حديثٌ متفق على صحته، أخرجاه من طريق مَعْمر، من أوجه عن أبي هريرة. قال: ومعناه أنَّ العرب كانت من شأنها ذم الدهر وسبُّه[٤] عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارعُ الدهر، وأبادهم الدهر. فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها، فكان مرجعُ سبها إلى الله عز وجل؛ إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها[٥]، فنُهوا عن سب الدهر. انتهى باختصار[٦].

وقد أورده ابنُ جرير بسياق غريب جدا، بهذا الطريق. قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكُنا الليل والنهار، وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٤٨٢٦، ٦١٨١، ٧٤٩١) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٤٦) وأبو داود في «السنن» رقم (٥٢٧٤) والنسائي في «السنن الكبرى» «كتاب التفسير» رقم (٥٠٧)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٨، ٢٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٤٦) وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٥، ٤٩١، ٤٩٦، ٤٩٩).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٤٦) وأحمد في «المسند» (٢/ ٣١٨)، وأخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦١٨٢) مختصراً.

(٤) (هـ)(ط): أي سبه.

(٥) (ض)(هـ)(ط): يصنعونها.

(٦) البغوي، «شرح السنة» (١٢/ ٣٥٧).

الله في كتابه: ﴿وقالوا ما هي إلاَّ حياتنا الدنيا نموتُ ونحيا وما يهلكنا إلاَّ الدهر﴾. ويسبُّون الدهر، فقال الله عز وجل: «يؤذيني ابنُ آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»[١].

وكذا رواه ابنُ أبي حاتم، عن أحمد بن منصور، عن شُريح بن النعمان[٢]، عن ابن عيينة، مثله.

ثم روى: عن يونس، عن ابن وهب، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله تعالى: يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار» وأخرَّجه صاحب الصحيح، والنسائي من حديث يونس بن يزيد به[٣].

وقال محمد بن إسحاق، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: استقرضتُ عبدي فلم يعطني، وسبني عبدي، يقول: وا دهراه، وأنا الدهر»[٤].

قال الشافعي، وأبو عبيد، وغيرُهما من الأئمة، في تفسير قوله: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» كانت العربُ في جاهليتها إذا أصابهم شدَّة أو بلاء/ أو [١٥٥/] ملامة[٥]، قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما

---

(١) ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٥/ ١٥٢).

(٢) (ط): سريج. تحريف.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٥/ ١٥٢)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٠، ٥٠٦) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٩٥) وابن خزيمة في «الصحيح» رقم (٢٤٧٩) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤١٨) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرج بعضه ابنُ أبي عاصم في «كتاب السنة» رقم (٥٩٨).

(٥) (ط): نكبة.

فاعلهـا هو الله. فكأنهم إنما سبوا[1] الله سبحانه؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة. فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار؛ لأن الله هو الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسنُ ما قيل في تفسيره ـ وهو المراد ـ والله أعلم.

وقد غَلِط ابنُ حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية[2]، في عَدِّهم الدهر من الأسماء الحسنى؛ أخذا من هذا الحديث. انتهى[3].

[4]وقد تبين معناه في الحديث، بقوله: «أُقلب الليل والنهار» وتقليبُه تصرُّفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه.

وفي هذا الحديث[4] زيادةٌ لم يذكرها المصنف رحمه الله، وهي قوله: «بيدي الأمر».

قوله: وفي رواية «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر».

ومعنى هذه الرواية: هو ما صرَّح به في الحديث، من قوله: «وأنا الدهر، أقلِّبُ الليل والنهار» يعني: أنَّ ما يجري فيه من خير وشر بإرادة الله وتدبيره بعلمٍ منه تعالى وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فالواجبُ عند ذلك حمدُه في الحالتين، وحُسنُ الظن به سبحانه وبحمده، والرجوع إليه بالتوبة والإنـابـة؛ كما قال تعالى: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾. [الأعراف: ١٦٨]، وقال: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنةً وإلينا تُرجعون﴾. [الأنبياء: ٣٥].

---

(١) (ط): فكأنما سبوا.

(٢) هم الذين يأخذون بظاهر النصوص الشرعية في الجانب الفقهي، ويبطلون القياس والتعليل.

(٣) ابن كثير في «التفسير» (٢٥٣/٧) والغلط فيه من وجهين: أحدهما: أن أسماء الله تعالى حُسنى، والدهر لا معنى له الا الوقت. وثانيهما: قوله في الحديث «أقلب الليل والنهار» وهي الدهر.

(٤) مابينهما معلق في هامش الاصل، وعليه كلمةُ صحيح.

ونسبةُ الفعل إلى الدهر، ومسبته كثيرٌ[١] في أشعار المولَّدين[٢]، كابن الـمُعتز[٣]، والمتنبي، وغيرهما.

وليس منه وصفُ السنين بالشدة ونحو ذلك؛ لقوله[٤] تعالى: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شداد﴾. [يوسف: ٤٨]. قال بعضُ الشعراء:

إنَّ الليالي من الـزمـان مهـولـةٌ ... تُطوَى وتُـنشر بينهـا الأعـمارُ

فقـصـارهُـن مع الهمـوم طويلةٌ ... وطـوالهـن مع السرور قصـار

وقولُ أبي تمام:

أعـوامُ وصـلٍ كاد يُنسي طيبَهـا ... ذكـرُ الـنـوى، فكـأنها أيامُ

ثم انـبرت أيام هجـر أعـقـبت ... نحـوي أسىً، فكـأنها أعـوام

ثم انقضت تلك السنـون وأهلُها ... فكـأنها وكـأنهم أحـلام[٥]

---

(١) (ط): كثيرة كما.

(٢) المُولَّد: المفتعل المُحدث، الذي لـم يتحقق بعد. والمولَّدون من الشعراء، كما قيل: مَن اضطربت أنسابُهـم، أو امتزجت دماؤهم بدماء غير عربية فغلبت عليهم، أو كانوا من أصول غير عربية. ينظر: «القاموس المحيط» «وكتاب عيار الشعراء» (١٢).

(٣) أبـو العباس، عبدالله بن الـمُعتزّ بن المتوكّل، تولَّى الخلافـةَ مدة قصيرة، بعد خلع الـمُقتدر، مات (٢٩٦هـ) «وفيات الأعيان» (٢/٢٦٣).

(٤) (هـ)(ط): كقوله.

(٥) أبو تمام، «الديوان» (٢٨٢).



(٤٥)
باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ التسمّي بقاضي القضاة ونحوِه.

ش: ذكر المصنِّف رحمه الله هذه الترجمة: إشارة إلى النهي عن التسمِّي بقاضي القضاة، قياسا على ما في حديث/ الباب؛ لكونه يُشبهُه[١] في المعنى فيُنهى عنه. [١٥٥/ب]

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أخنع اسمٍ عند الله رجلٌ تسمَّى ملك الأملاك، لا مالك إلَّا الله»[٢].

قال سُفيان: مثلُ شاهان شاه[٣].

ش: لأن هذا اللفظَ إنما يصدق على الله تعالى. فهو مَلِكُ الأملاك، لا ملك أعظم ولا أكبر منه، مالك الملك ذو الجلال والإكرام. وكل مُلك يؤيته الله من يشاء من عباده فهو عاريةٌ يُسرع ردها إلى المعير، وهو الله. ينزع الملك من ملكة تارة، وينزع الملك منه تارة فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه.

وأما رب العالمين فملكه دائمٌ كامل لا انتهاء له، بيده القِسط يخفضه

---

(١) (هـ)(ط): شبهه.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٢٠٦) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢١٤٣)، وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٤٩٦١) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٨٣٩) وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٤).

(٣) قال ابنُ رجب في «التاريخ» (١/ ٨٤): وقد ذكر شيخنا أبو عبدالله بن القيم، قال: وقال بعضُ العلماء وفي معنى ذلك ـ يعني ملك الملوك ـ كراهية التسمية بقاضي القُضاة. قلتُ: التلقيب بملك الملوك من شعائر ملوك الفرس، ولا ينبغي التسمية بهما.

ويرفعه[١]، يحفظ على عباده أعمالهم بعلمه سبحانه، وما تكتبه الحفظةُ عليهم. فيُجازي كلَّ عامل بعمله، إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر؛ كما ورد في الحديث «اللهم لك الحمدُ كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، أسألك من الخير كله، وأعوذ بك من الشرك كله»[٢].

قوله: (قال سفيان ـ يعني ابن عيينة ـ مثل شاهان شاه). عند العجم. عبارةٌ عن ملك الأملاك، ولهذا مثَّل به سفيان؛ لأنه عبارة عنه بلغة العجم.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي رواية: «أغيظُ رجل على الله يوم القيامة وأخبثُه»[٣].

قوله: «أخنع» يعني: أوضع.

ش: قوله: «أغيظ» من الغيظ، وهو مثل الغضب والبغض. فيكون بغيضا إلى الله، مغضوبا عليه، والله أعلم.

قوله: «وأخبثه» وهو يدل أيضا على أن هذا خبيثٌ عند الله. فاجتمعت في حقه هذه الأمـور؛ لتعاظُمِه في نفسه، وتعظيم الناس له بهذه[٤] الكلمة التي هي من أعظم التعظيم. فتعظّمه في نفسه وتعظيم الناس له[٤] بما ليس له بأهل، وضعه عند الله يوم القيامـة. فصار أخبثَ الخلق وأبغضهم إلى الله وأحقرهم؛ لأن الخبيث البغيض عند الله يكون يوم القيامة أحقر الخلق وأخبثهم، لتعاظمه[٥] على خلق الله بنعم الله.

---

(١) قطعةٌ من حديث، أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٤٦٨٤، ٥٣٥٢، ٦٤٩٦، ٧٤١١) ومسلم في الصحيح رقم (٩٩٣) وأحمد في «المسند» (٢/٢٤٢، ٣١٣، ٥٠٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/٣٩٦) من حديث حذيفة.

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢١٤٣) وأحمد في «المسند» (٢/٣١٥).

(٤) مابينهما معلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٥) (هـ)(ط): لتعاظمه في نفسه.

قوله: (أخنع، يعني أوضع). هذا هو معنى أخنع، فيُفيد ما ذكرنا في معنى أغيظ، أنه يكون حقيراً بَغيضا عند الله.

وفيه: التحذيرُ من كل ما فيه تعاظم؛ كما أخرج أبو داود، عن أبي مجْلز، قال: خرج معاويةُ على ابن الزبير، وابن عامر. فقام ابن عامر، وجلس ابن الزبير. فقال معاوية لابن عامر: اجلس، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أنْ يتمثّل له الرجال/ قياماً فليتبوأ مقعدَه من النار» أخرجه الترمذيُّ أيضا، وقال حسن[1]. [١٥٦/أ]

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ متكئاً على عصا، فقُمنا إليه، فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظم بعضُهم بعضا» رواه أبو داود[2].

وقوله: «أغيظُ رجل» هذا من الصفات التي تُمرُّ كما جاءت، وليس شيءٌ مما ورد في الكتاب والسنة إلا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك وإثباته على وجه يليق

---

(١) أبـوداود في «السنن» رقم (٥٢٢٩) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٧٥٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/٩١، ٩٣، ١٠٠) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٩٧٧) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/٤٠) وأبو نُعيم في «أخبار أصبهان» (١/٢١٩) قال ابن القيم في «التهذيب» (٨/٨٤): وهذا الإسناد على شرط الصحيح. اهـ. وليس منه: القيام لمن يقدم من سفر، ولا القيام للجائي؛ وإنما هو القيام لغيره وهو قاعد، لأن القائم للقادم قد ساواه في القيام. ينظر: ابن تيمية «فتيا في حكم القيام» (١٢).

(٢) أبو داود في «السنن» رقم (٥٢٣٠)، وأخرجه ابنُ ماجة في «السنن» رقم (٣٨٨١) وأحمد في «المسند» (٥/٢٥٦، ٢٥٣) والطبراني في «الكبير» رقم (٨٠٧٢)، وفيه: أبو العربَّس الكوفي، مجهول. وأخرج المرفوع، مسلم «في الصحيح» رقم (٤١٣) والنسائي في «المجتبى» (٣/٩) وابن ماجة في «السنن» رقم (١٢٤٠) وابن خزيمة في «الصحيح» رقم (١٦١٥) وأبو يعلي في «المسند» رقم (١٨٩٦) من حديث جابر. وأأصله في «صحيح البخاري» رقم (٦٨٨) و «مصنف عبدالرزاق» رقم (٤٠٨١) من حديث أم المؤمنين عائشة.

بجلال الله وعظمته تعالى، إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل، كما تقدم. والبابُ كله واحد، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الفرقة[1] الناجية من الثلاث والسبعين فرقة.

وهذا التفرُّقُ والاختلاف إنما حدث في أواخر القرن الثالث وما بعده، كما لا يخفى على من له معرفةٌ بما وقع في الأمة من التفرق والاختلاف والخروج عن الصراط المستقيم، والله المستعان.

---

(١) (ط): الفرق. تحريف.

(٤٦)
باب احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ احترامِ أسماء الله تعالى، وتغيير الإسم لأجلِ ذلك.

عن أبي شُريح: أنه كان يُكنى أبا الحكم. فقال له النبيُّ ﷺ: «إنَّ الله هو الحَكَم وإليه الحُكم» فقال: إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمتُ بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: «ما أحسن هذا. فما لك من الولد؟» قلت: شريح ومسلم وعبدالله. قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شُريح. قال: «فأنت أبو شُريح» رواه أبو داود، وغيره[١].

ش: قوله: (عن أبي شريح)، قال في (خُلاصة التذهيب): هو أبو شُريح الخُزاعي، اسمه خويلد بن عمرو، أسلم يوم الفتح. له عشرون حديثا، واتفقا على حديثين وانفرد البخاريُّ بحديث، وروى عنه: أبو سعيد المقبُري، ونافع بن جُبير، وطائفة. قال ابنُ سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين. وقال الشارح: اسمُه هانيء بن يزيد الكندي، قاله الحافظ. وقيل: الحارث الضبابي، قاله المِزّي[٢][٣]

---

(١) أبوداود في «السنن» رقم (٤٩٥٥)، وأخرجه النسائي في «المجتبى» (٨/٢٢٧) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/٢٢٧) «والأدب المفرد» رقم (٨١١) وابن سعد في الطبقات (٦/٤٩) وابن حبان في «الصحيح» (١/٣٦١) والبيهقي في «السنن» (١٠/١٤٥) عن هانيء بن يزيد. وهو حديث صحيح.

(٢) ابن سعد، «الطبقات» (٤/٢٩٥)، المزني، «تهذيب الكمال» (٣٣/٤٠٠)، ابن حجر، «تقريب التهذيب» (٦٤٨).

(٣) الشارح، سليمان بن عبدالله «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (٦١٥).

قولـه: (يكنى)، الكنية: ما صُدِّر بأبٍ أو أم ونحو ذلك، واللقبُ ما ليس كذلك، كزين العابدين ونحوه.

وقولُ النبي ﷺ: «إنَّ الله هو الحَكَم وإليه الحُكم» فهو سبحانه الحَكَم في الدنيا والآخرة؛ يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله، وما من قضية إلا ولله فيه حكمٌ مما أنزل على نبيه من الكتاب والحكمة.

[١٥٠/ب] وقد يسر الله معرفةَ أكثر ذلك لأكثر العلماء من هذه الأمة؛ فإنَّها لا تجتمع على ضلالة(١)، فإنَّ العلماء وإنْ اختلفوا في بعض الأحكام فلابد أنْ يكون المصيبُ فيهم واحداً.

فمن رزقه الله تعالى قوةَ الفهم، وأعطاه ملكةً يقتدر بها على فهم الصواب من أقـوال العلماء، يسَّر له ذلـك بفضله ومنِّه [عليه، وإحسانِه إليه. فما أجَلَّها من عطية، فنسألُ الله من فضله](٢).

وقوله: «وإليه الحُكم في الدنيا والآخرة» كما قال تعالى: ﴿وما اختلفتُم فيه من شيءٍ فحُكْمهُ إلى الله﴾. [الشورى: ١٠]، وقال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول إنْ كنتم تُؤمنونَ بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلا﴾. [النساء: ٥٩].

فالحكمُ إلى الله: هو الحُكم إلى كتابه. والحكم إلى رسوله: هو الحكم إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته.

---

(١) قطعةٌ من حديث، أخرجه أبوداود في «السنن» رقم (٤٢٥٣) والطبراني في «الكبير» رقم (٣٤٤٠) وابن أبي عاصم في «السنـة» رقم (٩٢) عن أبي مالـك الاشعري، وأخرجه أحمد في «المسند» (٦/٣٩٦) والطبراني في «الكبير» رقم (٢١٧١) عن أبي بصرة، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٢٥٥) والطبراني في «الكبـير» رقم (١٣٦٢٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨٠) وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/٣٧) والحاكم في «المستدرك» (١/١١٥) من حديث ابن عمر.

(٢) ساقطٌ من الأصل، وهو انتقال نظر.

وقد قال ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن، قال له: «بِمَ تحكم؟» قال: بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال بسنة رسول الله ﷺ. قال: «فإن لم تجد؟» قال: أجتهدُ رأيي. فقال: «الحمدُ لله الذي وفَّق رسولَ رسول الله لما يرضي رسول الله»[1].

فمعـاذ من أجـلّ علماء الصحـابة بالأحكام ومعرفة الحلال والحرام، ومعرفة أحكام الكتاب والسنة؛ ولهذا ساغ له الاجتهادُ إذا لم يجد للقضية حُكما في كتاب الله ولا في سنة رسوله. بخلاف ما يقع اليوم وقبله من أهل التفريط في الأحكام، ممن يجهل حكم الله في كتابه وفي سنة رسوله، فيظن أنَّ الاجتهاد يسوغ له مع الجهل بأحكام الكتاب والسنة، وهيهات!!.

وأمَّـا يوم القيامـة فلا يحكم بين الخلق إلا الله، إذا نزل لفصل القضاء بين العباد، فيحكم بين خلقه بعلمه. وهو الذي لا يخفى عليه خافيةٌ من أعمال خلقه: ﴿إنَّ الله لا يظلمُ مثقـال ذرة وإنْ تك حسنـةً يضـاعفْهـا ويؤتِ من لدنه أجراً عظيما﴾. [النساء: ٤٠]. والحكمُ يوم القيامة إنما هو بالحسنات والسيئات، فيؤخذ للمظلوم من الظالم، من حسناته بقدر ظلامته إن كان له حسنات. وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات المظلوم، فطُرح على سيئات الظالم[2]، لا يزيد على هذا مثقال ذرة، ولا ينقص هذا عن حقه بمثقال ذرة.

قوله: فإنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال: «ما أحسن هذا» فالمعنى ـ والله أعلم ـ أنَّ أبا شريح لما عرف منه قومُه أنه/ [١٥٧/] صاحبُ إنصـاف وتحـرٍّ للعـدل بينهم، ومعرفةِ ما يُرضيهم من الجانبيين، صار عندهم مرضيا.

---

(١) مضى تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٥٨١) والترمذي في «الجامع رقم (٢٤٢٠) وأحمد في «المسند» (٢/٣٠٣، ٣٣٤، ٣٧٢) من حديث أبي هريرة.

وهذا هو الصلح ؛ لأن مدارَه على الرضى لا على إلزام[١]، ولا على أحكام[٢] الكهان وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ولا على الاستناد إلى أوضاع الجاهلية[٣] : من أحكام كُبرائهم وأسلافهم، التي تخالف حكم الكتاب والسنة. كما قد يقع اليوم كثيرا، كحال الطواغيت الذين لا يلتفتون إلى حكم الله ولا إلى حكم رسوله. وإنما المعتمدُ عندهم ما حكموا به بأهوائهم وآرائهم.

وقد يلتحق بهذا بعضُ المقلدة لمن لا يسُغ تقليده، فيعتمدُ على تقليده[٤] ويترك ما هو الصواب، الموافق لأصول السنة والكتاب، والله المستعان.

وقوله: «فما لك من الولد؟» قال: شُريح، ومسلم، وعبدالله، قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح. قال: «فأنت أبو شريح» فيه: تقديمُ الأكبر في الكنية وغيرها غالبا. وجاء هذا المعنى في غيرما حديث، والله أعلم.

---

(١) (هـ)(ط). الالزام.

(٢) (ط): احكام. ساقطة.

(٣) (ض)(هـ)(ط): أهل الجاهلية.

(٤) (ض)(هـ)(ط): على قول من قلَّده.

(٤٧)
باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القران أو الرسول

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ من هَزل بشيء فيه ذكرُ الله أو القرآن أو الرسول.

ش: أي: فقد كفر.

قال الـمُصنِّفُ رحمـه الله تعـالى: وقولِ الله تعالى: ﴿ولئن سألتَهم ليقولُنَّ إنما كنا نخوضُ ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كُنتم تستهزؤن﴾. [التوبة: ٦٥].

عن ابن عمـر، ومحمـد بن كعب، وزيد بن أسْلَم، وقتادة ـ دخل حديثُ بعضهم في بعض ـ أنه قال رجلٌ في غزوة تَبوك: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغبَ بطونا، ولا أكذَب ألسُنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحـابَـه القُراء. فقال له عوفُ بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجلُ إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقتـه، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدثُ حديث الـركب؛ نقـطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلِّقاً بنِسْعَة ناقة رسول الله ﷺ وإنَّ الحجارة تَنكبُ رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخـوض ونلعب. فيقول له رسولُ الله ﷺ ﴿أبالله وآياته ورسوِله كنتم

تستهزؤن • لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾. [التوبة: ٦٥-٦٦]. ما يلتفتُ إليه، وما يزيده عليه(١).

ش: قال العِمادُ ابن كثير رحمه الله في (تفسيره): قال أبو مَعْشر المدني، عن محمد بن كعب القُرظي، وغيره، قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قُرائنا هؤلاء؟ إلاَّ أرغَبنا بطونا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء. فرُفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فقال؛ ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن • لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إنْ نعفُ عن طائفةً منكم نعذب طائفةَ بأنهم كانوا مجرمين﴾. [التوبة: ٦٥-٦٦]. وإنَّ رجليه ليسفعان الحجارة، وما يلتفتُ إليه رسول الله ﷺ وهو متعلِّقٌ بنسْعَة ناقة رسول الله ﷺ.

وقال عبدالله بن وهب: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عبدالله بن عمر، قال: قال رجلٌ في غزوة تبوك في مجلس يوما: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغبَ بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ، / [/ب] فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن. قال عبدالله بن عمر: وأنا رأيته متعلقا بحِقْب ناقة رسول الله ﷺ تَنكُبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن • لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾. وقد رواه الليث، عن هشام بن سعد، بنحوٍ من هذا.

قال ابن إسحاق: وقد كان جماعةٌ من المنافقين، منهم: وديعة بن ثابت، أخو

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٦٩١٢، ١٦٩١٦، ١٦٩١١، ١٦٩١٤، ١٦٩١٥) وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٤/ ٢٣٠). واسنادُه حسن.

بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف، ورجلٌ من أشجع، حليفٌ لبني سلمة، يقال له: مَخْشي ابن حُمَيِّر، يُشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلقٌ إلى تَبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا؟ والله لكأنا بكم غدا مُقرَّنين في الحبال؛ إرجافاً وترهيبا للمؤمنين. فقال مَخشي بن حُمَيِّر: والله لوددتُ أني أُقاضى على أن يُضرب كلُّ رجل منا مائة جلدة، وإنا نتفلَّت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه.

وقال رسولُ ﷺ ـ فيما بلغني ـ لعمَّار بن ياسر: «أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا. فإن أنكروا، فقل: بلى قُلتَم كذا وكذا» فانطلق إليهم عمار، فقال: ذلك لهم. فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعةُ بن ثابت ـ ورسول الله ﷺ واقفٌ على راحلته ـ فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبها: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، فقال مَخْشي بن حُمَيِّر: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي، فكأن الذي عناه ـ أي: بقوله تعالى: ﴿إنْ نعفُ عن طائفة منكم نعذّب طائفة﴾ ـ في هذه الآية: مخشي بن حمير، فسُمِّي: عبدالرحمن، وسأل الله أن يُقتل شهيدا لا يُعلم بمكانه. فقُتل يوم اليمامة[1]، فلم يوجد له أثر[2].

وقال عكرمةُ في تفسير هذه الآية: كان رجلٌ ممن ـ إن شاء الله ـ عفا عنه، يقول: اللهم إني أسمع آيةً أنا أُعْنَى بها، تقشعر منها الجلود ويجبُ منها القلب. اللهم فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسَّلت، أنا كفنت، أنا دفنت، قال: فأُصيب يوم اليمامة، فما أحدٌ من المسلمين إلا وقد وجد غيرُه[3].

---

(١) كانت وقعةُ اليمامة في سنة إحدى عشرة، «تاريخ ابن كثير» (٣/ ٣٣٠).

(٢) ذكره ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٥٢٤).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٦٩١٣).

[١٥٨/أ] قوله: / ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ أي: بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿إنْ نعفُ عن طائفـة منكم[١] نعذِّب طائفة﴾ أي: لا يُعفَى عن جميعكم، ولابد من عذاب بعضكم ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾ أي: مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة، انتهى[٢].

قال شيخُ الإسلام رحمه الله: وقد أمره الله أنْ يقول: ﴿قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ وقـولُ من يقـول: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم: لا يصح؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم؛ فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أُريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان، فهم لم يُظهروا للناس إلا لخواصهم، وهم مع خواصهم مازالوا كذلك، ولا يدل اللفظ على أنهم مازالوا منافقين[٣].

وقال رحمه الله في موضع آخر: فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم، مع قولهم: إنا تكلَّمنا بالكفر من غير اعتقادٍ له، بل إنما كنا نخوض ونلعب.

وبيَّن أنَّ الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدراً بهذا الكلام، ولو كان الإيمانُ في قلبه منعه أنْ يتكلم بهذا الكلام. والقرآنُ يبيِّن أن إيمان القلب يستلزم العمـل الـظاهر بحسبه؛ كقوله: ﴿ويقولون أمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولَّى فريقٌ منهم من بعد ذلك وما أُولئك بالمؤمنين • وإذا دعوا إلى الله ورسـولـه ليحكم بينهم إذا فريقٌ منهم مُعرضون • وإن يكن لهم الحقُّ يأتوا إليه مُذعـنين أفي قلوبهم مرضٌ أم ارتابوا أم يخافون أنْ يحيف الله عليهم ورسولُه بل

---

(١) (هـ)(ط): منكم: أي مخشي من حمير.

(٢) ابن كثير في «التفسير» (٤/١١١-١١٣).

(٣) ابن تيمية في «كتاب الإيمان» (٢٥٩).

أولئك هم الظالمون • إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أنْ يقولوا سمعنا وأطعنا وأُولئك هم المفلحون﴾. [النور: ٤٧-٥١] فنفى الإيمان عمَّن تولَّى عن طاعة الرسول، وأخبر أنَّ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا، فبيَّن أنَّ هذا من لوازم الإيمان. انتهى.

وفيه: بيانُ أنَّ الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها، أو عمل يعمل به. وأشدُّها خطرا إرادات القلوب، فهي كالبحر الذي لا ساحل له[1]. ويُفيد الخوفَ من النفاق الأكبر؛ فإنَّ الله تعالى أثبت لهؤلاء إيمانا قبل أن يقولوا ما قالوه، كما قال ابنُ أبي مُليكة: أدركتُ ثلاثين من أصحاب/ رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على [١٥٨/ب] نفسه[2]. نسألُ الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

---

(١) ينظر: ابن القيم، «طريق الهجرتين» (٢٢١).

(٢) أخرجه أبوبكر الخلال في كتاب «السنة» رقم (١٠٨١)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٦٨٨) والبخاري في «الصحيح» (١/١٠٩) تعليقاً.



(٤٨)
باب قول الله تعالى:
﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿ولئن أذقناه رحمةً منا من بعد ضرَّاء مسَّتهُ ليقولَن هذا لي وما أظنُّ الساعةَ قائمةً ولئن رُجعت إلى ربي إنَّ لي عنده للحُسنى فلننبئنَّ الذين كفروا بما عَمِلوا ولنذيقنَّهم من عذابٍ غليظ﴾. [فصلت: ٥٠].

ش: ذكر المصنِّفُ رحمه الله تعالى عن ابن عباس، وغيره من المفسِّرين ـ في معنى هذه الآية وما بعدها ـ ما يكفي في المعنى ويشفي.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال مُجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوقٌ به[١]. وقال ابن عباس: يُريد من عندي. وقوله: ﴿قال إنما أُوتيتُه على علم عندي﴾ [القصص: ٧٨]. قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب[٢]. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل[٣]. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف[٤].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٥/٣).

(٢) أخرجه عبد بن حُميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٦/٤٤٠).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن السُّدي، كما في «المصدر السابق».

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير (١٢/٢٤) والفريابى وعبد بن حُميد وابن المنذر، كما في «الدر المنثور» (٧/٢٣٤).

ش: وليس فيما ذكروه اختلاف، وإنما هي أفرادُ المعنى .

قال العمادُ ابن كثير رحمه الله ـ في معنى قول الله تعالى : ﴿ثم إذا خَوَّلناه نعمةً منا قال إنما أُوتيته على علم بل هي فتنة﴾ . [الزمر: ٤٩] . يُخبر أنَّ الإنسان في حال الضرِّ يَضرع إلى الله عز وجل، ويُنيب إليه ويدعوه، ثم إذا خوَّله نعمةً منه طغى وبغى و ﴿قال إنما أُوتيته على علم﴾ أي : لما يعلم الله استحقاقي له، ولولا أني عند الله خصيصٌ[١] لما خوَّلني هذا .

قال الله عز وجل: ﴿بل هي فتنة﴾ أي : ليس الأمرُ كما زعم، بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه، أيطيع أم يعصي؟ مع علمنا المتقدم بذلك ﴿بل هي فتنة﴾ أي : اختبار ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ فلهذا يقولون ما يقولون، ويدَّعون ما يدَّعون ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ أي : هذه[٢] المقالة، وزعم هذا الزعم، وادَّعى هذه الدعوى كثيرٌ ممن سلف من الأمم ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ أي : فما صح قولهم، ولا نفعهم جمْعُهم وما كانوا يكسبون؛ كما قال تعالى مُخبراً عن قارون : ﴿إذ قال له قومُه لا تفرح إنَّ الله لا يُحبُّ الفرحين • وابتغ فيما آتاك الله الدارَ الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إنَّ الله لا يُحب المفسدين • قال إنما أُوتيته على علم عندي أولم يعلم أنَّ الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشدُّ منه قوةً وأكثرُ جمعا ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ . [القصص: ٧٦-٧٨] . وقال تعالى : ﴿وقالوا نحن أكثرُ أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾ . [سبأ: ٣٥] . انتهى[٣]

---

(١) (ض)(ط) : حظيظ .

(٢) (هـ)(ط) : قد قال هذه.

(٣) ابن كثير في «التفسير» (٧/ ٩٦).

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ ثلاثةً من بني إسرائيل: أبرصَ وأقرعَ، وأعمى. فأراد الله أن يبتليَهم، فبعث إليهم مَلَكا. فأتى الأبرص، فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني/ الذي قد قذرني [١٥٩/] الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه قذرُه، فأُعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: أي المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل أو البقر ـ شك إسحاق ـ فأُعطي ناقةً عُشرَاء، فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع، فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: شعرٌ حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه، فذهب عنه، وأُعطي شعرا حسنا. قال: أي المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر أو الإبل، فأُعطي بقرة حاملا. فقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: أنْ يردَّ الله عليَّ بصري، فأُبصر به الناس. فمسحه، فردَّ الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأُعطى شاة والدا، فأُنْتجَ هذان، وولَّد هذا. فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابنُ سبيل، قد انقطعت بي الحِبالُ في سفري هذا، فلا بلاغ لي اليوم إلَّا بالله ثم بك، أسألُك بالذي أعطاك اللونَ الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلَّغ به في سفري، فقال: الحقوقُ كثيرة!؛ فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذَرُك الناس، فقيرا، فأعطاك الله المال؟ فقال: إنما ورثتُ هذا المال كابرا عن كابر، قال: إن كنت كاذبا فصيرَّك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه

مثل ما رد عليه هذا، فقال له: إن كنت كاذبا فصيَّرك الله إلى ما كنت، قال: فأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل. قد انقطعت بي الحبال في سفري. فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلَّغُ بها في سفري، فقال: قد كنتُ أعمى فردَّ الله عليَّ بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهَدُك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتُليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك». أخرجاه[1].

ش: (أخرجاه). أي: البخاري، ومسلم.

[2]والناقةُ العُشراء ـ بضم العين وفتح الشين وبالمد ـ هي الحامل[2].

[3]قوله: «أُنتج» وفي رواية «فنتَّج» معناه: تولَّى نتاجها، والناتجُ للناقة كالقابلة للمرأة.

قوله: «ولَّد هذا» هو بتشديد اللام، أي: تولَّى ولادتها، وهو بمعنى «أُنتج» في الناقة. فالمولد والناتج والقابلة بمعنى واحد، لكن هذا للحيوان، وذلك لغيره.

وقوله: «انقطعت بي الحبال» هو بالحاء المهملة والباء الموحَّدة، أي: الأسباب.

وقوله: «لا أجهَدُك» معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذه، أو تطلبه من مالي، ذكره النووي[3][4].

وهـذا حديثٌ عظيم، وفيه مُعتبر: فإنَّ الأوَّلَين جحدا نعمة الله، فما أقرَّا لله

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٣٤٦٤، ٦٦٥٣)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٩٦٤)، وأخرجه السهمي في «تاريخ جُرجان» (٤٦٦).

(٢) مابينهما ساقط من (ض) ومعلَّقٌ في هامش الأصل.

(٣) مابينهما ساقطٌ من (ض) ومعلَّق في هامش الأصل، وكتب بعده مانصه: صح أصل المصنف.

(٤) النووي في «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٨/ ٩٨).

بنعمة، ولا نسبا النعمة إلى الـمُنعم بها، ولا أديا حق الله فيها بنعمه[1]، فحلَّ عليهما السخط.

وأمَّا الأعمى: فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدَّى حق الله فيها. فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة، لمّا أتى بأركان الشكر/ [١٥٩/ب] الثلاثة التي لا يقوم الشكرُ إلاَّ بها، وهي: الإقرارُ بالنعمة، ونسبتُها إلى الـمُنعم، وبذلُها فيما يحب.

قال العلاَّمة ابن القيم: أصلُ الشكر: هو الاعترافُ بإنعام الـمُنعم، على وجه الخضوع له والذل والمحبة. فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلا بها، لم يشكرها. ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها، لم يشكرها أيضا. ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكرُ لنعمة المنعم عليه بها، فقد كفرها. ومن عرف النعمة والمنعم، وأقر بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ويحبه ويرض به وعنه، لم يشكرها[2] أيضا.

ومن عرفها وعرف المنعم وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته، فهذا هو الشاكر لها. فلابد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميلُ إلى المنعم ومحبته والخضوع له[3].

قوله: «قد قذرني الناس» بكراهة رؤيته وقربه منهم.

---

(١) (ط): فيها بنعمه. ساقط.

(٢) (ط): يشكره.

(٣) ينظر: ابن القيم، «مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٢).



(٤٩)
باب قول الله تعالى:
﴿ فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾

قال الـمُصنِّفُ رحمـه الله تعالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يُشركون﴾. [الأعراف: ١٩٠].

ش: قال الإمـام أحمد رحمه الله ـ في معنى هذه الآية ـ: حدَّثنا عبدالصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة، عن النبي ﷺ قال: «لمـا ولـدت حوَّاءُ طاف بها إبليس وكـان لا يعيش لها ولد، فقال: سَمِّيه عبـدَالحـارث؛ فإنـه يعيش، فسمتـه عبدالحارث فعاش. فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره».

وهكـذا رواه ابن جرير، عن محمـد بن بشـار، بنُـدار، عن عبدالصمد بن عبدالوارث، به.

ورواه الترمذي ـ في تفسير هذه الآية ـ عن محمد بن المثنى، عن عبدالصمد، به، وقال: هذا حديثٌ حسن غريب؛ لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم. ورواه بعضُهم عن عبدالصمد (١ولم يرفعه.

ورواه الحاكم في (مستدركه)، من حديث عبدالصمد١)، مرفوعا، وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسنـاد، ولم يخرجـاه. ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في

---

(١) مابينهما معلَّقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(تفسيره)، عن أبي زُرعة الرازي، عن هلال بن فيّاض، عن عمر بن إبراهيم، به مرفوعا(١).

وقال ابنُ جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهل(٢) بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن ﴿جعلا له شُركاءَ فيما آتاهما﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم(٣).

وحدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى/، رزقهم الله أولادا فهوّدوا ونَصَّروا(٤). وهذا إسنادٌ صحيح عن الحسن رحمه الله(٥). [١٦٠/أ]

قال العِمَادُ ابن كثير في (تفسيره): وأمَّا الآثار: فقال محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولادا فتُعبِّدهم لله، وتُسمّيه(٦): عبدالله وعبيدالله ونحو ذلك، فيصيبهم الموت؛ فأتاها إبليس وآدمَ(٧) فقال: أما إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه به

---

(١) أحمد في «المسند» (٥/١١) و ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٥٥١٣)، والترمذي في «الجامع» رقم (٣٠٧٩) والحاكم في «المستدرك» (٢/٥٤٥) وصححه ووافقه الذهبي، وابن ابي حاتم في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٣/٦٢٣)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٦٨٩٥) وأبو الشيخ وابن مرديه كما في «الدر المنثور» (٣/٦٢٣) قال ابنُ كثير في «التاريخ» (١/٨٩): رواه بعضهم عن عبدالصمد، ولم يرفعه. فهذه علة قادحة في الحديث، والمظنون بل المقطوع به أنَّ رفعه إلى النبي - ﷺ - خطأ، والصواب وقفه. والله اعلم. وقال في «التفسير» (٣/٥٣٩): هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه. وذكرها.

(٢) (ض)(ط): سهيل. تصحيف.

(٣) ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٥٥٢٦).

(٤) ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٥٥٢٨).

(٥) ابن كثير، «التفسير» (٣/٥٣٠).

(٦) (ط): وتسميهم.

(٧) (ط): فأتاهما إبليس.

لعاش، فولدت له رجلاً فسمَّاه عبدالحارث، ففيه أنزل الله ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ إلى آخر الآية[1] [الأعراف: ١٨٩].

وقال العَوفي، عن ابن عباس: فأتاهما الشيطان فقال: هل تدريان ما يولد لكما؟ أم هل تدريان ما يكون: أبهيمة أم لا؟ وزين لهما الباطل؛ إنه غويٌّ مبين. وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويا، ومات كما مات الأول. فسمَّيا ولدَهما عبدالحارث، فذلك قول الله تعالى: ﴿فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾[2].

وذكر مثله: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. ورواه ابن أبي حاتم.

وقد تلقَّى هذا الأثر عن ابن عباس جماعةٌ من أصحابه: كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومن الطبقة الثانية: قتادة، والسدي، وجماعةٌ من الخلف. ومن المفسرين ومن المتأخرين، جماعاتٌ لا يحصون كثرة.

قال العماد ابن كثير: وكأن أصله ـ والله أعلم ـ مأخوذٌ من أهل الكتاب[3].

قلتُ: وهذا بعيدٌ جدا[4].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٥٥١٦).

(٢) اخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٥٥١٧).

(٣) ابن كثير في «التفسير» (٣/ ٥٣١).

(٤) قال سُليمان بن عبدالله في «تيسير العزيز الحميد» (٦٣٠): وإذا تأمّلت سياق الكلام من أوله إلى أخره مع مافسره به السلف تبيّن قطعاً أنَّ ذلك في أدم وحواء عليهما السلام. والعجيب ممن يكذب بهذه القصة وينسى ماجرى أول مرة!

وقال ابن كثير في «التفسير» (٣/ ٥٣١): وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحوّاء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾. والقصد بين ذلك، ماذكره المؤلف في آخر الباب وأيما كان، فإن الغاية هي الاتعاظ والاعتبار. والله أعلم.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى : قال ابنُ حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم مُعبَّدٍ لغير الله ، كعبد عمرو، وعبدالكعبة ، وماأشبه ذلك . حاشى عبدَالمطلب[1] .

ش: ابن حزم : هو عالمُ الأندلس ، أبومحمد ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري . صاحب التصانيف ، توفي سنة ستٍّ وخمسين وأربعمائة . وله اثنتان وسبعون سنة .

وعبد المطلب هذا : هو جدُّ رسول الله ﷺ ، وهو ابنُ هاشم بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعدّ بن عدنان/ ، وما فوق عدنان مختلفٌ فيه . ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام[2] . [١٦/ب]

حكى رحمه الله : اتفاق العُلماء على تحريم كلِّ ما عُبِّد لغير الله ؛ لأنه شركٌ في الربوبية والإلهية ؛ لأن الخلق كلَّهم مُلكٌ لله وعبيد له ، استعبدهم لعبادته وحده ، وتوحيدِه في ربوبيته وإلهيته : فمنهم من عبد الله وحده[3] في ربوبيته وإلهيته ، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقرَّ له بربوبيته وأسمائه وصفاته . وأحكامُـه القدرية جاريةٌ عليهم ولا بُدَّ ؛ كما قال تعالى : ﴿إنْ كُلُّ مَنْ في السموات والأرض إلا آتي الرحمن

---

(١) ابن حزم «مراتب الاجماع» (١٥٤) .

(٢) قال ابن كثير في «التاريخ» (٢/ ١٨١) : لا خلاف في أن عدنان من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، واختلفوا في عدة مابينهما ، وكره بعض السلف الاشتغال بها ، وأما الأنساب إلى عدنان فمحفوظة شهيرة جداً .

(٣) (ط) : ووحّده .

عبداً﴾. [مريم: ٩٣] فهذه هي العبودية العامة. وأمَّا العبودية الخاصة فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَيْس الله بِكافٍ عَبْدَهُ﴾. [الزُّمر: ٣٦]. ونحوها.

قوله: (حاشى عبدالمطلب)، هذا استثناءٌ من العموم المستفاد من كل. وذلك أنَّ تسميته بهذا الاسم لا محذور فيه؛ لأن أصله من عبودية الرق[1].

وذلك أنَّ المُطَّلب أخو هاشم قدم المدينة، وكان ابنُ أخيه شيبةُ هذا قد نشأ في أخواله بني النجار من الخزرج، لأن هاشماً تزوَّج فيهم امرأة، فجاءت منه بهذا الابن.

فلما شبَّ في أخواله وبلغ سنَّ التمييز، سافر به عمُّه المطلب إلى مكة بلد أبيه وعشيرته. فقدم به مكة وهو رديفه، فرآه أهلُ مكة وقد تغيَّر لونُه بالسفر، فحسبوه عبداً للمطلب، فقالوا: هذا عبد المطلب. فعَلِق به هذا الاسم وركبه، فصار لايذكر ولا يُدعى إلا به، فلم يبق للأصل معنى مقصود. وقد قال النبي ﷺ «أنا ابنُ عبدالمطلب»[2].

وقد صار معظماً في قريش والعرب، فهو سيِّدُ قريش وأشرفُهم في جاهليته، وهو الذي حفر زمزم وصارت له[3] وفي ذريته من بعده.

---

(١) وقال ابن معمرّ، كما في «الدرر السنية» (٣/ ٤١٥) سبب الاستثناء، لظاهر ماصح عن النبي ﷺ أنه قال في غزوة حنين، لما انهزم عنه أصحابه إلا قليلاً «انا النبي لا كذب انا ابن عبدالمطلب» ويأتي.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٢٨٦٤، ٢٨٧٤، ٢٩٣٠، ٣٠٤٢، ٤٣١٥، ٤٣١٦، ٤٣١٧)، ومسلم في «الصحيح»رقم (١٧٧٦) وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٩، ٣٠٤) من حديث البراء بن عازب.

(٣) (ط): له الساقية.

وعبدُالله : والدُ رسول الله ﷺ أحدُ بني عبدالمطلب، وتوفي في حياة أبيه؛ قال الحافظ صلاح الدين العُلائي في كتابه (الدرة السنية في مولد خير البرية) : كان سنُّ أبيه عبدالله حين حملت منه آمنةُ برسول الله ﷺ نحو ثمانية عشر عامًا، ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمراً لأهله، فمات بها عند أخواله بني[1] النجَّار، والنبي ﷺ / [١٦١/أ] حملٌ على الصحيح. انتهى.

قلتُ: وصار النبي ﷺ لـمَّا وضعته أُمُّه في كفالة جده عبدالمطلب.

قال الحافظُ الذهبي: وتوفي أبوه عبدالله وللنبي ﷺ ثمانيةٌ وعشرون شهراً، وقيل: أقل من ذلك، وقيل: وهو حمل. توفي بالمدينة، وكان قد قدمها ليمتار بها تمراً، وقيل: قد[2] مرَّ بها راجعاً من الشام، وعاش خمسةً وعشرين سنة. قال الواقدي: وذلك أثبتُ الأقاويل في سِنّه ووفاته[3].

وتُوفيت أُمُّه آمنة بالأبواء[4]، وهي راجعةٌ به ﷺ إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بني عَدي بن النجار، وهو يومئذٍ ابنُ ست سنين ومائة يوم. وقيل: ابنُ أربع سنين.

فلما ماتت أُمُّه حملته أمُّ أَيْمن مولاتُه إلى جَدِّه، فكان في كفالته إلى أنْ تُوفي جدُّه، وللنبي ﷺ ثمان سنين، فأوصى به إلى عمّه أبي طالب. انتهى كلامُ الحافظ[5].

---

(١) (ط): بني عدي بن.

(٢) (ض) (هـ) (ط): بل.

(٣) الأصل: سنة وفاته.

(٤) قريةٌ من أعمال المدينة، بينها وبين الجُحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. «معجم البلدان» (٧٩/١).

(٥) الذهبي في «تاريخ الإسلام» السيرة (٤٩).

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس في الآية، قال: لما تَغشَّاها آدمُ حملت، فأتاهما إبليسُ. فقال: إني صاحبُكما الذي أخرجتكما من الجنة، لَتُطيعُنني أو لأجعلنَّ له قَرْني أيْلٍ، فيخرج من بطنك فيشقّه. ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ، يخوِّفهما. سمِّياه عبدالحارث. فأبيا أن يُطيعاه، فخرج ميتاً. ثم حملت، فأتاهما. فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً. ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما. فأدركهما حُبُّ الولد، فسمياه عبدالحارث، فذلك قولُه: ﴿جَعَلا لَهُ شُركاءَ فيما آتاهُما﴾ رواه ابنُ أبي حاتم[1].

ش: قد قدَّمنا نظيرَه عن ابن عباس في المعنى.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وله بسندٍ صحيح، عن قتادة، قال: شُركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته[2]. وله بسندٍ صحيح، عن مجاهد - في قوله ﴿لئن آتيتنا صالحاً﴾ قال: اشفقا أنْ لا يكون انساناً. وذُكر معناه عن الحسن، وسعيد، وغيرهما[3].

ش: قال شيخُنا رحمه الله: إنَّ هذا الشرك في مجرَّد تسميةٍ، لم تُقصد حقيقتها[4] [5].

وهو محملٌ حسن، يُبيّن أنَّ ماوقع من الأبوين، من تسميتهما ابنهما عبدالحارث: إنما هو مجرَّد تسميةٍ، لم يقصدا تعبيدَه لغير الله. وهذا معنى قول قتادة: شُركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

---

(١) ابن أبي حاتم في «التفسير»، وأخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر، كما في «الدر المنثور» (٣/٦٢٤).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٥٥٢١).

(٣) ابن ابي حاتم في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٣/٦٢٦).

(٤) (ط): لم يقصد حقيقته التي يريدها ابليس.

(٥) المسألةُ الثالثة.



(٥٠)
بـــاب
قول الله تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بهـا وذروا الذيـن يلحـدون فـي اسمائــه ﴾

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿ولله الأسْماءُ الحُسْنَى فادْعُـوهُ بها وذروا الـذين يُلْحِـدُونَ في أَسْمَائِهِ سيُجزون ماكانوا يعملُون﴾. [الأعراف: ٨٠] ذكر ابنُ أبي حاتم، عن ابن عباس: ﴿يُلحدون في أسمائه﴾ يُشركون. وعنه: سمُّوا اللات من الإله، والعُزّى من العزيز. وعـن الأعمش: يدخلون فيها ماليس منها[1].

ش: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً، مائةً إلا واحدًا، مَن أحصاها دخل الجنة، وهو وترٌ يُحب الوتر» أخرجاه في (الصحيحين)، من حديث سُفيان بن عُيينة[2]. ورواه البخاريُّ، عن أبي اليمان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عنه[3].

وأخرجه [الترمذي عن][4] الجوزجاني، عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، عن شُعيب بسنده، مثله.

---

(١) ابن أبي حاتم في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٣/٦١٦).

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (٦٤١٠) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٧٧)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٤٥٨، ٤٩٩).

(٣) البخاري في «الصحيح» رقم (٢٧٣٦، ٦٤١٠، ٧٣٩٢).

(٤) ساقطٌ في جميع النسخ، والاضافة من «تفسير ابن كثير».

وزاد بعد قوله: «يُحب الوتر: هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمنُ، الرحيم، الملكُ، القدوس، السلام، المؤمنُ، المهيمن، العزيز، الجبار، / المتكبر، الخالق، [١٦١/ب] الباريء، المصور، الغفار، القهارُ، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسطُ، الخافض، الرافع، المعزُّ، المذل، السميع، البصير، الحَكَم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيمُ، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المُقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المُجيب، الواسعُ، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الوليُّ، الحميد، المحصي، المبديء، المُعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفردُ، الصمد، القادر، المقتدر، المقدِّم، المؤخِّر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المُتعالي، البَر، التواب، المنتقم، العفوُّ، الرؤوف، مالكُ الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المعطي، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور».

ثم قال الترمذي: هذا حديثٌ غريب، وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة، ولا نعلمُ في كثير من الروايات ذكرَ الأسماء إلا في هذا الحديث[١].

[والذي عوَّل عليه جماعةٌ من الحفاظ: أنَّ سرد الأسماء في هذا الحديث][٢] مُدرجٌ فيه.

---

(١) الترمذي في «الجامع» رقم (٣٥٠٢)، وأخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٣٨٦١) بسياق آخر. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٢٠٨): إسنادُ طريق ابن ماجة ضعيف. وأخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٢/٨٨) والطبراني في كتاب «الدعاء» رقم (١١١) وابن المنذر، وابن مندة وابن مردوية، كما في «الدر المنثور» (٣/٦١٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/١٦) وعنه البيهقي في «السنن» (١٠/٢٧) وعنه الجوزجاني في «الأباطيل» رقم (٥٩).

(٢) مابينهما ساقطٌ من الأصل، وهو انتقال نظر.

وإنما ذلك كما رواه الوليدُ بن مسلم، وعبدالملك الصنعاني، عن زُهير بن محمد : أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنَّهم قالوا ذلك. أي : إنهم جمعوها من القرآن؛ كما رُوي عن جعفر بن محمد، وسفيان، وأبي زيد اللغوي، والله أعلم[1].

هذا ماذكره العمادُ ابن كثير في (تفسيره). ثم قال: ثم ليعلم أنَّ الأسماء الحسنى ليست منحصرة في تسعة وتسعين؛ بدليل مارواه أحمد، عن يزيد بن هارون، عن فُضيل بن مرزوق، عن أبي سلمة الجُهني، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن عبدالله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ قال: «ما أصاب أحداً قط هَمٌّ ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدُك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حُكمك، عدلٌ في قضاؤك. أسألك بكل اسمٍ هو لك، سميت به نفسك/ [١٦٢/أ] أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك : أنْ تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي. إلا أذهب الله همَّه وحزنه، وأبدله مكانه فرحاً» فقيل: يارسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى. ينبغي لمن سمعها أنْ يتعلمها»، وقد أخرجه أبوحاتم ابن حبان في (صحيحه)[2].

---

(١) قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في «مجموع الفتاوى» (٢٢/٤٨٢): وحفَّاظُ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم، عن شيوخه من أهل الحديث. وانظر ايضاً «مجموع الفتاوى» (٦/٣٧٩) وقال ابن القيم في «مدارج السالكين» (٣/٤١٥): والصحيح أنه ليس من كلام النبي ـ ﷺ ـ.

(٢) أحمد في «المسند» (١/٣٩١ و ٤٥٢) وابن حبان في «الصحيح» (٢/١٦٠)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٢٥٣) والطبراني في «الكبير» رقم (١٠٣٥٢) وكتاب «الدعاء» رقم (١٠٣٥) وأبو يعلى في «المسند» رقم (٥٢٩٧) والحاكم في «المستدرك» (١/٥٠٩) والدينوري في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٤٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٣٦): ورجال أحمد وأبويعلى رجال الصحيح، غير أبي =

وقال العَوفي، عن ابن عباس ـ في قوله تعالى: ﴿وذَروا الذين يلحِدون في أسمائِه﴾ ـ قال: إلحادُ الملحدين: أن دعوا اللات في أسماء الله[1].

وقال ابنُ جُريج، عن مجاهد ﴿وَذروا الذين يُلحِدون في أسمائِه﴾ قال: اشتقوا اللَّات من الله، واشتقوا العُزَّى من العزيز[2].

وقال قتادة: يُلحدون: يُشركون[3]. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب[4].

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميلُ والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر؛ لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر[5].

قال ابنُ القيِّم رحمه الله:

وحقيقة الإلحاد فيها الميلُ بالـ   إشراك والتعطيل والنكران[6]

وأسماءُ الرب تعالى كلُّها أسماءٌ وأوصاف تعرَّف بها تعالى إلى عباده، ودلَّت على كماله جل وعلا.

وقال رحمه الله تعالى: فالإلحاد: إمَّا بجحدها وإنكارها، وإمَّا بجحد معانيها

= سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان؛ وله شاهدٌ من حديث أبي موسى الاشعري أخرجه الدينوري في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٤١) وصححه ابن القيم في «بدائع الفوائد» (١/١٦٦) و«شفاء العليل» (٤٥٣).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٥٤٥٣).

(٢) «المصدر السابق» رقم (١٥٤٥٤).

(٣) «المصدر السابق» رقم (١٥٤٥٦).

(٤) «المصدر السابق» رقم (١٥٤٥٥).

(٥) ابن كثير في «التفسير» (٣/٥١٦).

(٦) ابن القيم، «الكافية» (   ).

وتعطيلها، وإمَّا بتحريفها عن الصواب، وإخراجها عن الحق بالتأويلات.

وإمَّا بجعلها أسماء لهذه المخلوقات كإلحاد أهل الاتحاد؛ فإنَّهم جعلوها أسماء هذا الكون، محمودها ومذمومها. حتى قال زعيمُهم: هو المسمَّى بمعنى كلِّ اسم ممدوح عقلاً وشرعاً وعرفًا. وبكل اسمٍ مذموم عقلاً وشرعًا وعرفًا. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. انتهى(١).

قلتُ: والذي عليه أهل السُّنة والجماعة قاطبة ـ متقدمهم ومتأخرهم ـ: إثباتُ الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ على مايليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل؛ كما قال: ﴿لَيس كَمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ﴾. [الشورى: ١١].

وأنَّ الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، يحتذي حذوه ومثاله. وكما أنه يجب العلمُ بأن لله ذاتًا حقيقة لا تُشبه شيئًا/ من ذوات المخلوقين. [١٦٢/ب]

فله صفاتٌ حقيقة لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين، فمن جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله، أو تأوَّله على غير ماظهر من معناه: فهو جهميٌّ، قد اتبع غير سبيل المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشاقِقِ الرَّسُول من بَعد ما تبيَّنَ لَهُ الهُدى ويتَّبع غيرَ سبيل المؤمنين نُولِّه ما تولَّى ونُصلهِ جهنَّم وساءت مصيراً﴾. [النساء: ١١٥].

وقال العلَّامة(٢) أيضًا: فائدةٌ جليلة: مايجري صفةً أو خبرًا على الرب تبارك وتعالى، أقسام:

أحدُها: مايرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذات، وموجود. الثاني: مايرجع

---

(١) ابن القيم، «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٩).

(٢) (ض)(هـ)(ط): العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى.

إلى صفات معنوية[١]: كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير.

الثالث: مايرجع إلى أفعاله: كالخالق، والرازق.

الرابع: التنزيه المحض، ولا بدَّ من تضمُّنه ثبوتًا؛ إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس، والسلام.

الخامس ـ ولم يذكره أكثر الناس ـ: وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، بل دالٌّ على معان، نحو المجيد، العظيم، الصمد؛ فإنَّ المجيد: من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدلُّ على هذا. فإنَّه موضوعٌ للسعة والكثرة والزيادة، فمنه: استَمْجدَ المَرْخُ والعَفارُ[٢]، وأمجد الناقة: علفها، ومنه: ﴿ذو العَرشِ المجِيدُ﴾ صفة للعرش، لسعته وعظمته وشرفه.

وتأمَّل كيف جاء بهذا الاسم مقترنًا بطلب الصلاة من الله على رسوله، كما علَّمَناه ﷺ: بأنه[٣] في مقام طلب المزيد والتعرُّض لسعة العطاء، وكثرته ودوامه. فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه، كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، فهو راجعٌ إلى التوسل إليه بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبِّها إليه، ومنه الحديثُ الذي في (المسند) والترمذي «أَلِظُّوا[٤] بياذا الجلال والإكرام»[٥] ومنه «اللهم إني أسألُك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلا أنت

---

(١) (هـ)(ط): صفاته ونعوته.

(٢) المَرْخ: شجرٌ سريع الاشعال. والعفارُ: شجرٌ يتخذ منه الزناد، ومعنى قولهم. استمجد المَرْخ والعفار: استكثرا من النار. «القاموس المحيط» مادة مجد.

(٣) (ط): لأنه.

(٤) ألظَّ بالشي: إذا لزمه وثابر عليه. ابن الأثير «النهاية» (٤/ ٢٥٢).

(٥) أحمد في «المسند» (٤/ ١٧٧) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٥٢٢) وقال: وهذا حديثٌ غريب، وأخرجه

المنانُ، بديعُ السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام»(١).

فهذا سؤالٌ له وتوسل إليه بحمده، وأنه: لا إله إلا هو المنان. فهو توسلٌ إليه بأسمائه وصفاته، وما أحقَّ ذلك بالإجابة، وأعظمه موقعاً عند المسؤول. وهذا بابٌ عظيم من أبواب التوحيد.

السادس: صفةٌ تحصل من اقتران أحد الإسمين والوصفين بالآخر/ ، وذلك [١٦٣/أ] قدْرٌ زائد على مفرديهما، نحو: الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد. وهكذا عامةُ الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن؛ فإنَّ الغِنى صفةُ كمال، والحمد كذلك، واجتماعُ الغنى مع الحمد كمال آخر. فله ثناءٌ من غناه، وثناءٌ من حمده، وثناءٌ من اجتماعهما، وكذلك الغفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم. فتأمله، فإنه من أشرف المعارف(٢).

= النسائي في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٣/١٦٧) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/٢٨٠) والطبراني في «الكبير» (٥/٦٠). وكتاب «الدعاء» رقم (٩٢، ٩٣، ٩٤) والحاكم في «المستدرك» (١/٤٩٩) وصححه ووافقه الذهبي من حديث انس، وربيعة بن عامر.

(١) أخرجه أبوداود في «السنن» رقم (١٤٩٥) والنسائي في «المجتبى» (٣/٥٢) وابن ماجة في «السنن» رقم (٣٨٥٨) وأحمد في «المسند» (٣/١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥) وابن حبان في «الصحيح» (٢/١٢٦) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/٢٧٢) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧٠٥) وابن مندة في «التوحيد» رقم (٢٣٣) والطبراني في «الكبير» (٥/١٠٥) «والصغير» رقم (١٠٣٨) وكتاب «الدعاء» رقم (١١٦، ١١٧) والحاكم في «المستدرك» (١/٥٠٣) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه ابن القيم في «شفاء العليل» (٤٥٨) من حديث أنس.

(٢) ابن القيم في «بدائع الفوائد» (١/١٥٩).



(٥١)
باب لا يقال: السلام على الله

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ لا يُقال: السلامُ على الله.

في الصحيح، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كنا إذا كُنَّا مع النبي ﷺ في الصلاة، قلنا: السلامُ على الله من عبادهِ، السلامُ على فلان، فقال النبيُّ ﷺ «لا تقولوا: السلامُ على الله؛ فإنَّ الله هو السلام».

ش: هذا الحديثُ: رواه البخاريُّ، ومسلم، وأبوداود، والنسائي، وابن ماجة، من حديث شَقيق بن سلمة، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: كنا إذا جلسنا مع النبي ﷺ في الصلاة، قُلنا: السلامُ على الله قبل عباده، السلام على فلان وفلان. الحديث[1]، وفي آخره ذِكْرُ التشهد الأخير.

ورواهِ الـترمذي، من حديث الأسود بن يزيد، عن ابن مسعود[2]، وذكر في الحديث[3] سبب النهي عن ذلك؛ بقوله: «فإنَّ الله هو السلام ومنه السلام».

وقد كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلاثًا، وقال «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام»[4].

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٨٣٥)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٤٠٢) وأبوداود في «السنن» رقم (٩٦٨) والنسائي في «المجتبى» (٢/ ٢٤٠) وابن ماجة في «السنن» رقم (٨٩٩)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٦٤).

(٢) الترمذي في «الجامع» رقم (٢٨٩)، وأخرجه النسائي في «المجتبى» (٢/ ٢٣٧، ٢٣٨).

(٣) (ط): حديث. تحريف.

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٥٩١) وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٥، ٢٧٩) من حديث ثوبان، وأخرجه في «المسند» (٦/ ٦٢، ١٨٤، ٢٣٥) من حديث عائشة.

وفي الحديث: إنَّ هذا هو تحيةُ أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى،[١].

[وفي التنزيل: ما يدلُّ على أنَّ الرب تبارك وتعالى يُسلِّم عليهم في الجنة؛ كما قال تعالى][٢]: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِن رَبٍّ رحِيم﴾. [يس: ٥٨.]

ومعنى قوله: «إنَّ الله هو السلام»: أنه تعالى سالمٌ من كل نقص، ومن كل تمثيل. فهو الموصوفُ بكل كمال، المنزَّهُ عن كل عيب ونقص.

قال في (البدائع)[٣]: السلامُ اسمُ مصدر، وهو من ألفاظ الدعاء، يتضمّن [الإنشاء والإخبار. فجهةُ الخبرية فيه لا تُناقض الجهة][٢] الإنشائية، وهو معنى السلام المطلوب عند التحية، وفيه قولان مشهوران:

الأول: أنَّ الله عز وجل هو السلام، ومعنى الكلام: نزلت بركتُه عليكم، ونحو هذا؛ فاختير في هذا المعنى من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الأسماء.

الثاني: أن السلام مصدرٌ بمعنى السلامة، وهو المطلوب المدعو به عند التحية. ومن حُجة أصحاب هذا/ القول: أنَّه يأتي مُنكَّرًا، فيقول المُسلِّم: سلامٌ عليكم، ولو كان اسمًا من أسماء الله لم يُستعمل كذلك، ومن حجتهم: أنه ليس المقصودُ من السلام هذا المعنى، وإنما المقصودُ منه: الإيذان بالسلامة خبراً ودعاءً. [١٦٣/ب]

قال العلَّامةُ ابنُ القيِّم رحمه الله: وفصلُ الخطاب، أنْ يُقال: الحقُّ في مجموع القولين، فكلٌّ منهما بعضُ الحق، والصواب في مجموعهما.

---

(١) ورد ذلك في حديث مُرسل، مضى تخريجُه في الباب السادس والثلاثين. وفي «مسند أحمد» (٣٨١/٤) من حديث عبدالله بن أبي أوفى «السلام تحية أهل الجنة».

(٢) مابينهما ساقطٌ من الأصل، وهو انتقالُ نظر.

(٣) (ط): قال العلامة ابن القيم في «بدائع الفوائد».

وإنما يتبين ذلك بقاعدة، وهي: أنَّ حق من دعا الله بأسمائه الحُسنى أنْ يَسأل في كلِّ مطلوب ويتوسل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب، المناسب لحصوله. حتى إنَّ الداعي متشفعٌ إلى الله تعالى، متوسلٌ إليه به.

فإذا قال: ربِّ اغفر لي وتُب عليَّ إنك أنت التوابُ الغفور، فقد سأله أمرين وتوسَّل إليه باسمين من أسمائه مُقتضيين لحصول مطلوبه.

وقال ﷺ لابي بكر رضي الله عنه، وقد سأله مايدعو به «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[١].

فالمقامُ لَمَّا كان مقام طلب السلامة التي هي أهمُّ عند الرجل، أتى بلفظها بصيغة اسمٍ من أسماء الله وهو السلام، الذي تُطلب منه السلامة. فتضمَّن لفظُ السلام معنيين: أحدُهما: ذكر الله، والثاني: طلبُ السلامة، وهو مقصود المسلم.

وقد تضمَّن سلامٌ عليكم: اسمًا من أسماء الله تعالى، وطلب السلامة منه. فتأمَّل هذه الفائدة[٢]!.

وحقيقتُه: البراءة والخلاص، والنجاة من الشرور والعيوب. وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه، فمن ذلك قولك: سلَّمك الله، ومنه دعاءُ المؤمنين على الصراط: رب سلِّم سلم[٣].

ومنه سَلِم الشيءُ لفلان، أي: خلص له وحده؛ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ الله مثلاً

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٨٣٨٧، ٧٣٨٨) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٧٠٥) وأحمد في «المسند» (١/٤، ٧) من حديث عبدالله بن عمرو.

(٢) ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٢/١٣٧-١٤٢).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (١٨٣) من حديث أبي سعيد، والترمذي في «الجامع» رقم (٢٤٣٤) من حديث المغيرة بن شعبة، واللفظ له.

رجُلاً فيه شُركاءُ متشاكسون وَرَجُلاً سَلَمًا لرَجُل﴾. [الزمر: ٢٩].

أي: خالصاً له وحده، لا يملكه معه غيره. ومنه السِّلْم ضد الحرب؛ لأن كلَّ واحد من المتحاربين يخلص ويسلَم من أذى الآخر، ولهذا بُني فيه على المفاعلة، فقيل: المسالمة مثلُ المشاركة. ومنه: القلبُ السليم، وهو النقيُّ من الدَّغَل والعيب.

وحقيقتُه: الذي قد سلَّم لله وحده، فخلص من دَغَل الشرك وغِلِّه، ودغل الذنوب والمخالفات، بل هو المستقيم على صدق حبه، وحسن معاملته/ . وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذابه، والفوز بكرامته. [١٦٤/أ]

ومنه أُخذ الإسلام، فإنَّه من هذه المادة؛ لأنه الاستسلامُ والانقياد لله والتخلص من شوائب الشرك، فسلم لربه وخلص له. كالعبد الذي سلَّم لمولاه، ليس فيه شركاء متشاكسون. ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه، وللمشرك به[١].

---

(١) ابن القيم «بدائع الفوائد» (٢/ ١٣٣).

(٥٢)
بـــاب
قول: اللهم اغفر لي إن شئت

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قولِ: اللهم اغفر لي إنْ شئت.

ش: يعني: أنَّ ذلك لا يجوز، لورود النهي عنه في حديث الباب.

قال الـمُصنِّفُ رحمـه الله تعالى: في الصحيح، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يقولن أحدُكم: اللهم اغفر لي إنْ شئت، اللهم ارحمني إنْ شئت، ليَعزم المسألة؛ فإنَّ الله لا مُكْرِه له**»[(١)].
ولمسلم: «وليُعْظِّم الرَّغبة، فإنَّ الله لا يتعاظَمُه شيءٌ أعطاه»[(٢)].

ش: بخلاف العبد؛ فإنَّه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه، أو لخوفه منه أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كاره.

فاللائقُ بالسائل للمخلوق أنْ يُعلِّق حصول حاجته على مشيئة المسؤول، مخافة أن يُعطيه وهو كاره. بخلاف ربِّ العالمين تعالى، فإنه لا يليق به ذلك؛ لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمالِ جوده وكرمه، وكلُّهم فقير إليه، مُحتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين، وعطاؤه كلام.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٣٣٩، ٧٤٧٧) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٧٩)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/١٣، ٤٦٤، ٤٨٦).

(٢) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٧٩)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٣١٨) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/١٩٩).

وفي الحديث: «يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة، سحَّاءُ[١] الليل والنهار؛ أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه، وفي يده الأخرى القِسط يخفضُه ويرفعه»[٢] يُعطي تعالى لحكمة، ويمنعُ لحكمة، وهو الحكيمُ الخبير.

فاللائقُ بمن سأل الله أنْ يعزم المسألة، فإن الله تعالى لا يُعطي عبده شيئاً عن كراهة، ولا عن عِظم مسألة[٣].

وقد قال بعضُ الشُّعراء فيمن يمدحُه:

ويعظُم في عين الصغير صغارُها ‌ ‌ ويصغر في عين العظيم العظائمُ[٤]

وأمَّا هذا[٥]: بالنسبة إلى ما في نفوس أرباب الدنيا، وإلَّا فإنَّ العبد يُعطي تارةً ويمنع أكثر، ويُعطي كرهاً والبخل عليه أغلب؛ وبالنسبة إلى حاله هذه فليس عطاؤه بعظيم.

وأما مايعطيه الله عباده فهو دائمٌ مستمر، يجود بالنوال قبل السؤال. من حيث وضِعت النطفةُ في الرحم؛ فنعمُه على الجنين في بطن أُمه دارَّه، يربيّه أحسن

---

(١) سحَّاء: أي: دائمة الصب بالعطاء.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٤٦٨٤) ومسلم في «الصحيح» رقم (٩٩٣) وأحمد في «المسند» (٢٤٢/٢) من حديث أبي هريرة.

(٣) وهكذا: مَنْ سأل الله لغيره، فلا ينبغي له أن يدعو ويستثني في دعائه. وقد انتشر هذا النوع من الدعوات الخاطئة حتى بين بعض طلاب العلم في هذه الأوقات، دون تنبه إلى ما ينطوي عليه من محذور. فالله المستعان.

(٤) بيتٌ من قصيدة طويلة لأبي الطيب المتنبي في سيف الدولة، وأولها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ ‌ ‌ وتأتي على قدر الكرام المكارم

الديوان (٢٩٠).

(٥) (ض): وأما هذه. (ط): وهذا.

تربية ، فإذا وضعت أُمُّه عطّفَ عليه والديه ، وربَّاه بنعمه حتى يبلغ أشدَّه . يتقلَّب في نعم الله مدة حياته ، فإذا كانت حياتُه على الإيمان والتقوى : ازدادت نعمُ الله تعالى عليه/ إذا توفَّاه ، أضعاف أضعاف ماكان عليه في الدنيا من النعم التي لا يقدِّر قدرها إلا الله ، مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين . [١٦٤/]

وكلُّ مايناله العبدُ في الدنيا من النعم ، وإنْ كان بعضُها على يد مخلوق ، فهو بإذن الله وإرادته وإحسانه إلى عبده .

فإن الله تعالى هو المحمود على النعم كلِّها ، فهو الذي شاءها وقدَّرها ، وأجراها عن كرمه وجوده وفضله . فله النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ؛ قال تعالى : ﴿وما بِكم مِن نِعْمَةٍ فَمِن الله ثُمَّ إذا مَسَّكُم الضرُّ فإليه تجأرون﴾ [النحل : ٥٣] .

وقد يمنع تعالى عبده إذا سأله ؛ لحكمةٍ وعلم بما يُصلح عبده من العطاء والمنع . وقد يؤخِّر ماسأله عبده لوقته المقدَّر ، أو ليُعطيه أكثر ، فتبارك الله ربُّ العالمين .

قوله : ولمسلم : «وليُعظِّم الرَّغبة» أي : في سؤاله لربه حاجته ؛ فإنَّه يُعطي العظائم كرمًا وجودًا وإحسانًا .

«فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه» ، أي : ليس شيءٌ عنده يعظم ، وإنْ عظُم في نفس المخلوق ؛ [لأن سائل المخلوق][١] لا يسأله إلا مايهون عليه بذلُه ، بخلاف رب العالمين ، فإنَّ عطاءه كلامٌ : ﴿إنَّما أَمْرُهُ إذا أراد شيئًا أنْ يَقُول لَهُ كُنْ فيَكُون﴾ . [يس : ٨٢] فسبحان من لا يقدِّر الخلقُ قدْرَه ، لا إله غيرُه ، ولا رب سواه .

---

(١) ساقطٌ من الأصل.



(٥٣)
بــاب لا يقول: عبدي وأمتي

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ لا يقول: عبدي وأمَتي.

في الصحيح، عن أبي هُريرة: أنَّ رسـول الله ﷺ قال: «لا يقولنَّ أحدُكم: أطعِمْ ربَّك، وضِّيء ربَّك، وليقل: سيِّدي ومولاي، ولا يقل أحدُكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغُلامي»(١)

ش: قوله: (بابٌ لا يقول: عبدي وأمتي). ذَكَر الحديث الذي في الصحيح، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقولنَّ أحدكم: أطعم ربك وضيء ربك، وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي».

هذه الألفاظ المنهيُّ عنها: وإنْ كانت تطلق لغةً، فالنبيُّ ﷺ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد، [وسداً لذرائع الشرك](٢)؛ لما فيها من التشريك في اللفظ، لأنَّ الله تعالى هو ربُّ العباد جميعهم.

فإذا أُطلق على غيره شاركه في هذا الاسم، فينُهى عنه لذلك؛ وإنْ لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى، وإنما المعنى أنَّ هذا مالكُ له؛ فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار. فالنهيُ عنه حسمًا لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقا للتوحيد وبُعداً عن الشرك حتى في اللفظ.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٢٥٥٢)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٢٤٩) وأحمد في «المسند» (٣١٦/٢).

(٢) إضافة من (هـ) و (ط).

[١٦٥/أ] وهذا من أحسن مقاصد الشريعة؛ لما فيه من تعظيم الرب/ تعالى، وبُعده عن مشابهة المخلوقين. فأرشدهم ﷺ إلى مايقوم مقام هذه الألفاظ، وهو قوله: سيدي ومولاي[١]. وكذلك قوله: «ولا يقل أحدُكم: عبدي وأمتي» لأن العبيد عبيد الله والإماء إماءُ الله؛ قال تعالى: ﴿إنْ كُلُّ مَنْ في السمواتِ والأرض إلا آتي الرحمن عبْدًا﴾. [مريم: ٩٣] ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريكٌ في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيمًا لله تعالى، وأدبًا وابعادًا[٢] عن الشرك، وتحقيقًا للتوحيد، وأرشده إلى أن يقول:[٣] «فتاي وفتاتي وغلامي».

وهذا من باب حماية المصطفى ﷺ جنابَ التوحيد، فقد بلَّغ ﷺ أُمَّته كلَّ مافيه نفع، ونهاهم عن كل مافيه نقصٌ في الدين. فلا خير إلَّا دلهم عليه، خصوصًا في تحقيق التوحيد، ولا شرَّ إلا حذرهم عنه صلوات الله وسلامه عليه، خصوصًا ما يُقرِّب من الشرك لفظًا وإنْ لم يُقصد، وبالله التوفيق.

---

(١) والفرق بين الرب والسيد: أنَّ الرب من أسماء الله تعالى بالاتفاق، واختُلف في السيد. وأما ما أخرجه مسلم وغيره، عن أبي هريرة «ولا يقل أحدكم مولاي، فإن مولاكم الله ولكن ليقل سيدي» فقد بيّن مسلم الاختلاف في هذه الزيادة على الأعمش، وحذفها أصح. أما اطلاق السيد والمولى من غير إضافة، فلا يجوز إلَّا في حق الله تعالى. ينظر: ابن حجر، «فتح الباري» (٥/ ١٨٠) وسيأتي له مزيد بيان في الباب رقم ٦٥.

(٢) (ض)(هـ)(ط): وبعداً.

(٣) (ط): وأرشدهم إلى أن يقولوا.

(٥٤)
بـــاب لا يرد من سأل بالله

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ لا يُردُّ من سأل بالله.

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعـطوه ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تُروا أنكم قد كافأتموه». رواه أبوداود، والنسائي بسند صحيح[١].

ش: ظاهرُ الحديث النهيُّ عن ردِّ السائل إذا سأل بالله. لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل، بحسب ماورد في الكتاب والسُّنة. فيجب إذا سأل السائلُ ماله فيه حقٌّ كبيت المال [أنْ يُجاب][٢]، فيُعطى منه على قدر حاجته [ومايستحقه][٣][٤]، وكذلك إذا سأل (٥المحتاج مَن في ماله فضلٌ فيجب أن يُعطيه مايدفع[٦]، على [حسب حاله ومسألته[٧]. وأما إذا سأل٥) من لا فضل عنده، فيُستحب أنْ يُعطيه

---

(١) أبـوداود في «السنن» رقم (١٦٧٢) والنسـائي في «المجتبى» (٥/٨٢)، وأخـرجـه أحمـد في «المسند» (٢/٦٨، ٩٩، ١٢٧) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٢٢٨) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢١٦) والطبراني في «الكبير» رقم (١٣٤٦٥، ١٣٤٦٦) وابن حبان في «الصحيح» (٥/١٥٨، ١٧٣) والحاكم في «المستدرك» (١/٤١٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/٥٦)، قال النووي في «رياض الصالحين» (٦٥٣): حديثٌ صحيح.

(٢) إضافةٌ من (ط).

(٣) إضافةٌ من (ض)و (هـ) و (ط).

(٤) (هـ)(ط): وما يستحقه وجوبا.

(٥) مابينهما ساقطٌ من (ط).

(٦) (ض)(هـ)(ط): مايدفع. ساقطه.

(٧) (ط): ومسألته خصوصاً إذا سأله بالله.

على][1] قدر حال المسؤول ما لا يضره ولا يضر عائلته، وإنْ كان مضطرًا وجب أنْ يعطيه مايدفع ضرورته[2].

ومقامُ الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوتُ الناس فيه بحسب ماجبلوا عليه من الكرم والجود[3]، وضدِّهما من البخل والشح. فالأوَّلُ محمودٌ في الكتاب والسُّنة، والثاني مذمومٌ فيهما.

وقد حثَّ الله تعالى عباده على الإنفاق؛ لعظم نفعه وتعدِّيه، وكثرة ثوابه، قال تعالى: ﴿يا أَيُّها الذين آمَنُوا أَنْفِقُوا مِن طيباتِ ما كَسَبْتُم ومِمَّا أَخْرَجْنَا لَكم من الأرض ولا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُون وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلَّا أن تُغْمِضُوا فيه واعْلَمُوا أنَّ الله غَنِيٌّ حَمِيدٌ • الشيْطانُ يَعِدُكُم الفقْرَ وَيَأْمُرُكُم بالفَحْشَاءِ والله يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. [البقرة: ٢٦٧ ـ ٢٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾. [الحديد: ٧]. وذلك الإنفاق/ في خصال البر المذكورة في قوله: [١٠/ب] ﴿لَيْسَ البرَّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبلَ المشرق والمغرب ولكن البر مَن آمَن بالله واليوم الآخرِ والملائكة والكتابِ والنبيين وآتى المَالَ على حُبِّهِ ذوي القُرْبى واليتامى والمساكين وابنَ السبيل والسائلين وفي الرِّقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاةَ والـمُوفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضرَّاء وحين البأس أولئك الذين صَدَقوا وأولئك هم الـمتَّقون﴾. [البقرة: ١٧٧].

فذكره بعد ذكر أصول الإيمان، وقبل ذكر الصلاة. وذلك ـ والله أعلم ـ لتعدي

---

(١) مابينهما ساقطٌ من الأصل.

(٢) قال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين» (٢/ ٢٣٢): والمسألةُ في الأصل حرام. وإنما أُبيحت للحاجة والضرورة؛ لأنها ظلمٌ في حق الربوبية، وظلمٌ في حق المسئول، وظلمٌ في حق السائل. اهـ.

(٣) (هـ): والجود وتخلقا بقوة داعي الايمان.

نفعه. وذكره تعالى في الأعمال التي أمر بها عباده، وتعبَّدهم بها ووعدهم عليها الأجر العظيم؛ قال تعالى: ﴿إنَّ المُسلمين والمُسلمات والمؤمنينَ والمؤمنات والقانتين والقانتات والصّادقين والصَّادِقات والصابِرينَ والصابرات والخاشِعين والخاشِعاتِ والمُتَصدِّقين والمُتصدقات والصائمينَ والصائمات والحافظين فُرُوجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدَّ الله لهُم مَغْفِرَةً وأَجْرًا عظيمًا﴾. [الأحزاب: ٣٥].

وكان النبيُّ ﷺ يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء؛ نُصحاً للأمة وحثاً لهم على ماينفعهم عاجلاً وآجلاً.

وقد أثنى الله سبحانه على الأنصار رضي الله عنهم بالإيثار، فقال: ﴿وَيُؤْثِرُون على أَنْفُسِهِم ولَوْ كان بِهِم خصاصةٌ ومن يُوق شُح نفسه فأُولئِك هُمُ المُفْلِحُون﴾. [الحشر: ٩]، والإيثارُ من أفضل خصال المؤمن كما تُفيده هذه الآية الكريمة، وقد قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُون الطعام على حُبِّهِ مُسْكِينًا ويَتِيمًا وأسيرًا • إنَّما نُطْعِمُكُم لِوَجْهِ الله لا نُريدُ مِنْكُم جزاءً ولا شُكُورًا﴾. [الإنسان: ٨ - ٩].

والآياتُ والأحاديث في فضل الصدقة كثيرةٌ جدًّا، ومن كان سعيهُ للدار الآخرة رغب في هذا ورغَّب، وبالله التوفيق[1].

قوله: «ومن دعاكم فأجيبوه» هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض: إجابة دعوة المسلم، وتلك من أسباب الأُلفة والمحبة بين المسلمين.

قولـه: «ومن صنع / إليكم معروفاً فكافئوه» ندبهم ﷺ على المكافأة على [١٦٦/] المعروف، [2] فإنَّ المكافأة على المعروف[2] من المروءة التي يحبها الله تعالى ورسوله،

---

(١) ينظر: ابن رجب الحنبلي، «فضل صدقة السر» مجلة عالم الكتب (ج٧).

(٢) مابينهما ساقط من (ط).

كما دلَّ عليه هذا الحديث، ولا يُهمل المكافأةَ على المعروف إلا اللئيم من الناس، وبعض اللئام يكافيء على الإحسان بالاساءة، كما يقع ذلك كثيراً من بعضهم. نسألُ الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

بخلاف حال أهل التقوى والإيمان، فإنَّهم يدفعون بالحسنة السيئةَ؛ طاعةً لله ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه؛ كما قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بالتي هي أَحْسَنُ السيئةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ • وقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ من همزاتِ الشياطِين • وأَعُوذُ بك رَبِّ أَنْ يَحضُرُون﴾. [المؤمنون: ٩٦ - ٩٨] وقال تعالى: ﴿ادْفع بالتي هي أَحْسَنُ فإذا الذي بيْنَك وبيْنَهُ عَدَاوةٌ كأَنَّهُ وليٌ حَمِيمٌ • وما يُلَقَّاها إلاَّ الذين صبَرُوا وما يُلَقَّاها إلا ذو حظٍّ عَظِيمٍ﴾. [فصلت: ٣٤ - ٣٥] وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة.

قوله: «فإن لم تجدوا ماتكافئوه فادعوا له» أرشدهم ﷺ إلى أنَّ الدعاء في حق من لم يجد المكافأة مكافأةٌ للمعروف، فيدعو له بحسب معروفه.

قوله: «حتى تُروا - بضم التاء، أي: تظنوا - أنكم قد كافأتموه» ويُحتمل أنَّها مفتوحة بمعنى: تعلموا؛ ويؤيده مافي (سُنن أبي داود)، في حديث ابن عمر «حتى تعلموا» فتعين الثاني للتصريح به.

وفيه «ومن سألكم بالله فأجيبوه» أي: إلى ما سأل. فيكون بمعنى: أعطوه! وعند أبي داود - في رواية أبي نَهيك - عن ابن عباس «من سألكم بوجه الله فأعطوه»[١] وفي رواية عُبيد الله القواريري لهذا الحديث «ومن سألكم بالله» كما في حديث ابن عمر[٢].

---

(١) أبوداود في «السنن» رقم (٥١٠٨)، وأخرجه أحمد في المسند» (١ / ٢٥٠) وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» رقم (١٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٨٧٨) من طريقين.

(٢) أبو داود في «السنن» رقم (٥١٠٩).

(٥٥)
بـــاب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ لا يُسأل بوجه الله إلَّا الجنة.

عن جابـــر، قال: قال رســـول الله ﷺ «لا يُســـأل بوجــه الله إلا الجنة». رواه أبوداود(١).

ش: قوله: (بابٌ لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة).

ذكر فيه حديث جابر ـ رواه أبوداود، عن جابر ـ قال: قال رسول الله ﷺ «لا يَسأل بوجه الله إلا الجنة».

وهنا سؤال: وهو أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ عند مُنصرفه من الطائف، حين كذَّبه أهلُ الطائف ومن في الطائف من أهل مكة، فدعا ﷺ بالدعاء المأثور «اللهم إلـيك أشكـــو ضعف/ قوتي، وقلَّةَ حيلتي، وهـــواني على النـــاس. أنت ربُّ [١٦٦/ـ] المستضعفين، وأنت ربـي، إلـى مـن تَكِلُنـي؟ إلى بعيد يتجهمُني، أو إلى عدو ملَّكته أمري؟ إنْ لم يك بك غضبٌ عليَّ فلا أُبالي، غير أنَّ عافيتك هي أوسعُ لي» وفي آخره «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلماتُ، وصلُح عليه أمرُ الدنيا والآخرة: أن يَحُلَّ عليَّ غضبُك، أو ينزل بي سخطك. لك العُتبى حتى ترضى،

---

(١) أبوداود في «السنن» رقم (١٦٧١)، وأخرجه ابن عَدي في «الكامل» (١١٠٧/٣) وقال: هذا الحديث لا أعرفه عن محمد بن المنكدر، ألَّا من رواية سُليمان بن قَرْم. وابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٨٨) والـديلمي في «مسنـد الفـردوس» رقم (٧٩٨٦) والبيهقي في «السنن» (١٩٩/٤) و «الأسماء والصفـات» (٣٨٨) وفيه سُليمان بن قرم. سيءُ الحفظ يتشيّع، كما في «التقريب» (٢٥٣). وأخرجه البيهقي. في «الاسماء والصفات» (٣٨٨) عن عطاء وطاووس، وعمر بن عبدالعزيز.

ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١]، والحديث المروي في الأذكار «اللهم أنت أحقُّ من ذُكر، وأحق من عُبد ـ وفي آخره ـ أعوذُ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض»[٢]

وفي حديث[٣] آخر «أعوذ بوجه الله الكريم، وباسم الله العظيم وبكلماته التامة، من شر السَّامة واللاَّمة، ومن شر ماخلقت أي ربِّ، ومن شر هذا اليوم ومن شر مابعده ومن شر الدنيا والآخرة»[٤] وأمثالِ ذلك في الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو الحسان.

فالجواب: أنَّ ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يُقرِّب إلى الجنة، أو مايمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة، فيكون قد سأل بوجه الله وبنور وجهه ما يُقرِّبُ إلى الجنة؛ كما في الحديث الصحيح «اللهم إني أسألك الجنة ومايقرب إليها من قولٍ أو عمل، وأعوذ بك من النار ومايقرب إليها من قول أو عمل»[٥].

---

(١) أخرجه الطبراني في كتاب «الدعاء» رقم (١٠٣٦) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/٣٥): رواه الطبراني، وفيه ابن اسحاق وهو مدلس ثقة، وبقيّةُ رجاله ثقات. والطبري في «التاريخ» (٢/٣٤٥) من حديث عبدالله بن جعفر. وأصله في «صحيح البخاري» رقم (٣٢٣١)، ومسلم في «الصحيح» رقم (١٧٩٥) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٨٠٢٧) من حديث أبي أمامة، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١١٧): وفيه فضال بن جبير، وهو ضعيف مجمعٌ على ضعفه.

(٣) الأصل و(ض): وجه.

(٤) أخرجه بنحوه: البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٨٩) من حديث ابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وقال: وهو إسنادٌ صحيح، وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٩٣) عن سعيد بن المسيب موقوفاً وأخرج الشاهد منه: أبوداود في «السنن» رقم (٥٠٥٢) والدينوري في «عمل اليوم والليلة» رقم (٧١٣) من حديث علي، وأخرجه الطبراني في كتاب «الدعاء» رقم (١٣٩٩) من حديث عائشة.

(٥) أخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٣٨٩١) قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٢٠١): هذا إسناد فيه مقال، أم كلثوم هذه لم أر من تكلَّم فيها وباقي رجال الإسناد ثقات. وليس في هذا مايوهن =

بخلاف مايختصُّ بالدنيا، كسؤاله[1] المال والرزق والسعة في المعيشة رغبةً في الدنيا، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك مايعينه على عمل الآخرة. فلا ريب أنَّ الحديث يدلُّ على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله[2].

وعلى هذا: فلا تعارض بين الأحاديث، كما لا يخفى، والله أعلم.

وحديثُ الباب: من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسُّنة على إثبات الوجه لله تعالى؛ فإنَّه صفةُ كمال، وسلبُه غايةُ النقص والتَّشبيه بالناقصات، كسلبهم جميع الصفات أو بعضها. فوقعوا في أعظم مما فرُّوا منه، تعالى الله عما يقولون[3] علوًا كبيرًا.

وطـريقةُ أهل السُّنة والجماعة سلفاً وخلفًا: الإيمانُ بما وصف الله به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله ﷺ في سُنَّته، على مايليق بجلال الله وعظمته. فيثبتون ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله ﷺ، وينفون عنه مشابهة المخلوق؛ فكما أنَّ ذات الرب تعالى لا تُشبه الذوات، فصفاته كذلك لا تشبه الصفات، فمن نفاها فقد سلبه الكمال.

= الحديث؛ فإنَّ أم كلثوم ممن خرَّج لها مسلم، وقال ابنُ حجر في «التقريب» (٨٥٨) ثقة. وأخرجه أحمد في «المسند» (٦/١٣٤، ١٤٦، ١٤٧) والطيالسي في «المسند» ي رقم (١٥٦٩) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٣٩) وابن حبان في «الصحيح» (٢/١١٥) والحاكم في «المستدرك» (١/٥٢١) وصححيه ووافقه الذهبي.

(١) (ط): كسؤال.

(٢) هذا لو صح الحديث، أما والحديث ضعيف فلا حاجة إلى الجمع. والله أعلم.

(٣) (ض): يقول الظالمون الجاحدون (هـ)(ط): يقول الظالمون.

(٥٦)
بــاب ماجاء في اللو

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في اللَّو.

ش: أي: من النهي[١] عنه عند الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرى بها القدر؛ لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسى على مافات، مما لايمكن استدراكه.

فالواجب التسليم للقدر، والقيامُ بالعبودية الواجبة، وهو/ الصبرُ على ما أصاب العبد مما يكره. والإيمانُ بالقدر، أصلٌ من أصول الإيمان الستة. [١٦٧]

وأدخل المصنفُ رحمه الله أداة التعريف على لوٍّ ـ وهذه في هذا المقام لا تُفيد تعريفًا كنظائرها ـ لأن المراد هذا اللفظ، كما قال الشاعر:

رأيتُ الـوليد بن اليزيدِ مبـاركًـا شديدًا بأعبـاء الخلافـة كاهلُه[٢]

قال الـمُصنِّف رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى: ﴿يَقُولُون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلْنا هٰهُنا﴾. [آل عمران: ١٥٤].

ش: قاله بعضُ المنافقين يوم أُحد؛ لخوفهم وجزعهم وخَورهم.

قال ابنُ اسحاق: فحدَّثني يحيى بن عَبَّاد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه، عن عبدالله بن الزبير، قال: قال الزبير: لقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوفُ علينا أرسل الله علينا النوم، فما منا من رجلٍ إلَّا ذقنه في صدره، قال:

---

(١) (ط): من الوعيد والنهي.

(٢) من كلام ابن ميّادة، الرمَّاح بن أبرد بن ثوبان، يمدح به الوليد بن يزيد بن عبدالملك. «خزانة الأدب» للبغدادي (٢/ ٢٢٦).

فوالله إني لأسمع قول مُعَتِّب بن قُشير[١]، ما أسمعه إلا كالحُلم: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا. فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله عز وجل: ﴿يَقولون لو كان لنا من الأمر شيءٌ ماقُتِلْنا ههُنا﴾ لقول مُعتِّب. رواه ابن أبي حاتم[٢].

قال الله: ﴿قُــلْ لَوْ كُنْـتُم في بُيُوتِكُم لبرز الــذين كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْــلُ إلى مَضاجِعِهِم﴾ أي: هذا قدَرٌ مقدَّر من الله عز وجل، وحُكمٌ حتم لازم. لا محيد عنه ولا مناص منه.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِه: ﴿الذين قَالُوا لإِخْوانِهِم وقعَدُوا لو أَطَاعُونَا ما قُتِلُوا﴾. [آل عمران: ١٦٨].

ش: قال العمادُ ابنُ كثير: ﴿الذين قالوا لإِخْوانهم وقعَدُوا لو أَطَاعُونَا ما قُتِلُوا﴾ أي: لو سمعوا من مشورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج، ماقُتلوا مع من قتل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ فادْرؤوا عنْ أَنْفُسِكُمْ المَوْت إنْ كُنْتُمْ صادقين﴾ [٣]أي: إذا كان القعودُ يَسلمُ به الشخص من القتل والموت، فينبغي لكم أنْ لا تموتوا، والموتُ لابد آتٍ إليكم ولو كنتم في بروجٍ مشيَّدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كُنتم صادقين[٣].

---

(١) ينظر: ابن حجر، «الاصابة في تمييز الصحابة» (٣/٤٤٣).

(٢) ابن أبي حاتم في «التفسير» رقم (١٦٩٧)، وابن إسحاق كما في «تفسير ابن كثير ٢/١٢٦)، أخرجه الطبري في «التفسير» رقم (٨٠٩٤) وأبو نعيم في «الدلائل» رقم (٤٢٣) والبيهقي في «الدلائل» (٣/٢٧٣) واسحاق بن راهوْيه وعبد بن حُميد وابن المنذر، كما في «الدر المنثور» (٢/٣٥٣) وإسناده حسن.

(٣) مابينهما معلَّق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

قال مُجاهد، عن جابر بن عبدالله: نزلت هذه الآيةُ في عبدالله ابن أُبي،[1][2] يعني: أنه هو الذي قال ذلك.

وأخرج البيهقي، عن أنس: أنَّ أباطلحة قال: غشينا النعاسُ ونحن في مصافنا يوم أُحد، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه. قال: والطائفةُ الأخرى ـ المنافقون ـ ليس لها هَمٌّ إلا أنفسهم، أجبنُ قوم، وأرعبُه، وأخذلُه للحق: ﴿يَظُنُّونَ بالله غَيْرَ الحقِّ ظَنَّ الجاهلية﴾. [آل عمران: ١٥٤] إنما هم أهل ريب وشك بالله عز وجل[3].

قولـه: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُم أَنْفُسُهُم﴾ يعني: لا يغشاهم النعاسُ من القلق والجزع والخوف ﴿يَظُنُّونَ بالله غَيْرَ الحقِ ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ﴾.

[١٦٧/ب] قال شيخُ الإسلام رحمه الله: لـمّا ذكر ما/ وقع من عبدالله بن أُبي في غزوة أُحد، قال: فلما انخزل يوم أُحد، وقال: يَدَعُ رأيي ورأيه، ويأخذ برأي الصبيان؟ ـ أو كما قال ـ انخزل معه خلقٌ كثير، كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك. فأولئك كانوا مسلمين، وكان معهم إيمانٌ هو الضوء الذي ضرب الله به المثل. فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على الإسلام، ولم يكونوا من المؤمنين حقاً الذين امتُحنوا فثبتوا[4]، ولا من المنافقين حقًا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة.

وهذا حالُ كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم، إذا ابتُلوا بالمحنة التي يتضعضع فيها أهلُ الإيمان، ينقص ايمانُهم كثيراً، [وينافق كثيرٌ][5] منهم، ومنهم

---

(١) (ط): ابن أبي واصحابه.

(٢) ابن كثير في «التفسير» (٢/١٣٩).

(٣) البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٢٧٤)، وأخرجه البخاري في «الصحيح» من وجه آخر رقم (٤٠٦٨) وأحمد في «المسند» (٤/٢٩).

(٤) (هـ)(ط): فثبتوا على المحنة.

(٥) ساقطٌ من الأصل.

من يُظهر الردة إذا كان العدوُّ غالبًا.

وقد رأينا من هذا ـ ورأى غيرنا من هذا ـ مافيه عبرةٌ. وإذا كانت العافيةُ أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين. وهم مؤمنون بالرسل باطناً وظاهرًا، لكن إيماناً لا يثبت على المحنة. ولهذا يكثر في هؤلاء تركُ الفرائض وانتهاكُ المحارم، وهؤلاء من الذين قالوا آمنا، فقيل لهم: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا ولَكن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَـمَّا يَدْخُلِ الإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾. [الحجرات: ١٤] أي: الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقًا؛ فإنَّ هذا هو الإيمان إذا أُطلق في كتاب الله تعالى، كما دل عليه الكتابُ والسُّنة، فلم يحصل لهم ريبٌ عند المحن التي تقلقل [الإيمان][١] في القلوب. انتهى[٢].

قوله: وقد رأينا من هذا ـ ورأى غيرنا من هذا ـ مافيه عبرة.

قلتُ: ونحن كذلك، رأينا من ذلك ما فيه عبرةٌ عند غلبة العدو، من إعانتهم العدوَّ على المسلمين، والطعنِ في الدين وإظهار العداوة والشماتة، وبذل الجد[٣] في إطفاء نور الإسلام وذهاب أهله، وغير ذلك مما يطول ذكرُه، والله المستعان.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «احرص على ماينفعُك، واستعن بالله ولا تَعْجزن. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وماشاء فعل؛ فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان»[٤].

---

(١) ساقطٌ من الأصل.

(٢) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٨٠).

(٣) (ط): الجهد.

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٦٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٦، ٣٧٠).

ش: قوله: (في الصحيح) أي: صحيح مسلم (عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: احرص) الحديث.

اختصر المصنفُ هذا الحديث، وتمامُه: عن النبي ﷺ، أنه قال: «المؤمنُ القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف/، وفي كلٍّ خير. احرص على [١٦٨/أ] ماينفعك» أي: في معاشك ومعادك. والمراد: الحرصُ على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دُنياه وأُخراه، مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة. ويكون العبدُ في حال فعله السبب مُستعيناً بالله وحده دون كلِّ ماسواه؛ ليتم له سببُه وينفعه. فيكون اعتمادُه على الله تعالى في ذلك؛ لأنه تعالى هو الذي خلق السَّببَ والـمُسبَّب، ولا ينفعه سببٌ إلا إذا نفعه الله به، فيكون اعتمادُه في فعل السبب على الله تعالى. ففعل السبب سُنَّةٌ، والتوكلُ على الله توحيد، فإذا جمع بينهما: تم له مرادُه[1].

قوله: «ولا تعجزن» النون نونُ التأكيد الخفيفة، نهاه ﷺ عن العجز وذمَّه، والعجز مذمومٌ شرعًا وعقلاً.

وفي الحديث «الكيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني»[2].

فأرشده ﷺ في هذا الحديث إذا أصابه مايكره، فلا يقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن يقول: قَدَرُ الله وماشاء فعل، أي: هذا قَدرُ الله، والواجبُ

---

(١) (ض)(هـ)(ط): مراده باذن الله.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٤٦١) وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجة في «السنن» رقم (٤٢٦١) وأحمد في «المسند» (٤/١٢٤) والطيالسي في «المسند» رقم (١١٢٢) والطبراني في «الكبير» (٧١٤١، ٧١٤٣) وفي «الصغير» رقم (٨٦٣) والحاكم في «المستدرك» (١/٥٧، ٤/٢٥١) وأبو نُعيم في «الحلية (١/٣٦٧، ٨/١٧٤) والبيهقي في «السنن» (٣/٣٦٩) من حديث شداد بن أوس.

التسليمُ للقدر، والرضى به، واحتسابُ الثواب عليه.

قولـه: «فـإنَّ لو تفتحُ عملَ الشيطان» أي: لما فيها من التأسف على مافات والتحسُّرِ ولوم القدر، وذلك يُنافي الصبر والرضى. والصبرُ واجب، والإيمان بالقدر فرض؛ قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُصيبةٍ في الأَرْض ولا في أَنْفسِكُم إلا في كتابٍ مِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إنَّ ذلِكَ على الله يَسِيرٌ • لِكَيلا تَأْسَوْا على ما فَاتَكُم ولا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم والله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. [الحديد: ٢٢ ـ ٢٣].

قال أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبرُ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد[١].

وقال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن[٢].

قال شيخُ الإسلام ـ وذكر حديث الباب بتمامه ـ ثم قال في معناه: لا تعجز عن مأمور، ولا تجزع من مقدور. ومن الناس مَن يجمع كلا الشرين؛ فأمر النبيُّ ﷺ بالحرص على النافع والاستعانة بالله.

والأمرُ يقتضي الوجوب، وإلَّا فالاستحباب[٣]. ونَهى عن العجز، وقال: «إنَّ الله يلومُ على العجـز»[٤] والعاجزُ ضدُّ: ﴿الذين هُمْ يَنْتَصِرُون﴾ فالأمرُ بالصبر والنهي عن/ الجزع[٥] مأمورٌ به في مواضع كثيرة؛ وذلك لأن الإنسان بين أمرين: [١٠/ب]

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب «الإيمان» رقم (١٣٠) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١٥٦٩).

(٢) نقله ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ١٥٢).

(٣) علق في هامش الأصل مانصه: هذا لورود الأمر عليهما.

(٤) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٣٦٢٧) وأحمد في «المسند» (٦/ ٢٥) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٢٦) وقال: سيفٌ لا أعرفه، والدينوري في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٤٩) من حديث عوف بن مالك.

(٥) (ط): العجز.

أمرٌ أُمِر بفعله فعليه أنْ يفعله ويحرص عليه، ويستعين الله ولا يعجز. وأمرٌ أُصيب به من غير فعله، فعليه أن يصبر عليه ولا يجزع منه.

ولهذا قال بعضُ العُقلاء ـ ابن المقفَّع أو غيره ـ الأمور أمران: أمرٌ فيه حيلة فلا تعجز عنه، وأمرٌ لا حيلة فيه فلا تجزع منه.

وهذا في جميع الأمور، لكن عند المؤمن: الذي فيه حيلةٌ هو ما أمر الله به، وأحبه له؛ فإنَّ الله لم يأمره إلَّا بما فيه حيلة له، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وقد أمره بكلِّ خيرٍ له فيه حيلة. وما لا حيلة فيه هو ما أُصيب به من غير فعله.

واسمُ الحسنات والسيئات يتناول قسمين:

فالأفعالُ: مثلُ قوله تعالى: ﴿مَنْ جاء بالحسنةِ فَلَهُ عَشرُ أَمْثَالِها وَمَنْ جاء بالسيئة فلا يُجْزى إلا مِثْلَها﴾. [الأنعام: ١٦٠]، ومثل قوله تعالى: ﴿إن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأنْفُسكُمْ وإنْ أَسَأْتُمْ فلها﴾. [الاسراء: ٧]، ومثل قوله: ﴿وَجَزاء سيئةٍ سيئةٌ مِثْلُها﴾. [الشورى: ٤٠] ومثلُ قوله تعالى: ﴿بَلى مَنْ كَسَب سيئةً وأَحاطَتْ بِهِ خَطيئَتُهُ﴾. [البقرة: ٨١]، إلى آياتٍ كثيرة من هذا الجنس(١).

والقسمُ الثاني، ما يجري على العبد بغير فعله من النعم والمصائب؛ كما قال تعالى: ﴿ما أَصَابَك من حسنةٍ فمِنَ الله وما أَصابك من سيئةٍ فمن نَفْسِكَ﴾. [النساء: ٧٩]، والآية قبلها. فالحسنةُ في هاتين الآيتين: النعم. والسيئةُ: المصائب، وهذا هو الثاني من القسمين.

وأظنُّ شيخ الإسلام ذكره في هذا الموضع، ولعل الناسخ أسقطه، والله أعلم.

ثم قال رحمه الله تعالى: فإنَّ الإنسان ليس مأموراً أنْ ينظر إلى القدر عند مايؤمر به من الأفعال، ولكن عند مايجري عليه من المصائب التي لا حيلة له في دفعها.

---

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٨).

فما أصابك بفعل الآدميين أو بغير فعلهم فاصبر عليه، وارض وسلِّم؛ قال تعالى: ﴿ما أصاب مِن مُصيبةٍ إلا بإذن الله ومَنْ يؤمن بالله يَهْد قَلْبَهُ﴾. [التغابن: ١١]، ولهذا قال آدمُ لموسى: «أتلومني على أمر قدَّرَهُ الله عليَّ قبل أنْ أُخلق بأربعين سنة؟ فحج آدمُ موسى» لأن موسى قال له: «لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة»[١] فلامه على المصيبة التي حصلت بسبب فعله، لا لأجل كونها ذَنْبًا.

وأمَّا كونُه لأجل الذنب ـ كما يظنه طوائفُ من الناس ـ فليس مراداً بالحديث؛ فإنَّ آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب، والتائبُ من الذنب كمن لا ذنب له، ولا يجوز لومُ التائب باتفاق الناس. انتهى[٢]/. [١٦٩/أ]

قال العلَّامةُ ابن القيِّم رحمه الله تعالى: فتضمَّن هذا الحديث الشريف[٣]، أصولاً عظيمة من أصول الإيمان، أحدُها: أنَّ الله سبحانه موصوفٌ بالمحبة، وأنه يحب حقيقة.

الثاني: أنه يُحب مُقتضى أسمائه وصفاته ومايوافقها، فهو القويُّ ويحب المؤمنَ القوي، وهو وترٌ يحب الوتر، وجميلٌ يحب الجمال، وعليمٌ يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابرٌ يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين.

ومنها: أنَّ محبته للمؤمنين تتفاضل، فيحبُّ بعضَهم أكثرَ من بعض.

ومنها: أنَّ سعادة الإنسان في حرصه على ماينفعه في معاشه ومعاده، والحرص:

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٤٠٩، ٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٤٧٢، ٧٥١٥) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٥٢) وأحمد في «المسند» (٢/٢٤٨، ٢٦٤، ٣١٤، ٣٩٨) من حديث أبي هريرة، وانظر بقية التخريج في «الرسالة المدنية» (٦٥).

(٢) ابن تيمية «رسالة شرح كلمات من فتوح الغيب» (جامع الرسائل) (٢/١٣٤).

(٣) الشريف. ليست في (هـ) و (ط).

هو بذلُ الجهـد واستفراغ الوسع. فإذا صادف ماينتفع به الحريصُ كان حِرصُه محمـودًا، وكـماله كلُّه في مجموع هذين الأمرين: أنْ يكون حريصاً، وأن يكون حرصُه على ماينتفع به. فإنْ حرص على مالاينفعه، أو فعل ماينفعه بغير[1] حرص: فاته من الكمال بقدر مافاته من ذلك، فالخيرُ كلُّه في الحرص على ماينفع.

ولمَّـا كان حرصُ الإنسان وفعلُه إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه: أمره أنْ يستعين بالله ليجتمع له مقامُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنَّ حرصه على ماينفعه عبادةٌ لله تعالى، ولا يتم إلاَّ بمعونته، فأمره أن يعبده وأن يستعين به. فالحريص على ماينفعه المستعين بالله، ضدُّ العاجز. فهذا إرشادٌ له قبل وقوع المقدور إلى ماهو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرصُ عليه مع الاستعانة بمن أَزِمَّةُ الأمور بيده، ومصدرها منه، ومورِدها[2] إليه.

فإنْ فاته مالم يُقدَّر له، فله حالتان: عجزٌ، وهو مفتاحُ عمل الشيطان؛ فيُلقيه العجـزُ إلى لو. ولا فائـدة في لو ها هنا، بل هي مفتاحُ اللوم والعجز والسخط والأسف والحزن، وذلك كلُّه من عمل الشيطان. فنهاه ﷺ عن افتتاح عمله بهذا الافتتاح، وأمره بالحالة الثانية، وهي: النظرُ إلى القدر وملاحظته، وأنه لو قُدِّر، لم يفته ولم يغلبه عليه أحد. فلم يبق له هاهنا أنفعُ من شهود/ القدر، ومشيئة الرب [١٦٩/ب] النافذة التي توجب وجود[3] المقدور، وإنْ انتفت امتنع وجوده؛ ولهذا قال: «فإنْ غلبك أمرٌ فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وماشاء

(١) (هـ)(ط): من غير.

(٢) (هـ)(ط): ومردها.

(٣) الأصل و (ط): وجوب.

فعل» فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين: حالةِ حصول مطلوبه[1]، وحالة فواته. فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبدُ أبداً، بل هو أشد ضرورة إليه[2]، وهو يتضمن إثبات القدر، والكسب والاختيار، والقيام بالعبودية ظاهرًا وباطناً في حالة[3] حصول المطلوب وعدمه، وبالله التوفيق. انتهى /[4]. [١٧٠/أ]

(١) (هـ)(ط): المطلوب.

(٢) (هـ)(ط): اليه ضرورة.

(٣) (هـ)(ط): حالتي.

(٤) في الأصل كُتب هذا الوجه بخط كبير، متباعد الكلمات، ابن القيم، «شفاء العليل» (٣٣)، وانظر: ابن القيم «مدارج السالكين» (٣/٥٠١).

(٥٧)
بـاب النهـي عن سب الريـح

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ النهي عن سبِّ الريح.

عن أُبيِّ بن كعب، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تسبُّوا الريح. فإذا رأيتم ماتكـرهون، فقولوا: اللهم إنَّا نسألك من خير هذه الريح وخير مافيها وخير ما أُمِرتْ به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر مافيها وشرِّ ما أُمرت به». صححه الترمذي[١].

ش: لأنها[٢] إنـما تهبُّ عن إيجـاد الله تعالى، وخلقه لها وأمره، لأنه هو الذي أوجدها وأمرها. فمسبَّتُها مسبةٌ للفاعل، وهو الله سبحانه؛ كما تقدم في النهي عن سب الـدهر. وهذا يُشبهُه، ولا يفعله إلَّا أهل الجهل بالله ودينه، وبما شرعه لعبـاده.

فنهى ﷺ أهل الإيمان عما يقوله أهلُ الجهل والجفاء، وأرشدهم إلى مايُحب[٣] أنْ يُقال عند هبوب الرياح، فقال: «إذا رأيتم ماتكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير مافيها وخير ما أُمرت به» يعني: إذا رأيتم ماتكرهون من الريح إذا هبَّت، فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد، وقولوا: «اللهم إنا نسألك من خير

---

(١) الترمـذي في «الجـامع رقم (٢٢٥٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد في «المسند» (١٢٣/٥) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٣٣) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧١٩) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣٩٨/١)، وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة، أخرجه ابنُ أبي شيبة في «المصنف» (١٩/٤) والنسائي في «عمل اليوم» رقم (٩٣١)، وشاهدٌ من حديث ابن عباس، أخرجه الطبراني، في كتاب «الدعاء» رقم (٢٠٥٠).

(٢) (هـ)(ط): لأنها أي الريح.

(٣) (هـ)(ط): يجب.

هذه الريح وخير مافيها، وخير ما أُمرت به. ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر مافيها وشرِّ ما أُمرت به»[١]

ففي هذا عبـوديةٌ لله، وطـاعـةٌ له ولرسوله، واستدفاعٌ للشرور به، وتعرُّض لفضله ونعمتـه. وهـذه حال أهل التوحيد والإيمان، خلافاً لحال أهل الفسوق والعصيان، الذين حُرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان.

---

(١) علق في هامش (هـ) مانصـه: أورد الشـارح كلام العلامة بالاستيعاب ولخصه الماتن، فالتبس المتن بالشرح واختلفت النسخ، فتفطن رحمه الله!.

(٥٨)
باب قول الله تعالى
﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿يَظنُّون بالله غَيْرَ الحقِّ ظنَّ الجاهلية يَقُولُون هل لنا من الأمر من شيء قُلْ إنَّ الأمر كُلَّهُ لله يُخْفُون في أَنْفُسهم مالا يبدُون لك يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لنا من الأَمْر شيءٌ ما قُتِلْنا هَهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمَ في بُيُوتِكُم لبرز الذين كُتِبَ عَلَيْهم القَتْلُ إلَى مضاجِعِهم ولِـيبْتَـلي الله مافي صُدُورِكم ولِيُمحِّصَ مافي قُلُوبِكُم والله عَلِيمٌ بذات الصدُورَ﴾. [آل عمران: ١٥٤].

وقـولـه: ﴿الظانِين بالله ظَنَّ السَّوء عَلَيْهم دائِرَةُ السوء وغضبَ الله عليهم ولعنهم وأعدَّ لهم جهنَّمَ وساءت مصيراً﴾. [الفتح: ٦].

قال ابنُ القيِّم في الآية الأولى: فُسِّر هذا الظنُّ بأنه سبحانه لا يَنْصرُ رسولَـه، وأنَّ أمـره سيضمحلُّ، وفُسِّر بأنَّ ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمتـه. ففُسِّر بإنكـار الحكمـة، وإنكار القدر، وإنكار أنْ يتم أمرُ رسوله، وأن يُظهره الله على الدين كله.

وهذا هو ظنُّ السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنـما كان هذا ظنَّ السـوء؛ لأنه ظنَّ غير مايليقُ به سبحانه، ومايليقُ بحكمتـه وحمده ووعده الصادق. فمن ظن أنه يُديلُ الباطلَ على الحقِّ إدالـةً مستقرة يضمحلُّ معها الحق، أو أنكر أن يكون ماجرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغةٍ يستحق عليها الحمد، بل

زعم أن ذلك لمشيئةٍ مجرَّدة. فذلك ظنُّ الذين كفروا، فويلٌ للذين كفروا من النار.

وأكثـرُ النـاس يظنـون بالله ظنَّ السَّـوء فيما يختصُّ بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسْلَمُ من ذلك إلَّا مَنْ عَرَفَ الله وأسماءه وصفاته، وموجِب حكمتـه وحمده. فلْيَعْتنِ اللبيبُ النـاصـحُ لنفسـه بهذا، وليتُبْ إلى الله ولِيَسْتَغفِره من ظنه بربه ظنَّ السوء.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنُّتاً على القدر وملامةً له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا. فمستقلٌّ ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟!

فإن تَنْـجُ منهـا تَنْـجُ من ذي عظيمـةٍ وإلَّا فإني لا إخـالُـك ناجـياً[1]

ش: قوله: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿يَظُنُون بالله غَيْرَ الحقِّ ظنَّ الجاهلية يَقُولُون هَلْ لنا من الأمْرِ من شيء قل إن الأمر كلَّه لله﴾. الآية.

هذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق قوله تعالى في ذكر وقعة أُحد: ﴿ثُمَّ أَنْزَل عليكم من بَعْد الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُم﴾ يعني: أهل الإيمان والثبات والتـوكـل الصـادق، وهم الجازمون بأنَّ الله تعالى ينصر رسوله ﷺ، وينجز له مأموله، ولهذا قال: ﴿وطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني: لا يغشاهم النعاس، من القلق والجزع والخوف ﴿يَظُنُّون بالله غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ﴾ كما قال تعالى: ﴿بل ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ والمؤمِنُون إلى أَهْلِيهم أَبَداً وَزُيِّنَ ذلِكَ في قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوء وكُنْتُم قَوْماً بُوراً﴾. [الفتح: ١٢].

---

(١) ابن القيم، «زاد المعاد» (٢٢٨/٣) والبيت من كلام الفرزدق.

وهكذا هؤلاء: اعتقدوا أنَّ المشركين لمّا ظهروا تلك الساعة، ظنوا أنها الفيصَلة، وأنَّ الإسلام قد باد وأهلُه. وهذا شأنُ أهلِ الرَّيب والشك، إذا حصل أمرٌ من الأمور (١الفظيعة تحصل لهم هذه الأمور١) الشنيعة.

عن ابن جُريج، قال: قيل: لعبدالله بن أُبي: قُتل بنو الخزرج/ اليوم؟ قال: [١٧٠/ب] وهل لنا من الأمر من شيء[٢].

قال العلاَّمةُ ابن القيِّم رحمه الله تعالى في الكلام على ما تضمَّنته وقعة أُحد: وقد فُسِّر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه: بأنه لا ينصر رسوله، وأنَّ أمره سيضمحل، [وأنَّه يُسلِمهُ للقتل][٣]. وفُسِّر بظنهم أنَّ ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره، ولا حِكمة له فيه. ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وانكار أنْ يتم أمر رسوله ﷺ، ويظهره على الدين كله.

هذا هو الظن السوء [الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، حيث يقول: ﴿وَيُعَذِّبَ المُنافِقِينَ والمُنَافِقَاتِ والمُشْرِكين والمُشْرِكَاتِ الظَّانِين بالله ظَنَّ السوء][٤] عليهم دائِرَةُ السوء وغَضِبَ الله عَلَيْهِم ولَعَنَهُم وأَعَدَّ لهم جَهَنَّم وساءت مصيراً﴾. [الفتح: ٦].

وإنما كان هذا ظنَّ السوء، وظن الجاهلية ـ وهو المنسوب إلى أهل الجهل ـ وظنَّ غير الحق؛ لأنه ظنُّ غير مايليق بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، وذاته المبرّأة من كل عيب وسوءٍ، وخلافُ مايليق بحكمته وحمده، وتفرده بالإلهية[٥]، ومايليق بوعده

---

(١) مابينهما ساقط من (ط).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٨٠٩٣) وابن المنذر في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٢/ ٣٥٤).

(٣) اضافة من (ط) «وزاد المعاد».

(٤) مابينهما ليس في الأصل، وهو انتقالُ نظر.

(٥) (هـ)(ط): بالربوبية والالهية.

الصادق الذي لا يُخلفه، وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون.

فمن ظنَّ به أنه لا ينصر رسوله ولا يُتم أمَره، ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائهم ويظهرهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يُديل الشرك على التوحيد، [والباطل على الحق][1] إدالةً مستقرة، يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالاً لا يقوم بعده أبداً: فقد ظن به[2] السوء، ونسبه إلى خلاف مايليق بجلاله وكماله وصفاته ونعوته؛ فإنَّ حمده وعزته [وحكمته][1] وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يُذلَّ حزبه وجنده، وأنْ تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه، المشركين به العادلين به.

فمن ظنَّ به ذلك: [فما عرفه، ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله، وكذلك من أنكر أنْ يكون ذلك بقضائه وقدره][1]، فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته، وكذلك من أنكر أنْ يكون قَدَّر ما قدّره من ذلك وغيره لحكمة بالغة، وغايةٍ محمودة يستحق الحمد عليها، وأنَّ ذلك إنما صدر عن مشيئة مجرَّدة عن حكمة[3]، وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فواتها، وأنَّ تلك الأسباب المكروهة الـمُتقضية لها[4] لا يخرج تقديرها عن الحكمة، لإفضائها إلى ما يُحبّ وإنْ كانت مكروهةً له. فما قدَّرها سُدىً ولا شاءها عبثاً، ولا خلقها باطلاً: ﴿ذلِك ظَنُّ الذين كفَرُوا فَوَيْلٌ للذين كفروا من النَّارِ﴾. [ص: ٢٧].

[١٧١/أ] وأكثرُ الناس يظنون بالله غير الحق، ظنَّ السوء: فيما يختص بهم، وفيما/ يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلَّا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته، و[عرف][5]

---

(١) إضافةٌ من (ط) «وزاد المعاد».

(٢) (هـ)(ط): بالله ظن.

(٣) (ط): عن حكمة. ساقطة.

(٤) (ط): المفضية اليها.

(٥) إضافةٌ من (ط) و «زاد المعاد».

موجِب حكمته وحمده.

فمن قنِط من رحمته، وأيس من روحه: فقد ظن به ظنَّ السوء. ومن جَوَّز عليه أنْ يُعذِّب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم، ويسوي بينهم وبين أعدائه: فقد ظن به ظن السوء. ومن ظن أنه يترك خلقه سُدى مُعطَّلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله ولا ينزل إليهم كتبه، بل يتركهم هملاً كالأنعام: [فقد ظن به ظنَّ السوء](1).

ومن ظن أنه لن يجمعهم(2) بعد موتهم للثواب والعقاب، في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيءَ باساءته، ويُبيِّنُ لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلِّهم صدقه وصدق رسله، وأنَّ أعداءه كانوا هم الكاذبين: فقد ظنَّ به ظن السوء. ومن ظن أنه يُضيِّع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصاً لوجهه على امتثال أمره، ويبطله عليه بلا سبب من العبد، وأنه يعاقبه بما لا صُنع له فيه ولا اختيار له ولا قُدرة ولا إرادة له في حصوله، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به، أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالـمُعجزات، التي يؤيد بها انبياءه ورسله، ويجريها على أيديهم يُضلُّون بها عباده، وأنه يحسن منه كل شيء حتى يُعذِّبَ من أفنى عمره في طاعته، فيخلِّده في الجحيم في أسفل سافلين، ويُنعّم من استنفد عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه فيرفعه الى أعلى عليين، وكلا الأمرين في الحسن سواء عنده، ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق، وإلاَّ فالعقلُ لا يقضي بقبح أحدهما وحُسن الآخر: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنَّه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهرهُ باطلٌ وتشبيه وتمثيل، وترك

---

(١) ساقط من الأصل و (ض).

(٢) (ط): يجمع عبيده.

الحقَّ لم يخبر به وإنما رمز إليه رموزاً بعيدة، وأشار إليه إشارات مُلغزٍ لم يصرّح به، وصرَّح دائماً بالتشبيه والتمثيل والباطل، وأراد من خلقه أن يُتعبوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله على غير تأويله، ويتطلَّبوا له وجوهَ الاحتمالات الـمُستكرهة، والتأويلات [التي هي بالألغاز][(١)] والأحاجي أشبه منها بالكشف/ والبيان، وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم[(٢)] [١٧/ب] لا على كتابه. بل أراد منهم أنْ لا يحملوا كلامه على مايعرفونه من خطابهم ولُغتهم، مع قُدرته على أنْ يصرِّح لهم بالحق الذي ينبغي التصريحُ به، ويُريحهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان: فقد ظن به ظنَّ السوء؛ فإنه إنْ قال: إنه غيرُ قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح، الذي عبَّر به هو وسلفُه: فقد ظن بقدرته العجز، وإنْ قال: إنه قادر ولم يُبيِّن، وعدل عن البيان وعن التصريح بالحق إلى مايُوهم، بل يوقع في الباطل المحال، والاعتقاد الفاسد: فقد ظن بحكمته ورحمته ظنَّ السوء.

ومن ظن أنه وسلفَه عبَّروا عن الحق بصريحه، دون الله ورسوله، وأنَّ الهدى والحق في كلامهم وعباراتهم، وأمَّا كلام الله فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال، وظاهر كلام الـمُتهوِّكين الحيارى هو الهدى، والحق: فهذا من سوء الظن بالله.

فكلُّ هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء، ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية.

---

(١) ساقط من الأصل و (ض) و (هـ).

(٢) (ط): بأرائهم. تحريف.

ومن ظن به أنه يكون في مُلكه ما لا يشاء، ولا يقدر على إيجاده وتكوينه: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنَّه كان مُعطَّلاً من الأزل إلى الأبد عن أنْ يفعل، ولا يوصف حينئذٍ بالقُدرة على الفعل، ثم صار قادراً عليه بعد أنْ لم يكن قادراً: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا يسمع ولا يبصر، ولا يعلم الموجودات، ولا عدد السموات ولا النجـوم، ولا بني آدم وحركاتهم وأفعالهم، ولا يعلم شيئاً من الموجودات في الأعيان: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا سمع له و لا بصر، ولا علم ولا إرادة، ولا كلامَ يقوم به[1]، وأنه لا يكلم أحداً من الخلق ولا يتكلم أبداً، ولا قال، ولا يقول، ولا له أمرٌ ولا نهي يقوم به: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه ليس فوق[2] سمواته، على عرشه بائنا من خلق، وأنَّ نسبة ذاته إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل سافلين، وإلى الأمكنة التي يُرغب عن ذكرها، وأنه أسفل كما أنه أعلى، وأن من قال: سبحان ربي الأسفل، كان كمن قال: سبحان ربي الأعلى: فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومن ظن أنه يُحب/ الكفر والفسوق والعصيان، ويحب الفساد، كما يحب الإيمان [١٧٢/] والبر والطاعة والإصلاح: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنـه لا يحب ولا يرضى، ولا يغضب ولا يسخط، ولا يوالي ولا يعادي، ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرب منه أحدٌ، وأنَّ ذوات الشياطين

---

(١) «زاد المعاد»: يقول به.

(٢) «زاد المعاد» (ط الرسالة: أنه فوق. تحريف شنيع، وليست بأوّل! فليُستدرك هناك.

في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه الـمُفلحين: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه يُسوِّي بين المتضادين، أو يُفرِّق بين المتساوين من كل وجه، أو يحبط طاعات العمر المديد الخالصة الصواب بكبيرةٍ واحدة تكون بعدها، فيخلد فاعل تلك الطاعات في الجحيم أبد الآبدين بتلك الكبيرة، ويُحبط بها جميع طاعاته ويُخلِّده[١] في العذاب، كما يُخلد من لم يؤمن به طرفة عين، واستنفد ساعات عُمره في مساخِطه ومعاداة رسله ودينه: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنَّ له ولداً أو شريكاً، أو أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه، أو أنَّ بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوسَّلون[٢] بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم، فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم[٣]: فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومن ظن به أنه يُنالُ ما عنده بمعصيته ومخالفته، كما يُنال[٤] بطاعته والتقرب إليه: فقد ظن به خلاف حكمته، وخلاف موجب أسمائه وصفاته، وهو من ظن السوء.

ومن ظن به أنه إذا ترك شيئاً لأجله[٥] لم يُعوِّضه خيراً منه: أو من فعل شيئاً لأجله لم يعطه أفضل منه: فقد ظنَّ به ظن السوء.

ومن ظن به أنه يغضب على عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جُرمٍ ولا سبب من

---

(١) (ط): ويخلد.

(٢) (ط): ويتوصلون.

(٣) (ط): ويرجونهم. ساقطة.

(٤) (ط): يناله.

(٥) (ط): من أجله.

العبد، إلاَّ بمجرد المشيئة ومحض الإرادة: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه إذا صَدَقه في الرغبة والرهبة، وتضرَّع إليه وسأله: واستعان به وتوكَّل عليه أنَّه يُخيِّبه ولا يعطيه ما سأله: فقد ظن به ظن السوء، وظن به خلاف ماهو أهله.

ومن ظن به أنه يُثيبه إذا عصاه، كما يثيبه إذا أطاعه وسأله ذلك في دعائه: فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمتُه وحمده، وخلاف ماهو أهلُه وما لا يفعله.

ومن ظن به/ أنه إذا أغضبه وأسخطه وأوضع[1] في معاصيه، ثم اتخذ من دونه أولياء، ودعا من دونه ملكاً أو بشراً حياً أو ميتاً يرجو بذلك أنْ ينفعه عند ربه، ويخلِّصه من عذابه: [فقد ظن به ظنَّ السوء][2]. [١٧٢/]

فأكثرُ الخلق، بل كلُّهم ـ إلا من شاء الله ـ يظنون بالله غير الحقِّ وظن السوء؛ فإنَّ غالب بني آدم يعتقد أن مبخوسُ الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ماشاء الله [وأعطاه][3]، ولسانُ حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونفسُه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به.

ومن فتش نفسه، وتغلغل في معرفة طواياها: رأى ذلك فيها كامناً كمون النار في الزِّناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شرارهُ عما في زناده. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنُّتاً[4] على القدر وملامة له، واقتراحاً له[5] خلاف ماجرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقلٌّ ومستكثر. وفتش نفسك: هل أنت سالم[6]

---

(١) أوضع الراكب: إذا أسرع. «غريب الخطابي» (٢/ ٤٩٩).

(٢) ساقطةٌ من الأصل.

(٣) إضافة من (ط).

(٤) «زاد المعاد»: تعتُّباً (ط): تعنتا وتعتبا.

(٥) (ط): واقتراحا عليه.

(٦) (ط): سالم من ذلك.

فإنْ تنجُ منها تنج من ذي عظيمةٍ　　وإلَّا فإني لا إخالُك ناجياً

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليَتُبْ إلى الله ويستغفره في كل وقت، من ظنِّه بربه ظن السوء.

وليظن السَّوءَ بنفسه التي هي مأوى[1] كلِّ سوء، ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم. فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغنيِّ الحميد. الذي له الغنى التامُ، والحمدُ التام، والحكمة التامة، المنزَّهُ عن كل سوء في ذاته وصفاته، وأفعاله وأسمائه. فذاتُه لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كلُّها حكمةٌ ومصلحة، ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.

فلا تَظنُن بربك ظنَّ سوء　　فإنَّ الله أولى بالجميلِ
ولا تظنن بنفسك قَطُّ خيراً　　فكيف بظالم جانٍ جهول
وقل: يانفسُ مأوى كلِّ سوءٍ　　أترجو الخير من ميْت بخيل؟
وظُنّ بنفسك السُّوآى تجدها　　كذاك، وخيرُها كالمستحيل
وما بك من تُقىً فيها وخيرٍ　　فتلك مواهبُ الربِّ الجليل
وليس لها ولا منها، ولكن　　من الرحمن، فاشكر للدليل[2]

[١٧٢/أ] / قوله: ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾ قال ابنُ جرير في (تفسيره): ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ الظانين بالله أنه لن ينصرك وأهلَ الإيمان بك على أعدائك، ولن يُظهر كلمته، فيجعلها العُليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع.

---

(١) (ط): مادة.　　(٢) ابن القيم، «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٣/٢٢٨-٢٣٦).

يقول تعالى ذكر: على المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن: دائرةُ السوء. يعني: دائرةُ العذاب تدور عليهم به.

واختلفت القُرَّاءُ في قراءة ذلك، فقرأته عامةُ قراء الكوفة: ﴿دائِرَةُ السَّوء﴾ بفتح السين. وقرأ بعضُ قراء البصرة ﴿دَائِرَةُ السُّوْءِ﴾ بضم السين. وكان الفرَّاءُ يقول: الفتح أفشى في السين. وقلَّ ماتقول العرب ﴿دَائِرةُ السُّوْءِ ﴾ بضم السين.

قوله: ﴿وَغَضِبَ الله عَلَيْهِم﴾ يقول: ونالهم بغضبٍ منه ﴿ولعنهم﴾. يقول: وأبعدهم، فأقصاهم من رحمته [﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ يقول][1] وأعدَّ لهم جهنم يصلونها يوم القيامة ﴿وساءت مصيراً﴾ يقول: وساءت جهنم منزلاً يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات[2].

وقال العماد ابن كثير: ﴿وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ والمَنَافِقَاتِ والمشركين والمُشْرِكَاتِ الظَّانِين بالله ظَنَّ السَّوء ﴾: أي: يتهمون الله في حُكمه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أنْ يُقتلوا ويذهبوا بالكلية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿عَلَيْهِم دَائِرةُ السوء﴾[3]. وذكر في معنى الآية الأخرى، نحواً مما ذكره ابنُ جرير رحمهما الله تعالى.

قوله: (قال ابن القيِّم رحمه الله تعالى). الذي ذكره المصنفُ في المتن قدَّمتُه؛ لا ندراجه في كلامه الذي سقته من أوَّله إلى آخره.

---

(١) إضافةٌ من (ط) و «التفسير».
(٢) ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٦/ ٧٣).
(٣) ابن كثير في «التفسير» (٧/ ٣١١).



(٥٩)
باب ماجاء في منكري القدر

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في مُنكري القَدَر.

ش: أي: من الوعيد الشديد، ونحو ذلك.

أخرج أبوداود، عن عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «القدريةُ مجوسُ هذه الأمة، إنْ مرِضوا فلا تعودوهم، وإنْ ماتوا فلا تشهدوهم»[(١)].

وعن عمر مولى غُفْرة[(٢)]، عن رجلٍ من الأنصار، عن حُذيفة ـ وهو ابن اليمان ـ رضي الله عنهما، قال: قال / رسول الله ﷺ: «لكل أُمَّة مجوس، ومجوسُ هذه الأمة [١٧٣/ الذين يقولون: لا قَدَر. من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوه، وهم شيعةُ الدجال، وحقٌّ على الله أن يُلحقهم بالدجال»[(٣)].

---

(١) أبو داود في «السنن» رقم (٤٦٩١)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٨٦، ١٢٥) وعبدالله بن أحمد في كتاب «السنة» رقم (٩١٥) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٣٩) والحاكم في «المستدرك» (١/٨٥) والآجري في «الشريعة» (١٩٠) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١١٥٠) قال الذهبيُّ في كتاب «الكبائر» (١١٤): رواته ثقات، لكنه منقطع. وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة: أخرجه ابن ابي عاصم في «السنة» رقم (٣٤٢) والآجرى في «الشريعة» (١٩١)، وشاهد من حديث جابر: أخرجه ابن ماجة في «السنن» رقم (٩٢) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٢٨) والطبراني في «الصغير» رقم (٨٠٠)، وشاهدٌ من حديث أنس: أخرجه الطبراني في الأوسط كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (٧/٢٠٥) وقال: رجاله رجال الصحيح، غير هارون وهو ثقة. وشاهدٌ من حديث سهل بن سعد: أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١١٥١، ١١٥٢).

(٢) أبو حفص، ابن عبدالله المدني، ضعيفٌ، وكان كثيرُ الارسال (ت ١٤٦هـ) «تقريب» (٤١٤).

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٤٦٩٢)، وأحمد في «المسند» (٥/٤٠٦، ٤٠٧) والطيالسي في «المسند» =

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال ابنُ عمر: والذي نفسُ ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثلُ أُحدٍ ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قَبلَه الله منه، حتى يُؤمِنَ بالقدر. ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإيمانُ أنْ تؤمِنَ بالله وملائكته، وكُتبه ورُسله واليوم الآخر، وتُؤمنَ بالقدر خَيْرِه وشرِّه». رواه مسلم.

ش: حديثُ ابن عمر هذا: أخرجه مُسلم، وأبوداود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، عن يحيى بن يَعْمَر، قال: كان أوَّلَ من تكلَّم في القدر بالبصرة معبدٌ الجُهني، فانطلقتُ أنا وحُميد بن عبدالرحمن الحِميري حاجَّين، أو مُعتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر؟ فوَفَّق الله لنا عبدَالله بن عمر داخلاً المسجد، فاكتنَفْتُه أنا وصاحبي، فظننتُ أنَّ صاحبي سيكِل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبدالرحمن، إنه قد ظهر قِبلنا أناسٌ يقرؤون القرآن، ويتقفَّرون[1] العلم، يزعمون أنْ لا قَدَر والأمر أُنف[2]. فقال: فإذا لقيتَ أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم بُرآء مني، والذي يحلفُ به عبدالله بن عمر، لو أنَّ لأحدهم مثلَ أُحد ذهباً فأنفقه ما قبله الله منه، حتى يُؤمن بالقدر.

ثم قال: حدَّثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يُرى عليه

= رقم (٤٣٤) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٢٩) والالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١١٥٥). وهو حديث حسن.

(١) يتقفرون العلم: يتطلبونه، ويتبعون أثره. ابن الأثير «النهاية» (٤/ ٩٠).

(٢) الأمرُ أُنُفٌ: أي مُستانف، لم يسبق به قدر. «غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٣٩٤).

أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند رُكبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفَّيه على فخذيه. وقال: يامحمد، أخبرني عن الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «الإسلامُ أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إنْ استطعت إليه سبيلاً» قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويُصدِّقُه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقدر خيره وشره» قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسؤولُ عنها بأعلم من السائل»/ [١٧٤/أ] قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «أن تَلد الأمَةُ رَبَّتها، وأنْ ترى الحُفاة العُراة العالة رعاءَ الشاء يتطاولون في البُنيان». قال: فانطلق. فلبثتُ ثلاثاً ـ وفي رواية مسلم: مليًّا ـ ثم قال: «يا عمر، أتدري من السائل؟». قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريلُ أتاكم يُعلِّمُك دينَكم»[1].

ففي هذا الحديث: أنَّ الإيمان بالقدر، من أصول الإيمان الستة المذكورة. فمن لم يُؤمن بالقدر خيره وشره، فقد ترك أصلاً من أصول الدين وجحده، فيُشبه من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾. [البقرة: ٨٥].

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عُبادة بن الصامت، أنه قال لابنه: يابُني، إنك لن تجد طَعْمَ الإيمان، حتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن لِيُخْطِئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) مسلم في «الصحيح» رقم (٨) وأبوداود في «السنن» رقم (٤٦٩٥) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٦١٣) والنسائي في «المجتبى» (٨/٩٧) وابن ماجة في «السنن» رقم (٦٣)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/٥١) وابن مَنْده في كتاب «الايمان» برقم (٥، ٦، ٧، ٨، ١٠).

«إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: ربِّ وماذا أكتبُ؟ قال: اكتبْ مقادير كلِّ شيء حتى تقوم الساعة». يابُنيَّ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني».

وفي رواية لأحمد: «إنَّ أوَّل ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة».

وفي رواية لابن وهب، قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يُؤمن بالقدر خَيرِه وشره: أحرقه الله بالنار»[١].

ش: قوله: (وعن عبادة)، قد تقدَّم ذكرُه في باب فضل التَّوحيد. وحديثُه هذا، رواه أبوداود[٢].

ورواه الإمـامُ أحمد بكماله، قال: حدَّثنا الحسن بن سوار، حدثنا ليث، عن معاوية، عن أيوب بن زياد، حدثني عُبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي، قال: دخلتُ على عُبادة وهو مريضٌ أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني. قال: يابني إنَّك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله، حتى تُؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: ياأبتاه وكيف أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يابني إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة». يابني، إن مت ولست على ذلك دخلت النار.

---

(١) أخـرج هذه الرواية ابن وهب في «القدر» رقم (٢٦) وابنُ أبي عاصم في كتاب «السنة» رقم (١١١) والآجري في «الشريعة» (١٨٦).

(٢) أبو داود في «السنن» رقم (٤٧٠٠).

وروى الترمذي، بسنده المتصل إلى عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه، وقال: حسنٌ صحيح غريب[1].

وفي هذا الحديث ونحوه: بيانُ شمول علم الله تعالى، وإحاطته بما كان ومايكون في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿الله الذي خَلَق سَبْعَ سَمواتٍ وَمِنَ الأرْض مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأمْرُ بَيْنَهُن لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله على كُلِّ شيء قَدِيرٌ وأَنَّ الله قَدْ أَحَاط بِكُلِّ شيء عِلْماً﴾. [الطلاق: ١٢].

وقد قال الإمامُ أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ لما سُئل عن القدر؛ قال: القدرُ قدرة الرحمن[2]. واستحسن هذا ابنُ عقيل، من أحمد رحمه الله تعالى[3].

والمعنى: أنه لا يمتنع[4] عن قُدرة الله شيءٌ. ونفاةُ القدر قد جحدوا كمال قُدرةِ الله تعالى، فضلُّوا عن سواء السبيل.

---

(١) أحمد في «المسند» (٥/٣١٧) والترمذي في الجامع رقم (٢١٥٦، ٣٣١٦)، وأخرجه الطيالسي في «المسند» رقم (٥٧٧) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/١١٤) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦/٩٢) وابن جرير في «التفسير» ٢٩/١٦ وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧) والآجري في «الشريعة» (١٧٧، ١٨٧)، واللالكائي في «شرح اصول الاعتقاد» رقم (٣٥٧، ١٠٩٧، ١٢٣٣)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٩٨): رواه الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» وفي أحدهما: عثمان بن أبي العاتكة، وهو ضعيف. وقد وثّقه دُحيّم وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم كلام. وله شاهد من حديث ابن عباس: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة رقم (١٠٨) وأبو يعلى في «المسند» رقم (٢٣٢٩) والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٧) وعبدالله بن أحمد في كتاب «السنة» رقم (٨٥٤) وابن جرير الطبري في التفسير (٢٩/١٦) والطبراني في «الكبير» (١٢/٦٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/١٨١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٩٠) رواه البزار ورجاله ثقات، ورواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه ابن هانيء في «المسائل» رقم (١٨٦٨).

(٣) نقله ابن القيم في «طريق الهجرتين» (١١٤).

(٤) (ط): يمنع.

[١٧٤/ب] وقد قال بعض السلف: ناظروهم/ بالعلم، فإنْ أقرّوا به خُصموا، وإن جحدوه كفروا[١].

[٢]قال شيخُ الإسلام رحمه الله تعالى: والناسُ في باب خلْق الربِّ وأمره، ولِمَ فعل ذلك، على طرفين ووسط:

فالقدريةُ من المعتزلة وغيرهم قصدوا تعظيم الرب تعالى؛ بتنزيهه عما ظنوه قُبحاً من الأفعال وظلما. فأنكروا عموم قُدرته ومشيئته، ولم يجعلوه خالقاً لشيء، ولا أنَّه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن. بل قالوا: يشاء ما لايكون، ويكون ما لا يشأ. ثم إنَّهم وضعوا لربهم شريعةً فيما يجب عليه ويحرم بالقياس على أنفسهم، وتكلَّموا في التقدير والتجويز بهذا القياس الفاسد الذي شبَّهوا فيه الخالق بالمخلوق، فضلُّوا وأضلّوا[٢]!!.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي (المسند)، و (السنن)، عن ابن الديلمي، قال: أتيتُ أُبَيَّ بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يُذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. ولو مُت على غير هذا لكنت من أهل النار، قال: فأتيت عبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ. حديثٌ صحيح، رواه الحاكم في (صحيحه)[٣].

---

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٥) عن عمر بن عبدالعزيز.

(٢) مابينها ساقطٌ من (ض) و (هـ) و (ط) ومعلّقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٣) أحمد في «المسند» (٥/١٨٢، ١٨٥، ١٨٩)، وأبوداود في «السنن» رقم (٤٦٩٩) وابن ماجة في «السنن» رقم (٧٧) ولم أقف عليه في «المستدرك»، وأخرجه عبدالله بن أحمد في كتاب «السنة» رقم (٨٤٣، ٨٤٤) =

ش: قولـه: (وفي المسند، وسنن أبي داود، عن ابن الديلمي) وهو أبو بُسر، بالسين الـمُهملة، وبالباء المضمومة. ويقال: أبوبشر، بالشين المعجمة وكسر الباء، وبعضُهم صحح الأول. واسمه عبدالله بن فيروز.[1]

ولفظُ أبي داود ،قال: لو أنَّ الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم. ولو رحمهم، لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم. ولو أنفقت مثل أُحدٍ ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. ولو مُتَّ على غير هذا، لكنت من أهل النار. قال: فأتيتُ عبـدالله بن مسعود، فقال مثل ذلك. قال: ثم أتيت حُذيفة بن اليمان، فقال مثل ذلك. قال: ثم أتيتُ زيد بن ثابت، قال: فحدَّثني عن النبي ﷺ مثل ذلك. وأخرجه ابنُ ماجة.

وقال العِمادُ ابن كثير: عن سُفيان، عن منصور، عن ربعي بن خِراش، عن رجل، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسولُ الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره». وكذا رواه الترمذيُّ، عن النضْر بن شُميل، عن شُعبة، عن منصور، به. ورواه من حديث أبي داود الطيالسي، عن شُعبة،

= وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٤٥) والطبراني في «الكبير» رقم (٤٩٤٠) وابن حبان في «الصحيح» (٢/٥٥) والآجري في «الشريعة» (١٨٧) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١٠٩٣، ١٢٣٢) من حديث أبي بن كعب، وزيد بن ثابت. وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٠٥٦٤) من حديث عمران بن حصين، وابن مسعود، وأبي بن كعب. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٩٨/٧) رواه الطبراني باسنادين، ورجال هذه الطريق ثقات.

(١) ثقة، من كبار التابعين ومنهم من ذكره في الصحابة. «تقريب» (٣١٧).

عن ربعي، عن علي، فذكره[١].

وقد ثبت في (صحيح مسلم)، من رواية عبدالله بن وهب، وغيره، عن أبي هانيء الخولاني، عن أبي عبدالرحمن الحُبُلي، عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ـ زاد ابنُ وهب ـ وكان عرشه على الماء»[٢] ورواه الترمذيُّ، وقال: حديثٌ حسن غريب.[٣][٤].

وكلُّ هذه الأحاديث، ومافي معناها: فيها الوعيدُ[٥] الشديد على عدم الإيمان بالقدر، وهي الحجةُ على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم، ومن مذهبهم: تخليدُ أهلِ المعاصي في النار. وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر، وأعظمِ المعاصي.

وفي الحقيقة: إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسُّنة من إثبات القدر، فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إنْ لم يتوبوا. وهذا لازمٌ لهم على مذهبهم هذا، / وقد خالفوا ما تواترت به أدلةُ الكتاب والسُّنة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهلِ الكبائر من الموحِّدين في النار. [١١/أ]

---

(١) الترمذي في «الجامع» رقم (٢١٤٦) وقال: حديثُ أبي داود، عن شُعبة عندي أصح من حديث النضر، وأخرجه ابن ماجه في «السنن» رقم (٨١) وأحمد في «المسند» (١/٩٧، ١٣٣) والطيالسي في «السنن» رقم (١٠٦) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٣٠) وابن حبان في «الصحيح» (١/٢٠٢) والحاكم في «المستدرك» (١/٣٢) وصححه ووافقه الذهبي، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١١٠٤، ١١٠٥).

(٢) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٥٣)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/١٦٩).

(٣) الترمذي في «الجامع» رقم (٢١٥٧).

(٤) ابن كثير في «التفسير» (٧/٤٦٠).

(٥) الأصل و (ض): ومافي معناها، ومافيها من الوعيد.

(٦٠)
باب ماجاء في المصورين

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في المصوِّرين.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ومَن أظلمُ ممن ذهب يخلقُ كخلقي، فليخلقوا ذرَّة أو ليخلقوا حبةً، أو ليخلقوا شَعيرة». أخرجاه[١].

ولهما، عن عائشة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يُضاهئون بخلق الله»[٢].

ولهما، عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصوِّر في النار، يُجعل له بكل صورةٍ صوَّرها نفسٌ يعذب بها في جهنم»[٣].

ولهما، عنه مرفوعاً «من صوَّر صورةً في الدنيا كُلِّف أنْ ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»[٤].

ش: قوله: (بابُ ماجاء في المصوِّرين).

أي: من عظيم عقوبةِ الله لهم، وعذابه. وقد ذكر النبيُّ ﷺ العلَّة: وهي

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٥٩٥٣، ٧٥٥٩) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢١١١)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٩١).

(٢) البخاري في «الصحيح» رقم (٥٩٥٤) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢١٠٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٦، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ١٩٩، ٢١٩).

(٣) البخاري في «الصحيح» رقم (٢٢٢٥، ٥٩٦٣، ٧٠٤٢) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢١١٠)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٨).

(٤) البخاري في «الصحيح» رقم (٥٩٦٣) ومسلم في «الصحيح» رقم (٢١١٠)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢١٦، ٢٤١، ٢٤٦، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٦٠).

المضاهاة بخلق الله؛ لأنَّ الله تعالى له الخلق والأمر. فهو ربُّ كلِّ شيء ومليكُه، وهو خالقُ كل شيء، وهو الذي صوَّر جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة، كما قال تعالى: ﴿الذي أَحْسَنَ كُلَّ شيء خَلَقه وبدأ خلق الإنسان من طين• ثمَّ جَعل نسْلَهُ من سُلالَةٍ من ماءٍ مهين • ثُمَّ سوَّاهُ ونفخ فيه من رُوحه وجعل لكم السَّمْعَ والأبْصار والأفئدةَ قليلاً ما تَشْكُرُون﴾. [السجدة: ٧ ـ ٩].

فالمصوِّرُ لـمَّا صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان أو بهيمة، صار مضاهياً لخلق الله. فصار ما صوَّره عذاباً له يوم القيامة، وكُلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ. فكان أشد الناس عذاباً؛ لأن ذنبه من أكبر الذنوب.

فإذا كان هذا فيمن صوَّر صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان، فكيف بحال من سوَّى المخلوق برب العالمين وشبهه بخلقه، وصرف له شيئاً من العبادة التي خلق الله الخلق[1] ليعبدوه وحده بها لا يستحقه غيره، من كلِّ عمل يُحبه الله من العبد ويرضاه؟.

فتسويةُ المخلوق بالخالق، بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه، وجعله شريكاً له فيما اختص به تعالى وتقدس: هو أعظمُ ذنب عُصي الله تعالى به؛ ولهذا أرسل رسله، وأنزل كتبه؛ لبيان هذا الشرك والنهي عنه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى. فنجَّى تعالى رسله ومن أطاعهم، وأهلك من جحد التوحيد، واستمر على الشرك والتنديد. فما أعظمه من ذنب: ﴿إنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشرك بِهِ ويَغْفِرُ ما دُون ذلك لِمَنْ يَشاءُ﴾. [النساء: ٤٨، ١١٦]، ﴿وَمَنْ يُشرِكْ بالله فَكَأَنَّما خَرَّ مِن السماء فتخطفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ في مكانٍ سَحِيقٍ﴾. [الحج: ٣١].

---

(١) (ط): ماخلق الله الخلق الا.

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم، عن أبي الهَيَّاج، قال: قال لي عليٌّ: ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «أنْ لا تَدَعَ صورةً إلا طمَستها، ولا قَبْراً مُشرِفاً إلَّا سوَّيته»[1].

ش: قوله: (ولمسلم، عن أبي الهياج). الأسديُّ، حيَّان بن حُصين.

(قال: قال لي علي). هو أميرُ المؤمنين، علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قولـه: ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «أنْ لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مُشرْفاً إلا سويته».

فيه: التصريحُ[2] بأنَّ النبي ﷺ بعث علياً لذلك. أمَّا الصور: فلمضاهاتها لخلق الله. وأمَّا / تسويةُ القبور: فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو [١٧٥/ب] من ذرائـع الشرك ووسائله. فصرفُ الهمم إلى هذا وأمثاله، من مصالح الدين ومقاصده وواجباته.

ولـمَّا وقع التساهلُ في هذه الأمور وقع المحذور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطاً لرحال العابدين المعظِّمين لها. فصرفوا لها جُلَّ العبادة: من الدعاء والاستعانة والاستغاثة، والتضرع لها، والذبح لها، والنذور، وغير ذلك من كلِّ شركٍ محرَّم[3] محظور.

قال العلَّامة ابن القيِّم ـ رحمه الله تعالى ـ: ومن جمع بين سُنَّة رسول الله ﷺ في

---

(١) مسلم في «الصحيح» رقم (٩٦٩)، وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٣٢١٨) والترمذي في «الجامع» رقم (١٠٤٩) والنسائي في «المجتبى» (٤/٨٨) وعبدالرزاق في «المصنف» (٣/٥٠٤) وأحمد في «المسند» (١/٩٦، ١٤٥).

(٢) (هـ)(ط): تصريح.

(٣) (هـ)(ط): محرم. ساقطة.

القبور، وما أمر به وما نهى عنه وما كان عليه أصحابهُ، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم. رأى أحدَهما مضاداً للآخر، مناقضاً له، بحيث لا يجتمعان أبداً.

فنهى رسولُ الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يُصلُّون عندها وإليها.

ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمُّونها مشاهد؛ مضاهاة لبيوت الله.

ونهى عن إيقاد السُّرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها.

ونهى أن تُتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر.

وأمر بتسويتها؛ كما روى مُسلمٌ في (صحيحه)، عن أبي الهيَّاج الأسدي. ـ فذكر حديثَ الباب ـ، وحديثَ ثُمامة بن شُفَي، وهو عند مسلم أيضاً، قال: كُنَّا مع فَضالة بن عُبيد بأرض الروم برُودس[١]، فتُوُفي صاحبٌ لنا. فأمر فَضالةُ بقبره فسُوّي، ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها[٢].

وهؤلاء يُبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها من الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب.

ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه؛ كما روى مسلم في (صحيحه)، عن جابر، قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأنْ يُقعد عليه، وأنْ يُبنى عليه[٣].

---

(١) رُودس. جزيرةٌ في البحر الأبيض المتوسط، لا زالت تحمل هذا الإسم إلى اليوم، وغالب أهلها من النصارى

(٢) مسلم في «الصحيح» رقم (٩٦٨).

(٣) مسلم في «الصحيح» رقم (٩٧٠).

ونهى عن الكتابة عليها؛ كما روى أبوداود في (سُننه)، عن جابر: أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبور، وأنْ يُكتب عليها. قال الترمذيُّ: حديثٌ حسن صحيح[1]. وهؤلاء يتَّخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره!.

ونهى أنْ يُزاد/ عليها غيرُ ترابها؛ كما روى أبوداود، عن جابر أيضاً: نهى أنْ يُجصص القبر، أو يُكتب عليه، أو يُزاد عليه.[2] وهؤلاء يزيدون عليه الأجُرَّ والأحجار والجَص. قال إبراهيمُ النَّخَعي: كانوا يكرهون الأجُر على قبورهم. [١٧٦/أ]

والمقصود: أنَّ هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينَها أعياداً، الموقدين عليها السُّرج، الذين يبنون عليها المساجدَ والقباب: مناقضون لما أمر به رسولُ الله ﷺ، محادُّون لما جاء به. وأعظمُ ذلك اتخاذُها مساجد، وإيقادُ السرج عليها. وهو من الكبائر، وقد صرَّح الفقهاءُ من أصحاب أحمد وغيرهم، بتحريمه.

قال أبومحمد المقدسي: ولو أُبيح اتخاذُ السرج عليها لم يُلعن من فعله. ولأن فيه إفراطاً[3] في تعظيم القبور، أشبه تعظيمَ الأصنام.

قال: ولا يجوز اتخاذُ المساجد على القبور؛ لهذا الخبر، ولأن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذِّرُ ما صنعوا» متفق عليه[4].

---

(١) أبو داود في «السنن» رقم (٣٢٢٦) والترمذي في «الجامع» رقم (١٠٥٢)، وأخرجه النسائي في «المجتبى» (٨٦/٤) وأحمد في «المسند» (٣٣٩/٣) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٥/٣) والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠/١) وصححه ووافقه الذهبي، وعنه البيهقي في «السنن» (٤/٤) قال النووي في «المجموع شرح المهذب» (٢٤٨/٥) إسنادهُ صحيح.

(٢) أبو داود في «السنن» رقم (٣٢٢٦)، وأخرجه النسائي في «المجتبى» (٨٦/٤).

(٣) (ط): باضافة مانصه: ولأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة وإفراطاً.

(٤) مضى تخريجه.

ولأنَّ تخصيص القبور يُشبه[١] تعظيمَ الأصنام بالسجود لها، والتقرب إليها. وقد رُوِّينا أنَّ ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها، والصلاةِ عندها[٢]. انتهى.

وقد آل الأمرُ بهؤلاء الضُّلال المشركين إلى أنْ شرعوا للقبور حجَّاً، ووضعوا لها مناسك، حتى صنَّف بعضُ غلاتهم في ذلك كتاباً وسمَّاه: (مناسك حج المشاهد)[٣]، مضاهاةً منه بالقبور للبيت الحرام.

ولا يخفى أنَّ هذا مفارقةٌ لدين الإسلام، ودخولٌ في دين عُبَّاد الأصنام. فانظروا إلى هذا التباين العظيم: بين ما شرعه رسولُ الله ﷺ وقصدَه من النهي عمَّا تقدم ذكرُه في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه.

ولا ريب أنَّ في ذلك من المفاسد ما يُعجَز عن حصره:

فمنها: تعظيمُها[٤] الموقع في الافتتان بها. ومنها: اتخاذُها أعياداً. ومنها: السفرُ إليها.

ومنها: مُشابهةُ عِبادةِ[٥] الأصنام، بما يفعل عندها: من العُكوف عليها والمجاورة عندها[٦]، وتعليقِ الستور عليها، وسدانتها. وعُبَّادُها يرجِّحون المجاورةَ عندها[٦] على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتهَا أفضل من خدمة المساجد،

---

(١) (ط): ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه.

(٢) مضى تخريجه.

(٣) علق في هامش (ض) ما نصه: هو ابن المعيث (كذا) الرافضي. اهـ. والصواب: ابن النعمان الـمُفيد، وهو محمد بن محمد بن النعمان بن عبدالسلام العكبري، أبو عبدالله، ويُعرف بابن المعلم الرافضي، من شيوخهم وكهنتهم المخذولين ورئيسهم وأستاذهم هلك عام ٤١٣هـ «شذرات الذهب» (١٩٩/٣).

(٤) (ط): تعظيم.

(٥) (ض)(هـ)(ط): عباد.

(٦) مابينهما معلّق في هامش الأصل، وعليه كلمةُ صح.

والويلُ لقيِّمها ليلةَ يطفأ القنديلُ المعلَّق عليها!.

ومنها: النذرُ لها، ولسدنتها.

ومنهـا: اعتقـادُ المشركـين / بها أنَّ بها يُكشف البلاء وينصر على الأعداء، [١٧٦/ب]
ويستنزل غيثُ السماء، وتفرج الكروب، وتُقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف إلى غير ذلك.

ومنهـا: الدخول في لعنة الله ورسوله، باتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السُّرج عليها. ومنها: الشركُ الأكبر، الذي يُفعل عندها.

ومنها: إيذاءُ أصحابها، بما يفعله المشركون بقبورهم. فإنهم يُؤذيهم ما يُفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهية، كما أنَّ المسيح عليه السلام يكره ما يفعل النصارى عند قبره[١].

وكذلك غيرَه من الأنبياء والأولياء والمشايخ، يؤذيهم مايفعله أشباه النصارى عند قبورهم. ويوم القيامة يتبرؤون منهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَومَ يَحْشرُهُم وما يَعْبُدُون مِن دُونِ الله فَيَقُـولُ: أَأَنْتم أَضْلَلْتُم عِبَـادي هؤلاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السبيل • قَالُوا سُبْحانَك ما كان ينبغي لنا أَنْ نَتَّخِذَ من دُونك مِن أَوْلِيَاء وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُم وآباءهُم حتى نسوا الذِّكْر وكانُوا قَوْماً بُوراً﴾ [الفرقان: ١٧ ـ ١٨].

قال الله للمشركين: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بما تَقُولُون﴾ [الفرقان: ١٩]. وقال تعالى: ﴿وإذْ قال الله يا عيسى ابنَ مَرْيم أأنت قُلْتَ لِلناس اتخذوني وأُمِّي إلهين مِن دُونِ الله قال سُبحانك ما يكون لي أَنْ أَقُولَ ما لَيْس لي بحق إنْ كنت قُلتُه فقد علمتَه تعلم مافي

---

(١) هو القبرُ المزعوم في فلسطين، وانظر: ماقالوه في أناجيلهم عن صلبه ودفنه، وتناقضاتهم في ذلك، «الفصل في الملل والاهواء والنحل» (١٢٧/٢). قال الله تعالى: ﴿وماقتلوه وماصلبوه ولكن شُبه لهم وإنَّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلَّا اتباع الظنّ وماقتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

نفسي ولا أعلم مافي نفسك﴾. الآية [المائدة: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون • قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾. [سبأ: ٤٠ - ٤١].

ومنها: إماتةُ السُّنن، وإحياءُ البدع. ومنها: تفضيلُها على خير البقاع وأحبها إلى الله؛ فإنَّ عُبَّاد القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام، والخشوع ورقة القلب والعكوفِ بالهمَّة على الموتى، ما لا يفعلونه في المساجد، ولا[1] قريباً منه.

ومنها: أنَّ الذي شرعه الرسولُ ﷺ، [عند زيارة القبور][2]: إنَّما هو تذكُّرُ الآخرة، والإحسانُ إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه، والاستغفار له وسؤالِ العافية، فيكون الزائرُ محسناً إلى نفسه، وإلى الميت.

فقَلَب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين. وجعلوا المقصود بالزيارة الشركَ بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤالَه حوائجهم، واستنزالَ البركة منه/ [١٧١/أ] ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك. فصاروا مسيئين إلى أنفسهم، وإلى الميت.

وكان رسولُ الله ﷺ قد نهى الرجالَ عن زيارة القبور؛ سدّاً للذريعة. فلما تمكَّن التوحيدُ في قلوبهم أذِن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه، ونهاهم أنْ يقولوا هُجراً. ومن أعظم الهُجر: الشركُ عندها، قولاً وفعلاً.

وفي (صحيح مسلم)، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «زوروا القبورَ، فإنها تذكر الموت»[3].

---

(١) (ط): ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا.

(٢) اضافة من (ط) «والاغاثة».

(٣) قطعةٌ من حديث، عند مسلم في «الصحيح» رقم (٩٧٦)، وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٣٢٣٤) والنسائي في «المجتبى» (٤/ ٩٠) وابن ماجة في «السنن» رقم (١٥٧١) وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٤١)، وأخرجه من حديث بُريدة: الترمذي في «الجامع» رقم (١٠٥٤).

وعن ابن عباس، قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه، فقال: «السلامُ عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر» رواه أحمد، والترمذي وحسنه[١].

فهذه الزيارةُ التي شرعها رسول الله ﷺ لأمته، وعلَّمهم إياها. هل تجد فيها شيئاً مما اعتمده[٢] أهلُ الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادَّةً لما هم عليه من كل وجه؟!. وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله: لن يُصلح آخر هذه الأمة إلَّا ما أصلح أوَّلَهَا. ولكن كُلَّما ضعف تمسكُ الأمم بعهود أنبيائهم، ونقصَ إيمانُهُم: عوَّضوا عن ذلك، بما أحدثوه من البدع والشرك.

ولقد جرَّد السلفُ الصالح التوحيد وحموا جانبه، حتى كان أحدُهم إذا سلَّم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر، ثم دعا.

ونصَّ على ذلك الأئمةُ الأربعة: أنَّه يستقبل القبلة وقت الدعاء، حتى لا يدعو عند القبر؛ فإنَّ الدعاء عبادة. وفي الترمذي، وغيره مرفوعا «الدعاء هو العبادة»[٣] فجرَّد السلفُ العبادة لله، ولم يفعلوا عند القبور منها إلَّا ما أذِن فيه رسولُ الله ﷺ: من الدعاء لأصحابها، والاستغفار لهم، والترحمِ عليهم[٤].

وأخرج أبوداود، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم

---

(١) أحمد في «المسند» (٦/١١١، ١٨٠، ٢٢١) والترمذي في «الجامع» رقم (١٠٥٣) واللفظ له، وأخرجه مسلم في «الصحيح» (٩٧٤، ٩٧٥) والطبراني في «الكبير» الرقم (١٢٦١٣) من حديث ابن عباس، وعائشة، وبريدة.

(٢) (ض)(هـ)(ط): يعتمده.

(٣) مضى تخريجه.

(٤) ابن القيم في «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (١/ ٢١٤ ـ ٢٢٠).

قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[١] وإسنادُه جيد، رواته ثقات مشاهير.

وقوله: «ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً» أي: لا تعطِّلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور.

فأمر بتحري النافلة في البيوت، ونهى عن تحرِّي العبادة[٢] عند القبور. وهذا ضدُّ ما عليه المشركون، من / النصارى وأشباههم. [١٧٧/ب]

ثم إنَّ في تعظيم القبور واتخاذها أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلَّا الله، ما يغضبُ لأجله كلُّ من في قلبه وقارٌ لله وغيرةٌ على التوحيد، وتهجينٌ وتقبيح للشرك؛ ولكن: ما لجُرحٍ بميِّتٍ إيلامُ[٣].

فمن مفاسد[٤] اتخاذِها أعياداً: الصلاةُ[٥] إليها والطواف بها، وتقبيلها واستلامها، وتعفيرُ الخدود على تُرابها، وعبادة أصحابها والاستغاثةُ بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون، وتفريج الكُربات، وإغاثة اللهفات، وغيرُ ذلك من أنواع الطلبات، التي كان عبَّادُ الأوثان يسألونها أوثانَهم.

فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً، وقد نزلوا عن الأكوار والدوابِّ إذا رأوها من

---

(٥) أبو داود في «السنن» رقم (٢٠٤٢) وقد مضى تخريجه.

(١) (هـ)(ط): النافلة.

(٢) شطرُ بيتٍ من قصيدة طويلة لأبي الطيب المتنبي، أوله:

مـن يهـن يسهـل الهـوان عليـه

ومنها:

ذلَّ من يغبطُ الذليل بعيش   رب عيش أخفُّ منه الحِمامُ

إنَّ بعضاً من القريض هُذاءٌ. ليس شيئاً وبعضُه أحكام. «الديوان» بشرح العكبري (٤/ ٩٢).

(٣) (هـ)(ط): المفاسد.

(٤) (هـ)(ط): والصلاة.

كل مكان بعيد. فوضعوا لها الجباه، وقبَّلوا الأرض وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتُهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج! ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج. فاستغاثوا بمن لا يُبديء ولا يُعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد.

حتى إذا دنوا منها صلَّوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين. فتراهم حول القبر ركعاً وسجداً، يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملؤوا أكفَّهم خيبةً وخسراناً!.

فلغير الله ـ بل للشيطان ـ ما يُراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويُسأل من تفريج الكربات، وإغناء[1] ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليات.

ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين. ثم أخذوا في التقبيل والاستلام؛ أرأيت الحجر الأسود وما يَفعل به وفدُ البيت الحرام؟! ثم عفَّروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنها لم تُعفر كذلك بين يديه في السجود.

ثم كمّلوا مناسك حجِّ القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق.

وقد يُعطى[2] لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقرباتُهم لغير الله رب العالمين. فلو رأيتهم يهنيء بعضُهم بعضاً، ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجراً وافراً وحظاً!.

فإذا رجعوا، سألهم غلاةُ/ المتخلِّفين: أنْ يبيع أحدُهم ثواب حجة القبر، [١٧٨

(١) (هـ)(ط): واغاثة اللهفان، وإغناء.

(٢) (ط): قربوا.

بحج[1] المتخلِّف إلى البيت الحرام. فيقول: لا، ولا بحجك كلِّ عام!!.

هذا، ولم نتجاوز فيما حكينا[2] عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم؛ إذ هي فوق مايخطر بالبال، أو يدور في الخيال. وهذا مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح؛ كما تقدم.

وكلُّ من شمَّ أدنى رائحةٍ من العلم والفقه، يعلم أنَّ أهمَّ[3] الأمور: سدُّ الذريعة إلى هذا المحظور، وأنَّ صاحب الشرع أعلمُ بعاقبة ما نهى عنه وما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه وتوعُّدِه عليه، وأنَّ الخير والـهُدى في اتباعه وطاعته والشرَّ والضلال في معصيته ومخالفته، انتهى كلامُه رحمه الله[4].

---

(١) (ط): بحجة.

(٢) (هـ)(ط): حكيناه.

(٣) (ض)(هـ)(ط): من أهم.

(٤) ابن القيم في «اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (١/ ٢١٠-٢١٣).

(٦١)
باب ماجاء في كثرة الحلف

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في كثرة الحلف.

ش: أي: من النهي عنه، والوعيد.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى: ﴿واحفظُوا أيمانَكُم﴾ [المائدة: ٨٩].

ش: قال ابنُ جرير: لا تتركوها بغير تكفير[١]. وذكر غيرُه من المفسِّرين، عن ابن عباس: يُريد لا تحلفوا. وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحِنْث[٢]، فلا تحنثوا[٣].

والمصنِّفُ، أراد من الآية: المعنى الذي ذكره ابن عباس؛ فإنَّ القولين متلازمان. فيلزم من كثرة الحلف كثرةُ الحِنث، مع مايدل عليه من الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما يُنافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن أبي هريرة: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الحلِفُ منْفَقةٌ للسِّلعة، ممحقةٌ للكسب» أخرجاه.

ش: أي: البخاري، ومسلم. وأخرجه أبوداود، والنسائي[٤].

والمعنى: أنَّه إذا حلف على سلعته أنه أُعطي فيها كذا وكذا أو أنه اشتراها بكذا

(١) ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٠/٥٦٢).
(٢) الحنث: الإثم، والخُلْفُ في اليمين. «القاموس المحيط» (١/٧٢٢).
(٣) ذكره البغوي في «التفسير» (٢/٦٢).
(٤) البخاري في «الصحيح» رقم (٢٠٨٧) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٦٠٦) وأبو داود في «السنن» رقم =

وكذا، وقد يظنه المشتري صادقاً فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كذَّاب، وحلف طمعاً في الزيادة، فيكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة.

فإذا ذهبت بركةُ كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه، وربما ذهب ثمنُ تلك السلعة رأساً. وما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، وإنْ تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلالٌ وذهابٌ وعقاب.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن سلمان، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا يكلِّمهم الله ولا يزكِّيهم ولهم عذابٌ أليم/: أُشيْمِطٌ زانٍ، وعائلٌ مستكبرٌ، ورجلٌ جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبرانيُّ بسند صحيح[1].

[١/ب]

ش: وسلمان: لعلَّه سلمان الفارسي[2]، أبو عبدالله. أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة وشهد الخندق، روى عنه: أبو عثمان النَّهديُّ، وشرحبيل بن السمط، وغيرهما. قال النبي ﷺ: «سلمانُ منا أهل البيت»[3]، «إنَّ الله يحب من أصحابي

= (٣٣٣٥) والنسائي في «المجتبى» (٧/٢٤٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٢٣٥، ٢٤٢، ٤١٣) بلفظ مفسر «اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب».

(١) الطبراني في «الكبير» رقم (٦١١١) «والصغير» رقم (٨٢١) «والأوسط» كما في «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/٥٨٧) وقال: ورواته محتجٌّ بهم في الصحيح.

(٢) صرَّح به الطبرانيُّ في «معاجمه» الثلاثة، دون تردد.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/٨٢، ٧/٣١٨)، وابن جرير الطبري في «التفسير» (٢١/١٣٣)، والطبراني في «الكبير» (٦٠٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣/٥٩٨) وقال الذهبي: سنده ضعيف. وأبو نعيم في «اخبار إصبهان» (١/٥٤) من حديث عمرو بن عوف المزني. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» =

أربعة: عليٌّ، وأبوذر، وسلمانُ، والمقداد». أخرجه الترمذيُّ، وابنُ ماجة[1].

قال الحسن: كان سلمانُ أميراً على ثلاثين ألفاً، يخطب بهم في عباءةٍ يفترشُ نصفَها ويلبس نصفها[2]. تُوفي في خلافة عثمان، قال أبو عُبيد: سنة ستٍ وثلاثين. عن ثلاثمائة وخمسين سنة[3]، ويُحتمل: أنَّه سلمان بن عامر بن أوس الضبِّي.

قوله: «ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم الله» نَفْيُ كلام الرب تعالى وتقدس عن هؤلاء العصاة، دليلٌ على أنه يكلِّم من أطاعه، وأنَّ الكلام صفةٌ من صفات كماله. والأدلةُ على ذلك من الكتاب والسُّنة أظهرُ شيءٍ وأبينه، وهو[4] الذي عليه أهلُ السُّنة والجماعة من المحققين: قيامُ الأفعال بالله سبحانه، وأنَّ الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئاً فشيئاً، ولم يزل متصفاً به.

فهو حادثُ الآحاد، قديمُ النوع؛ كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث،

= (٦/١٣٠): وفيه كثير بن عبدالله المزني، وقد ضعفه الجمهور، وحسن الترمذي حديثه وبقية رجاله ثقات، وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٦٠٤١) وأبو نُعيم في «الحلية» (١/١٨٧) عن علي موقوفاً.

(١) الترمذي في «الجامع» رقم (٣٧٢٠) وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجة في «السنن» رقم (١٤٩)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/٣٥١، ٣٥٦) وفي «فضائل الصحابة» رقم (١١٠٣، ١١٧٦، ١١٨١) والحاكم في «المستدرك» (٣/١٣٠) وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٧٢) من حديث بُريده، وفيه شريك بن عبدالله النخعي، القاضي، صدوقٌ يخطي كثيراً «تقريب» (٢٦٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/٨٧) وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٩٧).

(٣) قال الذهبيُّ في «سير النبلاء» (١/٥٥٥) وقد فتَّشتُ، فما ظفرت في سنِّه بشيء سوى قول البحراني، وذلك منقطع لا إسناد له. ومجموعُ أمره وغزوه وهمَّته وتصرفه وسفِّه للجريد، وأشياء مما تقدم، يُنبىء بأنه ليس بمعمَّر ولا هرم؛ فقد فارق وطنه وهو حدث، ولعله قدم الحجاز وله أربعون سنة أو أقل، فلعله عاش بضعاً وسبعين سنة. وما أراه بلغ المئة.

(٤) (ض)(هـ)(ط): وهذا هو.

وغيرهم من أصحاب الشافعي، وأحمد، وسائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ﴾. [يس: ٨٢] فأتى بالحروف الدالة على (١)الاستقبال، والأفعال الدالة على(١) الحال والاستقبال أيضاً. وذلك في القرآن كثير.

قال شيخُ الإسلام: فإذا قالوا لنا ـ يعني النُّفاة ـ: فهذا يلزم(٢) أنْ تكون الحوادثُ قائمةً به؟ قلنا: ومَن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة؟! ونصوصُ القرآن والسُّنة تتضمن ذلك مع صريح العقل.

ولفظُ الحوادث مُجمل، فقد يُراد به الأمراض(٣) والنقائص، والله منزَّه عن ذلك، ولكن يقوم به ماشاء من كلامه وأفعاله ونحو ذلك، مما دلَّ عليه الكتاب والسُّنة.

والقولُ الصحيح: قولُ أهلِ العلم(٤)، الذين يقولون لم يزل متكلماً إذا شاء؛ كما قال ابنُ المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرُهما من أئمة السُّنة. انتهى(٥).

قلتُ: ومعنى قيام الحوادث به/ تعالى: قدرتُه عليها، وإيجادُه لها بمشيئته وأمره، والله أعلم. [١٧٩/أ]

قوله: «ولا يزكِّيهم ولهم عذابٌ أليم» لما عظم دبهُم عظمت عقوبتهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظمُ العقوبات.

قوله: «أشيمطٌ زان» صغَّره تحقيراً له؛ وذلك لأن داعي المعصية ضَعُفَ في

---

(١) مابينهما ساقط من (ط).

(٢) (ط): يلزمه.

(٣) (ط): الأعراض. تحريف.

(٤) (هـ)(ط): العلم والحديث.

(٥) ينظر: ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٦/ ٩٠).

حقه، فدلَّ على أنَّ الحامل له على الزنا: محبةُ المعصية والفجور، وعدمُ خوفه من الله.

وضعفُ الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظَ العقوبة عليه، بخلاف الشاب؛ فإنَّ قوة داعي الشهوة منه قد يغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم، ولومِها على المعصية، فينتهي ويراجع.

وكذلك العائل المستكبر، ليس له مايدعوه إلى الكبر؛ لأنَّ الداعي إلى الكبر في الغالب كثرةُ المال والنِّعم والرياسة. والعائلُ الفقير لا داعي له إلى أنْ يستكبر. فاستكبارهُ مع عدم الداعي إليه، يدلُّ على أنَّ الكبر طبيعةٌ له، كامنٌ في قلبه. فعظُمت عقوبتُه؛ لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذَّميم، الذي هو من أكبر المعاصي.

قوله: «ورجلٌ جعل الله بضاعته» بنصب الاسم الشريف، أي: الحلف به، جعله بضاعته؛ لملازمته له وغلبته عليه.

وهذه أعمالٌ تدل على أنَّ صاحبها إنْ كان موحِّداً فتوحيدُه ضعيف، وأعماله ضعيفة؛ بحسب ماقام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة، على قلة الداعي إليها. نسأل الله السلامة والعافية، ونعوذ بالله من كلِّ عمل لا يحبه ربُّنا ولا يرضاه.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي الصحيح، عن عمرانَ بن حُصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ـ قال عمران: فلا أدري، أذكرَ بعد قرنه مرَّتين أو ثلاثاً ـ ثم إنَّ بعدكم قومٌ يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون،

وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن»[١].

ش: قولــه: (وفي الصحيح) أي: (صحيح مسلم)، وأخــرجــه أبـوداود، والترمذي، ورواه البخاريُّ بلفظ «خيركم»[٢].

قولـه: «خـيرُ أُمتي قرني» لفضيلة أهـلِ ذلـك القـرن: في العلم والإيمان، والأعمالِ الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون. فغلب الخيرُ فيها وكثر أهلهُ، وقل الشرُّ فيها وأهله، واعتزَّ فيها الإسلام والإيمان، وكثرُ فيه العلم/ والعلماء. [١٧٠/ب]

«ثم الذين يلونهم» فُضِّلُوا على مَن بعدهم: لظهور الإسلام فيهم وكثرة الداعي إليه، والراغب فيه والقائم به. وماظهر فيه من البدع، أُنكر واستعظم وأُزيل، كبدعة الخوارج والقدرية والرَّافضة. فهذه البدعُ وإنْ كانت قد ظهرت، فأهلها في غاية الذُّل والمقت والهوان والقتل، فيمن عاند منهم ولم يتُب.

قوله: «فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً؟» هذا شكٌّ من راوي الحديث عمران بن حصين، والمشهور في الروايات: أنَّ القرون المفضَّلة ثلاثةٌ. الثالثُ دون الأولين في الفضل؛ لكثرة ظهور[٣] البدع فيه، لكنَّ العلماء متوافرون، والإسلامَ فيه ظاهر، والجهاد فيه قائم. ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة[٤]، من الجفاء في الدين، وكثرةِ الأهواء.

---

(١) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٥٣٥).

(٢) أبـو داود في «السنن» رقم (٤٦٥٧) والـترمـذي في «الجـامـع» رقم (٢٢٢٢، ٢٢٢٣) والبخـاري في «الصحيح» رقم (٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٤٣٦) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ١٧٦).

(٣) (هـ) (ط): ظهور. ساقطة.

(٤) (هـ)(ط): القرون الثلاثة.

فقال: «ثم إنَّ بعدكم قومٌ يشهدون ولا يُستشهدون» لاستخفافهم بأمر الشهادة، وعدم تحريهم للصدق؛ وذلك لقلة دينهم، وضعف إسلامهم.

قول: «ويخونون ولا يُؤتمنون» يدل على أنَّ الخيانة قد غلبت على كثير منهم، أو أكثرهم.

قوله: «وينذُرون ولا يوفون» أي: لا يؤدُّون ما وجب عليهم. فظهورُ هذه الأعمال الذميمة، يدلُّ على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم.

قوله: «ويظهر فيهم السِّمنَ» لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم والتنعُّمِ بها وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها.

وفي حديث أنس «لا يأتي زمانٌ إلاَّ والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم» قال أنس: سمعتُه من نبيكم ﷺ[1]. فما زال الشرُّ يزيد في الأمة، حتى ظهر الشركُ والبدع في كثيرٍ منهم. حتى فيمن ينتسب إلى العلم، ويتصدَّر للتعليم والتصنيف.[2]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه، عن ابن مسعود: أنَّ النبي ﷺ قال: «خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه، ويمينُه شهادَته». قال إبراهيمُ: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد، ونحنُ صغار[3].

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٧٠٦٨)، وأحمد في «المسند» (٣/١١٧، ١٣٢، ١٧٩).

(٢) في (هـ) و (ط) زيادة مانصه: قلت: بل قد دعوا إلى الشرك والضلال والبدع، وصنفوا في ذلك نظماً ونثراً، فنعوذ بالله من موجبات غضبه.

(٣) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٥٣٣)، وأخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨) وأحمد في «المسند» (١/٣٧٨، ٤٤٢).

ش: قلتُ: وهـذه حالُ من صرف رغبتـه إلى الدنيا ونسي المعاد، فخفَّ أمرُ الشهادة واليمين عنده تَحمُّلاً وأداءً؛ لقلَّة خوفه من الله، وعدم مبالاته بذلك.

وهذا هو الغالبُ على الأكثر، والله المستعان. فإذا كان هذا قد وقع في الصَّدر الأول، ففي[1] مابعده أكثر بأضعاف. فكُن من الناس على حذر.

قوله: (قال إبراهيم). هو النَّخعي.

[١/أ] (كـانـوا يضربوننا على الشهادة والعهد، ونحن صغار)، وذلك/ لكثرة عِلْم التابعين، وقوة إيمانهم ومعرفتهم بربهم، وقيامِهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه من أفضل الجهاد، ولا يقوم الدينُ إلا به.

وفي هذا: الرغبةُ في تمرين الصغار على طاعة ربهم، ونهيهم عمَّا يضرهم[2]. وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) (ط): في صدر الإسلام الأول فما.

(٢) ومن أعظم ما يُحقق ذلك: أنْ يجعل المُربي من نفسه القدوةَ والمثال الحي، لما يحمله ويدعو إليه من قيم ومبادىء وأخلاق. فيرسم في الأفق معالم الصورة المشرقة لسلفنا الصالح، ويحيي في النفوس الظامئة تباشير الفجر الجديد.

(٦٢)
باب ماجاء في ذمة الله وذمة رسوله

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في ذمَّة الله وذمَّةِ رسوله.

وقولِ الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بعَهْدِ الله إذا عاهَدْتُم ولا تَنْقُضُوا الأَيْمان بَعْدَ تَوْكِيدِها وقَدْ جَعَلْتُم الله عَلَيْكُـم كَفِيلاً إنَّ الله يَعْلَـمُ مـا تَفْعَلُـون﴾. [النحل: ٩١].

ش: قال العِمادُ ابن كثير: وهـذا مما يأمـر الله تعالى به، وهو الوفاءُ بالعهود والمواثيق، والمحافظةُ على الأيمان [المؤكدة][١]؛ ولهذا قال: ﴿ولا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها﴾ ولا تعارض بين هذا، وقوله: ﴿ولا تَجْعَلُوا الله عُرْضَةً لأَيْمَانِكُم﴾ [البقرة: ٢٢٤] وبين قوله: ﴿ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُم إذا حَلَفْتُم واحفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] أي: لا تتركوها بلا تكفير، و [بين قوله ﷺ][٢] في (الصحيحين): «إني والله إن شاء الله لا أحلف علي يمين فأرى غيرَها خيراً منها إلَّا أتيتُ الذي هو خير وتحلَّلتها» [ـ وفي رواية ـ «وكفَّرتُ عن يميني»][٣].

لا تعارض بين هذا كلِّه، وبين الآية المذكورة هنا وهي][٢] قوله ﴿ولا تَنْقُضُوا الأَيْمَان بَعْـدَ تَوْكِيدِهـا﴾ [لأن][٢] هذه الأيمان، المـراد بها: الـداخلةُ في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة على حثٍّ أو منع. ولهذا قال مجاهد، في الآية: يعني الحِلْف، أي: حِلْف الجاهلية.

---

(١) إضافة من (ط) «والتفسير».

(٢) ساقطٌ من الأصل و (ض) و (هـ).

(٣) البخاري في «الصحيح» رقم (٦٧١٨، ٦٧١٩) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٦٤٩)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٤، ٤١٨) من حديث أبي موسى الأشعري.

ويؤيِّده: ما رواه الإمام أحمد، عن جُبير بن مُطعِم، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وأيُّما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»(١).

[وكذا رواه مسلم](٢)(٣). ومعناه: أنَّ الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف، الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه. فإنَّ في التمسك بالإسلام، حمايةً(٤) وكفاية عمَّا كانوا فيه.

وقوله: ﴿إنَّ الله يَعْلَمُ ما تَفْعَلُون﴾ تهديدٌ ووعيد، [لمن نقض الأيْمان بعد توكيدها](٢)(٥).

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن بُريدة، قال: كان رسولُ الله ﷺ، إذا أمَّر أميراً على جيش أو سريَّة، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً. فقال: «اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تَغلُّوا ولا تغدِروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيتَ عدوَّك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيَّتهُن ما أجابوك، فاقبل منهم وكفَّ عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين. وأخبرهم: أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحوَّلوا منها، فأخبرهم: أنهم يكونون

---

(١) أحمد في «المسند» (٤/ ٨٣).
(٢) إضافة من (ط) و «التفسير».
(٣) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٥٣٠)، وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٢٩٢٥).
(٤) (ط): حماية و. ساقط.
(٥) ابن كثير في «التفسير» (٤/ ٥١٦).

كأعـراب المسلمـين. يجري عليهم حكمُ الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمـة والفيء شيء، إلا أن يجاهـدوا مع المسلمـين. فإن هم أبوا، فاسألهم الجزية. فإنْ هم أجابوك، فاقبل منهم وكفَّ عنهم. فإن هم أبوا، فاستعن بالله، وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصنٍ، فأرادوك أنْ تجعل لهم ذمَّة الله وذمَّه نبيه. فلا تجعل لهم ذمَّةَ الله وذمة نبيه. ولكن اجعل لهم ذمَّتَك وذمة أصحابك. فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم، أهونُ من أن تخفروا ذمَّة الله وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله. فلا تنزلهم، ولكن أنزلهم على حكمك. فإنك لا تدري: أتصيبُ فيهم حُكمَ الله أم لا؟» رواه مسلم [1].

ش: قولـه: (عن بُريدة)، هو ابن الـحُصيب الأسلمي، وهذا الحديث من رواية ابنه سُليمان عنه. قاله في (المفهم).

قوله: (كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصَّته بتقوى الله تعالى) فيه من الفقه: تأميرُ الأمراء، ووصيَّتهم.

قال الحربي: السرية: الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها. والجيش: ماكان أكثر من ذلك. وتقوى الله: التحرُّز بطاعته من عقوبته.

قلتُ: وذلك بالعمل بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى الله عنه.

قوله: (ومن معه من المسلمين خيراً) أي: ووصَّاه بمن معه منهم، أن يفعل معهم خيراً: / من الـرفق بهم، والإحسـان إليهم، وخفضِ الجناح لهم، وترك [١٨٠/] التعاظم عليهم.

---

(١) مسلم في «الصحيح» رقم (١٧٣١)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٣٥٨،٣٥٢/٥) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٨/١٢).

وقوله: «اغزوا باسم الله» أي: اشرعوا في فعل الغزو، مُستعينين بالله مخلصين له. قلتُ: فتكون الباء في بسم الله هنا، للاستعانة والتوكل على الله.

وقوله: «قاتلوا من كفر بالله» هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر، المحاربين وغيرهم. وقد خُصِّص منهم من له عهدٌ، والرهبان والنسوان، ومن لم يبلغ الحُلم. وقد قال مُتصلاً به: «ولا تقتلوا وليداً» وإنما نهى عن قتل الرهبان والنسوان؛ لأنه لا يكون منهم قتال غالباً، فإنْ كان منهم قتالٌ أو تدبير قُتلوا.

قلتُ: وكذلك الذَّراري، والأولاد.

قوله: «ولا تَغلُّوا ولا تغدِروا ولا تمثِّلوا» الغلول: الأخذُ من الغنيمة، من غير قسمتها. والغدر: نقضُ العهد. والتمثيل هنا: التشويهُ بالقتيل، كقطع أنفه وأُذنه والعبث به. ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر، وفي كراهة[1] الـمُثلة.

وقوله: «وإذا لقيت عدوَّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خلال، أو خصال» الروايةُ بأو للشك[2]، وهو من بعض الرواة. ومعنى الخِلال والخصال، واحد.

وقوله: «فأيَّتهُنَّ ما أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم» قيَّدناه، عمَّن يوثق بعلمه.

وتقييدُه بنصب أيتَّهن؛ على أنْ يعمل فيها أجابوك، لا على إسقاط حرف الجر. ومـا زائدةٌ. ويكون تقدير الكلام: فإلى أيتهنَّ أجابوك فاقبل منهم. كما تقول: أجبتك إلى كذا أو في كذا. فيُعدَّى إلى الثاني بحروف الجر.

قلتُ: فيكون في ناصب «أيتَّهن» وجهان: ذكرَهما الشارح[3]. الأوَّل: منصوب على الاشتغال، والثاني: على نزع الخافض.

---

(١) (هـ)(ط): كراهية.

(٢) (هـ)(ط): الرواية بالشك.

(٣) يعني: القُرطبي، صاحب كتاب «الـمُفهم شرح صحيح مسلم» الذي نقل عنه هنا.

قوله: «ثم ادعهم إلى الإسلام» كذا وقعت الروايةُ في جميع نسخ [كتاب][1] مسلم «ثم ادعهم» بزيادة ثم، والصوابُ إسقاطها. كما روي في غير (كتاب مسلم)، (كمصنف) أبي داود[2]، وكتاب (الأموال) لأبي عُبيد؛ لأن ذلك هو ابتداء تفسير الثلاث الخصال.

وقوله: «ثم ادعهم إلى التحول إلى دار المهاجرين» يعني المدينة، وكان هذا في أول الأمر، وقت[3] وجوب الهجرة إلى المدينة على كلِّ من دخل في الإسلام. وهذا يدلُّ على أنَّ الهجرة واجبةٌ على كل من آمن من أهل مكة، وغيرها.

قوله: «فإنْ أبوا أنْ يتحولوا» يعني: أنَّ من أسلم ولم يُجاهد ولم يهاجر، لا يُعطى من الخُمس ولا من الفيء شيئاً.

وقد أخذ الشافعيُّ بالحديث/ [١٨١/] في الأعراب، فلم ير لهم من الفيء شيئاً. وأنَّ لهم الصدقة المأخوذة من أغنيائهم، فتردُّ على فقرائهم. كما أنَّ أهل الجهاد وأجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عنده، ومَصرفُ كلِّ مال في أهله. وسوَّى مالك وأبوحنيفة بين المالين، وجوَّزا صرفَهما للضعيف[4].

وقوله: «فإن هم أبوا فاسألهم الجزية» فيه: حجة لمالك وأصحابه، والأوزاعي في أخذ الجزية من كلِّ كافر: عربياً كان أو غيره، كتابياً كان أو غيره.

وذهب أبو حنيفة إلى أنَّها تؤخذُ من الجميع، إلَّا من مشركي العرب ومجوسهم. وقال الشافعي: لا تُؤخذ إلا من أهل الكتاب: عرباً كانوا أو عجماً. وهو قولُ

---

(١) اضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

(٢) أبو داود في «السنن» رقم (٢٦١٣)، وأخرجه ابن الجارود في «المنتقى» رقم (١٠٤٢).

(٣) (هـ)(ط): وقت. ساقطة.

(٤) ينظر كتاب «الأموال». لابن زنجويه (١/ ٤٧٧).

الإمام أحمد في ظاهر مذهبه، وتُؤخذ من المجوس.

قلتُ: لأن النبي ﷺ أخذها منهم، وقال: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب»[١].

وقد اختُلف[٢] في القدر المفروض من الجزية، فقال مالك: أربعةُ دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهماً على أهل الورق. وهل ينقص منها الضعيف أو لا؟ قولان. وقال الشافعيُّ: فيه دينارٌ على الغني والفقير. وقال أبوحنيفة، والكوفيون على الغني ثمانيةٌ وأربعون درهماً، والوسط أربعةٌ وعشرون درهماً، والفقير اثنا عشر درهماً. وهو قول أحمد بن حنبل[٣].

قال يحيى بن يُوسف الصرصري الحنبلي[٤].

وقاتل يهوداً والنصارى وعصبة الـ ... مجوس، فإنْ هم سلَّموا الجزية اصدد

على الأدون اثني عشر درهماً افرضن ... وأربعة من بعد عشرين زِيِّد

لأوسطهم حالاً، ومن كان موسراً ... ثمانية مع أربعين لتنقد

وتسقط عن صبيانهم ونسائهم ... وشيخٍ لهم فانٍ وأعمى ومقعد

وذي الفقر والمجنون أو عبد مسلم ... ومن وجبت منهم عليه فيهتدي[٥]

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» كتاب (الزكاة) رقم (٤٣) وعبدالرزاق في «المصنف» (١٠/٣٢٥) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/٢٤٣) والقاسم بن سلام في كتاب «الأموال» (٣٥) والبيهقي في «السنن» (٩/١٨٩) من حديث عبدالرحمن بن عوف. قال ابن عبدالبر في «التمهيد» (٢/١١٤): هذا حديثٌ منقطع، ولكن معناه متصل من وجوه حسان.

(٢) (هـ)(ط): اختلفوا.

(٣) ينظر ابن قدامة «المغني» (١٣/٢٠٩)، وابن القيم «أحكام أهل الذمة» (١/٢٦).

(٤) أبوزكريا، جمال الدين الأنصاري الزُّريراني الضرير، أديب فقيه (ت ٦٥٦هـ) «تاريخ ابن رجب» (٢/٢٦٢).

(٥) من كتاب «الدُّرة اليتيمة والمحجة المستقيمة في نظم مختصر الخرقي». وينظر «المدخل» لابن بدران (٤٢٨).

وعند مالكٍ، وكافَّة العلماء: على الرجال الأحرار البالغين العقلاء، دون غيرهم. وإنَّما تُؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين، لا ممن نأى بداره. ويجب تحويلهم إلى بلاد المسلمين، أو حربهم[1].

وقوله: «وإذا حاصرت أهل حصن» الكلام إلى آخره، فيه حجةٌ لمن يقول من الفقهاء، وأهل الأصول: إنَّ المصيب في مسائل الاجتهاد واحد. وهو المعروفُ من مذهب مالك، وغيره.

ووجه الاستدلال: لأنه ﷺ قد نص على أنَّ لله تعالى حُكماً معيناً في المجتهدات[2][3]. ومن وافقه فهو المصيب، ومن لم يوافقه مخطيء[4][5] / . [١٨١/ب]

قوله: «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أنْ تجعل لهم ذمة الله» الحديث.

الذِّمة: العهد، وتَخْفِر: تنقض، يقال: أخْفَرتَ الرجل: نقضت عهده، وخَفَرْتَه: أجرته.

ومعناه: أنَّه خاف من نقض من لم يعرف حقَّ الوفاء بالعهد، كجهلة[6] الأعراب، فكأنه يقول: إن وقع نقضٌ من متعد[7]، كان نقضُ عهد الخلق أهونَ

---

(١) ينظر «الاموال» لابن زنجويه (١/ ١١٥) «والتمهيد» لابن عبدالبر (٢/ ١٣٠).

(٢) (هـ)(ط): ان الله تعالى قد حكم حكما معينا في المجتهدات.

(٣) ويدل له أيضاً: ما أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٧٣٥٢) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٧١٦) وأحمد في «المسند» (٢/ ١٨٧، ٤/ ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٥) من حديث عمرو بن العاص، أن النبي - ﷺ - قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله أجر».

(٤) (هـ)(ط): فهو المخطيء.

(٥) وهو مذهب عامة أهل العلم، ينظر: أبويعلى الحنبلي «العدة في أصول الفقه» (٥/ ١٥٤٠) والغزالي «المنخول» (٤٥١) والقرافي «التنقيح» (٤٣٨) وآل تيمية «المسوَّدة» (٤٩٧).

(٦) (ط): للعهد كجملة.

(٧) (هـ)(ط): متعد معتد.

من نقض عهد الله تعالى، والله أعلم.

قوله[١]: وقول نافع، وقد سُئل عن الدعوة قبل القتال[٢].

ذكر فيه[١]: أنَّ مذهب مالك، يجمع فيه[٣] بين الأحاديث في الدعوة قبل القتال.

قال: وهو أن مالكاً، قال: لا يقاتل الكفار قبل أن يُدْعوا، ولا تُلتمس غِرَّتُهم. إلَّا أن يكونوا بَلَغتهم الدعوة، فيجوز أن تؤخذ[٤] غرَّتهم.

وهذا الذي صار إليه مالك، وهو الصحيح؛ لأن فائدة الدعوة أن يعرف العدوُّ أن المسلمين لا يقاتلون للدنيا ولا للعصبية، وإنما يقاتلون للدين. فإذا علموا بذلك، أمكن أن يكون ذلك سبباً مُميلاً لهم إلى الانقياد إلى الحق. بخلاف ما إذا جهلوا مقصود المسلمين، فقد يظنون أنهم يقاتلون للممالك[٥] وللدنيا، فيزيدون عتواً وبغضًا[٦]. والله أعلم.

---

(١) أي: القُرطبي في كتاب «المفهم».

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٢٦٣٣) عن ابن عون، قال: كتبتُ إلى نافع أسأله عن دعاء المشركين عند القتال، فكتب إلي: إن ذلك كان في أول الإسلام، وقد أغار نبيُّ الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تُسقى على الماء. فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم، وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث. حدثني بذلك عبدالله، وكان في ذلك الجيش. قال أبوداود: هذا حديثُ نبيل، رواه ابن عون عن نافع، ولم يشركه فيه أحد.

(٣) (ض)(هـ)(ط): فيه. ساقطة.

(٤) (ط): تلتمس.

(٥) (ض)(ط): للملك.

(٦) غير أنَّ من الأحسن، كما قال ابن عبدالبر في «التمهيد» (٢/٢١٦): الدعاءُ قبل القتال؛ لأن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يأمر سراياه بذلك، وكان يدعو كلَّ من يقاتله. مع اشتهار كلمته، ودينه في جزيرة العرب. والله أعلم.

(٦٣)
بـــــاب
ماجـاء فـي الإقسـام علـى اللـه[١]

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في الإقسام على الله.

عن جُندب بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجلٌ: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألّى عليَّ أنْ لا أغفرَ لفلان؟ إني قد غفرتُ له، وأحبطتُ عملَك» رواه مسلم[٢].

وفي حديث أبي هريرة: أنَّ القائل رجلٌ عابد. قال أبو هريرة: تكلَّم بكلمة، أو بقت دنياه وآخرتَه[٣].

ش: قولـه: (بـاب ماجـاء في الإقسـام على الله). ذكـر المصنفُ فيه حديث جُندب بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ «قال رجلٌ: والله لا يغفر الله لفلان. قال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان، إني قد غفرت له، وأحبطت عملك». رواه مسلم.

قوله: «يتألَّى» يحلف[٤]، والأليَّة بالتشديد: الحَلِف.

وصحَّ من حديث أبي هريرة:

---

(١) في احدى نسخ «كتاب التوحيد» الخطية: بابُ ماجاء في الإقسام على الله بلا علم.

(٢) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٢١).

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٤٩٠١) وأحمد في «المسند» (٢/٣٢٣، ٣٦٣) وابن المبارك في «كتاب الزهد» رقم (٩٠٠). باسناد حسن.

(٤) (ط): أي: يحلف.

قال البَغويُّ في (شرح السُّنة) ـ وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار ـ قال: دخلتُ مسجد المدينة، فناداني شيخ فقال: ياياميُّ، تعال، وما أعرفه. قال: لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أبداً ولا يدخلك الجنة.

قلتُ: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أبوهريرة. قال، فقلتُ: إنَّ هذه كلمة يقولها أحدُنا لأهله[١] إذا غضب، أو لزوجته أو لخادمه، قال: فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهدٌ في العبادة، والآخر؛ كأنه يقول مذنب. فجعل يقول: أقصِر عما أنت فيه. قال، فيقول: خَلِّني وبي. حتى وجده[٢] يومًا على ذنب استعظمه، فقال: أقْصِر، فقال: خَلني وربي، أبُعثت عليَّ رقيباً. فقال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة أبداً. قال: فبعث/ الله إليهما ملكاً، فقبض أرواحَهما، فاجتمعا عنده. فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أنْ تحظر على عبدي رحمتي؟ قال: لا يارب، قال اذهبوا به إلى النار». قال أبوهريرة: والذي نفسي بيده، لتكلَّم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته[٣]. [١٨٢/أ]

ورواه أبوداود في (سُننه)، وهذا لفظُه: عن أبي هريرة رضي الله عنه،[٤] قال: سمعتُ رسول الله ﷺ[٤] يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يُذنب، والآخر مُجتهدٌ في العبادة. فكان لايزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر. فوجده يوماً على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلني

---

(١) (ض)(هـ)(ط): لبعض أهله.

(٢) (هـ)(ط): قال فوجده.

(٣) البغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٨٤) عن ضمضم بن جوس.

(٤) مابينهما ساقطٌ من (هـ) و (ط).

وربي، أبعُثت عليَّ رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة. فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً، أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»[١] إلى آخره[٢].

قوله: (في حديث أبي هريرة أنَّ القائل رجلٌ عابد) يُشير إلى قوله في هذا الحديث «أحدُهما مجتهدٌ في العبادة».

وفي هذه الأحاديث: بيان خطر اللسان، وذلك يفيد التحرُّزَ من الكلام؛ كما في حديث معاذ، قلت: يارسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «ثكلتك أُمُّك يامعاذ، وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم ـ أو قال: على مناخرهم ـ إلا حصائدُ ألسنتهم؟»[٣] والله أعلم.

---

(١) أبو داود في «السنن» رقم (٤٩٠١)، وقد مضى تخريجه.

(٢) (هـ)(ط): إلى آخره. ساقط.

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٢٦١٩) وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح. وابن ماجة في «السنن» رقم (٤٠٢١) وأحمد في «المسند» (٥/٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٧) والطيالسي في «السنن» رقم (٥٦٠) والنسائي في «السنن الكبرى» كما في «تحفه الأشراف» (٨/٤١٠) وابن أبي الدنيا «كتاب الصمت» رقم (٦) والحاكم في «المستدرك» (٢/٤١٢) وصححه وافقه الذهبي، وأخرجه من حديث عبادة ابن الصامت: البخاري في «خلق أفعال العباد» (٧٣) والحاكم في «المستدرك» (٤/٢٨٦) وصححه وافقه الذهبي.



(٦٤)
بـــاب
لا يستشفـــع باللـــه علـــى خلقـــه

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ لا يُستشفع بالله على خلقه.

عن جُبير بن مُطعِم، قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: يارسول الله، نُهكَت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموالُ، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ «سُبحان الله، سبحان الله!» فما زال يُسبِّح، حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظمُ من ذلك، إنه لا يُستشفع بالله على أحد». وذكر الحديث، رواه أبوداود[١].

ش: قوله: (بابٌ لا يُستشفع بالله على خلقه). وذكر الحديث، وسياقُ أبي داود في (سننه) أتم مما ذكره المصنف رحمه الله، ولفظُه: عن جُبيربن محمد بن جبيربن مُطعم، عن أبيه، عن جده، قال: أتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ، فقال: يارسول الله، جُهدت الأنفس، وضاعت العيال ونُهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال النبيُّ ﷺ:

---

(١) أبوداود في «السنن» رقم (٤٧٢٦)، وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/٢٢٤) والدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٤) وابن خزيمة في «التوحيد» رقم (١٤٧) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٧٥، ٥٧٦) والطبراني في «الكبير» رقم (١٥٤٧) والدارقطني في «الصفات» (٣٨) واللالكائي في «شرح أصول الأعتقاد» رقم (٦٥٦) وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٩٨)، وصححه ابنُ القيم في «تهذيب السنن» (٧/٩٥). وابن كثير في «التاريخ» (١/٨).

«ويحك! أتدري ماتقول؟» وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك! إنه لا يُستشفع بالله على أحدٍ من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك، أتدري ما الله؟ إنَّ عرشه على سمواته لهكذا - وقال بأصبعه مثل القبة عليه - وإنَّه ليئطُّ به أطيط الرَّحل[1] بالراكب»/. [١٠/ب]

قال ابنُ يسار[2] في حديثه: «إنَّ الله فوق عرشه، وعرشه فوق سمواته»[1].

قال الحافظُ الذهبي: رواه أبوداود - بإسنادٍ حسن عنده - في (الرد على الجهمية)، من حديث محمد بن إسحاق بن يسار[3].

قوله: «ويحك إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه» فإنَّه تعالى ربُّ كلِّ شيء ومليكُه، والخير كلُّه بيده. لا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع، ولا راد لما قضى وماكان الله ليُعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، إنه كان عليماً قديراً.

إنما أمرُه إذا أراد شيئا أن يقول له: كُن، فيكون. والخلقُ وما في أيديهم مُلكه يتصرف فيه كيف يشاء. وهو الذي يشفع الشافع إليه، ولهذا أنكر على الأعرابي قولَه هذا[4]، وسبح الله كثيراً وعظَّمه؛ لأن هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده، إنَّ شأن الله أعظم من ذلك.

وفي هذا الحديث: إثباتُ علوِّ الله على خلقه، وأنَّ عرشه فوق سمواته. وفيه: تفسيرُ الاستواء بالعلو؛ كما فسَّره الصحابةُ والتابعون والأئمة.

---

(١) أطَّ الرَّحل ونحوه، يئِطُ أطيطاً: صوَّت «القاموس المحيط» (١/ ١٥٦).

(٢) (ط): ابن بشار. تحريف، وهو محمد بن اسحاق بن يسار، أبوبكر المطلبي، مولاهم، صدوق يدلس ت (١٥٠هـ)، «تقريب» (٤٦٧).

(٣) الذهبي في «العلو للعلي الغفار». (   ).

(٤) (هـ)(ط): هذا. ساقطة.

خلافاً للمعطلة: من الجهمية[1]، والمعتزلة، ومن أخذ عنهم كالأشاعرة ونحوهم. ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وصرفها عن المعنى الذي وضعت له ودلَّت عليه، من إثبات صفات الله تعالى، التي دلَّت على كماله جل وعلا.

كما عليه السلفُ الصالح والأئمة، ومن تبعهم ممن تمسَّك بالسنة. فإنَّهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسولُه من صفات كماله، على مايليق بجلاله وعظمته. إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل.

قال العـلَّامة ابن القيِّم في (مفتاح دار السعادة) ـ بعد كلام سبق فيما يُعرِّفُ العبدَ بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته ـ قال بعد ذلك:

والثاني: أنْ يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة، فتُفتح له أبوابُ السماء، فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها.

ثم يُفتح له باب بعد باب، حتى ينتهي به سير القلب الى عرش الرحمن. فينظر سعتَـه وعظمته، وجلاله ومجده ورفعته. يرى السمٰواتِ السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه، كحَلَقة ملقاة بأرض فلاة. ويرى الملائكة حافّين من حول العرش، لهم زَجلٌ بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير.

والأمرُ ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود، التي لا يعلمها إلَّا ربُّها ومليكها. فينزل الأمرُ بإحياء قومٍ وإماتة آخرين/، وإعزاز قومٍ وإذلال آخرين، وانشاء [١٨٣/أ] مُلْك وسلب ملك. وتحويل نعمة من محل إلى محل.

وقضاء الحاجات، على اختلافها وتباينها وكثرتها: من جبر كسير، وإغناء فقير،

---

(١) (هـ)(ط): والجهمية.

وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضُر، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، وردّ آبق، وأمان خائف، وإجارةِ مستجير، ومدد لضعيف وإغاثة لملهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكفّ لعدوان.

فهي مراسيمُ دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج، على اختلافها[1] وتباينها واتحاد وقتها. ولا تبرَّم بإلحاح الـمُلحّين، ولا تنقص ذرَّةٌ من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

فحينئذٍ يقوم القلبُ بين يدي الرحمن مُطرقاً لهيبته، خاشعا لعظمته عان لعزته. فيسجد بين يدي الـمَلِك الحق الـمُبين، سجدةً لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد. فهذا سَفرُ القلب، وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من (٢أعظم آيات الله، وعجائب صنعه. فيا له من سفر ما أبركَه و أروحه، ٢)وأعظم ثمرته وربحه، وأجلَّ منفعته وأحسن عاقبته. سفرٌ هو حياة الأرواح، ومفتاح السعادة وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب. انتهى كلامه رحمه الله تعالى[3].

وأمَّا الاستشفاعُ بالرسول ﷺ في حياته، فالمرادُ به: استجلابُ دعائه، وليس خاصاً به ﷺ. بل كلُّ حيٍّ صالحٍ يُرجى أن يُستجاب له، فلا بأس أن يطلب منه أنْ يدعو للسائل بالمطالب الخاصة أو العامة؛ كما قال النبي ﷺ لعمر لما أراد أن

---

(١) (ط): اختلاف لغاتها.

(٢) مابينهما ساقط من (ط).

(٣) ابن القيم في «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة» (٢١٧).

يعتمر من المدينة: «لا تنسنا يا أخي من صالح دُعائك»[1].

وأمَّا الميت: فإنما يُشرع في حقه الدعاء له على جنازته، وعلى قبره وفي غير ذلك.

وهذا هو الذي يشرع في حق الميت، وأمَّا دعاؤه: فلم يشرع، بل قد دلَّ الكتابُ والسُّنة على النهي عنه، والوعيد عليه؛ كما قال تعالى: ﴿والذين تَدْعُون من دُونه ما يَمْلِكُون من قِطمير • إنْ تَدْعُوهُم لا يَسْمَعُوا دُعاءكُم ولَوْ سَمِعُوا ما استجابوا لكُم ويَوْم القيامة يَكْفُرُون بشرككم ولا يُنبِّئك مثلُ خبير﴾ [فاطر: ١٣ ـ ١٤] فبيَّن تعالى أنَّ دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شركٌ، يكفر به المدعوُّ يوم القيامة.

أي: يُنكره، ويعادي من فعله؛ كما في آية الأحقاف: ﴿وإذا حُشر/ الناسُ [١٨٣/] كانُوا لهم أَعْداءً وكانُوا بِعِبادَتِهِم كافِرين﴾ [الأحقاف: ٦] فكلُّ ميتٍ أو غائب، لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر.

والصحابة رضي الله عنهم، لا سيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين، لم يُنقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم: أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته، حتى في أوقات الجدب؛ كما وقع لعمر رضي الله عنه لما خرج ليستسقي بالناس، خرج بالعباس عمِّ النبي ﷺ فأمره أن يستسقي[2]، لأنه حيٌّ حاضر يدعو ربه،

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (١٤٩٨) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٥٥٧) وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح، وابن ماجة في «السنن» رقم (٢٨٩٤) وأحمد في «المسند» (١/ ٢٩، ٢/ ٥٩) وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٧٣) وأبويعلى في «المسند» رقم (٥٥٠١، ٥٥٥٠) والبيهقي في «السنن» (٥/ ٢٥١)، من حديث ابن عمر، وفيه عاصم بن عبيدالله العدوي، ضعيف، تقريب (٢٨٥) وانظر «قاعدة في التوسل» لابن تيمية (٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (١٠١٠، ٣٧١٠) عن أنس.

فلو جاز أن يُستسقى بأحدٍ بعد وفاته لاستسقى عمر رضي الله عنه في السابقين الأولين[١] بالنبي ﷺ.

وبهذا يظهر الفرقُ بين الحي والميت؛ لأن المقصود من الحي دعاؤه إذا كان حاضراً. فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب الدعاء ممن يدعوه ويتضرَّع إليه، وهم كذلك يدعون ربهم.

فمن تعدَّى المشروع إلى ما لا يُشرع، ضل وأضل. فلو كان دعاءُ الميت خيراً لكان الصحابة إليه أسبقَ وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم. فمن تمسَّك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد على عقله هلك، وبالله التوفيق.

---

(١) (هـ)(ط): والسابقون الأولون.

(٦٥)
بـــاب
ماجاء في حماية المصطفى ﷺ
حمى التوحيد وسده طرق الشرك

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في حماية المصطفى ﷺ[١] حِمى التوحيد، وسدِّه طُرِقَ الشرك.

عن عبدالله بن الشخِّير، قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيِّدُنا. فقال: «السيِّدُ الله تبارك وتعالى»، قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجْرينَّكم الشيطان». رواه أبوداود بسندٍ جيد[٢].

وعن أنس، أنَّ ناساً قالوا: يارسول الله، ياخيَرنا، وابنَ خيرنا، وسيدَنا وابن سيدنا. فقال: «ياأيها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمدٌ عبدالله ورسوله، ما أُحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزَّ وجل» رواه النسائي بسندٍ جيد[٣].

---

(١) في بعض النسخ الخطية لكتاب «التوحيد»: حماية النبي ﷺ.

(٢) أبوداود في «السنن» رقم (٤٨٠٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/٢٤،٢٥) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢١١) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٤٥،٢٤٧) وابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» رقم (٧٣) قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥/١٧٩): رجاله ثقات، وقد صححه غيرُ واحد.

(٣) النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٤٨، ٢٤٩) وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/١٥٣، ٢٤١، ٢٤٩) وابن حبان في «الصحيح» (٨/٤٦) وأبو نُعيم في «الحلية» (٦/٢٥٢) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (٢٦٧٥) قال ابن عبدالهادي في «الصارم» (٢٤٦): إسنادهُ صحيح.

ش: قوله: (بابُ ماجاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسدِّه طرق الشرك) حمايتُه ﷺ حمى التوحيد، عما يشوبُه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص. وهذا كثيرٌ في السُّنة الثابتة عنه ﷺ، كقوله: «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبدالله ورسوله»(١) وتقدم، وقوله: «إنه لايُستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل»(١) ونحو ذلك.

ونهى عن التمادح، وشدَّد القولَ فيه؛ كقوله لمن مدح إنسانًا: «ويلك قطعت عُنق صاحبك»(٢) والحديثُ أخرجه أبوداود، عن عبدالرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه: أنَّ رجلاً أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ، فقال له «قطعت عُنقَ صاحبك - ثلاثاً»(٣).

وقال: «إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب» أخرجه مسلم، والترمذي، وابن ماجة، عن المقداد ابن الأسود(٤).

وفي هذه الأحاديث(٥): نهى أنْ يقولوا: أنت سيدنا، وقال: «السيدُ الله تبارك وتعالى» ونهاهم أن يقولوا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، وقال: «لا يستجرينَّكم الشيطان».

وكذلك قوله، في حديث أنس: أنَّ ناساً قالوا: يارسول الله، ياخيرَنا وابن خيرنا وسيدنا وابنَ سيدنا فقال/ «يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم [١٨٤/أ]

---

(١) مضى تخريجُه.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٢٦٦٢، ٦٠٦١، ٦١٦٢) ومسلم في «الصحيح» رقم (٣٠٠٠) وأحمد في «المسند» (٥/٤٦، ٤٧) من حديث أبي بكرة.

(٣) أبو داود في «السنن» رقم (٤٨٠٥).

(٤) مسلم في «الصحيح» رقم (٣٠٠٢) والترمذي في «الجامع» رقم (٢٣٩٥) وابن ماجة رقم (٣٧٤٢)، وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٤٨٠٤) وأحمد في «المسند» (٢/٩٤).

(٥) (هـ)(ط): هذا الحديث.

الشيطان»كره ﷺ أن يواجهوه بالمدح، فيُفضي بهم إلى الغلو.

وأخبر ﷺ أنَّ مواجهة المادح للممدوح بمدحه ـ ولو بما فيه ـ من عمل الشيطان؛ لما تفضي محبةُ المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه، وذلك يُنافي كمال التوحيد.

فإن العبادة لا تقوم إلَّا بقُطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه، وذلك غايةُ الذل في غاية المحبة. وكمال الذل يقتضي: الخضوع والخشية والاستكانة لله تعالى، وأنَّه لا يرى نفسه إلا في مقام الذم لها، [والمعاتبة لها](1) في حق ربه. وكذلك الحبُّ لا تحصل غايتُه إلا إذا كان يحب مايحبه الله، ويكره مايكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات.

ومحبةُ المدح من العبد لنفسه يُخالف ما يحبه الله منه، والمادح يغره من نفسه فيكون آثما. فمقامُ العبودية يقتضي كراهة المدح رأساً، والنهي عنه صيانةٌ لهذا المقام. فمتى اخلص الذلَ لله، والمحبة له: خلصت أعمالُه وصحت. فمتى أدخل عليها مايشوبها من هذه الشوائب: دخل على مقام العبودية بالنقص أو الفساد.

وإذا أدَّاه المدحُ إلى التعاظم في نفسه، والاعجاب بها: وقع في أمر عظيم، ينافي العبودية الخاصة؛ كما في الحديث: «الكبرياءُ ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئا منهما عذبته»(2)، وفي الحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذرَّة من كبر»(3).

---

(١) إضافة من (ض) و (هـ) و (ط).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٦٢٠) وأبو داود في «السنن» رقم (٤٠٩٠) واللفظ له، من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٩١) وأبوداود في «السنن» رقم (٤٠٩١) والترمذي في «الجامع» رقم (١٩٩٩) وأحمد في «المسند» (١/ ١٩٩، ٤٥١). من حديث ابن مسعود.

وهذه الآفة[١] قد تكون محبة المدح سبباً لها، وسلَّماً إليها. والعُجْب يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب.

وأمَّا المادح، فقد يُفضي به المدح إلى أن يُنزل الممدوح منزلةً لا يستحقها. كما يوجد كثيراً في أشعارهم، من الغلو الذي نهى عنه الرسولُ ﷺ وحذر أُمته أن يقع منهم. فقد وقع الكثير منه، حتى صرحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية والملك، كما تقدَّمت الإشارةُ إلى شيءٍ من ذلك.

والنبيُّ ﷺ لما أكمل الله له مقامَ العُبودية، صار يكره أن يُمدح؛ صيانةً لهذا المقام. وأرشد الأمة إلى ترك ذلك نُصحاً لهم، وحمايةً لمقام التوحيد عن أنْ يدخله مايفسده أو يضعفه، من الشرك ووسائله: ﴿فبدَّل الذين ظلموا قولا غيرَ الذي قيل لهم﴾ [البقرة: ٥٩] ورأوا أنَّ فعل ما نهاهم ﷺ عن فعله قربةٌ من أفضل القربات، وحسنة من أعظم الحسنات.

وأما تسميةُ العبد بالسيد، فاختلف العلماء في ذلك:

قال العلَّامةُ ابنُ القيِّم في (بدائع الفوائد): اختلف الناسُ في جواز إطلاق السيد على البشر. فمنعه قومٌ، ونُقل عن مالك/ ؛ واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: ياسيِّدَنا، قال: «السيد الله»[٢]. [١٨٤/ب]

وجوَّزه قومٌ، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار «قوموا إلى سيدكم»[٣] وهذا أصحُّ من الحديث الأول.

---

(١) (ض)(هـ)(ط): الأفات.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٠٤٣، ٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٧٦٨) وأحمد في «المسند» (٣/٢٢، ٧١) من حديث أبي سعيد الخدري.

قال هؤلاء: السيد أحدُ مايضاف إليه، فلا يقال للتميمي سيِّدُ كندة، ولا يقال: المَلَك سيِّد البشر. قال: وعلى هذا فلا يجوز أنْ يطلق على الله هذا الإسم.

وفي هذا نظر؛ فإنَّ السَّيد إذا أُطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك، والمولَى، والرب، لا بمعنى الذي يُطلق على المخلوق. انتهى[١].

قلتُ: فقد صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤] أي: إلهاً وسيداً[٢]. وقال في قول الله تعالى: ﴿اللهُ الصمدُ﴾ أنَّه السيد، الذي كمُل في جميع أنواع السؤدد[٣]. وقال أبو وائل[٤]: هو السيد الذي انتهى سؤددُه[٥].

وأمَّا استدلالهم بقول النبي ﷺ للأنصار «قوموا إلى سيدكم» فالظاهر: أنَّ النبي ﷺ لم يواجه سعداً به، فيكون في هذا المقام تفصيل. والله أعلم.

---

(١) ابن القيم، «بدائع الفوائد» (٣/٢١٣).

(٢) ذكره البغوي في «التفسير» (٢/١٤٧).

(٣) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٣٠/٣٤٦) وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة» كما في «الدر المنثور» (٨/٦٨٢).

(٤) شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، ثقة مخضرم، مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وله مائة سنة. «تقريب» (٢٦٨).

(٥) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٣٠/٣٤٦) والبخاري في «الصحيح» (٨/٧٣٩) معلقاً، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٢٩).



(٦٦)
بـــاب
ماجــاء فــي قــول الله تعالــى: ﴿ ومــا قــدروا اللــه حق قــدره والأرض جميعا قبضتــه يــوم القيامــة ﴾

قال الـمُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ماجاء في قول الله تعالى: ﴿وما قَدَرُوا الله حقَّ قدْره والأرضُ جميعاً قبضَتُه يومَ القيامة والسموٰاتُ مطوياتٌ بيمينه سُبْحانه وتعالى عـمَّا يُشركون﴾. [الزُّمر: ٦٧].

عن ابن مسعود، قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يامحمـد، إنَّا نجدُ أنَّ الله يجعلُ السموٰاتِ على إصْبَع، والأرضين على إصبـع، والشجـرَ على إصبع، والماء على إصبع، والثَّرَى على إصبع، وسائرَ الخلق على إصبع. فيقول: أنا الملِكُ. فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت نواجذُه؛ تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ: ﴿وما قَدرُوا الله حق قدره والأرضُ جميعاً قبضته يوم القيامة﴾. الآية. متفق عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: والجبالَ والشجر على إصبع، ثم يهزهُنَّ، فيقول: أنا الملك، أنا الله.

وفي روايةٍ للبخاري: يجعلُ السموات على إصبع، والماءَ والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع. أخرجاه[١].

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٧٨٦)، وأخرجه النسائي في كتاب «التفسير» رقم (٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢) و الترمذي في «الجامع» رقم (٣٢٣٩) وأحمد في «المسند» (١/٤٥٧) وابن خزيمة في «الصحيح» رقم (١٠٢، ١٠٣) والطبري في «التفسير» (٢٤/٢٦).

ش: قوله: بابُ ماجاء في قولِ الله تعالى: ﴿وما قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامةِ والسمواتُ مَطْويَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالى عَمَّا يُشرِكُونَ﴾.

أي: من الأحاديث والآثار، في معنى هذه الآية الكريمة.

قال العِمادُ ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى: ما قَدَر المشركون الله حقَّ قَدْره، حتى عبدوا معه غيره. وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادرُ على كلِّ شيء، المالكُ لكل شيء، وكلُّ شيء تحت قهره وقدرته.

قال السُّدي:[١] ما عظَّموه حقَّ عظمته. وقال محمد بن كعب: لو قَدَروه حقَّ قدره، ما كذَّبوه.

وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هم الكفار، الذين لم يؤمنوا بقُدرة الله عليهم. فمن آمن أنَّ الله على كلِّ شيء قدير، فقد قَدَر الله حقَّ قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حقَّ قدره[٢].

وقد وردت أحاديثُ كثيرة متعلقة بهذه الآية، الطريُق فيها وفي أمثالها: من مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف.

ـ وذكر حديث ابن مسعود، كما ذكره المصنف رحمه الله في هذا الباب ـ قال: ورواه البخاري في (صحيحه) في غير موضع، ومسلم، والإمام أحمد، الترمذي، والنسائي. كلُّهم من حديث سُليمان بن مهران هو الأعمش، عن إبراهيم، عن عُبيدة، عن ابن مسعود، بنحوه.

[قال الإمام أحمد: حدّثنا معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله][٣]، قال: جاء رجلٌ من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ، فقال:

---

(١) (ط): قال مجاهد: نزلت في قريش، وقال السدي.

(٢) أخرج هذه الآثار: ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٤/٢٥).

(٣) اضافة من (ط) «والتفسير».

يأبا القاسم، أبَلغك أنَّ الله يحمل الخلائق على إصْبَع، والسموات على إصبع، والأرضين على/ إصبع، والشجرَ على إصبع، والثَّرَى على إصبع. فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجذُه، قال: وأنزل الله عز وجل: ﴿وما قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية. وهكذا رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، من طُرق عن الأعمش، به[1]. [١٨٥/أ]

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا الحسين بن حسن الأشقر، حدثنا أبوكُدَينة، عن عطاء، عن أبي الضُّحى، عن ابن عباس، قال: مرَّ يهوديٌّ برسول الله ﷺ وهو جالس، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يومَ يَجعل الله السموات على ذه ـ وأشار بالسبابة ـ والأرضَ على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه؟ كلُّ ذلك يُشير بأصبعه. فأنزل الله عز وجل: ﴿وما قدَرُوا الله حَقَّ قدْرِهِ﴾ وكذا رواه الترمذي في (التفسير)، بسنده عن أبي الضُّحى مسلم بن صُبيح، به. وقال: حسنٌ صحيح غريب، لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه[2].

ثم قال البخاري: حدثنا سعيد بن عُفير، حدثنا الليث، حدثني عبدالرحمن بن خالد بن مُسافر، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن: أنَّ أباهريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، فيقول: أنا الملك، أين مُلوك الأرض؟» تفرَّد به من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر[3].

---

(١) مضى تخريجه، في أول الباب.

(٢) أحمد في «المسند» (١/٢٥١) والترمذي في «الجامع» رقم (٣٢٣٨) وأخرجه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (١٠٦) والطبري في «التفسير» (٢٤/٢٦) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٤٣).

(٣) البخاري في «الصحيح» رقم (٤٨١٢، ٦٥١٩، ٧٣٨٢، ٧٤١٣)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٧٨٧) وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» رقم (٩٢، ٩٣).

وقال البخاريُّ في موضع آخر: حدَّثنا مُقدَّم بن محمد، حدثنا عمّي القاسم بن يحيى، عن عُبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماء بيمينه، ثم يقول: أنا المَلِكُ» تفرَّد به أيضاً من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر[1].

وقد رواه الإمام أحمد من طريق آخر، بلفظٍ أبسط من هذا السياق وأطول، فقال: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا إسحاقُ بن عبدالله بن أبي طلحة، عن عبيد الله بن مُقسِّم، عن ابن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية يوماً على المنبر ﴿وما قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ والأرضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ والسموات مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينه سُبْحانَهُ وتعالى عَمَّا يُشرِكون﴾ ورسولُ الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها، ويقبل بها ويدبر «يمجِّدُ الربُّ نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم» فَرَجف برسول الله ﷺ المنبرُ، حتى قلنا: ليخرَّن به[2]. انتهى[3].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم، عن ابن عمر مرفوعًا: «يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذُهنَّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي / الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[4]. [١٨٥/ب]

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم (٧٤١٢)، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٧٨٨).

(٢) أحمد في «المسند» (٢/ ٧٢)، وأخرجه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» رقم (٩٥) وابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٤/ ٢٧).

(٣) ابن كثير في «التفسير» (٧/ ١٠٣ ـ ١٠٥).

(٤) مسلم في «الصحيح» رقم (٢٧٨٨)

ورُوي: عن ابن عباس، قال: ما السمواتُ السبع والأرضون السبع في كَفّ الرحمن إلَّا كخردلةٍ في يد أحدكم(١).

وقال ابنُ جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابنُ زيد: حدثني أبي، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما السمواتُ السبع في الكرسي، إلا كدراهم سبعةٍ أُلقيت في تُرْسٍ».

قال: وقال أبوذر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسيُّ في العرش إلَّا كحَلَقة من حديد أُلقيت بين ظَهْرَي فلاةٍ من الأرض»(٢).

وعنِ ابن مسعود، قال: بَين السماء الدنيا والتي تليها خمسُمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرشُ فوق الماء. والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم. أخرجه ابنُ مهدي، عن حمَّاد بن سلمة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبدالله. ورواه بنحوه المسعوديُّ، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبدالله(٣).

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٤/٢٥).

(٢) ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٥٧٩٤)، وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢٢٠، ٢٥٢) قال ابن كثير، في «التاريخ» (١/١١): أول الحديث مُرسل، وعن أبي ذر منقطع. وقد روي عنه، من طريق أخرى موصولاً أهـ. وأخرجه من هذا الطريق: أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢٠٦، ٢٥٩) وابن مردويه في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٢/١٧) وأبو نُعيم في «الحلية» (١/١٦٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥١٠)، قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/٤١١) صححه ابن حبان، وله شاهد عن مجاهد، أخرجه سعيد بن منصور في «التفسير» بسند صحيح أهـ. وأخرجه ابو الشيخ في «العظمة» رقم (٢١٨، ٢٤٨، ٢٤٩) وعبدالله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٩١).

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٦) وابن خزيمة في كتاب «التوحيد» رقم (٥٩٤) والطبراني في «الكبير» رقم (٨٩٨٧) وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢٠٣، ٢٧٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» =

قاله الحافظ الذهبي، قال: وله طرق[١].

وعن العباس بن عبدالمطلب، قال: قال رسولُ الله ﷺ «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «بينهما مسيرةُ خمسمائة سنة، ومن كلِّ سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكِثفُ كلِّ سماء مسيرةُ خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر. بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيءٌ من أعمال بني آدم». أخرجه أبوداود وغيره[٢].

ش: قوله: (ولمسلم عن ابن عمر). الحديث. كذا في رواية مُسلم. [٣] وقال الـحُميدي: وهي أتم[٣]، وهي عند مسلم من حديث سالم، عن أبيه.

وأخرجه البخاري، من حديث عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: «إنَّ الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماء بيمينه» وأخرجه مسلم، من

= (٥٠٧) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (٦٥٩) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٨٦): ورجاله رجالُ الصحيح.

(١) الذهبي، «العلو للعلي الغفار» (٦٤).

(٢) أبو داود في «السنن» رقم (٤٧٢٣)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٣١٧) وقال: هذا حديثٌ حسن غريب، وابن ماجة في «السنن» رقم (١٩٣) وأحمد في «المسند» (١/٢٠٦، ٢٠٧) وعثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٧٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (رقم ١٤٤) وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢٠٤)، وابن مندة في «التوحيد» رقم (٢١) والأجري في «الشريعة» (٢٩٢) والحاكم في «المستدرك» (٢/٢٨٨) وصححه، وأبو نُعيم في «أخبار اصبهان» (٢/٢)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١)، وأخرجه من حديث أبي هريرة: الترمذي في «الجامع» رقم (٣٢٩٤)، وأحمد في «المسند» (٢/٣٧٠) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٧٨) وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢٠١) وابن أبي حاتم، والبزار كما في «تفسير ابن كثير» (٨/٣٣).

(٣) مابينهما معلَّقٌ في هامش الاصل.

حديث عبيد الله بن مُقسّم .

قلتُ : وهذه الأحاديث وما في معناها ، تدلُّ على عظمة الله وعظيم قدرته وعِظم مخلوقاته . وقد تعرَّف سبحانه وتعالى إلى عباده بصفاته ، وعجائب مخلوقاته .

وكلها تُعرِّف وتدل على كماله وأنَّه هو المعبود وحده ، لا شريك له في ربوبيته وإلهيتـه . وتدل على إثبات الصفات على مايليق بجلال الله وعظمته ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل . وهذا هو الذي دل عليه نصوصُ الكتاب والسُّنة ، وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان ، واقتفى آثارهم على الإسلام والإيمان .

وتأمَّل ما في هذه الأحاديث الصحيحة ، من تعظيم النبي ﷺ ربَّه بذكر صِفات كمالـه على مايليق بعـظمته وجلاله ، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته .

وتأمَّل مافيها من إثبات علو الله على عرشه ، ولم يقل النبيُّ ﷺ في شيء منها : إنَّ ظاهرها غيرُ مراد ، أو أنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه . فلو كان هذا حقاً بلَّغه أمينُه أمتَّه ؛ فإنَّ الله أكمل له الدين وأتمَّ به النعمة ، فبلَّغ البلاغ المبين . صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى أصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

وتلقَّى الصحابةُ رضي الله عنهم عن نبيهم ﷺ ماوصف به ربَّه ، من صفات كماله ونعوت جلاله . فآمنوا به ، وآمنوا بكتاب الله وما تضمَّنه من صفات ربهم جل وعـلا ؛ كما قال تعالى : ﴿والرَّاسِخُون في العِلْم يَقُولُـون آمَنَّا بـه كُلٌّ مـن عنْـدِ رَبِّنـا﴾ [آل عمران : ٧] .

وكذلك التابعون لهم بأحسان وتابعوهم ، والأئمةُ من المحدثين والفقهاء : كلهم وصفـوا[١] الله بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ﷺ . ولم يجحدوا شيئاً من

---

(١) (هـ)(ط) : وصف .

الصفات، ولا قال أحدٌ منهم: إنَّ ظاهرها غير مراد، ولا إنه يلزم من إثباتها التشبيه. بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، وصنَّفوا في ردِّ هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة، الموجودة بأيدي أهل السُّنة والجماعة.

[١٨/أ] قال شيخُ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: وهذا/ كتابُ الله من أوله إلى آخره، وسُنة رسوله ﷺ، وكلامُ الصحابة والتابعين، وكلامُ سائر الأئمة مملوء[1] بما هو نصٌّ، أو ظاهر: أنَّ الله تعالى فوق كلِّ شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات، مستوٍ على عرشه، مثل قوله تعالى: ﴿إليه يصعدُ الكَلِمُ الطيِّبُ والعَمَلُ الصالح يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿إذ قال الله ياعيسى إنِّي مُتوفِّيك ورافعُك إليَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعهُ الله إليْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقوله تعالى: ﴿ذي المعارج • تعْرُجُ الملائِكَةُ والرُّوحُ إليه﴾. [المعارج: ٣ - ٤].

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأمْرَ من السماء إلى الأرضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إليه﴾ [السجدة: ٥] وقوله تعالى: ﴿يخافُون ربَّهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥].

وقوله تعالى: ﴿هُو الذي خلَقَ لكم مافي الأرض جميعاً ثُمَّ استوى إلى السماء فسوّاهُنَّ سَبْعَ سموٰات﴾ [البقرة: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إنَّ ربَّكُمُ الله الذي خَلَقَ السمواتِ والأرضَ في ستة أيام ثُمَّ استوى على العرش يُغشي الليلَ النهار يَطْلُبُه حثيثاً والشمسَ والقمر والنُّجوم مُسخَّرات بأمْرِه ألا له الخَلْقُ والأمْرُ تبارك الله ربُّ العالمين﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿إنَّ ربَّكُم الله الذي خلق السموات والأرض في ستَّة أيام ثُمَّ استوى على العرش يُدبِّرُ الأمر ما مِنْ شَفِيعٍ إلاَّ من بَعْدِ إذْنِهِ ذلكم الله ربكم

---

(١) (ط): مملوءة كلها.

فاعبدوه أفلا تذكَّرون﴾ [يونس: ٣] فذكر التوحيدين في هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿الله الذي رفع السموٰات بغيرِ عَمَدٍ ترونها ثم استوى على العرش﴾ [الرعد: ٢].

وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأرضَ والسموٰات العُلى • الرحمنُ على العَرْشِ استوى﴾ [طه: ٤ ـ ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَتَوكَّلْ على الحيِّ الذي لا يَموتُ وسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً • الذي خَلَقَ السَّموٰات والأرْضَ وما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى على العَرْشِ الرَّحْمٰنُ فاسأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٨ ـ ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿الله الذي خلق السمواتِ والأرْضَ وما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى على العَرْشِ ما لَكُم من دُونه من وَليٍّ ولا شفيع أفلا تتذكَّرون • يُدبِّرُ الأمْرَ مِن السماء إلى الأرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إليهِ في يَوْمٍ كان مِقْدَارُهُ ألف سنةٍ مِمَّا تَعُدُّون﴾ [السجدة: ٤ ـ ٥].

وقوله: ﴿هُوَ الذي خلقَ السمواتِ والأرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى على العرش يَعْلم ما يَلِجُ في الأرْضِ وما يَخْرُجُ مِنْها وما يَنْزِلُ مِن السماء وما يَعْرُجُ فيها وهو مَعَكُم أَيْنَما كُنْتُم والله بما تَعْمَلُون بصير﴾ [الحديد: ٤] فذكر عمومَ علمه وعموم قدرته، وعموم إحاطته وعموم رؤيته.

وقوله: ﴿أَأَمِنْتُم من في السَّماء أَنْ يَخْسِفَ بكُمُ الأرْض فإذا هي تَمُورُ • أم أَمِنْتُم من في السماء أنْ يُرْسِلَ عليْكُم حاصِباً فستعلمون كيف نذير﴾ [الملك: ١٦ ـ ١٧].

وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ من حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [الجاثية: ٢].

وقوله تعالى: ﴿وقال فِرْعَوْنُ يا هَامَانُ ابن لي/ صرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأسْباب • [١٨٦/ ب]

أسباب السموات فأطَّلِعَ إلى إله مُوسى وإنِّي لأظُنُّهُ كاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧]. انتهى كلامهُ رحمه الله[١].

قلتُ: وقد ذكر الأئمةُ رحمهم الله تعالى ـ فيما صنَّفوه في الرد على نُفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونحوهم ـ أقوالَ الصحابة والتابعين:

فمن ذلك: ما رواه الحافظُ الذهبي في (كتاب العلو)، وغيره ـ بالأسانيد الصحيحة ـ عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، أنها قالت في قوله تعالى: ﴿الرحمنُ على العَرْش استوى﴾ قالت: الاستواءُ غيرُ مجهول والكيف غير معقول، والاقرار به إيمان، والجحود به كفر. رواه ابنُ المنذر، واللالكائي، وغيرُهما بأسانيد صحاح[٢].

قال: وثبت عن سُفيان بن عيينة، أنه قال: لما سُئل ربيعةُ ابن أبي عبدالرحمن: كيف الاستواء؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيفُ غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق[٣].

وقال ابنُ وهب: كُنَّا عند مالك، فدخل رجلٌ، فقال: يا أبا عبدالله ﴿الرحمنُ على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك، وأخذته الرُّحَضاء[٤]، وقال: الرحمن على العرش استوى، كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف؟ وكيف عنه

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى» (٥/١٢) وما بعدها. ونقله ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (٩٦).

(٢) الذهبي في كتاب «العلو للعلي الغفار» (٦٥)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (٦٦٣)، وأخرجه ابن مردويه في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٣/٤٧٣) قال ابنُ تيمية رحمه الله تعالى في «الفتاوى» (٥/٣٦٥): ليس إسناده مما يُعتمد عليه.

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء الصفات» (٥١٦) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (٦٦٥)، قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى في «الفتاوى» (٥/٣٦٥): ثابتٌ عن ربيعة.

(٤) الرُّحضاء: عَرَق المحموم. «غريب الحديث» الخطابي (٢/٥٨٢).

مرفوع. وأنت صاحب بدعة، أخرجوه. رواه البيهقي بإسناد صحيح، عن ابن وهب[١].

ورواه عن يحيى بن يحيى أيضاً، ولفظُه، قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[٢].

قال الذهبي: فانظر إليهم، كيف أثبتوا الاستواء لله، وأخبروا أنه معلومٌ لا يحتاج لفظه إلى تفسير، ونفوا عنه الكيفية.

قال البخاري في (صحيحه): قال مُجاهد ﴿استوى﴾ علا على العرش[٣].

وقال إسحاق بن راهوْيه: سمعتُ غيرَ واحدٍ من المفسرين، يقول ﴿الرحمنُ على العرش استوى﴾ أي: ارتفع[٤].

وقال محمد بن جرير الطبري، في قوله تعالى: ﴿الرحمنُ على العرش استوى﴾ أي: علا وارتفع[٥].

وشواهدُه في أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، فمن ذلك: قولُ عبدالله بن رواحة رضي الله عنه:

شهـدتُّ بأنَّ وعـد الله حقٌّ ... وأنَّ النـار مثـوى الكـافـرينا
وأنَّ العـرش فوق المـاء طاف ... وفـوقَ العـرش ربُّ العـالمينـا

---

(١) البيهقي في «الأسماء والصفات» (٥١٦)، وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٥٥) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (٦٦٤) قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٦): إسنادهُ جيد.

(٢) البيهقي في «المصدر السابق».

(٣) البخاري في «الصحيح» (١٣/ ٤٠٣).

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (٦٦٢).

(٥) ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٦/ ١٣٨).

وتحـمـلـه ملائـكـةٌ شداد ملائـكـة الإلـه مسـوَّمـيـنـا[(١)]

وروى الـدارميُّ، والحاكم، والبيهقي بأصح إسناد، إلى علي بن الحسن بن شَقيق، قال: سمعتُ ابن المبارك يقول: نعرف ربَّنا بأنه فوق سبع سمواته، على العرش استوى، بائن من خلقه. لا نقول كما قالت الجهمية[(٢)].

قال الـدارمـي: حدثـنـا حسـن بن الـصبـاح البـزار، حدثـنـا علي بن الحسن بن شقيق/، عن ابن المبارك: قيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق السماء السابعة، على العرش بائنٌ من خلقه[(٣)]. [١٨/أ]

وقد تقدم قولُ الأوزاعي: كنَّا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إنَّ الله تعالى ذِكرُه فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السُّنة[(٤)].

وقـال أبو عمر الطَّلَمَنْكي[(٥)] في كتاب (الأصول): أجمع المسلمون من أهل السُّنة، على أنَّ الله استوى على عرشه بذاته.

وقال في هذا الكتاب أيضاً: أجمع أهل السُّنة، على أنَّ الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة، لا على المجاز. ثم ساق بسنده، عن مالك، قوله: الله في السماء، وعلمُه في كلِّ مكان.

ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السُّنة، أنَّ معنى قوله: ﴿وهو

---

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٧)، والذهبي في «سير النبلاء» (١/ ٢٣٨).

(٢) الـدارمي في «الـرد على الجهمية» (٢٣)، وأخرجه عبدالله بن حنبل في «السنة» رقم (٢٢، ٥٩٨)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٨) وصححه ابن تيمية في «الحموية» (٤١).

(٣) الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٣).

(٤) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٥١٥) بسند جيد، كما قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٦).

(٥) أحمد بن محمد بن عبدالله المعافري الأندلسي، حافظ محدث إمام ت (٤٢٩هـ) «سير النبلاء» (١٧/ ٥٦٦).

معَكُم أَيْنَما كُنْتُم﴾ ونحو ذلك من القرآن: أنَّ ذلك علمه، وأنَّ الله فوق السمٰوات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء. وهذا لفظُه في كتابه[١].

وهذا كثيرٌ في كلام الصحابة، والتابعين والأئمة: أثبتوا ما أثبته الله في كتابه وعلى لسان رسوله على الحقيقة، على مايليق بجلال الله وعظمته، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين. ولم يمثِّلوا ولم يكيِّفوا، على[٢] ماذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب.

وقال الحافظ الذهبيُّ: وأول وقت سُمعت مقالة من أنكر أنَّ الله تعالى فوق العرش: هو الجعد بن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات. فقتله خالد بن عبدالله القسري، وقصته مشهورة[٣].

وأخذ عنه هذه المقالة: الجهم بن صفوان، إمامُ الجهمية. فأظهرها واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين. فأنكر مقالته أئمةُ ذلك العصر، مثل الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحمَّاد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدى.

فقال الأوزاعيُّ، إمام أهل الشام على رأس الخمسين ومائة عند ظهور هذه المقالة: ما أخبرنا عبد الواسع الأبهري بسنده، إلى أبي بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرني محمد بن علي الجوهري ـ ببغداد ـ حدثنا إبراهيم بن الهيثم، حدثنا محمد بن كثير المصيصي، سمعتُ الأوزاعي يقول: كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إنَّ الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السُّنة من صفاته. أخرجه البيهقيُّ في (الصفات)، ورواته أئمة ثقات[٤].

---

(١) نقله ابن القيم في «اجتماع الجيوش الاسلامية» (١٤٢).

(٢) (ض)(هـ)(ط): كما.

(٣) ينظر: «تاريخ ابن كثير» (١٠/٢١).

(٤) مضى تخريجه.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: لله أسماءٌ وصفات، لا يسع أحداً ردُّها. ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأمَّا قبل قيام الحجة فإنه يُعذر بالجهل. ونُثبت هذه الصفات/، وننفي عنه التشبيه؛ كما نفى عن نفسه، فقال: ﴿لَيْس كَمِثْلِهِ شيء﴾ [الشورى: ١١] انتهى من (فتح الباري)[1]. [١/ب]

قوله: (وعن العباس بن عبدالمطلب)، ساقه الـمُصنِّفُ مختصراً، والذي في (سنن أبي داود): عن العباس بن عبدالمطلب، قال: كنتُ في البطحاء، في عصابة فيهم رسول الله ﷺ. فمرَّت بهم سحابة، فنظر إليها، فقال: «ما تُسمُّون هذه؟» قالوا: السحاب، قال: «والـمُـزن». قالوا: والمزن، قال: «والعَنَان» قالوا: والعَنَـان ـ قال أبوداود: لم أتقن العنان جيداً ـ قال: «هل تدرون ما بُعْدُ مابين السماء والأرض؟» قالوا: لا ندري، قال: «إنَّ بُعد ما بينهما إمَّا واحدة، أو اثنتان، أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك» حتى عدَّد سبع سماوات. «ثم فوق السابعة بحرٌ، بين أسفله وأعلاه مثل مابين سماء إلى سماء. ثم فوق ذلك ثمانيةُ أوعال، بين أظلافهم وركُبهم مثل مابين سماء إلى سماء. ثم على ظهورهم العرش، بين أسفله وأعلاه، كما بين سماء إلى سماء. ثم الله تبارك وتعالى، فوق ذلك».

وأخرجه الترمذي، وابن ماجة، وقال الترمذي: حسنٌ غريب، وقال الحافظ الذهبي: رواه أبوداود بإسناد حسن[2].

وروى الترمذيُّ نحوه، من حديث أبي هريرة، وفيه «بُعْدُ مابين سماءٍ إلى سماء خمسمائة عام»[2] ولا مُنافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام، هو على سير القافلة مثلاً، ونيِّف وسبعون سنة على سير البريد. لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين

---

(١) ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧).

(٢) مضى تخريجه في أول الباب.

مصر عشرون يوماً باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد. وروى شَريكٌ بعض هذا الحديث، عن سماك فوقفه. هذا آخرُ كلامه[١].

قلتُ: فيه التصريح بأنَّ الله فوق عرشه، كما تقدَّم في الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة، وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

وهذا الحديث له شواهدُ في (الصحيحين) وغيرهما، ولا عبرة بقول من ضعَّفه؛ لكثرة شواهده التي يستحيل دفعُها، وصرفها عن ظواهرها.

وهذا الحديثُ كأمثاله: يدلُّ على عظمة الله وكماله، وعظيم مخلوقاته، وأنَّه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسوله ﷺ.

وعلى كمال قدرته، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له، دون كلِّ ماسواه.

وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيد الـمُرسلين وإمام المتقين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. تم كتابُ (فتح المجيد) بعون الملك الحميد[٢].

---

(١) الذهبي في «العلو للعلي الغفار». (   )

(٢) في (ط): والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. كمل مقابلةً وتصحيحاً وقراءة، على يد شيخنا العلامة الـمُحقق الفهامة بقية أهل الاستقامة، الشيخ عبدالله بن الشيخ حسن آل الشيخ متع الله بحياته سنة ١٣٦٢هـ.



الفهـارس العامـة

١ ـ فهرس الايات الكريمة.

٢ ـ فهرس الاحاديث المسندة.

٣ ـ فهرس المسائل الأصولية.

٤ ـ فهرس المسائل الفقهية.

٥ ـ فهرس الموضوعات الرئيسة.



١ ـ فهرس الآيات الكريمة

الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحـــــة
ســـورة الفاتحـــة		
إياك نعبد وإياك نستعين	٥	٣٢١، ٥٨٧، ٧٧٣
ســـورة البقـــرة		
ألم . ذلك الكتاب .	١ ـ ٢	٦٨٠
وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا :	١١	٦٥٩
ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم .	٢١ ـ ٢٢	٨٦، ١٧٩، ٢١٧، ٦٨٧
فاتقوا النار التي وقودها الناس .	٢٤	١٣٥
هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعا .	٢٩	٨٤٨
وإياي فارهبون .	٤٠	٥٧٣
ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا .	٤٢	٣٤٧
فبدَّل الذين ظلموا قولاً غير الذي .	٥٩	٨٣٨
وإن منها لما يهبط من خشية الله .	٧٤	٣٤٩
بلى من كسب سيئة وأحاطت به .	٨١	٧٧١
أفتؤمنون ببعض الكتاب .	٨٥	٦٧٨، ٧٩١
وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا .	١٠٢	٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥
ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم .	١٢٩	٤٢٣
قل أأنتم أعلم أم الله	١٤٠	٣٠٨
وماكان الله ليضيع إيمانكم	١٤٢	٦٦٤

وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم .	١٥٥ ـ ١٥٧	٦٠٤، ٦١١
وإلهكم إله واحد لا إله إلاَّ هو.	١٦٣	٨١، ١٢١
ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً .	١٦٥	٨٤، ٢١٤، ٥٥٣
إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين .	١٦٦ ـ ١٦٧	٢١٥، ٢١٦، ٥٧٠
وماأهل به لغير الله	١٧٣	٢٧٠
ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل .	١٧٧	٦٦٥، ٦٩٧، ٧٥٨
وإذا سألك عبادي عني فإني .	١٨٦	٣٢٠
وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير.	٢١٦	٦١١
والفتنة أكبر من القتل .	٢١٧	٦٤٧
إن الذين آمنوا والذين هاجروا .	٢١٨	٥٩٩
ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم .	٢٢٤	٨١٧
من ذا الذي يشفع عنده إلاَّ بإذنه .	٢٥٥	٣٥٥
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله .	٢٥٦	٨٨، ١٩٠، ٢٢١، ٦٥٧
ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيِّبات .	٢٦٧ـ٢٦٨	٧٥٨
وماأنفقتم من نفقة أو نذرتم من .	٢٧٠	٢٨٧
ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي .	٢٧٢	٣٦٣
الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاَّ .	٢٧٥	٤٧٢

سورة ال عمران

ألم . الله لا إله إلا هو	١ـ٢	٦٨٠
هو الذي أنزل عليك الكتاب منه .	٧	٦٧٨، ٨٤٧
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني .	٣١	٥٥٥
ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ .	٥٥	٨٤٨

إن مثل عيسى عند الله كمثل .	٥٩	١٣١ ،
قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة .	٦٤	٨٠ ، ٢٠٢
ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة .	٨٠	٢١١ ،
ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك .	٩١	٧٥
ليس لك من الأمر شيء .	١٢٨	٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤
ثم أنزل عليكم من بعد الغمّ .	١٥٤	٧٦٥ ، ٧٦٧ ، ٧٧٧
لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث .	١٦٤	٤٢٣
الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا .	١٦٨	٧٦٦
الذين قال لهم الناس إن الناس قد .	١٧٣ـ١٧٥	٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٩١ ، ٥٩٤
كف نفس ذائقة الموت .	١٨٥	٣٠٨
وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن .	١٩٩	٢١٣

ســــورة النســـاء

إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما .	١٠	٤٧٢
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً .	٣٦	٩٤
إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن .	٤٠	٧١٧
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر .	٤٨ ، ١١٦	١٧٣ ، ٧٩٨
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من .	٥١	٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٦٦
فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله .	٥٩	٦٤٤ ، ٧١٦
ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا .	٦٠ـ٦٢	٦٥٥ ، ٦٦٧
وماأرسلنا من رسول إلاَّ ليطاع .	٦٤	٨٦
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك .	٦٥	٦٤٧ ، ٦٥٧ ، ٦٦٣

وإن تصبهم حسنة يقولوا: هذه.	٧٨-٧٩	٥٢٥، ٧٧١
من يطع الرسول فقد أطاع الله.	٨٠	٥٦٤
فتحرير رقبة مؤمنة.	٩٢	٦٦٤
ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه.	٩٣	٤٧٠
وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل.	١١٣	٦٩٥
ومن يشاقق الرسول من بعد.	١١٥	٣٠٧، ٦٦١، ٧٤٣
ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه.	١٢٥	٣٥٨
وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا.	١٤٢	٦١٩
بل رفعه الله إليه.	١٥٨	٨٤٨
ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم.	١٧١	٣٧١
لن يستنكف المسيح أن يكون	١٧٢	١٣١

سورة المائدة

وطعام الذين أوتوا الكتاب.	٥	٢٧١
ولا يجرمنكم شنآن قوم على.	٨	٩٩
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل.	١١	٥٩٣
وعلى الله فتوكلوا إن كنتم.	٢٣	٥٨٧
إنَّما يتقبل الله من المتقين.	٢٧	٦٢٩
فلا تخشوا الناس واخشون.	٤٤	٥٧٣
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً.	٤٨	٩٠
وأن احكم بينهم بما أنزل الله.	٤٩	٦٥٧
أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن.	٥٠	٦٦١

ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم .	٥٤	٥٥٥
قل هل أنبئكم بشر من ذلك .	٦٠	٤٣٩
إنه من يشرك بالله فقد حرَّم الله .	٧٢	٢٧٦
ماالمسيح ابن مريم إلَّا رسول قد .	٧٥	٣٧٢
قل أتعبدون من دون الله مالا يملك .	٧٦	٣٠١
وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى .	٨٣	٢١٣
ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم .	٨٩	٨١٧، ٨٠٩
وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم .	١١٦-١١٧	٨٠٤، ٣٣٨

سورة الأنعام

الحمد لله الذي خلق السموات .	١	٦٠٠، ٥٥٥، ١٧٣
قل أرأيتم إن أتاكم عذاب .	٤٠-٤١	٣٠٢
قل لا أقول لكم عندي خزائن .	٥٠	٦٩٣
وأنذر به الذين يخافون أن .	٥١	٣٦٢، ٣٥٣
قل من ينجيكم من ظلمات البر.	٦٣-٦٤	٣١٦، ٣٠٩
قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا .	٧١	٣٠٢
الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم .	٨٢	٢١٦، ١١٣
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم .	٩٤	٨٣
وهو الذي جعل لكم النجوم .	٩٧	٥٢٩
ولا تأكلوا مما لم يُذكر اسم الله عليه .	١٢١	٦٥٣، ٢٩١، ٢٧١، ٢١١
ويوم يحشرهم جميعاً يامعشر الجن .	١٢٨	٤٨٧، ٢٩٧
وجعلوا لله ممَّا ذرأ من الحرث .	١٣٦	٢٨٨

قل فلله الحجة البالغة فلو شاء .	١٤٩	٣٣٩
قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم .	١٥١ـ١٥٣	٩٤، ١٠٣، ٤٦٧، ٦٧٩
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها .	١٦٠	٧٧١
قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي .	١٦٢ـ١٦٣	٢٦٥، ٢٩١
قل أغير الله أبغي ربّاً .	١٦٤	٨٣٩

سورة الأعراف

اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا .	٣	٤٥٢، ٦٤٩
إنهم اتخذوا الشياطين أولياء .	٣٠	٣٣٨
فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا .	٣٧	٦٩٢
إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض .	٥٤	٣٠٧، ٤٦١، ٨٤٨
ادعوا ربكم تضرّعاً وخفية إنه لا يحب .	٥٥ـ٥٦	٣٠٢، ٣٠٣، ٣٢٠، ٦٦٠
وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال .	٦٥	١٢١
أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر .	٧٠	١٢٢، ١٢٤
أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا .	٩٦ـ٩٩	٥٩٧
فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون .	١١٨	٥٠٢
ويذرك وآلِهتك .	١٢٧	٧٣
ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين .	١٣٠	٤٤٧
فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه .	١٣١	٥٠٦
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا .	١٣٨	٢٥٩، ٢٦٢، ٢٨٩
ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق .	١٥٩	٢١٣
وبلوناهم بالحسنات والسيئات .	١٦٨	٧٠٨

ألست بربكم . قالوا : بلىٰ .	١٧٢	١٣٣
ولله الأسماء الحسنى فادعوه .	١٨٠	٧٣٩
قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً .	١٨٨	٣٢٦، ٣٢٤
هو الذي خلقكم من نفس واحدة .	١٨٩	٧٣٣
فلمّا آتاهما صالحاً جعلا له شركاء .	١٩٠	٧٣٧، ٧٣١
أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم .	١٩١-١٩٢	٣٢٥

ســـورة الأنفـــال

إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله .	٢	٥٨٩
إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم .	٩	٣١٦
وماكانوا أولياءه إن أولياؤه إلّا .	٣٤	٣٧٧
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون .	٣٩	٥٤٠، ٢٢١
وإن يريدوا أن يخدعوك فإنَّ .	٦٢	٥٩١
ياأيها النبيّ حسبك الله ومن .	٦٤	٥٩١

ســـورة التوبـــة

فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم .	٥	٢٢١
إنما يعمر مساجد الله من آمن .	١٨	٥٧٥
قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم .	٢٤	٥٥٩
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً .	٣١	٦٥٢، ٦٤٩، ٦٤٣، ٢١٠
ومنهم من يلمزك في الصدقات .	٥٨	٦٣٢
وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله .	٥٩	٥٩٢
أبالله وآياته ورسوله كنتم .	٦٥-٦٦	٧٢٠، ٧١٩

فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم .	٧٨	٥٨٦
والذين اتخذوا مسجداً ضراراً .	١٠٧	٢٨٠
لا تقم فيه أبداً ، لمسجد أسس على .	١٠٨	٢٧٩
ماكان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا .	١١٣	٣٦٤، ٣٦٨، ٣٦٩
إنه بهم رؤوف رحيم .	١١٧	٧٧
ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا .	١١٩	٦٩٧
فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً .	١٢٤	٦٦٤
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز .	١٢٨ـ١٢٩	٤٢٣

ســورة يونــس

إن ربكم الله الذي خلق السموات .	٣	٨٤٨
وإذا مس الإنسان الضرّ دعانا .	١٢	٣١٦
ويعبدون من دون الله مالا يضرهم .	١٨	٨٣، ٣٠٤، ٣١٠، ٣٣٧، ٣٥٤
ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين .	٢٨ـ٣٠	٣٢٨، ٦٥٦
فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به .	٨١ـ٨٢	٥٠٢
وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله .	٨٤	٥٨٧، ٥٨٨
ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا .	١٠٦ـ١٠٧	٢٤٥، ٣٠٢، ٣١١

ســورة هــود

من كان يريد الحياة الدنيا .	١٥ـ١٦	٦٢٥، ٦٢٦
أن لا تعبدوا إلاَّ الله .	٢٦	١٩١
بسم الله مجريها .	٤١	٧١
إن نقول إلاَّ اعتراك بعض آلهتنا بسوء .	٥٤ـ٥٦	٢٢٩، ٥٧٤

سورة يوسف

الآية	رقمها	الصفحة
واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق .	٣٨	٣٩٠
إن الحكم إلَّا لله أمر إلَّا تعبدوا إلَّا إيَّاه .	٤٠	٣٢٦
ثم أذن مؤذن أيتها العير.	٧٠ـ٧٢	٦٥٩
إنه لا ييأس من روح الله إلَّا .	٨٧	٥٩٩
وماأكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين .	١٠٣	٣٦٣
وما يؤمن أكثرهم بالله إلَّا وهم .	١٠٦	٨٣، ٢٣٦، ٢٣٧
قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على .	١٠٨	١٨٣

سورة الرعد

الآية	رقمها	الصفحة
الله الذي رفع السموات بغير عمد .	٢	١٩١، ٨٤٩
له دعوة الحق والذين يدعون من .	١٤	٣٠٢
كذلك أرسلناك في أمة قد .	٣٠	٦٧١، ٦٨١

سورة إبراهيم

الآية	رقمها	الصفحة
أفي الله شك فاطر السموات والأرض .	١٠	١٩١
كرماد اشتدت به الريح في .	١٨	٥٧٥
وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها .	٣٤	٤٤١
واجنبني وبني أن نعبد الأصنام .	٣٥	١٧٥
ربِّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس .	٣٦	١٧٦
وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب .	٤٤	٣٣٦

سورة الحجر

الآية	رقمها	الصفحة
قال أبشرتموني على أن مسني .	٥٤	٥٩٩
ومن يقنط من رحمة ربه إلَّا .	٥٦	٥٩٨

ســورة النحــل

يخافون ربهم من فوقهم .	٥	٨٤٨
وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم .	١٥-١٦	٥٢٩ ، ٥٣٠
أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت .	٣٦	٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠
يخافون ربهم من فوقهم .	٥٠	٥٧٣
وقال الله لا تتخذوا إلهين .	٥١	٨١
ومابكم من نعمة فمن الله ثم .	٥٣-٥٤	٢٣٠ ، ٧٥٣
أإله مع الله .	٦١-٦٤	٣٠٧
ويعبدون من دون الله ما لايملك .	٧٣	٣٢٧
يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها .	٨٣	٥٤٤ ، ٦٨٣
تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة .	٨٩	١٠٥
وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم .	٩١	٨١٧
قل نزله روح القدس من ربك بالحق .	١٠٢	٥٥٠
إن إبراهيم كان أمة .	١٢٠	١٥٥
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة .	١٢٥	١٨٥

ســورة الاســراء

إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم .	٧	٧٧١
من كان يريد العاجلة عجّلنا له .	١٨	٦٢٦
وقضى ربك ألاَّ تعبدوا إلاَّ إيَّاه .	٢٣	٩٠ ، ٦٧٩
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة .	٢٤	٩٠
تسبح له السموات السبع والأرض .	٤٤	٣٤٩
قل ادعوا الذين زعمتم من دونه .	٥٦	٢٠٥ ، ٣١٥

أولئك الذين يدعون يبتغون إلى .	٥٧	٢٠٥، ٥٥٦
قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً .	١١٠	٣١٩، ٦٧١، ٦٨٢

سورة الكهف

قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن .	٢١	٤٤٢
قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ .	١١٠	٦١٧

سورة مريم

ربّ إني وهن العظم مني واشتعل .	٤	٣٠٣
فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من .	٢٩-٣٦	١٣١
وجعلني مباركاً أينما كنت .	٣١	٤٦١
وأعتزلكم وماتدعون من دون .	٤٨-٤٩	١٥٦، ٣٠٣
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا .	٨١-٨٢	٣٢٨
تكاد السموات يتفطرن منه .	٩٠	٣٤٩
إن كل من في السموات والأرض إلَّا آتي .	٩٣-٩٥	٣٥٢، ٧٣٥، ٧٥٦

سورة طه

تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات .	٤-٥	٨٤٩
الرحمن على العرش استوى .	٥	٧٧، ٨٥٠، ٨٥١
فما بال القرون الأولى .	٥١	٣٦٦
إنَّما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح .	٦٩	٤٦٤، ٤٨١، ٥٠٣
يومئذ لا تنفع الشفاعة إلَّا من أذن .	١٠٩	٣٥٥

سورة الأنبياء

وماأرسلنا من قبلك من رسول .	٢٥	٨٩، ١٢١، ٢٦٦، ٦١٨
بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه .	٢٦-٢٩	٣٥١، ٣٥٥، ٣٥٨، ٥٧٣

ونبلوكم بالشر والخير فتنة .	٣٥	٧٠٨
ماهذه التماثيل التي أنتم لها .	٥٢	٢٦٠، ٢٨٩
قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم .	٦٨ـ٧٠	٥٩٥

سورة الحج

يدعون من دون الله مالا يضره .	١٢ـ١٣	٤٥٠
ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ.	٣١	٥٨٨، ٧٩٨
ذلك بأن الله هو الحق وأن ما .	٦٢	١٢٢، ١٢٤، ٣١٢
قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار.	٧٢	٤٤٠
واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم .	٧٨	٥٩٤

سورة المؤمنون

أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره .	٣٢	١٢٣، ١٩١
إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون .	٥٧ـ٥٩	١٥٧
والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة .	٦٠ـ٦١	٦٠٢
قل لمن الأرض ومن فيها إن .	٨٤ـ٨٩	٨٣
مااتخذ الله من ولد وما كان .	٩١	١٣١
ادفع بالتي هي أحسن السيئة .	٩٦ـ٩٨	٧٦٠
ومن يدع مع الله إلهاً آخر.	١١٧	٨١، ٣١٢

سورة النور

يخافون يوماً تتقلب فيه .	٣٧	٦٠٢
كسراب بقيعة يحسبه الظمآن .	٣٩	٥٧٥
ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا .	٤٧ـ٥١	٥٦١، ٧٢٢
فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن .	٦٣	٦٤٦

سورة الفرقان

واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون .	٣	٣٢٦، ٤٥٠
ويوم يحشرهم ومايعبدون من دون الله .	١٧ـ١٨	٣١٥، ٨٠٣
فقد كذبوكم بما تقولون .	١٩	٨٠٣
وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه .	٢٣	٥٧٢
أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقرّاً .	٢٤	٤٤٢
أرأيت من اتخذ إلهه هواه .	٤٣	٦٦٥
وتوكل على الحي الذي لا يموت .	٥٨ـ٥٩	٨٤٩
والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر.	٦٨ـ٧٠	٩٧، ٤٧١
والذين يقولون ربنا هب لنا .	٧٤	١٨٧

سورة الشعراء

قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين .	٧١	٤٣٧
يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاَّ من .	٨٩	١٥١
تالله إن كنا لفي ضلال مبين .	٩٧ـ٩٨	٥٥٥، ٦٩٤
فلا تدع مع الله إلهاً آخر، فتكون من .	١٢٣	٣١٢
وماتنزّلت به الشياطين .	٢١٠ـ٢١٢	٥٤٨
وأنذر عشيرتك الأقربين .	٢١٤	٣٣٥، ٣٣٦
واخفض جناحك لمن اتبعك من .	٢١٥ـ٢١٧	٤٢٥

سورة النمل

أمَّن خلق السموات والأرض .	٦٠ـ٦١	٣٢١
أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه .	٦٢	٣٠٩، ٣٢١
أمَّن يهديكم في ظلمات البر والبحر.	٦٣ـ٦٤	٣٢١

سورة القصص

فخرج منها خائفاً يترقَّب .	٢١	٥٧٤
فإن لم يستجيبوا لك فاعلم .	٥٠	٦٥٤، ٦٦٣، ٦٦٦
إنك لا تهدي من أحببت ولكن .	٥٦	٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٩
تبرَّأنا إليك ماكانوا إيَّانا .	٦٣	٢١٥
إذ قال له قومه لا تفرح إنَّ .	٧٦ـ٧٨	٧٢٥، ٧٢٦
ولا تدع مع الله إلهاً آخر.	٨٨	٣١٢، ٣٢٦

سورة العنكبوت

ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا .	١٠	٥٧٧
إنما تعبدون من دون الله أوثاناً .	١٧	١٧٦، ٣١٤، ٤٣٧، ٤٥١
وقال إنما اتخذتم من دون الله .	٢٥	٥٧٠
إن الصلاة تنهى عن الفحشاء	٤٥	٥٩١
أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب .	٥١	٦٤٩
ولئن سألتهم من نزل من السماء .	٦٣	٥٤٥
فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله .	٦٥	١٢٩

سورة الروم

وعد الله لا يخلف الله وعده .	٦	١٠٧
وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين .	٤٧	١٠٨

سورة لقمان

يابنيّ لا تشرك بالله إن الشرك .	١٣	١١٤، ٦٠٠
أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير.	١٤	٩١

سورة السجدة

الله الذي خلق السموات والأرض	٤ـ٥	٨٤٨، ٨٤٩
الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ .	٧ـ٩	٧٩٨
ولكن حقَّ القول مني .	١٣	٥٥٠
وجعلنا منهم أئمة .	٢٤	١٨٧

سورة الأحزاب

ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى .	٣٣	٥٣٧
إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين .	٣٥	٦٩٧، ٧٥٩
وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى .	٣٦	٦٦٣
الذين يبلّغون رسالات	٣٩	٥٨١
ماكان محمد أبا أحد من رجالكم .	٤٠	٤٥٧
هو الذي يصلي عليكم وملائكته .	٤٣ـ٤٤	٧٧، ٢٦٩
معلونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا .	٦١	٢٦٩
إن الله لعن الكافرين وأعدّ لهم .	٦٤	٢٦٩
وقالوا ربّنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا .	٦٧	٤٥٠

سورة سبأ

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله .	٢٢ـ٢٣	٣٢٧، ٣٤١، ٣٥٦
وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً .	٣٥	٧٢٦
وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم .	٣٧	٥٣٨
ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول .	٤٠ـ٤١	٢١٥، ٦٥٦، ٨٠٤

سورة فاطر

مايفتح الله للناس من رحمة .	٢	٣١٣، ٥٨٣

هل من خالق غير الله .	٣	٣٠٧
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل .	١٠	٨٤٨
والذين تدعون من دونه مايملكون .	١٣ـ١٤	٣٠٧، ٣١٦، ٣٢٧، ٨٣٣
ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا .	٣٢	١١٦
الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن .	٣٤ـ٣٥	٦٣٧

سورة يس

لتنذر قوماً ماأنذر آباؤهم .	٦	٣٣٦
قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم .	١٩	٥٠٧
أأتخذ من دونه آلهة إن يردن .	٢٣	٣١٠
والقمر قدرناه منازل .	٣٩	٥٣٥
سلام قولاً من رب رحيم .	٥٨	٧٤٨
ألم أعهد إليكم يابني آدم ألَّا .	٦٠ـ٦٢	٣٧٤
إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول .	٨٢	٧٥٣، ٨١٢

سورة الصافات

إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلَّا الله .	٣٥ـ٣٦	٨١، ١٢٧، ٣٦٧
بل جاء بالحق وصدَّق المرسلين .	٣٧	٣٦٧
أتعبدون ماتنحتون .	٩٥	٤٣٧

سورة ص

ذلك ظن الذين كفروا .	٢٧	٧٨٠

سورة الزمر

والذين اتخذوا من دونه أولياء .	٣	١٢٧، ٣٠٤، ٣١٠، ٣٣٧
وأنزل لكم من الأنعام ثمانية .	٦	٥٥٠

إن تكفروا فإن الله غنيٌّ عنكم .	٧	٧٠٠
أمَّن هو قانت آناء الليل ساجداً .	٩	١٥٥، ٥٩٩، ٦٠٢
قل الله أعبد مخلصاً له ديني .	١٤	٣٠٣
ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء .	٢٩	٧٤٩
إنك ميت وإنهم ميتون .	٣٠	٣٠٨
أليس الله بكاف عبده .	٣٦	١٢٩، ٤٨٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٩٤، ٧٣٥
قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله .	٣٨	٢٢٩، ٣١٣
الله يتوفى الأنفس حين موتها .	٤٢	٣٠٨
أم اتخذوا من دون الله شفعاء .	٤٣	٨٣، ٣٥٤
قل لله الشفاعة جميعاً .	٤٤	٨٣، ٣٥٤، ٣٥٥
وإذا ذكر الله وحده اشمأزت .	٤٥	٣٧٧
ثم إذا خوَّلناه نعمة منا قال .	٤٩	٧٢٦
قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم .	٥٣	١٧٥
وماقدروا الله حق قدره والأرض .	٦٧	٨٤١

سورة غافر

وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً .	٣٦ـ٣٧	٨٥٠
وقال ربكم ادعوني .	٦٠	٣١٨
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات .	٨٣	٤٩٨

سورة فصلت

وتجعلون له أنداداً .	٩	٢١٤
ان لا تعبدوا إلا الله .	١٤	١٩١
ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى .	٣٣	١٨٣

ادفع بالتي هي أحسن فإذا .	٣٤ـ٣٥	٧٦٠
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ .	٣٦	٢٩٥
تنزيل من حكيم حميد .	٤٢	٨٤٩
هدىً وشفاء .	٤٤	٢٩٨
لا يسئم الإنسان من دعاء الخير.	٤٩	٣١٦
ولئن أذقناه رحمة منا من بعد .	٥٠	٧٢٥
وإذا مسه الشر فذو دعاءٍ عريض .	٥١	٣١٦

سورة الشورى

وماالختلفتم فيه من شيء فحكمه .	١٠	٧١٦
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.	١١	٧٤٣، ٨٥٤
أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين .	٢١	٢١١
وجزاء سيئة سيئة مثلها .	٤٠	٧٧١
لله ملك السموات والأرض .	٤٩	٣٠٧
وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم .	٥٢	٣٦٣

سورة الزخرف

ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض .	٩	١٢٧
وكذلك ماأرسلنا من قبلك في قرية .	٢٣	١٣٩، ٣٦٦
وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه .	٢٦ـ٢٧	٢٠٨
واسأل من أرسلنا من قبلك .	٤٥	٨١
الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض .	٦٧	٥٦٩
إلَّا من شهد بالحق وهم يعلمون .	٨٦	١٢٠
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله .	٨٧	١٢٧، ٢٠٩

ســورة الجاثيــة

تنزيل من الله العزيز الحكيم .	٢	٨٤٩
وسخر لكم مافي السموات وما .	١٣	١٣٣
ثم جعلناك على شريعة من .	١٨ـ١٩	٤٥٢
وقالوا ماهي إلَّا حياتنا الدنيا .	٢٤	٧٠٥، ٧٠٧

ســورة الأحقــاف

ومن أضل ممَّن يدعوا من دون .	٥ـ٦	٢١٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٨٣٣
إن الذين قالوا ربنا الله ثم .	١٣	١٤٦
ان لا تعبدوا إلا الله	٢١	١٩١
فلو لا نصرهم الذين اتخذوا .	٢٨	٣٥٤

ســورة محمــد

فاعلم أنه لا إله إلَّا الله .	١٩	١٢٠، ١٢٢
فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم .	٢١	٦٩٧
فهل عسيتم إن توليتم أن .	٢٢	٥٣٤
ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط .	٢٨	٦٦٥

ســورة الفتــح

ويعذب المنافقين والمنافقات .	٦	٧٧٧، ٧٧٩
بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول .	١٢	٧٧٨
أشداء على الكفار رحماء بينهم .	٢٩	٥٥٦

ســورة الحجــرات

إن أكرمكم عند الله أتقاكم .	١٣	٥٣٨
لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا .	١٤	٧٦٨

ســورة الذاريـــات

وماخلقت الجن والإنس .   ٥٦   ٨٤

ســورة النجـــم

أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة .   ١٩ـ٢٣   ٢٥٣ـ٤١١

وكم من ملك في السموات لا تغني .   ٢٦   ٣٥٦

فلا تزكوا أنفسكم .   ٣٢   ٤٩٥

ســورة الرحمـــن

ولمن خاف مقام ربه جنتان .   ٤٦   ٥٧٣

ســورة الواقعـــة

فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه .   ٧٥ـ٨٢   ٥٣٥، ٥٤٥

ســورة الحديـــد

هو الذي خلق السموات والأرض .   ٤   ٨٤٩

وأنفقوا مَّما جعلكم مستخلفين فيه .   ٧   ٧٥٨

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع .   ١٦   ٣٧٢

سابقوا إلى مغفرة   ٢١   ١٣٤

ماأصاب من مصيبة في الأرض .   ٢٢ـ٢٣   ٦٠٤، ٧٧٠

ســورة ال[illegible]

لا تجد قوماً يؤمنون بالله .   [illegible]   ٥٦٨

ســورة الحشــر

ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم .   ٩   ٥٧٠، ٧٥٩

ســورة الممتحنـــة

قد كانت لكم أسوة حسنة .   ٤   ٨١، ١٥٦، ٦٥٦

سورة الصف

فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله . | ٥ | ٦٥١

سورة التغابن

هو الذي خلقكم فمنكم كافر. | ٢ | ٥٤٣
ماأصاب من مصيبة إلَّا بإذن . | ١١ | ٧٧٢،٦٠٤

سورة الطلاق

ومن يتق الله يجعل له . | ٢-٣ | ٥٩٢،٥٨٥،٢٤٦،١٦٨
الله الذي خلق سبع سموات . | ١٢ | ٧٩٣

سورة التحريم

ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم . | ٦ | ٣٣٦
ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين . | ٩ | ٦٦٨

سورة الملك

تبارك الذي بيده الملك وهو. | ١ | ٤٦١
ليبلوكم أيكم أحسن عملاً . | ٢ | ٦٢٢
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح . | ٥ | ٥٢٩
إن الذين يخشون ربهم بالغيب . | ١٢ | ٦٠٢
أأمنتم من في السماء أن يخسف . | ١٦-١٧ | ٨٤٩

سورة القلم

أفنجعل المسلمين كالمجرمين . | ٣٥-٣٦ | ٥٠٧

سورة المعارج

ذي المعارج تعرج الملائكة . | ٣-٤ | ٨٤٨

ســورة نــوح

الآية	رقمها	الصفحة
أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون .	٣	٢٠٣
وقالوا : لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن .	٢٣	٣٧٢

ســورة الجــن

الآية	رقمها	الصفحة
قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر.	١ ، ٢	١٢٨
وأنه كان رجال من الإنس .	٦	٢٩٦
وأن المساجد لله فلا تدعوا .	١٨	٣٠٢، ٦٩٢
قل إنما أدعو ربي ولا أشرك .	٢٠ـ٢١	٣٢٤، ٦٩٢
قل إني لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً .	٢١ـ٢٣	٣٢٦

ســورة المزمــل

الآية	رقمها	الصفحة
ربّ المشرق والمغرب لا إله إلاَّ هو.	٩	٥٨٧

ســورة المدثــر

الآية	رقمها	الصفحة
ويزداد الذين آمنوا إيماناً .	٣١	٦٦٤
كل نفس بما كسبت رهينة .	٣٨	٣٠٨
هو أهل التقوى وأهل المغفرة .	٥٦	١٥٢

ســورة القيامــة

الآية	رقمها	الصفحة
أيحسب الإنسان أن يترك سدى .	٣٦	٨٦

ســورة الانســان

الآية	رقمها	الصفحة
يوفون بالنذر ويخافون يوماً .	٧	٢٨٧
ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً .	٨ـ٩	٧٥٩
إنّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ .	٢٩ـ٣٠	٧٠٠

سورة عبس

في صحف مكرمة . مرفوعة .	١٣-١٦	٥٤٨

سورة التكوير

إنه لقول رسول كريم ذي قوة .	١٩-٢١	٣٥٠
لمن شاء منكم أن يستقيم .	٢٨-٢٩	٧٠٠

سورة البروج

ذو العرش المجيد .	١٥	٦٢٦

سورة الأعلى

قد افلح من تزكى .	١٤	٢٢١، ٢٢٢

سورة الفجر

فيومئذ لا يعذب عذابه أحد .	٢٥-٢٦	٢١٥

سورة الشرح

وإلى ربك فارغب .	٨	٥٩٢

سورة العلق

اقرأ باسم ربك .	١	٧١

سورة البينة

وما أمروا إلَّا ليعبدوا الله .	٥	٣١٢
جزاؤهم عند ربهم جنات .	٨	٦١٣

سورة الزلزلة

فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .	٦-٧	١١٦

سورة الكوثر

فصلّ لربك وانحر.	٢	٢٦٧

سورة الاخلاص

الله الصمد.	٢	٨٣٩

سورة الفلق

قل أعوذ برب الفلق.	١	٢٩٥
ومن شر النفاثات في العقد.	٤	٤٦٣، ٤٨٢

سورة الناس

قل أعوذ برب الناس	١	٢٩٥، ٤٩٩

٢ ـ فهرس الأحاديث المسندة

الحديث	الراوي	الصفحة
حرف الألف		
آمركم بأربع وأنهاكم	ابن عباس	١٩٥
آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما		٦٦٤
آمين آمين	انس	٩٢
أئتوني بكتاب اكتب لكم	ابن عباس	١٠٣
أبالله وأياته ورسوله		٧١٩
اثقل مايوضع في ميزان	ابو الدرداء	٦٩٨
اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن	أبوهريرة	٦٠٦
اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يارسول الله	أبوهريرة	٤٦٧
أجعلتني لله نداً؟! بل ماشاء الله وحده	ابن عباس	١٨٠، ٧٠١
اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها	ابن عمر	٤٢٦
أحبُّوا الله بكل قلوبكم		٥٦٤
احتج آدم وموسى	ابوهريرة	٧٧٢
احرص على ماينفعك، واستعن بالله	أبوهريرة	٧٦٨
أحسنها الفأل	عروة بن عامر	٥٢٠
أخاف على أمتي بعدي خصلتين: تكذيباً	أنس	٥٣١
أخاف على أمتي ثلاثاً: استسقاء	جابر السوائي	٥٣٩
أخاف على أمتي ثلاثاً: حيف الأئمة	أبو محجن	٥٣٠

أخوف ماأخاف عليكم الشرك الأصغر	محمود بن لبيد	١٧٧
أدرك القوم		٧٢١
ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة	أبوهريرة	٣١٦
إذا أحبّ الله قوماً ابتلاهم، فمن صبر	محمود بن لبيد	٦١٢
إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة	أنس	٦٠٩
إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلَّم	النواس بن سمعان	٣٤٧
إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر	ابن عمر	٥٦٠
إذا تغوَّلت الغيلان فبادروا بالأذان	جابر	٥١٦
إذا تكلَّم الله بالوحي سمع أهل السماء الدنيا	ابن مسعود	٣٤٤
إذا تكلَّم الله بالوحي سمع أهل السموات	ابن مسعود	٣٤٣
إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا	عقبة بن عامر	٥٩٨
إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا	ابو سعيد الخدري	٥٧٦
إذا سلَّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم	أنس	٥٠٧
إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت	أبوهريرة	٣٤٣
إذا كان يوم القيامة ماج الناس	أنس	٣٦١
إذا لقيتم المدَّاحين، فاحثوا في وجوههم	المقداد بن الأسود	٨٣٦
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث	أبوهريرة	٣٠٨
إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا:	أبوهريرة	٥٩٥
أذهب البأس ربّ الناس، واشف أنت	عبدالله بن مسعود	٢٤١
أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا	أبو مالك الأشعري	٥٣٦
ارجع فإنك لم تصنع شيئا، فرجع	أبو الطفيل	٢٥٥

الحديث	الراوي	الصفحة
ارجعن مأزورات غير مأجورات		٤١٨
أرسل رسولاً أن لا يبعثن	أبو بشير	٢٣٩
الأرض كلها مسجد إلاَّ المقبرة والحمَّام	أبو سعيد الخدري	٣٩٥
استأذنت ربي في أن استغفر	أبوهريرة	٤١٠
الإسلام أن تعبد الله	أبوهريرة	٣٢٧
الإسلام أن تشهد	عمر بن الخطاب	٧٩٠
الإسلام يجب ماقبله	عمرو بن العاص	٥٦٦
أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون	عائشة	٧٩٧
أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافر	ابن عباس	٥٤٦
اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرُّقي	عوف بن مالك	٢٤٢
أعوذ بوجه الله الكريم، وباسم الله العظيم	سعيد بن المسيب	٧٦٢
أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية	أبوذر	٥٣٩
أغار النبي ﷺ على بني المصطلق		٢٠٣
اغزوا بسم الله	بريدة	٨١٨
أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه		٧١٢
افعلوا ماأمرتكم به فلولا أني سقت	جابر	٦٤٤
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى	أبوبكرة	٩٢
ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي	أبوسعيد	٦٢١
ألا أنبئكم ماالعضه؟ هي النميمة	ابن مسعود	٤٨٣
ألظوا بياذا الجلال والإكرام	أنس	٧٤٤
الله أكبر، إنها السنن. قلتم، والذي	أبو واقد الليثي	٢٥٨

الله مولانا ولا مولى لكم	البراء	٢٥٥
اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة	أنس	١٥٠
اللهم إليك أشكوا ضعف قوتي، وقلة	عبدالله بن جعفر	٧٦١
اللهم أنت أحق من ذُكر، وأحق من عُبد	أبوأمامة	٧٦٢
اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت	ثوبان	٧٤٧
اللهم أنت عضدي ونصيري، بك	أنس	٣٢٦
اللهم إني أسألك بأن لك الحمد	أنس	٧٤٤،٣١٨
اللهم إني أسألك بأنك أنت الله	بريدة	٣١٨
اللهم إني أسألك الجنة ومايقرّب إليها	عائشة	٧٦٢
اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً	عبدالله بن عمرو	٧٤٩
اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل		٦٧٧،١٦٢
اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوما	أبوهريرة	٤٠٦
اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد	أبوسعيد الخدري	٤٠٩،٤٠٥،٢٦٢
اللهم العن فلانا	ابن عمر	٣٣٢
اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله		٧١٢
أليس يحرمون ماأحل الله، فتحرمونه	عدي بن حاتم	٦٥٢
أما إنك لو بلغت معهم الكدىٰ لم	ابن عمر	٤١٨
أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي	كعب بن مالك	٢٤٧
أما السماء الدنيا: فإن الله خلقها من	ابن مسعود	٥٢٩
أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً	ابن عمر	٢٢٢

أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا	أبوهريرة	٢٠٣، ٢٢٢
أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله	عمر، أبوهريرة	٢٠٣، ٢٢٢
إن أخنع اسم عند الله رجل تسمَّى ملك	أبوهريرة	٧١١
إن الله أمر يحيى بن زكريا عليه السلام	الحارث الأشعري	٦٨٨
إن الله بقسطه وعدله	ابن مسعود	٦١٤
إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة	أبوهريرة	٦٢٧
إن الله حرَّم على النار من قال: لا إله إلاَّ الله	عتبان	١٥٣
إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها	ثوبان	٤٤٤، ٤٤٦
إن الله قد أحسن عليكم الثناء بالطهور	عويم بن ساعدة	٢٨١
إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية	أبوهريرة	٥٣٨
إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن	عبدالله بن عمرو	٧٩٦
إن الله لم يُهلك قوماً ـ أو قال: لم يمسخ	ابن مسعود	٤٤٠
إن الله هو الحكم وإليه الحكم	أبو شريح	٧١٥
إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي	عبدالله بن عمرو	٤٨٦
ان الله يحب من أصحابي	بريدة	٨١٠
إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين	ابن عمر	٨٤٤، ٨٤٦
إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر	ابن عمر	٥٤١
إن الله يقول للعبد يوم القيامة	أبوسعيد الخدري	٥٧٤
إن الله يلوم على العجز	عوف بن مالك	٧٧٠
أن أنس كوى	أنس	١٦٦

إنَّ أوَّل ماخلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: ربِّ	عبادة بن الصامت	٧٩١
أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك	ابن مسعود	٩٦، ٢١٥، ٤٦٩
أن تعلم أن ماأصبك	ابوهريرة	٥٨١
إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع	أبوهريرة	٧٢٧
إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين	أبوهريرة	٨٢٦
أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء راكباً	ابن عمر	٢٧٩
أن رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها	أبو أمامة	٦٠٨
إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك	ابن مسعود	٢٤١
إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنَّ	أنس	٦١١
إن العيافة والطَّرق والطيرة من الجبت	قبيصة	٤٧٧
إن عيسى أسلمته أمه إلى الكتاب	أبوسعيد	٧٣
إن عيسى بن مريم قال: الرحمن: رحمن	أبوسعيد الخدري	٧٦
إن في الجنة شجرة		٦٣٤، ٧٤٨
أن لا تدع صورة	أبو الهيّاج	٧٩٩
أن لا يمس القرآن	عمرو بن حزم	٥٤٩
إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلاَّ	أبوهريرة	٧٣٩
إن الملائكة تنزل في العَنَان ـ وهو	عائشة	٣٤٥
إنّ من البيان لسحراً	ابن عمر	٤٦٣، ٤٨٥
إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم	ابن مسعود	٣٩٧
إن من ضعف اليقين: أن ترضي الناس	أبو سعيد	٥٧٩

أن النبيّ ﷺ أخذ في يده حصيات	أبوذر	٣٤٩
أن النبيّ ﷺ بعث إلى أبيّ بن كعب	جابر بن عبدالله	١٦٦
أن النبيّ ﷺ سُحر حتى إنه ليُخيل إليه	عائشة	٤٦٣
أن النبيّ ﷺ كان إذا خرج لحاجته يحب	أنس	٥٢٠
أن النبيّ ﷺ كان لا يتطير من شيء	بريدة	٥٢١
أن النبي ﷺ كوى أسعد بن زرارة من	أنس	١٦٦
أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته	عبدالله بن عمرو	١٤٦
إن هذا الدين يُسر	ابوهريرة	٤٢٤
إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً	ابن عباس	٢٨٣
إن يسير الرياء شرك	معاذ	٢١٤
أنا ابن عبدالمطلب	البراء بن عازب	٧٣٥
أنا سيد الناس يوم القيامة	أبوهريرة	٣٥٩، ٣٦١
إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن		٢٨١
انزعها، فإنها لا تزيدك إلَّا وهناً	عمران بن حصين	٢٣٠
إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن	ابن عباس	١٨٨
إنما الطاعة في المعروف	علي	٢١٢
إنما الطيرة ماأمضاك أوردك	الفضل بن عباس	٥٢٦
إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله	عبادة بن الصامت	٣٢٢، ٨٣٦
إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ماقال	عبدالله بن مسعود	١١٥
إنهما لا يُظهران	أبوهريرة	٢٥٠
إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم	جندب بن عبدالله	٣٩١، ٤٠١

إني والله إن شاء الله لا أحلف على	أبوموسى الأشعري	٨١٧
إني والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق	ابو الدرداء	١٠٩
أوثق عُـرى الإيمان الحبّ في الله	ابن مسعود	٥٦٨
أوفى بنذرك	عبدالله بن عمرو	٢٩٣
أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح	أم سلمة	٣٨٥
إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان	ابن عباس	٣٨٢
أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات	عبادة بن الصامت	١٠٤
أيها الناس إياكم وشرك السرائر	محمود بن لبيد	٦٢١

حـــرف البـــاء

بئس الخطيب أنت	عدي بن حاتم	٥٦٦
بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً	ابن عمر	٥٦٩
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ﷺ	ابن عباس	٧٠، ٩٥
بُعثت بالحنفية السمحة	جابر، وعائشة وأبوأمامة	٤٢٤
بلى، إنهم حرَّموا عليهم الحلال، وحلَّلوا	عديّ بن حاتم	٢١٠
بل للأبد	سراقة	٦٤٤

حـــرف التـــاء

تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول	أنس	٦٠٨
تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين	عبدالله بن مسعود	٤٤٩
تعس عبد الدينار	أبوهريرة	٦٢٥، ٦٣٠، ٦٣٢
تلك عاجل بُشرى المؤمن	أبوذر	٦٢١

حـــــرف الثـــــاء

الحديث	الراوي	الصفحة
ثكلتك أمك يامعاذ، وهل يكب الناس	معاذ	٨٢٧
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة	أنس	٢١٨، ٥٦٢، ٦٦٦
ثلاثة لا يدخلون الجنة: مُدمن الخمر	أبوموسى	٥٣٣
ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم	سلمان	٨١٠

حـــــرف الجيـــــم

الحديث	الراوي	الصفحة
جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً	جابر بن عبدالله	٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٢

حـــــرف الحـــــاء

الحديث	الراوي	الصفحة
حُبب إلى من دنياكم	أنس	٥١٨
حتى لو كان فيهم من يأتي أمّة علانية	ابن عمر	٤٤٤
حد الساحر: ضربه بالسيف	جندب	٤٧٢
حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف	عثمان	٦٣٩
حسبنا الله ونعم	عمرو بن حزم	٥٩٥
الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب	أبوهريرة	٨٠٩
الحياء شعبة من الإيمان	أبوهريرة	٤٨٠

حـــــرف الخـــــاء

الحديث	الراوي	الصفحة
خير أمتي قرني: ثمّ الذين يلونهم	عمران بن حصين	٨١٣
خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ماقلت	عبدالله بن عمرو	١٤٦
خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم	ابن مسعود	٨١٥

حـــــرف الـــدال

الحديث	الراوي	الصفحة
دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل	طارق بن شهاب	٢٧٤، ٢٧٥
الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين	جابر	٣١٧

الدعاء مخ العبادة	أنس	٣١٦
الدعاء هو العبادة	النعمان بن بشير	٨٠٥
دعهما يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيداً	عائشة	٢٨٤

حرف الذال

ذاك الله	الأقرع بن حابس،	
	والبراء بن عازب	٥٨٤
ذلك شيء يجده أحدكم	معاوية بن الحكم	٥١٢

حرف الراء

رأى رسول الله ﷺ جبريل في	ابن مسعود	٣٥١
ربّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم	أبو هريرة	٦٣٩
ربّ سلِّم	المغيرة	٧٤٩
رضى الرب في رضى الوالدين	عبدالله بن عمرو	٩٣
رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم	أبوهريرة	٩٢
رقى جبريلُ النبي ﷺ	أبو سعيد	١٦٥
رقى النبي ﷺ أصحابه	عائشة	١٦٥
الرؤيا الصالحة جزء من ستة	عبادة بن الصامت	٧٠٣

حرف الزاي

زوروا القبور، فإنها تذكر الموت	أبوهريرة	٨٠٤

حرف السين

السلام عليكم ياأهل القبور	ابن عباس	٨٠٥
سبحان الله سبحان الله		٨٢٩

سلمان منا أهل البيت إن الله يحب من		٨١٠
سلوا الله كل شيء	انس	٣١٧
سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته	عائشة، أبوهريرة	١٣٩
سمعتُ رسول الله ﷺ يأمر	فضالة	٨٠٠
سنوا بهم سنة أهل الكتاب		٨٢٢
السيد الله تبارك وتعالى	عبدالله بن الشخير	٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٨
سئل النبي ﷺ أي الناس أشد بلاءً	سعد	٦١٣

حرف الشين

الشرك بالله	ابن عباس	٦٠٠
الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل	أبوبكر	١٧٨
الشفاء في ثلاث: شربة عسل	ابن عباس	١٦٧
الشهادة بالجنة لثابت وابن سلام والذي ضرب في الخمر	ابن عمر	٢٠٠
الشؤم في ثلاث: في المرأة، والدابة	ابن عمر	٥١٣

حرف الصاد

الصبر ضياء	أبو مالك الأشعري	٦٠٣
صلاة في مسجد قباء كعمرة	أسيد الأنصاري	٢٧٩

حرف الطاء

طوبى لمن رآني	أبو سعيد	٦٣٣
الطيرة شرك، الطيرة شرك، ومامنا	ابن مسعود	٥٢٢

حرف العين

عُرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبيّ	ابن عباس	١٥٨

حرف الفاء

فإن استطعت أن تعمل بالرضى في	ابن عباس	٥٨١
فأمرهم النبي ﷺ إذا	قتيلة	٦٩٩
فإن الله حرَّم على النار من قال	عتبان	١٣٦
فذهب فإذا رأيتها	أبو أيوب	٥١٧
فضحك النبي ﷺ	ابن مسعود	٨٤١
فلعلّ طبّاً أصابه، ثم نشره		٤٩٩
فيكذبون معها مائة كذبة	عائشة	٤٩٥

حرف القاف

قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم انك مادعوتني	أنس	١٤٩
قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء	أبوهريرة	٦١٨
قال الله تعالى: ومن أظلم ممَّن ذهب	أبوهريرة	٧٩٧
قال الله تعالى: ياابن آدم، لو أتيتني	أنس	٢٤٩
قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسبُّ	أبوهريرة	٧٠٥
قال ربكم: أنا أهلٌ أن أُتقى فلا يُجعل	أنس بن مالك	١٥٢
قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان	جندب بن عبدالله	٨٢٥
قال موسى: يارب، علمني شيئاً	أبو سعيد الخدري	١٤٤
القدرية مجوس هذه الأمة	ابن عمر	٧٨٩
قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا	طارق المحاربي	٩٦
قوموا إلى سيدكم	أبو سعيد الخدري	٨٣٨، ٨٣٩

حرف الكاف

كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء	عائشة	٥١٨

كان رسول الله ﷺ يحب حسن الصوت بالقرآن	ابن مسعود	٥١٨
كان رسول الله ﷺ يحب معالي الأخلاق	أبوذر	٥١٩
كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد	ابن مسعود	٦٧٩
كان النبي ﷺ يدعو ربه مرة يقول	ابن عباس	٣١٩
كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع	ابن عمر وغيره	٣٥٠
كانت راية رسول الله ﷺ سوداء	ابن عباس	٤٦٨
الكبائر تسع	ابن عمر	٤٦٨
الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري	أبو سعيد الخدري	٨٣٧
كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد		٦٩
كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله		٦٩
كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله	أبوهريرة	٦٩
كل أمرٍ ذي بالٍ لا يُفتتح بذكر الله		٦٩
كل بسم الله ثقة بالله	جابر	٥١١
كل ذنب عسى الله أن يغفره إلاَّ الرَّجل	معاوية	٤٧١
كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة	العرباض بن سارية	٤٥٢
كل مصوّر في النار، يُجعل له بكل صورة	ابن عباس	٧٩٧
كنا نسمع تسبيح الطعام	ابن مسعود	٣٤٩
كنت نهيتكم عن زيارة القبور	بريدة	٤١٦
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد	شداد بن أوس	٧٦٩
كيف تقضي إذا عُرض لك قضاء؟	عمر	٦٥٠، ٧١٧
كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم؟	أنس	٣٣٠
كيف يفلح قوم شجُّوا نبيّهم؟	أنس	٣٢٩

حـــرف الـــلام

الحديث	الراوي	الصفحة
لا أحصي ثناءً عليك أنت	عائشة	٧٤
لا بأس بالرُّقى مالم تكن شركاً	عوف بن مالك	١٦٥
لا تتخذوا بيتي عيداً	مولى المهري	٤٣٠
لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً	على	٢٨٤، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣١
لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا	أبوهريرة	٤٢٦، ٨٠٥
لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن الشيطان	ابن عمر	٤٢٦
لا تجتمع أمتي على ضلالة	أبو مالك	٧١٦
لاتحلفوا بآبائكم. من حُلف له بالله	ابن عمر	٦٩٧
لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على	عقبة بن عامر	٤٥٩
لا تسبُّوا الريح، فإذا رأيتم ماتكرهون	أبيّ بن كعب	٧٧٥
لا تستنجوا بالروث ولا العظام	ابن مسعود	٢٥٠
لا تُشد الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد:	أبو سعيد	٤٣٤
لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا	صفوان بن عسَّال	٤٦٩
لا تصلوا إلى القبور	أبو مرثد	٤٠٣
لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم	عمربن الخطاب	٣٧٢، ٣٨٠، ٨٣٦
لا تُعمل المطيُّ إلاَّ إلى ثلاثة	بصـرة بـن أبي بصرة الغفاري	٤٣٤
لا تقولوا: السلام على الله، فإن الله	ابن مسعود	٧٤٧
لا تقولوا: ماشاء الله وشاء فلان	حذيفة	٦٩٤
لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات	أبوهريرة	٤٥٤
لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض:	أنس	١٧٤، ٤٥٩

لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يُعظم	أبوأمامة	٧١٣
لا تنسنا ياأخي من صالح دعائك	ابن عمر	٨٣٣
لا حلف في الإسلام وأيُّما حلف كان	جبير بن مطعم	٨١٨
لا رقية إلَّا من عين أو حمة	عمران بن حصين	١٥٨، ١٦١
	بريدة بن الحصيب	
لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر	أبوهريرة	٥٠٨
لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل	أنس	٥١٧
لا غول ولكن السعالي		٥١٦
لا نذر في غضب، وكفارته كفارة	عمران بن حصين	٢٩٣
لا نذر في معصية، وكفارته كفارة	عائشة	٢٨٥
لا يأتي زمان إلَّا والذي	أنس	٨١٥
لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه		٦٧٠
لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحبّ	أنس	٥٦٣، ٥٦٧
لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحبّ	عمرو بن الجموح	٥٦٨
لا يحل دم امري مسلم	ابن مسعود	٩٧
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال	ابن مسعود	٨٣٧
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	أبوهريرة	٦٦٤
لا يُسأل بوجه الله إلَّا الجنة	جابر	٧٦١
لا يعدي شيء ـ ثلاثاً ـ فقال	ابن مسعود	٥١٠
لا يقص إلا أمير	عوف بن مالك	٦٧٥
لا يُورَد ممرض على مصح	أبوهريرة	٥٠٨، ٥١٠

لا يقولن أحدكم أطعم	أبوهريرة	٧٥٥
لا يقولن أحدكم اللهم	أبوهريرة	٧٥١
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه	أنس	٢٧٦ ، ٥٦٠
لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً	عبدالله بن عمرو	٦٦٢
لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد	علي بن أبي طالب	٧٩٥
لأعطين الراية ـ أو: ليأخذن الراية ـ	سلمة بن الأكوع	١٩٧
لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ الله	سهل بن سعد	١٩٦
لتتبعن سنن من كان قبلكم	أبوسعيد	٤٤٣ ، ٤٥١
لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من	عليّ	٢٦٨
لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا	عائشة	٣٨٨، ٤٠١، ٤٣١، ٤٤٢، ٨٠١
لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور	ابن عباس	٤١٣
لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور	حسان بن ثابت	٤١٤، ٤١٥، ٤١٧
لكل أمة مجوس ، ومجوس هذه	حذيفة	٧٨٩
لكل نبيّ دعوة مستجابة ، فتعجَّل كل	أبوهريرة	٣٦٠
لا يقولن أحدكم أطعم	ابوهريرة	٧٥٥
لا يقولن أحدكم اللهم	ابوهريرة	٧٥١
لو استقبلت من أمري ما استدبرت	عائشة	٦٤٤
لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه	أبيّ بن كعب	٧٩٥
لو أنفقت مثل أحد ذهباً ماقبله الله منك	أبيّ بن كعب	٧٩٤
ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك	جابر	٦٠٦

ليس شيء أكرم على الله من الدعاء	أبوهريرة	٣١٧
ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم	عبدالله بن مسعود	١١٤
ليس منا من تطيَّر أو تُطير له	عمران بن حصين	٤٩١
ليس منا من ضرب الخدود، وشق	ابن مسعود	٦٠٧

حرف الميم

ماأصاب أحداً قط هم ولا حزن	عبدالله بن مسعود	٧٤١
ماأعطي أحدٌ عطاء خيراً وأوسع من	أبوسعيد الخدري	٦٠٣
ماأنزل الله من داء إلَّا أنزل له شفاء	أبوهريرة	١٦٨
مابعث الله من نبيّ إلَّا كان حقّاً عليه	عبدالله بن عمرو	١٧٨
مابقي شيء يُقرب من الجنة ويباعد	أبوذر	٤٢٥
ماتسمون هذه	العباس	٨٥٤
ما السموات السبع في الكرسي، إلَّا	زيد	٨٤٥
ما الكرسي في العرش إلَّا كحلقة	أبوذر	٨٤٥
ماكنتم تقولون إذا كان مثل هذا	ابن عباس	٣٤٦
معاذٌ يُحشر يوم القيامة أمام العلماء	عمر	١٠٦
الملائكة تصلي على أحدكم مادام في	عليّ	٧٨
مما أخاف على أمتي		٥٣٠
من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما	أبوهريرة	٤٨٩
من أتى عرافاً فسأله عن شيى فصدَّقه	حفصة	٤٨٧
من أتى عرفاً فسأله عن شيء لم تقبل له		٤٨٩
من أتى كاهناً فصدقه بما يقول	أبوهريرة	٤٨٩

من أحبّ أن يتمثَّل له الرِّجال قياما	معاوية	٧١٣
من أحبّ لله وأبغض لله وأعطى	أبوأمامة	٥٦٩، ٦٦٧
من أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً	أنس	٤٥٢
من أحدث في أمرنا ماليس منه فهو رد	عائشة	٤٥٢
من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله	عائشة	٥٨٥
من استعاذ بالله فأعيذوه	ابن عمر	٧٥٧
من استطاع منكم أن ينفع أخاه	جابر	١٦٥
من اقتبس شبعة من النجوم فقد	ابن عباس	٤٨٠، ٥٣٠
من التمس رضى الله بسخط الناس، رَضي	عائشة	٥٨٤
من التمس رضى الله بسخط الناس، كفاه	عائشة	٥٨٤
من تعلَّق تميمة فقد أشرك	عقبة بن عامر	٢٣٤، ٢٣٥
من تعلَّق تميمة فلا أتم الله له	عقبة بن عامر	٢٣٤، ٢٤٠
من تعلَّق شيئاً وكل إليه	عبدالله بن عُكيم	٢٤٦، ٥٩٢
من تعلَّم شيئاً من السحر قليلاً كان	صفوان بن سليم	٤٦٥
من حلف باللات والعُزّى		٢٨٨
من حلف باللات والعزى	عمر بن الخطاب	٦٩١
من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك	عبدالله بن عمرو	٥٢٤
من سألكم بوجه الله فأعطوه	ابن عباس	٧٦٠
من سمع به في أرض فلا يقدمُ عليه	أسامة بن زيد	٥١٠
من شهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا	عبادة بن الصامت	١١٩
من شهد أن لا إله إلا الله وخلع	جابر	٢٢٢
من صلى على جنازة فله قيراط، ومن	أبوهريرة	٤١٩

من صلى يُرائي فقد أشرك ومن صام	شداد بن أوس	٦١٩
من صنع إليكم معروفاً فكافئوه	ابن عمر	٥٨٢
من صوَّر صورة في الدنيا كُلِّف أن	ابن عباس	٧٩٧
من ظلم شبراً من الأرض طوّقه	عائشة	٢٧٣
من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر	أبوهريرة	٤٨١
من قال في القرآن برأيه	ابن عباس	٢١٣
من قال: لا إله إلَّا الله، وكفر بما يُعبد	طارق بن أشيم	٢١٩
من قال لا إله إلا الله خالصاً	أبوهريرة	٣٥٩، ٣٦٠
من قطع تميمة من إنسان كان	سعيد بن جبير	٢٥٠
من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا:	عبدالله بن عمرو	٢٧٢
من لا يشكر الناس لا يشكر الله	أبوهريرة	٥٨٢
من لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل	أنس بن مالك	١٣٧، ١٨١
من لكعب بن الأشرف فإنه قد	جابر	٦٦٩
من لم يسأل الله يغضب عليه	أبوهريرة	٣١٧
من لم يصبر على بلائي ولم يرض	أنس	٦١٤
من مات وهو يدعو من دون الله	ابن مسعود	١٧٩
من نذر أن يطيع الله فليطعه. ومن	عائشة	٢٩٢
من نزل منزلاً، فقال: أعوذ بكلمات	خولة بنت حكيم	٢٩٨
من وحَّد الله وكفر بما يُعبد من دون	أبو مالك الأشجعي	٢٢٠
من يُرد الله به خيراً يفقه في الدين	معاوية	٧٠١

حرف النون

نعم بأمثال هؤلاء فارموا . وإياكم	ابن عباس	٣٨٣
نعم ، الصلاة عليهما ، والإستغفار	أبو أسيد الساعدي	٩٣
نعم ياعباد الله تداووا فإن الله عز	أسامة بن شريك	١٦٩
نهى أن يجصص القبر أو يكتب	جابر	٣٩٩، ٤٠٠، ٨٠٠
نهي عن ذبائح الجن	أبوهريرة	٢٧١
نهي عن زيارة القبور	عائشة	٤١٦
نهي النساء عن اتباع	أم عطية	٤١٩

حرف الهاء

هذا سبيل الله	ابن مسعود	١٠٠
هذا ماصالح عليه		٦٨١
هذه رحمة جعلها الله في قلوب	أسامة بن زيد	٦٠٩
هل أخبرت بها أحداً	الطفيل	٧٠٢
هل تدرون كم بين السماء والأرض	العباس بن عبدالمطلب	٨٤٦
هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا : الله	زيد بن خالد	٥٤١
هل تستطيع أن تصلي	أبوهريرة	٦٤١
هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية	ثابت بن الضحاك	٢٨٢
هلك المتنطعون . ثلاثاً	ابن مسعود	[illegible]
هو مسجدي هذا	أبو سعيد	٢٨٠
هي من عمل الشيطان	جابر	٤٩٩

حرف الواو

والذي نفسي بيده حتى أكون	عمر	٥٦٠
والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما	أبوهريرة، وجابر	٤٤٦
والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابنُ مريم	أبوهريرة	٤٥٧
وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به	جابر	١٠٤
﴿وتجعلون رزقكم﴾: يقول شكركم	عليّ	٥٣٥
وفرّ من المجذوم كما تفر من الأسد		٥٠٩، ٥١٠
ولا رادّ لما قضيت	المغيرة بن شعبة	٤٤٨
ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم	أبوذر	١٥٠
ويحك، أتدري ماتقول	جبير بن مطعم	٨٣٠
ويحك، ماهذه؟ قال: من الواهنة	عمران بن حصين	٢٣١
ويلك، قطعت عنق صاحبك		٨٣٦

حرف الياء

ياأبابكر، ألست تنصب؟ ألست	أبوبكر الصديق	١١٦
ياأيها الناس قولوا	أنس	٨٣٥، ٨٣٦
يابني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً	أبوهريرة	٣٣٧
يارحمن يارحيم	ابن عباس	٦٨٢
يارويفع، لعل الحياة ستطول بك	رويفع بن ثابت	٢٤٧
ياعم، قل لا إله إلّا الله، كلمة أحاج	المسيب	٣٦٤
يامعاذ، أتدري ماحق الله على	معاذ بن جبل	١٠٥
يامعاذ، قال: لبيك يارسول الله	أنس بن مالك	١٣٧
يامعشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ	أبوهريرة	٣٣٥

يتقارب الزمان وينقص العلم، وتظهر	أبوهريرة	٤٥٠
يُحشر المتكبرون أمثال	عبدالله بن عمرو	١٨٨
يُصاح برجل من أمتي على رؤوس	عبدالله بن عمرو	١٤٠، ١٤٧
يُضرب ضربة واحدة فيكون أمة	بريدة	٤٧٣
يطوي الله السموات يوم القيامة	ابن عمر	٨٤٤
يقبض الله الأرض ويطوي السَّماء	أبوهريرة	٨٤٣
يقول الله تعالى: لأهون أهل النار	أنس بن مالك	٨٧
يقول الله تعالى: يسبّ ابن آدم الدهر	أبوهريرة	٧٠٧
يقول الله عز وجل: استقرضت عبدي	أبوهريرة	٧٠٧
يكون في أمتي كذابون دجَّالون	حذيفة	٤٥٥
يمجد الرب نفسه	ابن عمر	٨٤٤
يمين الله ملأىٰ، لا يغيضها نفقة	أبوهريرة	٧٥٢

٣ ـ فهرس المسائل الأصولية

الموضوع	الصفحة
قبول خبر الواحد العدل	١٩٤
معنى الصحابي	٢٧٥
قول الصحابي أو فعله ليس حجة على الحديث	٤١٩
الاجماع حجة	٤٥٨
العام لا يعارض الأدلة الخاصة	٤١٧
النكرة في عموم النهي	٦١٧
الكفار مخاطبون بفروع الشريعة	١٩٢
المطلق يحمل على المقيد	٢٨٦
التقييد نوعٌ من النسخ	٦٢٦
رد المتشابه إلى المحكم	٦٧٨
مفهوم العدد ليس بحجة	٤٦٨
تعقيب الوصف بالحكم بالفاء	٢٨٤
الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة	٤١٨
الخصائص لا يقاس عليها	٢٦٤
اعتبار المقاصد	٢٣٢
سد الذريعة	٢٤٤، ٢٦٤، ٢٨٤، ٣٢٣، ٣٨٦، ٧٥٥، ٧٩٩، ٨٠٨
الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء	٢٦٣
شرع من قبلنا	٢٦٣
فوائد النظر في كلام المجتهدين	٦٥٠
الحق في المسألة واحد	٦٥٠، ٨٢٣
لا انكار في مسائل الاجتهاد	٦٤٦
إذا استبان الدليل وجب الأخذ به وترك الاجتهاد	٦٤٥، ٦٤٩، ٦٥١

الاجتهاد لا ينقطع .... ٤٥٩، ٦٤٨
لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد .... ٦٤٦، ٦٤٩
تقليد الجهال .... ٦٥٨، ٧١٧
استفصال المفتي ٢٨٤
الحلف على الفُتيا ٢٠٤

٤ ـ فهرس المسائل الفقهية

الطهارة

الاستنجاء بالروث والعظام ٢٥٠
حمل القرآن أو بعضه حال قضاء الحاجة ٢٤٤
حكم مس الـمُحدِث المصحف ٥٤٩
حكم الواصلة والواشمة ٢٧٤

الصلاة

معنى العبادة ٨٥
ما تتم به العبادة ٢٠٧
أجل العبادات البدنية ٢٦٧
معنى الصلاة ٣٢٠
ما تضمنته الصلاة من أنواع العبادة ٢٦٧
شأن الصلاة ١٩٦
متى فرضت الصلاة .... ١٥٢، ١٩٥
قتال تاركي الصلاة ٢٢٣
الصلاة لله ولغيره ٢٩٦
كثرة الصلاة ١٤٢
ما يسلب أجر الصلاة ٤٨٨
حكم الصلاة قبل تغيير القبلة ٦٦٤
معنى المسجد .... ٣٩٦، ٤٠٢

حكم بناء المساجد على القبور .... ٣٨٨، ٣٩٨، ٤٥١، ٨٠٠
إذا بني المسجد للمعصية ٢٨١
حكم الصلاة عند القبور وإليها .... ٢٩٥، ٤٠٢، ٨٠٠، ٨٠١
الدعاء الذي لا تصح الصلاة إلّا به ٣١٩
الدعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة ٣٣٣
عقد اللحية في الصلاة ٢٤٩
معنى قول الإمـام سمع الله لمن حمده ٣٣٣
للامام أن يجمع بين التسميع والتحميد ٣٣٤
صلاة النافلة في البيوت ٨٠٦

الجنائـــز

زيارة النساء للقبور ٤١٥

الزكـــاة

أجل العبادات المالية ٢٦٧
وجوب الزكاة ١٩٢
البلوغ والعقل ليس من شروط الزكاة ١٩٣
ما يخرج من الزكاة ١٩٤
من يتولى قبض الزكاة ١٩٣
بعث العمال لجباية الزكاة ١٩٤
وعظ العمال والأمراء .... ١٩٤، ٢٠١
قتال مانعي الزكاة .... ٢٠٣، ٢٢٣
مصارف الزكاة .... ١٩٢، ١٩٣

الصيام

الصوم أمر باطن ١٩٦
كثرة الصيام ١٤٢
قتال تاركي الصيام ٢٢٣
الصوم للكواكب ٨٤

الحج

الحج وجوبه خاص ١٩٦
الاخلاص في الحج ٦١٩
الدعاء عند الزيارة ٨٠٥
قتال تاركي الحج ٢٢٣
حج المشاهد .... ٨٠٢، ٨٠٧

الجهاد

الدعوة قبل القتال .... ٢٠٣، ٨٢٤
الآداب عند القتال وترك الطيش ٢٠١
من تؤخذ منه الجزية .... ٨٢١، ٨٢٣
مقدار الجزية ٨٢٢
أهل الفيء ٨٢١

المعاملات

الحلف في البيع ٨٠٩

تغيير حدود الأرض أو الطرق ٢٧٣
حكم آكل الربا ٢٧٤
معنى الصلح ٧١٨
حكم الوكالة ٥٨٩
الوقف على القبور .... ٨٠٠، ٨٠١

الجنايات والحدود

حكم قتل المؤمن تعمداً ٤٧٠
ضعف الداعي يوجب تغليظ العقوبة ٨٠٣
حكم التداوي والكي بالنار .... ١٦٦، ١٧٠
الضرب في الخمر ٢٠٠
قتال البغاة ٢٢٤
تعلم السحر ٤٦٤
حكم قتل الساحر ٤٧٤

الذبائح

ما ذبح عند استقبال الأمراء ونحوهم ٢٧١
الذبيحة إذا ذكر عليها اسم المسيح أو غيره ٢٧٠
ذبيحة المرتد ٢٧٠

النذور

الوفاء بالنذر .... ٢٨٤، ٢٩٢
نذر المعصية وما يجب به .... ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٣

النذر المكروه ٢٩٣
نذر المجازاة ٢٩٠
النذر بما لا يملك ٢٨٦

٦ ـ فهرس الموضوعات الرئيسة

تقديم ٣

الفصل الأول: حياة ابن عبد الوهاب وكتابه التوحيد ..... ٩ ـ ٢٨

الفصل الثاني: حياة المؤلف وكتابه فتح المجيد ..... ٢٩ ـ ٥٠

نماذج النسخ الخطية ..... ٥١ ـ ٦٠

النص المحقق ..... ٦١ ـ ٨٥٥

الفهارس العامة ٨٥٧ـ٩١٥